

دكتور محمد عباس

الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة

مع ملف كامل
عن أزمة الوليمة



مكتبة مجبولى

الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة

الكتاب : الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة - مع ملف كامل عن أزمة الولاية
تأليف : دكتور محمد عباس
الطبعة : الأولى ٢٠٠١
الناشر : مكتبة مديبولي ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٢٦٠٧ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي : ISBN : 977 - 208 - 317 - 5

دكتور محمد عباس

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة

مع ملف كامل
عن أزمة الولاية

مكتبة مطبولى

٢٠٠١

حقوق الطبع محفوظة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١٧	يا سيادة الرئيس
٣٣	الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة
٣٥	الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة
٥١	تلاميذ دنلوب وصبيان زويمر وجنود كرومر
٦٣	فلتبكوا كثيرا.. ولتضحكوا قليلا
٧٥	إينالا.. هاموهى.. طنبالكا.. فيرينا
٨٥	هوى غربى .. أم استكبار غبى
٩٧	هل نعوى ككلاب الصحراء بلا جدوى
١٠٧	ما بين هوى صربى واستكبار غبى
١١٩	ليس إرهابا وليسوا إرهابيين
١٣٣	غارات على القراء
١٤٥	يا وطنى: هل أنت بلاد الأعداء
١٥٧	رأيت عرش الرحمن يهتز
١٧١	كيف نسينا التاريخ
١٨١	يقف الزمان بنا كموقف طارق.. اليأس خلف والرجاء أمام
١٩٥	أضعنا كنزا وأخذنا وباء "١"
٢١١	أضعنا كنزا وأخذنا وباء "٢"
٢٢١	أضعنا كنزا وأخذنا وباء "٣"

الصفحة	الموضوع
٢٣٥	الحدود فى الإسلام كنز لا وباء
٢٤٩	البحث عن أتاتورك
٢٦٣	الإسلام العيسوى
٢٧٥	الله فاعل
٢٨٩	كل نفس ذائقة الموت ...
٣٠٥	كيف عميت بصائرنا
٣٢١	كلاب للأعاجم هم ولكن .. على أبناء جلدتهم أسود
٣٣٧	صراط المغضوب عليهم .. والضالين "١"
٣٥٣	صراط المغضوب عليهم .. والضالين "٢"
٣٦٧	ألم يعهد إليكم ألا تعبدوا الشيطان
٣٧٧	لا للوطن كرامة .. ولا للدين حرمة "١"
٣٩١	لا للوطن كرامة .. ولا للدين حرمة "٢"
٤٠٥	هل يرضى الذئب عن الحمل
٤٢٥	ليس على الشيشان وحدها أبكى
٤٣٩	أنا مع الإرهاب !!
٤٥٣	ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله
٤٦٥	يذوب قلبى

ملف وليمة لأعشاب البحر

٤٨٩	من يبايعنى على الموت
٥٠٩	الجريمة مستمرة
٥٣١	نداء ورجاء إلى الرئيس
٥٣٣	يا سيادة الرئيس : الفتنة تطل فأطفئها
٥٤٧	لا إله إلا الله
٥٦٥	بيان الأزهر تقرير ا.د عبد الرحمن العدوى و ا.د رأفت عثمان
٥٨٤	القرضاوى يطالب مبارك بوقف الموجة الثقافية الفاجرة

الصفحة

الموضوع

هوامش ملف الوثيقة

٥٩٣ هامش حول الهوامش
٥٩٧ الهوامش
٦٣٠ الأهرام العربى
٦٣٦ الأبدى القذرة
٦٣٨ خيانة المتقنين
٦٤٩ الخاتمة: بيان إلى الأمة

المقدمة

لو أنك يا أمة آمننت حقاً لما كان هذا الحالُ حالَك..
أصلحي عقيدتك يا أمة فإن هذا السواد حالِك..
إننى أكاد أفهم الآن - فى عذاب لا يوصف - بصيصاً من معنى
الآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"..
تلك هى الأمانة يا أمة.. الأمانة التى عجزت عن حملها السماوات
والأرض..
الأمانة .. العقيدة..
عقيدة لا إله إلا الله ..
تلك التى اصطفانا بها الله وميزنا على العالمين..
لا إله إلا الله..
تلك هى الفاصلة بيننا وبين الآخرين..
فهل حافظنا عليها بحقها..
لا والله..
ولكم كان يرعبنى أن أتهم واحداً بالكفر فأبوء به..
لذلك اقتصررت على اتهام المنهج والفكر لا الأفراد (لم أتجاوز ذلك
إلا فى أزمة الوليمة .. وكنت بحمد الله على صواب)..
كنت أقترّب من هذه المنطقة برعب وحذر..
الآن ينفجر فى اللغم يا أمة رغم الحرص والحذر..
فبعد الحضيض الذى وصلنا إليه لم يعد ثمة مناص من المفاصلة: إما
إيمان وإما كفر.. ذلك يا أمة أن الداء وبيل..
والنار تكوينى أنساءل: هل سلمت عقيدتك يا أمة عندما زاغت قلوب
ظالميك الذين مرق بعضهم من الإيمان مروق السهم من الرمية!..
إننى أعلم أننى بهذا التساؤل أفتّح باباً لنار من نيران الأخدود على
نفسى، ولكن مرحباً بها، لا والله .. ليس لكى يقال شجاع.. ولكن خوفى
يا رب منك أكثر من خوفى منهم..
ثم أننى وحق جلالك وعزتك يا رب: لا أطلب منك ميثاقاً أن أجاهد
فيك بشرط ألا أؤذى.. لكنى أسألك العفو ثم لا أبالى على أى جنب كان
فى الله مصرعى..

يا أمة ..

لست أدعى لنفسي الصواب والحكمة.. كما أننى لن أخدعكم أبدا
لأدعى أننى وحدى اكتشفت طريق النجاة.. فما أنا إلا بقايا من أعظم و أنبل
وأرقى حضارة فى الدنيا.. حضارة لا إله إلا الله.. نعم بقايا من مزقة
شراع تمزق.. وشظية سفينة تحطمت.. ومزقة الشراع تدرك أنها وحدها
لا تدفع السفينة أبدا ثم أنه لا سفينة.. وشظية الخشب تدرك أنها لا يمكن
وحدها أن تكون سفينة أبدا ثم أنه لا شراع.. بك يا أمة يلتئم الصدع ويرتق
الفتق وتعود المزق شراعا والشظايا سفينة ناوى إليها فتعصمنا من جبال
الماء.. من الطوفان يا أمة.. كل واحد منا معلق بشظية أو يمسك مزقة
من شراع.. بك يا أمة.. بكم يا قراء.. حينما يدرك كل واحد منكم أنه مزقة
وشظية.. وحين يجاهد كى يقترب من الآخرين كى تعود السفينة سفينة
والشراع شراعا.. بك يا أمة.. وبكم يا قراء..

العقيدة يا أمة ..

كيف بكم يا ناس .

كيف بكم وقد تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تجبر
حكامكم فأذلوكم وفسق مترفوكم فأهلكوكم وضل متفوكم فأضلوكم ..
وتحالفتم أضلاع المثلث ما بين الجبار الظالم والمترف الفاسق والمتقف
الضال المضل وتكالبوا عليكم من خلال أجهزة الإعلام كى يستنزفوا
الوعى ويشوهوا الذاكرة ويطفئوا نور العقيدة حتى أننى أظن الأمة تحتاج
من جديد إلى رعىل تتعقب به أضلاع المثلث المدنس، كذلك الرعىل
الصالح الذى أخذ فى قرون الإسلام الأولى يتعقب أصحاب الأحاديث
الموضوعة الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأننا نحتاج
إلى صياغة عصرية تقلد كتب الجرح والتعديل كى تكشف لنا من يزيفون
وعينا .. فتصف كاتباً بأنه فاسق لا تقبل مقالته، والآخر بأنه كذاب لا تقبل
روايته، والثالث بأنه سكير لا تقبل شهادته، والرابع بأنه لص لا ترجى
أمانته، والخامس بأنه خائن لا يؤتمن حكمه، والسادس بأنه شاذ، والسابع
أنه مجرم والثامن بأنه ضعيف العقل والتاسع أنه شيطان والعاشر بأنه
يجمع بين هذه الموبقات جميعا، وهكذا دواليك..

تشرذمت يا أمة. فهل تعرفين يا أمة لم تشرذمت..

لأنك فقدت الدليل والمرجع..

اتبعتكم هواكم.. وما دمتكم قد اتبعتم هواكم فقد حق لكل واحد منكم أن يكون جزيرة معزولة.. هو مرجع نفسه.. لماذا تلومونه إذن حين لا يتفق مع آخرين هم مراجع نفوسهم.. فلماذا فقدت مقياسك ومرجعك يا أمة؟..

لماذا فقد بعض كتابك عقولهم وضمايرهم فلم تقوّمهم..

تتركين وعيك ينزف وذاكرتك تستنزف وأنت سادرة في خلاقات واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان..

ولماذا أطعتم أوثانكم وعصيتكم الله.. نعم أوثان.. فأيات الأوثان لم تتسخ.. هل تلوّث يا أمة قول الله :

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} .

فتربصى يا أمة .. تربصى..

يقول الكاتب الفرنسى إبتين لامى : " إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيده انتشاراً، أما الوسيلة الفعالة لهدمه وتقويض دعائمه فهي تربية بنيه فى المدارس التبشيرية أو المسيحية، ونفت جراثيم الإلحاد فى صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون، فإن لم ينتصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا مسيحيين" ..

أما زويمر كبير المبشرين فى العالم الإسلامى فيتحدث عن هدفهم من عزل القرآن عن الناشئة وتشويه تاريخ الإسلام لتكوين مجتمع لا هو يهودى ولا هو مسيحي ولا هو مسلم فيقول: " ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة.. " ..

ويقول جب : " تغريب الشرق إنما يقصد به إلى قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحي.. وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر، حتى إذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيتها ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها.. وبقيت عيالا على الغرب تنطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعادة.. وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا.. " ..

لماذا تركت الجهاد يا أمة..

ألفان فى جروزنى مرغوا فى الطين ثانى أقوى دولة فى العالم.. ماذا لو كانوا عشرة آلاف .. ماذا لو كانوا مائة ألف .. ماذا لو كانوا مليوناً ..

وهل كان يمكن حينها يا أمة لا إله إلا الله أن ينتهكنا ذلك العالم الداعر
كما يفعل الآن ..

لماذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يا أمة وتخليت عن
الساحة لأضلاع المثلث المدنس .. لماذا تركتهم يخذعونك باستقطاب
بعض شيوخ السلاطين حولهم ذرا للرماد في العيون .. ثم يحاصرون بعد
ذلك شيوخك الحقيقيين وعلماءك ورموزك وفقهاءك، حتى أصبحت كلمة
الشيخ تعنى فى قاموس أضلاع المثلث المنكود تخلفا جديرا بالسخرية ،
والفقيه كل دنيا النفس البشرية الجديرة بالازدراء .. والجرأة على الله
والمقدسات تحضرا والكفر تنورا والعهر حرية المرأة .. يفعلون ذلك
ثم يهاجمون بكل الضراوة السفهية أعظم رموزنا .. وذلك كله مخطط يا
قراء .. يدرسونه ويدرسونه فى أجهزة الأمن وأوكار المباحث .. إذ يظنون
أنهم بذلك يفقدون مثل هذا الشيخ الكبير أو الفقيه العالم المثقف بعض
مهابة .. يظنون أن التجريح الشخصى يمكن أن يمنع مثله من المواجهة ..
فإن لم ينجحوا فى ذلك فإنهم يأملون عن طريق كسر الهيبة أن يقللوا تأثيره
على الناس ..

لماذا تركتهم يا أمة يسرقون صوتك ويزورون إرادتك، ثم لا يكتفون
بهذا بل يجعلون الانتماء إلى أصغر مجالسهم تمنح حصانة للسلارق
والمنتهب فلا يطاله قانون، لماذا لم تصرخى فيهم أن العضوية فى بيت
آل النبى لم تكن تمنح حصانة لفاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم -
إذا هى سرقته ..

لم تترك لك أضلاع المثلث المدنس يا أمة شيئا .. لا الدين ولا الدنيا ..
وحتى حصنك الأخير : "القرآن" اجترعوا عليه ..

يضم هذا الكتاب بين دفتيه خمسين مقالة نشرت بصحيفة الشعب
المصرية قبل أزمة الولاية، ولقد فوجئت أثناء إعداد الكتاب أن كل مقال
منها كان مناسبا للكتابة بعد الولاية وكأنه يكتب خصيصا للرد على أدياء
الثقافة والتنوير، كما أن المقالات الأربع المنشورة عن قضية الولاية
نفسها، كانت تصلح جميعها دون أزمة الولاية لتكون الامتداد الطبيعى
والخاتمة المنطقية لخمسين مقال نشرت عبر عام ..

نعم، كانت المقالات أشبه بدراسة نظرية ، ثم جاءت أزمة الولاية
كتطبيق عملى يثبت صواب الدراسة النظرية .

إننى أهدى هذا الكتاب إلى الأمة كلها ثم أخص بالإهداء طلبة جامعة الأزهر.. قلب الأمة ووعيتها العصى على التزييف.. أولئك الذين انتفضوا غيرة على دينهم.. ليدفعوا الثمن من دمائهم.. فى نقطة تحول حاسمة سيذكرها التاريخ.

كما أهديه أيضا إلى السابقين الصالحين ، الذين حاولوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتعرضوا للتشويه.. ثم للحصار المفروض عليهم من أضلاع المثلث المنكود ، وأخص من هؤلاء : العلامة محمود شاكر الذى حمل الراية فى القرن العشرين.. و أشهد أنه حملها باقتدار، وحاولت أن أحملها بعده فقصر جهدى، فقصرت، لم أسع سعيه ولم أفر فريه ولم أجاهد جهاده، ولم أعط لراية دينك يا رب حقها، فاعف عني واغفر لى عجزى فقد حاولت وحق جلالك ما أستطيع..

لقد واجهوا العلامة محمود شاكر بمنتهى البطش والعنف، أغلقوا المجلة التى كان يكتب فيها، وحاصروه وحاولوا تشويه صورته ثم حبسوه، وهم يتبعون معنى نفس الوسائل والطرق، إذ يبدو أن الممنوع هو إيقاظ الأمة كي تنتبه لحجم حجم المؤامرة التى تحاك لها.

لكننى واثق أنهم إن نالوا منى.. وخلا الثغر الذى أقف عليه.. فسوف يتقدم من يسد الثغر ويحمل الراية.. راية الدفاع عن عقيدتنا وعن إيماننا وعن مستقبلنا وعن ثقافتنا الحقيقية.. ثقافتنا التى لا نقرأ تاريخنا بأعين أعدائنا.. ثقافتنا التى لا تستتفز وعينا.. ولا توسع من ثوب الذاكرة.. ثقافتنا التى تعلم الناس أن معاداة الإسلام الآن وحصار الإسلاميين ليس مجرد خطيئة دينية، وإنما هو خيانة وطنية أيضا، فبعد انهيار دعاوى القومية، وحصار أقطارنا الإسلامية قطرا بعد قطر، لم يعد لنا سوى الإسلام هوية، ووطننا ودفاعا وسلاحا..

فهل رأيتم قائدا يدمر أسلحة جيشه قبل أن يخوض المعارك إلا إذا كان متحالفا مع الأعداء.. وشريكا فى المؤامرة..

نعم.. المؤامرة..

يقف الجهابذة منهم ليتحدثوا عن تفاصيل المؤامرة التى قام بها الغرب ضد الاتحاد السوفيتى حتى انهار وتفتت.. وكيف أنفق الغرب على مؤامراته تلك ألف مليار دولار.. فلا ينكر من السامعين أحده.. بل ويتبارى كل منهم فى إضافة المزيد.. ويتحدث العالمون ببواطن الأمور عن المؤامرة التى حاكتها أمريكا ضد بريطانيا وفرنسا فى حرب السويس التى حل امبراطوريتها الفتية محل امبراطورياتهم المتهاوية، فلا ينكر عليه أحد ما

ذهب إليه بل يقدمون المزيد من التفاصيل.. يتحدثون عن مؤامرات الغرب على جنوب شرق آسيا والصين واليابان وأمريكا اللاتينية فلا ينكر منكر..

إلا الإسلام والمسلمين.. ما أن يتصدى أحد لكشف فكرة المؤامرة حتى يسلقونه بالسنة حداد. نفس الألسنة التي تبارت في إضافة المزيد ووشى التفاصيل الدقيقة للمؤامرات ضد أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.. نفس الألسنة تعوى عواء ذئاب حين نتحدث عن المؤامرة ضد الإسلام، يصرخون: هؤلاء المتأسلمون الظلاميون غير القادرين على التكيف مع العالم.. لا يكفون عن الحديث عن المؤامرة..

نعم.. هناك مؤامرة هائلة نرى ونحس آثارها تحيط بنا كأذرع الأخطبوط.. هناك مؤامرة على الأمة وعلى الأوطان وعلى الدول وعلى الصناعة والتجارة والزراعة والحرب.. وعلى الثقافة..

ولقد كانت معركة الوليمة إحدى هذه التجليات، كما أن دخول البورصة مجال الثقافة وتكوين الشركات العملاقة التي تذوب فيها حدود الأوطان لتعبر حدود القارات، وتتغير الولاعات، دليل آخر.

منذ أعوام تسيطر على فكرة تأصيل نظرية المؤامرة، والفكرة يقين لكن المراجع قليلة، وإننى أدعو القراء والكتاب والمهتمين كل فى مجاله أن يمدونى بما يمكننى من إنجاز هذا الكتاب. راجيا منهم المراسلة على موقعى على شبكة الإنترنت: www.mohamadabbas.com أو على

بريدى الإلكتروني: mohamadabbas@usa.net

نعم.. هناك مؤامرة تحاك لنا منذ أكثر من ألف عام، مؤامرة تستهدف انتزاع الدين من قلوبنا، لنساق بعد ذلك كقطيع من الخراف يندفع نحو المجزرة وهو فرح بها نشوان.

وليس لنا ولا أمانا إلا الإسلام.. لا لنحميه بل ليحمينا..

إننا لا نختار الإسلام لأنه يحل لنا مشاكل الدنيا، بل إننا نتجاوز شعار: "الإسلام هو الحل" لكى نقول: بل حتى لو لم يكن الإسلام هو الحل لمشاكل الدنيا فلا اختيار لنا سواه..

نعم.. ليس ثمة اختيار إلا الإسلام..و أن سياستنا وحياتنا يجب أن تسير فى هذا الاتجاه.. وكذلك ثقافتنا.. ثقافتنا التي تقس ربنا فلا رب لنا سواه.. ولا منتهى لنا إلا عنده.. ثقافتنا المؤمنة.. ثقافتنا التي لا تبجل كتابا فى الدنيا كما تبجل كتاب الله.. ثقافتنا التي تحترم ديننا ونبينا وأسلافنا الصالحين.. وتعتر بهم.. وتنتبه فخارا على العالمين..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا
رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
{٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {٣}
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَيَآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ {٤}
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ {٥} البقرة

صدق الله العظيم

ظاهرة مصرية عميقة الدلالات

.. إن الدكتور محمد عباس ظاهرة مصرية عميقة الدلالات، ووجوده يثبت أن مصر حافلة بالصناديد من رجال الفكر و أرباب القلم الذين يدفعون عن وطنهم و أمتهم، والذين يقفون بالمرصاد لكل تفكير منحرف أو ذوق ملتو ..

ولعل الدكتور محمد عباس أن يكون أبرز فرسان هذا الميدان، وأن تكون مقالاته التي ينشرها في صحيفة الشعب المصرية تباعا تحت عنوان " الوعي ينزف من ثقبوب الذاكرة " أنموذجاً ماثلة على الوعي المقاوم في مصر المحروسة، فهو لا ينفك يوجج النيران في جنبات الغفلة القائمة، وفي أطراف الليل المقيم كاشفاً لنا أبعاد الهجمة الغربية الشرسة التي تستهدف جعل الأرض صعيداً زلماً من الإنسان ومن الثقافة والحضارة في آن .. وحين نلقى نظرة طائفة على الموضوعات التي يتناولها الدكتور محمد عباس، سواء أكانت متعلقة بمصر أم بسائر أقطار العروبة والإسلام، فإننا نجد أنها مشمولة بنفس واحد، أو ملتزمة بنار واحدة، هي الغيرة على محارم الله والوطن والإنسان أن تستباح، فالغيرة هنا هي مفتاح شخصية كاتبنا الكبير، ولكنها غيرة مشفوعة بالعلم والثقافة وبالذوق الرفيع، ومسوقة مساق المجاهدة، وماجورة بإذن الله أجراها، ثم إن مما يميز كاتبنا موسوعيته ، وامتداد الزمان والمكان أمامه، فهو يغرف من تاريخ الأمة، ويرى إليها كلها في انبساط آمادها وترامي أطرافها يذهب في واقعها أفقياً وعمودياً، ويستبطن أعماقها، ويكتنه حقائقها، ثم يقدم كل ذلك بلغة جميلة وأسلوب حار شائق أسر .. إنه يذكرنا بالعقاد الكبير وبسيد قطب مجتمعين .. كما يذكرنا بالرافعي وشكيب أرسلان في نسق واحد .. وهو بعد جبهة ثقافية قائمة بذاتها .. تؤكد ريادة مصر ومقاومتها واستبسالها ..

الكاتب الكبير: ابراهيم العجلوني
صحيفة الدستور الأردنية

يا سيادة الرئيس ..

السلام عليكم يا سيادة الرئيس ورحمة الله وبركاته..

وكل عام وأنت والأمة الإسلامية فى حال أفضل مما هى عليه الآن ..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس بلحظة صدق .. أحدثك فيها بما أرى أنه الحق غير مدع أننى الصواب الوحيد .. بل لا أقول إلا أن رأى صواب يحتمل الخطأ..

فهل تسمح لى أن أكتب لك محاولا قدر ما أستطيع - معترفا بعجزى ملتصبا العون من الله - أن أمثل ضمير الأمة وأن أتحدث نيابة عن وجدانها..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس أن أحدثك والخوف من الله مائل فى روحى متجسد فى قلبى حتى ليتضاءل بل يتلاشى إزاءه أى خوف آخر وكل خوف آخر.. ومن بينها الخوف منك..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس .. فى خضم الجو الروحى السابغ علينا والله ثالثنا أن أحدثك بما أرى أنه الحق.. ونصفى حاضر معك فى الدنيا.. أما النصف الآخر.. فهو أشد حضورا.. لأنه يرانا.. أنا وأنت.. بين يدى الله يوم القيامة..

هل تسمح لى أن أحدثك.. لا أطلب منك حتى الأمان كى أقول ما أريد أن أقول.. لأننى أدرك أنه لن يضرنى شئ لم ياذن به الله .. ولن ينفعنى شئ إلا مرضاة الله ..

هل تسمح لى أن أحدثك .. دون أن أقدم قربانا من نفاق .. ودون أن أصفك بما لا يجوز إلا لله .. بل إننى سأبلغ من الصراحة ومن كشف سريرة قلبى لك شأوا أبعد..

لن أقول لك حتى أننى أحبك.. لكننى أقدم لك ما هو أفضل من الحب.. وأقيم من المبايعة.. أقدم لك بضاعة حقيقية غير مغشوشة كذلك التى يغشها المنافقون فهى اليوم لك وغدا عليك.. أقدم لك أننى أحب

لك من الخير ما أحب لنفسى.. لا .. ليس مجرد ذلك.. فذلك هو الحد الأدنى الذى وضعه الإسلام للتعامل بين عامة المسلمين.. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.. ذلك هو الحد الأدنى .. أما فى العلاقة معك يا رئيسنا.. فأننا أدرك.. أنك لم تصبح رئيسنا بمحض كفاءتك .. لا .. ولا بالصدفة أصبحت رئيسا له علينا فى شرع الإسلام ما للحاكم على رعيته من حقوق.. لم يكن توليك محض كفاءة ولا مجرد صدفة.. وإنما هو قَدْرُ الله الذى قد يكون ابتلاء لك بنا وقد يكون ابتلاء لنا بك.. وقد يكون الابتلاءين.. إلا أننا ننظر لمنصبك بنفس المهابة والإجلال اللذين ننظر بهما إلى قَدْرُ الله.. وعلى هذا فلا يحق لى أن أعاملك بالحد الأدنى الذى شرعه الإسلام بين المؤمنين.. لا يحق لى أن أحب لك من الخير ما أحب لنفسى.. لأن مجرد الإيمان يدفعنى لأن أحب من الخير لك أضعافا مضاعفة لما أحبه لنفسى.. ذلك أن خيرك وصلاحك هو خير وصلاح لكل أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وإننى لأقسم لك بالله قاهر الجبابرة ومذل القياصرة ومهلك الأكاسرة ومبيد الممالك كأن لم تكن .. أننى أحب لك من الخير أضعافا مضاعفة ما أحبه لنفسى..

أريد أيضا يا سيادة الرئيس أن أطمئنك.. أننى وأيم الله لا أتحدث من موقع المعارضين لك.. بل الخائفين عليك.. وعلى الوطن.. وعلى الأمة.. وعلى العقيدة..

أحدثك الحديث الذى لن أنقص منه حرفا حين يجمعنا الله ليوم لا ريب فيه.. قد أزيد الكثير عليه.. مما أتجنب اليوم قوله كى لا أثير غضبك.. لأننى فى حاجة اليوم إلى الاقتراب منك لا الابتعاد عنك.. إلى استرضائك واستمالتك لا إلى تحديك ومعارضتك..حتى أننى سأحاول الاختصار ما استطعت.. كى أتجنب كلمة قد تبدر منى تثير حفيظتك.. لن أطيل عليك .. ولقد كان فى نيتى أن أواصل هذه الرسالة لك حلقات تتلو حلقات.. وأسابيع بعد أسابيع .. لكننى خشيت من أن استعاضى لمأسينا الكثيرة.. وأحزاننا الفادحة .. قد يأتى بعكس ما أروم.. لذلك فسوف تكون رسالتى اليوم لك.. هى خاتمة هذه السلسلة من مقالات : " الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة " والتي بدأت منذ عام بالتمام والكمال..

١ - وجدت أن الترتيب لهذا الشكل فى الكتاب قد يكون الفضل ، أن أبدأ بالمقال الخمسين والأخير فى سلسلة تلك المقالات ، آملا أن يتيح ذلك للقارئ مع الصفحات الأولى إلمامة سريعة بمنهج البحث .

فهل يكفيك هذا منى يا سيادة الرئيس كى تسمع لى؟!..

وهل ما يزال الهامش الديموقراطى الذى يضيق عاما بعد عام يتيح لى أن أكتب لك كما كتبت منذ أعوام عديدة^١ ، فلا رجاء استجيب له ، ولا مظلمة رفعت ، ولا شئ تحسن ، كان ذلك منذ سبعة أعوام حين كتبت لك :

" ... فحاول أن تعرف الحقيقة منا لا ممن حولك، فإننا نظن - وبعض الظن حق - أنه لا يكاد إلا يكون أحد منهم إلا وهو يكتب عليك ، ما من أحد يقول لك رأيا يعرف أنك لا تراه ، ما من أحد منهم يكتب مقالة يبحث فيها عن حقيقة ينزف فى تلافيها قلبه ، وهو يحاول أن يستقطر منها الحكمة كى يقدمها إليك ، إنما يا سيدى - تلك كارثة - يتلمسون اتجاهك ، يحاولون معرفة رأيك ، كى يؤكدوه لك ويبرروه لنا ، وهم بهذا يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا مرابيا ، لا ترى فيها أحدا إلا نفسك ، يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا خبثا يعزلك عن ضمير الأمة ، وأمالها وآلامها وعنائها ، أعظم من فيهم يا سيادة الرئيس شيطان اخرس لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر (...)

أجل يا سيادة الرئيس فلنحاسب أنفسنا ولنحاسب بعضنا . قبل أن يحاسبنا الله . وإن كان يسوؤك اشتدادى عليك فى الحساب اليوم فيوم القيامة أمام الله سيكون الحساب أشد..

فهل تشك يا سيادة الرئيس أن هذا اليوم أت ؟..

لا أظن أنك تشك لكن هل أعددت لذلك اليوم العظيم نفسك ؟ أنا واثق أنك لا تشك لكن إن كنت لا تشك فى ذلك الهول كله .. أفليس جديرا بك أن تدعو بالرحمة لمن يهدى إليك عيوبك ..

و اليس جديرا أن أعتف بك : اتق يوما كان عذابه مستطيرا .. كان .. فعل الديمومة والكينونة .. سوف يحدث .. لكن اليقين يجعله كأنه يحدث الآن أمامى .. ولا إيمان بلا يقين .. هى الفتنة يا سيادة الرئيس فابتغ الخلاص .. أم حسبت أن تقول أمنت ولا تفتن .

ألم تسال نفسك قط أين الملوك والحكام قبلك وقد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلا شئء ، لقد بقيت عليهم التبعات وانقطعت عنهم الشهوات ، مضوا والبنيان بنيانهم بملكه غيرهم ؟

١ - راجع للمؤلف كتاب من "مواطن مصرى للرئيس مبارك" الشركة العربية للطباعة والنشر - ١٩٩٢

فإذا لم نجرؤ نحن أن نسألك عن كل هذا.
أو إذا جرؤنا لكنك لم تعرنا اهتماماً، فكيف ستواجه حساب الله سبحانه
وتعالى لك يوم القيامة؟
إننى واثق أنك أيها المسلم مثلى بالله تؤمن .
لكن ..

لا إيمان بلا يقين.. واليقين يهزم الزمن حتى يكاد يلغيه ..
وإنى لأكاد أراك رأى العين.. يحاسبك الله ويسألك الملائكة وأصابع
الملايين من وطننا ومن العالم العربى والإسلامى تشير إليك هاتفة:
كان يستطيع يا رب.. لكنه لم يفعل..
أخالك يومها.. وحدك .. لا جيش ولا حرس ولا أمن مركزى
ولا وزير يقبض الحقائق..
وكل نقطة قوة كانت لك فى الدنيا هى عليك فى الآخرة.. فهل أعددت
عدتك للسفر يا سيادة الرئيس .. للقاء ربك."

كنت قد كتبت لك يا سيادة الرئيس هذا الكلام ومثله منذ ثمانية أعوام..
ولا يجرمنى شأن قوم أن أعترف بأن السماح بنشر هذه المقالات
عندما نشرت.. ثم بصورها فى كتاب بعد ذلك هى شهادة لك يا سيادة
الرئيس.. وإن حقا على أن أذكرك ذكرى تتفع المؤمنين..
ولكن.. هل تمنعنى هذه الشهادة لك من أقول لك بعضاً مما يحدث
فى عهدك.. يهتز له عرش الله..
هل تظننى أبالغ ..
لا والله ..
ولتقرأ معى يا سيادة الرئيس..

"قامت قوات الأمن باحتجاز والد أحمد فاروق واثنى عشر شخصا
من أقاربه فى الفترة ما بين ٢٠ أغسطس والرابع من سبتمبر للضغط
على أحمد فاروق لإجباره على تسليم نفسه. احتجز والد أحمد فاروق
لإجبار الابن على تسليم نفسه. احتجزوه فى مقر قيادة فرع مباحث أمن
الدولة بالجيزة حيث تعرض للضرب الشديد على جميع أجزاء جسده

بعد تقييد قدميه ويديه، كما تعرضت زوجته للضرب فى حضوره، وأصيبت بجروح فى الرأس، وتم تهديد العائلة بالاعتداء الجنى علىهم، وقد استمر احتجاز الأب حتى يوم ٤ سبتمبر عندما أخبره أحد الضباط بأن ابنه قد سلم نفسه وأنه أصيب بسكتة قلبية خلال التحقيق معه أدت إلى وفاته، وأنه يتعين عليه التوجه لمشرفة زينهم لاستلام الجثة مع مراعاة الالتزام بالهدوء وكتابة إقرار بأن وفاة ابنه كانت طبيعية، وألا يصطحب معه أحدا خلال إجراءات تسليم الجثة ودفنها أو يقيم أية مراسيم للعزاء...^١..

هل قرأت يا سيادة الرئيس..

هل قرأت..

أمامى الآن أكثر من مائة حادثة على هذه الشاكلة.. لكننى وعدتك أن أوجز..

لشد ما يسئ إليك بعض حاشيتك ورعاياك ولشد ما يجعلون موقفك يوم القيامة أمام الله صعبا..

لقد تناولت قبل ذلك بعض ما يحدث للمعتقلين فى السجون.. وثلاثة أرباعهم مسجونون دون أحكام: ١٥ ألفا من عشرين ألفا..
يا سيادة الرئيس..

إن من يواجهه الله يوم القيامة ووراءه مظلوم واحد سيكون موقفه عصبيا..

فما ظنك بمن يواجهه الله وخلفه عشرات الآلاف من المظلومين .. لا ظلما عاديا من ذلك الظلم الذى تعود الناس عليه بل ظلم لم يسبق فى الأولين والآخرين....

كنت أنوى يا سيادة الرئيس أن أسرد بعض ما يحدث لبعضهم.. لكن هالنى أن أهمل حرفا مما أقرأ.. هالنى أن أهمل ظلم مظلوم واحد.. وقلت لنفسى .. أننى لو كتبت بابا كاملا عن كل مظلوم فسوف أختزل الأمر اختزالا مخلا.. إذ كيف أترجم انصداع قلب أم فى صفحة صحيفة.. وكيف أنقل إليك لوحة أب فى بضع صفحات.. وكيف أعبر عن مشاعر أخ وأخت وصديق وقريب.. فى هداة الليل.. عندما تغمض العيون ولا تنام.. عندما تسبح الذكريات فى بحر من الظلم والدم والألم.. وكل الخيالات الفاجعة

١ - من تقارير منظمات حقوق الإنسان .

التي تطوف برأس كل أم وكل أب وكل أخ وكل أخت وكل صديق وكل قريب عن أسيره المأسور في السجن ظلما.. عندما تتساءل تلك العيون المرهقة عن حال أسيرها.. أجائع هو؟ أعطشان هو.. هل يرتجف بردا.. هل يغمسونه الآن في الماء المثلج؟ هل يجلدونه الآن بالسياط.. أم يعذبونه بالنار بعد تعليقه بطريقة الخروف المشوى؟.. هل هوت ضربة السوط هذه المرة على ضربة سوط سابقة لما تلتئم من الالتهاب والقيح فتضاعف عذابها والمها.. هل جال بخاطرك يا سيادة الرئيس ما يجول بقلب أم وهي ترى بعين الخيال ذلك فلا تتمنى إلا أن تتحرف ضربة السوط الجديدة قليلا عن أثر السوط السابق كي لا يتضاعف الألم.. لقد كفت منذ زمن عن انتظار العدل والإنصاف منا ومنك يا سيادة الرئيس.. ولم يعد يجول بخاطرها إلا مثل هذا الأمل البئيس.. لم تعد تتساءل عن صحة ابنها.. إذ يكفيها أنه ما يزال حيا حتى لو استلمته بعد عشرة أعوام بقايا كانت ذات يوم لإنسان يعج بالحياة والأمل ويدعو إلى عبادة الله الواحد القهار..

احترق قلبي يا سيادة الرئيس مع احتراق قلب أم والتاع مع التاع قلب أب..

وجدت نفسي عاجزا .. لأننى لو اكتفيت حتى بالاختصار المخل الذى يجعلنى أكتفى ببضع صفحات لكل واحد منهم .. فإبنى أحتاج إلى ألف عام كي أنقل لك بعضا من بشاعة ما يحدث..

كيف تستطيع يا سيادة الرئيس أن تواجه كل هؤلاء أمام الله.. ثم كيف وصلنا إليه دون أن يضج ضميرنا مما يحدث..

هل نحتاج إلى جيش احتلال أجنبي يفعل ما فعله جيش نابليون فى أسبانيا حين اكتشف غرف التعذيب الخاصة بمحاكم التفتيش.. وكانوا ينكرون وجودها يا سيادة الرئيس بنفس الطريقة التي ينكر بها مسئولونا وجود التعذيب الآن.. ومحاكم التفتيش نفسها كانت تدعى نفس ما يدعونه الآن من أنهم إنما يعذبون من يعذبون حفاظا على استقرار النظام بل وابتغاء مرضاة الله..

كبرت كلمة تخرج من أفواههم..

والشيطان لا يعترف أبدا أنه شيطان وأنه على ضلال..

إننى أناشدك يا سيادة الرئيس أن تتقصى الأمر بنفسك..

وأناشد من حولك أن ينقلوا لك ولو بعض حقيقة ما يحدث..

يا من تدعون أنكم تحبون الرئيس وتفقدونه بأنفسكم.. لا تفتدوه
من مخاطر الدنيا فالله هو الحارس.. لكن افتدوه من مخاطر الآخرة ..
افتدوه من النار ..

أسقط كل خلاف بينى وبينكم..

أتوسل إليكم..

قولوا الحقيقة..

أوجه النداء إليكم يا كتابنا جميعا..

فما يحدث عار نحمل جميعا وصمته..

أوجه النداء إليك يا ثروت أباطة..

أست كبير كتاب الحكومة ومسئولا كبيرا فى مجلس الشورى..؟..

أسقط خلافى واختلافى معك.. وسوف ألعن معك.. وحتى أكثر منك
عمليات التعذيب الحيوانية الوحشية الهمجية المجرمة التى تمت فى عهد
جمال عبد الناصر.. بل إننى قد أزيد عليك.. أننى أطالب أيضا بفتح تحقيق
كامل فى جرائم الشرطة التى تمت أيامها ضد الناس.. وأقول أكثر منك ..
أن كل من عذب معتقلا أيامها .. لم يكن بشرا .. بل كلبا مسعورا وذئبا
جائعا.. بل أخس من الكلب وأغدر من الذئب وأشد شرا من الشيطان..
أطالب أكثر مما تطلب أنت بأن نعيد التحقيق فى كل ما تم .. وأن نفضح
الجلادين أينما كانوا ووقتما كانوا.. أن ننشر فضيحتهم على الناس ..
لن أعترض عليك حتى وأنت تصممهم بالكفر - وإن لم أشاركك - ..
أوافقك يا ثروت أباطة فى كل هذا .. لكننى أطلب منك شيئا واحدا.. لكى
تحتفظ بالمصداقية والصدق والإيمان التى لم تكف عن القول بها.. أناشدك
.. ألا تكون رجل المعايير المزدوجة.. أن تطبق ذات المعايير على كل
عهد.. ودعنى يا ثروت أباطة أذكرك بالمأساة الفاجعة والجريمة الفادحة
التي حدثت لأسرة المرحوم أحمد فاروق .. ودعنى أيضا أحكى لك هذه
الحكاية الفاجعة.. حين كنت أسأل.. وكان السؤال والله جمرا يكوى قلبى..
كنت أسأل .. ليس للانتصار لعهد على عهد فالخطب أفدح من هذا بكثير..
كنت أسأل محدثى الذى أخبرنى أنه اعتقل فى العهود الثلاثة .. وعذب فيها
جميعا.. قال لى أن التعذيب فى عهد السادات كان خفيفا جدا بحيث لا يكاد
يذكر، ثم أرفف أنه عذب فى عهد عبد الناصر وشاهد من كانوا يعذبون..
وحدث نفس الشيء فى هذا العهد.. قال الرجل: لقد كان التعذيب فى عهد
عبد الناصر مجنونا ومجرما ووحشيا.. لكنه لا يكاد يقارن بما يحدث

الآن.. عندما كان المعتقل يُعَلَّقُ فى عهد عبد الناصر لمدة ساعتين كانت أرجاء السجن كلها تهتز للحادثة.. فمهما وصفت لك لن يمكنك أبدا أن تتخيل الآلام المروعة للتعليق.. حين يعلقون الإنسان بطرق مختلفة.. يبدعون كالشيطان فى زيادة الألم.. تعليق ساعتين يسفر أحيانا عن الشلل.. ثم صمت الرجل.. وقال فى إيجاز.. لقد شاهدت فى هذا العهد من يعلق لمدة أربعة أيام متواصلة..

انفطر قلبى يا سيادة الرئيس..

انفطر قلبى..

سرت النار فى عروقى كسم حية رقطاع..

ما الذى وصل بنا إلى هذا الحال..

حتى الفراعين لم يعذبوا هكذا..

إن لدى آلاف الأمثلة الموثقة بتقارير رسمية من مؤسسات رسمية.. بل ولدى أحكام القضاء.. ولقد عرضت بعضا من ذلك فيما قبل^١.

ليست هذه أخلاق الإسلام ولا حضارة الغرب المعاصرة.. ولا حتى مروءة الجاهلية الأولى..

إذ يروى التاريخ أن أبا جهل عندما أراد قتل النبی محمد صلى الله عليه وسلم ووقف على بيته هو وشباب قريش ينتظرون خروجه (صلى الله عليه وسلم) لقتله، قال أحد هؤلاء المشركين: ندخل عليه بيته ونقتله وهو نائم فى فراشه، فقال أبو جهل: ثكلتك أمك هل تريد أن يتحدث العرب ويقولون أن أبا جهل يروع بنات محمد. فانظر إلى الفرق بين أبى جهل وبين ما تفعله أجهزة أمننا..

نعم.. فى الجاهلية كان لديهم من العرف ما يسمح لمن يريد أن يجير ليحمى الضحايا من مثل ذلك العذاب..

فى الغرب - الآن - لا يوجد ما يسمح بمثل ذلك التعذيب..

أما شريعة الإسلام فقبل الجميع وفوق الجميع تحرمه وتجزمه بل وترتفع بدرجة الجريمة فيه إلى مراتب أولها الفسوق وآخرها الكفر....

من أى مباءة رهيبة إذن انتشر فىنا هذا الوباء وبأى شريعة إلا أن تكون شريعة الشيطان..

١ - راجع للمؤلف: إني أرى الملك عاريا- مكتبة مدبولي - ١٩٩٩

ما الذى وصل بنا إلى هذا الحال..

دعنى أحكى لك يا سيادة الرئيس حكاية حزينة..

نبيلة وحزينة..

رائعة وحزينة..

كنا هملا فى التاريخ بعد أن بادت حضارتنا فأكرمنا الله بالإسلام فإذا نحن خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر..

برسالة الإسلام بلغت البشرية نضجها.. انتقلت من التجسيد والتحريف إلى التجريد والإيمان.. إننى أرجوك يا سيادة الرئيس أن تركز على هذا المعنى .. على الإيمان.. على درجة التوحيد وفقهه .. تلك القمة السامية التى منحها الله وفضلنا بها على العالمين.. فعندما يؤمن الواحد منا بالله يرى كل شىء من خلاله.. الحياة والممات والنسك.. لا يصبح ما لقيصر لقيصر بل لله السماوات والأرض وما بينها.. لا يصبح الدين لله والوطن للجميع.. بل لله الأمر كله..

أناشدك يا سيادة الرئيس.. بحق الله عليك.. بحق الأمة عليك .. بل بحقك على نفسك.. أن تراجع كل هذا.. عندما واجه المسلمون أقوى قوة فى ذلك الزمن.. عندما اصطدم الجيش الإسلامى فى غزوة مؤتة بالجيش الرومانى.. ثلاثة آلاف مقابل نيف ومائتى ألف.. كان ذلك عام ٨ هجرية.. بعدها بخمسة أعوام فقط.. كان الجيش الإسلامى يحارب على جبهتين أقوى إمبراطوريتين فى العالم فى نفس الوقت فقضى على الفرس قضاء تاما أما الرومان فقد هزمهم فى موقعة اليرموك هزيمة فادحة وانسحب "قيصر" قائلا كلمته التى احتفظ بها التاريخ: {عليك يا سوريا السلام.. سلاما لا لقاء بعده}.. وتذكر يا سيادة الرئيس أن المسلمين لم يكونوا قط .. لا فى هذه المعارك ولا فى جميع المعارك التى انتصروا فيها بعد ذلك أكثر عتادا أو أشد قوة.. لم ينتصروا بالعتاد ولا بالقوة بل بما وقر فى قلوبهم..

لقد كان أعداؤهم أكثر تقدما منهم بما لا يقاس.. ولقد نقلوا عن أعدائهم سرّ قوتهم.. نقلوا عنهم التكنولوجيا لكنهم لم ينقلوا عنهم الانحلال والشرك.. ولم يفقدوا إحساسهم لحظة أنهم الأرقى والأسمى.. أنهم الأعلون.. عكس ما نفعله نحن الآن تماما..

فى "حطين" كان عدد جيش "صلاح الدين" اثنتى عشر ألفا.. وبعد الإمدادات والأعراب وصل عدد الجيش إلى ٢٤ ألفا.. وكان عدد الصليبيين

أكثر من ستين ألفا وكانوا أيضا أكثر عتادا وأشد تقدما وقوة.. وانتصر المسلمون انتصارهم الساحق.. نفس الأمر في "عين جالوت"..

لم تغفر الحضارة الغربية الصليبية للإسلام أبدا.. لم يتركونا في حالنا أبدا.. لكن "لويس التاسع" عندما انهزم وأسر في مصر.. اكتشف بعد الإفراج عنه -كما يحدثنا الدكتور محمد الغنيت- أن هذه الأمة لن تهزم أبدا بالمواجهة المباشرة.. وظل "لويس التاسع" الذى جعلوا منه قديسا فى القدس أربعة أعوام يضع خطته لمواجهة المسلمين عبر التاريخ بعد أن أدرك أن المعركة ستتواصل جيلا بعد جيل.. اكتشف الرجل وكان على صواب أن المسلمين ينتصرون بإيمانهم.. برسوخ عقيدة الجهاد فيهم.. بإدراكهم أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة - وراجع أيها الطيار علوم الفلك -.. بإيمانهم أن ما عند الله خير وأبقى.. بيقينهم أن الهزيمة كلمة لا توجد فى قواميسهم وإنما إحدى الحسينين : النصر أو الشهادة (انظر يا سيادة الرئيس ماذا يفعله أربعة آلاف من المسلمين الشيشان فى ثانى أكبر قوة فى العالم.. وذلك جرح ينزف فى القلب لكن هذا ليس مجال الحديث عنه) .. أدرك "لويس التاسع" أنه لا يمكن مواجهة هذه الأمة إلا بتفريغ دينها من مضمونه ومحتواه..

إننى مضطرا سيادة الرئيس للإيجاز المخل.. لكن من عهد لويس هذا بدأت ثلاثة حركات متصلة أشد ما يكون التواصل.. كل منها مهدت للأخرى وشدت من أزرها وساعدتها.. تلك الحركات هى الاستشراق والتبشير والاستعمار..

بعد فشل حملة لويس التاسع ولمدة قرنين كان الغرب الصليبي يستجمع قوته ويتهيأ للانقضاض..

وكنا نحن المسلمين قد فقدنا قوة اندفاعنا الحضارية فى مواجهة الغرب الصليبي والتتار (والحملتان كان يحركهما نفس الهدف للقضاء على الإسلام لكن كتب التاريخ تخفى عنا ما هو ثابت بالوثائق من تأمرهما المشترك للقضاء على الإسلام)..^١

١ - الصراع بين العرب وأوروبا. عبد العظيم رمضان. دار المعارف - موجز تاريخ العالم. هـ.ج. ويلز. الهيئة العامة للكتاب - تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور. دار النهضة العربية. بيروت - تاريخ الإسلام وحضارته: دكتور عصام الدين الفقى. دار الكتاب الحديث. الكويت - موسوعة تاريخ أوروبا العام. جان بيرينجيه وآخرين. منشورات عويدات. جـ٢ - صفحات من تاريخ مصر. عمر الإسكندرى وسليم حسن. مكتبة مدبولى - تاريخ العرب والإسلام. الدكتور عبد اللطيف الطيباوى. دار الأندلس.

كنا مثخينين بالجراح بعد أن أعطينا العالم أنبل حضارة في التاريخ
وبعد أن خضنا كل بحار العلوم..

ومع انتفاضة أوروبا وهزيمة المسلمين في الأندلس ابتدأت موجة عاتية
كادت تبديد المسلمين جميعا كما أبيد الهنود الحمر.. وكان ميناء جدة
قد حوصر تمهيدا لهدم الكعبة والاستيلاء على رفات الرسول صلى الله
عليه وسلم لولا أن قيض الله دولة إسلامية هي الدولة العثمانية لوقف سرعة
انهيارنا.. أجلت الدولة العثمانية انهيارنا ثلاثة قرون.. أجلت شيق الاستعمار
ثلاثة قرون لكن التثسير والاستشراق كان يؤتى أكله.. كنا ننهزم
من داخلنا.. وكنا نقرأ تاريخنا بعيون المستشرقين.. تخيل يا سيادة الرئيس
أن نعتمد على مؤرخ إسرائيلي كي نعرف دورك في حرب رمضان ؟ ..

كنا نستلب.. نفقد منهج ديننا شيئا فشيئا.. كنا تُروض كالعبيد.. مسخوا
ديننا وشووه.. تركوا القشرة الخارجية واستلبوا القلب والعقل والضمير..

عندما صرخ حسين الشافعي في شهادته على العصر أن المخابرات
المركزية الأمريكية زرعت الرئيس السادات كعميل لها منذ عام ١٩٦٠
كنت أقول لنفسى أن الكارثة أبعد من هذا بكثير.. كنت أستعيد قول جلال
أمين.. أن الحكام العرب يخونون قضية أمته منذ خمسة قرون.. بل ذهبت
إلى أبعد مما ذهب إليه جلال أمين.. لم يكن الحكام العرب وحدهم.. بل جل
حكام المسلمين.. وليت الأمر يقتصر على هذا وإلا لأمكن للأمة
أن تعالجه.. كانت بعض نخبة الأمة قد أصيب .. أصبحت عبدة لمفاهيم
المستشرقين.. وكان الغرب يشجع بل ويثامر كي يضع تلك النخبة الخائنة
في الصدارة لكي تتولى مقاليد الأمور..

انظر يا سيادة الرئيس كيف وظفوا محمد على كي تكون الدولة ضد
الأمة ..

ولقد قام محمد على بالدور المطلوب خير قيام .. فإن الجيش الذى
صنعه له فرنسا، وقام بتدريبه سليمان باشا الفرنساوى قد استخدمه محمد
على لا فى محاولة الاستقلال عن الخلافة فحسب، بل فى محاربة الخليفة
نفسه ! وقد كاد يتغلب على جيش الخليفة بالفعل لولا تدخل بريطانيا..
تظاهرا بالوقوف فى صف الخليفة، وغيرة فى الحقيقة من أن تستأثر فرنسا
بصداقة السلطان، وبالنفوذ فى مصر ! وفى الوقت نفسه لتخدم الهدف العام
للسليبية بطريقة أخرى.. فقد أوقفت بريطانيا محمد على عند حده
فى ظاهر الأمر، ومنعته من مهاجمة الخليفة، وفى الوقت ذاته ضمنت
له الاستقلال الفعلى عن الخليفة ، وكرست أول شق عميق لفكرة الدولة

الإسلامية المحورية.. سلحته أوروبا كى يستنزف قوة الإسلام وكى يكون كل الضحايا مسلمين.. هذا بينما تجمعت أوروبا الصليبية كلها لتحطيم محمد على فى معركة نافارين لأنه نسى نفسه وتجراً على مهاجمة دولة صليبية هى اليونان ! فقد كبرت الصليبية وسلحته لمحاربة الإسلام فقط ، فإذا فعل ذلك فله كل العون . أما إذا هاجت أطماعه لحسابه الخاص ، فمسّ أحد الصليبيين بسوء، فإنهم يتحدون عليه لتحطيمه تحطيمًا كاملاً إذا لزم الأمر..

إننى يا سيادة الرئيس أتناول مجرد العناوين ولا أطرح إلا رؤوس الموضوعات.. فالمجال لا يتسع لطرح أكثر من هذا .. لكننى أدعو الله وأناشدك أن تدرسه أنت.. وأن تستفيض فى دراسته..

أدرس ما حدث فى القرن التاسع والقرن العشرين.. حين أكمل الغرب حركتى التبشير والاستشراق بالاحتلال المباشر.. حين استطاع بقوة الدبابة والمدفع.. أن يغير النخبة القائدة فى كل بلد إسلامى.. قرب الخونة وأعدم الأبطال.. ونحى منهج الإسلام تماماً.. ثم راحوا ينشرون من أكاذيبهم وضلالاتهم ما ينزع الإسلام من قلوبنا ويبعثه إلى عقولنا.. نجحوا يا سيادة الرئيس..

فقدنا كنزنا وأخذنا وباءهم عندما نحينا الإسلام عن صياغة أمرنا.. كان كخيطة العقد فرطنا فيه فانفرط أمرنا..

ظللنا ألف عام أقوى أمة وأنبل أمة وأشجع أمة وارقى حضارة..

لم نضعف بالإسلام أبداً بل ضعفنا عندما تخلىنا عنه..

ولست بمدع أن كل عصور تلك الفترة كانت عصور خير.. بل كان بعد الخير شر وبعد الشر خير حتى أتى هذا الشر الذى نعيش فيه الآن ولا نعلم حثامه يدوم.. شر أسود خالص بلا بصيص ضوء إلا الأمل فى وعد الله ..

يا سيادة الرئيس.. إن لم تكن تؤمن بفكرة المؤامرة الأبدية والتعارض الحتمى الذى تحمله حضارة الغرب لنا فإننى أدعوك للإيمان بمؤامرة الشيطان علينا.. على إيماننا.. لأنه إما إيمان وإما كفر..

١ - المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية. محمود ثابت الشاذلى. مكتبة وهبة - العثمانيون فى التاريخ والحضارة. دكتور محمد حرب. سلسلة دراسات عثمانية. القاهرة - صفحات من تاريخ مصر. مرجع سابق - تاريخ مصر. دكتور ناصر الأنصارى. دار الشروق.

يا سيادة الرئيس : إننا نُحْكَمُ الآن بفكر الغرب وحضارة الغرب وحقد الغرب على الإسلام والمسلمين..

إن إعلامنا وتعليمنا وسياستنا مكرسة كلها ضد الإسلام ولصالح حضارة الغرب..

ولقد ابتدءوا بالتغريب فلم يأخذوا منه إلا قشور الانحلال التي سمح لهم بها الغرب ثم انتقلوا من التغريب إلى التغيب..

فى هذا الجو يا سيادة الرئيس لم يكن للإسلام أن يستسلم.. أبدا لم يكن له ذلك.. وحاول بعض أبنائه الجهاد فى سبيل الله.. أخطئوا وأصابوا .. لكنهم كانوا إلى الصواب أقرب.. وإننى لا أملك حتى فى الخطاة فيهم إلا قول الإمام على كرم الله وجهه أنهم قوم طلبوا الحق فأخطأوه.. وأن النخب الحاكمة فى جل عالمنا الإسلامى قوم طلبوا الباطل فأصابوه..

ماذا فعلت السلطة التى لم تتشأ إلا بالاستعمار فى الاتجاه الإسلامى .. ؟ ..

نصبت المشانق..

زورت الانتخابات..

أوصدت كل الأبواب..

ولقد تصرفت أجهزة الأمن فى جل عالمنا الإسلامى كما لو كانت فرقا بقيت من جيوش الصليبيين لتستأصل ما بقى من شأفة الإسلام..

بلا عقل ولا ضمير ولا خلق.. وثمة سؤال لم يطرحه أحد ولم يجب عنه أحد: هل يذهب قادة الأمن للحصول على دورات تدريبية فى أمريكا؟.. وإذا كان ذلك يحدث فترى بالله عليك ماذا يمكن يزرعوا فى أدمغتهم ضد الإسلام وأهله.. إننا لا نملك أى مرجع لذلك.. ولعله من الأسرار.. لكن "كاريمان حمزة" تهتك جزءا من السر عندما تخبرنا عن التكوين الثقافى لقادة الإعلام فى بلادنا.. عندما يصل الأمر لحد المهزلة.. ولا يعرف المسئول الكبير عن الإعلام فى بلادنا أن العشرة المبشرين بالجنة قد بشروا من الله عن طريق رسوله فيقترح عليها أن تضيف إليهم عاطف صدقى (لعله الآن يختار عاطف عبيد) .. لنا الحق أن نتصور يا سيادة الرئيس أن ما يزرعه الصليبيون فى أدمغة قيادات النخبة التى نصبوها على جل عالمنا الإسلامى هو كل هذا النفور

١ - الله يا زمري. كاريمان حمزة. دار الشروق.

من الإسلام والازدراء للمسلمين الذى نراه ونعاينه.. لقد غسلوا مخهم.. وضعوا فى وجدانهم أن الإسلامى وحش.. أنه ليس بشرا.. وأنه لهذا يجب أن يعامل بمنتهى القسوة والعنف.. وأن القسوة والعنف معه لا تنقص من قيمتهم الإنسانية.. وتلك أفكار لا تجوز لهم حتى ولو كانوا صليبيين فكيف تجوز لمسلمين..

لقد بلعنا الطعم..

هم يخافون الإسلام وعلّمونا أن نخاف نحن أيضا منه..

وهم منطقيون فى خوفهم من الإسلام.. فهو الحضارة الأرقى وهو القادر على كبح جماحهم كما فعل لألف عام..

أذكر يا سيادة الرئيس حادثة فاجعة نشرت في الصحف.. عن مجرم كان يخطف الأطفال ليعملوا فى "فرن" يملكه.. بدون أجر.. والمذهل أن الرجل نجح فى إقناع الأطفال أن يهربوا كلما سمعوا بوق سيارة للشرطة..

كانوا يهربون من الأمل الوحيد فى إنقاذهم.. تماما كما نهرب نحن من الأمل الوحيد فى إنقاذنا..

يا سيادة الرئيس..

إن ما قاله حسين الشافعى على قناة الجزيرة مذهل ومروع حين أشار كيف قامت الدولة بتلفيق التهم للجماعات الإسلامية.. بل واتهم سيد فهمى وممدوح سالم بأنهم كانوا خلف قضية صالح سرية وأن الأول كوفى بتعيينه وزيرا للداخلية والثانى رئيسا للوزراء..

إن الدولة هى التى صنعت الإرهاب يا سيادة الرئيس..

أوصدت كل أبواب العقل والمنطق والحوار وأفسدت كل الأجهزة فلم يعد من الانفجار مناص..

بلعنا الطعم.. روجنا لما يقولون.. وهاهم أولئك الآن يبيدون فى الشيشان أمة كاملة بتهمة الإرهاب.. وغدا يا سيادة الرئيس سوف يحدث معنا نفس الأمر..

ذلك أن الإسلام عندهم هو الإرهاب.. وكان علينا أن نحاربهم على ذلك لا أن نقرهم عليه..

يا سيادة الرئيس لقد كانت خطة الغرب أن تقف الدولة ضد الأمة^١ ..
ولقد نجحوا ..

ولو أردت مثلاً يا سيادة الرئيس كيف روجوا الباطل بيننا وألبسوه ثوب الحق فلتنظر إلى الأحداث الفاجعة التي واكبت سقوط الطائرة المصرية ..

منتهى الفجر والكذب منهم .. وهو كذب لا يصمد لأي مواجهة حقيقية .. ودعني أتخيل يا سيادة الرئيس لو أنك شخصياً لم تغضب ولم تعترض .. ولو أن عبيد الغرب فى أجهزة إعلامنا قد قبلوا التفسير الأمريكى وروجوا له .. تخيل ذلك التشويه المجرم الفاجر الكافر يا سيادة الرئيس .. واعلم أن هذا بالضبط ما حدث منهم للإسلام وللمسلمين .. الذين لم يجدوا من يرد الظلم عنهم كما رددته أنت عن طيارى الطائرة المصرية ..

انظر يا سيادة الرئيس كيف عومل فى بلادنا عبدة الشيطان بكل رقة .. وكيف يعامل الإسلاميون .. انظر إلى ذلك .. وقارن لتكتشف أن من يفعلون ذلك لا يمكن أن يكونوا إلا عبدة للشيطان ..

نحجوا يا سيادة الرئيس فى تشويه منهجنا الإسلامى وفى استنزاف وعينا حتى وافقناهم على ما فيه هلاكنا ودمارنا ..

وفى إطار نجاحهم ذلك اضطهد الإسلام والمسلمون .. وجاز لأجهزة أمننا فى العالم الإسلامى أن تعاملهم بما تعرف ..

يا سيادة الرئيس .. إن مثل أجهزة الأمن هذه هى التى تقوض أمننا ..

إنهم يحطمون العمود الفقرى الذى يمكن أن يدافع عن هذه البلاد حين يحين أوان غزوهم الثانى لنا ..

إن الشباب الذى يربيه التلفزيون .. والذى يشوه إعلامنا وتعليمنا وجدانه .. ولابسى القلائد الذهبية فى أعناقهم .. لن يفتدى الوطن ولا الدين بحياته حين الوغى .. بل سيهربون إلى أمريكا وأوروبا .. أو سيبيعون الدين والوطن ..

أجهزة الأمن فى العالم الإسلامى تقوم بالدور التمهيدى للغزو الكامل .. وتحطم تحطيماً كل من يمكن أن يقفوا سداً منيعاً فى مواجهة ذلك الغزو والاستلاب ..

١ - المحنة العربية: الدولة ضد الأمة. الدكتور برهان عليون. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

يا سيادة الرئيس لم تعد للإسلام دولة محورية تحميه.. وليس هناك من دولة تستطيع القيام بهذا الدور إلا مصر..

يا سيادة الرئيس لقد كانت خطة الغرب هي التركيز الكامل على تركيا لسحقها عسكريا وعلى مصر لسحقها فكريا ولقد نجحوا.. ولم تكن مصر الحديثة منارة للتنوير بل لنشر الباطل في أرجاء العالم العربي.. ذلك مرّ لكن علينا أن نعترف به.. نقلنا للعرب نظام دنلوب في التعليم.. ونظام محاكم التفتيش التي ابتدعها الصليبيون في التعذيب..

وليس مثلك يا سيادة الرئيس من يستطيع أن يغير اتجاه الدفة كي يمنع الانهيار..

لقد سمعت من أحد الإسلاميين كلمة اقشعر لها بدني وقف شعرا رأسي هولا.. كنت أحدثه عن مناشدتي لك لتغيير النظرة تجاه الإسلاميين وللإفراج عنهم..

فإذا به يقول: إن الرئيس مبارك يكن كراهية عميقة للإسلاميين ولن يُفراج عنهم طالما هو في الحكم..

وقلت لنفسى أن الذى حمل روحه على كفه مستعدا لبذلها رخيصة فى سبيل الله فى حرب رمضان لا يمكن أن يكون كذلك..

وقلت لنفسى أن النخبة المفكرة الخائنة المناقفة نجحت فى أن تقدم لك صورة مقلوبة.. وعاتبتك يا سيادة الرئيس فى خيالى لأنك لم تسع أنت لسماع وجهة النظر الأخرى..

وظاللت بعد العتاب.. أستشعر هولا ما بعده هول.. لموقفك يا سيادة الرئيس أمام الله يوم القيامة.. وهذا الاتهام موجه إليك..

فهلا أبيت اللعن دفعت عنك هذا الاتهام..

وهلا أهديت هديتك للأمة بالإفراج الفورى عن كل معتقل لم يصدر عليه حكم..

إن المأمول والمفروض والحق أكثر بكثير جدا من ذلك..

لكن.. هل تكون هذه هى البداية ؟! ..

الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة

الوعى ينزف من ثقبوب الذاكرة...!!

لا تسبح مخيلتي تلك الصورة المفزعة لفقير هندي يصلح كرمز لحال عالمنا الإسلامى ... شاهدته فى رحلة إلى الهند أحد كتابنا ، كان الفقير المسكين راقدًا بجوار حائط متهدم يمكن أن ينقض عليه فى أى لحظة، عاريا تحيطه أوساخ لا حصر لها، هيكل عظمى مكسو بجلد مهترئ يكاد يختفى خلف جحافل من ذباب، وقد عجز تماما عن أن يحرك حتى إصبعه ليبعد الذباب عنه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد مر بالهيكل البشرى المسكين كلب ضال أخذ ينهش من لحمه والرجل ليس عاجزا عن الحركة كى يبعد الكلب الشرس فقط، بل هو أيضا عاجز عن الصراخ، ولولا لمعة عين مفعمة بالعجز واختلاجة جفن مشحونة بالألم لظنه من ينظر إليه مجرد جيفة ...

ولكى تكتمل الصورة ، فإننا نزع أن الرجل فاقد الذاكرة أيضا، أو أن ذاكرته قد نشوّهت بصورة مفزعة، فلقد تمزقت شذر مذر، فقد احتفظ منها بما يلغى عنده أى عزيمة لتغيير وضعه، واحتفظوا له من التذكريات بما يشاءون ...

لطالما تساءلت : هل الرجل عاجز عن الصراخ فعلا أم أنهم بعد السيطرة الكاملة عليه قد غرسوا فى وجدانه وعقله أن الصراخ عيب وهمجية وتخلف ... ثم أنه إرهاب...

إننا نتعرض منذ هزيمتنا الحضارية الشاملة لأبشع عمليات غسيل المخ فى التاريخ ...

تخيل أيها القارئ أننى ذهبت إلى ألد أعدائك وجعلته مرجعى الوحيد فى وصفك ..

ثم تخيل بعد ذلك أننى أجريت لك عملية غسيل للمخ فأقنعتك بأن تتبنى أنت نفسك رأى عدوك فىك ...

١ - نشرت هذه المقالة فى صحيفة الشعب بتاريخ ٩٨/٢/٥ .

٢ - الأستاذ محمد جلال كشك

لكننا فعلنا ما هو أسوأ من كل هذا لأنه ليس على مستوى فرد بل على مستوى الأمة .. الأمة كلها ...

لقد اعتمدنا تاريخنا الذى يكتبه عدونا وصدقناه

اعتمدنا قيمه وثقافته وصدقنا آلتة الإعلامية الجبارة ... جبارة فى حجمها ... جبارة فى كذبها ... جبارة فى اتساع مساحتها ... جبارة فى إزاحة كل ما سواها ...

لقد انفطر قلبى حين جاءتنى ابنتى تبكى قهرا ... ففى اللجنة الثقافية فى كليتها الجامعية كانت تتحاور مع إحدى زميلاتها حول فلسطين ... وإذا بتلك الزميلة تصرخ فيها :

إسرائيل منذ وجدت دولة ديمقراطية مسالمة يحيطها العرب الهمج الذين بدعوا جميع الحروب ضدها وعلى ذلك فهم يستحقون جميع ما يحدث لهم ... لماذا لا نتركها وحالها ...

ونظرت ابنتى إلى بقية الزميلات والزملاء مستجدة بهم فإذا بمعظمهم على رأى زميلتها ...!!

انفطر قلبى وقلت لنفسى ماذا تنتظر من جيل له كتاب ككتابنا وصحف كصحفنا وتليفزيون كتليفزيوننا... ماذا تنتظر من جيل كان كل أجياله قد عقت وكل كتابه قد ماتوا وكل وطنيه قد اندثروا فلم يجدوا كتابا للتربية الوطنية يقررونه فى المدارس سوى كتاب للدكتور عبد العظيم رمضان' ... !! .. وهذا ليس اختيارا مجردا ... ولا احتمال علاقة خاصة تربط مسئولا بكاتب ... الأمر أبعد وأخطر ... ولا ريب عندى أنه متعلق بتلك اللجان الأمريكية التى أشرفت وتشرفت على تطوير التعليم فى مصر ... ولطالما جال بخاطرى.. أن عمليات التطوير هذه.. ليست إلا الطبعة العصرية لعمليات تطويع العبيد.. لأنها ضد الوطن.. وضد القومية.. وضد الأمة.. وإعلان للحرب على الله..

وانفطر قلبى وأنا أناقش عشرات من المفترض أنهم مثقفون فإذا بهم يفتقدون معلومات أولية...

١ - مؤرخ محير ، كان ماركسيا ، ثم ناصريا ، ثم ساداتيا ، ثم مباركيا ، وفى جميع الأحوال كان متعصبا شديدا الحدة تجاه خصومه ، وقد اختلفت رؤيته التاريخية فى كل مرحلة إلى حد التناقض . من كتبه القيمة : الصراع بين العرب وأوروبا : مرجع سابق .

معلومات أولية لكن التليفزيون لم يعرضها في فوازيه في رمضان ولا نشرتها الصحف في كلماتها المتقاطعة ...

معلومات أولية مثل : متى انتهت الحروب الصليبية ولماذا ؟ ..

ومعلومات أولية مثل : أين توجد كوسوفا وما هو تاريخ الإسلام في البلقان ... ؟!

وانفطر قلبي وأنا أقرأ في أكبر صحفنا وأكثرها وقارا من يتبنى بحماس وجهة نظر الصرب ... ضد المسلمين ...

وانفطر قلبي وأنا أقرأ في الكتاب الذي عربّه عادل المعلم وأصدرته دار الشروق للكاتب الأمريكي نعوم تشومسكي : "ماذا يريد العم سام" ، انفطر قلبي وأنا أقرأ تعقيب المعرب : " كذلك كنف الإعلام العالمي التركيز على قضية تيمور الشرقية والمظاهرات بها لتتال حكما ذاتيا (جزيرة في شرقي إندونيسيا احتلتها البرتغاليون عدة قرون حتى انسحبوا منها في منتصف السبعينيات فعدت لإندونيسيا. جلبت البرتغال كثيرا من البرتغاليين والأفارقة ليستوطنوا المستعمرة على حساب سكانها الأصليين، وهى وراء الحركات التى تنادى بانفصال الجزيرة عن إندونيسيا أو حصولها على الحكم الذاتى، ويتزعم تلك الحركات قس برتغالى، لم تفته جائزة نوبل، وفى الجزيرة أكبر تمثال فى العالم للعداء) ... " ويواصل عادل المعلم فى ألم ذبيح : " حتى جريدة الأهرام نشرت فى الشهر الماضى خبرا عنها نقلنا عن وكالات الأنباء، وذيلته بأن البرتغال استعمرت تيمور الشرقية، وخرجت منها عام ١٩٧٥ لتحتلها إندونيسيا !!! وهذا شبيه بأن نقول : إسرائيل احتلت سيباء ثم خرجت منها فى منتصف الثمانينيات لتحتلها مصر ' " ...

و انفطر قلبي عندما جمعنى لقاء بمواطن إندونيسى يكره سوهارتو كما كنت أكرهه ... لكنه يكشف لى من الأمر ما جهلت ... حين يقول فى أسى يائس : لقد كان فاسدا فى البداية والنهاية لكنه لم يعزل بسبب فسادّه ... لم يعزل بسبب فسادّه ... إنه بالاسم مسلم لكنه عندما جاء إلى الحكم لم يكن يعرف عن الإسلام شيئا ... على الإطلاق ... لم يكن يعرف مثلا كم صلاة مفروضة فى اليوم بله عدد الركعات فى كل صلاة ... وفى إندونيسيا التى يشكل المسلمون ٩٠% من سكانها كان ٨٠% من الوزراء والقيادات والجيش والشرطة غير مسلمين ... وبضيف

١ - نوح الغرب بعد ذلك فى فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

المواطن الإندونيسي : لم يطرأ أى تغيير على سلوك سوهارتو فى الفترة الأخيرة ... لكن معلوماته عن الإسلام قد زادت بسبب علاقات أبنائه التجارية بعدد من أمراء العرب ... وقد أدى التنافس الاقتصادى الشرى بين رجال أعمال من حاشية الرئيس وحواريه - يقودهم أبناء الرئيس وهم بالوراثة مسلمون - وبين طوائف الأقليات الأخرى - من غير المسلمين - التى كانت تستحوذ على ٨٠% من السلطة والثروة ... وتصادف أن ذلك كله واكب حركة صحوة دينية كان السبب الرئيسى فيها حملة تبشير هائلة تنبأ المراقبون أنها سوف تنجح فى غضون أعوام قليلة فى تنصير ٢٠٠ مليون مسلم إندونيسى... لكن الإسلام - ذلك الأسير المهجور العزيز الغالى - سرعان ما انتفض مستخرجا كامن قواه ليقلب كيدهم .. وحدث مثلما حدث فى مصر بعد الهزيمة المروعة فى ٦٧ ... حيث شكل الالتزام الدينى السياج الواقى للهوية من الاندثار ... وفى صدفة نادرة توافق هوى رجال الأعمال المسلمين مع هوى الشعب الإندونيسى مع توازن يحقق العدل فكانت آخر وزارة شكلها سوهارتو قبل عزله مشكلة من ٨٠% من المسلمين (٩٠% من السكان) و ٢٠% من غير المسلمين (١٠% من السكان) وهنا ... هنا فقط تحركت المخابرات الأمريكية والمرابون اليهود لإحداث الانهيار الاقتصادى وما ترتب عليه من مظاهرات استغلها أمريكا لتعزل سوهارتو ليس بسبب فساد بل بسبب تنافس اقتصادى أدى إلى تحقيق قدر من التوازن فى السلطة ..

انفطر قلبى وأنا أتساءل : يا إلهى : كم يضللنا إعلامنا ... لماذا لم يشرح لنا الأمر على حقيقته ... وكيف يمكن لأى واحد منا أن يكون رأيا إذا كانت المعلومات التى تصلنا مزيفة مشوهة ومغشوشة ... صكها أعداؤنا ... أعدى أعدائنا ...

انفطر قلبى ... لكننى فهمت بعد ذلك ما أوردته قناة الجزيرة الفضائية وقناة ANN - توقفت من زمن طويل عن متابعة قنواتنا - عن استعداد الحكومة الجديدة فى إندونيسيا للانسحاب من تيمور الشرقية .. وعن بوادر إعادة العلاقات المقطوعة مع البرتغال منذ قيام إندونيسيا باسترداد جزيرة تيمور الشرقية ...

إن قضية إندونيسيا كآى قضية أخرى تصلح كنموذج مروع لما يمكن أن تفعله آلة الإعلام الغربى الجبارة فينا ... وكيف تدفعنا بالكذب والتضليل إلى ما تشاء من مواقف هى فى الحقيقة ضد مصالحنا تماما ... وضد وجودنا ...

و انفطر قلبي ألما وعتابا لقناة الجزيرة التي أوقعتني في خطأ دفعني للإجساس بالعار والخجل والجهل، كنت أجلس مع أحد أبناء كوسوفا (وهي التسمية الإسلامية التي يطلقها أهلها المسلمون عليها ويبلغ عددهم ٩٠% من سكانها) ، وأثناء الحوار نطقت باسم البلد كما ينطقه مذيعو قناة الجزيرة: كوسوفو، وهو الاسم الذي يطلقه المحتل الصربي عليها ، واشتعل الرجل بالأسى وهو يقول :

عندما تتجاهل اسمها الحقيقي وتستعمل الاسم الذي يطلقه العدو الغاصب عليها فكأنك اتخذت موقفا مسبقا بالوقوف في صفهم وليس في صفنا ...

ثم واصل في مرارة :

هذا يشبه أن تتجاهل اسم "محمد" لتنطقه مخمد (بالحاء) أو مهمت أو موهامات !!! ...

وغرقت في خجل لم يلبث الرجل أن غرق في خجل مثله ... كان يحدثني عن ثقاعس العرب عن نجدة كوسوفا التي استشهد منها حتى الآن ألفا شهيد ، وهو عدد كبير من شعب يتجاوز تعداده المليونين بقليل ، فسألته :

- هل تعرف عدد من قتلهم العرب من العراقيين بالاشتراك مع أمريكا في ضرب وحصار العراق حتى الآن ...؟
- لا ...

- مليونان ...

ونظر الرجل إلى مذهولا ، واغرورقت الدموع في عينيه ، فانفطر قلبي ...

ولم أجرو على سؤاله إن كان دموعه من أجلنا.. لأنه وجدنا - نحن الذين راوده الأمل أن يستجد بهم- أحق بالنجدة والغوث..

وانفطر قلبي وأنا أسمع أمجد ميقاتي وهو فلسطيني الجنسية صربي الهوى يحاور الدكتور محمد خليفة في قناة الجزيرة فيتهم العزل الأبرياء الضحايا في ثقة وعنجهية أن الأمور لم تتفجر إلا بعد أن اختطف مسلمو كوسوفا ثمانية ضباط من الجيش الصربي، وأن الجيش الصربي لم يدخل إلى العاصمة إلا بعد حادث الاختطاف... ويرد الدكتور محمد خليفة في وقار حزين لقدرة الشياطين على كل هذا الكذب قائلا:

- إذا كان الجيش الصربي لم يكن موجودا كما تقول إلا بعد حادث الاختطاف... فكيف تم الاختطاف من جيش غير موجود...!!؟

وانقضت الساعة على رأس أمجد ميقاني لكنها لم تؤثر فيه ، وأغلب الظن أن برأسه جهازا إسرائيليا مانعا للصواعق، لكن الساعة أصابت - فيما أصابت قلبي فانفطر...

و انفطر قلبي أيضا وأنا أترقب رد شيخ الأزهر على ندائي وتوسلي له أن يبايعنا على الموت^١ فامة لا إله إلا الله محمد رسول الله تقهر فإذا به يصدر بيانا بالشجب والإدانة ... لا للفجار والجلادين بل لصدام حسين ... وإذا به يحمل المسؤولية كلها لصدام والعراق ..

وانفطر قلبي إذ انداحت إلى مخيلى ذكرى ذلك الهندي الفقير الذي عجزت يده عن الدفاع عن عينه .. وساقه الدفاع عن ساقه الأخرى..

وحتى أنت أيها القارئ ... ما جدوى عشرات الأرقام الدامية حين أرويه لك دون أن توضع في سياقها التاريخي... لا لمجرد أن ارتق في ثغوب الذاكرة لديك ما يقنعك بأن الفقير الهندي ليس أخاك فقط ... بل لأبصرك أيضا أن ما حدث له بالأمس وما يحدث له اليوم سيحدث لك غدا... ولكننا لا نستطيع أن نضعها في سياقها التاريخي دون أن نرمم ونصلح ونصحح ذاكرة تم اغتصابها وانتهاكها... هل يفيدك أيها القارئ لكي تتخذ موقفا أن أذكر لك أن كوسوفا لم تكن أبدا صربية كما تدعى آلة الإعلام الغربية ، الآلة المجرمة التي تسمى أصحاب البلاد الأصليين منذ فجر التاريخ بالإرهابيين .. بل احتلها الصرب لمائتي عام حتى استنجد أهلها بالعثمانيين ودخلوا في دين الله أفواجا وظلت دولة إسلامية لستمائة عام ، إسلامية لدخول أهلها في الإسلام حتى قبل ظهور العثمانيين... فهل كان يفيدك - دون أن نرتق سويًا ثغوب الذاكرة - أن أقول لك أن تعداد الشعب في كوسوفا يبلغ مليونان ونصف المليون هاجر منهم نصف مليون، وأن ٩٠% منهم ألبان و ٩٢% مسلمون.. وأنه قد سقط منهم ٢٠٠٠ شهيد و ٥٠٠٠ مفقود... هل يمكن أن تفهم معنى ذلك دون أن تدرك معنى صرخة الجزار ميلوسيفيتش عام ١٩٨٩ : الآن انتهت معركة كوسوفا ... وهو بذلك يشير إلى معركة كوسوفا عام ١٣٨٩ ... ماذا تعرف عنها أيها القارئ... ماذا يعلم عنها أبناؤنا ... بل كبار مثقفينا ؟؟ ...

هل يفيدك بعد ذلك أيها القارئ أن تعرف ما حدث للطبيب أحمد ليتسي من ألبان كوسوفا وعضو منظمة أطباء بلا حدود، حين ذهب مع إحدى

١ - إشارة إلى مقالة : " يا شيخ الأزهر.. بايعنا على الموت .. فالعراق يموت.." والتي نشرت بصحيفة الأسبوع بتاريخ ٩٨/٢/١ وبصحيفة الشعب بتاريخ ٩٨/٢/٢.

مجموعاتهم للإشراف على تلقى مواد الإغاثة في مدينة كاتشانيك ، لم يكن في الجبهة، لم يكن يقاتل، لكنهم قبضوا عليه، ضربه ضربا مبرحا ففترات طويلة، سألوه عن اليد التي يعمل بها فأجابهم أنها اليد اليمنى فبثروها ، ثم بدعوا باستخراج عينيه وتقطيع جسده أشلاء وهو حي ... حتى مات... يحكى الحكاية لمنظمة العفو الدولية الدكتور باول براون : الطبيب البريطاني..

هل يفيدك أن تعرف أيا من ذلك دون أن تعرف لماذا يفعلون ذلك؟ ودون أن تجيب عن السؤال الذى طرحته عليك في البداية: متى انتهت الحروب الصليبية..

اسأل الجميع ، وسوف تكون الإجابة اليقينية الواثقة : عام ١٢٩١ ميلادية ...

لكن الإجابة خطأ فاحش ... فالحروب الصليبية لم تنقطع يوما واحدا ، وأنهم حين توقفوا عن مهاجمتنا في ١٢٩١ ميلادية لم يتوقفوا لأن الله هدامهم ولا لأن الشيطان ابتلعهم بل لأنهم انشغلوا أربعة قرون في حروب صليبية هائلة مع الدولة العثمانية انتهت بالاحتلال المباشر لمعظم العالم الإسلامى، وهو الاحتلال الذى انتهى بالأصالة ليبدأ بالوكالة وما يزال .. إنها حرب مستمرة لم تنته بعد ...

إن ما يحدث فى كوسوفا هو بعينه ما يحدث فى فلسطين وميلوسيفتش ليس إلا مستنسخا من ننتياهو وباراك وأرناط وريتشارد... لكن آلة الإعلام الجبارة الكاذبة تريدك أيها القارئ أن تنظر إلى قضية كوسوفا كقضية أجنبية، لا تشعر معها أن لحمك أنت هو الذى يُنهش، وأنت لا تملك أيها القارئ حتى ترف أن تتجاهل ما يحدث لكوسوفا ما دمت أنت بعيدا ... فكوسوفا التى تُذبح اليوم ليست إلا عضوا فى قطيع سيدبحه الجزار كله ... سوف أحاول إذن أيها القارئ فى المقالات التالية أن أرتق بعض النقوب ... وأن أحكى لك الحكاية كاملة ... كى تدرك أى مستقبل مروع ينتظرنا... ما دمنا ننتظر الذبح كالخراف ... ننتظر دون فهم أو وعى ... ننتظر ... وننزعف تاريخنا وديننا وأخرتنا ومستقبلنا من نقوب الذاكرة... ننتظرنا... ما دمنا ننتظر الذبح كالخراف ... ننتظر دون فهم أو وعى ... ننتظر ... وننزعف تاريخنا وديننا وأخرتنا ومستقبلنا من نقوب الذاكرة

١ - القدس الجريح . د. أحمد كمال شعت مكتبة مدبولى - عقود من الحيات . همدان همدان . بيسان - تاريخ الإسلام وحضارته . دكتور عصام الفقى . دار الكتاب الحديث . الكويت - تاريخ العرب الحديث . د . رأفت الشيش . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - فى الصراع الإسلامى الصليبي . د. مؤنس أحمد محمد . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . العثمانيون فى أوروبا . بول كولز . الألف كتاب - مؤامرة الغرب على العرب . العميد الركن . د. ياسين سويد . المركز العربى للأبحاث والتوثيق.

فلسطين .. ثم العراق .. ثم كوسوفا .. ثم ' ..

بعينى الكليلتين أرى الخطر ... لا احتمالا فى الخيال ... وإنما واقع هائل جاثم محقق بدأ...

لا ... ليس مجرد : " بدأ " ... بل أخشى أن أقول أنه يوشك على الانتهاء بعد أن بدأ منذ زمان طويل... لكننى أخطو على خرط القتاد كى أقنع إخوانى أنه " بدأ " ...

بعينى الكليلتين أرى النار مشتعلة فى دارنا ... دار العرب والمسلمين ... وأحاول بيد مجذوة الأصابع أن أوقف القلوب الميتة والأرواح التائهة ... فوحدى لا أستطيع أن أطفئها ووحدى لا يمكن أن أهرب منها ...

بعينى الكليلتين أرى الصورة فى مشهدها الشامل وأحاول أن أقرأ الحكاية من أولها ... لأننا فى عالمنا العربى والإسلامى ... نشبه طائفة من المغيبين المخدرين ... الذين تناولوا عقارا ساما يسلبهم العقل وإن لم تبد عليهم آثاره ولا تفوح من أفواههم رائحته... ثم جاء لهؤلاء المخدرين من مزق صفحات كتابهم الذى كان يجب عليهم أن يحرصوا عليه أكثر من حرصهم على حياتهم .. فهذا الكتاب هو الذى يحفظ شجرة الأصلاب ووئائق ملكية الأرض وأسرار استخراج الكنوز .. وهو الذى يذكّرهم بماضيهم ويخطّ لهم مستقبلهم ويحتوى على خرائطهم وأسرار إمكانات تقدمهم وعلاج أوصاب حاضرهم... كتاب يختزل رواية وجودهم ... أو هو فعلا رواية وجودهم.. وفى برهة من وعى باق استطاعوا الاحتفاظ بصفحات الكتاب بعد أن تناثرت وتفككت وفقدت ارتباطها بما قبل وبما بعد... تناثرت صفحات الرواية المتصلة عليهم بلا نظام وبلا ترقيم ... فنال بعضهم ورقة ، وبعضهم ورقتين ، أما الغالبية فلم يحصلوا على أى شئ ، لكنهم اعتمدوا على السماع ممن حصلوا ... وظن كل واحد منهم أنه استنقذ الكتاب كله ... الرواية كلها ... ثم بدأ كل واحد يقرأ الورقة التى لديه... واثقا أنه يملك الحقيقة كلها ... وأن ما مع غيره وهم وباطل ... وابتدأ القتال ... ونزف الوعي

يا مساكين ... كل واحد منكم يملك جزءا ... جزءا يسيرا
وأمامكم مجهود مضمّن كي ترتبوا أوراقتكم لتعرفوا الحكاية من أولها...

كل واحد منكم يملك جزءا يسيرا حفظه ونسى الباقي... بل وأنكره...

فى رواية مائة عام من العزلة لجابريل جارسيا ماركيز^١ - والتي
يعتبرها بعض النقاد أعظم رواية فى التاريخ - وأظنهم يبالغون قليلا-
يصاب أهل البلدة بمرض النسيان " يبدأ بنسيان ذكريات الطفولة التى
تتمحى من ذاكرته، يتلوها نسيان الاسم ومعنى الأشياء وأخيرا هوية
الأشخاص وأيضا الوعى بالذات حتى الغرق فى بلاهة بدون ماضٍ "
ولكى يكافحوا النسيان راحوا يكتبون اسم كل شئ عليه: " بعد أيام قليلة
اكتشف أنه يجد عوائق فى تذكر أسماء كل أدوات المعمل تقريبا. وهنا كتب
على كل أداة اسمها الخاص بها، وكان يكفيه قراءة الورقة الملصقة بالأداة
لتحديدها (...) وبفرشاة مغموسة فى الصبغة سجل كل شئ باسمه : مائدة،
كرسى، ساعة، باب، حائط، سرير، كسرولة، وذهب إلى الحظيرة والحديقة
وسجل الحيوانات والنباتات: بقرة، تيس، خنزير، دجاجة (...) وشيئا فشيئا
دارسين للإمكانات اللانهائية للنسيان، فهم أنهم يمكن أن يصل اليوم الذى
يتعرفون فيه على الأشياء من أسمائها المكتوبة لكن دون أن يتذكروا
استعمالاتها، ومن ثم صارت الأمور واضحة، فالورقة المعلقة من رقبة
البقرة تعطى عينة نموذجية للطريقة التى كانوا يناضلون بها ضد النسيان:
هذه بقرة، يجب حلبها فى كل صباح لكى تعطى اللبن، واللبن يجب غليه
لخلطه بالقهوة، وعمل قهوة باللبن، وهكذا وصلوا العيش فى واقع متزلزل،
يمسك به مؤقتا بالكلمات، لكنه واقع كان ينبغى أن يهرب دون أمل
فى إمساكه عندما ينسون قيمة الحرف المكتوب.."

وأنا أقرأ الرواية انفجر المعنى فى قلبى نارا فرحت أهتف بعد
أن وجدت مفتاح اللغز: نسينا الله فأنسانا أنفسنا ... فياويلتنا على ما فرطنا
فى جنب الله ...

أرقب الساحة فى دهشة وألم ... الكل مشغول جدا ومجهّد جدا لكننا
فى النهاية لا نفعل شيئا... بل إننا نزيد كل يوم خطأ ويزداد وضعنا
خطورة ... كالمُصير أن يسير فى الصحراء نحو السراب... فلا يزيده تعب
إلا اقترابا من الهلاك ...

١ - مائة عام من العزلة. جابريل جارسيا ماركيز. الإبداع العالمى. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يصرخ أحد القراء فى : أنت تنفخ فى قرية مقطوعة ... ثم يستدرك قائلا : حتى القرية قد تمزقت ... تلاشت ... فأنت الآن تنفخ فى الفضاء بلا جدوى ... فأقول له وللأصدقاء والقراء فما حيلتنا إن لم يكن الاختيار متاح لنا إلا أن ننتصر أو نستشهد ... ليس من الاختيارات المتاحة أمامنا الهزيمة ولا اليأس ... ليس اختيارا متاحا مهما أطبقت الدنيا علينا ومهما ادلهمت حولنا الخطوب...

معشر كتابنا ونخبنا ، دعاة التنوير ينظرون إلى الوحدة الأوروبية كمظهر حضارة ورقى، لكنهم بمعاييرهم المزدوجة ينظرون إلى دعاة وحدة العالم الإسلامى أو حتى العربى كعلامة تخلف ومظهر إرهاب ، ثم تهطل دراساتهم الخئون عن الاختلافات بين الشعوب، وعن أكذوبة أن العرب أمة، وهى دعاوى إن صحت -لا صحت - لا تسوغ عدم وحدة العالم الإسلامى فقط، بل تسوغ أيضا تقسيم دوله وشرذمة بلاده، فبنفس منطقهم الضال المضل، يجب تقسيم مصر لتستقل الصعيد والنوبة، لكن ذلك سياتى بعد تقسيم السودان .

أحيانا أناقش بعضا من الكتاب - من بقايا اليسار - عن موقفهم من انهيار الاتحاد السوفيتى وحزנם عليه، أقول لماذا تحزنون هذا الحزن كله وقد تكشفت الأمور عن فساد لا يتصور، وعن غنى كغنى القياصرة وفساد كفساد الأباطرة وقتل وتعذيب وسحق، أقول لهم هذا فيردون قائلين أنهم ضد كل هذا طبعاً، وأنهم كانوا يودون انهيار الحكم لا الدولة، لأن انهيار الدولة سيمنع فى المستقبل المنظور أى احتمال لنجاح تطبيق الفكر الاشتراكى مرة أخرى، أقول لهم : لكن الفرصة كانت أمامهم سبعين عاما فلم يغيروا ولا هم تغيروا، فيقولون: وما سبعون عاما فى تاريخ البشرية، إنها لمحة خاطفة، ثم أنه بالرغم من كل ما اكتشف فقد كان وجود الدولة برغم كل ما فيها من فساد دعما لا يقدر لقوى التحرر والمستضعفين فى العالم الثالث، ومصدرا لا للإلهام والحلم فقط، بل وللأسلح أيضا، ثم يهزون رؤوسهم فى أسى قائلين لقد أصاب اليتيم حركات التحرر بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، كما أن الاستعمار الذى كان يحاول أن يستمر وحشيته خوفا من رد فعل الاتحاد السوفيتى قد راح الآن يفترس الضعفاء فى شتى أنحاء العالم بمنتهى الوحشية، وفى محاولة أخيرة يقذفون بالحجة التى يعلمون مدى تأثيرها على:

- هل تتصور أنه كان يمكن أن يحدث للعراق وليبيا والسودان والفلسطينيين ما حدث لهم لو أن الاتحاد السوفيتى كان ما يزال موجودا ؟

وفى هذه اللحظة فقط، أميط اللثام عن الفخ الذى نصبته لهم لأسالهم، ولماذا لا تعاملون فكرة الدولة الإسلامية الموحدة بنفس المنطق ؟.

لماذا كانت كل القسوة أيها الظلمة على الدولة العثمانية ...

لماذا يا مدعو التنوير رحتم تحتفلون بغزو نابليون الذى حملت إلينا حملته مشاعل الحضارة حتى انبرت لكم الأستاذة الدكتور ليلي عنان التى تربت عمرها وسط الثقافة الفرنسية حتى أنها تتحدث العربية بلكنة أجنبية : انبرت لكم يا أعداء الله والأمة لتشهد بضمير حر وعقل غير مغتصب أن الحملة الفرنسية كانت نزيها هائلا لإمكانات تقدم كانت بشائره قد لاحت ... وأنها فى ثلاثة أعوام قد قتلت خمس الشعب المصرى ... وفى نفس الوقت لم يكن يبدو منكم سوى الاشمئاط والاشمئزاز كلما أتى الذكر على دولة إسلامية واحدة...

رحتم ، بعضكم عن جهل وأغلبكم عن خسة تسهمون فى تمزيق الأمة وإهدار المزيد من وعيها ...

ورحتم تحاصرون وتسفهون أو تتجاهلون كل رأى آخر ...

تجاهلتم مثلا شخصية عملاقة مثل العلامة محمود شاكر وقد كان عملاقا لم يفر أحد فريه.. ويجمع الكثيرون أنه كالجاحظ وابن المقفع وابن رشد لا تتجب الأمة مثله إلا كل قرون... تجاهلتم صرخته أن أمتنا مريضة وتنزف لكن طريقتم الجاهلة فى علاجها بنقل مظهر حضارة الغرب دون جوهرها أشبه بنقل دم إلى مريض ينزف ... لكنه للكارثة دم ليس من فصيلته ... وأنه سيقتل المريض بدلا من أن يعالجه ... وأن أفتنا وهاكلنا هو محاولتنا البائسة لعلاج مشاكلنا دون نظرة شاملة.. مع أن النظرة الشاملة هى الوحيدة القادرة على حل مشاكلنا ... لقد اهتز العالم كله تحت وطأة مقالة وصمويل هنجتون الشهيرة عن صدام الحضارات والتى طورها إلى كتاب ضخيم بعد ذلك ... اهتز العالم رغم أن واحدا مثل العلامة محمود شاكر قاله منذ أكثر من نصف قرن ف ضربوا عليه ستارا من النسيان والتجاهل... فأياهما لم يكن من مصلحة الغرب أن ندرك أن الصدام فعلا صدام حضارات وأن الحضارة الإسلامية هى المستهدفة ... الآن ... بعد أن صرنا من الذل والهوان إلى ما صرنا إليه لم يعد يهمهم أن يخفى عنا... فقد كانت معرفتنا فى السابق تخيفه من استنفار قوانا ... الآن يهمهم أن نعلم فمعرفتنا الآن من وجهة نظره ستحبط آخر آمالنا ... فلم يعد لدينا - وأداونا مع العراق وكوسوفا ما يرى - قوى نستنفرها...

انظروا مثلاً إلى قضية فلسطين... كان الطريق الوحيد لحلها أن تكون قضية صدام حضارات... أن تكون تهديداً للحضارة الإسلامية كلها.. وأن يتحد المسلمون لدرء هذا الخطر... لقد اختزل الصراع لصراع عربي يهودي... ثم لصراع نصف عربي يهودي... ثم لصراع مصري سوري يهودي... لم يكن الطرف الآخر إسرائيل بل كان يهود العالم بكل تحالفاتهم ومؤيديهم... لذلك كان لا بد أن ينتصروا ونهزم... وكان طبيعياً أن يكون انتصارهم ساحقاً وانكسارنا ماحقاً...

نفس الشيء حدث مع العراق...

ونفسه يحدث مع كوسوفا...

لكننا مع فقدان الذاكرة غير قادرين على ربط المقدمات بالأسباب بالنتائج...

بل إن أي قدر من المعلومات لن يفيدنا إلا في مزيد من البلبلة والعجز كأن تقول للمشلول تحرك ولالأعمى أنظر ولمن به صمم اسمع...

نحن نقرأ عن كوسوفا على سبيل المثال كقضية أجنبية... كما لم يكن لحمنا هو الذي ينتهك ودمنا هو الذي ينزف..

نقرأ مثلاً عن بداية المعارك في ٢٨ فبراير ١٩٩٨، ونقرأ عن قيام الصرب بهدم المنازل وإحراق الناس داخل بيوتهم أحياء وبرسم صليب على كل جثة وعلى المساجد... وعن إحراق المحاصيل للتجويع... وعن تدمير أغلب المدارس: حتى أولئك الذين نجوا سينشأون جاهلين... نقرأ عن استعمالهم السموم لقتل الأطفال في المدارس حيث مات أكثر من مائة طفل بها... وهذا السم استخدم فقط ضد أطفال المسلمين الألبان في كوسوفا وفي فلسطين.. نقرأ عن استيلائهم على المساعدات التي تأتي من الخارج... وعن قتل الأطفال وإجهاض الحوامل.. ونقرأ عن ٢٥٠٠٠٠ لاجئ داخل كوسوفا أحرقوا ديارهم... وعن نصف مليون هربوا من البلاد وعن بيوت هناك يكتفون بحرقها والأخرى يدخلونها بالدبابات لأنها تمثل رموزاً للمقاومة...

يطلقون على المسلمين هناك : الإرهابيين أو المسلمين الإرهابيين.... فنردد كالبغاوات ما يقولون...

الأستاذ محمد يوسف عدس^١ كتب يصرخ : نقرأ العجب العجائب،
فكبريات صحفنا، قلاعنا التي ينبغي أن تحمى وعينا، هي التي تستنزفه
وسائل الإعلام تردد كالببغاء ما يذاع عن هذه القضية في وسائل الإعلام
الغربية دون تمحيص ، وتوحى طريقة عرض هذه الأخبار والمصطلحات
المستخدمة فيها أن القضية غير مفهومة على الوجه الصحيح ، بل وتستعمل
عبارات (السكان المنحدرون من أصل الباني) أو (ذوو الأصول الألبانية) ،
وعند الحديث عن المقاومة الوطنية أو عن جيش تحرير كوسوفا نسمع
أوصاف التمرد والمتمردين والانفصاليين... وبهذه الأوصاف تبدو وسائل
إعلامنا وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التي تعتبر كوسوفا جزءا
من صربيا وأن الحركة الوطنية في كوسوفا إنما هي مجرد حركة تمرد
غير مشروعة مع الإيحاء أن الشعب الأصيل في كوسوفا هم الصرب وأما
ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيا . رغم أن المسلمين الألبان
يشكلون حتى الآن أكثر من ٩٠% من السكان..

سوف نتناول ذلك في الصفحات القادمة، لكننا الآن نعرض
في اختصار شديد لتاريخ المنطقة مؤكدين في أسى ندرة المراجع ،
وأن الكتب التي تتحدث عن مايكل جاكسون أو عن ذلك الأمريكي الذي
اتهم بقتل زوجته (بدون أسف : نسيت اسمه) أضعاف أضعاف الكتب
المطروحة عن قضية كوسوفا ... شعبنا ولحمنا ودمنا ومصيرنا ...

موجز تاريخ البلقان^٢

كانت منطقة البلقان كلها تحت سيطرة البيزنطيين وكانت القبائل
الألبانية (نسبة إلى جبال الألب) موجودة في المنطقة الممتدة من كوسوفا
إلى ألبانيا وهي تنتمي إلى العنصر الألبيرياني، وقد قطنت قبائل الشرق
في ألبانيا وقبائل الغرب في كوسوفا، أما الصرب فقد كانوا ضمن قبائل
سلافية كثيرة يعيشون في وسط أوروبا شمال نهر الدانوب ولم يعبروا النهر
جنوبا إلا في القرن السابع الميلادي عندما استدعاهم الإمبراطور البيزنطي،
ولمدة خمسة قرون ظلوا بعيدين عن كوسوفا، التي قاموا باحتلالها

١- أصدرت دار المختار الإسلامي للأستاذ محمد يوسف عدس كتيباً وكتاباً عن كوسوفا: كوسوفا. بين الحقائق
التاريخية والأساطير الصربية. محمد يوسف عدس. مستشار سابق بهيئة اليونسكو.

٢ - التوعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية. د. عبد الرؤوف سنو. بيسان. بيروت.

فى القرن الثانى عشر ، وبعد مقاومة استمرت قرنين تخلصها غزو من التتار . استتجد أهل كوسوفا بالخليفة العثمانى الذى حرر بلادهم بعد موقعة كوسوفا الشهيرة عام ١٣٨٩ . وكانت مقاومة المحتل الصربى عاملا جعل أبناء كوسوفا يدخلون فى دين الله أفواجا ، واستمرت الأحوال مستقرة حتى بداية المأساة فى الحرب البلقانية فى ١٩١٢ حيث انتهز الغرب ضعف الدولة العثمانية أثناء الحرب بين روسيا وتركيا فهاجمها اليونان وإيطاليا والصرب والنمسا وفتتوا الأراضى الألبانية ، وفى سنة ١٩١٣ أعطى مؤتمر السفراء فى لندن شرعية للاحتلال ولتقسيم أراضى ألبانيا بين صربيا والجبل الأسود واليونان ، واعترفوا بالحدود الواقعية بعد الحرب دون انسحاب . ولم تتوقف مقاومة كوسوفا... وفى سنة ١٩١٨ تم تأسيس يوغسلافيا وكانت كوسوفا بين الدول التى كونتها على قدم المساواة مع صربيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك ، واستمر النضال داخل كوسوفا حيث قاده "اعظم بيتا" خلال فترة العشرينيات حتى استشهد عام ١٩٣١ وفى الأربعينيات قاد النضال "شعبان بولوزا" ...^١

فى الحرب العالمية الثانية وعد "تيتو" ألبان كوسوفا بأن يحصلوا على حقوق كاملة مثل بقية شعوب يوغسلافيا وفى سنة ١٩٥٠ وعد "تيتو" بالحكم الذاتى... فاعترضت صربيا فأجل الأمر ، وفى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ نشبت مظاهرات عامة فى كوسوفا للمطالبة بالحقوق شاملة مثل بقية الشعوب اليوغسلافية ، وفى سنة ١٩٧٤ حصلوا على حكم ذاتى موسع ، أصبحوا بمقتضاه إقليما يتمتع بالحكم الذاتى تماما كالصرب وعلى قدم المساواة معهم ، وفى عام ١٩٨٩ - بعد ستين سنة عام بالضبط على معركة كوسوفا - ألغى "ميلوسيفيتش" الحكم الذاتى وفرض حكما إرهابيا على كوسوفا بعد أن أعلن : "اليوم كسبنا معركة كوسوفا !!!..."

لقد كانت كوسوفا تتمتع بنفس الوضع الذى تتمتع به صربيا والجبل الأسود لكن الجلاذ "ميلوسيفيتش" احتلها عسكريا (٨٠% من الجيش والشرطة كانوا من الصرب فى بلد ٩٢% من سكانه أصحاب البلاد من الألبان المسلمين) ... ولذلك كان الاحتلال سهلا... فالحارس الذى فرضه الغرب هو الذى نهب والأمين هو الذى سرق...

نفس ما فعله صدام مع الكويت ...

١- كوسوفا . مرجع سابق - العثمانيون فى أوروبا . مرجع سابق - شهادة على مأساة العصر : البوسنة والهرسك لجنة الإغاثة الإنسانية - زفرات البوسنة . خليل بوشكار . دار الشروق .

فانظر أيها القارئ ازدواج المعايير: مع العراق^١ التي انسحبت فعلا من الكويت يستمر سحق شعبها المسلم لأن رفع العقوبات يتطلب إجماعا من مجلس الأمن لكن الإجماع لا ينعقد أبدا ...

ومع صربيا التي ارتكبت نفس جريمة الاحتلال عام ١٩٨٩ ولم تنسحب فإن فرض العقوبات أو الضرب يتطلب إجماعا لا ينعقد أبدا... وفي الحالتين لا ينعقد الإجماع لأن الضحايا مسلمون ...

إنهم في الغرب ينظرون إليها كمعركة مستمرة ضد وجود دولة مسلمة في أوروبا أما رواد التنوير عندنا فليسوا سوى رواد للجهل والخيانة ... بقيت نقطة أخيرة توجع القلب...

في بداية الأزمة : مايو / يونيو ١٩٩٨ أرسل الدكتور بوبار بوكوشي رئيس وزراء كوسوفا خطابا إلى وزارة الخارجية يطلب استئصال وفد للشرح والدراسة... ولقد لجأوا إلى وزارة الخارجية مباشرة لأنه يبدو أن السفير هاني خلاف سفيرنا في بلغاريا ينظر إلى الأمر كما ينظر إليها الأوروبيون.. أنها مشكلة أجنبية... ولست أعرف دوره في تلك الفضيحة التي تمت بعقد احتفالية مصرية في بلجراد في الأسبوع الذي قامت فيه بلجراد بالمذابح الآتية :

تقرير رقم ٤٥٤ عن انتهاك حقوق الإنسان في كوسوفا من ١٠ يناير حتى ١٧ يناير ١٩٩٩ - قتل وذبح وتمثيل بالجثث:

١١ يناير: ابتداء من الساعة الثامنة صباحا وحتى الخامسة بعد الظهر تم العثور على ٦ جثث منهم أربع جثث مشوهة..

١٢ يناير: ثلاث جثث ...

١٣ يناير : جثتين...

١٤ يناير: جثتين...

١٥ يناير : مذبحه قُتل فيها ٤٥ ألباني تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ٨٠ عاما...

١٦ يناير: تم العثور على جثة ثلاث ضحايا أحدهم يبلغ من العمر ٤٨ عاما ، وتبين أن سبب وفاته يرجع لعمليات التعذيب التي تعرض لها من الشرطة الصربية ..

١ - التشكيل بالعراق. جيف سيمونز . مركز دراسات الوحدة العربية .

١٧ يناير : ٤ جثث...

وكانت مصر تحتفل مع الجلادين فى أسبوع ثقافى...دون أى إحساس
أو حتى حسابات للمواءمات...
فيا له من عار

إن المأمول من مصر اتخاذ موقف والمنظر من عمرو موسى إصدار
قرار...

إنهم لا يطلبون سوى استقبال وفد بصورة رسمية، بدون التزامات،
لمجرد الشرح، مجرد الاستقبال مهم ... لأنهم يشعرون بالخجل أمام
شعوبهم التى تشعر أن أمتهم الكبرى قد نسيتهم... وأن جميع الجهود
المبذولة لوقف النزيف لا يشارك فيها مجهود إسلامى..

والأمر لا يمثل سوى قيمة معنوية فهم يعرفون ظروفنا ...
ثم أن فرنسا: ألد أعداء كوسوفا تستقبل الوفود رسميا وكذلك اليونان...

فالمهم عندهم هو القيمة المعنوية... أن يشعروا أنهم ليسوا وحدهم
فى هذه الدنيا ...

أما من مجيب !!..

تلاميذ دنلوب .. وصبيان زويمر .. وجنود كرومر !

نعم ... أسالك ... أسالك أنت ... وأسالك جميعا ...
 أسالك ... أيا كنتم ... وأينما كنتم ... وكيفما كنتم ...
 أسالك : لو أن إسرائيل - عدوة الله وعدوتنا - أرادت أن تستولى
 اليوم على مكة أو المدينة فهل لديكم وسيلة لحماية مقدساتكم ؟؟..
 لو جاء اليوم أرناط أو باراك أو كيمون ... لو جاءوا لتنفيذ ما طالبوا
 به ذات يوم : بإبادة خمس المسلمين والحكم على الباقيين بالأشغال الشاقة
 وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر.. فهل نستطيع
 أن نرفض أو أن نقاوم ؟
 لو أن الأمم المتحدة رأت أن الإسلام كله - وليس البعض الذي سلمتم
 لهم به - دين إرهابي ويجب التبرؤ منه... أو استئصاله فهل لديكم لنا
 حيلة...

كنت أود يا قراء أن أكمل معكم فى هذه الصفحات الحديث عن
 كوسوفا ... وكنت أريد أن أعبر عن الدهشة والألم لأن الأهرام منعت نشر
 مقالات تدافع عنها وتشرح وجهة نظر أهلها المسلمين.. مقالات كان مقال
 فهمى هويدى أحدها ... لقد كنا نفهم - ولا نقبل - منع مقالات تهاجم
 مثلا أنظمة الحكم فى بلادنا وفى العالم العربى .. لكن أن تمنع مقالات
 لأنها تتاصر الحق فى كوسوفا ... فهو امتهان للعقل وللضمير ..

و كنت أريد أن أصرخ هل هو هووى صربى أم استكبار غبى ...

وكنت أريد

وكنت أريد

لكننى تذكرت أن عمليات شردمة الذاكرة وتزييف الوعى قد جعلتنا
 نقرأ فلا نعى، ونسمع فلا نفهم، ونرى فلا نشاهد ولا نشهد ، ولذبح
 فلا نحس ...

وأننى حين أكتب للقارئ عن قضايا قد انقطعت جذورها فى وعيه وانقطع تسلسلها فى وجدانه فكانما أسكب الماء فى الصحراء ...

لذلك رأيت من واجبى أن أوجل ما انتويت من قبل طرحه ... لأقص عليكم يا قراء قصة أمة عظيمة ... ظلت أكثر من ألف عام أقوى دولة فى الدنيا ... ثم خانها أبناء غرهم الشيطان أو زيف وعيهم فانهارت فى انكسار فاجع أكثر ما فيه من مأساوية أذها لا تترك حجمه ولا ترى سبيلا واضحا للخلاص منه...

وأنها فى سعيها للخلاص تلتزم بأوامر العدو الذى قهرها فلا تسلمها كل حلقة إلا إلى انكسار أشد وداهية أنكى ...

إننى أناشد القارئ ألا يكتفى بقراءة هذا المقال فعواصف النسيان والتزييف والتضليل عاتية، وليس أمامنا ثمة أمل فى فهم أي قضية أو مقاومة أى هجوم دون النظر من منظور تاريخى شامل لأن أعداءنا لا يفعلون إلا ذلك، وأناشد القارئ ألا يكتفى بقراءة هذا المقال بل أن يعتبره بداية وحافزا للاستزادة من كتب التاريخ...

و أناشد القارئ أن يقرأ المقال لأبنائه فهم ضحايا عملية بشعة لتزييف الوعي تقودها - للحزن والأسى - بعض صحفنا وإذاعتنا ومحطات تليفزيوننا ... وقد باتوا ينظرون إلى حضارتنا بنفس عين الاحتقار والاستهانة والعداوة التى ينظر بها أعداؤنا إلينا ... والكارثة أنهم يفعلون ذلك دون أن يخامرهم شك أنهم قد يكونون على خطأ ... وأن الحقائق ليست غير ما يعرفون فقط بل إنها عكس ما يعرفون...

يقول صمويل زويمر فى محاضرة للمبشرين ، ليس فيما قبل التاريخ ولا فى العصور الوسطى بل فى القدس عام ١٩٣٥ : " إن مهمة التبشير التى ندبتمك دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبهذا تكونون قد أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، ويأتى النشء الإسلامى مطابقا لما يراه الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور ويسعى للحصول على الشهوات بأى أسلوب " ...

اشهد يا رب علينا وعليهم أن الأمر أسوأ حتى مما تخيله زويمر ...

اشهد يا رب أن القائمين بالتبشير الآن ليسوا تلاميذه بل بعض صحفنا وإذاعتنا وتليفزيوننا وكتبنا المدرسية ..

أجار إليك يا رب بالشكوى : القائمون بعملية التبشير الآن بعض
صحفنا وإذاعاتنا وتلفزيوننا وكتبنا المدرسية ومعظم كتابنا وفنانينا وأحزابنا
وهيئاتنا ومؤسساتنا ...

نعم ..

القائمون بعملية التبشير صبيان زويمر ...

والقائمون على التعليم تلاميذ دنلوب منا ...

والقائمون على عقاب من يتجاوز تعاليم صبيان زويمر أو ثقافة تلاميذ
دنلوب ليسوا سوى بقايا جنود كرومر وأرنات ...

لا تفردى قرون استشعارك يا أجهزة الأمن ولا تمديها...

فالخطب أجل من أن أقصد الأمن الذى لا تعرفون غيره مع أن الخطر
كل الخطر لن يأتى إلا من غيره ...

الخطب أجل ... لأنه يتناول أمة امتدت ذات يوم من الصين
حتى الأندلس وهى اليوم بعد أن فقدت أجنحتها وأطرافها تنزف من قلبها
... حتى لأخشى أن تتلاشى ...

أمة تتعرض لأبشع عملية غسيل للمخ وتزييف للوعى فى التاريخ ...

عملية غسيل للمخ وتزييف للوعى لم يعد العدو هو الذى يقوم بها...
بل يقوم بها أمراء وملوك ورؤساء ووزراء وكتاب وصحفيون ومتفقون
وشخصيات قائدة حاكمة منا وفيما ...

لذلك أناشدكم أيها القراء : حاولوا أن تتقنوا أبناءكم ...

فالمربية هى القائلة ...

والحارس هو قاطع الطريق ...

أناشد المثقفين - نزيه الأمة - والطلبة - ضمير الأمة المحاصر -
أن يجعلوا من منهج النظرة التاريخية الشاملة مجال حلقات نقاشهم... فهذا
فقط تقيقون من غيبوبة فرضها علينا من أملنا أن يكونوا دروعنا وحراس
ثغورنا ...

١ - أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى. د على محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق - الغزو الثقافى والجمع
العربى المعاصر. د. محمد سيد محمد. دار الفكر العربى - واقع العالم الإسلامى بين تعريب التعليم وتخريب
المتأمرين. سعيد عبد الحكيم زيد. مكتبة وهبة - محاصرة وإبادة. موقف الغرب من الإسلام. د. زينب عبد
العزیز. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. مجلة الاجتهاد. الأعداد: ٤١، ٤٢، ٤٣
دار الاجتهاد. بيروت.

واعلموا يا فلذات الكبد أننا - برغم كل الذل والدم والقهر والدموع- كنا ومازلنا خير أمة أخرجت للناس وأننا على الحق.. وأن حقبة الهوان التي نمر بها ليست إلا استثناء بإذن الله سنتجاوزه... لقد ظللنا ألف عام أقوى دولة في العالم... ومنذ خمسة قرون فقط كانت الهواجس تبهظ الغرب كله أن الدولة الإسلامية يمكن أن تكتسح أوروبا كلها...
كنا أقوى قوة في العالم وسنعود لأنه وعد الله...

فحافظوا على ذاكرتكم وتاريخكم...لأنه تاريخ مجيد... وسيكون عليكم أنتم أن تعيدوا مجده...

في إيجاز معجز يختصر "العلامة محمود شاكر" الأمر لنا في كتابه البالغ الأهمية "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا"^١ حين سقطت أوروبا في حمأة القرون الوسطى المظلمة منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ أي قبل الهجرة بنحو من مائة وخمسين سنة، والحقيقة أن أوروبا كانت ساقطة فيما هو أسوأ من القرون الوسطى قبل ذلك بقرون طويلة. كانوا في جاهلية جهلاء، أهلها همج هامج، لا دين يجمعهم، وعند مجيء الإسلام لم يكن سلطان الكنائس المسيحية مبسوطا علي معظم أوروبا المعروفة الآن، كانت روما قد سقطت والشمال كله وثنيون برابرة، وكان سلطانهم مبسوطا على الشام ومصر وشمال أفريقيا منذ قرون طويلة سبقت، وفي طرفة عين، في أقل من ثمانين سنة، تقوض فجأة سلطان الرومان على هذه الرقعة الواسعة، وتقوض أيضا سلطانها على نفوس الجماهير الغفيرة من رعاياها، الذين دخلوا الإسلام طوعا، بل وأعجب من ذلك، صاروا هم جند الإسلام وحماة ثغوره وعواصمه، وحصروا الروم في الشمال، وجاهدت الدولة البيزنطية في الشمال أن تسترد ما ضاع، وظلت أربعة قرون تحاول أن تعود فتخترق هذا العالم الإسلامي من طرفه الشمالي عند الشام، وذهب جهدها هدرًا، ولم يغن عنهم السلاح شيئا، وكل يوم يمر، يزداد رعايا الرهبان والملوك انبهارا بالإسلام وخلقه وثقافته وحضارته، وظل الصراع مشتتلا مدة أربعة قرون بين الروم المحصورين في الشمال وبين المسلمين الذين يتآخمونهم جنوبا، وتدير الأمر قاداتهم، ودخلتهم الخشية أن يفضى الأمر إلى زوال سلطانهم

١ - الرسالة عبارة عن مقدمة طويلة لكتاب المتنبي: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني- وقد نشرت مستقلة عن الكتاب في العدد ٤٨٩ من كتاب الهلال .

عن جنوب أوروبا ، وخيم اليأس فانطلق الرهبان يجوبون شمال أوروبا ليدخلوا أهلها من الهمج الهامج الذى لا دين له فى النصرانية، ليكونوا بعد قليل مددا لجيوش جرارة تطبق على ثغور الإسلام ، ويعدهم لخوض المعركة العظمى ، ثم جاء ما يبده هذا اليأس، هذه هى الجيوش الجرارة من النورمنديين والصقالبة والسكسون بقيادة الرهبان وملوك الإقطاع التى جيشت من الهمج الهامج جيوشا تتدفق من قلب أوروبا، تريد مرة أخرى اختراق العالم الإسلامى من شماله فى الشام، ونشبت الحروب الصليبية التى استمرت قرنين كاملين (٤٨٩-٦٩٠ هجرية / ١٠٩٦-١٢٩١ ميلادية) ، وفى خلالها استولوا على جزء من أرض الشام، وأقام به بعضهم إقامة دائمة، وأنشأوا ممالك، وخالطوا المسلمين مخالطة طويلة، كانت فرحة رائعة لهم لكنها انتهت بالإخفاق واليأس من حرب السلاح، وخمدت الحروب تقريبا بين الإسلام والصليبية نحو قرن ونصف قرن، ثم وقعت الواقعة، اكتسحت الأرض الرومية فى آسيا، فى شمال الشام، ودخلت برمتها فى الإسلام، وفى يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ / ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية ، سقطت القسطنطينية ، ودخلها محمد الفاتح بالتكبير والتهليل ، إذن فقد وقعت الواقعة، واهتز العالم الأوروبى كله هزة عنيفة ممزوجة بالخزي والخوف والرعب والغضب والحقد، ولكن قارن ذلك إصرار مستميت على دفع هذا الخزي، وإمالة هذا الخوف والرعب، وإشعال نيران الغضب والحقد، ومن يومئذ بدأت أوروبا تتغير ، لتخرج من هذا المأزق الضنك، وبهمة لا تفتر ولا تعرف الكلل، بدأ الرهبان معركة أخرى أقسى من معارك الحرب، معركة المعرفة والعلم فقد أدركوا أنها الوسيلة للانتصار علينا ...

نترك العلامة محمود شاكر على أمل بالعودة الحديثة إليه ونقرأ فى كتاب "محمد" تأليف كارين آرمسترونج أن بعض الأوروبيين أصبحوا يعتقدون أنذاك أن الإسلام قد يكتسح الممالك المسيحية اكتساحا شاملا، وفى سنة ١٤٥٣، بعيد الفتح التركى لإمبراطورية بيزنطة الذى أتى بالإسلام إلى عتبة أوروبا، بدأ الأوروبيون يفكرون فى ضرورة العثور على أسلوب جديد لمواجهة الخطر الإسلامى، قائلين أنه من المحال أن يلقى الهزيمة فى ميدان القتال أو عن طريق أنشطة التبشير التقليدية ، ثم جاء

١ - كتاب سطور. سيرة النبي محمد. تأليف كارين آرمسترونج. ترجمة د. فاطمة نصرود. محمد عناني. ١٩٩٨.

عصر النهضة الأوروبية ، واكتسب الغرب الثقة فى ذاته ، ولم يعد الأوروبيون يجفلون فرقا من الخطر الإسلامى، بل أصبحوا ينظرون إلى الدين الإسلامى نظرة المترفع الذى يجد فيه بعض التسلية والترفيه ..

ونترك - مؤقتا- كارين أرمسترونج لنكمل الحكاية الدامية مع الدكتور محمد عمارة^١ الذى يستحثنا أن ننظر إلى مأسينا كحلقات من حلقات الصراع بين المشروع الاستعمارى الغربى وبين الإسلام وأمتة وعالمه وحضارته، إنهم لا ينسون أبدا ونحن لا نتعلم أبدا ، لقد أقاموا الدورة الأولمبية فى أسبانيا سنة ١٩٩٢ ميلادية احتفالا بمرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من غرب أوروبا عندما سقطت غرناطة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) ، وفى ذلك الوقت كان الصرب يقومون باقتلاع الإسلام من وسط أوروبا(وكنا نحن نشاركهم احتفالهم الدامى بتسليم بغداد وفلسطين فى مدريد) .. وكان وزير الإعلام الصربى يصرح أن ما يحدث هو " طليعة الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام " ...

وكنا نشاركهم ونتحالف معهم على أنفسنا ...

يقول الدكتور محمد عمارة: إن هذه القرون الخمسة التى مرت على سقوط غرناطة واقتلاع الإسلام - بالإبادة ومحاكم التفتيش - من غرب أوروبا لم تكن هدنة من الغرب تجاه الإسلام ، بل لقد مثلت فى حقيقة الأمر غزوة صليبية دائمة، ومتعددة الحلقات، والجهات ، على امتداد هذه القرون .. لقد بدأت الصليبية الغربية منذ اللحظة التى سقطت فيها غرناطة حتى مشروعا الاستعمارى الكبير الذى بدأ بتطويق عالم الإسلام تمهيدا لغزو قلبه وذلك حتى يتحقق نهب الثروة واحتلال الأرض وتغريب العقل وكسر شوكة الإسلام، وفى إطار هذا المشروع وعلى جبهاته توالت الوقائع والأحداث والمعارك البارزة فى صراع الغرب ضد الإسلام وأمتة وعالمه، فتتحققا لمخطط تطويق العالم الإسلامى جهاز الأسبان بعد شهر من سقوط غرناطة أسطول كولومبس للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية، دورانا حول إفريقيا لاكتشاف طريق تطويق عالم الإسلام، فلما ضل كولومبس الطريق وذهب إلى أمريكا نهض البرتغاليون بذات المهمة بعد خمسة سنوات فوصل فاسكو دى جاما إلى رأس الرجاء الصالح مكتشفا طريق الالتفاف الأوروبى حول عالم الإسلام وليواصل رحلة الالتفاف والتطويق إلى المحيط الهندى، وبعد سنوات قليلة حقق البرتغاليون أول

١ - البوسنة والمهرسك. مرجع سابق .

انتصاراتهم فوق الساحل الهندي ضد جيش المماليك الذى خرج من مصر لمجابهة هذا التطويق، وما هى إلا سنوات حتى كان البرتغاليون بقيادة ماجلان - الذى تمجده كتبنا المدرسية يُقتل وهو يحارب المسلمين فى الفلبين ، ويبدأ عصر الاستعمار الغربى الصليبي للفلبين التى تحولت إلى النصرانية بعد الإسلام وأصبح اسم عاصمتها : "مانيل" بعد أن كانت تُنطق : "أمان الله" وبعد مرحلة التطويق لعالم الإسلام بدأت مرحلة الغزو لقلبه: حملة بونابارت على مصر (١٧٩٨) تلتها بعد فشلها حملة فريزر (١٨٠٧) ثم غزو الفرنسيين للجزائر ثم هيمنة البريطانيين على الخليج العربى وعدن ثم احتلال الفرنسيين لتونس والإنجليز لمصر والإيطاليين لليبيا وفرنسا للمغرب ثم كان عموم البلوى عندما وزع الغرب بقايا العالم العربى بين قواه الاستعمارية فى معاهدة سايس بيكو التى تبعها وعد بلفور لياتى بعد ذلك إلغاء رمز الوحدة الإسلامية وتحطيم وعائها بإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ وطى صفحاتها من الوجود للمرة الأولى فى تاريخ الإسلام. وعندما حقق الغرب هذا الانتصار فى تطويق العالم الإسلامى وغزو قلبه واحتلال أوطانه لم يُخف قادته أن ذلك جميعه قد تم ومنذ سقوط غرناطة فى إطار حملة صليبية شنها الغرب على ديار الإسلام وواصل معاركها طوال هذه القرون، فالجنرال الفرنسى جورو يقتحم قبر صلاح الدين الأيوبي بعد احتلاله لدمشق ويركله بقدمه ويقول : " ها قد عدنا ياصلاح الدين" والجنرال الإنجليزى اللنبي يقول عندما احتل القدس - بمساعدة عربية!!- : الآن انتهت الحروب الصليبية...

ننتهى من حديث محمد عمارة لننتقل إلى "محمد حسنين هيكل" فى كتابه حرب الخليج- آخر حرب صليبية ما تزال - حيث يلخص الأمر كله بقوله " ... وعندما بدأ الغرب المسيحى (القرن الخامس عشر) يلتفت حول القلب العربى الإسلامى، كان الخليج بعيدا يواجه مصيره دون أن يلتفت إليه بالقدر الكافى أحد، كان القلب العربى الإسلامى (مصر وسوريا) يقف حاجزا دون الغرب (...). مرتكزا فى الشرق على الدولة المغولية الإسلامية فى الهند، ومستندا فى الغرب على الدولة أو الدول الإسلامية فى الأندلس. وحاول الغرب المسيحى فى الحروب الصليبية كسر الحاجز عند القلب، ولكنه فشل واستدار إلى الأطراف، فإذا سقطت فى يده أمكن تطويق القلب وكسر الحاجز وإزالته تماما ... وتحقيق النجاح .."^١ ..

١ - حرب الخليج. أوام القرة والنصر. محمد حسنين هيكل. مركز الأهرام للترجمة والنشر .

فى القرن الماضى ظنوا أنهم قد أوشكوا على بلوغ غايتهم ...

يقول الدكتور "مراد هوفمان" فى كتابه : "الإسلام عام ٢٠٠٠" : "تنبأ الكثير من السياسيين والمستشرقين باختفاء الإسلام تماماً، وفى غضون حياتهم!، فدرسوا الإسلام كحضارة على وشك الاندثار، عليهم أن يسجلوها لأجيال المستقبل"

كما يسجل تدهور حالة الأماكن المقدسة : "القدارة، انعدام الأمن، انتشار الخرافات، وصدق أو لا تصدق: شرب الخمر والدعارة حول الحرم.. بل وفى داخله أحياناً. لم تقم الصلاة بانتظام حتى بين الحجاج الذين هبط عددهم إلى ٧٠٠٠٠ عام ١٨١٤ ثم إلى ٣٠٠٠٠ عام ١٨٦٠ ...

يا قراء : هل هذا تاريخنا أم هو أساطير الأولين ... هل هذا هو تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا أم عبث يجب أن ننصرف عنه إلى ما تبثه فى وعينا أجهزة تعليمنا وإعلامنا وتثقيفنا وأمننا كى نخدرنا وتخدعنا عن حقيقة أمرنا كى نساق إلى حتفنا كقطيع يساق إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان ...

لا ...

ليست أساطير الأولين ...

لست أدري كيف يحاول بعض ولاية أمورنا أن يخدعونا عن كل ذلك، وكيف تطاوعهم قلوبهم وعقولهم وضمائرهم ودينهم كى يخدعوا أممهم بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان..

إن أعداءنا لا يبذلون جهداً فى إخفاء نواياهم .. إنهم يعترفون .. لا عن نبل فى النفس ولا صدق فى القلب بل عن نفس الاستهانة التى يبيدها القصاب وهو يذبح الشاة مدركاً أنه قد فاتها الألوان الذى يمكن فيه أن تقاوم مهما عرفت ما سيحدث لها ...

١ - راجع أيضاً للمؤلف : الإسلام كبديل والطريق إلى مكة . دار الشروق .

يقول يوجين روستو مستشار جونسون ورئيس قسم التخطيط الخارجية الأمريكية : لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادى للإسلام، أى إلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ، إن هدف العالم الغربى فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط، وليس إلا استمرارا للحرب الصليبية..

ويقول جارنر : إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس .. إنها كانت لتدمير الإسلام ...

ويقول راندولف تشرشل : لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، ولن تعود إليهم فى أى مفاوضات مقبلة^١ ..

ويقول محمد حسنين هيكل : إننى مندهش من روح العداء الصليبي التى تنتشر فى الغرب الآن...

ليست الآن يا محمد حسنين هيكل بل منذ ألف وأربعمائة عام .. ليست أساطير الأولين فحتى لطفى الخولى اضطر بعد أن برح كل خفاء أن يصرخ: إن روحا صليبية واضحة تحرك السلوك الغربى نحو العرب ..

ليسوا العرب بل المسلمين ...

و ليست أساطير الأولين ...

فما أكثر العبر وما أقل الاعتبار...

"ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار" : يصرخ بها عادل المعلم فى تقديمه لكتاب زفرات البوسنة لخليل بوشكار.. حين يلاحظ ملاحظة مرعبة ... إن المسلمين من شعوب البلقان أوروبيون من أصل لاتينية ومع ذلك يذبحون

١ - د. محمد مورو . المختار الإسلامى .

لأنهم مسلمون ... فإذا حدث هذا لشعب أوروبى لأنه مسلم ! فماذا يمكن أن يحدث للمسلمين العرب أو الأفارقة أو الآسيويين ... أولئك الملونين ... إذا جاء دورهم ووقعوا فى يد الغرب الوقوع النهائى...

أوجه سؤال عادل المعلم إلى العروش والجيوش والمفكرين ...

أوجهه إلى الأزهر ...

أوجه السؤال أيضا إلى أجهزة الأمن القومى فى كل دولة إسلامية...

لقد أدركها المماليك فى مصر فحاربوا فى الهند دفاعا عن الدولة الإسلامية فى بدايات الغزو الغربى^١ ... أفلا تدركون أنتم ...

أوجه السؤال إلى مؤتمرات وزراء الداخلية - حيث لم يتفق من أمراء المسلمين على المسلمين سواهم - فليس أمن بلادهم ما يتباحثون فيه وما يتوافقون عليه بل أمن حكام ونظم قد يتناقض فى الواقع مع أمن الأمة ... فالعدل قائم والانتقام قادم والقصاصات ... وسوف يأتى زمان يُتهمون فيه ويتم أقرانهم ورؤساؤهم بأنهم إرهابيون كما يحدث للحكومة الشرعية فى كوسوفا الآن ...

هذا شعب يصل عدد المسلمين فيه إلى أكثر من ٩٢% ... وهم مسلمون منذ أكثر من سبعة قرون وهم أصحاب الأرض الأصليين .. ومع ذلك يصر الطواغيت على أنهم - جميعا - إرهابيون ومن ثم على استئصاله...

إن معظم بلاد المسلمين لا تصل فيها نسبة المسلمين إلى ٩٢% ... والبلاد القليلة التى يتجاوز فيها المسلمون هذه النسبة محتلة بقواعد أمريكية ...

كيف تطمئن أجهزة الأمن القومى إلى عواقب تلك الدعاوى الفاجرة التى بدأت تنطلق من أقلييات فاجرة فى أمريكا بتحريض مصر - على سبيل المثال - من المسلمين ...

١ - نهاية دولة المماليك وبدء الدولة العثمانية . مجدى فتحى السيد . مكتبة دار الصحابة للتراث . طنطا - تاريخ مصر ج ٢ . مرجع سابق .

كيف تطمئن على المستقبل إذا كان ذلك يحدث فعلا في الحاضر أمام أعيننا ... فكيف لا تتقيه ثم كيف تتقيه ...

حتى لو قررنا أن نسلخ من جلودنا وننسى الله...

حتى لو قررنا أن نُنزع قلوبنا وأن نتخلى عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأن نستبدلهم لنضع مكانهم النظام العالمى الجديد والأمم المتحدة وكلينتون ونتنياهو وبوش وجور وكل عبيد الشيطان...

حتى لو قررنا أن نتخلى عن الأمانة التى نحملها ...

لو قررنا ذلك كله ... فهل يحمينا؟؟..

هل يحمى أوطاننا وأبناءنا وأحفادنا وحدودنا ...

يا أجهزة الأمن القومى !!!..

فلتبكوا كثيرا وتضحكوا قليلا ...

سوف أكونك أيها القارئ بالنار التي تكويني...

لأنني في هذه السلسلة من المقالات في هذا الكتاب لا أسود صفحات
لا أملاً فراغا ولا أستعرض بياناً ولا أتباهى ببلاغة وإنما أقدم لك -
نوب الألم - نظرة شاملة لمشكلتنا كأمة ...

أقدم لك نظرة شاملة لوضعنا في الدنيا وللدنيا

وأحاول قدر جهدي ألا تقتصر هذه النظرة على الدنيا فقط وإلا كان
لبشر مجرد قطيع من الحيوانات.. ولكانت النظرة الغربية هي النظرة
الصحيحة ... فلا حق إلا القوة ... ولا سعادة إلا في اللذة ... ولا وزن
لا اعتبار لأية قيمة مجردة ...

أحاول أن أفعل ذلك وأحتاجك معي

لقد فرى قلبي قول ذلك الرجل من كوسوفا أنه يتألم لأننا في العالم
لعربي ننظر إلى قضية بلاده كقضية أجنبية ...

فرى قلبي وأحسست بالخزي والعار ...

لكنني ما لبثت حتى انكفأت على نفسي مذهولاً وأنا حسير لأصرخ :
حن ننظر إلى قضيتنا أيضاً كقضية أجنبية !! ننظر إلى قضية مصيرنا
وجودنا كقضية أجنبية ... ننظر إلى قضية التكتيل بالعراق كقضية أجنبية
... ننظر إلى ما يحدث في دول الخليج كقضية أجنبية ... ننظر إلى احتلال
مهبوط وحيننا ومنبع رسالتنا بقوات أمريكية كقضية أجنبية ... وليت
الاحتلال كان احتلال أرض فقط لأنه احتلال قلوب وعقول أيضاً ...

لقد نجح الغرب في هزيمتنا ... تلك الهزيمة الشنيعة البشعة التي لم
تقتصر على احتلال أرض بعد هزيمة جيوش ... ولم تقتصر على هوية
أرض بذلوها ... ولا على أوطان سرقوها ... ولا على تفتيت نجحوا
فيه ... لم يقتصر على ذلك ولو اقتصر عليه لكانت أماننا الفرصة لكي
نقاوم ...

لم يقتصر انتصارهم على الجيوش والعروش بل تعداه إلى الانتصار على كل فرد فينا ... على غزونا من الداخل ولست أنسى قط ذلك الإحساس بالعار الذى شملنى حين كنت أصطحب ابنتى فى منطقة مكتظة بالمدارس فإذا بها تنتظر إلى الطلبة والطالبات وتصرخ :

- نحن لسنا فى مصر ... نحن فى أمريكا ... !!

لم تكن القمصان المطبوع عليها الأعلام الأمريكية ولا السراويل ولا التنورات ولا الأحذية ولا السترات فقط ما لفت انتباهى ... كانت ملامح الوجوه أيضا ... كانت القضايا التى تشغل الفكر أيضا كانت الاهتمامات ... كان القلب وكان العقل وكانت الروح .

بعد المقالة الماضية والتى استعرضت فيها تاريخا مجيدا ولّى ولكن علينا أن نحفظه لنستعيده، تلك المقالة التى كتبها يكوينى لهيب كرصاص منصهر، جاءنى أحد الشباب بعد أن قرأ المقال - المحزن أنه نابه ومتفوق وخريج جامعى- فوق أنه مشروع شاعر ليقول :

- يا أونكل: لقد ذكرت فى مقالتك الماضية تواريخ كثيرة جدا ولقد نسيتهما كلها قبل أن أنتهى من المقال ...

يا أونكل !!...

نسيته

انغرس الحروف فى قلبى رؤوس حراب مسممة...

وبكت لغتى ...

يا بنى أنا لا أكتب لك تاريخا مجردا ... بل أكتب لك تاريخك أنت ... أكتب لك عن معركة أنت تخوضها الآن وأنت مغيب عنها لكنك ستذوق علقم نتائجها وسترزح تحت وبال عواقبها... يا بنى أنا أكتب لك عن معركة بدأت منذ أكثر من ألف عام ولما تنته بعد ... يا بنى أنا أكتب لك كى أكون حذيرك ... ولكى تفهم أن الخرز الملون كان الطعم الذى اصطاد به الغرب مائة مليون شاب أفريقى حولهم إلى عبيد ... وأن الأسماك الملونة المبهجة الألوان التى تغوص خلفها الآن إنما تقودك إلى بيت الأخطبوط ... لم أكتب لك التاريخ كى تزدان به معرفة منبئة ... بل أحاول أن أنقذك ... أن أقول لك أن الصراع بيننا وبين الغرب بدأ حتى قبل الإسلام وأنه بالإسلام اكتسب أبعادا أشمل ... أحاول أن أستنقذ نفسك من ذل الدنيا وخزى الآخرة... أحاول أن أزيل أنقاض الهزائم وخرائبها داخل

ذاتك وأن أقول لك أن المعركة بيننا وبين الغرب معركة مستمرة لم يخبأ أوارها أبدا وأنهم لم يتركونا أبدا وكانت عين كل قيصر ابتداء من قيصرية روما القدماء وحتى القيصر الأمريكي على قلب عالما : على دمشق والقاهرة ... كان كل مطلبنا منهم أن يخلوا ما بين العباد وما بين الله.. وكانت كل جريمتنا أننا نحاول أن نعيش أحرارا... أننا نحاول منعهم من احتلال بلادنا أو من إعادة احتلالها ... وحتى حروبنا الهجومية ضدهم كانت إما لكف أذاهم أو لمنعهم من معاودة الهجوم أو لإنقاذ المستضعفين الذين استجاروا بنا منهم ... أحاول يا بني أن أزيل أنقاض الهزائم من داخلك ... وأحاول بالتاريخ أن أقول لك أن أمتنا هي الأرقى وأنها ظللنا نسبقهم ألف عام وأن عمر انكسارنا الحالي لا يتجاوز ثلاثمائة عام وأنها كنا حتى القرن الماضي نملك دولة كبرى تضارع دولهم وتصارعها فتصرعها... أحاول أن أقول لك أن مشكلة فلسطين نفسها واستيلاء الصهاينة عليها ليست إلا حلقة في سلسلة امتدت أكثر من ألف عام ... وأننا لن ننتصر أبدا إلا إذا نظرنا إليها كذلك.... ليست مشكلة فلسطين فقط... بل كل مشاكلنا ... فالقرآن الكريم عندما أمرنا : "قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"... لم يكن يعتمد تفسيرات السير بيرسى كوكس ولا اتفاقية سايكس بيكو ولا الحدود التي أقرتها اتفاقيات الأمم المتحدة ... بل كان يثبت ما تثبته قراءة التاريخ : أنهم عندما يقاتلوننا فهم يفعلون ذلك كجبهة واحدة حتى لو استتارت بعض عناصرها ... وأننا يجب أن نقاتلهم كأمة واحدة...

لكننا للعار ننظر إلى مشاكلنا بعيون أعدائنا ...

لقد كفوا عن الاحتلال المباشر لأن جيوشنا تقوم بنفس المهمة...

كفوا عن البث المباشر لأن أجهزة إعلامنا تقوم بنفس المهمة ...

فلا تقولوا بعد ذلك المفكر " فلان " بل المبشر "فلان" ...

ولا تقولوا رئيس التحرير "فلان" بل رئيس المبشرين فلان ...

ولا تقولوا المذيعين بل قولوا صبيان زويمر ...

إن صحيفتين على الأقل من صحفنا الكبرى تقومان بكفاءة منقطعة النظير بمهمة التبشير أما الصحيفة الكبرى الثالثة فهي تائهة ما بين هوى غربى واستكبار غبى... ومجلات حكومية لا تكف عن الدعارة بالكلمات... وبرغم ذلك فإن وضع الصحف والمجلات - رغم الكارثة - أفضل من

وضع الإذاعة والتلفزيون ... فيا للكارثة ... أتحدث عن مصر ... وحال
مصر أفضل من حال معظم الآخرين ... فيا للكارثة ...!!!...
لقد سردت لكم فى المقالة الماضية موجزا للتاريخ ورجوتكم
الاستزادة...

واليوم أقول لكم كيف يروننا ...
أقول لكم الحقيقة الفادحة الفاضحة ...

ألمس الجرح العارى كى تدركوا معى حجم الكارثة ...
أضع أمام أعينكم تلك الخلفية التى لا يمكن لكم أن تفهموا نشرة أخبار
أو تفاصيل مفاوضات أو خلفيات أى قضية سياسية أو اقتصادية بدونها ...
من العراق حتى كوسوفا ... ومن ليبيا حتى الخليج حتى الجزائر ... ومن
إيران حتى أفغانستان والفلبين ...

فلنقرأ الآن كيف ينظر الغرب إلينا، ليس فى كتب فاجرة من تلك
الكتب التى وصفت أشرف الخلق بأنه - قطعت ألسنتهم وأستغفر الله -
كلب له ثلاثة ذبول ولن أذكر أبيات الشعر الشنيعة المروعة التى
وردت على لسان دانتي فى الكوميديا الإلهية عندما جعل - لعنه الله ولعن
قومه - من مثوى خاتم النبيين قاع الجحيم ...

لن أنقل من تلك الكتب الفاجرة المعاهرة بل من كتاب يُعتبر من أكثر
الكتب المتعاطفة معنا إذ يستعرض نظرة الغرب إلينا ... كتاب " محمد "
تأليف كارين أرمسترونج^١ ...
فهيأ معى أيها القارئ ..

هيا ...

كى أكويك بنفس النار التى تكوينى ...

لقد نظر الغرب إلى قدوم الإسلام على أنه الردة الكبرى التى تنذر
بطلان الأيام الأخيرة للبشرية... وأن سيد البشر وخاتم النبيين محمد صلى
الله عليه وسلم ليس سوى " الأثيم " الذى يقيم ملكه فى هيكمل أورشليم ليضل
كثيرا من المسيحيين بآيات وعجائب كاذبة.. كان سفر يوحنا اللاهوتى يذكر
أن ذلك يحدث فى العام ٦٦٦... وكانوا يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه

١ - مرجع سابق.

رسلم قد توفى فى العام ٦٦٦ من التاريخ الأسباني... وكان نجاح الإسلام يثير سؤالا يتجاوز التهديد الذى مثله، وهو سؤال لاهوتى يبعث على القلق: كيف سمح الله لعقيدة الإسلام الكاذبة بالظهور والانتشار... ترى هل تخلى الله عن مناصرة شعبه وأهله؟ ...

إن محمدا دجال وكاذب، نصب نفسه نبيا ليخدع العالم، إنه فاسق يستمرئ الفسق البذئ ويدفع أتباعه إلى محاكاته، لقد أجبر أتباعه على اعتناق عقيدته بحد السيف... إن الإسلام ليس دينا منزلا بل بدعة أو صورة مشوهة من صور المسيحية... إنه دين عنيف يؤمن بالعنف (الإرهاب ١٩) ... إن المسلمين ليسوا سوى عبدة أصنام يسجدون أمام ثلاثة آلهة ...

بعد ٢٥٠ سنة حرفوا اسم محمد إلى ماهاوند وجعلوا منه العدو الأكبر للهوية الغربية الناشئة.. أصبح رمزا لكل ما ينبغى أن نفيه عن أنفسنا ... إنه عدو الممالك الصليبية وقرينها ... لقد كان ساحرا دبر المعجزات الزائفة حتى يخدع العرب السذج... ولقد اتسم بأفزع ضروب الشذوذ وأغرى الناس بالانضمام إلى دينه بتشجيعهم على إرضاء غرائزهم الدنيا .. ولقد كانت جميع مزاعمه كاذبة، لقد كان دجالا عامدا تمكن من خداع معظم أبناء شعبه، أما بعض أتباعه الذين تكشف لهم حقيقة أفكاره السخيفة فقد التزموا الصمت بسبب أطماعهم الدنيئة، إن المارق سيرجوس هو الذى لقنه الصورة المشوهة للمسيحية فأتى بها وسماها الإسلام ولقد انتهى محمد نهاية تعتبر جزاء وفاقا إذ هجم عليه قطيع من الخنازير أثناء إحدى نوبات اتصاله بالجن فمزقوه إربا ..

إن نشأة الإسلام هى إحدى الوسائل الرئيسية التى يستعين بها المسيح الدجال... إن المسلمين يقومون بالأعمال التى اخترعوها، وتفانوا فى الإخلاص لها، مثل الزكاة والصلاة والصوم وافتداء الأسرى وما إلى ذلك ابتغاء مرضاة الله...

وعندما فتح الصليبيون أورشليم لم يستطيعوا اعتبار المسلمين بشرا مثلهم فقاموا بارتكاب مذبحه صدمت مشاعر الجميع حتى معاصريهم، وأصبحوا بعد ذلك يعتبرون المسلمين وباء لا بد من تطهير الأماكن المقدسة منه، وكانت الصفة الرسمية التى أطلقت على المسلمين فى مصطلحات الحملة الصليبية هى " القذارة " ...

وفى القرن الثانى عشر، عندما قام الملك لويس السابع ملك فرنسا بقيادة الحملة الصليبية الثانية كتب الأب بيتر إليه يقول : إنه يتمنى أن يقتل عددا كبيرا من المسلمين، عددا يوازى من قتلهم موسى ويوشع من الأموريين والكنعانيين ...

لقد أعلن البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يعتبر "إهانة لله" ... إن المسلمين فى الممالك الأوروبية " وكر الوباء متوهجة التلوث مصدر الطاعون العضال والجراثيم القذرة " وبهذا المنطق أبادوا المسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا فى بداية القرن الرابع عشر ... وفى نهاية القرن الخامس عشر سقطت آخر قلعة إسلامية فى أوروبا عندما سقطت غرناطة فدقت أجراس الكنائس فى شتى أرجاء أوروبا ابتهاجا بالنصر المسيحى على الكفار ، ثم لم تلبث محاكم التفتيش أن بدأت وعلى مدى ٣٠٠ سنة بتخيير المسلمين بين الموت بأبشع الطرق أو التنصر أو الرحيل ...

فى القرن السادس عشر كان لوثر يعتقد أن الإسلام قد يكتسح الممالك المسيحية اكتساحا شاملا ...

فى دائرة المعارف الإسلامية الأولى التى صدرت فى نهاية القرن السابع عشر يقررون : "هذا هو الدجال الشهير محمد، صاحب ومؤلف بدعة اكتسبت اسم الدين، ونسبها المذهب المحمدى، ولقد نسب الكثيرون من مفسرى القرآن إلى هذا النبى الكاذب جميع الفضائل التى ينسبها الآريون إلى يسوع المسيح ..."

وفى نفس العام كتب همفرى بريدو كتابا هاما بعنوان : " محمد : طبيعة الدجل الحقيقية " يقول فيه : كان الشطر الأول من حياته يتسم بالإباحية الشديدة والآثام البالغة، إذ كان يجد متعة كبيرة فى السلب والنهب وفى إهراق الدم (...) كانت النزعتان اللتان تملكان لبه هما الطموح والشهوة، وكان السبيل الذى سلكه لبناء الإمبراطورية دليلا ساطعا على النزعة الأولى، وكانت زوجاته الكثيرات دليلا قاطعا على النزعة الثانية، والواقع أن النزعتين تسيطران على إطار دينه برمته، فلا يكاد فصل من فصول القرآن يخلو من ذكر قانون من قوانين الحرب وإراقة الدماء تحقيقا للنزعة الأولى، أو ينص على حرية معاشرة النساء فى هذه الدنيا، أو الوعد فى الاستمتاع بهن فى الدار الآخرة تحقيقا للنزعة الأخرى ...

ويصف سايمون أوكلى محمدا بأنه : " رجل بارع الدهاء واسع الحيلة، إذ كان يتظاهر فحسب بالصفات الحميدة المنسوبة إليه، أما دوافعه النفسية فهي الطموح والشهوة" ..

ويقول جورج سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن : " إن أحد الأدلة المقنعة على أن العقيدة المحمدية لم تكن قطعاً سوى ابتكار بشرى هو أنها تدين بنشوتها وتطورها إلى السيف وحده تقريباً"...

أما فولتير فينحو إلى القول بأن محمداً " كان يعتبر رجلاً عظيماً ولم يختلف على ذلك من كانوا يعرفون أنه دجال، كما كان سائر الناس يبالغونه باعتباره نبياً " ... وفى منتصف القرن الثامن عشر كتب فولتير مسرحية بعنوان : " محمد أو التعصب " فيجعله فيها نموذجاً للدجالين الذين أحوالوا شعوبهم إلى عبيد للدين متوسلين بالتحايل والأكاذيب... وفى نفس الوقت كان توماس كالاريل يعبر عن رفضه وازدراءه للقرآن الذى اعتبره " أكثر كتاب يبعث على الملل فى العالم.. إنه خليط غير مترابط يرهق القارئ غليظ النسيج ركيك التركيب غاص بالتكرار والمعاظلات التى لا تنتهى وباختصار هو بالغ الغلظة والركاكة والغباء الذى لا يطاق ..."

(لاحظ أيها القارئ أن مجلة كروز اليوسف والكتب التى تروج لها والكتاب المستثيرين الذين تنتشر لهم لا يبتعدون عن نفس هذا المنطق وإن استنروا بالألفاظ... جبننا ... ولم أذكرها إلا على سبيل المثال لا الحصر... فلا حصر ...)

وفى القرن التاسع عشر يقول شاتوبريان عن الإسلام أنه : " عقيدة معادية للحضارة، وهى تشجع بانتظام على انتشار الجهل والاستبداد والرق " ويقول عن العرب فى كتابه الرحلة من باريس إلى أورشليم ومن أورشليم إلى باريس : " جنود بلا قائد، ومواطنون بلا مشرعين، وأسرة بلا أب، وهم نموذج للإنسان المتحضر الذى سقط من جديد فى هوة الهمجية والوحشية " وأن : " القرآن لم يتضمن مبدءاً واحداً من مبادئ الحضارة ولا فرضاً يسمو بأخلاق الإنسان، إنه لا يحض على كراهية الطغيان أو على حب الحرية" ..

المؤرخ المعاصر بودريكور يصف كيف كف الغرب عن اعتبارنا بشراً وهو ينقض بوحشية على حركة المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسى إذ يصف إحدى غارات الفرنجة (المتحضرين !) على المسلمين (المتوحشين أو الإرهابيين !) فيقول : " حتى جنودنا الذين عادوا من الغارة

كانوا يشعرون بالخجل، إذ أحرقوا نحو ١٨٠٠٠ شجرة، وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ، وكانت النساء أسوأ الجميع حظا إذ كن يتزينّ بالأقراط والخلاخيل والأساور الفضية فأثرن الطمع فيها، ولم تكن لها مفاتيح كالأساور الفرنسية، بل كانت توضع حول المعاصم والكواحل في الطفولة، فإذا كبرت الفتاة ونمت أعضاؤها لم تتمكن من نزعها، ولم يستطع جنودنا أن يحصلوا عليها إلا بقطع أطراف النساء وتركهن في قيد الحياة وقد تشوهت أجسامهن"

فى القرن العشرين أعلن اللورد كرومر أن الإسلام عاجز عن إصلاح نفسه، وأن الشرقى يتمتع بنزعة طفولية لا رجاء فى تغييرها...

فى نهاية القرن العشرين "كتبت فای ويلدون" لإبداء وجهة نظرها فى مسألة سلمان رشدى (الذى يحتفى به الغرب أى احتفاء وقابله كليتوتون تكريما) كتبت تقول: "يعمل القرآن على قمع التفكير، وهو ليس قصيدة يمكن أن يبنى عليها المجتمع بناء سالما أو عاقلا"..

فى سنة ١٩٨٩ يقول أوبريان "إن المجتمع العربى مريض، ولقد ظل فى مرضه ردحا طويلا من الزمن، ففى القرن الماضى كتب المفكر العربى (هكذا فى الأصل) جمال الدين الأفغانى يقول إن كل مسلم مريض وعلاجه الوحيد فى القرآن، لكن المرض يتفاقم للأسف كلما ازدادت جرعة الدواء..."..

وتعلق كارين آرمسترونج: "وربما أدى الطابع الخيالى لشخصية "ماهاوند" فى الغرب إلى الصعوبة التى يواجهها الناس اليوم إذا حاولوا النظر إليه باعتباره شخصية تاريخية جديرة بالدراسة الجادة التى يولونها لنابليون أو الإسكندر الأكبر..."

وتستطرد: "ما يزال بيننا من يدهش دهشة حقيقية حين يسمع أن المسلمين يعبدون الإله الذى يعبدّه اليهود والمسيحيون نفسه..."..

هل قرأت أيها القارئ!

وهل أدركت عمق الكارثة ...

لم يكن موقفا انتهى ... بل كان ويكون وسيكون ...

وبهذا المنطق يحاربوننا ويفاوضوننا وَيَعْدُونَ ويحلفون ويبرمون المعاهدات والمواثيق فنصدقهم ونطلق على أمريكا الشريك النزيه والوسيط العادل ونوادهم ونصادقهم ونواليهم على اخوتنا

لو كانت أمريكا هى الشريك النزيه والوسيط العادل لكان ما قالوه فينا وفى الإسلام وفى نبي الإسلام - أستغفر الله - حق ...

وإن كنا نؤمن أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأمرىكا مجرمة وقد فرض علينا قتالها وهو كره لنا ...

إما أن نأخذ البيعة كلها أو نرفضها كلها

إذا كان ما قالوه عن سيد البشر وأشرف الخلق وخاتم النبيين والمرسلين حق فإن ما يقولونه عن تاريخنا وحاضرنا وما يفرضونه علينا من حدود لبلادنا وما يعرضونه علينا من حلول لمشاكلنا حق ... وإن كان الأول باطلا فالأخير باطل...

كيف تسوغون لأنفسكم أن تكذبوا الأولى وتصدقوا الثانية؟..

أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض...؟..

المستغيرون المستغريون يحاولون دائما طمس عيوننا عن أنها معركة واحدة مستمرة بدأت حتى قبل الإسلام ... وهى نقطة تلتقطها كارين أرمسترونج بمهارة حيث لاحظت أن عداوة الغرب للإسلام ليست بسبب الدين المسيحى، وإنما بسبب الرغبة فى النهب والسيطرة، بل إنها تصل أن العرب قبل الإسلام كانوا يسترييون بصفة عامة باليهودية والمسيحية، وكانوا يعلمون أن فارس وبيزنطة قد تجهزتا باستعمال الديانتين للسيطرة الإمبريالية...

لقد بدأت المعركة قبل الإسلام، وهى مستمرة إلى اليوم... مستمرة رغم ادعاء ادعاء التنوير الذين أصبحوا نزيفا فى وعى الأمة وثقوبيا فى ذاكرتها ...

موقف الغرب منا مستمر ويحمل ذات الجهالة ...

لا يتعاملون معنا إلا بتلك الخلفية والمستنبرون الحمقى وصحف
التبشير ومجلات التبشير وتليفزيون التبشير وكتاب التبشير تلاميذ زويمر
يحاولون أن يغطوا أبصارنا وأن يعموا بصائرنا كي نندفع إلى مقصلة
الجلاد كقطيع يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان...
نظرتهم الجهولة الغبية المجرمة لنا مستمرة ...

تقول كارين أرمسترونج: ما تزال آثار الوهم القديم قائمة حتى يومنا
هذا.. إذ ما يزال من الشائع عند أبناء الغرب أن يسلموا دون نقاش بأن
محمدًا ليس سوى رجل استغل الدين في تحقيق الفتوحات وسيادة العالم وأن
الإسلام دين عنيف يعتمد على السيف...

وتشير كارين أرمسترونج إلى ما كتبه أومبرتو إيكو عام ١٩٨٧ من
أن الأمريكيين والأوروبيين قد ورثوا التركيبة الغربية، وأن انتهاء القرون
الوسطى لم يؤذن بانتهاء الأساطير القديمة...

هل اكتفيت أيها القارئ، هل غصت بالألم...؟..

بقيت نقطة قد تكون مفيدة في السياق، فإن كارين أرمسترونج تلاحظ
أن المسلمين لا يحملون للغرب ما يحمله الغرب للمسلمين، فحتى الحروب
الصليبية لم تحمل تهديدا لوجود المسلمين بل إن مناطق شاسعة تمثل قلب
العالم الإسلامي كبغداد وإيران لم تشعر بهذه الحروب ، كانت الحروب
الصليبية بالنسبة لمعظم المسلمين تدور عند الأطراف والحدود البعيدة ...
بينما لا ينسى الغرب للمسلمين أنهم هددوا وجوده بالمحق ذات يوم وأنهم
استولوا على عاصمته : " القسطنطينية " ..

المشكلة أيتها الطغمة الفاسدة التي انفصلت عن ضمير أمتها وادعت
التنوير ليست في موقفنا الظلامى المتحجر من الغرب ولا في الموقف
المنحرف الذى تتخذونه منه فالمشكلة في موقف الغرب منا...

أيتها الطغمة الفاسدة: ما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة
الدنيا ويوم القيمة تردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون...

المشكلة موقفه هو لا موقفنا نحن ...

يصرخ محمد عمارة^١: ليست القضية هي موقفنا من الغرب وإنما القضية هي موقف الغرب منا ... مشكلتنا ليست مع الإنسان الغربى ولا مع العلم الغربى ولا مع الحضارة الغربية وإنما مع المشروع الغربى عندما يريد إلغاء مشرونا الحضارى المتميز والخاص...

هل أدركت يا بنى - الذى نسيت - ما أريد أن أقوله لك...
فى المقالة الماضية أوجزت لك أكثر من ألف عام من الحروب...
وفى هذه المقالة أوجز لك أكثر من ألف عام من فكر الجهالة الجاهل
والظلم الغشوم ...

أحاول ذلك يا بنى كى أنقذك ...
أحاول ذلك كى تدرك إلى أى مدى نخوص فى سكرة ملهثة وغمرة
كارثة ...

لا تقل لى " أونكل مرة أخرى " ... لقد غزوا لسانك وأوشكوا أن
يغزوا قلبك وعقلك وروحك ... فلا تقلها مرة أخرى ...
تكلم بلغتهم كاهلهم وأنت تصنع قنبلة نووية تتقذنا من العار أو وأنت
تصمم صاروخا أو سفينة فضاء...

يا بنى قد تجلى الكرب الكوارث ...
يا بنى أنت الأرقى والأعظم أما هم فجبايرة التاريخ أكلة لحوم البشر
وعار الدنيا وهمجها الهامج ...

فلتبك كثيرا ولتضحك قليلا يا بنى... فالنوازل هائلة والهوائ نازلة...
أحاول يا بنى - أيها المستخلف على الأرض سيدا الأنبل وأعظم
الحضارات فى التاريخ - أن أنقذك..

١- البوسنة والهرسك. مرجع يابى.

وإن لم تفهم ... وغرتك الدنيا وخدعتك صحفنا ومجلاتنا ومحطات
إذاعتنا وتليفزيوننا التي يسيطر عليها صبيان زويمر فإن ما سوف يحدث
لك في مدى جيلك أنت رهيب ومروع ...

سوف يحدث لك في نهاية اليوم ما يحدث اليوم للعراق وأفغانستان ...

وسوف يحدث لك غدا ما يحدث اليوم لكوسوفا ...

سوف تذبح أنت ...

أما شقيقاتك وبناتك وزوجتك ... فسوف تقتصر مناشدتهن للعالم الذي
حظر عليك وعليهن السلاح ... أن يمدھن بحبوب منع الحمل كي يتقين بعد
الاغتصاب حمل السفاح ...

بعد غد ... يا بني الضاحك تلك الضحكة الطيبة العمياء المستهترة
الجاهلة المستهينة ...

لن تكون موجودا ...

ستكون قد انقرضت ...

كالهنود الحمر ...

إينالا.. هاموهى.. طنباكا.. فيرينا'!!

هل تريد أن تعرف حقيقتك التى ينظر الغرب بها إليك أيها
القارئ؟!...

أنت جبان خائف متخلف ساذج تعاني من قصور عقلى.. دنىء فقير..
متخلف أخلاقيا.. ناقص .. إما عدو وإما خائن..

أنت إما لاجئ فى مخيم، أو ساكن فى مدن من الصفيح، أو راعى غنم
فى الصحراء أو صياد..

هل تريدون أن تعرفوا حقيقتكم أيها القراء ...

أنتم كفار أعداء خونة غير مؤمنين فاشلون مهزومون هامشيون
مذعورون فقراء تعيشون فى حرمان لأن إلهكم بخيل (أما إله الغربيين
فكريم ومعهم وأعطاهم الثروة والمياه الوفيرة)

إن العلاقة بينكم وبين الآخرين علاقة عدائية خطيرة عندما تغفلون من
السيطرة ، إذ أنكم بعدها تتحولون إلى أعداء خطرين بعد أن كنتم
مخلصين أوفياء، لكنكم عند فقد السيطرة عليكم تتحولون إلى متمردين تارة
وأخرى إلى نهايين وثالثة إلى مخربين بل سفاحين...

أنتم : قبيلة كريهة من البدو المتعطشين للدماء...

الغرب أسياد وأنتم خدم ، لصوص، متطيرون، تؤمنون بالجان، أذلاء،
فاشلون ، لا تتكيفون مع الواقع ، مرعبون ، مفزعون ، قطاع طرق، قتلة،
تخافون الموت فتستسلمون ويلحقكم عار الموت دون قتال ... ليس لكم أى
صفة إيجابية...

أنتم إما كسالى مذعورون وإما غزاة سارقون ...خائفون وتهددون
غيركم ... فراراً بعد الهزائم... إن المصير المحزن الذى ينتظركم هو
الموت الجسدى أو الخضوع أو الاستسلام أو الانسحاب...

أحيانا تقاثلون بشجاعة لكن هزيمتكم محققة...

أنتم تثيرون العطف أحيانا لكن القدر دائما ضدكم والحظ..

أنتم شخصيات محكومة دائما بالهزيمة والفشل والخضوع...
أنتم غازون ومطفالون وأجانب حتى عندما تكونون فى بلادكم الخاصة...

إنكم دائما فى علاقة تناقض مع الآخرين، تتحالف الطبيعة مع القدر ضدكم، ثم تجدون أنفسكم بعد ذلك فى صف الأشرار أو ضد الأخيار دائمي التشاحن مع بعضهم..

أنتم ضعفاء.. تطلبون الحماية أو تهربون...
إن طبيعة العلاقة معكم هى الصراع والعداء وشعوركم بالنقص، إنكم أعداء أو خاضعون ..

ليست هذه الصفات - يا قارئى - واردة فى عصور ما قبل التاريخ ولا فى العصور الوسطى، ولا حتى فى بدايات القرن العشرين أو منتصفه، إنما هى صفات العرب التى يدرسها - الآن - الطلاب الفرنسيون فى مراحل التعليم المختلفة حيث رصدتها الدكتورة مادلين نصر^١ فى كتابها الهام: "صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية" ..

وليست هذه النظرة هى ادعاءات أو هواجس وأوهام الإرهابيين المنغلقيين الظلاميين المتحجرين المتأسلمين إنما هو المنهج الرسمى الذى قرره وزارة التربية الفرنسية، وضع فى الاعتبار أنهم لا يقولون كل ما يريدون إذ يجب - طبقا لنص توجيهات صريحة من وزارة التربية - مراعاة وجود تلاميذ من أصل عربى فى الفصول الدراسية!!..

وتضيف الدكتورة مادلين نصر : تضمنت كتب القراءة فى المرحلة الثانوية مقتطفات عديدة من الآداب الأجنبية (الصينية واليابانية والأمريكية) مترجمة إلى الفرنسية إلا أنها تجاهلت الأدب العربى المعاصر... ثم تعلق على تناول الكتب الفرنسية لظهور الإسلام والفتح العربى فتقول : "كشف الحساب كئيب، غزو وهزيمة، دين جديد مصحوب بالحروب والفتوحات...." أما فى الحروب الصليبية فتذكر الكتب : "الاف المسيحيين مدفوعون بإيمانهم".... و"الصليبيى حاج" .. و"أن المسلمين منعوا الحجاج الصليبيين من الوصول إلى بيت المقدس فتشبت الحروب الصليبية لتخليص قبر المسيح..."

١- "صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية" (مركز دراسات الوحدة العربية) ...

"... كان حجاجنا يطاردون العرب ويقتلونهم وبعد أن نجحوا في القضاء على مقاومة العرب الكفار أسروا عددا كبيرا من الرجال والنساء وجمعوهم في المعبد وأخذوا يقتلون من يشاءون ويتركون على قيد الحياة من يشاءون، ثم انطلق الصليبيون إلى مختلف أنحاء المدينة يسرقون الذهب والجنود والجياد وينهبون المنازل، وبعد ذلك ذهبوا وهم يذرفون الدموع من شدة الفرح إلى قبر مخلصنا يسوع المسيح لتقديسه"

"... لقد كانت الحروب الصليبية حملة عسكرية إلى الأراضي المقدسة موجهة ضد الكفار..."

تدرك مادالين نصر أن الفرنسيين يستعملون كلمتي المسلمين والعرب كمترادفتين ...

نحن لم نكتشف بعد ذلك!!...

النظرة التي ينظر بها الغرب إلينا واحدة إذن عبر كل القرون ...

منذ ألف عام ومنذ مائة عام والآن وبعد مائة عام ... أما صدام الحضارة الذي ابتدعه صمويل هنتجتون فانبهر به رواد التتوير فليس جديدا إلا لهم وعليهم ...

بالنسبة لنا فإن أول اكتشاف لصدام الحضارات قد ورد في القرآن ذاته ولقد حدد شروطهم كي لا يكون صدام : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ..."

لكن زويمر ضمن علينا حتى باتباع ملتهم ...

لم تكن مادالين نصر وحدها هي التي اكتشفت أو كشفت ...

هناك الكثيرون أيضا، منهم "شريف الشوباشي" في كتابه^١ : "هل فرنسا عنصرية" يتحدث عن نظرة ومعاملة الفرنسيين للعرب أو المسلمين (حيث تستعمل الكلمتان بالتبادل كمترادفتين) فيذكر نماذج لما يحدث : منها ما حدث في ٦ مارس ١٩٩٠ عندما أطلق شرطى خمسة أعيرة نارية في ظهر شاب عربى بدعوى أنه حاول الهرب بعد أن ألقى القبض عليه بتهمة التشاجر، لكن نية القتل كانت واضحة، إذ كانت الرصاصات موجهة في مقتل في ظهر الشاب العربى.

١- شريف الشوباشي: هل فرنسا عنصرية . إشكالية الهجرة العربية والإسلامية في أوروبا (وكالة الأهرام).

حادثة أخرى أطلق فيها طبّاخ بأحد المطاعم النار من بندقيّة على مجموعة من الشباب العرب فقتل اثنين منهم.

فى حادث آخر بدأت المأساة حين خرج فرنسيان من أحد المنازل فوجدا بعض الشباب يتحدّث بصوت عال، فأخذا يوجهان لهما السباب والإهانات ويهددان بإطلاق كلبيهما الضخم الذى اعتاد -كما صاح أحدهما - على أكل اللحم العربى، ثم استقل الفرنسيان سيارتهما ودهما عن عمد شابا عربيا لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن دفعته السيارة أمامها مسافة ٥٠ مترا..

وفى مدينة ليل انهال ثلاثة من الفرنسيين ضربا على شاب عربى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ضربا ولكما وركلا بمقصورة القطار الذى قاده سوء الحظ إلى الجلوس فيها، ولم يكن الشبان الثلاثة يعرفون الشاب العربى، لكن هذا لم يمنعهم من أن يضربوه ضربا وحشيا قبل أن يلقوا به حيا من شبّاك القطار المسرع ليلقى مصرعه على الفور...

ولم تكن هذه الجرائم هى الوحيدة من نوعها فعدد العرب الذين لقوا حتفهم خلال الثمانينيات نتيجة لاعتداءات عنصرية يقدر بنحو ١٨٠ شخصا، أما الذين تعرضوا للضرب والإهانة بسبب لون جلودهم السمراء واستخدام اللغة العربية بأصوات مرتفعة فيتعدى الآلاف.

ضع فى الاعتبار أن فرنسا نظرا لطبيعتها الخاصة أفضل بكثير من معظم دول الغرب...

وضع فى الاعتبار أن شعوبهم ترى فى شعوبنا ما قرأته على الفور أيها القارئ...

وضع فى الاعتبار أيضا أن تكون نظرة ملوكهم لملوكنا ووزرائهم لوزرائنا ومفكرهم لمفكرينا هى عين عين النظرة..

تعلم إذن أيها القارئ أن أية كلمة تقريظ من أحدهم فى أحدنا ليست وساما تهلل له وسائل الإعلام بل اتهام بالخيانة يجب أن يستقصى حتى يثبت أو يُنفى ...

لعل القارئ ما يزال يذكر تلك الصورة المفزعة للفقير هندي حين تخيلته رمزا للعالم الإسلامى .. ذلك الفقير المسكين الراقد عاريا تحيطه أوساخ لا حصر لها، هيكل عظمى مكسو بجلد مهترئ ، وقد عجز تماما عن أن يحرك حتى أصبعا ليذب الذباب عنه، ولم يقتصر الأمر على ذلك،

فقد مر بالهيكل البشرى المسكين كلب ضال أخذ ينهش من لحمه والرجل عاجز عن الحركة كى يبعد الكلب الشرس عنه..

كنت قد بدأت منذ خمسة أسابيع بالحديث عن مأساة إخوتنا فى كوسوفا وكنت أتمنى المواصلة لكننى وجدت نفسى كأنما أتحدث لغة أجنبية يستطيع القارئ أن يرددها بعد أن يقرأها دون أن يفهم معناها... ثم أن القارئ حتى حين يحاول ترجمة تلك اللغة الأجنبية يجد نفسه لا يتعامل مع لغة حقيقية بل مع لغة مشفرة تعطى المسميات عكس مدلولها فالخيانة تعقل والردة إيمان والهزيمة انتصار والتخلف تقدم والبطش الباطش أزهى عصور الديمقراطية والضعف قوة والانحلال حضارة...

قلت لنفسى أننا لا نستطيع أيضا أن نحل مسائل الهندسة والجبر والحساب إذا كانت معلوماتنا عن جدول الضرب مزقا متناثرة معظمها خطأ... أو كأن تمثالا هائلا قد تحطم إلى شظايا كلما عرضت على الناس شظية منها لم يدركوا إلا أنها قطعة حجر... ثم أن الأفاقين الذين حطموا التمثال لم يكتفوا بذلك بل أهالوا عليه الركام وشوهوا الشظايا وكتبوا عليها معلومات خاطئة.. لم يفعلوها مرة واحدة ولا عشرة ولا مائة بل لا يكفون أبدا.. أبدا.. أبدا..

ثم تذكرت تلك الواقعة التى كانت جديرة بأن أضحك معكم يا قراء عليها لولا أن السخرية هنا منى ومنكم... نحن محل السخرية فلا مجال إلا للبكاء والنواح... كان ذلك الأستاذ الجامعى - الواقعة حقيقية - يحج إلى بيت الله الحرام، وأثناء الطواف حول الكعبة صادف مجموعة من الباكستانيين يرددون الدعاء خلف أحدهم وكان صوت قائد المجموعة جميلا تقيا فتبعه الأستاذ وراح يدعو مع الباكستانيين خلفه وقد ذاب قلبه شجنا وعذوبة إزاء نغمة دعاء لم يكن يفهم معنى كلماته ولا حتى لغته وإن ظن أنها لغة سريرية... كان يدعو معهم : " إينا لا... هاموهى... طنبالك...فيرينا...". وعلقت الجملة من بين مئات الجمل بذهنه فراح يرددها على الدوام فى دعائه وكلماته ردها استعاد الجو الروحى للبيت الحرام فجاشت نفسه واغرورقت عيناه... وظل كذلك حتى رحلة حج تالية... كان تواقا كأشد ما يكون الشوق لترديد نفس الدعاء خلف مجموعة كنتك المجموعة التى عرف منها الدعاء أول مرة... وأحس أنه حقق من الوجود مبتغاه عندما كوفئ على الصبر والانتظار والترقب أمام الكعبة حتى سمع نفس الدعاء يتردد فانطلق رغم الزحام لا يلوى على شئ والتحق بالمجموعة وأخذ يردد الدعاء خلفها تسبقه عبراته فكانما يحتوى هذا الدعاء الطلسم

على قدس الأقداس أو سر اسم الله الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب... بعد الطواف تعرف بقائد المجموعة الباكستانية وتغاهم معه بالإنجليزية وطلب منه أن يترجم تلك الجملة التى خلّبت لبه... لكن الرجل سأله بدهشة: ألسنت عربيا؟ فأجاب الأستاذ: بلى.. فسأله الرجل: إذن لماذا تنطقها مثلنا... نحن ننطقها كذلك لأننا لا نعرف العربية... لذلك نقطع الكلمات إلى مقاطع تسهل النطق علينا، ومعنا ترجمتها باللغة الأردنية.. ونطقنا غير صحيح لأننا ننطق الحاء هاء كما أننا فى كتابتنا للدعاء ونطقنا له نعامل التشكيل كحرف فنكتب المد ألفا والتثوين نونا والكسرة ياء...

فهم الأستاذ أخيرا أن الدعاء الذى خلّب لبه: "إينالا... هاموهى... طنبالكا... فيرينا...." ليس سوى نطق محرف عن: إن الله محيط بالكافرين!!!..

قلت لنفسى أننا نقرأ التاريخ مقطعا بنفس الطريقة وهى طريقة لا يمكن أن تسفر عن أى فهم... قد نتعاطف وقد نتأثر وقد نبكى... لكننا أبدا لا نفهم...

قلت لنفسى أن التاريخ موجود أمامنا تقطعه مناهج التطوير فى وزارات تربيتنا وتعليمنا... ويشوّهه أيضا رؤساء تحرير وصحفيون وكتاب ومفكرون وتليفزيون وإذاعة ومجلات وصحف...

قلت لنفسى أن التاريخ موجود أمامنا لكن حادينا صبيان زويمر ومفسرينا تلاميذ دنلوب أما جنود كرومر فقد أنيط بهم التعامل مع من يريد منا قراءة التاريخ قراءة أخرى.. من يريد أن يقرأ بصورة صحيحة فيقول: إن الله محيط بالكافرين!!!..

المسموح به: "إينالا... هاموهى... طنبالكا... فيرينا....!!! وغير ذلك تأسلم وتحجر وظلام...!!!..

لقد كنت أدرك على وجه ما حجم عملية غسيل المخ التى تمت... حجم التجهيل والتزييف... حجم الثقوب التى ينزف منها الوعي من ثقوب الذاكرة... من أجل ذلك وجدت أننى لا أستطيع الاستمرار دون أن أحاول ربط مشكلة كوسوفا بمشكلة العراق بفلسطين... ثم وجدت أننا لا يمكن أن نفهم ونستوعب ذلك إلا بعد أن نستعيد التاريخ... تاريخ الحروب وتاريخ الفكر كى يقتنع أبناؤنا أننا أبناء حضارة هائلة متفوقة يحطمنا الآن الانكسار لكننا سننهض.

كنت قد وعدت القارئ أن أنشر فى العدد التالى مباشرة الدفاع المجيد الذى خطه يراع الأستاذ محمد يوسف عدس رداً على قيام مراسل الأهرام فى موسكو بعمله التبشيري فى تزييف وعينا ...

لكننى كل أسبوع أدرك أن الخلفية لم تكتمل بعد وأن أى حديث أحاول صبه فى وعى القارئ سيسقط من ثيوب الذاكرة المهترئة بفعل أعدائنا وإعلامنا ...

فى عجالة أرجو أن أعود تفصيلاً إليها...

كانت كوسوفا دولة إسلامية منذ سنة ١٣٨٩م وقد دخل أهلها الإسلام أفواجا لأنها كانت مهددة من الصرب، وحسن إسلامهم وشكلوا إسهما هائلا فى الجيش العثماني وتولوا أرقى المناصب فى الخلافة بل وشغلوا منصب الصدر الأعظم مرتين...

مع تضعف قوة الدولة العثمانية بدأت الدول الكبرى اقتطاع أجزاء من العالم الإسلامى...

وفى حرب البلقان سنة ١٩١٢ حيث حرضت الدول الأوروبية الصرب على النعرات القومية وأجبت ثورة الولايات وأمدتها بالسلاح بالتكاتف مع ضغوط مالية عنيفة من اليهود والدول الكبرى، وأعلنت الخلافة الحرب على اليونان والصرب وبلغاريا ومقدونيا بمساعدة روسيا...

أيامها ... كان موقفنا أفضل من اليوم بكثير... فعندما نشبت الحرب نشأت الجمعيات واللجان فى مصر لجمع التبرعات وعندما انهزمت تركيا بدأت مأساة البوسنة والهرسك وكوسوفا وارتج العالم الإسلامى تعاطفا وحزنا وارتفع صوت شوقي بقصيدة من أروع قصائده يندب فيها مجد الإسلام وقد ذكره تقلص ظله عن شرق أوروبا وقتذاك بضياح سلطانه فى غربها عند ضياح الأندلس ولذلك سمى قصيدته "الأندلس الجديدة"، وتتجاوز المائة بيت مطلعها:

يا أخت أندلس عليك سلام . . . هوت الخلافة عنك والإسلام

وكتب الشاعر أحمد الكاشف قصائد عديدة يقول فى إحداها منددا بالمذابح المروعة التى تمت تحت رعاية الدول الكبرى:

صليبية يا قوم أم عنصرية . . . حروبكم؟ والدين هذا أم الشرك؟

وكتب الشاعر محمد عبد المطلب:

صريف المنايا أم صليل الصوارم؟ . . . وليل الردى أم نقع تلك الملاحم؟

تأمل أيها القارئ .. منذ تسعين عاما تأجج وعى الأمة واشتعل
وجدان الشعراء وجمعت التبرعات ... بعد تسعين عاما لا يكاد يعرف
كوسوفا أحد ... ولم يرث شهداءها شاعر ولا بكت قتلاها عين تأمل
أيها القارئ حجم التجهيل وغسيل المخ.....

تأمل حجم نجاح صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب ... وكم جعلونا نتقدم
إلى الوراء..

تأمل أن ما حدث لكوسوفا أيامها كان مقدمة لما حدث لفلسطين بعد
ذلك ثم للعراق ...

المؤامرة مستمرة ...

نفس الخطة ونفس التفاصيل ...

فانظروا إلى الماضي واقروا ما سوف يحدث لنا غدا

كانت الدولة العثمانية تلم شمل معظم المسلمين ... وكانت الدولة
الصفوية في إيران والدولة المغولية المسلمة في الهند تلم شمل الباقين...
وفى نفس الوقت بدأت الضربات الهائلة للإمبراطوريات الثلاث ... فككوا
الدولة العثمانية إلى ثلاثين دولة هي: رومانيا بلغاريا اليونان البانيا
يوغسلافيا المجر قبرص تشيكوسلوفاكيا مصر الأردن السعودية جيبوتي
الصومال ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا سوريا لبنان العراق
السودان الكويت الإمارات العربية عمان قطر البحرين اليمن فلسطين...
فككوا دولتنا ثم راحوا هم يتوحدون..

لقد كان منطقيا أن ننتقد ونرفض تخلف وظلم وبطش نظام الحكم في
الدولة العثمانية، واضعين في الاعتبار كيف قلب عباد الشيطان الصورة،
لقد تعرضت الدولة العثمانية لنفس القدر من التشويه، وبرغم كل ذلك، حتى
لو صدق ما قالوه، فقد كان على مشاعرنا أن تتوجه ضد ظلم مؤسسة الحكم
لا وحدة الدولة... لأن ما حدث يشبه تماما أن يسوغ لنا اختلافنا وانتقادنا
لنظام الحكم في مصر أن نطالب بتقسيمها إلى دول ...و أن تطالب
المحافظات بالانفصال عن القاهرة...

تاريخهم المجرم الذى تعدل مناهجنا الدراسية كى توافقه يغفل أن تركيا فى مطلع هذا القرن كانت قد أصبحت دولة عربية!! وحتى عهد كمال أتاتورك كان تعدادها ٣٢ مليون نسمة منهم عشرة ملايين عربى وسبعة ملايين ونصف المليون من الأتراك والباقى جنسيات أخرى...أثار الغرب أيامها النعرات القومية مشجعا القومية... ثم سحق القومية رافعا لواء الوطنية... ثم هاهو ذا يسحق الأوطان ...

لقد لعب اليهود- خاصة يهود الدونمة الأتراك^١ - دورا هائلا فى انهيار الدولة العثمانية... وكان من دوافعهم القوية لذلك - بالإضافة إلى الدافع التاريخى- هو إدراكهم أنه لا يمكن الاستيلاء على فلسطين ما دامت الدولة العثمانية قائمة... ولقد كان انفراط الدولة هو أساس الكوارث التى نواجهها الآن فى فلسطين وفى العراق وفى البوسنة والهرسك وكوسوفا ... بقى أن نعرف أن يهود الدونمة هم اليهود الذين ساهموا فى انهيار الأندلس ثم فروا إلى تركيا مستغلين سماحة الإسلام ثم أخذوا ينخرون فيها كالسوس حتى انهارت ...

صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وجنود كرومر سيصرخون متأففين من أى كلمة حق نجرؤ على قولها فى الدولة الإسلامية الواحدة ولهم نقول أن هنالك الكثيرين...منهم مثلا المؤرخ بول كولز (هو أمريكى يا رواد التنوير فقعدوا له ساجدين) يستعملون كلمة العثمانيين بالتبادل مع كلمة المسلمين كمتراذفتين.. !!

سوف نعود بالتفصيل إلى كل ذلك إن شاء الله ... لكننا بهذه الخلفية نكون على مشارف فهم قضية كوسوفا ... فقضية كوسوفا هى مثل ونتيجة وعبرة ومستقبل نراه ... قضية كوسوفا كما نوردنا هنا وليست كما يقولها ذلك الفلسطينى الصربى الهوى أمجد ميقاتى ولا الصحفى جوزيف سماحة ولا سفيرنا هناك هانى خلاف ... فأولئك هم سفراء الأعداء فينا ...

ولنتأمل أيها القارئ فى ذهول كيف تمت مهاجمة وزير الخارجية نفسه على أوسع نطاق فى صحيفة أخبار اليوم بينما أوقفت الأهرام مقالات الكاتب الكبير فهمى هويدى... ليس لمجرد أنه انتقد هانى خلاف بالطبع ... بل لأنه دخل المنطقة المحظورة التى نخوض فيها الآن بمحاولة شرح

١ - راجع: "دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية" إعداد محمد ابراهيم زغروت- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الأبعاد الحقيقية للقضية ... ليس كقضية وضع إنسانى نستنفر له بل لأنها قضية مصير مشترك ...

الأمر ببساطة أن الأخبار حين هاجمت وزير الخارجية لم تخرج عن السياق المسموح به أما فهمى هويدى فقد خرق تعاليم زويمر ... لذلك كان يجب أن يوقف ...

نحن الآن على مشارف قضية كوسوفا ... البلد الإسلامى الذى كان وضعه فى الدولة الإسلامية كموقع مصر وفلسطين والعراق والكويت ... كوسوفا التى لم تكن قبل الإسلام صربية بل كانوا هم أصل المنطقة ثم ورد عليهم الصرب البرابرة واحتلوا بلادهم ولم يكتفوا فيها أكثر من مائتى عام عبر التاريخ ... تماما كما حدث من اليهود فى فلسطين ..

نفس الوقائع ... حدثت وتحدث وستحدث

فلنقرأ معا أنشودة "إكليل الجبل" التى تعتبر نشيدا لتلاميذ الصرب :
سلك المسلمون طريق الشيطان .. دنسوا الأرض ... ملئوها رجسا ... فلنعد للأرض خصوبتها .. ولنطهرها من تلك الأوساخ ... ولنصبق على القرآن ... وليطر رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدا ... فليذهب غير مأسوف عليه " ...

إنه ليس موقف تلاميذ الصرب بل موقف الغرب كله ... والضحايا ليسوا مسلمى كوسوفا بل المسلمين جميعا ...

إن موقفنا اليوم ليس مجرد خيانة للدولة الإسلامية ... ولا للقومية ولا حتى للأوطان .. ليس خيانة لفلسطين أو العراق أو كوسوفا أو حتى مصر ...

إنه خيانة لأنفسنا .. لديننا .. وخيانة لله !....!

هوى غربى؟ .. أم استكبار غبى؟! ..

هذا حديث ثقيل الوطأة على قارئه وعلى كاتبه...
 إذ أننى وأنا أكتب لكم لا أعرف من أين أبدا ولا كيف أنتهى
 فالمتاح من الصحيفة بعض صفحة، يقرأ بعضها بعض القراء ...
 والمتاح فى الكتاب بضع مئات من الصفحات يقرأها عدد أقل بكثير
 ممن يقرءون الصحف..
 فهل أستطيع فى هذا البعض من البعض أو البضع أن أنقل لكم أنباء
 فتن كقطع الليل المبهم تعاقبت علينا قرونا تلو قرون ...
 فتن تدع الحليم حيران إن كان ما يزال فينا حليم ...
 هل أستطيع فى بعض ساعة أن أنقل لكم خيبة قرون وقرون؟...
 عجز قرون وقرون ...
 هل أستطيع أن أمارس بعض تلك الممارسات التى يختلط فيها العبث
 بالفن بالخرافة ، كأن أكتب المصحف كله على حبة أرز، أو التاريخ على
 حبة قمح ، أو أن أملأ الأنهار بدمع العين؟!..
 هل يمكن أن أختزل لك التاريخ فى صفحة أو مائة صفحة أو حتى
 ألف صفحة؟!..
 وليتنى كنت أسرد لكم التاريخ على عقل خلى... يستطيع الاستيعاب
 والتزود بالمعرفة دون عائق ... لكننى إذ أقول ما أقول أواجه فى عقولكم
 وذكرياتكم ضده وعكسه... أواجه البرنامج التعليمى الذى وضع أسسه
 دنلوب وما زال ولاية أمورنا يطورونه ويعدلونه فى اتجاه تعاليم دنلوب...
 وهذا يشبه أيها القارئ أن تجعل من إبراهيم عبد الهادى هو المرجع لك
 عن الإمام حسن البنا ... أو من عبد العظيم رمضان مؤرخا وحيدا لجمال
 عبد الناصر... أو فؤاد علام فيصلا فى الحكم على الإخوان المسلمين ...
 أو من سعد الدين إبراهيم مؤرخا للوطنية أو من اعتماد خورشيد مقياسا
 وحيدا للصدق والشرف فى التاريخ.
 التاريخ الذى درسناه فى المدارس إذن خطأ رغم أن المفردات قد
 يكون بعضها صحيح... تماما كتلاوة الدعاء فى الطواف: " إني لا هاموهى
 طلبكا فبرينا " بدلا من إن الله محيط بالكافرين ..

خطأ قراءة التاريخ هذا ليس مجرد خطأ بسيط حدث مرة وانقطع بل هو تاريخ تكرسه كل يوم أجهزة إعلامنا وصحفنا...
صحفنا ...

صحفنا نحن

كان السفير السابق يهاتفني معلقا على مقالاتي متشكيا أنه يقرأ معظمها بدموعه لأنني أقلب في الجرح العاري... صرخ في ألم : أنتم لا ترون الوجه الآخر لبعض الصحفيين والصحف ... لا ترون أكياس الذهب التي تحدد الاتجاهات وتغير الاقتناعات وتوجه المواقف وتعيد صياغة التاريخ ... أنتم لا ترون بعضهم على أبواب السفارات وهم يعيدون بعضا من تراث ردىء لبعض من شعرائنا القدامى حينما كانوا يقفون على أبواب السلاطين كشحاذين فإذا نالوا المكافأة تدفقت قصائد المديح أما إذا لم ينالوها انطلق الهجاء كأقذع ما يكون ...

بهذه الطرق يتم تزوير التاريخ ...
والتاريخ ذاكرة أى أمة ...

فإذا فقدت الذاكرة كانت كشخص يواجه العالم وهو لا يعرف من هو ولا من أين أتى ولا أين يذهب ... فكيف يمكن إذن بالله عليكم أن يقوم وأن ينتصر ...

للكاتبة المبدعة صافيناز كاظم تعبير مستمد من تكنولوجيا القنوات الفضائية، وبرغم أنني لا أوافقها فإن التعبير طريف، تقول أنها عندما تفقد الثقة فى شخص أو اتجاه فإنها تقوم " بتشفيره " وهى تعنى أنها تجعله كذلك القنوات التلفزيونية الفضائية التى لا يمكن مشاهدتها إلا بجهاز فك الشفرة الخاص بها، وأنا أرى يا إخوانى أن تاريخنا قد تم تشفيره... ومن أكثر الفترات التى تم تشفيرها فترة الخلافة العثمانية... لأنها من أخطر الفترات فى تاريخنا ... ففي عهدها أحس الغرب للمرة الأولى بإمكانية أن يتلاشى نهائيا من الوجود أمام هجماتها الصاعقة.. لقد هُزم مرات عديدة أمام الأمويين والعباسيين لكنها كانت هزائم معارك كبرى ولم تكن خسارة نهائية لحرب ينعدم بعدها وجوده.. مع العثمانيين أحس بهذا الإحساس وروّعه ذلك الهاجس.. قبل ذلك أيضا حقق الغرب بعض انتصارات على المسلمين.. لكنها لم تكن أبدا بحجم الانتصار الذى حققه على الدولة العثمانية فى النهاية.. كانت المرة الأولى فى التاريخ التى ينتصر فيها الغرب على دولتنا الإسلامية انتصارا شاملا ... فى بدايات القرن السادس عشر... أدرك الغرب بصورة نهائية أنه لا يمكن هزيمة المسلمين بالمواجهة، وبدعوا فى الالتفاف والغزو الفكرى...

دعوني أصارحكم ... أننى من أشد الناس نقمة على معظم حكام الدولة العثمانية ... فأدأؤهم الردىء هو الذى أوصلنا إلى ما صرنا إليه...
ودعوني أصارحكم أنها لم تكن الدولة الإسلامية بل كانت دولة المسلمين ...

فعلى الأقل ليس فى الإسلام حكم يورث

لم يكن خلفاء بنى عثمان إذن نماذج للخليفة المسلم ... ولم تكن خلافة إسلامية لكنها كانت دولة للمسلمين يمكن تطويرها حتى تعود خلافة كالخلافة الأولى ... إلا أننى برغم نقمتى على خلفاء بنى عثمان أرى أن الظلم الذى شوه سمعتهم فى التاريخ قل أن يوجد له نظير ، كان منهم الصالح والطالح ... لكن شياطين الغرب جعلوا منهم غيلانا مفترسة ونموذجاً للطغيان والتخلف والقهر... ولم يكونوا كذلك .. بل كانوا على الرغم من كل عيوبهم أفضل بكثير من كل أقرانهم فى العالم ... شياطين الغرب المغرمون بالإحصاء لم يقدموا لنا على سبيل المثال إحصائية بعدد ضحايا المصريين تحت الحكم العثماني فى أربعة قرون وعدد ضحايانا فى ثلاث سنوات من الغزو الفرنسى ... شياطين الغرب الذين مزقوا كل ممزق سمعة كل خلفاء بنى عثمان رفعوا إلى عنان السماء الزنديق كمال أتاتورك تماماً كما جعلوا من المنشق الكوسوفى اسكندر بيه بطلا عالميا اعترفت به الكنيسة رغم أنه مسلم لمجرد أنه انشق على الدولة العثمانية...

دعوني أذكركم يا قراء مرة أخرى أنهم فى الغرب كانوا يستعملون كلمات : الإسلامية والعثمانية والتركية كمترادفات ومسميات مختلفة لمعنى واحد ...^١

١- صحوة الرجل المريض، موفق بنى المرجة، مؤسسة صقر الخليج، الكويت- ثورة العرب ضد الأتراك مؤلف مجهول) دار التضامن، بيروت- السلطان عبد الحميد الثانى والخلافة العثمانية، أنور الجنيدى، مكتبة السنة، القاهرة- والدى السلطان عبد الحميد الثانى، مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوعلى، دار البشير، بيروت- تاريخ الدولة العثمانية، د. على حسون، المكتب الإسلامى- الإمبراطورية العثمانية، سعيد أحمد برجوى، الأهلية للنشر والتوزيع السلطان عبد الحميد الثانى، ميم كامل أوكى، الزهراء للإعلام العربى- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد إهامى، دار الجليل بيروت- الفتح العثماني للشام ومصر، دكتور أحمد فؤاد متولى، الزهراء للإعلام العربى- أخبار الدولة السلجوقية، صدر الدين الحسينى، دار الآفاق الجديدة، بيروت- سقوط الدولة العثمانية، مجدى الصافورى، دار الصحوة للنشر- جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان للنشر والتوزيع- السلطان محمد الفاتح، الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى، دار القلم، دمشق.

دعونى أنبهكم يا قراء أن هذا الهجوم المروع الرهيب على الدولة العثمانية وتجهيل تاريخها لا يعود إلى أحقاد الماضى فقط بل إن المخطط الذى اتبع لهدم الدولة العثمانية هو ذات المخطط المتبع الآن لهدم جميع الدول الإسلامية ... لذا لزم التجهيل والتشهير ... أن تكون أية محاولة لدراسة جادة منصفة تعنى أنك متخلف وجاهل وبدائى...

المطلوب ألا ننظر ... لأننا لو نظرنا فسوف نرى لا مجرد ما حدث بل ما يحدث لنا الآن ...

فى هذا الإطار فإن كوسوفا تصبح مجرد نمط على ما نريد أن نقول...

كل شعوب الدنيا تعيش داخل حدود بلادها أما الشعب الألبانى فهو يعيش حول بلاده: تخيلوا أن الأعداء قد أحاطوا بمصر من كل جانب وأخذوا كل حقبة من الزمن يقطعون جزءا منها ويضمونه إلى بلادهم وكل حقبة يتقلص حجم مصر حتى لا يتبقى قى النهاية سوى القاهرة التى يطلق عليها مصر ... ساعتها لن يكون الشعب المصرى موجودا فى مصر بل يحيطها من جميع الجهات... وهذا بالضبط وضع الشعب الألبانى ...

يرجع التاريخ الألبانى إلى آلاف الأعوام قبل الميلاد ... والاسم يرجع إلى جبال الألب... وكان اسمها داردانيا القديمة ... وفى عام ١٦٨ قبل الميلاد وبعد معركة بيندا خضعت المنطقة للاحتلال الرومانى...

ظلت البلاد تنفتت وتتجمع كوحدات إدارية مختلفة حتى القرن السابع الميلادى حين استدعى الإمبراطور قسطنطين الصرب لمقاومة هجوم برابرة الشمال على حدود الإمبراطورية... وحتى ذلك الوجود الطارئ للصرب لم يمتد إلى الأراضى الألبانية وإنما اقتصر على ما يعرف الآن بصربيا ... لم يدخلوا إلى ألبانيا أو كوسوفا ...

فى القرن التاسع الميلادى احتلت بلغاريا المنطقة ... ومنذ ذلك الحين أخذ البلغار والدولة البيزنطية يتبادلان احتلال المنطقة بصورة متقطعة ... لم يبدأ دخول الصرب إلى ألبانيا أو كوسوفا إلا فى أواخر القرن الثانى عشر... واستمر الاحتلال فترة تقل عن قرنين ... من هذين القرنين ٢٤ عاما هى فترة مجد الإمبراطورية الصربية... ويرى بعض المؤرخين أن

هدف الصرب كان الاستيلاء على القسطنطينية ليحلوا محل الإمبراطورية الرومانية الغربية ، ففي عهد دوشان الكبير (١٣٣١ - ١٣٥٥) تحولت الدولة الصربية إلى إمبراطورية وتسمى الإمبراطور باسم " الإمبراطور والحاكم المطلق للصرب واليونان والبلغار والألبان " ... وأنهم كانوا على وشك النجاح لولا بروز قوة العثمانيين ... ووئدت أحلام الصرب تماما بعد معركة كوسوفا سنة ١٣٨٩ ... حيث جردت هذه المعركة نهاية الدولة الصربية ..

بعد ذلك التاريخ أصبحت المنطقة كلها تحت سيطرة الدولة العثمانية ... ولقد حفزت هذه المعركة باستمرار روح الانتقام عند الصرب ... وعندما أعاد سلوبودان ميلوسيفتش احتلال كوسوفا عام ١٩٨٩ صرخ : أخيرا انتصرت صربيا واستعادت كوسوفو ...

منذ عام ١٣٨٩ كانت كوسوفا وما زالت بلدا مسلما يقطنها أهلها الأصليون ...

ثم كانت بداية المأساة في الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨ والتي شاركت فيها صربيا إلى جانب روسيا القيصرية، ووصلت الجيوش الروسية فيها إلى مسافة عشرة كيلومترات من اسطنبول، مهددة باحتلالها وإعادة مسجد أيا صوفيا إلى كنيسة إرثوزكسية، تدخلت الدول الكبرى ليس حفاظا على الدولة الإسلامية بل اختلافا على تقسيمها وعقد مؤتمر برلين برعاية بسمارك وانتهى باقتطاع صربيا من الدولة العثمانية : (اقرءوها كما يقرأها الخواجات : الدولة الإسلامية) ... وفي نفس الفترة كانت النمسا قد احتلت البوسنة والهرسك وإن لم تلغ تبعيتها للدولة الإسلامية ...

في ذلك الوقت أخذت الدول الكبرى تشجع الحركات القومية في شعوب الدولة العثمانية، وتحبذ استقلال القوميات وكانت تضرب ضربات المعاول الأخيرة في الدولة العثمانية : شجعت الدول العربية ودول البلقان والأكراد ... ولاحظ أيها القارئ أن المؤامرة واحدة هنا وهناك ، ومن الطبيعي إذن أن النتيجة ستكون واحدة هنا وهناك ...

ابتلعنا الطعم كما نبتلعه الآن ... فبعد نيف وثلاثين عاما من حرب العصابات تضعضعت فيها الخلافة وكوسوفا وألبانيا نجح الألبان في

كوسوفا فى الحصول على حق الحكم الذاتى سنة ١٩١٢.. ومنذ ذلك الوقت.. منذ حصولهم على الاستقلال لم يحكموا أنفسهم أبدا..

لقد استجابوا لنصائح التقدم والاستنارة والتنوير وخلعوا رداء التأسلم بعد أن أفنعهم الغرب أن انتماءهم للدولة الإسلامية سر تخلفهم.....

اقتنعوا كما اقتنع العرب وبدلا من أن توجه الجهود إصلاح الحكم الفاسد وجهوه لهدم الدولة ... هم ونحن ... وكانت النتيجة واحدة ...

لقد كسروا ألف دولتهم الأم غافلين أنه شركّ وهلاك...

كانوا يستحقون آنذاك تهنئة الدول الكبرى وتعزيدهم ... ولقد حصلوا على ضماناتها بضمان استقلالهم وعدم الاعتداء عليهم ... لكن : لا التهنئة جاءت ولا الضمانات جاءت ولا التعزيد جاء ... جاء بدلا منها جحافل القوات الصربية ...

فبعد عدة أسابيع من الحكم الذاتى الذى حصلوا عليه بعد ثلاثين عاما من النضال احتلت صربيا كوسوفا .. عدة أسابيع فقط ... بل وتقدمت أيضا لاحتلال ألبانيا أيضا ولم تتسحب منها إلا بتهديد الدول الكبرى بالتدخل العسكرى ليس من أجل ألبانيا بل خوفا من اختلال ميزان القوى بينهم...

بدأت المقاومة الألبانية واستمرت ... ومع بداية الحرب العالمية الأولى احتلت النمسا كوسوفا..

وفى عام ١٩١٨ بعد الحرب العالمية الأولى تم إنشاء مملكة يوغسلافيا فضمت كوسوفا إليها وحاول الصرب المستحيل لتغيير التركيبة السكانية حيث استهدفوا بالقتل والقهر والترويع والإذلال والخيانة والحيلة تهجير أصحاب البلاد المسلمين إلى ألبانيا وتركيا...

فى سنة ١٩٢٨ توج أحمد زوغو نفسه ملكا للألبان (وليس لألبانيا) واستمر النزاع بينه وبين المملكة اليوغسلافية لتحرير كوسوفا حتى بدايات الحرب العالمية الثانية حيث طرد من ألبانيا وجاء إلى مصر ليغادرها بعد الثورة..

فى الحرب العالمية الثانية انهارت يوغسلافيا (أبريل ١٩٤١) نتيجة للهجوم الألماني وتم تكوين مملكة ألبانيا الكبرى وعادت كوسوفا لتكون جزءا منها ولكن تحت احتلال من قوات المحور..

وحتى ١٩٤٤ كان معظم كوسوفا جزءا من ألبانيا... سنة ١٩٤٥ استولت قوات تيتو على كوسوفا وضمتها إلى صربيا مع حكم ذاتي ووعود من الدول الكبرى ومن تيتو بحق تقرير المصير.. وعندما أجرى تصويت اختار أهل كوسوفا الانضمام إلى ألبانيا لكن الدول الكبرى فرضت عليهم - رغم الوعود المتكررة - الانضمام إلى الاتحاد اليوغسلافي... وكانت شخصية تيتو القوية وراء هدوء نسبي في الأوضاع وتحولت كوسوفا إلى كيان فيدرالي داخل الجمهورية اليوغسلافية تخلله نضال مستمر واضطهاد مستمر وتشريد وقتل وتعذيب أسفر في النهاية عن دستور ١٩٧٤ الذي أعطى كوسوفا مزيدا من الحقوق...

استمر الاتحاد حوالى أربعين عاما ...

بعد موت تيتو في ١٩٨٠ اندلعت المظاهرات تطالب بالاستقلال التام..

أعاد ميلوسيفيتش احتلال كوسوفا عام ١٩٨٩ فأعلنت كوسوفا إنشاء جمهورية مستقلة...

كنت أريد أن أعرض على القراء نماذج مما تكتبه صحفنا عن مأساة كوسوفا ...

كنت أريد أن أعرض عليكم كيف يضل العقل وتخون الروح وينعدم الضمير ...

كنت أريد أن أعرض عليكم نماذج من الأكاذيب ...

لكنني فجأة اكتشفت أن في أكاذيبهم ما يستحق الاحترام ...

والله أقولها حقا وصدقا لا سخرية ولا تورية ...

ففي كذبهم ما يشي أن لديهم بقية من حياء ...

والاعتراف بالحق والصدق في مثل أحوالهم ليس فضيلة بل فضيحة...

والزانية إذا اعترفت بالزنا فإن عليها أن تتوب أما إن لم تكن تتوب التوبة فإن عليها - حفاظا على مظهر الاحترام لا جوهره - ألا تعترف ...

أفهم إذن لماذا لا تقول الصحف أو النخبة الحقيقية ... أفهم ...

لذلك سأكتفى بما أورده الأستاذ محمد يوسف عدس^١ فى كتابه القيم الذى يواجه فيه الضلالات ...

ولتنتبه معى يا عزيزى القارئ أنه يقتصر فى تناوله على الأهرام ... أفضل الصحف القومية وأكثرها وقارا ... لم يواجه الرجل الأخبار ولا أخبار اليوم ولا المساء ولا روز اليوسف ... بل الأهرام ...

سننتقل على الفور إلى حديثه ... ولكننى قبلها أريد من القارئ أن يستفيد من عبر التاريخ وأن يدرك أن وضع مصر مثل وضع كوسوفا !! الفارق فقط فى الزمن ... وعمما قريب سيأتى من يقول لنا أن المسلمين فى مصر منحدرون من أصل عربى وأن عليهم أن يعودوا من حيث أتوا ... لن نفيدنا أعدادنا فالمسلمون فى كوسوفا ٩٠% ولن يفيدنا سبعة آلاف عام من التاريخ كنا فيها هنا فاهل كوسوفا فيها منذ خمسة آلاف عام ... وسيأتى ذات يوم من يقول أن للرومان أو الإنجليز مقدسات فى مصر وأن ارتباطهم بها مقدس وعلى أهلها الهجرة أو الموت ...

هل تستغربون يا قراء ما أقول؟!

لقد حدث ذلك لكوسوفا التى لا تعرفونها ...

وحدث للأندلس التى نسيتموها ...

وحدث لفلسطين ...

وسوف يحدث لكم ...

ويومها قد تكتب صحف فى بلاد بعيدة قد تكون مازالت مسلمة عن المصريين أصحاب البلاد الأصليين والمصريين المنحدرين من أصل عربى

أريد أن أقول أيضا أننا نكرر بنمطية فاجعة ما فعلته الدولة العثمانية وما أدى فى النهاية إلى انهيارها ... نحن نتنازل كل يوم عن حق من حقوقنا كى ننفذ الباقي فلا نحن احتفظنا بما ضحينا به ولا نحن أنفدنا الباقي... ثم أن الغرب لم يف بمعاهدة ولم ينفذ وعدا قط ... على الإطلاق... وفى كل مرة يضغط علينا بأنه التنازل الأخير الذى سيأتى بعده السلام والخير ويتوقف بعده الإرهاب والترويع ... فنتنازل إيثارا للسلامة

١- كوسوفا: مرجع سابق.

لا للسلام ... وبمجرد أن نتنازل ينسى الغرب كل عهوده ليطالبنا بتنازل آخر فيدفعنا إلى وضع المقامر الخاسر الذى يحاول المستحيل كى يستعيد جزءا مما فقد فيرهن بيته بل وحتى زوجته وأهله ... لكن ذلك لا يمنع الخراب عنه ...

فلا يكون أمامه فى النهاية إلا أن يبيع نفسه عبدا أو يلجأ إلى الانتحار...

هل أنا مخطئ أيها القراء حين أقول لكم أنهم يمارسون السياسة فى بلادنا بنفس طريقة هذا المقامر؟!
هل أنا مخطئ؟؟!!...

نعود إلى كوسوفا ... مرآة الماضى التى نرى فيها المستقبل ..

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس: لاحظت خلال متابعتى أخبار كوسوفا أن وسائل الإعلام العربية تردد كاللبغاء ما يذاع عن هذه القضية فى وسائل الإعلام الغربية دون تمحيص ، وتوحى طريقة عرض هذه الأخبار والمصطلحات المستخدمة فيها أن القضية غير مفهومة على الوجه الصحيح ، وبالتالي تسهم وسائل الإعلام عندنا فى صياغة الإدراك العربى لقضية كوسوفا صياغة خاطئة مثلا عند الحديث عن الشعب المسلم فى كوسوفا يتردد على مسامعنا عبارة (السكان المنحدرون من أصل ألبانى) و: (ذوو الأصول الألبانية) ، وعند الحديث عن المقاومة الوطنية أو عن جيش تحرير كوسوفا نسمع أوصاف التمرد والمتمردين والانفصاليين . بهذه الأوصاف تبدو وسائل إعلامنا وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التى تعتبر كوسوفا جزءا من صربيا وأن الحركة الوطنية فى كوسوفا إنما هى مجرد حركة تمرد ورغبة فى الانفصال غير مشروعة مع الإبقاء أن الشعب الأصل فى كوسوفا هم الصرب وأما ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيالم يكن كل هذا مفاجأة لى فوسائل إعلامنا الرسمية ضعيفة لا تبذل أى جهد فى فهم القضايا المعقدة كتلك التى تجرى أحداثها فى البلقان ولكن ما أزعجنى حقا هو اللّهُافَت الذى تسقط فيه بعض صحفنا

الكبرى عندما تطرح على صفحاتها عرضاً لقضية كوسوفا مليئاً بالأخطاء منحرفاً عن الفهم الصحيح للقضية وأبعادها السياسية والتاريخية. وقعت على شئ من هذا فى تقرير لمراسل صحفى لصحيفة الأهرام أنقل فيما يلى أهم فقرة فيه معتذراً للقارئ - مسبقاً - على ركافة أسلوبها: (إن قبول المطالبة باستقلال كوسوفا وتأسيس جمهورية بها تحت ضربات جيش تحرير وكوسوفا وهجمات على السلطة التنفيذية الصربية فى كوسوفا ما يبدد الرصيد التاريخى وحقهم الروحى فى الإقليم ، لأن فيها كانت الإراصات الأولى والآثار الدالة على الموروث التاريخى الصربى السلافى ، فالمؤرخون يعرفون كوسوفا ب (قلب وطن الأجداد) إضافة إلى أن فيها مقر الكاتدرائية الأرثوذكسية الروسية (لعله يقصد الصربية) وأن التطلع الروحى للصرب السلاف الأرثوذكسى صوب كوسوفا لا يتراجع أمام الواقع (؟). إن كوسوفا الآن بعد عقود من الغزو العثمانى لصربيا قد تغيرت ديموجرافيا سكانيا وحل محل الصرب السابقين الذين هجروها مؤطّلون البان مُسلّمون وأصبحوا أغلبية بها - ولا تنسى فى هذا السبب (لعله يقصد الصدد) أن والد ميلوسيفتش كان قسيساً إرثوذكسياً ...

هذه الفقرة صورة مختصرة طبق الأصل من المزاعم الصربية التى لم يكلف صاحب (رسالة موسكو) نفسه أى جهد للتحقق من صحتها بل نقلها نقلاً آلياً دون تفكير ، وأهم هذه المزاعم ثلاثة هى :

- ١ - إن كوسوفا هى مهد الصرب .
- ٢ - وأنها حقهم التاريخى والروحى لوجود كنيستهم المقدسة بها.
- ٣ - أن سكان كوسوفا المسلمين قد جلبهم العثمانيون الغزاة من البانيا بعد أن قاموا بطرد الصرب منها .

وسأذكرى إن جميع هذه المزاعم أكاذيب كبيرة لا سند لها من التاريخ ولكن هناك فرية صغيرة نود أن نزيحها أولاً من الطريق وهى إن (والد ميلوسيفتش كان قسيساً) ، ولعل صاحب الرسالة يريد أن ينبهنا إلى أن سر شراسة ميلوسيفتش فى مواجهته للمعركة الوطنىة فى كوسوفا تكمن فى

قوة الدافع الدينى عنده ، فى حين أن الذين عرفوا ميلوسيفيتش عن قرب وكتبوا عن حياته يعلمون أنه كان شيوعيا ملحدا ، وأن أباه لم يكن قسيسا فى يوم من الأيام ، وإثما تقدم لوظيفة قسيس فى مسقط رأسه بالجبل الأسود ولكنه فشل فى الحصول على الوظيفة ، وكانت أسباب فشله مثار سخرية أهل البلدة، سخرية لم يُسْتَطْعَ عقل الرجل أن يتحمّلها فأصيب بانهيار وفر إلى شعاب الجبال يتحدث إلى الصُخُور والأشباح حتى انتهى به الأمر إلى الانتحار . تدين ميلوسيفيتش إذن فرية فهو لا يعبد إلا نفسه ومطامعه ، ولا يؤمن إلا بالبطش ولا تتفتح عبقريته وتزدهر إلا فى صَنَاعَةِ الكَوَارِث وتدبير المذابح الوحشية ، فعلها من قبل فى ألبوسنة ويفعلها الآن فى كوسوفا .

ويواصل محمد يوسف عدس :

تتحدث (رسالة موسكو) عن استحالة قبول الصرب باستقلال كوسوفا كأنها لم تكن كيانا سياسيا مستقلا قبل أن يقوم ميلوسيفيتش بمؤامراته الشهيرة على دستور يوغسلافيا منذ ثمانية أعوام فقط ، لم تكن كوسوفا جزءا من صربيا بل جزءا شرعيا من يوغسلافيا تيتو منذ سنة ١٩٤٦ وقد جاء دَسْتُورُ سَنَةِ ١٩٧٤ ليؤكد وضع كوسوفا كيانا سياسيا فى حدودها التاريخية الثابتة ، لها صلاحيات وسلطات مساوية للجمهوريات الأخرى التى كان يتألف منها الاتحاد اليوغسلافى حتى انفرط عقده سنة ١٩٩١ ، كانت كوسوفا مُثَلَّة فى رئاسة دولة يوغسلافيا على نفس المستوى للجمهوريات الأخرى بما فى ذلك صربيا ، وكانت لها حكومة محلية وبرلمان ، وكانت لها إذاعتها وتلفازها الخاص الناطق بلغتها الألبانية ، وكانت اللغة الألبانية فى جامعتها ومدارسها وكانت لها صحافتها المنشورة باللغة الألبانية ، كما كان لها قوة شرطة خاصة بها وقوة عسكرية محلية ، وأوشكت كوسوفا فى عهد تيتو أن تحصل على الوضع الجمهورى فى دستور يوغسلافيا لولا المعارضة الصربية لهذا الاتجاه ، مما جعل تيتو يرجئ الموضوع .

المهم إن كوسوفا لم تكن جزءا من صربيا إلا بعد إن ألغى ميلوسيفتش
الدستور الفيدرالى وقضى على استقلالها وفرض عليها الأحكام العسكرية
بقوة السلاح منذ سنة ١٩٨٩ .

سوف نواصل فى المقال القدم بإذن الله كيف فضح المستشار محمد
يوسف عدس الأكاذيب وكيف كشف العورات ...

و إننى أذكر القارئ مرة أخرى أننا نواجه الأهرام

لم نتعرض لما نشرته صحفنا الأخرى عن كوسوفا ... لم نتعرض ...
ولن نتعرض ... لأن للطاقة الإنسانية مدى من الانسحاق لا تستطيع أن
تنسحق بعده ... والألم حين يزيد يصل إلى مرحلة معينة لا يزيد بعدها
الإحساس به ...

بل ينعدم الإحساس ...

لنغرق فى الغيوبة ...

هل نعوى كلاب الصحراء بلا جدوى؟!!

انتظري كوسوفا ...

أنت تعانيين منذ مائة عام ... وازداد عناؤك منذ بضعة أعوام فلن يضيرك الانتظار ...

انتظري كوسوفا ... واصبري وادفعي من دمك وأشلاء أبنائك اليوم الثمن الذى سندفعه نحن غدا ...

انتظري كوسوفا ... فلا أحد - ولا حتى أنا- ينتظر أن يكون لحديثي عنك أى فائدة فى الحاضر ...

لقد كنت أرنو إلى المستقبل بعين حزينة ... ولم أرجُ أو أطمح إلى أن نساعدك يا كوسوفا أو أن ننجذك ... فأنا أعلم أننا أضعف بكثير ... لكننى كنت أرجو أن نستبقى لأنفسنا بعض شرف حين ينظر أحفادنا إلى تاريخنا علهم لا يرون فينا ذلك الموقف الذليل ... موقف الشقيق الأكبر الذى يرى إخوته يُقتلون وشقيقاته يُغتصبين فيتظاهر أمام الناس أنهم ليسوا إخوانه ولا شقيقاته كى لا يتورط فى مساعدتهن وغوثنهن ونجدتهن ... وحتى لو لم يكونوا لحمه الحى فإن مفهوم الإنسان المجرد المطلق كان قمينا بدفعنا لاتخاذ موقف آخر غير الذى نتخذه الآن ...

انتظري يا كوسوفا أيضا - تحت ستار صمتنا المهين - التهديدات التى لا تتوقف من حلف الناتو بغوث لا يجئ ... وقارنى ما يحدث لك بما يحدث للعراق وفلسطين وما يحدث لك ... وبمنطق محايد مجرد على موجات النظام العالمى الجديد لا على موجات القرآن ولا الإسلام ولا حتى على موجات القيم المجردة فإن ما فعله الصرب معك هو ما فعله الصهاينة بفلسطين وما فعله العراق بالكويت : الاستيلاء والضم ... فانتظري رد الفعل هنا وهناك ... إسرائيل تكرم وتعضد والصرب تغمض الأعين عنهم أما فلسطين فقد حنطت قضيتها أما العراق فيسحق ويذبح كل يوم ... قارنى يا كوسوفا واكتشفي تلك الحقيقة المخزية: أن النظام العالمى الجديد مضبوط على أن يكون الضحايا دائما مسلمون ...

انتظري يا كوسوفا ... وسوف أعود إليك فى مقال قادم لأحكي للقراء كيف قامت أكبر صحفنا وأكثرها وقارا بتشويه قضيتك جاهلة أو متجاهلة أنها قضيتنا ... سوف أعود لك يا كوسوفا لأعرض كيف فند الأستاذ محمد يوسف عدس أباطيل مراسلى الأهرام ... الأهرام التى وصفها العلامة محمود شاكر بأن كل مسلم فى أرجاء العالم يرى القرآن كتابه، ويرى أدب العرب أدبه، ويرى الأهرام صحيفته!!..

فانتظري يا كوسوفا إذن فالداهية دهياء والمصائب عمياء ولتستمع معى إلى مكالمات القراء ... إلى ألم وعذاب لا يوصف...

كان ثمة قارئ من أسبوط يصرخ :

هل قرأت ما كتبتة الأهرام اليوم عن تصريحات وزير الدفاع الأمريكى اليهودى كوهين ... إن لم تكن قد قرأت فاسمع : " إن ما تقوم به الطائرات الأمريكية مجرد رد فعل دفاعى لما تقوم به العراق (...) إننا نشعر بالقلق أيضا تجاه إيران ونطالبها بنبذ الإرهاب وعدم معارضة عملية السلام فى الشرق الأوسط وعدم السعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل ... " ...

قطع القارئ قراءته بصرخة داوية :

- لم يبصق أحد فى وجه الصهيونى الأمريكى ولم يطرده من بلاده أحد ولم يقل له أحد أنه وضع كلمة الإرهاب مكان كلمة الإسلام وأنهم لن يرضوا عنا حتى نبذ الإسلام ونستسلم لإسرائيل ونترك لها فى سعادة وحبور قصب السبق النووى وكل أسلحة الدمار الشامل ... لقد عاملوه بالتقديس والاحترام فكأنما أمريكا هى الله وكوهين رسوله ... بل إننا لم نشهد أبدا منهم طاعة واستسلاما لله كذلك الذى يحملونه لأمريكا ولا احتراما لرسول الله كذلك الذى أبدوه لكوهين ... كأنه ما ينطق عن الهوى وكأنما إنكار رسالته سيفتح علينا أبواب الجحيم ... لم يبصق أحد فى وجهه وما طرده أحد ... بل إن بقية الصفحة فى نفس الصحيفة كانت تتحدث عن مكافآت كوهين بإبرام صفقة بأسلحة قيمتها أكثر من عشرة مليار جنيه ... سوف يرسلون إلينا هذه الأسلحة ليدمروها إذا حاولنا استعمالها للدفاع عن أرضنا كما يفعلون مع العراق ...

كان القارئ الآخر يصرخ على الهاتف فى غضب :

- دعنا من الإسلام والعروبة والشرف والشهامة والنخوة ... دعنا من كل ذلك وفسر لى موقفنا ... لماذا نبذوا فى صف الصرب وضد الألبان ...

أو على الأقل نتجاهل الأمر برمته ... لو أن الصرب كانوا متميزين في أى شئ لالتمست لأولى الأمر عندنا عذرا ... لو أنهم كانوا متميزين مثلا في الصناعة والتصدير إلينا ... أو أنهم كانوا سوقا يستورد منا ... أو أن خلفيتهم الثقافية تجعلهم بشرا متميزين ... كل ذلك غير صحيح ... إنهم متخلفون مثلنا لا يصدرون إلينا ولا يستوردون منا ... وعلى المستوى الإنسانى يسمونهم هناك خنازير أوروبا ... فلماذا إذن هذا الموقف المنحاز منا إليهم على حساب الألبان المسلمين ... لا يوجد سوى مبرر واحد ... هو أن الألبان مسلمون وأنا ضد الإسلام كمسألة مبدأ !!...

انتظري كوسوفا إذن انقشاع ليل الليل ...

عندما ناشدت وزير الخارجية على هذه الصفحات - فى مقال سابق - أن يبادر ويستقبل وفدا منك دون أى التزام ... لمجرد إكرام الماضى وتوطئة لمستقبل لابد أن يجيء دون أى أمل فى الحاضر ... أن يستقبلهم كما تستقبلهم فرنسا واليونان - أعدى أعداء كوسوفا بعد روسيا - فلا يليق بالوضع التاريخى لمصر أن تظل على الهامش كما لا يليق بها أن تتصرف تصرف المتنكر لإخوانه وشقيقاته ... عندما ناشدته لم أفعل ذلك أملا فى تأثيره على الوضع فى كوسوفا بل لكى نستبرى لأنفسنا أمام الله وأمام التاريخ ..

كان قارئ آخر يتساءل فى دهشة :

لقد وجهت نداءك إلى وزارة الخارجية بأسلوب مهذب مفعم بالاحترام فهل رد عليك أحد ...

أجبت بالنفى فسأل الرجل :

لماذا لم تذكرهم بأن الجيش المصرى تحت حكم المماليك حارب فى الهند وأرمينيا دفاعا عن الإسلام والمسلمين وأن محمد على حارب روسيا نفسها دفاعا عن الدولة الإسلامية ... لماذا لم تذكرهم بأن الظاهر بيبيرس هو الذى حرر أرنون من الصليبيين فى ٧ مارس عام ١٢٦٨ ... أرنون التى حررها ثانية منذ أيام شباب لم يخضعوا لحكمة ولأمة أمورنا ولا لثقافة كتاك التى تنشرها صحفنا ... شباب لم يستطع أن يخون حين اتبع حكمة قلوب الجماهير وشعارها عن سليمان خاطر : ما تقولوش عليه مجنون ... قولوا عليه ما قدرش يخون " ...

لم يعطنى القارئ الفرصة لمجرد الرد حين واصل :

وهل رد شيخ الأزهر عن المقالة الدامية المروعة الرهيبة التي بدأت بها هذه السلسلة من المقالات في الشعب حين ناشدته أن يعلن الجهاد دفاعا عن الإسلام والمسلمين في كل العالم ... ذلك النداء الذي وجهته إليه يوم السابع والعشرين من رمضان بعنوان : " يا شيخ الأزهر : بايعنا على الموت "

أجبت بالنفي فصرخ القارئ :

- هل نحن كلاب كلاب الصحراء تعوى بلا جدوى؟؟؟؟ لماذا يتجاهلون قيم الدين ومشاعر الأمة لماذا؟؟؟؟
لم أحر إجابة يا كوسوفا فانتظري ...

حين بدأت أنظر لقضيتك يا كوسوفا -وهي جزء من قضيتنا - من خلال التاريخ فإنني لم أفعل ذلك ولا أفعله حبا مجردا في العلم ، ولا رغبة سامية في الثقافة، ولا حتى لاستلهاهم العبر من الماضي من أجل الانطلاق للمستقبل ...

ذلك كله يمكن أن يكون صحيحا، لكن ليس في وضع زري مثل وضعنا، رهيبة مثل وضعنا، مجنون مثل وضعنا، بل إن التفكير بمثل هذه الطريقة يشبه أن تقول أنك تنقذ إنسانا من الحريق خيفة أن يحترق شاربه ، أو من الغرق خشية أن تبطل ملبسه، أو من العطش كيلا تتغضن ملامحه ، لا ... أنت تنقذه لأنه مهدد بالتلاشي من الوجود... بالموت....

نحن لسنا حتى كسائق السيارة الذي ينبغي أن ينظر أمامه دون أن يغفل النظر في المرأة - التاريخ - كي لا تدهمه من الخلف كارثة تودي به.... نحن لسنا كذلك السائق.... فنحن كسائق آخر كان يصعد منحدرًا وعرا فعجزت آلات سيارته المتهالكة عن الصعود بعد أن أفسدت الأمور كلها رعونة سائق وسلبية ركاب كأنما الأمر كان لا يعنيه ، ثم أخذت تنزل وتهوى إلى الورا وقد أفلت جماعها وعارت كوابحها وتملص مقودها وانملست إطاراتها وتزلقت الأرض من تحتها ، على القائد والركاب أن يعكسوا الآية الآن وأن يلتفتوا بأجسادهم كلها لينظروا إلى الورا ... كي يتدبروا أي هاوية رهيبة يهوون إليها ...

أجل ... الأمم الصحيحة تنظر إلى التاريخ كي تستلهم منه عبر المستقبل ... أما نحن فالتاريخ مرآتنا ... وما حدث في الماضي لبعضنا سوف يعم علينا..

التاريخ مرآة مستقبلنا ... ونذير الشؤم والخراب والهلاك إن ظللنا على غفلتنا وعمائنا...

لذلك ... علينا أن ننظر إلى الخلف لأننا نتقدم إلى الوراء...

بالنظر إلى الورا ومراجعة التاريخ يا قراء قد تنفث الغاشية التي تسربل أعيننا ووعينا وعقلنا
بالنظر إلى الورا قد نفث من الغيبوبة...

بالنظر إلى الورا قد نفهم أن مشكلتنا ليست في تكديس مزيد من السلاح فما لدينا منه والله ليس قليلا ولقد كان كفيلا - لو كنا نسير إلى الأمام - بتحقيق هيبتنا أمام العالم ... وهزيمة إسرائيل ووقف أمريكا عند حدها ... فنحن لم نهزم من قلة ... بل نحن كغناء السيل وليست أزمتنا أزمة نقص السلاح ولو كنا نعاني نقص السلاح حقا لما كان تحقيق حاجتنا أبدا بشراء السلاح من أمريكا ... فسلحها - سلاح قيصر - لا يحارب لنا عدوا بل يقتلنا نحن ... ما من سلاح منهم حارب لنا عدوا أبدا.. أبدا ... إما لاستنزاف المال أو لاستعماله ضد بعضنا البعض أو لمجرد الحصول على العمولة ولئى أمر عربى اشترى فى الآونة الأخيرة بثمانية مليارات حصل لنفسه منها على مليار عمولة... سلاحهم لن يحارب معنا بل ضدنا ... أما المناورات معهم فليست تدريبا مشتركا معهم بل تدريبا منفردا لهم يكشف لهم المزيد من عوراتنا حتى يحسنوا التصويب حين يبدءون القصف ... نحن لا نفتقد السلاح فمن كل أكادس السلاح عندنا لا تحارب إلا الكاثيوشا والبنادق على مساحة ٨٥٠ كيلومترا من مساحة أراضيها الشاسعة ... يحارب بها رجال حزب الله الإسلامى الذى تضمن عليه وسائل إعلامنا بذكر اسمه الكامل فلا تذكر اسمه الكامل أبدا ... دائما تحذف منه الإسلامى رغم أن وسائل الإعلام الغربية التى ننقل عنها كل شئ تذكر اسمه كاملا... أصبح الإسلام يخيفنا ربما بأكثر مما يخيف أعداءنا ... نحن لا نفتقد السلاح ولا المال ولا الأرض ولا الثروة ولا العقول ولا الرجال ... لا نفتقد أى شئ إلا العقل والكرامة ... لا ينقصنا شئ نحتاج به الله يوم القيامة كى يبرر خيانتنا ... مساحة العالم العربى أكثر من ١٤ مليون كيلومتر مربع مقابل أقل من ٢١٠٠٠ كيلومتر مربع لإسرائيل.. نسبتهما إلينا أقل من ١٥،٠٠% ... تعدادنا أكثر من مائتى مليون وتعدادها أقل من خمسة ملايين (أقل من ٢،٠%) ... إنتاجنا المحلى أكثر من ٤٠٠ بليون دولار وإنتاجها ٤٠ بليون دولار (١٠%) ، تعداد جيشنا العامل ٢٨١٠٣١٠ وتعداد جيشها ١٧٤٠٠٠ (٢،٦%) والاحتياطى ٢٢٦٤٠٠٠ لنا و٤٣٠٠٠٠ لهم (١٩%) أما عدد القوات عند

التعبئة فهو ٥٠٧٤١٣٠ و ٦٠٤٠٠٠٠ عندهم (١٢%) ... لدينا ٣٢٨٦ طائرة قتال ولديهم ٦٣٨ (أقل من ٢٠%) .. لدينا ٥٣٩ هليكوبتر قتال ولديهم ٧٧ (١٤، ٥%) لدينا ١١ طائرة للتزويد بالوقود في الجو ولديهم ٧ (٦٤%) لدينا ١٢ طائرة إنذار مبكر ولديهم ٤ (٣، ٣٣%) لدينا ١٩١٣٤ دبابة ولديهم ٣٨٦٠ (٢٠%) .. لدينا ٢٦٠٣٧ مدرعة ولديهم ١٠٣٠٠ (٤٠%) لدينا من قاصفات الصواريخ ١٤٤١٤ ولديهم ١٥٩٠ (١١%) لدينا من الصواريخ م/د وم/ط ٩٤٦٩ ولديهم ٢٥٠ (أقل من ٣%) لدينا من الصواريخ أرض - جو ١٢٤٧٧ ولديهم ٩٣٠ (٦%) ومن منصات الصواريخ أرض - أرض ٣٥٥ ولديهم ١٢ (٣، ٤%) ...

هل تريد المزيد أيها القارئ ١٢..

في القوات البحرية فإن النسبة لدينا أفضل حتى من كل ما سبق ...

فهل عرفت أن السلاح لا ينقصنا

وأن ما ينقصنا هو كثير من العقل وبعض من الكرامة وقليل من الوعي ... وهى كما ترى جميعها أشياء لا يمكن استيرادها من أمريكا ... قد يمكننا استيرادها من التاريخ الذى أسرده عليك ...

هل تعلم ما ينقصنا أيضا ...؟

القادة ...

وهؤلاء قد استوردناهم بالرغم منا فلم يفهموا أبدا أن سلاحا يأتى من هناك لا يمكن أن يحقق أمنا ولا أن يقود إلى انتصار

يا إلهى ... نحن أقوياء جدا لكننا بلا عقل ولا وعى ولا كرامة ولا قادة...

نحن أقوياء للدرجة التى كانت تمكننا من التصدى والردع ورفض تلك المهانة والعار التى تبرر قصف العراق بأنه يهدد الأمن الأمريكى عندما يفتح راداراته لتكشف له عن الطائرات الأمريكية المغيرة عليه ... وأقوياء للدرجة التى يمكن أن تمكننا من التهديد والتحذير والضغط بل والحرب من أجلك ياكوسوفا ... من أجلك كجزء من قضيتنا الشاملة ... من أجلك ومن أجل العراق وفلسطين .. و.. و..

١ - تجارة السلاح والأمن القومى العربى . الدكتور سامى منصور. مكتبة مدبولى - بعد العاصفة . أنتوى هـ كوردسمان. ترجمة وتقديم المشير محمد عبد الحليم أبو عزالة. دار الهلال.

لكننا تحت حكم حكمانا غير مسموح لنا أن نفتح أعيننا ...

غير مسموح لنا أن نفتح أعيننا إلا لنبكي كما بكى الأستاذ محمد القدوسى فى قسم السرطان فى مستشفى الأطفال فى بغداد حين كتب بعد عودته يقول : " رأيت طفلة مصابة بسرطان الدم تحرق فى الفراغ ، وأمها أمامها تحرق فيها ذاهلة وهى تذوى أمام عينيها، كانا كتمثالين، وبينهما جرت دموعى "...

كنت أهاثف الأستاذ مجدى حسين نتبادل الألم فإذا به يخبرنى أن محمد القدوسى قد كتب ما حدث بحياء وكبرياء ... فما حدث هو أن مشهد الأم وابنتها قد جسدا أمامه أزمة الأمة كلها ... العجز المطلق ... فالأم واثقة أن ابنتها تموت دون أى قدرة منها على فعل أى شئ ... فلا تملك إلا أن تحملق فيها كى تملأ من ملامحها قلبا سوف يفريه الغياب والوحشة عما قليل ... والإبنة على درجة من الوعى تجعلها تدرك أنها تموت وقد تقطعت الأسباب ذلك الانقطاع المطلق الشامل المانع الجامع الذى يمنع العقل حتى من أن يفكر فى أن هذا المشهد الفاجع لم يكن له أن يتم هكذا إلا لأن أمريكا تريد ذلك وحكام العرب والمسلمين يريدون ذلك وجموع شعوبنا كأنما مستها الصعقة فهى عاجزة عن أن تغير أو حتى تتغير ... كانت الابنة تحملق فى وجه حبيب سيغيبها الموت عن حنانها ... وكانت الأم أمة تعانى الجريز ... كانت الابنة الأندلس وفلسطين وبغداد وكوسوفا ... وكانت الأم نحن ... لمس محمد القدوسى الحقيقة عارية كمن يلمس سلكا عاريا تسرى فيه الكهرباء وعالين الموت كمن يدفن فى ظلام القبر وهو حى ... لم تكن كما كتب : " وبينهما جرت دموعى " بل أخذ ينتحب حتى أغمى عليه فحمله الرفاق وأفاقوه

دموع محمد القدوسى لن تفيد أبدا كعلاج لسرطان الدم ولا لسرطان الروح

لن تطيل عمر الطفلة يوما ولن تخفف من حزن الأم مثقال حبة خردل ...

لكنها كانت فى الوقت نفسه دليلا على إنسانيته وإنسانيتنا ... كانت وثيقة اعتذار عجزنا أن نقدمها بالدم فقدمنها بالدموع ...

كانت استبراء لديننا وعرضنا ودمنا أمام الله يوم القيامة وأمام أجيال ستأتى بعدنا تتبرأ منا

كان القراء أيضا يستبرءون ...

قارئ كان يصرخ على الهاتف :

ليست مشكلة العراق أو فلسطين أو كوسوفا ... إنها مشكلة الأمة كلها... فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى ... ليست مشكلتنا مع أمريكا وبريطانيا وإسرائيل والصرب لكن مشكلتنا مع صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وعسكر كرومر ... ولولاهم ما بلغنا الحضيض الذى بلغناه....

صمت القارئ قليلا ثم واصل وهو يتفقت:

هل تتصور ... أحضرت سارية ارتفاعها ستة أمتار ... علقت عليها علم إسرائيل ثم علقتها على بيتى ... انتظرت أن تنقلب الدنيا ... أن تأتى أجهزة الأمن لتنكل بى ... أن تأتى قنوات التليفزيون ومصورو الصحف ليصوروا وأن تأتى الإذاعة لتذيع... لكن لم يحدث شئ ... لم يحدث أى شئ ... اضطررت بعد شهر أن أنزل العلم لأضعه أمام مكتبى كى يدوسه كل من يزورنى بحذائه...

صمت القارئ قليلا ثم واصل فى تساؤل مفجع :

تصور : ماذا كان سيحدث لى لو أننى علقت علما عليه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ...

لم يكن وحده ...

كان الحاج صابر على الهاتف من الرهاوى ... مواطن بسيط عظيم طيب ... لم يكن أبدا أميرا ولا وزيرا ولا رئيس وزراء ولا مفكرا تنتشر الصحف تصريحاته أو تهتم بمشاعره ... لم ينهش لحم الوطن ولا نهب خيراته مثلهم ولا هو قد تحول كما تحول جل ولاة أمورنا إلى ذئب الإسلام عدوه والأمة فريسته ... ظل الإنسان النقى البسيط ... راح يهاتفنى فى إعياء عاجز وهو يهمس : أكاد أجن.. أكاد أموت ... أصحو فى جوف الليل مذعورا محاصرا بما يحدث لإخوتنا ولأمتنا فى كل مكان من هذا العالم فلا أملك إلا أن أبكى... أصبحت أحاذر قراءة الصحف حتى لا أندبح مع من يذبحون ولا أحترق مع من يحترقون ... وفى الطريق إلى عملى ومنه ... فى السيارة ... وأنا ذاهب إلى عملى أو عائد منه أتذكر ما حدث فى مخبأ العامرية وما يحدث فى كوسوفا والفتاة وأما فى رسالة

محمد القدوسى فأختنق ... أصرخ ... أطلب من السائق أن يتوقف لأغادر السيارة وأهيم على وجهى ثم يصرخ الحاج صابر : لا تكتب بعد الآن لأننى لن أقرأ بعد الآن ... انتهى كل شئ ولم يبق لنا ثمة أمل إلا أن نموت ... فتوقف عن الكتابة ...

قارئ لم يذكر اسمه يخاطبنى من العريش ... يتدفق الألم والعذاب ... ينفجر الألم والعذاب ... يقصفنى الألم والعذاب ... يسائلنى فى غضب : لا أعرف إن كنت مخطئاً أو مصيباً فى تكريس كل مقالاتك عن التاريخ أو العراق أو فلسطين أو كوسوفا ... لكننى أقول لك أن الأمور فى أى بلد من بلادنا لا تقل خطورة ... يصرخ الرجل : أنا أحب مصر والعرب والمسلمين ... بل إن كلمة أحب لا تكفى ... فليس فى قلبى سواهم ... ثم أننى ممن تطلقون عليهم الإرهابيين ... كل من يقاوم الشر والهلاك المحدث لديكم إرهابى ... على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعات وعلى مستوى الدول ... خذها منى أنا المسلم العربى المصرى الذى ينسحق قلبه وتتفتت روحه من أجل الإسلام ومن أجل العرب ومن أجل مصر ... خذها منى أنا الذى عانيت وطأة الاحتلال الإسرائيلى عشرين عاماً ... خذها منى ... لولا أنهم يهود وصهاينة وأعداء ... ولولا خوف الله لفضلت أن يحكمونا ... لقد جربت السجن عندنا وعندهم ... جربت مدامه شرطتهم وشرطتنا ... لم تنتهك شرطتهم حرماننا ولم تحطم أثاث بيوتنا ولا هى حطمت كبريانا بإذلالنا وضربنا أمام أهلنا ولا هم روعوا الأطفال ولا انتهكوا أعراض النساء ... لم يفعلوا ذلك ولكن شرطتنا فعلت ... لقد عذبت هناك وعذبت فى بلادنا ... هل تريد أن أقارن ... ؟!

لم أحتمل ... صرخت من الألم ليست شرطتنا بل شرطة زويمر ...

صرخت من الألم ... إن ما ذكرته بروتوكولات حكماء صهيون يتحقق بكل هذه السرعة والبراعة والإتقان فى الشر، إن هذه البروتوكولات تعلن صراحة عن هدفها النهائى، وهو أن تدفع كل الشعوب إلى اليأس من حكامها وحكوماتها كى تلجأ إلى اليهود مطالبة بحكومة عالمية واحدة ، يقول البروتوكول العاشر : " إن حكمنا سيبدأ فى اللحظة التى يصرخ فيها الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكاهم - وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا - فيصرخون هاتفين : اخلعوهم وأعطونا حكماً يستطع أن يمنحنا السلام والراحة، لكن لكى يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لابد أن يستمر فى كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين

الشعوب والحكام، اضطراب يستثمر العداوات والحروب والكرهية والموت استشهاده أيضاً، هذا مع الجوع والفقر ، وسيستمر كل ذلك إلى الحد الذي لا ترى شعوبهم الأمل في أي مخرج من المتاعب غير أن يلجئوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة

عندما أعدت قراءة بروتوكولات حكماء صهيون أصابني الذهول الذي ما برح يصيبني كلما قرأتها - رغم أنني أقرأها الآن مرات في العام الواحد-، أصابني الذهول، تقول البروتوكولات: " لن نسمح للصحافة بأن تصف الحوادث الإجرامية، إذ سيكون من اللازم أن يعتقد الشعب أن المنهج الجديد مقنع وناجح إلى حد أن الإجرام قد زال ، وكون المؤلفين مسئولين أمام القانون سيضعهم في أيدينا، ولن يجد أحد يرغب مهاجمتنا بقلمه ناشراً ينشر له ، وما من أحد سيكون قادراً دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية، وسنكون سادة الأرض ولن نبيع قيام أي دين غير ديننا، إنهم جاهلون ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون، إنهم عموماً لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجلة، ولا يفتنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم، بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا بها إليهم، إنكم لا تتصورون كيف يمكن دفع أمهرهم إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، وكيف يسهل من ناحية أخرى أن نثبط عزمته وشجاعته بأهون خيبة، وبذلك ندفعه إلى حالة خضوع ذليل ذل العبد.."

هل قرأت يا أهرام ؟...

هل قرأت يا ولادة أمورنا ؟!

فإن كنتم قد قرأتتم ...

وإن كنتم حين قرأتتم قد فهمتم ...

وإذا كنتم وزراءنا وحكامنا وصحفنا ولستم وكلاءهم ...

فلماذا لا تسمعون وجيب قلوبنا.؟

لماذا تتركون الأمة تعوى ككلاب الصحراء بلا جدوى ؟...

ما بين هوى صربى واستكبار غبى^١

منذ نيف وثلاثين عاما صرخ العلامة محمود شاكر فى كتابه "أباطيل وأسمار"^٢ صرخة أظننا فى حاجة أشد لنصرخ مثلها أو أشد منها :

"الذى يهمنى هو صحيفة الأهرام، أتراها لا تعلم منزلتها فى كل بلد من بلاد العرب ، وهم مائة وعشرون مليوناً (يتجاوزون اليوم المائتين) ، ثم فى روافد بلاد العرب وهى بلاد الإسلام، وهم ستمائة مليون أويزidon،(تضاعف العدد)، وكلهم: عربهم وعجمهم، يرى القرآن كتابه، ويرى أدب العرب أدبه، ويرى الأهرام صحيفته، فكيف يقولون إذا أكبر منبر فيها أسلم إلى رجل لا يحسن يقرأ شيئاً (...) ولا يحسن يتكلم شيئاً يربط بين جملة عقل، ومع ذلك تطالعها (...) بأعمدة سود قد حشاها خلطاً وخبطاً وعبثاً، ولعباً بالتاريخ وجرأة على الآداب، وتخليطاً فى الجمل وبلاء لا يحصى وآفات لا تعد (...) كل هذا أتاحت له صحيفة الأهرام أن يفعله، بما أوتى من صفاقة وغش وكذب وادعاء وتحريف، وبلا رادع من عقل أو حياء ، كيف يكون هذا ؟ ... أليست صحيفة الأهرام مسئولة عن كرامتها، عن منزلتها عند الناس، عن أدب الكلمة العربية، عن عقول الناشئة وما عسى يحيق بها من هذا الوباء (...) من المسئول إذن عن عريضة هذا الطليق الذى يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء، ويتعزى كما يشاء؟ أنبلغ عنه شرطة النجدة؟ حتى لا تصبح هذه الأمة فضيحة بين الأمم، حيث أسلمت منبرها العالى إلى طليق من القيود، مفلت من الأسوار، والله الأمر من قبل ومن بعد " .

ماذا كان يمكن للعلامة الكبير أن يقول لو امتد به العمر ليقراً ما تقوله الأهرام عن قضايانا اليوم ... ماذا كان يمكن أن يقول لو أنه قرأ على سبيل المثال ما كتبه زكريا نيل فى الأسبوع الماضى تعقيباً على اجتماع وزراء الخارجية العرب...عندما جاء عنوان مقاله ببنت عريض عن اعتراف العراق بموضوع الأسرى الكويتيين ... وكما عقب أحد القراء فإن هذا العنوان لو صح لاهتزت له أجهزة الإعلام فى العالم... ولكن سبقاً صحفياً تنال عليه الأهرام الجوائز والتهنئة ... لكن ما كان أن زكريا نيل^٣ - وحده

١ - الشعب: ١٢/٣/١٩٩٩

٢ - أباطيل وأسمار- مكتبة المدنى- القاهرة

٣ - صحفى مهم فى صحيفة الأهرام.

فى كل العالم- هو الذى اقتنص هذا الخبر لينشره دون أن يعقب عليه معقب أو أن يؤيده مؤيد أو أن يعتذر عن الكذب فيه معتذر... والأنكى أن العنوان يأتى كذلك ثم لا يأتى فى صلب المقال ما يؤيده... والحقيقة أن العراق أصر على عدم وجود أسرى وأصرت الكويت والسعودية على موضوع الأسرى لتبرير تأييدهما لفرض مناطق الحظر غير الشرعية - بمفهوم الأمم المتحدة - وكان أن اتفقوا على استعمال صياغة ما تسميه الكويت والسعودية بالأسرى وما يسميه العراق بالمفقدين ... الخطير فى الأمر أن الأهرام تنشر ذلك الكذب الرخيص السهل الذى ينبئ عن أقصى درجات الاستهانة بالحقيقة وبالقارئ... كذب من يدرك أنه لا حساب على كذب ... كذب من يدرك أن الآخرين يعلمون أنه يكذب فيتوقف حتى عن الحبك والإنقار فى كذبه فالقارئ لا يستحق منه ذلك المجهود ... كذب أفدح بكثير من ذلك الذى صرخ العلامة محمود شاكر احتجاجا عليه منذ نيف وثلاثين عاما ... ماذا كان يمكن أن يقول العلامة محمود شاكر حين يعلم أن تغطية صحيفة الحياة السعودية (دعك من تسميتها باللندنية) لأحداث الحجاج العراقيين كانت أفضل من تغطية الأهرام لها ... وموضوع الحجاج العراقيين هذا موضوع آخر لكننا نثبت هنا: أن الإسلام ليس مجرد رجم زان ولا قطع يد سارق ... وأن الإسلام ليس أن نترك الأمير يسرق فإذا سرق الضعيف أقمنا عليه الحد... بل إن ذلك هو هلاكنا وضياعنا .. (لماذا لم يهتم أحد بإجراء إحصاء يبين فيه كم أميراً رجم وكم أميراً جلد وكم أميراً قطعت يده؟!).. ليس الإسلام كذلك وليس الحج أن نرجم رمز الشيطان ثم نترك الشيطان نفسه يرتع فى بلادنا ويدنسها تحت مسمى القواعد العسكرية التى تنطلق منها طائرات الشيطان فنكون مهبط رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى ذاتها مهبط الطائرات العائدة من قصف بعض أمته ومنطلقها ... لقد كان يمكن لنا أن نشكر السعودية على موقفها من الحجاج العراقيين واستعدادها للتكفل بنفقاتهم ... لكن الأمر أكبر من هذا وأخطر ... لقد منعت الأمم المتحدة نفقات الحج عن العراقيين من أموالهم المنهوبة والمصادرة ... وبرغم أننى لم أسترح لموقف العراق من استعمال الحج للمناورة إلا أن الوضع المستحيل المجرم الذى ترزح تحته يخجل أى إدانة... فكيف ندين المضطر إذا أكل لحم الميتة ... ولو خلصت النية لله لأطعمنا أخانا الجائع ولأمننا أبناءنا المروعين ولكانت فرصة أمام السعودية والدول الإسلامية لكى تواجه الأمم المتحدة وتنهى الحظر والمقاطعة على العراق ... ليس استغلالا للدين بل احتواء به... لكن السعودية اختارت أهون الشرين بالنسبة لها وهو أن ترد على مناورة العراق بمناورة ... وضاع حق الله وحق الناس بين المناورتين ... لقد

اختارت السعودية حلاً ليس هو الحل الصحيح ولا الحل الكريم بل الحل الآمن الذى يحميها من مواجهة العالم فى سبيل حق ونجدة ملهوف ... اختارت أن تدفع هى بدلاً من أن تطلب من الأمم المتحدة أن تؤدى للعراق حقها أو أن تخرق قرارات الأمم المتحدة ولم يكن ذلك بالتأكيد إعلاء لكلمة الله بل إعلاء لكلمة الأمم المتحدة والشيطان ... لقد كانت فرصة أن نثبت للعالم أن الحج يجمعنا لكننا أهدرنا الفرصة كما نهدر كل فرصة ... لقد ناور الجميع ولكن الله لم يكن فى قلب أحد ... ناورت العراق بالحج للحصول على حق مهذور فناورت السعودية لتكريس باطل غير مغفور ولا معذور ... أهدرنا الفرصة وطالبت السعودية بالأنا نسييس الحج ... فكيف كيف كيف ... كيف والإسلام دين ودنيا ... دين ودنيا ... دين ودنيا ... وأنه والأمر كذلك ... فإن مصر ... والسعودية ... وكافة أقطارك وبلادك يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أكثر علمانية من أمريكا وبريطانيا ودعنا من إسرائيل ... فهناك ... يحرك الدين المحرف المنحرف سياستهم ... وهنا نعزل الدين الصحيح عن سياستنا ... لكن الأهرام تلوم بعنجهية وكبرياء محاولة تسييس الدين ... يا أهرام ليس الدين سوى سياسة الدنيا والآخرة ...

ومرة أخرى فإنها الأهرام التى كانت وما زالت أفضل صحفنا الحكومية وأكثرها وقاراً ... الأهرام التى مازال يكتب فيها رموز فكر شامخة وأكتفى - على سبيل المثال لا الحصر - بمثلين هما فهمى هويدى وناور عبد الملك كمجرد عنوان على الآخرين ... نتناول الأهرام إذن لأنها الأفضل من ناحية ومن الناحية الأخرى فإنها ما تزال تملك من المقومات ما لا يجعلها كأخباريات دون أى مستوى للنقد أو محاولة الإصلاح ... نتناولها لأن كل مسلم يعتبر الإسلام دينه والقرآن كتابه والأهرام صحيفته ... لذلك فإنها كارثة عندما يستعير الأهرام لسان الكذبة أو لسان الأعداء ...

نعود إلى كوسوفا ... نعود إليها لنرى ماذا سيحدث لنا جميعاً غداً وبعد غد فما هى إلا آيات يرينها الله لكن عميت بصائرنا نعود إلى كوسوفا وإلى موقف الأهرام منها ... نعود إلى تلك الكارثة التى استحققت أن يصرخ الأستاذ محمد يوسف عدس فى وجه الأهرام - الرصين الوقور العجوز - حين تردد كالبغاء ما يذاع فى الغرب عن قضية كوسوفا فى وسائل الإعلام الغربية دون تمحيص ، وبالتالى تسهم فى صياغة الإدراك العربى لقضية كوسوفا صياغة خاطئة لتبدو وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التى تعتبر كوسوفا جزءاً من صربيا وأن الحركة الوطنية فى

كوسوفا إنما هي مجرد حركة تمرد ورغبة في الانفصال غير مشروعة مع الإيحاء أن الشعب الأصيل في كوسوفا هم الصرب وأما ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيا " .

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس في دحضه لما ينشره مراسل الأهرام في موسكو من أكاذيب حول قضية كوسوفا :

وإذا ارجعنا إلى الوراء: في تاريخ كوسوفا لوجدنا أنها لم تكن أبدا جزءا من صربيا ، لكن الباحث في تاريخ البلقان لا يواجه من الصرب إلا بأساطير عن حقوق مقدسة لهم في البلاد المجاورة أشبه بمزاعم الصهيونية في فلسطين. فأى حقوق مقدسة وأى تراث روحي هذا الذى نتحدث عنه الأهرام في "رسالة موسكو" التى تنسب إلى المؤرخين دعوى أن كوسوفا هي مهد الصرب، فى حين أن من يزعم هذا هم المؤرخون الصرب وحدهم، وهم فى ذلك لا يقدمون أى دليل سوى القصص الخرافية، فالمؤرخون الصرب لا تهتمهم الحقائق التاريخية ويعتمدون فى مصادرهم على الأساطير الشّعبيّة التى يرددوها العوام، إن مؤرخهم الأكبر "دوبريتشا كوسيتش" الذى يلقب بألقومية الصربية يعترف بذلك حيث يقول : " إن نجاحات الصرب التاريخية تعزى إلى حيلهم وتلاعبهم بالتاريخ أكثر من اعتمادهم على أسلحتهم " .

ألبان كوسوفا كانوا فيها قبل وصول الصرب وقبل العثمانيين بقرون عديدة ولم يكونوا فى حاجة للانتقال من ألبانيا، الشيء الوحيد الذى تغير فى عهد العثمانيين هو أنهم عرفوا الإسلام فاعتنقوه وأصبحوا من أقوى جنوده.

لم تكن كوسوفا مهد الصرب كما تزعم الأهرام فى "رسالة موسكو" وإنما "راشكا" التى لا تزال ضمن حدود صربيا حتى اليوم هي مهد الصرب فى البلقان .

أما حكاية التراث الروحي وحكاية الكاتدرائية المقدسة التى تقع بالفعل فى بلدة بيتش بكوسوفا فليست أكثر من حائط المبكى الذى تضخم فى خيال اليهود الجامح لبيتلغ القدس بل ليشمل أرض فلسطين بأكملها .

هنا نلاحظ بالفعل نزعات أسطورية صربية تشبه النزعات اليهودية ونلاحظ البكائيات والرتاء للذات والشكوى من اضطهاد العالم وظلمه،

نغمات حزينة تسرى فى أدبيات التاريخ الصربى والصهيونى معا لتخفى وحشية كليهما فى سحق الضحايا البريئة والتخلص منها بالمجازر وصولا إلى النقاء العنصرى.

فماذا تقول الوثائق التاريخية بالنسبة للكنيسة الصربية المقدسة ؟

استقلت الكنيسة الصربية عن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عام ١٢١٩ ميلادية نتيجة لتعاطف قوة المملكة الصربية النيمانية، فأصبح للصرب "بطريركا" لكنيستهم كان مقره دير "جيتشا" قريبا من بلدة "كرالييفو" الصربية، وظل الحال على هذا النحو خلال جيلين أو ثلاثة حتى غزا التتار صربيا فى نهاية القرن الثالث عشر وأحرقوا هذا الدير، فنقل الصرب مقر البطريركية إلى موقع حصين فى كوسوفا هو "بينش" ولم يكن مبنى الكاتدرائية هو المبنى الدينى الوحيد الذى "بنى فى ذلك العصر وإنما هو واحد من خمسة عشر مبنى مثله كلها أقامها الملك "ستيفان" فى وقت واحد، وكانت موزعة فى أنحاء مملكته الواسعة الأرجاء، ومن هذا يتضح إن مهد المسيحية الصربية كان فى داخل صربيا وليس فى "كوسوفا" وأن كاتدرائية كوسوفا ليست أقدم ولا أكثر قداسة من كاتدرائية "كرالييفو".

يخلص الأستاذ محمد يوسف عدس من هذا إلى القول بأننا عندما نسع أو نقرأ مزاعم الصرب عن الحقوق المقدسة فى كوسوفا عن التراث الروحى ومهد الصرب وغير ذلك من مزاعم لا ينبغى إن نردد هذا الكلام ترديد الببغاوات بل من واجبنا - إذا كنا نحترم أنفسنا ونحترم عقول القراء - أن ننظر إليه فى ضوء الحقائق التاريخية والوقائع الموثقة.

لم يغير العثمانيون من التركيبة السكانية فى كوسوفا ... وأقصى ما ثبت تاريخيا أنه وعلى فترات ممتدة من الحروب هاجر ثلاثون ألف صربى...ولكن...على طريقة الغرب فى بناء الأكاذيب تحولت ثلاثين ألف نفس إلى ثلاثين ألف أسيرة ثم ثلاثين ألف عائلة ثم إلى أربعمئة ألف شخص ...

يصل الأستاذ محمد يوسف عدس إلى أن الخروج الصربى الهائل من كوسوفا مجرد فرية ولم يطرد العثمانيون الصرب منها ولم يجلبوا إليها

مسلمين من ألبانيا كما تزعم الأسطورة الصربية وكما تتابعها في ذلك الأهرام في "رسالة موسكو".

والحقيقة التي لا يمكن أن يعترف بها الصرب هي أن الألبان المسلمين كانوا هم الشعب الأصلي في كوسوفا وكانوا هم الأغلبية الساحقة على مر العصور إلى اليوم، ولم تفلح جميع المحاولات والتدابير الصربية في تغيير هذه الحقيقة..

ثم كان ظهور "سلوبودان ميلوسيفيتش" بداية تطور خطير في قضية كوسوفا فقد أقام ميلوسيفيتش شهرته القومية ومجده السياسي على العداء السافر للإسلام والمسلمين في كوسوفا، فأيقظ مشاعر الكراهية والحقن العنصري الكامن لدى الجماهير الصربية ضد الشعب المسلم في كوسوفا، وكانت كوسوفا منطلق "ميلوسيفيتش" إلى السلطة في صربيا ثم الاتحاد اليوغسلافي، ومنذ بروزه كقائد قومي للجماهير الصربية تصاعدت عمليات الإرهاب الصربي ضد المسلمين، وتبلورت على يديه خطط جديدة لتحقيق إستراتيجية بعيدة المدى هي تحويل حياة المسلمين في كوسوفا إلى جحيم مستعر لدفعهم إلى التخلي عن وطنهم والرحيل عنه طوعا أو كرها، أخذت هذه الاستراتيجية تتبلور في مراحل ثلاث:-

المرحلة الأولى :

تمثلت في الانقلاب الدستوري للاتحاد اليوغسلافي السابق سنة ١٩٩٠، كان شعب كوسوفا قد طالب في مظاهرات ضخمة بتطوير الحكم الذاتي إلى استقلال كامل فرد سلوبودان ميلوسيفيتش بإعلان دستور جديد يلغى فيه الحكم الذاتي، وبهذا الدستور فقدت كوسوفا كيانها السياسي كوحدات حكم ذاتي في إطار الاتحاد اليوغسلافي شأنها في ذلك شأن الجمهوريات الأخرى التي كانت تتألف منها يوغسلافيا، وتحولت إلى مجرد وحدة إدارية ضمن جمهورية صربيا، وترتب على ذلك حرمان كوسوفا من وجود ممثل لها في مجلس الرئاسة اليوغسلافية، وإلغاء حكومتها وبرلمانها الخاص وسلطاتها القضائية والتنفيذية، لكن شعب كوسوفا المسلم لم يرضخ، ففي ٢ يوليو ١٩٩٠م تحرك أعضاء برلمان كوسوفا يعارضون الدستور الصربي الذي ألغى كيانها السياسي، وسلبها حقها في الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به شأنها في ذلك شأن بقية الجمهوريات اليوغسلافية الأخرى وقُويَّ رئيس البرلمان وهو صربي لم ينتخبه أحد وإنما عينه "سلوبودان ميلوسيفيتش" فأعلن تأجيل المناقشة إلى اليوم الخامس من يولييه، فلما جاء النواب في الموعد المحدد وجدوا أبواب

بنى البرلمان مغلقة فأصروا على عقد جلستهم خارج البرلمان بحضور ١١٤ عضوا من مَجْمُوع النواب البالغ عددهم ١٢٣ ووافقوا بالإجماع على إلغاء الدستور الصربي، فتدخلت السلطات الصربية وحلت البرلمان كما طلت حكومة كوسوفا.

وفى ٧ سبتمبر ١٩٩٠م اجتمع نفس الأعضاء. فى بلدة "كَلَشَانِيك" فى سرية وأعلنوا قيام جمهورية كوسوفا ودستورها وإلغاء جميع القوانين إلى أصدرها برلمان صربيا خاصا بكوسوفا.

وفى سبتمبر فى العام التالى نجح المسلمون فى تَنظِيم استفتاء عام لجعل كوسوفا جمهورية ذات سيادة، اشترك فى الاستفتاء ٩٩% من مجموع الناخبين ووافق الشعب بأغلبية ٨٧% على الجمهورية المستقلة.

واجه سلوبودان ميلوسيفتش مظاهرات الشعب فى كوسوفا بالدبابات وبسلسلة من الإجراءات والقوانين الصربية استهدفت تدمير البنية الأساسية للشعب المسلم فى كوسوفا وتعزيز السيطرة الصربية على مقدراته، من هذه الإجراءات :

١ - إنشاء مجالس محلية مقتصرة على الصرب فى المناطق ذات الأكرثية الصربية.

٢ - تركيز جميع الاستثمارات الجديدة فى المناطق ذات الأغلبية الصربية.

٣ - بناء منازل جديدة للصرب لتشجيع من هاجر منهم على العودة إلى كوسوفا وجذب الصرب الآخرين للإقامة فيها.

٤ - إقامة مراكز لتحديد النسل فى مناطق المسلمين فقط.

٥ - إلغاء شرعية امتلاك المسلمين لأى عقارات أو أراضى سبق لهم شراؤها من الصرب وفى نفس الوقت مساعدة الصرب فى شراء الأراضى والعقارات من المسلمين بثمان بخس.

٦ - اشتمل قانون الأراضى أيضا على حق أى صربى فى يرغب فى الإقامة بكوسوفا أن يمتلك خمسة هكتارات من الأرض بالمجان.

فلما قامت المظاهرات احتجاجا على هذه الإجراءات نزلت الدبابات إلى الشوارع، وأصدرت السلطات سلسلة عن القرارات المتعسفة فى ٢٦ يونيو ١٩٩١م أطلقت عليها الحكومة الصربية "إجراءات مؤقتة" ولكنها استمرت إلى اليوم :

- ١ - منع صدور الصحف المنشورة باللغة الألبانية المحلية.
- ٢ - إلغاء المدارس الألبانية وإغلاق جامعة برشتينا وتشريد طلابها.
- ٣ - إغلاق أكاديمية العلوم والآداب فى كوسوفا.
- ٤ - إغلاق محطة الراديو والتلفاز الألبانية.
- ٥ - طرد جميع المدرسين العاملين فى المدارس الألبانية.
- ٦ - طرد جميع الموظفين المسلمين فى الدولة.
- ٧ - طرد ثمانين ألف عامل مسلم من وظائفهم فى المصانع.
- ٨ - طرد جميع الأطباء المسلمين والعاملين فى المجال الصحى.
- ٩ - إلغاء التحصين الدورى لأطفال المسلمين مما تسبب فى رفع نسبة الوفيات بينهم من أمراض بسيطة مثل الحصبة.

المرحلة الثانية :

تمثلت فى تصعيد الأعمال القمعية والبطش بالسكان وأصبح قتل المسلمين والتمثيل بهم واقتحام منازلهم وترويع أسرهم ليلا والاستيلاء على ممتلكاتهم الشخصيّة، والاعتقال بدون إبداء أسباب وبلا توجيه اتهامات - كل ذلك أصبح روتيناً يومياً يقوم به الصرب ضد المدنيين الأبرياء..

ومن ثم فحن أمام برنامج كامل لاحتلال أجنبى استيطانى على غرار الاحتلال الإسرائيلى الاستيطانى فى فلسطين، ما لم تؤد كل هذه الإجراءات إلى النتائج التى أَرادها الصرب واستطاع المسلمون أن يتعايشوا مع هذا البطش بأساليبهم السلمية التى استحدثوها فى مجال المقاومة الشعبية - انتقلت الخطط الصربية إلى المرحلة الثالثة- وتتمثل هذه المرحلة فى العمل العسكرى المباشر، وتكرار لما فعله الصرب فى البوسنة من تطهير عرقى وإبادة جماعية واغتصاب للنساء، وإجبار السكان بالقوة العسكرية على هجر منازلهم ، أو قصفها وهدمها عليهم ليدفنوا فيها أحياء، كل ذلك بحجة البحث عن الإرهابيين وضرب معازل جيش تحرير كوسوفا.

وفى ٢٤ مايو ١٩٩٢ أجريت انتخابات على نطاق واسع استخدمت فيها بعض منازل المواطنين كلجان انتخابات بدلا من المقار الرسمية التى أغلقتها السلطات الصربية ووضعت عليها حراسات مسلحة، وتم انتخاب أعضاء مجلس البرلمان الجديد وأعضاء الحكومة، كما تم انتخاب " إبراهيم رجوفا " رئيس جمهورية. وهو أستاذ جامعى ومؤلف مشهور ...

وتتلخص السياسة الأساسية لإبراهيم رجوفا وحزبه فى ثلاث نقاط:

١ - تجنب أى ثورة عنيفة.

٢ - تدويل قضية كوسوفا، بمعنى السعى لإقناع المجتمع الدولى للتدخل بشتى الوسائل السياسية والدبلوماسية والتفاوض، بما فى ذلك إقامة حماية لشعب كوسوفا بواسطة الأمم المتحدة.

٣ - إنكار ومعارضة أى شرعية لحكم الصرب فى كوسوفا، وذلك عن طريق مقاطعة أى انتخابات أو عملية إحصاء سكانى تقوم بها السلطات الصربية واستكمال الهياكل التنظيمية لجمهورية كوسوفا.

هذا هو المشهد المأساوى الذى نراه ماثلا أمام أعيننا اليوم ... كان "رجوفا" فى حاجة للحصول على أى شئ إيجابى مهما صغر حجمه من صربيا لتدعيم مركزه بين جماهير شعبه ... وكما تفعل إسرائيل مع ياسر عرفات وتعمل على إضعاف مركزه حتى يكون مستعدا لقبول أى شئ تسمح له إسرائيل به فى أى مفاوضات تجرى بين الطرفين - كذلك يفعل الصرب مع إبراهيم رجوفا، نفس السياسة ونفس التكتيك.

تصاعدت حدة الاحتجاجات والانتقادات ضد سياسة إبراهيم رجوفا السلمية داخل حزبه وخارجه وضعف مركزه السياسى وزادت - فى نفس الوقت - وطأة الاحتلال الصربى وممارساته الصعبة والإرهابية، وفى تلك الأثناء ظهرت تطورات جديدة فى المقاومة الألبانية بعيدا عن سيطرة حزب روجوفا.

لقد ظهر على الساحة جيش تحرير كوسوفا اعتبارا من صيف

... ١٩٩٦

كان الصرب على مدى السنوات الماضية يشيرون إلى "الإرهاب الألبانى" ويقصدون به مظاهرات الطلاب الذين دأبوا على قذف قوات الأمن الصربية بالحجارة، حتى خمدت هذه الحركة بعد نزول الدبابات إلى الشوارع وقصف المتظاهرين بالرصاص الحى وغير ذلك من أعمال وحشية.

وكان رد الشعب المسلم فى كوسوفا بإنشاء جيش التحرير تعبيرا مباشرا عن الإحباط الناتج من شلل سياسة "إبراهيم رجوفا" وعدم قدرته على كسب أى اعتراف دولى بمصالح وحقوق كوسوفا بعد إبرام اتفاقية "دايتون".

أخذ التصعيد العسكري الصربي في كوسوفا بعدا خطيرا ابتداء من أبريل ١٩٩٨ فيما يبدو أنه سيناريو إبادة جماعية على غرار حرب البوسنة حيث قصفت المدافع الصربية عدة قرى ودمرت منازلها وقتلت من السكان الأمنيين ما قتلت وخرج الباقون فرارا بحياتهم.. كل ذلك تحت مظلة البحث عن معازل لجيش تحرير كوسوفا والاستيلاء على أسلحتهم.

بعد المواجهات العنيفة والمقاومة الملحوظة التي أبدتها جيش تحرير كوسوفا ضد القوات الصربية يدخل الصراع في كوسوفا مرحلة جديدة مفعمة بكل الاحتمالات التي يصعب الآن التنبؤ بها. إذ يقاثل جيش التحرير من أجل الاستقلال بينما يشترط " ميلوسيفيتش " إسقاط المطالبة بالاستقلال من جانب شعب كوسوفا، وأن يقوم المجتمع الدولي بإعلان استنكاره لأعمال جيش تحرير كوسوفا واعتبارها إرهابا دوليا. وتظن السلطات الصربية أنها بالقضاء على هذا الجيش في وقت مبكر سيخلو لها الطريق لتنفيذ مخططاتها في تفريغ كوسوفا من أكثر سكانها وتحويلهم إلى أقلية ضعيفة خاضعة لهيمنة السلطات الصربية كما تخضع السلطات الإسرائيلية معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في غزة والقطاع.

لم تستطع صربيا - كما الأهرام - أن ترى في قضية كوسوفا إلا قضية أمنية علاجها البطش والإرهاب والإبادة، فهل تفلح في تحقيق أهدافها أم أن شعب كوسوفا هو الذي سيتمكن من تحقيق استقلاله ويعلن قيام جمهوريته على أرضه ؟.

كانت الدولة الإسلامية جامعتنا فضيعناها ... وكانت حاميتنا فاستجبنا لتبشير زويمر واستمعنا لتعاليم دنلوب ... ودافعنا عن الشيطان بجند كرومر ...

لم تكن كوسوفا جزءا من صربيا إلا كما كانت مصر جزءا من دولة الرومان والجزائر جزءا من فرنسا وأمريكا امتدادا لأوروبا...

يا إلهي .. إنني أكتشف الآن أن ما يتهددنا ليس أفغنة العراق فقط بل بلقنة العالم العربي كله^١ ...

١ - راجع للمؤلف: بغداد عروس عربيتكم - مدبولي الصغير - سنة ٢٠٠٠ م

وفى الجغرافيا ... فإننى أرى على خرائط المستقبل أنهاراً تمتلئ
بالدم وصحارى تؤج فيها الجحيم لكننى لا أرى وجوداً لدولة الكويت ...
وربما الخليج كله ...

أما فى التاريخ ... فإننى أقرأ العداوة والبغضاء والانتقام والثأر فى
المستقبل لا فى الماضى ما بين بغداد وجدة ... أقرأ انتقام العباسيين
الرهيب من بنى أمية ... وأرى ثروات تنبدد ومجتمعات تنبىد ومدناً تدمر
وقبوراً تنبش وملوكاً تلعن ...

و أصرخ مع مظفر النواب :

يشتعل الجسد الشمعي سنياً ..

وأرى تاريخ الشام ملياً ..

و أكاد أقلب أوراق الكرسي الأموي ..

وتحنقني ريح مرة ..

تنفطر الكلمات وأشعر بالخوف والحسرة ..

ويضيء الليل بسيف يوقد في المهجة جمره ..

ماذا يقدر في الغيب الأزلي : اطلوا ..

ماذا يقدر في الغيب ..

أسيف علي ..

قتلتنا الردة يا مولاي ..

كما قتلتك بجرح في الغرة ..

قتلتنا الردة ...

هل عرب انتم ..

والله أنا في شك من بغداد إلى جدة ..

ليس إرهاباً .. وليسوا إرهابيين' .. !! ..

هل أجرؤ فى هذا العيد أيضا أن أقول لكم كل عام وأنتم طيبون .
لم أجرؤ فى العيد الماضى فهل أجرؤ الآن!..

هل أجرؤ وقد تحولت ثعلب الصحراء إلى أفعى الصحراء التى تنفث سمها فىنا كل يوم ... والعراق ينهار ... العراق لا صدام ... وبغداد كعاصمة للخلافة الإسلامية تذوى وتجف وتموت وقد سبقها إسلام بول وستتلوها دمشق والقاهرة .. فكل عاصمة جرؤت ذات يوم أن تكون عاصمة لدولة المسلمين المتحدة مرصودة وممنوعة من أن تكون مرة أخرى العاصمة المحورية التى تهتم بأمر المسلمين فى العالم وهو نفس الدور الذى تلعبه تل أبيب لليهود وروما وواشنطن للمسيحيين ...

محرم علينا تكوين العاصمة المحورية أو الدولة المحورية للمسلمين ... العاصمة التى تستشعر مسئوليتها الشاملة التى لا تحدها حدود الجغرافيا التى وضعها أعداؤنا والتى قد تشكل ذات يوم نواة للتجمع ... هل عرفتم الآن لماذا ضربت الوحدة المصرية السورية ولماذا ضربت مصر فى اليمن ولماذا يضرب الارتباط بين سوريا ولبنان ... لم يكن فى أى منها كويت ولا بترول ... كانت الوحدة - بغض النظر عن الشكل والأسلوب - هى الممنوعة ... والآن تُضرب بغداد نيابة عن المسلمين وتحذيرا لهم ...

الفنانة التشكيلية العراقية نهى الراضى معارضة لصادم حسين وقد تعلمت فى أوروبا ولا يبدو أن صلتها بالإسلام حميمة ففى مذكراتها : "يوميات بغدادية" لا تكف عن شرب الخمر ... هى إذن ليست من الإرهابيين ولا الأصوليين ... ومع ذلك تصرخ أن الحرب المجرمة الموجهة إلى العراق موجهة بالذات للمسلمين فيه ... وأنها قد عاينت ذلك لأن جواز سفرها يقول أنها مسلمة ... بسهولة يحصل المسيحي العراقي على تأشيرة دخول لأى بلد فى العالم ... بعض الصعوبات تواجه الدروز لكن بالنسبة للمسلمين يكاد يكون الأمر مستحيلا ... وتصرخ نهى الراضى أن العراق يموت وأن العالم مجرم وأنها لن تزور أى دولة غربية مرة أخرى بعد أن اكتشفت حقيقة الغرب ووحشيته ...

تسهار العراق .. والسعودية والكويت تطلبان الثمن كى لا تعترضاً
على قرار يندد بقصف العراق!... وتطلبان الثمن فإذا لم يدفع هذا الثمن
كانت مناطق الحظر على العراق شرعية بقرارات الأمم المتحدة فإذا دفع
يمكن أن تكون نفس المناطق غير شرعية...!!!
فهل أجرو والوضع ذاك على ادعاء أننا طيبون أو حتى يمكن أن
نكون!؟

هل أجرو ويجرى فى فلسطين ما يجرى ...
هل أجرو ويحدث فى أفغانستان ما تعلمون
هل أجرو وقد بدأ سلخ تيمور الشرقية من إندونيسيا تمهيداً لتمزيق بعد
السلخ ينتونه لكل أمتنا ...
هل أجرو وما زالت ليبيا محاصرة وقد اندفعت إلى حل أظنه والله فها
... ولولا ضمانات الشجاع النبيل الشريف مانيلاً لا كتمل حزنى فإن
ضمانات السعودية تفلتنى ...
هل أجرو وشهادات الوطنية والبطولة أو الخيانة والإرهاب وحتى التدين
الصحيح تصدر من مخابرات الغرب وإسرائيل فإذا لطفى الخولى بطل وطنى مسلم
عظيم وإذا السفهاء أمراء والجهلة رؤساء تحرير والخونة فلاسفة بينما عصام
العريان وعبد المنعم أبو الفتوح ومحمد السيد حبيب ومحمود عزت وخيرت الشاطر
وعبد الحميد الغزالي ومهدى عاكف وحسن جودة ومحمود أبو رية ومحمد بدوى
ومصطفى الغنيمى وحامد محمد إبراهيم وأحمد على محمد على وأسامة خليل
ونظمى وشرف وسامى ... وأحمد عبده سليم ... و... وستون ألف معتقل فى بلد
واحد من بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ولا أعرف عدد الباقين فى باقى
أقطار أمتنا ... كل أولئك خارجون على القانون مدانون بأحكام أو طانهم بعد أن
أدانتهم أجهزة الغرب ...

هل أجرو ونزيف الوعى مستمر من ثقب الذكرة؟!..
هل أجرو وقد نما الأطفال الذين سموهم فى بداية هذا العقد محمد
بوش وعبد الله بوش على اسم جورج بوش الذى قال :
" إننى أمتل أمريكا التى تمثل بدورها الحضارة اليهودية والمسيحية
التي تقود عالم اليوم بلا منافس" ..

هل أجرو وحاكم من حكامنا يقيم الدليل - دون أى خجل أو إحساس بالعار -
على أن إيران إرهابية بعد أن ثبت له أنها الدولة الإسلامية الوحيدة التى أمدت
البوسنة والهرسك بالسلاح فى مواجهتها مع الصرب البرابرة حيث يقول أحد

وزرائهم: " إن القوات الصربية التي تذبح المسلمين وتبدهم تؤدي دور فرسان الصليب الذين ذهبوا لتخليص بيت المقدس من المسلمين إبان الحروب الصليبية".

هل أجرؤ وكل تنسيق مع أى بلد مسلم مفتقد وجنوب السودان يضيع وهو يمكن ألا يضيع لو أعلنت وحدة وادى النيل لكن الوحدة ممنوعة فى كتب واشنطن غير المقدسة ... كل تنسيق عندنا ممنوع بينما وزير خارجية إيطاليا يقول : " ما تزال مهمة حلف الأطلنطى قائمة بل وضرورية، فإذا كان الخطر الشيعى قد انتهى ، وإذا كان حلف وارسو قد ذهب، فإن الخطر الإسلامى باق ولم يذهب .. " ..

هل أجرؤ وقد عجزنا عن التفكير وعجزنا حتى أن نلتقط من علوم الغرب وأقوال مفكره ما ينقذنا من الورطة التاريخية التى نغوص فيها فلا يعلق من الجهابذة جهيد على قول أوجين روستو : " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية".

هل كنت أجرؤ و: و.ك. سميث . يفسر لنا لماذا تغيب فى غياهب السجون رموزنا حين يقول : " إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل أنظمة ديموقراطية، فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد، وبالديكتاتوريات فقط يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها...". ولأن ريتشارد نيكسون فى كتابه الخطير الفرصة السانحة يدرك : " أن العالم الإسلامى يشكل واحدا من أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الخارجية فى القرن الحادى والعشرين..". فقد أمّنوا أنفسهم بأن ولوا علينا حكما حكامنا... وعلى حكمانا يتوقف نجاح الغرب لا نجاحنا كما يقول جب : " إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة ، فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوه على الاسترابة فى أمرها، ولا ينقصها إلا وجود الزعامة، إن نجاحنا يتوقف على حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى..".

فهل كنت أجرؤ بعد كل هذا أن أقول كل عام وأنتم طيبون ؟! ..

كنت أعترزم تأجيل هذه المقالة شهورا وشهورا لى تأتى فى نهايات هذه السلسلة من المقالات تحت عنوان "الوعى ينزف من ثغوب الذاكرة " ...

كنت أريد بعد استعراض طويل وواسع للتاريخ والفكر أن أقول لكم يا قراء أن من أفضح ما نزع منه وعينا هو تزييف تاريخنا وتشويه فكرنا ووسم الأبطال بالخيانة ووشم الخونة بالبطولة ... كنت أريد ألا أستبق الحدث ... وأن أجعلكم

من خلال التاريخ والفكر تدركون أننا لا نواجه إرهاباً وأن المطاردين والمعتقلين ليسوا إرهابيين .. كنت أريد ذلك لكنني قدرت أن هذه الحلقات قد تمتد كثيراً كثيراً فنقل على قلبي أن أكتب أو أن أؤجل حقا قد عرفته^١ ...

كنت أريد أن أستعرض تلك اللحظة الفارقة التي بدأ فيها انهيارنا حتى وصلنا إلى حضيض صرنا إليه وقد انطمست أبصارنا وعميت بصائرنا فإذا بنا نرى الباطل حقاً والحق باطلاً ... وإذا وعينا خرق ممزقة تشتمل على كل المتناقضات ...

كنت أريد أن أتحدث عن الغزو الثقافي وكيف حدث ... كيف تم اختراقنا... يعرف الدكتور عبد الله التركي الغزو الثقافي بأنه : " كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقيدية والفكرية والثقافية والحضارية أو يتحرى التشكيك فيها ، والخط من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها، وإحلال سواها محلها، في الدستور أو مناهج التعليم، أو برامج الإعلام والتنقيف، أو الأدب والفن، أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة " ..

كنت أود أن أتناول ذلك بتفصيل كامل قبل أن أكتب هذا المقال ، وكنت أريد أن أرجح رأي الدكتور أحمد عبد الرحمن أن ما يحدث ليس مجرد غزو ثقافي بل هو إحلال ثقافي يرمي إلى إحلال الثقافة الغربية مكان ثقافتنا الأصلية بالكامل^٢ ... كنت أريد أن أعود إلى نهايات القرن الثامن عشر لندرس معا تفاصيله وكيف شهد بداية الانهيار للدولة الإسلامية الواحدة..

كنت أريد أن أدرس معكم الدولة الإسلامية والدولة العثمانية لافتنا الأنظار وداقاً أجراس الخطر أنه لا يوجد في العالم العربي كله سوى معهد أو معهدين هزيلين للدراسات التركية وأن كل معلوماتنا عنها تأتي من معاهد الدراسات الأوروبية والأمريكية ... معلوماتنا التي نعتمد عليها من أمريكا لذلك كان لابد أن تسوء علاقات العالم العربي بتركيا حتى لتتضم إلى إسرائيل ضده ووحى الشيطان لا يكف عن الهبوط من واشنطن ورسول الشيطان لا يكفون عن بذر بذور الشر ... ولا يقتصر الأمر على

١ - الغزو الفكري . محمد جلال كشك . المختار الإسلامي - القومية والغزو الفكري . محمد جلال كشك . دار الإرشاد . بيروت .

٢ - إسلام في وجه التغريب . أنور الجندي . دار الاعتصام .

تركيا كآخر دولة محورية للمسلمين بل إننا لو أردنا أن نعرف أى شىء عن أى بلد عربى فليس أمامنا إلا بنوك المعلومات الأمريكية والغربية ... ولست أنكر أن معلوماتها دقيقة لكنها مسمومة ... هل تذكر أن أمريكا هى التى أبلغت العراق أن الكويت تسرق بترول حقل الرميلة وحرضت الكويت ألا تسوى المسألة ... كنت أريد أن أتحدث عن اللحظة الفارقة التى أصبحنا بعدها نتقدم إلى الورا وكنت أريد أن أقول أن الموقف الاستراتيجى الواجب على العالم العربى اتخاذه هو موقف العداء لأمريكا ... ليس لأننا نريد بها شرا ولكن لأنها هى التى تريد بنا شرا ... ولست أقصد بالعداء إعلان الحرب ولا حتى وقف التعامل بل أقصد موقفا كذلك الذى تتخذه الصين أو حتى الهند ... فالصين لا تستورد السلاح الأمريكى بل تسرق التكنولوجيا النووية والهند لا تقوم بالمانورات المشتركة ولا تستضيف (!!) قاعدة عسكرية أمريكية لا تكتفى بحكم البلد التى تستقر فيه بل تحكم أيضا ما حولها من بلاد ... كان علينا أن نتخذ موقف الإدراك للعداء الاستراتيجى وأن أمريكا لن تتعاش معنا إلا حين تدرك أن تعاشها معنا أقل خطورة وتكلفة من محاولة قهرنا وسحقنا ... تماما كما يحدث مع الصين والهند ... وكنت أريد أن أقول أننا أولى منهما بهذا الموقف فعاء الغرب لنا أكبر ... فلا حضارة الصين ولا حضارة الهند شككت ذات يوم تهديدا لوجوده ولا كانت منافسا أعظم ولا ذات دولة أقوى ...

كنت أريد أن أعيد معكم دراسة التفاصيل كى نكتشف معا أى خديعة تعرضنا لها وأى هاوية ننزلق إليها ... تخيلوا جيشا يعتقل قواده ويسجن أعظم جنوده ويقتل أبطاله ويشوه مخططيته ...

كنت أريد أن أتحدث عن الحملة الفرنسية وعن محمد على وغزو المغرب العربى وما حدث فى إيران والهند وحملة فريزر وغزو مصر وكيف نشأت دول الخليج ... وعن مؤتمر "كامبل بنرمان: ١٩٠٥-١٩٠٧" واتفاقية: "سايكس بيكو ١٩١٦" و: "وعد بلفور ١٩١٧" ومعركة ميسلون ١٩٢٥ وتقسيم فلسطين.. وعن ثورة الشريف حسين وقرن من الهزائم والإحباطات ..

كنت أريد الحديث عن خطوط الحدود العربية وكيف حددت ولماذا ...
كنت أريد أن أقول لكم بالتفصيل كيف فصلت مملكة الأردن تفصيلا لتفصل
بين السعودية والعراق وإسرائيل التي لم تكن قد أنشئت بعد لكنهم أنشئوا لها
الأردن قبل وجودها بأكثر من ربع قرن ...

كنت أريد أن أقول أن استراتيجيتهم وأهدافهم لا تتغير أبدا منذ مئات
الأعوام ... ما يتغير هو وسائلهم لتحقيق نفس الغايات ... أما نحن فلا نغير
وسائلنا أبدا رغم ما ثبت من فشلها مئات المرات ... فقط نغير أهدافنا
أو على الأحرى لم يعد لدينا هدف ... انزلقنا إلى وضع غريب الكل
يخون فيه ... الكل يخون الكل ... فلا الأمة بقادرة على تغيير حكامها
ولا الحكام بقادرين على اعتقال الأمة كلها والحكم عليها بالسجن
والإعدام ... وقد أحكم من حولنا الحصار فأصبحت الخيانة ليست اختيارا
وإنما حتم لا يوجد سواه ... فإزاء الفارق الهائل بين قوانا المنهارة وقوى
أعدائنا تبدو - فى الظاهر - أى محاولة للمقاومة جنونا وتبدو الخيانة هى
الحتم الوحيد ... وإزاء الفارق الهائل بين ترسانات أسلحة الحكام وشعوب
عزلاء يبدو الاستسلام والخيانة هما الحل الوحيد... ثم أن أى حاكم عربى
أو مسلم سيواجه أول ما يواجهه بخذلان إخوانه إن هو حاول التمرد على
وضع خائن ... وبين الخيانة والخيانة لا يوجد مجال لغير الخيانة ...
فنخون الله بالآل ننصره ونخون الوطن بالآل نحمله ونخون شعبا غير قادر
على أن يغير حكمه وتبدو أى محاولة للخروج عن الدائرة الجهنمية جنونا
مطبعا فيخون الصحفيون والكتاب والمفكرون ويزور كتاب التاريخ التاريخ
... كنت أريد بعد ذلك كله وبعده فقط أن أتحدث عن فئة حاولت أن تخرج
من هذه الدائرة الجهنمية للخيانة فأصابت وأخطأت لكنهم سموهم الإرهابيين
... ليس إرهابا وليسوا إرهابيين ... بل إن أسوأ من فيهم طلبوا الحق
فأخطأوه بينما الحكام عموما قوم طلبوا الباطل فأصابوه ... إننى لا أبرر
أى عنف ولا أوافق عليه ... ليس حرصا على حكام لا أحرص عليهم ...
وليس استنكارا مطلقا للعنف - فكيف سننتصر على إسرائيل إلا بالعنف -
... لكننى فقط أردت أن أقول أن فئة من هذه الأمة حاولت قطع الدائرة
الجهنمية التى جعلت من الخيانة حتما لا مفر منه فسدت أمامها السبل ...
بالتعذيب سدت ... بالتزوير سدت ... بالقهر والبطش سدت ... بالتعاون
مع الأعداء سدت ... لا تنس أيها القارئ أبدا أن أمريكا فضحتنا حين
أعلنت عن توجهها لتكوين منظومة من مصر والسعودية وإسرائيل لمقاومة
الإرهاب ... ولعلك بعد المقالات السابقة قد اقتنعت بأنهم يستعملون
الإرهاب كمرادف أقل استفزازا من الإسلام ...

حين سدت السبل كلها غامت الطرق ولم يبد ثمة منفذ ... فرغت كل الحيل ... وكما حاصر الأعداء حكوماتنا حاصرت حكوماتنا كل من يريد إثبات أن الخيانة ليست حتما ولا قدرا ... أدركوا أن الإسلام هو محرك الثورة فراحوا يجففون منابعه ... قاطعت وسائل الإعلام رموز فكره ... وأخذ الصحفيون من خدام أصحاب الجاهلية لا الجلالة والكتاب ومزورو التاريخ يشوهون وعى الأمة ... كل الإسلاميين إرهابيون وكل الإرهابيين جهلة ... افتقد التواصل الذى كان يجب أن يكون طبيعيا بين رموز فكر الأمة ودينها وبين القاعدة العريضة فى الأمة ... أصبح ثمة فكر واحد مسيطر هو فكر الخيانة الذى يتهم بالخيانة أى خروج عليه ... سدت السبل ... ازداد الضغط فكان لابد أن تلعو درجة المعارضة والمقاومة ... أخذت السلطات فى كل أنحاء عالمنا الإسلامى تقصف - بالقتل أو السجن أو التشويه - رقباء الصف الأول من المعارضة فكل معارضة يمكن أن تطمح إلى الحكم أو تتنافس مع الحكام عليه هى معارضة خائنة ... تقدم الصف الثانى ليحل محل الصف الأول فكان بالطبيعة أقل خبرة وعلماء وثقافة وحكمة ... فعلوا مع الصف الثانى ما فعلوه مع الصف الأول فراحت الصفوف تتقدم صفا تلو صف ... ووسط الحصار الشامل أمنيا وإعلاميا وقضائيا بدأ الانحراف فى بعض الاتجاهات المعارضة ... لكن حتى هذا الانحراف بدا انحرافا حتميا ...

بعد حادث الأقصر كنت أحاور فى غضب أحد أفراد الجماعات : رجال الشرطة ضحايا مثلنا ... وهم أيضا يدورون فى دائرة الحتم التى تجعل من موقفهم العدائى منكم موقفا لا إرادة لهم فيه ... والسياح ضيوفنا ولا يوجد أى مبرر يمكن أن يقبل للاعتداء عليهم ... بل إن مجرد الاعتداء عليهم إهانة لقيمنا وخيانة لديننا وتشويها له ... وفوجئت بالرجل يرد أنه يوافقنى فى كل ما أقول ... لكن ما حدث أنه نتيجة للتشويه المستمر ولسياسة تجفيف منابع فقد فقدت الكتلة المعارضة على استمرار الانهيار قيادتها الفكرية ... أصبحوا كجنود تاهوا فى الصحراء بعد أن فقدوا الاتصال بمقر قيادتهم ... وكان حتما عليهم أن يختاروا لهم قائدا من بينهم ليست له بالطبع شمول نظرة القيادة المركزية ... لكن هذه الفئة النائية فى الصحراء حوصرت مرة أخرى واقتنص قائدها فكان على أفرادها أن يهيموا فى الصحراء فرادى بلا قيادة على كل منهم أن يمارس معركته الخاصة بلا نظرة شاملة ولا تكتيك ولا استراتيجية ... بلا أوامر ولا توجيهات ولا كوابح ... إنه يطلق الرصاصات حين يمكن أن يطلقها لا حيث يجب أن يطلقها ... وفى وسط جو الحصار هذا تقدم ليقود الفكر

غير المؤهلين له ... كان معظمهم قد أصبح محاصرا وطريدا ومطلوبا للموت... سدوا أمامهم حتى إمكانية التعلم والتعليم وتطوير أفكارهم وتصحيحها ... معظمهم شباب ضيعت السلطة والشرطة مستقبله الوظيفي أو العلمي ... توقفت الطرق الطبيعية للتعلم والتثقف واختبار الأفكار بالاحتكاك ... لم يعد أمامهم إلا الفكر المسموع يتناقلونه... وأخطر ما فيه أنه فكر مسموع لا مقروء ولا مكتوب ... لذلك لا يمكن مواجهته ... ثم أن من يسمعه يسمعه في ظروف من الحصار والخطر فيسلب منه العقل واللب لأنه هو الفكر الوحيد المتاح ... فكر مسموع لا تناقشه السلطة بل تطلق عليه وعليهم الرصاص فلا بد إذن من إخفائه والحفاظ عليه ... زاد من ذلك أن بعض من أطلقوا هذا الفكر قد قتلتهم السلطة بعد ذلك فتحولوا في وعى أتباعهم إلى شهداء واتخذت أفكارهم التي ما كان لهم أن ييئثوها إلا في جو الحصار صفة القداسة ... وكما كانت السلطة تحرم نقاش هذه الأفكار حرموا هم أيضا نقاشها ... ولم يكن الرجوع إلى مصادر الأفكار عند نشوب الخلافات بين الأتباع ممكنا فقد ماتت المصادر... وبدأت الأخطاء تسفر عن أخطاء أكبر وكل واحد منهم يسمع ما يسمع مدركا أنه قد لا يتاح له أن يسمعه مرة أخرى لذلك يتلقاه بجماع قلبه وروحه وعقله...

إن الأمر يبدو بهذه الصورة شديد المأساوية والتعقيد، لكنه لا يقتصر على ذلك، إذ يضاف إلى تلك المتاهة متاهة أخرى شيطانية تتضافر فيها تلفيقات أجهزة الأمن، وأكاذيب أجهزة الإعلام، المتصلة اتصالا وثيقا بمخططات أجهزة استخبارات ومعاهد استشراق أجنبية، يساقون إليها وهم يعرفون أو لا يعرفون.

كنت أناقش مرة أحد أعضاء الجماعات الإسلامية، وهم يعرفون مدى تعاطفي معهم، وأننى حين أنتقدهم فإنما أبتغى الإصلاح والتوجيه لا الهدم والتشويه، لذلك فإنهم هم أنفسهم يقومون بتوجيهي إلى أوجه للقصور لم أكن أراها، كما يوافقوننى على بعض انتقاداتي ويصححون لى معلوماتي عندما تكون خطأ. وفى هذا الصدد، كنت ألوم أحدهم مرة على محاولة اغتيال نجيب محفوظ، وكم أضرت بهم، وابتسم الرجل ابتسامة معاتبة مريرة، ظل صامتا لفترة، ثم تمت قائلا وكانما يحدث نفسه :

- حتى أنت؟!..

ورحت أنطلع إليه مستحشا فإذا به يقول:

- حادثة نجيب محفوظ.. حادثة الأقصر.. حادثة القللى.. هذه الحوادث بالذات يلفها غموض كثيف.. ألم تسأل نفسك لماذا؟! .. كل المعلومات عنها جاءت من أجهزة الأمن والإعلام، ولم يكن من صالح هذه أن تذكر الجماعات الإسلامية استتكرت هذه العمليات الثلاث، وأنها نفت تماما أن تكون ضالعة فيها، وناشدة مزيدا من التحريات لكشف اختراق أغلب لظن أنه أجنبى.

وواصل الرجل:

- عمليات الاختراق هذه شائعة جدا، ويمكن أن تتم من أجهزة أمن فى الداخل أو من أجهزة مخابرات فى الخارج، انظر إلى ما يحدث فى الجزائر حين ثبت أن الجيش هو الذى يقوم بالعمليات الإرهابية ثم ينسبها إلى الجماعات، انظر أيضا إلى حادثة البوينج المصرية التى أسقطها صاروخ أمريكى لم يعترفوا به أبدا، مالمذى جعل كذبهم مفضوحا، أننا ندرك أن المقدم على الانتحار لا يقول توكلت على الله، بنفس الطريقة يمكنك أن تعرف ما هى العمليات التى قامت بها الجماعات الإسلامية والعمليات التى لا يمكن أن تقوم بها.. وحوادث نجيب محفوظ والأقصر والقللى من نوع العمليات التى لا يمكن أن تقوم بها الجماعات الإسلامية .. فليبحثوا عن الجناة فى مكان آخر ..!! ثم : ألم تسأل نفسك لماذا نجيب محفوظ بالذات، ألا يوجد هناك مئات غيره يسيئون إلى الإسلام أكثر ويهاجمون الجماعات على الدوام؟.. لو أن هذا منهج الجماعات وفكرهم لسبق نجيب محفوظ فى الاغتيال كثيرون ولتلاه كثيرون. لم تكن الجماعات كما قلت لك، لكن الجانب الآخر أيا كان قد اختار نجيب محفوظ بالذات لإحداث أكبر دوى إعلامى وأكبر قدر من الإدانة للجماعات الإسلامية..

وواصل الرجل فى حزن :

- تلك هى الحقيقة التى لم يفتن إليها أى من كتابنا ومفكرينا .. وهذا وحده يدل كم نجحوا فى اختراق الجميع!!.. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

كنت أريد أن أتحدث بتفاصيل أكثر بكثير عن هذا كله قبل أن أكتب هذه المقالة لأصرخ : ليس إرهابا وليسوا إرهابيين ...

كنت أريد من ناحية أخرى أن أتناول فكر السلطة لأثبت أن كل محاولات الاستسلام للغرب لن تجدينا ... فليس للحكام حد أدنى يمكن أن يفقوا عنده لكن الأمة ليست كذلك ... وهكذا يصبح الحكام بين مطرقة الغرب وسندان الأمة فيصيحون - على سبيل المثال - أمام كوهين^١ بما يعلنون لأمتهم عكسه... وكنت أريد أن أقول أن صراعهم معنا صراع حضارة وأنه لن ينهيه إلا تخلينا بالكامل عن حضارتنا الإسلامية ... بعض الحكام مستعدون لذلك... والأمة قد تصبر طويلا حتى ترى أساسيات دينها في خطر وعندها ستقاوم كما قاوم أهل البوسنة والهرسك وكوسوفا حتى لو استشهدوا جميعا... وكنت أريد أن أضرب المثل على ما أقول بكمال أتاتورك وتركيا ..

كنت أريد أن أتناول كمال أتاتورك بالوصف والتحليل والمتابعة وأن أترك القارئ يدرك معنى أن بعض حكامنا هم كمال أتاتورك وأن فكرهم هو فكره...

كنت أريد أن أسرد ما فعله كمال أتاتورك في مؤامرة القضاء على الخلافة الإسلامية : الغى الخلافة وأعلن الجمهورية وتنكر لكل القيم الإسلامية وحذف من الدستور أن دين الدولة هو الإسلام وأمر بلبس القبعة مكان العمامة وأباح زواج المسلمات من غير المسلمين ومنع الحج وجعل الأحاد إجازة رسمية وأباح الخمر والبغاء ثم أمر واضع الدستور أن يصدره بالعبارة التالية : القرآن دستور البدواة...

سلم الكماليون مسجد أيضا صوفيا إلى الكنيسة فنزعت منه آيات القرآن وأعيدت صور القديسين والصلبان..

لقد كان رئيس تركيا في مؤتمر لوزان حاخاما يهوديا... وعن طريق محكمة الاستقلال ، لاحظ عكس المعانى : (فلا هي محكمة ولا هو استقلال) .. أجبر أتاتورك الشعب على لبس القبعات والفتيات على

١ - وزير الدفاع الأمريكي آنذاك، كان في جولة في الدول العربية التي أصدرت بيانات الشجب والإدانة لعملية قصف العراق التي سموها ثعلب الصحراء، وعندما عاد كوهين إلى بلاده صرح بأن كل البلاد التي زارها أيدت العملية بغض النظر عن التصريحات.

الرقص مع الفتيان وجاهر بشرب الخمر في نهار رمضان، ولما رفض الشعب التركي ذلك حكمت المحكمة على مئات المسلمين بالشنق والسجن والرمى بالرصاص^١ ...

بدل أتاتورك الحروف التركية من العربية إلى اللاتينية وأمر بالأذان بالتركية.. ثم تبلغ ذروة وقاحته وتهجمه على القرآن يوم افتتاح مجلس الشعب، (ترى ما هى ملابسات تغيير الاسم فى مصر من مجلس الأمة إلى مجلس الشعب) وإعلان الجمهورية إذ يقول: نحن الآن فى القرن العشرين، ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب يبحث فى التين والزيتون " .. (ترى هل يختلف موقفه عن موقف بعض حكامنا غير المعن؟! ... وهل يختلف ذلك عن سياسة تجفيف المنابع) ..

كنت أريد أن أتحدث عن تدهور تركيا يوما بعد يوم ...

لم تنقذها سياسة أتاتورك ولا خيانتته لله والأمة..

وهى اليوم مثلنا تماما مهددة بالتقسيم والتفتت..

كنت أريد يا قراء أن أنبهكم أن غسيل المخ بلغ بنا المدى الذى أصبحنا فيه ننهر بالخيانة ...

لم نحاول أن نربط أجزاء الصورة لفهم ونذكر فطفنا على سبيل المثال نشيد بكتاب على عبد الرازق: " الإسلام وأصول الحكم " الذى لم يكن صدوره بعد انهيار الدولة الإسلامية بعام واحد مجرد صدفة ... لا ... بل كان تعصيذا للإنجليز لهدم دولة المسلمين المحورية... كان الإنجليز قبلها بنصف قرن قد أخذوا ييثون العصبية القبلية والقومية كى تاكل نيرانها الدولة الإسلامية الواحدة ... وكانوا قد وعدوا كل قومية بالاستقلال ... كما وعدوا الشريف حسين بتكوين الدولة القومية العربية الكبرى كدولة محورية للمسلمين إن هو ساعدهم على هدم الدولة الإسلامية فى تركيا ... وبلغنا الطعم ... وجاء أوان تنفيذ وعد لم تكن بريطانيا تتوى أبدا تنفيذه ... كان حنثها بكل الوعود قد جاوز كل الحدود وكانت تحتاج

١ - الدولة العثمانية. دكتور جمال عبد الهادى والدكتور وفاء جمعة. دار الوفاء- الرجل الصنم. كمال أتاتورك.

إلى محلل منا فتقدم الشيخ على عبد الرازق ليفتى أن الإسلام ليس دولة ولا يحق أن يكون له دولة ...

لم نحاول كما لم يحاول الاتجاه القومي أن يفهم .. ووجدنا على سبيل المثال الكارثة من قال عن رجال ثورة يوليو ٥٢ بأنهم كانوا يستلهمون فكر كمال أتاتورك بل ويعتبره بعضهم مثلاً يحتذى ... لقد اعتذرت ذات يوم لهم بأن ثقافتهم المحدودة لم تترك لهم المجال ليفهموا ... لكنني صرخت من الألم عندما وجدت حتى مصطفى النحاس ... الزعيم الوطنى العظيم والسياسى القدير يمجّد ما فعله كمال أتاتورك فيقول : ".... ولست أعجب فحسب لعبقريته السياسية بل أعجب أيضا لعبقريته الخالقة وفهمه لمفهوم الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو..." فيرد عليه الإمام حسن البنا قائلاً: " هل يفهم من هذا التصريح أن دولة النحاس باشا - وهو الزعيم المسلم الرشيد - يوافق على أن يكون الأخذ بعد الانتهاء من القضية السياسية ببرنامج كالبرنامج الكمالى يبدل كل الأوضاع فيها ويقصّيها عن الشرق والإسلام ويسقط من يدها لواء الزعامة... لقد كان من أعز الأمنى أن يؤيدكم الله فيؤيد بكم الدين والأخلاق ...".

يا إلهى ...

إذا كان غفراننا قد اتسع لكل ذلك وإذا كان تسامحنا امتد حتى يشمل حتى كل أعدائنا فلماذا لم نسامح من نطلق عليهم الإسلاميين ...

حتى الغزوة الفرنسية سامحناها بل ورحنا نحتفل بها وهى التى قتلت من شعبنا ثلاثمائة ألف عندما كان تعدادهم مليونين ... فكأنما ضحايانا بمقاييس اليوم تقارب عشرة ملايين شهيد ... ومع ذلك سامحناها بل واحتفلنا بها ... سامحنا أيضا إنجلترا وفرنسا وإسرائيل التى ما تزال تحتل أرضنا وتمزقنا كل ممزق ورحنا نتحاور معها ... لكن كل تسامحنا قد نضب مع أخطاء الجماعات الإسلامية ...

كنت أريد أن أتناول بالتفصيل كل ذلك قبل أن تنطلق منى الصرخة : ليس إرهابا وليسوا إرهابيين لكن الصرخة كانت أقوى...

فهل أجروا يا قراء بعد هذا كله أن أقول لكم كل عام وأنتم طيبون؟!

لا أجرؤ ...

أقولها فقط لمن لم يسلّموا راية الجهاد إلا بعد سقوط التكليف عنهم
بالموت أو بالأسر .. أقولها لعصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح
ومحمد السيد حبيب ومحمود عزت وخيرت الشاطر وعبد الحميد
الغزالي ومهدى عاكف وحسن جودة ومحمود أبورية ومحمد بدوى
ومصطفى الغنيمي وحامد محمد إبراهيم وأحمد على محمد على
وأسامة خليل ونظمى وشرف وسامى ... وأحمد عبده سليم ... و..
وسنتين ألف معتقل ... و... و... و... و... و... و... و... و...
فكل عام وهم طيبون ...

غارات على القراء !!..

لم تكن وحدها، لم تكن وحدها، عندما انطلقت طائرات أعضاء النатов المجرمين، لتقصف الصرب المجرمين، فيكون الضحايا من المسلمين، لم تكن وحدها، ففي بلادنا أيضا كان ثمة حلف آخ، انطلقت غاراته لتقصف الإسلام والمسلمين.

وكما أن لديهم جنرالات فقد كان لدينا نحن الآخرين جنرالات من الكتاب، وكانوا هم الآخرين يشنون غاراتهم على الإسلام والمسلمين.

يشنون غاراتهم كي تنتسح النقوب في الذاكرة وكي ينزف الوعي..

وظاهرة الكتاب الجنرالات ظاهرة عجيبة في بلادنا أم العجائب..

إذ فجأة تتفق أجهزة الإعلام على أن كاتباً معيناً هو كاتب كبير، تحيطه بهالة من العظمة والمجد، فلا يعرف القارئ كيف أصبح هذا الكاتب كبيراً؟ ولا لماذا؟ ولا يجرؤ حتى على التساؤل فمجرد التساؤل يعنى أن القارئ جاهل لا يعلم من أمور دنياه ما هو معلوم بالضرورة، ثم أن القارئ يحاول أن يقرأ لهم لكنه لا يفهم شيئاً، ولأننا طيبون ومسالمون فإننا نبادر إلى لوم أنفسنا، إن الكاتب الكبير عميق جداً وفيلسوف حتى أذنيه لذلك من الصعب على أمثالنا فهمه، فلا يخطر ببال القارئ أن ما يكتبه هؤلاء الكبار، متعمد الغموض، إما لأنه بلا معنى أصلاً، وإما لأنه يهدم ثوابت الأمة، حتى أن واحداً منهم يعترف لخاصته: "لو فهمتُ قُتِلْتُ!"، ويستمر الكاتب الكبير لا يقرأ له أحد، ومع ذلك تتسابق كبريات الصحف على نشر مقالاته، ولا يشتري أحد كتبه، ومع ذلك تتنافس دور النشر على نشرها، فلأنما صفة الكاتب الكبير رتبة كهنوتية محاطة بالطلاسم والأسرار، لا يجرؤ على مواجهتها والتصدى لها سوى الإرهابيين والأشرار والكفار ..

أو لأننا رتب الكتاب كرتب الجيش والشرطة يصدر بها مرسوم من القائد الأعلى، فهل يستطيع العساكر أو الدهماء والقراء أن يسحبوا من اللواء رتبة اللواء أو من المشير رتبة المشير؟!

١ - صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٤/٩

٢ - في تحقيق صحفى نشرته صحيفة الأسبوع المصرية، صرح الناشرون بأن كتب معظم كبار الكتاب لا توزع، قال أحدهم أنه وزع من كتاب أحدهم ثلاث نسخ، وتحدى آخر أن يصل عدد توزيع أكبرهم ٣٠٠ نسخة. ما لم يقله الناشرون أن إقدامهم على هذه الخسارة المحققة إما لتجنب شر أو لجنى منافع أكبر باستغلال سلطة ونفوذ كبار الكتاب، وأن ذلك وجه آخر لفساد الحياة الثقافية في بلادنا.

لم يكن جنرالات النانو وحدهم هم الذين يقصفون..
كان جنرالاتنا أيضا يقصفون..

كانوا كجنرال من جنرالات أفريقيا الوسطى يمر المساء عليه وهو شلويش ثم يأتى به الصباح جنرا لا وزعيما ملهما تمتلى البنوك بملايينه وكلما ازداد قصفه لوعى أمته ازدادت ملايينه..

لكنهم - مهما قلدتهم الحكومات من الأوسمة والنياشين أو أصدرت لهم المراسيم - لا يعدون ذلك الجنرال الهزلى الذى كان يجوب ملتقى شارعى طلعت حرب و٢٦ يوليو فى بداية الستينات بسمات كسمات هتلر وشارب كشاريه وملابس كملاسه لكن أوسمته ونياشينه كانت من أغطية الزجاجات الفارغة..

هؤلاء الكتاب الكبار ليسوا صناعة محلية فقط فالمراسيم التى تقضى برسمهم كتابا كبارا تأتى من الخارج أيضا من نفس الجهات التى جعلت من سلمان رشدى وتسليمه نسرين وعلاء حامد كتابا كبارا، ومن نفس الجهات التى منحتهم الجوائز وجعلت المجرم كلينتون يقابل سلمان رشدى لا لشيء سوى أنه فجر فشب الرسول صلى الله عليه وسلم..

لا تتخدع يا أخى القارئ بهم، إنهم ليسوا كتابا ولا هم بكبار بل هم أشبه بأولئك النصابين المجرمين الذين ينتحلون صفة ضباط الشرطة كي يحكموا الحصار على ضحاياهم المساكين الذى يأتىهم الفرع حيث يتوقعون الأمن، والهول ممن ينتظرون منه العون، إنهم لا يرتقون تقوب ذاكرتك التى ينزف منها وعيك بل هم يدمرونها تدميرا.

إن المعلومات الصحيحة أمامهم لكنهم يعافونها..

وعندما ينقبون فى تاريخنا فهم أشبه بشخص يدخل فى منزلك ليتجه فورا إلى سلة القمامة فينتقى منها ما يشاء له شيطانه ثم يدعى أنك تأكل هذا وتشرب ذلك

إنه يتجاهل - أظن عن عمد - الحقيقة لينشر الأكاذيب..

لطالما تساءلت وأنا أتابع هؤلاء الكتاب، هل هم جهلة إلى الحد الذى لا يعرفون فيه أبجديات التاريخ؟ أم هم أغبياء للدرجة التى لا يفهمون بها هذا التاريخ؟ أم أنهم ببساطة خونة؟ فإذا كانوا خونة.. كيف تسمح لهم

١ - يمكن أن نضيف الآن حيدر حيدر، كما يمكن أن نضيف معظم النخبة المثقفة المستغربة، لاحظ أن هذا المقال نشر قبل أزمة الوليمة بأكثر من عام.

الصحف القومية بالكتابة فيها.. الصحف القومية.. القومية.. فإذا مر الأمر لسبب أو لآخر - وأغلب الظن أن هذا السبب لا يعدو التواطؤ - على رؤساء تحرير تلك الصحف.. فأين مجلس الشورى الذى يعينهم.. هل يخون الكل الكل..

هل الأمر كما يقول الكاتب الكبير - حقا وصدقا - برهان غليون أن الدولة فى مجتمعاتنا أصبحت تخون الأمة^١..

لقد صرخت الكاتبة الكبيرة - حقا وصدقا - الدكتورة ليلي عنان أن ما تشهده الأمة من تزيف الوعى جعلنا نعرف عن نابليون بونابرت أضعاف ما نعرفه عن خالد بن الوليد!!!.

هذا المثل الصارخ ينطبق أكثر ما ينطبق على موقفنا من الدولة الإسلامية المحورية ومن الدولة العثمانية ومن أشلائها ومزقها من الكويت إلى كوسوفا ومن الأكراد إلى جنوب السودان .

الكارثة أن ثمة كتابا نحترمهم ونثق فيهم لكنهم خدعوا فى الكتاب الكبار فعجزوا عن مواجهة الدنس والزيف فيهم فانزلقوا إلى عمليات تبريرية فكرية يبدون فيها كالزوج المحلل فى علاقة أئمة فهم يريدون على الدوام أن يوفقوا بين الفكر الدنس المجرم لهؤلاء الكتاب الكبار وبين الفكر الصحيح انبهروا بهم فقدوا استعلاء المؤمن واعترازه عجزوا أن يقولوا للنصاب أنت نصاب وللمدلس أنت مدلس وللخائن أنت خائن وللكاfer أنت كافر فقدوا الثقة فى الله وفى الإسلام وفى الإنسان فيوشكون لولا الخجل أن يعتذروا لأننا عرب أو مسلمون ويوشكون أن يتبرءوا من أجدادنا وأسلافنا ومبادئنا وقيمنا..

واحد من أولئك الذين نحترمهم كتب عن الالتباسات فى العلاقة التاريخية بين كوسوفا وصربيا..

يا إلهى..

اللتباسات..

وبعد كل ما كتبت فى هذه الصفحة وبعد كل ما تحفل به كتب التاريخ

اللتباسات..

كوسوفا لم تكن أبدا جزءا من صربيا..

لكن التلفزيون يستضيف كاتباً في صحيفة معارضة (معارضة لله !!
فهى من حزب الشيطان) فيكذب ويدعى أن غالبية شعب كوسوفا يريدون
البقاء مع صربيا فيسأله المذيع عما يحدث فيجيبه أن الإرهابيين المتمثلين
فى جيش تحرير كوسوفا هم الذين أيقظوا الفتنة..

هل يمكن أن يكون هذا الكاتب جاهلا إلى هذا الحد..

غيبا إلى هذا الحد..

خائنا إلى هذا الحد..

وهل التليفزيون برئ من دم كوسوفا براءة الذنب من دم يوسف صلى
الله عليه وسلم ، أم أنه مشارك فى الجريمة عندما يستضيف الاتجاه الذى
يعبر عن وجهة نظر معينة مهملا الاتجاه الآخر ، ودائما يكون هذا الاتجاه
الآخر هو الاتجاه الصحيح، وتكون مهمة الجهاز الإعلامى الأول فى البلاد
تمزيق الوعى وتشويهه.

هل التليفزيون برئ أم أن جريمة تزيف الوعى جريمة كالزنا لا بد لها
من طرفين كى تقع..

لم تكن كوسوفا أبدا جزءا من صربيا إلا بعد أن احتلها الجزار
ميلوسيفتش عام ٨٩..

ولم يكن ثمة شعب فى كوسوفا يوافق على الانضمام لصربيا فأخر
استفتاء أسفر عن أن ٨٧% من شعب كوسوفا يطلب الاستقلال، ولم يحدث
مرة واحدة منذ انفصال كوسوفا عن الدولة العثمانية عام ١٩١٢ أن وافق
الشعب فى كوسوفا على الانضمام لأى كيان آخر سوى ألبانيا..

ولم تكن أرض كوسوفا ملكا للصرب إلا أقل من مائتى عام مائتى عام
من ثلاثة آلاف عام من التاريخ المكتوب..

ما يحدث فى كوسوفا هو ما يحدث فى فلسطين فإن كان فى فلسطين
التباس ففى كوسوفا التباس بل فى مصر التباس أكبر ومن حق الرومان
والفرس والإنجليز أن يطالبوا بحقوقهم فينا..

إن عمر يوغسلافيا فى التاريخ كله ستون عاما، عشرون منها بعد
الحرب العالمية الأولى، وأربعين بعد الثانية، لم تكن موجودة قبل ذلك، ولم
تستمر فى الوجود، ولقد أوجدتها الدول الكبرى فى كل مرة من أجل مهمة
محددة، فلما انتهت المهمة انتهت الدولة. والجهلة والحمقى والأغبياء

والخونة الذين يدعون تبعية كوسوفا لصربيا يدلسون علينا فلقد كانت تبعيتها - فى هذه الستين عاما - ليوغسلافيا وليس لصربيا، وحتى فى تبعيتها ليوغسلافيا كانت تتمتع بحقوق أشبه بحقوق جمهورية مستقلة ، وكانت صربيا هى الأخرى تابعة ليوغسلافيا.

العلاقة الوحيدة بين كوسوفا وصربيا هى علاقة الاحتلال..

لا العرق مشترك ولا التاريخ متفق..

يتحدث الأستاذ محمد يوسف عدس عن أصل الصرب والألبان فيقول

كان الصرب ضمن قبائل سلافية كثيرة يعيشون فى وسط أوروبا شمال نهر الدانوب ولم يعبروا النهر إلى البلقان إلا فى القرن السابع الميلادى عندما استدعاهم الإمبراطور البيزنطى " قسطنطين بروفير جينيتوس" لمساعدته فى طرد الغزاة الأفار، وقد استقر الصرب بعد ذلك فى منطقة "راشكا" ولم يتوسع الصرب نحو كوسوفا إلا فى أواخر القرن الثانى عشر.

وقبل أن يعبر الصرب إلى البلقان بعدة قرون كانت القبائل الألبانية "نسبة إلى جبال الألب" موجودة ومستقرة فى المنطقة الممتدة من كوسوفا إلى ألبانيا على ساحل البحر المتوسط هذه القبائل الألبانية تنتمى إلى العنصر الإليريالى اللاتينى وتتميز بلغتهم اللاتينية التى ظلت باقية معهم إلى اليوم، وفى عصور لاحقة تميزت قبائل الغرب مستقلة بمنطقة عرفت فيما بعد باسم ألبانيا، كما استقلت قبائل الشرق بإقليم شديد التميز واضح الحدود جغرافيا سمى فيما بعد باسم "كوسوفا" أما حكاية الغزو العثمانى لصربيا الذى غير الواقع السكانى فى كوسوفا بطرد الصرب منها وجلب المسلمين من ألبانيا فاصبحوا هم الأغلبية حتى اليوم، فذلك قرية كبرى لا تستند إلى أى دليل، فالعثمانيون على عكس هذا الزعم هم الذين جاءوا بالصرب إلى كوسوفا وإلى البوسنة، فقد كان للكنيسة الأرثوذكسية مكانة خاصة عند السلطان العثمانى نفسه وقد حظيت برعاية خاصة فى كنفه قرونا. ولكن هناك أسطورة صربية تتحدث عن شيء اسمه " فيليكاسيريا " ومعناه الخروج العظيم تاريخه عام ١٦٨٩ ميلادية، وسببه كما تحكى الأسطورة معاقبة الصرب على انحيازهم للغزو النمساوى لكوسوفا فلما استعاد العثمانيون كوسوفا طردوا البطريرك الصرب "أرسينا الثالث" ومعه أربعمائة ألف صربى ، فتوجهوا بدعوة من الإمبراطور النمساوى للإقامة فى المجر. وعلى الرغم من أن مثل هذا الخروج لم يثبت بأى دليل قطعى

ولا مرجح ألا أنه أصبح من المسلمات لا فى الأساطير الشعبية فقط ولكن فى التاريخ الرسمى للصرى أيضا. ويرتب الصرب على هذا الخروج الأسطورى المهيب زعماء بأن الألبان كانوا قلة لا تذكر فى كوسوفا قبل سنة ١٦٨٩، وأنه فقط بعد هذا النزوح الصربى تدفق المسلمون قادمين من ألبانيا، ومن هنا جاء الخلل السكانى فى كوسوفا فأصبح الصرب أقلية لا تزيد عن مائتى ألف الآن وأصبح الألبان أكثر من مليونين هذا ما يقوله الصرب ويردده كتابنا خلفهم لكن ماذا تقول الوثائق التاريخية ٢٠٠٢.

المؤرخون المحدثون ومنهم المؤرخ البريطانى نويل مالكوم يفندون هذه الأسطورة بعد أن بحثوا وقائعها فى الوثائق النمساوية والألمانية والإيطالية، وتبين لهم الحقائق التالية :

أولا : أن الإمبراطور النمساوى "ليوبولد الثانى" لم يطلب من البطريرك الصربى "أرسينيا" الذهاب إلى المجر ولم يمنحه الامتيازات التى يدعيها الكتاب الصرب، ولكن على العكس من ذلك تماما، فقد أرسل الإمبراطور رسالة إلى البطريرك يحثه فيها على البقاء فى كوسوفا ومواصلة تشجيع الأرثوذكس على التمرد ضد العثمانيين حتى تأتيتهم النجدة النمساوية، يقول الإمبراطور فى رسالته : "لا تهجر أرضك ولا زراعة حقلك" فجاء المؤرخون الصرب على عبارة : "لا تهجر" فحذفوا أداة النفي لينقلب المعنى وتتسق الرسالة مع بقية الأكذوبة.

ثانيا : تدعى الأسطورة أن البطريرك "أرسينيا" استقبل القائد النمساوى المنتصر "بتشلومينى" عندما دخل كوسوفا، بينما تؤكد الوثائق أن البطريرك كان خارج كوسوفا عند وصول بتشلومينى إليها، بل إن التاريخ الذى حدده المؤرخون الصرب لهذا اللقاء يكشف عن تزييف آخر لأن بتشلومينى كان ميتا قبل هذا التاريخ نتيجة مرض مفاجئ!!

ثالثا : عثر المؤرخون على رسالة البطريرك "أرسينيا" إلى الإمبراطور النمساوى يصف له فيها تدهور أحوال المهاجرين الصرب فى المجر ويطلب مساعدته العاجلة، يقول البطريرك: لقد حضر هنا رجال مع زوجاتهم وأطفالهم فى حالة تعيسة، وأصبح عدد المهاجرين ثلاثين ألف نفس .

كلها أكاذيب يرددها مفكروننا الجهابذة ..

لقد كتب فؤاد زكريا^١ على سبيل المثال يردد كل هذه الأكاذيب فى يقين كهنوتى فقال: الخلفية البعيدة لهذا الصراع هى الاحتلال العثمانى لأجزاء كبيرة من دول البلقان الحالية، ومنها يوغسلافيا كما كانت تعرف حتى العقد الماضى، هذا الاحتلال العثمانى لأجزاء من أوروبا المسيحية يبدو أنه كان يتسم بقدر كبير من القسوة والدموية، فقد كان السلاطين الأتراك المسلمون يحاولون نشر الإسلام فى المناطق المسيحية التى احتلوها باستخدام القوة الغاشمة، وما زال الأوروبيون حتى اليوم، يذكرون بقدر كبير من الأسى، تلك المذابح الفظيعة التى ارتكبتها الأتراك فى العهد العثمانى، التى كان ضحاياها يعدون فى بعض الأحيان بعشرات الألوف، فقد ترسبت هذه الذكرى الأليمة فى اللاشعور الجمعى لكثير من الأوروبيين، وهى تفسر بغير شك كثيرا من المواقف التى يتخذها الأوروبيون المعاصرون من الإسلام والمسلمين".

يا إلهى هل يمكن أن يبلغ الضلال والتضليل إلى هذا الحد؟!

تأملوا هذا اليقين الكهنوتى المطلق الذى يجعل مما يقول عن المذابح الفظيعة التى ارتكبتها العثمانيون حقيقة مطلقة وطلسم لا يجوز لك مناقشته أو حتى تحليله لتمييز الطيب فيه من الخبيث..

إن الكثيرين من مؤرخى الغرب أنفسهم يرجعون بعض أسباب انهيار الدولة العثمانية إلى التسامح الدينى حيث سمحت بوجود الأديان الأخرى إلى جوار الإسلام. لم تفعل ما كان يفعله البرابرة والهمج الهامج فى أوروبا من استئصال كامل وشامل للمسلمين .. وكان بعض من تركتهم الدولة العثمانية (خاصة بين شعوب البلقان) هم الذين قادوا الثورة ضدها.

إن قلنا أن مثل هذا الكاتب مغزوّ بالغرب حتى النخاع وقد انطوى قلبه كقلوب الصليبيين على البغض والاحتقار للإسلام والمسلمين فلماذا لم يقرأ ما كتبه مؤرخو الغرب أو ما اتخذته مجامعه من قرارات.

لماذا لم يقرأ ما كتبه الدكتور زينب عبد العزيز فى كتابها: (موقف الغرب من الإسلام: محاصرة وإبادة)^٢ : فى سنة ١٩٦٥ اتخذ مجمع الفاتيكان الثانى قرارات تعتبر نقطة تحول جذرية فى مواقف الكنيسة الكاثوليكية فقد اتخذ قرارين فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية وهما مبدأ

١ - مفكر مصرى ينتمى إلى النخبة المستغربة، وكان هجومه علينا عنيفا أثناء أزمة الولاية، لم يعتبرنا حتى رأيا آخر، وإنما طالب بمحاكمتنا!!

٢ - مرجع سابق.

التحاور مع الإسلام وتبرئة اليهود من دم السيد المسيح - مع الاعتذار شفافة للمسلمين (وفقا لما هو مكتوب في مصادر عدة) ، والاعتذار كتابة لليهود، في نفس البيان، عن كل ما بدر من أحقاد واضطهادات..

هم الذين اعتذروا ولم يطلبوا منا أبدا الاعتذار لأنهم يعرفون حجم جرائمهم معنا لكن الدكتور فؤاد زكريا يعتذر..
لا تعتذر إليهم بل اعتذر إلينا لأنك منا..

أما العثمانيون الذين تعتذر عما فعلوا فلم يكونوا إلا استمرارا لنهج أجدادهم وأسلافهم السلاجقة والذين كافحوا وفشلوا في رد الحملات الصليبية علينا فجاء العثمانيون لينجحوا كانت لهم أخطاءهم وبعضها فادح لكنها لا تقارن أبدا بأخطاء أعدائهم (وأعداؤهم يا د. فؤاد ذكرى هم أعداؤنا !!) لكنك اكتفيت بالحديث عن المذابح الفظيعة التي ارتكبتها العثمانيون ضد الأوروبيين ملتصقا فيها المعاذير لموقفهم منا حتى الآن.

لقد نفخت آلة الإعلام الغربية الجبارة في هذا التاريخ المكذوب فبالغت كثيرا وأهملت كثيرا والكاتب الجهبذ الذي عاد في التاريخ ستمائة عام كي يبحث للأوروبيين عن معاذير لم يشأ أن يؤصل الحكاية من بدايته ألم يشأ أن يعود إلى ما فعله الفرنجة بنا - حتى في كتب الفرنجة أنفسهم - كي يلتبس للعثمانيين بعض معاذير.

لم يشأ الكاهن أن يعترف أن الأوروبيين (الرومان - الفرنجة) لم يغفروا أبدا للمسلمين أنهم أجلوهم عن مستعمراتهم في أفريقيا وآسيا، ظل الحق يدوج نارا في قلوبهم عبر الزمان لم يستطيعوا النيل من المسلمين أيام الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية فلما ضعفت الأخيرة تولى الحمدانيون المواجهة من حلب فردوا غارات الصليبيين فلما ضعف الحمدانيون نهض السلاجقة للمواجهة : والسلاجقة هم أجداد العثمانيين ويشتركون في الأصل .

وعن هذه الحقيقة يقول "فازلي سيف" ^١ وهو مؤرخ أجنبي يا دكتور فؤاد زكريا : "كان العرب منذ القرن السابع حتى منتصف القرن الحادي عشر يمثلون الإسلام. ومنذ منتصف القرن الحادي عشر حتى سقوط بيزنطة في عام ١٤٥٣م أصبح يمثلها الأتراك : السلاجقة منهم أولا ثم تلاهم العثمانيون".

١ - تاريخ أوروبا العام والمسألة الشرقية . مرجعين سابقين .

يلتمس الدكتور فؤاد زكريا المعاذير لما فعله الصرب فيما فعله العثمانيون منذ ستمائة عام ، لكنه لم يشأ أن يعود قرنين آخرين ليسرد علينا ما فعله الفرنجة بنا، لم يشأ حتى أن يعود إلى مراجع الفرنجة أنفسهم لم يشأ أن يعود إلى المؤرخ الأمريكي بول كولز أو ما أوردته الدكتورة زينب عبد العزيز أو ما ورد في مئات الكتب الأخرى منها على سبيل المثال لا الحصر "كى لا ننسى التاريخ" : موسى الزغبى و " المسألة الشرقية" :محمود الشاذلى و"تاريخ الدولة العلية العثمانية" لمحمد فريد و"تاريخ الدولة العثمانية" : على حسون و"صحوة الرجل المريض" لموفق بنى المرجة و"الصراع الإسلامى الصليبي" للدكتور محمد مؤنس أحمد عوض و"على خطى الصليبيين" : جان كلود جويبو و"والدى السلطان عبد الحميد الثانى" : مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلى و"تصحیح أكبر خطأ فى التاريخ الحديث" : السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية تأليف أنور الجندى ولا أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين بن على الحسينى ولا "الإمبراطورية العثمانية" سعيد أحمد برجاوى ولا حتى السف والهلل : رضا هلال أو سنوات المتأهة للصافى سعيد أو عقود من الخيبات لحمدان حمدان ..

لم يشأ أن يروى لنا المذابح التى ارتكبها الفرنجة ضد السلاجقة وهم يحاولون حمايتنا من الغزوة الصليبية الأولى، ولكى تدرك أيها القارئ كيف يكون الانحياز فى التاريخ إجراما، وكيف يكون إهمال وتجاهل بعض أحداثه والتركيز على أخرى دفاعا عن الشيطان، فلتسمح لى أن أعرض عليك شذرات مما أهمله الدكتور فؤاد زكريا ولاحظ أيها القارئ أننى أنقل لك من كتبهم وأنهم عندما يقولون الكفرة أو الكلاب فإنهم يقصدوننا:

كان الصليبيون قد نجحوا فى هزيمة السلاجقة واجتياحهم واجتيازهم حتى وصلوا إلى أنطاكية حيث يقول مؤرخهم :

كان جنودنا يكرهون أولئك الكلاب القذرين، وتبعثرت أشلاء (الكفرة) فى كل مكان وانتشر الكرب وعويل والنسوة وقد جرى ذبح آباء الأسر مع جميع أبنائهم، وجرى تدمير محتويات المنازل، وتملكت المنتصرين شهوة قتل جنونية وجشع ونهب، لهذا لم يستثنوا من القتل لا الجنس ولا المنزل الاجتماعية، ولم يقيموا للسن أدنى قيمة. ووضعوا السيف فى رقاب الأمهات، وأبنائهن، تم اقتسموا أثاث المنازل والذهب والثياب النفيسة ، ويروى أنه قتل فى اليوم الأول أكثر من خمسة عشر ألفا من أهالي أنطاكية . وانتشرت جثث القتلى غير المدفونة على طول الطرقات .

فى معرة النعمان أمن القائد الصليبي (بوهمند) أهل البلدة ففتحوا له أبوابه أوفى الفجر بدأت المجزرة الرهيبة، لقد قتل الغزاة كل من صادفهم من رجال ونساء وأطفال يذكر ابن الأثير^١ أن عدد القتلى قد تجاوز مائة ألف من المؤكد أن ابن الأثير لن يعجب الدكتور فؤاد زكريا فلندعه إذن إلى راؤول دوكاين^٢: "إن جماعاتنا كانوا يغلبون الكفار الراشدين فى القدور" كانوا يأكلون جثث العرب والمسلمين كانوا يتجمعون حول النار مساء من أجل التهام فرائسهم وهم يشوونها على تلك النيران".

أما ما حدث فى القدس فيقول مؤرخوهم : انتشرت المذابح المخيفة فى كل مكان ، وتكدست الرؤوس المقطوعة فى كل ناحية بحيث تعذر الانتقال من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين، وأحدث مقاتلونا قتلا لا يوصف ، وتبع مواكب القادة حشد من المؤمنين المتعطشين لدماء أعدائهم والمصممين تصميما كاملا على إبادةهم دون رحمة أو شفقة على أولئك الكفرة الأذال، وغمر المكان كله بدم الضحايا، وكان هذا هو حكم الله القويم الذى قضى على الذين دنسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية ، ثم طاف بعض من جنودنا فى أرجاء المدينة بحثا عن الهاربين فاقنطادوهم وذبحوهم كالأغنام ، وتشكلت زمر اقتحمت المنازل حيث تم إلقاء القبض على بعض أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وتم القضاء على الجميع وقذف البعض من الأماكن المرتفعة حيث هلكوا وهكذا لقد أصبح المنظر سارا ومصدرا للابتهاج الروحي " ..

كانت عملية إبادة كاملة شاملة لم يبق بعدها فى المدينة مسلم .. قتل ستون ألفا يا دكتور فؤاد زكريا .

ها قد أوشك المقال على الانتهاء، لكننى قبل أن أنتهى أريد أن أنبه القارئ إلى أن ما يحدث فى كوسوفا يعطينا الدرس تلو الدرس الا نعتمد على من سوانا ، لقد كان ضحايا المسلمين فى كوسوفا بنجدة النانو أكثر

١ - البداية والنهاية. ابن كثير. دار العد العربى. العباسية - راجع أيضا: الكامل فى التاريخ لابن الأثير. دار الكتب العلمية . بيروت .

٢ - كى لا ننسى التاريخ . موسى الزغبي .

من ضحاياهم بدونها ، وفى كل شر !!.. يجب أن نعتمد على أنفسنا ،
أن تكون لنا دولتنا المركزية الواحدة التى تدافع عن الإسلام والمسلمين
فى كل مكان..

و أريد أيضا أن أوجه عتابا مريرا داميا إلى السياسية الخارجية
المصرية، ففى أول هذه السلسلة من المقالات منذ أكثر من شهرين ناشدت
وزير الخارجية أى نوع من الدعم المعنوى لشعب كوسوفا وتأخر هذا
الدعم كثيرا كثيرا وعندما جاء بدا أنه ليس استجابة لله وللدين وللضمير بل
استجابة لواشنطن ..

وعندما جاء ..

كان للمرارة والأسف والخزى والعار ..

تاليا ..

لدعم ..

من ..

إسرائيل !!..

يا وطنى : هل أنت بلاد الأعداء ؟!

هل أنا أمثولة ١١؟ ..

هل أنا نادرة من تلك النوارد التى يروونها ضاحكين عن جندى من جنود الحرب العالمية الثانية، التجأ إلى الغابات، وظل السنين تلو السنين كامناً، يشحذ سلاحه، ينتظر أوامر قائده، أو فرصة للتمكن من عدوه، ويحاول المحاولة تلو المحاولة، أن يعيد ضبط ترددات جهاز اللاسلكى، كى يستطيع إعادة الاتصال بمقر قيادته، لكنه كل مرة يفاجئ بأن الأمور قد تداخلت تداخلاً فظيماً، فما يصدر عن مقر قيادته هو بنفسه ما يصدر عن العدو، أما قائده، الذى قلده ذات يوم أوسمة البطولة، فإنه يتهمه الآن بالإرهاب، ويطلب منه تسليم نفسه، وتدمير سلاحه، ويطلب منه الاستسلام بلا قيد وبلا شرط، إن الجندى يراجع نفسه، الصوت صوت القائد، لكن الأوامر أوامر العدو، هل أسير القائد؟.. هل خدعوا القائد ؟ .. هل خان القائد ؟.. هل باع القائد ؟.. هل يخدعه العدو ؟.. أم انقلب الشقيق عليه ؟.. ثم أين زملاؤه ؟.. وأين الأمة ؟.. هل انضموا جميعاً إلى جيش العدو ؟.. هل يسعى إليهم أم يهرب منهم ؟.. فماذا يفعل ماذا يفعل ماذا يفعل ؟..

ينساب إلى خيال حزين، ربما كان رؤياً، وربما كان من خلال أستار الزمن رؤية، عن فارس، ربما كان فى الأندلس أو فى العراق أو فى سبىاء أو فى البوسنة والهرسك أو الفلبين أو كوسوفا أو فى بخارى أو فى سمرقند ، فارس يحاول الدفاع عن قلعة تهدمت حصونها ونقبت ثغورها، وانشغل ولايتها الخونة عن الدفاع عنها بجمع ما سرقوه منها والهرب، ويقف الفارس حيراناً، هذا الثقب أولى بالدفاع أم ذاك الثقب، تلك الثلة من فرسان العدو أم تلك القلة، هل يندفع إلى اليسار أم اليمين أولى، إلى الأمام أم الخلف أخطر، كلما اتجه إلى مكان اكتشف أن الخطر فى المكان الآخر أشد، وكلما عزم على أمر وجد أن فرصة تنفيذه قد ولت، تجيئه النداءات من كل صوب، والاستغاثات من كل جهة، اختلطت الأصوات فما عاد يعلم

إن كان الصوت صوت أخيه أم صوت عدوه، وما إذا كانت الاستغاثة صادرة لتحذيره أم لتضليله كى يندفع إلى المكان الخطأ فى الزمان الخطأ، اشتبكت الأصوات واختلطت الملامح، الأعداء يلبسون زى قومه وقومه يلبسون زى الأعداء، لم يعد يعرف، لم يعد يفهم، عيناه تكذبان وأذناه تكذبان وفكره يختل، إلى من يستجيب؟ من يُنجد وبمن يستجد؟؟ تدور عيناه، تتسعر عيناه، يجرى لكن فى نفس النقطة من المكان، يلهث، يدور حول نفسه، يظل يدور، ويدور ويدور..

لماذا خدعنا مثقفونا ؟..

لماذا انتسحوا بأردية الأعداء ؟..

لقد انهزموا فلماذا حين انهزموا لم يذهبوا إلى بلاد الأعداء ليعيشوا فيها ؟..

لماذا ما داموا لم يذهبوا لم يصمتوا حتى يموتوا ؟..

لماذا روجوا بيننا فكر الهزيمة ؟..

لماذا زيفوا التاريخ حتى لم يتركوا لنا ما نفخر به أو ما نعود إليه مستلهمينه كى نهض من كبوتنا لننقدم ؟..

لماذا لماذا ؟؟ ..

لماذا تحدث فؤاد زكريا عن دموية العثمانيين وهو فى ذلك مُفرط ولماذا تجاهل دموية ووحشية وهمجية الغرب وهو فى ذلك مُفرط؟.

لماذا أخفى جزءا من الحقيقة بل كل الحقيقة، بل إن إخفاء جزء من الحقيقة يكون أحيانا أسوأ بكثير من إخفاء كل الحقيقة فأفضل لنا - على سبيل المثال - ألا نقول شيئا على الإطلاق من أن نقول ويل للمصلين، ونصمت !! إنه يتحدث عن يوغسلافيا (كما كانت تعرف حتى العقد الماضى) لكنه لا يقول لنا أن يوغسلافيا كلها جملة اعتراضية فى التاريخ لم تمكث سوى أكثر قليلا من نصف قرن بينما شعب كوسوفا موجود فى مكانه وأرضه منذ ثلاثين قرنا على الأقل (بل وتقول بعض الروايات سبعين قرنا !!) ثم أنه وأضرابه يذكرون يوغسلافيا بخلط مخيف غير شريف حين يمزجون يوغسلافيا تيتو بصربيا ميلوسيفيتش التى يسمونها هى الأخرى يوغسلافيا، يخلطون متعمدين ويكذبون عامدين ويتجاهلون أن الأولى كانت اتحادا بين جمهوريات عديدة إحداها صربيا وقد تفتتت هذه

الجمهورية بعد موت تيتو بعشر سنوات تقريبا فانسحبت الجمهوريات الأساسية :سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا بينما يوغسلافيا الثانية إحدى هذه الجمهوريات (صربيا) وقد اتحدت كونفيداليا مع الجبل الأسود اختيارا (كلا الشعبين ينتميان لنفس العرق) وفويودينا إجبارا ثم قامت باحتلال إقليم كوسوفا الذى رفض الاتحاد الكونفدرالى.

كان إقليم كوسوفا يتمتع فى عهد تيتو بالحكم الذاتى على مستوى بقية الجمهوريات تقريبا وكانت يوغسلافيا تتكون من وحدات فيدرالية يتولى رئيس كل وحدة منها رئاسة يوغسلافيا كلها لمدة عام، وبناء على ذلك فقد وصل ممثل كوسوفا " سنان حسانى " إلى أعلى منصب فى البلاد : رئيس جمهورية يوغسلافيا عام ١٩٨٦ ونظرا لأهمية كوسوفا فقد كان نائب تيتو " فاصل هوجا " من شعبها.

تفتتت جمهورية يوغسلافيا وبقيت بلجراد عاصمة لصربيا وهى بالطبع - وإن تكن نفس المدينة - غير بلجراد التى كانت عاصمة للجمهوريات كلها، ويقوم الخلط العائد المتعمد الذى يقوده أمثال فؤاد زكريا وأجد مبيقاتى وأجهزة إعلامنا الرسمية على الخلط بين الأمرين: يوغسلافيا القديمة والجديدة، بلجراد القديمة والجديدة.

تحت تأثير مثل هذا التضليل اندفع صحفى شاب^١ وهو فخور بجهله ليتحدث - فى تعاطف مريض - عن رفضه لانفصال كوسوفا عن صربيا وإلا فتحنا باب مطالبة الأقليات بالانفصال عن دولها الأم..

يا مسكين لا تجعل مصادر ثقافتك صحفا ومجلات لا تنشر إلا الكذب وإذاعات لا تذيع إلا الأباطيل.

يا مسكين لقد وصل فكر بعض اليسار إلى حدود "المسخرة".. حين حزن من أجل استقلال الجمهوريات الإسلامية عن الاحتلال الروسى، فقد صعب عليهم تفتت الاتحاد السوفيتى، وهم الذين يعتبرون تفتت الدولة الإسلامية الواحدة - أيا كان اسمها- عيدا للحرية وفجرا للضمير.

يا مسكين لا تجعل من فكر أمثال الدكتور فؤاد زكريا والدكتور عبد العظيم رمضان لك إماما ..

يا مسكين لا تفخر بجهلك ولا تصر عليه بل اخجل ..

١ - الغريب أن هذا الصحفى من النوع الجاد والملتزم، بل إنه حارب مع المقاومة فى لبنان، لكن لعة الفكر الماركسى وافتقار المرجعية الإسلامية جعلاه يقع فى تناقض مضحك: إذ أن ما ينطبق على فلسطين ينطبق على كوسوفا، فلماذا التناقض؟.

لقد ردك القراء، لكنك كابرته، وبدلاً من أن تلجأ إلى أى كتاب من كتب التاريخ لتعرف منه الحقيقة المسطورة فى كتب الغرب والشرق واصلت المكابرة..

يا مسكين كوسوفا بلد محتل يطالب بالاستقلال ويدفع ضريبة الدم فلا تخذله ودعك من أنه مسلم !!..

يا مسكين لا تكن من تلك الفئة التى جعلت من الإسلام والمسلمين عدوا..

يا مسكين لا تكن مثل أولئك الذى تناولهم الكاتب الصحفى أسامة عرابى فى كتابه (الذى لم ينشر بعد) :فئران البراميل - وأعترف أنك لست منهم بل أنت ضحيتهم - حيث يقول:

" فى مصرنا المحروسة بالصمص والافاكين الان، نمطان لا ثالث لهما من الكتاب والصحفيين :أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التى تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى، بعد أن امحت تماماً الحدود الفاصلة بين عمل المخبّر الصحفى والمخبّر السرى. والنمط الثانى يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهى - بلا ريب - أمريكا ومن ورائها إسرائيل. أما من ارتضى لنفسه الاختيار الصعب، وهو أن يعيش شريفاً عفيفاً، صاحب مبدأ وموقف، فمكانه الأوحى الانزواء فى غياهب النسيان، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه.

ليست الخطورة فيما يقوله الدكتور فؤاد زكريا ولست أطالب بفرض أى نوع من الحجر عليه.

على العكس فإننى متطرف فى اتجاه منح حرية الكلمة لجميع الاتجاهات بصورة تكاد أن تكون مطلقة، إلى الحد الذى دفعنى لبعض الاختلاف مع الأصدقاء الذين ينادون بمنع تدريس كتاب هنا أو هناك مهما كانت هذه الكتب تحوى، مهما كانت تحوى حتى لو احتوت على الإساءة لله سبحانه وتعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذلك لاستهانة منى أو - معاذ الله - تفريط، بل إننى أدرك أننى أنا الأقوى والأعظم والأصح، أنا العقل والروح والمنطق، أنا المنتصر، أنا أقوى من محمد على كلاى فكيف أخشى مصارعة أطفال صمم بكم عمى مرضى، إننى أثق فى أسلحتى، لذلك لا أعترض على منح الحرية كلها للدكتور فؤاد زكريا

أو الدكتور عبد العظيم رمضان أو الدكتورة فاطمة سيد احمد أو الدكتور أنيس منصور أو الدكتور محمد عبد المنعم أو الدكتور عبد المنعم سعيد أو الدكتور إبراهيم سعدة أو الدكتور سمير رجب (لا تبادر أيها القارئ بالتصحيح فأننا لم أخطئ لكنني أدركت أنه لم يبق للألقاب أى قيمة ولا وزن) ولا أى دكتور ولا أى واحد آخر، لا أعترض أبداً على حريرتهم فيما يكتبون لكنني فى نفس الوقت أرفض أن أكون محمد على كلالى فأقيد ويكمم فمى ويسلط الذباب والهوام على!!! نتهشنى فأمنع من الرد ، فذلك هو ما يحدث وما أعترض عليه .

ثمة سلطة ما لم أستطع بعد أن أضع يدي عليها سلطة حاول هربرت أ.شيللر^٢: أن يضع يده عليها إذ يقول: "إن التآمر والمتآمرين لهم وجودهم المؤثر فى الحقل الاجتماعى ومع ذلك فإن هذه الأنشطة سواء كانت كبيرة أم صغيرة، تم الكشف عنها أم ما تزال سرية، يمكن تفسيرها فى إطار الحقائق الأعمق للواقع الاجتماعى" ثم يواصل هربرت أ.شيللر "إن العملية أكثر التباسا وأبعد تأثيرا نظرا لأنها تجرى دون توجيه مركزى، إنها متصلة فى تدابير اجتماعية اقتصادية أساسية وغير مطروحة للنقاش، تحدث فى البداية، ثم تتعزز، وتنطوى هذه الترتيبات التى أسست وأضفى عليها طابع الشرعية خلال فترة طويلة من الزمن، على ديناميتها الخاصة كما تنتج أيضا حتمياتها الخاصة".

الحقيقة أننى وإن وافقت هربرت أ.شيللر فى موقفه من هذه الحتميات إلا أننى أتجاوزها فأراها ليست مجرد حتميات وديناميات بل سلطة عابرة للأوطان والقارات سلطة لها دستور - حتى وإن لم يكن مكتوبا - ومنهج واستراتيجية وتكتيك سلطة لا تحددها جغرافيا ووطن ولا عمر جيل، سلطة لا يمكن إلا أن تكون وثيقة الصلة بالشياطين والسايطين وأجهزة المخابرات وهذه الصلة هى صلة الأعلى بالأدنى والأمر بالمأمور، سلطة نصبت منذ بدايات القرن الخامس عشر على الأقل وبنت استراتيجيتها الشاملة وتنفذها، وتصدر هذه السلطة الأمر السابق تجهيزه فيتولى الوكلاء والأعوان والخدم والعبيد رسم الحدود بين العراق والكويت كلغم ينفجر بعد سبعين عاما، وترسم حدود الأردن لتحجز ما بين إسرائيل من ناحية والزخم الدينى

١ - سبحان الله!!.. هذا ما حدث تماما بعد عام من نشر هذا المقال، ففى أزمة الرليمة، عندما واجهنا الآخرين، كمموا أفواهنا وأغلقوا صحيفتنا وأطلقوا العنان للآخرين.. تماما كما نصورت.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ - المتلاعبون بالعقول .هربرت أ.شيللر. عالم المعرفة .

للمسعودية والحشد البشرى للعراق من ناحية أخرى، ولم تكن إسرائيل قد وجدت بعد، لكن هذه السلطة كانت قد أصدرت أوامرها، إنها تشبه شركة تبني منشأة ضخمة، أعدت كل تفاصيلها، ووضعت كل الرسوم على الورق، ولا تتريب عند التنفيذ من مزيد من الإبداع الشيطاني، لكن في ذات الاتجاه. إنها حتى لا تفكر في الأوامر، بل تنتظر في الرسم الهندسي، فإذا بالحدود ترسم والجيش تجيش والعواصم تقصف والدول تحاصر، سلطة تمنح صكوك الغفران بيد وشهادة كبار الكتاب بيد أخرى، تستدعي المهندسين للتنفيذ فإذا بهؤلاء كبار الكتاب غيلان يروج لفكرها بالابنات الضخمة والأبواق الضخمة، وفي نفس الوقت يحاصر أو يُصادر كل فكر آخر فهؤلاء الكتاب الكبار يلعبون بالنسبة لفكر التغريب دورا أشبه بدور "البودي جارد" الباطجي، إنهم لا ينتمون بالضرورة ولا بالطبيعة إلى العالم الذي يدافعون عنه، لكنهم يتكفلون بحمايته، وفتح الطريق أمامه، وبمنع الآخرين من الاحتكاك به، ثم أنهم مأجورون!!.

لقد أدركت الأمة منذ زمان طويل أن هذه السلطة تعين بعض حكامنا كوكلاء لها لكننا غفلنا أنهم لا يكتفون بالحكام، فهم الذين يعينون كبار الكتاب أيضا، لم يكن الاستعمار يعبث عندما احتل بلادنا، وعندما تركنا لم يتركنا لأنه سئنا، أو لأننا أصبحنا فجأة أقوى منه، لقد ربي نخبة كاملة، طبقة كاملة في المجتمع هي الطبقة الحاكمة منها الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ورؤساء التحرير وكبار الكتاب بل وكبار التجار ورجال الصناعة فلا يكاد يُتداول الأمر خارجهم (كانت ثورة ٢٣ يوليو استثناء لكنهم أجهضوا بعضه واحتوا البعض الآخر) وفي مختلف بلادنا فإن هذه النخب ليست معزولة عن بعضها البعض بل وثيقة الاتصال .

لقد كان فؤاد زكريا على سبيل المثال مفكرا كبيرا في مصر . كان يهاجم دول النفط وفكرها المتخلف ، لكنه فجأة يصبح كاتباً كبيراً هناك - في دول النفط - يقف على منابرهم ويحصد جوائزهم ، والأمر الصادر طبقاً للرسم الهندسي والذي جعله كاتباً كبيراً هنا جعله كاتباً كبيراً هناك .

يتحدث الأستاذ جلال كشك عن الدكتور فؤاد زكريا بمناسبة حصوله على جائزة العويس فيقول :

(كان من حقى أن أفرح وأنا أرى هداية الدولار لمن أضلهم الحوار وتمتد وتكسب للإسلاميين دكتوراً مشهوراً في عداوته لهم، فيلسوفاً في نقد

فكرهم، عنيفا فى اتهامهم بالعمالة للنفط والقبض من النفط، وإذا هو يسعى للنفط يطلب خمسين ألف دولار، ويقبضها شاكرًا مبتسما. لكن الإهانة التى لحقت بمفكرنا العلمانى الكبير وتحملها بصبر وجلد بخمسين ألف مما تعدون، هو أن بعض الخبثاء من المتطرفين زرع طريق الدكتور إلى المطار بلافتات تحمل عبارة واحدة من كلمات الدكتور هى حرفيا : إن الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعي لدى الجماهير ولا يمكن أن يكون علامة صحة، وإنما هو حالة شاذة طارئة لم تعرفها مصر إلا فى العهد الذى فتح الباب لتسرب الفكر المتخلف الوافد من مجتمعات بترولية، تستخدم الدين أداة للحفاظ على مصالحها فى الداخل ونشر أيديولوجيتها الهابطة فى الخارج) .

ثم يتناول جلال كشك بسخريته موقف المفكر العلمانى من الفكر الهابط فيتصوره يقول: " نعم فكرهم هابط ولكن الدولار صاعد !! " ^١

تتناول أجهزة الإعلام - الخاضعة لهيمنة السلطة العالمية العابرة للقارات - أفكار من يطعنون وعى الأمة ويستنزفونه بنوع من التقديس الوثنى، تقديس البتر وقطع الأسنة، فإن لم يستطيعوا فتقديس التشهير والتسفيه والتزوير والكذب، تقديس تكفير الآخر ونفيه وسحب الجنسية المتعلقة بكونه بشرا، فإن لم يستطيعوا فبالصوت العالى، بخلق تذكرات موهومة وطمس تذكرات معلومة حتى لا يكون الآخر مجرد مختلف فى رأى ، بل تصمه بالإثم الشديد الفاضح، وهى لا تهدف بذلك تغيير رأى المخالف ، إنها تعرف أنها لا تستطيع تغييره، لسبب بسيط هو أنها تعرف أنها كاذبة وأن المخالفين على صواب، لكنها تهدف لـ: تهوئش الآخرين لبث الرعب فى قلوبهم، هذا المختلف معنا ليس إنسانا، إنه وحش همجى متخلف، فلا تقتربوا منه ولا من فكره ^٢.

تصطاد أجهزة الإعلام الشباب فى عمرهم الغض فتضمن أن يتخذوا موقفا يظل معهم العمر إلا من رحم الله.
كلنا كنا ضحايا لذلك بدرجة أو بأخرى .

١ - راجع جلال كشك: الحوار أو خراب الديار. التراث الإسلامى وراجع أيضا محمد إبراهيم مبروك مواجهة المواجهة. دار ثابت- وحقيقة العلمانية. دار التوزيع والنشر الإسلامية- والدكتور محمد مورو.

علمانيون وخونة. دار حراء.

٢ - سبحانه الله !.. هذا بالضبط ما ما رسوه معى فى أزمة الوليمة ، لكنهم لم ينجحوا لسبب بسيط ، أن القضية كانت باللغة الواضح، فكشفتهم.

إننى مازلت أشعر بالعار بعد ثلاثين عاما من تلك الواقعة، كنا بعد هزيمة ٦٧ المذلة والمهينة، وكان صديقى الدكتور عبد الكريم الخطيب يطالبنى بأن أنظر للهزيمة من منظور أشمل ، من منظور هزيمة الأمة الإسلامية كلها، والتي تكرست منذ انتهاء الدولة المحورية التي كانت تدافع عن الإسلام والمسلمين، نظرت إليه بذهول وأنا أهتف غير مصدق : هل تقصد الدولة العثمانية ؟ فلما أجاب بالإيجاب رحت أنظر إليه ككائن غريب منفلت من عوالم المنطق والمعقول. ورغم أن القلب كان مذبوحا بالهزيمة ضحكت. رغم أننى كنت قد حرمت الضحك على نفسى فى حداد هائل على المصيبة الهائلة ضحكت. فلما مر الزمن، رحت أسائل نفسى ما الذى دفع إلى عقلى بهذا اليقين الوثنى الذى لا يقبل مجرد الحوار ؟.. لم أعرف الإجابة، لكننى أحسست ببصمات غيلان السلطة فى فكرى، فعرفت أننى كنت أنا المنفلة خارج عوالم المنطق لقد اكتشفت مثلا أن: الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل حديثا صريحا يمتدح فيه حاكما أو خليفة بقطع لا يقبل الشك إلا مع حاكم عثمانى وأن هذا الحديث قد أورده أحمد و البخاري والبخاري وابن خزيمة والطبراني والحاكم والحديث الشريف يقول :

" لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش " .

لماذا أهملنا هذا الحديث لماذا أغرقناه فى تذكارات موهومة وحقائق مغيبة.

كارثة أجهزة الإعلام عابرة القارات، كارثة الدكتور فؤاد زكريا، وأمثاله أنها تجعل الحقيقة أمامك ساطعة كالشمس لكنك لا تراها، فواجبهم الأساسى ليس إقناعك بفكرهم، بل الشوشرة على فكرك، فإنها لا تعمى الأبصار بل تعمى البصائر والقلوب.

عندما قرأت الحديث لا بعينى بل بقلبى نزف قلبى، رحت أتساءل: كيف أصابنى هذا العماء صرخت: ليست الدولة العثمانية إذن كتلة سواد غريب أسخم، ولا فترة ظلم وظلام حالك، ولا هو ممنوع الحوار فيها، ولا هو كفر ولا هو تخلف ولا هى رجعية ولا هو تأسلم كما تخرص المتخرصون، أحسست بالعار رحت ألتهم فى نهم كتب التاريخ فوجئت بغير ما يكرسه إعلامنا ، بعكس ما يكرسه إعلامنا ، إعلامنا العابر للقارات ، إعلامنا العالمى العلمانى، فوجئت بالأجنبى فازلييف يقول عن هذه الدولة وجهادها: "لقد دافع المجاهدون الترك عن الإسلام وحملوا ديار المسلمين

وكانوا قوة الحركة الإسلامية ودرعها يوم ضعف العرب وتفرقوا طرائق
بددا " .

قلت لنفسى إذا كان العدو يقول هذا فكيف ننظر إليها ككتلة سوداء
لا يجوز لنا مجرد التفكير فيها؟.. لا بد أن فى الأمر خطأ سألت نفسى: إذا
كنا بعد كل هذه العقود نصب عليها كل هذه اللعنات فكيف كان أبائنا
وأجدادنا يفكرون وهم الذين عانوا وطأتهوا وعاشوا تحت ظل قهرها
وجبروتها؟؟.. رجعت إلى كتب التاريخ التى لم يكتبها عبد العظيم رمضان
ولا حلها الدكتور فؤاد زكريا رجعت إلى المجلات والصحف.

كان "جلادستون" زعيم حزب الأحرار بإنجلترا يسمى السلطان
عبد الحميد : "الشیطان وعدو المسيح"

وقد صور "كرومر" فى كتابه "مصر الحديثة" سعة انتشار فكرة
الرابطة الإسلامية بين المصريين، واعترف بما تتمتع به الخلافة الإسلامية
من نفوذ واسع فى مصر، فتكلم عن الحجاب الكثيف من التعصب الدينى
الذى يقوم بين الإنجليزى الراغب فى إصلاح مصر - حسب زعمه -
وبين المصريين، كما تكلم عن تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية المتغلبة
على الوطنية بمعناها الإقليمى، والتى تؤمن بالوحدة الشاملة بين المسلمين
فى سائر أقطار الأرض^١

سألت نفسى إذا كان الغرب يشن عليها كل هذه الحملة الهائلة
من التشويه لأنها مثلت أكبر تهديد فى التاريخ على وجوده فلماذا نتخذ نحن
- الدول الإسلامية - نفس موقفه ؟ .

وقرات وقرأت وقرأت..

قرأت عبد الله النديم فى مقال له بمجلة الأستاذ سنة ١٨٩٢: " لو كانت
الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة
والصغيرة التى هى جزء منها فى الحقيقة، لكن المغايرة وسعى أوروبا
فى تلاشى الدين الإسلامى أوجب هذا التحامل (..) وإنما نرى كثيراً
من المغفلين يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء
الإدارة وقسوة الأحكام ولو أنصفوها لقالوا أنها أعظم الدول ثباتاً وأحسنها
تبصراً وأقواها عزيمة .."

١ - راجع: الحجاب . الدكتور محمد اسماعيل المقدم. دار الصفوة .

قرأت مصطفى كامل يقول: " إن المسألة الشرقية هي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الإسلام وبين دول المسيحية "

قرأت محمد عبده يقول: " إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية الثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته، وليس للدين سلطان في سواها، وإنا والحمد لله على هذه العقيدة، عليها نحيا وعليها نموت".

ويقول لرشيد رضا: " إن كثيرا من وجهاء المصريين يكرهون الدولة العثمانية ويذمونها- وإن كان أكثرهم يحبها- وأنا أيضا أكره السلطان، ولكن لا يوجد مسلم يريد بالدولة سوء، فإنها سياج في الجملة، وإذا سقطت نبقى نحن المسلمين كاليهود بل أقل من اليهود. فإن اليهود عندهم شيء يخافون عليه ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم وهو المال، ونحن لم يبق عندنا شيء فقدنا كل شيء..

قلت لنفسي: ربما كانوا أحادا وكان اتجاه الأمة ضد الدولة العثمانية لكنني أقرأ الكتاب الخطير: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: الدكتور محمد محمد حسين - مكتبة الآداب يقول: " ليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلاف وتباين نزعاتهم من يخلو ديوانه من شعر في مدح الخليفة التركي والإشادة بفضله على المسلمين وحرصه على إعلاء كلمة الدين..(..). وهم يرون أن الخليفة هو الجامع لشملة المسلمين، وأنه حين يحارب إنما يحارب دفاعا عن الإسلام وتمسكا بإعلاء كلمته "

راجعت دواوين الشعر قرأت دموع أمة ونزيف أمة وسمعت آهات شعوب كانت دائما أكثر صوابا من كل مفكرها..

قرأت أن الأمة في كل العالم الإسلامي لم تستقبل العثمانيين كغزاة، وأن الأمة حين انتهت تلك الدولة ودعتها بالانفطار والانشطار والحزن والفجيعة والألم..

صرخت: إذا كنا كذلك منذ سبعين وثمانين عاما فأى عملية غسيل مخ هائلة بشعة تسلطت علينا في القرن الأخير جعلتنا نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف ونصدق الكذاب ونكذب الصادق ؟ ..

وقرأت محمود ثابت الشاذلي في كتابه: "المسألة الشرقية" ^١ وهو كتاب هام وخطير لكننا نكتفي الآن بذكر بعض الحقائق الساطعة التي

١ - محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية - دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية - مكتبة وهبة .

تعامينا عنها، فلم يكن العثمانيون أو الأتراك بغرباء عنا، ومنذ العصر العباسي الثاني كانوا هم الذين يحكمون، وعندما جاءوا لم يزيحوا من الحكم حكما عربا، وفي مصر على سبيل المثال كان يحكمنا المماليك، وهم فرع آخر من الأتراك!! .. ثم أن أحدا لم يطعن في شجرة الدر أو في أحمد بن طولون وقد كانوا أتراكا أيضا...!! فالمستهدف فكرة الدولة الإسلامية.. كان حال العرب جميعا كحال مصر، وقد كانوا جميعا على وشك الوقوع فريسة لاستعمار استتصالي من أوروبا الناهضة المنتقمة، استعمار يستأصلنا بالكامل كما فعل مع المسلمين بالأندلس ومع الهنود الحمر في أمريكا، ولولا الدولة العثمانية لاندثرنا كعرب وكمسلمين وحتى كمصريين ومغاربة وبدو وحضر..

سوف نعود إلى ذلك كله بالتفاصيل بكل التفاصيل..

وسوف نواجه القوميين أيضا بمفاجأة..

برأى جمال عبد الناصر في تركيا والأتراك وماضينا المشترك ،

وبرأى عبد الرحمن عزام باشا..

و .. و .. و ..

من حقى أن أتساءل إذن أيها القارئ :إذا كانت الأمة ورموزها الخفية يجمعون على ذلك فأى شيطان رهيب دفعنا إلى الاتجاه المعاكس ؟..

كانت الدولة الإسلامية الواحدة رعبا مقيما للغرب فتمنى على الدوام زوالها، فلماذا تم غزونا من الداخل لتتبنى بالكامل وجهة نظره ؟..

ماذا حدث لنا ؟!

من نحن !!؟

إن حكوماتنا تحارب الإسلام حرب الغرب له..

كل حكوماتنا تقريبا سموه إرهابا ثم جُيشت له الجيوش وعقدت التحالفات ، وكان مما تحدثوا عنه حلفا بين مصر والسعودية وإسرائيل ..

فى مصرنا الإسلامية ممنوع أن تظهر فى معظم البرامج على شاشة
التلفاز مذبةة محجة وممنوع - أكثر مما هو ممنوع فى أى بلد من بلاد
الغرب - أى إنصاف للإسلام والمسلمين وفى التعليم حذفت من المناهج
آيات القرآن التى تعلمنا منهج مواجهة العدو فمن نحن نحن ۱۴..

من نحن؟..

وأنت أيها القارئ قل لى من أنت.. ۱۴!

أخى أنت أم شبه لى ؟ ..قاتلى أم مغيثى..؟رفيقى أم عدوى..؟..

وآين نحن؟ ۱۴! ..

هل نحن كأهل الكهف نمنا مئات السنين ثم قمنا فى زمان ليس زماننا
وبين أناس ليسوا أهلنا ؟!..

هل حملنا طائر الرخ إذ نحن فى غيبوبة فألقى بنا فى بلاد الأعداء؟ ۱۴..

أم أن طائرات هرقل الضخمة الهائلة قد حملت بلاد الأعداء فحطت
بها على بلادنا ؟؟..

وأنت يا بلادى ..

خبرينى ..

هل أنت بلادى ؟!..

أم أنت بلاد الأعداء ..؟؟ ۱۴!..

رأيت عرش الرحمن يهتز^١

يا وطنى..

هل أنت بلاد الأعداء...؟

لماذا إذن تحاصرلى..

لماذا حصرتتى فى هذا المنحدر الوعر..

أتوق يا وطنى أن أسمع إذاعة بلادى وأن أرى تليفزيونها، لكننى كلما فتحتها وجدت صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وتعاليم كرومر وكلينتون وننتياهو وباراك.. والصرامة البالغة التى يواجه بها كل معارض، ويمنع بها كل حوار جاد، انفثأت وركعت وجثت أمام غانية اسمها نجوى كرم سخرت منا ومن ديننا ومن نبينا حين قالت على شاشة فضائية عربية أنها تربي كلبا تسميه دودى أما اسمه الحقيقى فهو: "محمد" كما نشرت مجلة المصور، وصدر القرار بمنع دخولها إلى مصر ومنع إذاعة أغانيها فى التليفزيون ، لكن تليفونا جاء من أحد صبيان زويمر فإذا بالأوامر تلغى والقاعات تفتح والأغاني تذاع..

الصرامة معنا فقط ..

الصرامة ضد الله وضد محمد صلى الله عليه وسلم وضدنا..

الصرامة معنا مع أعداء الله الانكفاء والانحناء والسجود..

اقتصررت فى وقت من الأوقات على قناة الجزيرة الفضائية، كنت أدرك أنها الأفضل ، لكننى فى ذات الوقت لم أغفل أن ظروف النشأة والاستمرار والإشراف والعلاقات لابد أن تدس فيها سما حتى ولو لم يدرك مذيعوها، كنت أدرك أن ثمة واحد على الأقل، مُعين من قبل السلطة العالمية العلمانية الكبرى يعاملنا كما نعامل فأرا ذكيا يتجنب الفخاخ الظاهرة والسموم الفاتحة الرائحة فيدس لنا كل حين وآخر سُمًا لا ندرك أنه كان سما إلا ونحن نموت، بعد أن نفوت كل فرصة للنجاة ، كنت أدرك ذلك، وكنت أبحث عنه وأنا أسير كالبهلوان فوق حبلين مشدودين أحدهما

١ - صحيفة الشعب: ٢٣/٤/١٩٩٩

الاحترام الحقيقي للمذيعين والمحاورين والثانى يقينى بأن السلطة العالمية العلمانية لا يمكن أن تترك تلك الفرصة دون أن تهتبلها، قلت لنفسى أحيانا أن طرح بعض القضايا انطلاقا من الحرية المطلقة قد يكون هداما لثوابت هى فى الواقع محاصرة ولو لم تكن محاصرة لما كان ثمة اعتراض على أى قدر من الحرية.. كنت أراقب وأتابع وأحلل ..

وعندما جلست مع ذلك الرجل من كوسوفا فنطقتها أمامه كوسوفو - كما ينطقها المذيعون فى قناة الجزيرة - صرخ الرجل غاضبا: هكذا ينطقها الصرب وكونك تنطقها مثلهم فهذا يعنى أنك تتبنى وجهة نظرهم، من حق الخواجات أن ينطقوا باسم نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيقولون: "مخمد" وليس: "محمد" لكن إذا نطقتها أنت مثلهم فأنت إذن تتبع وجهة نظرهم..

كتبت على هذه الصفحات ما قاله الرجل لى..

كنت واثقا أن الجميع سيغيرون نطقهم..

البعض عن علم بعد جهل مثلى، والبعض عن اقتناع، والبعض كرد فعل للمجازر الوحشية التى يرتكبها الصرب، أما البعض الأخير الذى ما يزال ولاؤه ضد الإسلام أينما كان فإنهم هم الآخرون سينطقونها كوسوفا كى لا نكتشف أمرهم، لقد فضحت نوع الطعام الخدعة الذى يضعون السم للفأر فيه، سيتخلون عن هذا الطعم ويلجئون إلى طعم آخر، لكننى للمفاجأة وجدت أقل القليلين من فعلوا ذلك، وكانت قناة الجزيرة لا تكف أبدا: كوسوفو.. كوسوفو.. كوسوفو..

دفعتنى خيبة الأمل للرجوع إلى تليفزيوننا..

كنت أقترب أقتراب من امتلأ جسده بندبات الحروق من الجمر يحدوه الأمل أن زمن المهانة والدعارة بالكلمات قد ابتعد ولو قليلا، فيرده ألم كانت الكلمات تتسكب فيه على كرسا ص منصهر..

لم أكن قد شاهدت برنامج رئيس التحرير أبدا رغم مديح الناس فيه وفى المسئول عنه..

وشاهدت جزءا من البرنامج..

كان يتناول أزمة كوسوفا على طريقة أولئك الجالسين فى فندق من فنادق النجوم الخمس يتناولون كميات هائلة من الطعام ثم يشرعون فى مناقشة مشكلة الجوع !!!..

كوسوفو.. كوسوفو.. كوسوفو..

لم يخطئ حمدى قنديل- الذى يعتبره الكثيرون وأنا منهم أفضل المذيعين فى التلفزيون المصرى- لم يخطئ مرة لينطقها كوسوفا..

أنهى حمدى قنديل البرنامج بمفاجأة صاعقة كأنما يصرخ فينا : يا حمقى لماذا تنظرون إلى الخارج ولديكم الدواهى والكوارث؟.. يا حمقى انكفئوا على أنفسكم فلديكم ما يكفيكم ؟.. فهل تعرف أيها القارئ ما هى الداهية الدهيئة التى رأى حمدى قنديل أنها أولى باهتمامنا مما يحدث فى كوسوفا (وليس كوسوفو يا أفضل مذيعينا) هذه الداهية: هى أن ٢٠% من سائقي الأتوبيس فى القاهرة يتعاطون البانجو معرضين حياة ٢٠.٠٠٠٠٠ راكب للخطر كل يوم وهو عدد يفوق ضحايا كوسوفا..

ثم صمت ذلك الصمت الرهيب الواثق أنه أفهم سامعه، وأن أحدا لن يجرؤ على الحديث عن كوسوفا بعد ذلك ..

بكت الكلمات فانت مشاعرى..

اشتعلت الكلمات فاشتعلت مشاعرى..

انفجر الصمت فانفجرت مشاعرى..

قعقت عظامى قعقة بناء خشبى قديم يوشك أن يتهدم ..

تكاثرت الأحمال الرزايا عليه فيوشك أن ينهار..

تعب البيت تعب القلب تعبت الكلمات..

رأيت التاريخ يسفح الدموع والهواء يصوت والظلام يعوى والكلمات تنزف دما دما ..

ورأيت على شاشة التلفاز فى قنوات أخرى أشلاء أبناء كوسوفا والدم المتخثر والأعضاء المنزوعة والأشلاء المنتفخة.. ورأيت الدموع فى أعين الرجال والنساء والأطفال .. وكان ثمة عجوز ربما يتجاوز التسعين يمسك بيد طفل ربما دون التاسعة .. كانا هما الباقيان الوحيدان من عائلة كبيرة.. لكن الجلادين الصرب ذبحوا الأبناء والآباء والأمهات والأعمام والأخوال والإخوة.. لكنهم لم يذبحوا الأخوات بل اصطحبوهن معهم فلم يبق إلا هما .. استطاعا النجاة من المذبحة وكانا ينتحبان .. ينتحبان .. ينتحبان ..

رأيت عرش الرحمن يهتز فبكيت..

رأيت فتاة تخفى وجهها وهى تحكى كيف كان الاغتصاب وكيف تفكر
فى الانتحار وقلت لنفسى أنه أولى بالعالم - لا بها - أن يخفى وجهه فالعار
الذى جللها غصبا جلل العالم طواعية واختيارا ..
العار الذى جللها إجبارا جلل الآخرين انبهارا ..
فهل رأيت المشهد الدامى أيها القارئ ؟
أنا رأيت ..

لقد حكيت لكم عن نحيب العجوز والصبى ..
لكننى سمعت ما هو أكثر ..

كان ثمة أناس على مدى البصر .. كانوا فى العراء وليس ثمة حتى
خيام كانت الأرض زلقة يختلط فيها بياض الثلج بسواد الطين .. أدهشنى
أن يجتمع الطين والثلج دون وجود أى شجيرة أو نبتة خضراء قد تسد رمق
جائع ..

كانوا يكون ..

وددت لو كنت هناك .. وددت لو أن لى الف عين ترى وألف أذن
تسمع وألف قدم تجرى وألف يد تمتد بالمساعدة .. لم يكن مجرد منظر
تعرضه شاشة تلفاز باردة .. كان بركاننا ينفجر وعلى ضوء جحيمه أرى
انهياراتنا وانسحاباتنا وهزائمتنا وخيبتنا ..

فهل رأيتم ؟ ..

أنا رأيت ..

فى الزحام والفوضى والفرع كان ثمة طفل ربما لا يتجاوز الثالثة ..
كان ينظر فى ذهول صامت .. لم يكن يبكى .. بدا أنه عجوز فى السبعين ..
بدت عليه ملامح الهم والفكر والعزوف .. بدا عليه أنه تعدى مرحلة الذعر
إلى الاشمئزاز من بشاعة هذا العالم كما لو أنه سئم الحياة ولم يعد يريد
منها المزيد .. وبالرغم من ذلك لم يكن يبكى .. كان الوحيد بين الحشد
الهائل الذى لا يبكى ..

تساءلت والقلب ينفطر :كيف يأكلون ؟ .. فصرخ صديقى: بل كيف
يقضون حاجاتهم ؟!

رأيت شيخا وقورا يبكى ورأيت فيه أبى ..

حنّ الدم ..

رأيت سيدة يتدفق الحزن من عينيها أنهارا لو وزعت على العالم لكفت
وبقى..

كان وجهها كوجه أمى فهل رأيتم..

حنّ الدم..

هل كان وجهها وجه أمهاتكم؟..

هل اشتعل لهيب الحنان فى قلوبكم؟..

رأيت رجلا فى السبعين أو الثمانين أو التسعين.. كان يمسك بيد أمه..
كانت هيكلًا فى حجم طفل.. كنت مندهشا لحجم التجاعيد فى وجهها..
تساءلت كيف يمكن أن يتسع وجه لكل هذه الأخاديد؟.. كان ابنها يبكى
وينتحب.. ابنها العجوز.. توقعت العكس.. أن تبكى هى وأن يكفكف
هو دموعها.. لم تكفكف دموعه.. لم تواسه.. بدا أن عمرها لا يقل عن
مائة وعشرين عاما.. حضرت المأساة منذ البداية.. عاشت مئات المذابح..
أنهت كل مخزونها من ملامح التعبير عن الألم.. تجمد وجهها على الألم..
لم يعد ثمة ما تعبر به.. كان ابنها بالنسبة لها طفلا لم ير ما رأت.. لو سلم
من الذبح فسوف يرى.. رحت أتأمل ملامح الجدة العجوز.. ذلك الألم
المتجسد المتجمد: كانت تضاريس وجهها تشبه الأرض الشراقي.. وقلت
لنفسى من المؤكد أن دموعها لم تكف عن التهاطل أبدا.. لكنها تتسرب
من مجرى سرى إلى الوجه الشراقي ذى الأخاديد الهائلة.. فيتشرب كل
الدموع فلا يبدو لها أثر أبدا أبدا ..

عادت الكاميرا إلى الشيخ والطفل ..

كانا ما يزالان يبكيان فهل رأيتم ؟..

أنا رأيت..

رأيت كهولا كان يبدو عليهم أنهم كانوا قبل ذلك مرفهين جدا لكن
ملابسهم الفارحة كانت ممزقة.. لم أر شبابا.. قال المذيع أنهم احتجزوا
الشباب من النوعين: الذكور للقتل والإناث للاغتصاب.. فهل رأيتم ؟..

أنا رأيت..

رأيت طابورا طويلا يسير على شريط قطار.. وثمة سيدة مسنة
لا تقوى على الخطو فيحملها - تقريبا - رغم بدانتها رجلان.. وكانت
تجر جر خطواتها.. وكانا هما الآخران يجرجران.. تساءلت فى ذهول :
كيف يكملون فى طريق الآلام مائة ميل وهم على هذا الحال..

رأيت فتاة ربما كانت فى التاسعة.. كانت تبكى بحرقة وجسدها
الغض يهتز.. يا فلذة قلب أبىك يا مهجة روح أمك.. أولى بك أن تبكى
ضياح لعبة لكنك تبكين ضياح وطن.. تبكين أيضا ضياحنا.. رأيت السؤال
فى عينيها: أين الوطن وأين القوم وأين مليارا وربع مليار مسلم؟..
فهل سمعتم سؤالها وهل رأيتم؟..
أنا رأيت..

أى شئ هائل وددت أن أكون لأمتص الألم أخففه ..
لأداوى النزيف وأوقفه ..

لأمس بيدي على الجروح فتندمل.. وعلى الكسور فتلتئم.. وعلى الألم
فيتلاشى.. أن أمد يدي لأزيل بها عن المفزوعين الفزع.. وعن المكروبين
الكرب.. وعن المعذبين العذاب.. أن يمنحني الله القدرة لأحيى الموتى
فأعيد للأرملة زوجها وللثالكة ابنها وللطيم أبويه..

لكننى كنت جالسا فى مقعدى عاجزا أرقبهم .. كانوا جائعين عراة ..
وسط الثلوج .. وقال المذيع أن الشرطة المقدونية طردت خمسين ألفا
فتأهوا ولم يستدل على مكانهم .. أين ذهبوا ؟.. أين تشرذوا ؟.. أين
ضاعوا ؟.. عضو فى مجلس الشعب عن الحزب الوطنى طالب
باستضافتهم أسوة بإسرائيل .. لم يخطر بباله أى نوع آخر من الغضب
أو العون .. لم يفكر فى تقديم استجواب ولا فى طلب إحاطة ولا فى الدعوة
لمساعدة .. لم يفكر حتى فى أن يطالب من الحكومة سحب قرارها
الوحشى بمنع النقابات والهيئات الشعبية من جمع التبرعات .. كان ذلك
القرار قد صدر فى أيام سود كنتك عندما كان يحدث لأهل البوسنة
والهرسك ما يحدث الآن لشعب كوسوف .. اوجزعت الحكومة العاجزة
من تدافع الشعب على النقابات فهدمت النقابات واستولت على المبالغ
وادعت أنها سترسلها هى للبوسنة .. لم ترسلها .. وأصدرت قانونا
يسجن من يدعو إلى جمع التبرعات أعواما عديدة .. لم يصرخ عضو
مجلس شعبنا أن قانونا مثل ذلك لم يصدر ولا حتى فى إسرائيل ..
لم يخطر بباله أن يسأل نفسه لماذا المسلمون وحدهم يهانون ؟.. لقد
أشعلت إسرائيل الحرب واحتلت عاصمة عربية من أجل يهودى جرح
فى لندن .. واحتلت بريطانيا مصر وفرنسا تونس من أجل أشياء أقل ..

لم يفعل عضو مجلس الشعب أياً من ذلك لكنه كان على أى حال أفضل من عربى آخر طالب بأن يتزوج العرب ممن تزلن .. نوع جديد من الجهاد يجاهد العربى فيه بخصيتيه ..

كانت مذبة تتحدث عن قافلة من المعذبين المطاردين المفزعين قصفتهم طائرات النانو وكان النانو يتهم الجزار ميلوسيفتش بأنه هو الذى ارتكب المجزرة.. فيرد لهم الجزار الاتهام فيعترف النانو ويعتذر للخطأ..

كانت المسألة بالنسبة لهم أهون من تبادل الاتهام تذكرت الكتاب الدامى :التنكيل بالعراق ' كان الطيار الأمريكى يحكى وهو لا يكف عن الضحك كيف كان يصطاد العراقيين من طائرة الأباتشى الرهيبة .. كان لا يكف عن الضحك وهو يصف كيف كان الآلاف يسقطون موتى كالحشرات والصراصير.. تذكرت زميله وهو يكتب على الصاروخ الموجه لقتل إخوتنا فى العراق: "نادوا محمدم فإن لم يستجب لكم نادوا على المسيح".. هل كان هذا الطيار هناك؟ .. هل رأى ذلك الطابور العارى الجائع المعذب المذمور فأراد أن يضحك قليلاً حين يراهم يتساقطون كالصراصير فقصفهم بصاروخ ليسقط ثمانين منهم.. ثمانون عجوز وطفل.. منهكين كانوا وجائعين عراة.. هل التقط لهم صورة وهم يتساقطون كى يستعيد الذكريات الضاحكة مع عشيقته حين يعود إلى الوطن ؟! هل كان هو ؟.. أم كان ضابطاً صربياً تقرب بقتلهم إلى آلهته عليهم يمنحونه ترقية أو علاوة ؟.. كم كان سعر الرأس المجذوذ وكم كان سعر لتر الدم المتخثر ؟.. هل قطع الجلاذ أذانهم كى لا يغالطه سادته الحساب ؟..

لم يهمنى من الذى ارتكب المجزرة.. فليس يهم الضحية من ذبحها إذا دُبحت..

راحت الشاشة تعرض ..

فهل رأيتم ؟ ..

أنا رأيت ..

رأيت طفلاً ميتاً فى فمه نصف قطعة من البسكويت وفى يده النصف الآخر..

رأيت عجوزا أتعجب كيف كان يستطيع السير.. لكنه حاول أن يتسلق
شجرة تأويه فأصابته شظية فتكوم بجوار الشجرة وحوله تجمعت بركة
هائلة من الدم المتخثر ..

هل رأيتم الدم المتخثر ؟ ..

أنا رأيته ..

رأيت أيضا رؤوسا بلا أجساد وأجسادا بلا رؤوس.. فهل رأيتم ؟ ..

رأيت طفلة بالغة الجمال لا يبدو بها خدش.. كانت تحنضن دمية على
شكل عروس.. يبدو أن النار أصابت الدمية فاحترق نصفها.. ويبدو أن
الدمية كانت من البلاستيك الرخيص.. فقد شوهتها النار تشويهها مرعبا..
ذكرتني التجاعيد في الدمية المحترقة بوجه الجدة العجوز ذى الأخاديد..

نقترب الكاميرا..

يا رب السماوات والأرض ..

يا عرش الله المهتز بالغضب ..

لم يكن الأمر كما تخيلت..

بل العكس..

لقد كانت الدمية هي التى سلمت وكانت الطفلة هي التى احترقت..
كان وجهها هو الذى تغضن ذلك التغضن الرهيب بفعل النار صار
كالبلاستيك الرخيص المحترق..

فهل رأيتم لحما بشريا كالبلاستيك الرخيص المحترق ؟ ..

أنا رأيته ..

رأيت امرأة تفاجئها آلام المخاض فى طابور العذاب والرعب والألم
رأيت وليدها فور وصوله إلى هذا العالم فهمت أن أصرخ فيه: ارجع..
الوحش الأمريكى المفترس يرقبك من طائرته وسوف يسعده أن يضم
صورتك الميتة المسحوقة كصرصار إلى الألبوم الذى سيهديه لعشيقته
فارجع..

الوحش الصربى سيفتك ويقطع أذنك كى لا يغالطوه فى الحساب
فارجع..

ارجع..

ارجع..

أنا رأيته فهل رأيتم ؟ ..

هل رأيتم أيضا آثار مذبحه بعد أسبوع من حدوثها.. كان الابن قد هرب إلى الغابات القريبة أثناء المذبحة وظل هاربا لأسبوع كامل .. ظل طيلته يسمع طلقات الرصاص.. ثم عاد خلسة ليصور أسرته التي لم يبق فيها حتى.. كانوا مكومين على الأرض مبعثرين بعد أن حاول كل منهم الفرار في اتجاه مختلف وزخات الرصاص تخترق ظهورهم.. كانت العظام المهشمة بالرصاص قد جعلتهم يتخذون أوضاعا غريبة.. فمن انطواء لا يتصور إلى انفراج لا يتوقع.. وكان الابن يصورهم خلسة كي يحمل نفسه ذكرى وللعالم إدانة..

كانت الصور تظهر أيضا عيوننا مفقوءة وأفواهنا مغفورة وأطرافنا منزوعة وعظامنا مسحوقة وجلودنا مسلوخة وأشلاء متناثرة..

كانت جميع الجثث منتفخة بشكل فظيع.. ولم يكن لدى الابن أى وقت ليدفن أى جثة.. وما من أحد فكر في ذلك ولا حتى ذلك العربي الذى طلب زوجات تلك الجثث ليجاهد فيهن.. كان المذيع يعتذر عن الصور وكان يقول أن عملية دبلجة تمت كي تمنع عن المشاهدين المناظر الأكثر بشاعة.. عادت الكاميرا إلى الحشد الباكي والطفل المذهول.. ذكرنى صوته بصوت همهمة الحجيج بككة.

سألت نفسى أى الهمميتين ستصعد إلى السماء وتقبل.. وسألت نفسى إن كان الله سيغفر للحجاج وقد ذهبوا للحج ووراءهم ذلك يحدث وحرمة دم واحد فقط من هؤلاء أكبر عند الله من حرمة الكعبة..

وسألت نفسى إذا كان الله سيغفر لى ..

أو إن كان سيغفر لكم أنتم أيها القراء.. حين تُسال تلك الجثث المتناثرة بأى ذنب قتلت.. حين تُسال فلا يكون عليها أن تجيب سيكون علينا نحن أن نجيب .. فبم نجيب رحمت أحقق فى الجمع أكاد أرى رأى العين شكاته للسماء تعلو ثم تعود لتصب لعنات علينا..

فهل رأيتم وسمعتم؟.. أنا رأيت وسمعت ..

رحمت أحقق فيهم.. هل كانوا مائة ألف ؟.. هل كانوا مليوناً ؟.. هل كانوا ملياراً ؟.. لا أدري.. شغلنى صوت نحيبهم.. كانوا جميعا يكون فى ملحمة هائلة مروعة جعلتنى أستدعى كل آيات العذاب وأستعجل يوم القيامة..

كان ثمة شعب يبكى..

أمة تبكى..

ومن لم يبك اليوم - مثلك أيها القارئ - فسوف يبكي غدا عندما يواجهه ذات المصير.. أو عندما يسأل يوم الفزع الأكبر عما فعله لعون اخوته..

عادت الكاميرا إلى الشيخ والصبي وكانا مازالا يبكيان..
هل كان هذا الصبي جدى فى القدس منذ تسعمائة عام^١ - بالتمام والكمال - عند احتلالها؟.. أكان هو الذى نجى من المذبحة أم أنه حفيدى الذى لن ينجو من المذبحة فى مصر بعد مائة عام^٢..

هل كان ذلك أم التبتست الرؤية على فذلك قد حدث فى الأندلس^٣..
أم أنه كان فى معرة النعمان أم عكا أم صور أم الخليل أم غرناطة أم الخرطوم أم طليطلة أم دمياط عندما غزاها الصليبيون فاغتصبوا ألف ومائتى امرأة ٤٠٠ مسلمة و ٨٠٠ مسيحية.. أم ستيف فى الجزائر أم دنشواى أم وهران أم تعز أم صعدة أم ميسلون أم بور سعيد أم.. أم.. أم..

كل المذابح كانت ترتكب فى بلادنا.. فلما استطاع العثمانيون نقل بعضها إلى بلادهم إذا بفؤاد زكريا يدمغهم بالوحشية والهمجية.. كانت حربا دفاعية يا فؤاد زكريا الذى هاجم فى ضراوة الأسود وحشية العثمانيين منذ ستمائة عام لكننا لم نسمع له تعليقا عن خمسة وستين ألف أسير ذبحهم اليهود أو دفنهم أحياء فى سيناء منذ ثلاثين عاما.. كانوا يقفون على رؤوسهم وصدورهم بأحذيتهم الضخمة فمن تأوه أطلقوا عليه الرصاص .. كانوا يرغمونهم على حفر قبورهم بأيديهم .. خمسة وستون ألفا يا إبراهيم سعدة ليس فى موتهم شك ولا فى ذبحهم شك ولا فى الجناة شك فقد اعترفوا بأنفسهم.. خمسة وستون ألفا يا إبراهيم سعدة كما هو وارد فى تقرير رسمى للخارجية المصرية نشرته الأهرام العربى فلماذا لم تستأذن ألتهك كى تكتب عنهم ولو ذرا للرماد فى عيوننا..

ليس حسنا بل فظيحا أنك تتجاهل مذابح المسلمين فى شتى أنحاء العالم فأنت ترى أنك وألتهك أرقى من أن يجمعك بأحد دين أو قومية ليس حسنا بل فظيحا أن الـ ٦٥٠٠٠ مصريون ومن نسل الفراعنة وليس العرب أو المسلمين فلماذا لم تكتب عنهم ..؟..

البانجو يا حمدى قنديل .. !؟ ..

كوسوفو يا جزيرة .. !؟؟ ..

١ - ذكرى سقوط القدس فى برائن الصليبيين: ١٠٩٩ م.

٢ - الأندلس: الدرس والتاريخ، د. فتحى محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.

النعوش الطائرة يا إبراهيم سعدة !!!؟ ..
 نجوى كرم يا أحفاد من أهدوا رأس نبي لبغى .. !!!؟ ..
 وكل هذا التاريخ الذى كان ماضيا بالنسبة للدولة الإسلامية الكبرى
 والذى هو الآن حاضر كوسوفا هو هو مستقبلا ..
 سنظل سادرين فى الغى حتى تلحق بنا القوارع ..
 وسوف يكون هناك عندئذ - يوم ذبح حفيدى واصطحاب حفيدتى -
 فى طرف من أطراف العالم من ما يزال ينطق محمدا محمدا ويقول عن
 مصر إيجبت ويتساءل فى دهشة متعالية تعالى النجوم الخمس وما شأننا
 بملايين الإيجبتيين يقتلون ويذبحون ويشردون ولدينا ٢٠% من السائقين
 يشربون الخمر ويعرضون مواطنينا للخطر .. يا حمقى !!!

إننى لا أقول كل ذلك للقارئ كى أريح نفسى بالبكاء بين يديه ..
 لكننى أقوله لأبين كيف يزيف وعينا عن قضية نعاصرها ونعيشها
 وليس عن قضية مرت عليها مئات الأعوام .. عما نراه وليس عما لم نعد
 نراه ..
 أقوله لأصرخ فيكم أن نداء حمدي قنديل الوقور "الشيك" استمرار
 لكارثة الانكفاء والتغريب .. كذلك الآخرون جميعا ..
 وهو انكفاء لن ينجينا ..
 هذه أمتكم أمة واحدة ..
 قانون إلهى ..
 معادلة عبقرية سهلة وشديدة التعقيد فى آن ..
 قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة ..
 معادلة إلهية أخرى شديدة العبقرية والبساطة والتعقيد ..
 سوف تتحطم كل النظم وسوف تنهار كل السياسات وسوف تنسد كل
 السبل وسوف تفشل كل الخطط مادما ننتكس تلك المعادلات الإلهية ..

وإننى أوجه نظرك أيها القارئ الآن فى عجالة - مع وعد بالعودة
 تفصيلا - إلى ما حدث منذ مائة عام أو يزيد عندما سرب الغرب وكلاء
 فينا لإعلاء شأن القومية على حساب الجامعة الإسلامية .. كانوا يتبعون
 نفس الطريقة التى علمها زويمر لصبيانه ودنلوب لتلاميذه .. كانوا يتحدثون

بمنتهى التعافف والاشمئزاز من أولئك المتخلفين الذين يعتمدون الدين أساسا للاتحاد والمواطنة.. كانوا يتحدثون بكبرياء وعنجهية و غرور و "شياكة".. ولم يكونوا يهتمون بالرد على معارضيتهم.. وخلف ستار الكبرياء الزائف تجنبوا نشر حجج المعارضين.. فهم يعرفون أن حججهم أقوى.. نفس ما يحدث اليوم في قضايانا.. هل تظنون مثلا أن إبراهيم سعدة يستجيب للتحدي ليعلق على تقرير الخارجية المصرية الذى كذبه في موضوع النعوش الطائرة التى ملأ الدنيا زئيرا وعويلا عليها.. أو أن يكتب عن أسرارنا المذبحين ..

لقد وقع أهل كوسوفا فى الفخ وهامهم أولئك الآن تحت وطأة المذبحة.. ولقد وقعنا فى نفس الفخ ولن نكون أفضل مالا..

فى نفس الوقت الذى انفجرت دعاوى القومية فى البلقان فيه كانت تنفجر فى أرجاء عالمنا العربى..^١ تركيا دولة احتلال فاستقلوا.. أنتم الأصل وأنتم الأعرق.. بريطانيا العظمى تؤيدنا وفرنسا أيضا.. نزع فى الفخ.. نحارب جيش الدولة الأم مع بريطانيا.. تنهزم الدولة الأم.. تتفتت الدولة الأم.. هيا يا غرب أنجز وعدك.. فإذا به يأتى ليحتل أرضنا ويرمل نساءنا ويستم أطفالنا وينزع ثرواتنا وينزع كرامتنا القومية.. تخلف ما دفعكم إليها سوى عقل مريض.. لدغتم.. ثم ما لبثت العرب حتى راح يعبث فى عقولكم مرة أخرى: ما الذى يربط المصرى ذا الحضارة الموهلة فى التاريخ أكثر من سبعة آلاف عام بدوى جاهل؟.. لكنهم فى الطرف الآخر كانوا يقولون لهم: ما علاقة العرب بالفرعنة؟.. إن المصريين كالأتراك يريدون احتلال بلادكم.. شحاذون طامعون فى ثرواتكم.. دعوا القومية إلى القطرية.. مصر أولا ومصر أخيرا.. مصر قبل الجميع.. سوريا قبل الجميع.. العراق قبل الجميع الحجاز قبل الجميع.. الكويت قبل الجميع.. فلما اندفعنا إلى القطرية اكتملت الدائرة لنعود من حيث بدأنا لكن

١ - النزعات الكيانية. مرجع سابق- جذور الحركة الإسلامية فى تركيا. مصطفى أوغلو. الزهراء للإعلام العربى- صفحات من الماضى القريب. أبو خلدون ساطع الحصرى. مركز دراسات الوحدة العربية - العرب والأتراك . الدكتور سيار الجمل. مركز دراسات الوحدة العربية- التكوين التاريخى للأمة العربية. الدكتور عبد العزيز الدورى. مركز دراسات الوحدة العربية- النزاعات الأهلية العربية. د. محمد جابر الأنصارى وآخرين. مركز دراسات الوحدة العربية- العلاقات العربية التركية. حوار مستقبلى. مركز دراسات الوحدة العربية .

لصالحهم هذه المرة.. فإذا بهم يثيرون الفتن الطائفية لتبرز دعاوى تقسيم
الأقطار على أساس ديني .. السودان مهدد ومصر مهددة والمغرب مهدد
ولإسرائيل مطالب دينية في المدينة.. التقسيم على أساس ديني.. الأساس
الذي حرضونا على الدولة العثمانية من أجله!!..

كنت قد وعدتك أيها القارئ أن أتلو عليك ما قاله جمال عبد الناصر
وعبد الرحمن باشا عزام عن الدولة العثمانية..
لكنهما - وأنت أيضا - تستطيعون الانتظار..

أما العجوز فوق التسعين والصبى دون التاسعة وطفل الأعوام الثلاثة
والجدة ذات الأخاديد والصبية الباكية والطفل الوليد والدمية التي لم تحترق
والجمع الباكي والتائهون المشردون الجياع العراة فلم يكونوا يستطيعون
الانتظار..

هل تظن أيها القارئ أننى كنت قاسيا عليك في الصورة الدامية
المظلمة التي طرحتها بين يديك ١٢..

لا ..

فكل الذى طرحته عليك كان الوجه المضىء للصورة !!..

طرحت عليك حكايات الذين نجوا..

أما الذين ماتوا وتفاصيل موتهم فأنه أعلم بهم..

لكن ذلك هو الجانب الدامى والأسود حقا وليس ما طرحت عليك..

تبقى كلمة أخيرة لصبيان زويمر وتلاميذ دنلوب..

كلاب للأعاجم هم ولكن.. على أبناء جلدتهم /سود..

كيف نسينا التاريخ؟!

هاتوا أشد المعارضين لنظام الحكم فى مصر..
هاتوا حتى أولئك الذين يكفرون النظام والمجتمع.. إن وجدوا حقا ولم يكن المنشور عنهم مجرد حديث إفك من ابتداعات جهاز أمن اخترقه الأعداء منذ زمان طويل..

هاتوا أولئك الذين يرون فى النظام شرا كليا لا خير فيه وسوادا حالكا لا أمل يرتجى منه وفسادا كاملا لا إصلاح له إلا ببتره..

هاتوا حتى أولئك المستعدين للموت من أجل إسقاط نظام الحكم..
هاتوهم واسألوهم إن كانوا يوافقون على هدم الدولة وتقسيم مصر؟!..
تراهم يوافقون على فصل الإسكندرية أو أسوان أو الوادى الجديد عن حكم القاهرة..

أم أنهم على العكس - مستعدون للموت دفاعا عن وحدة أراضى الدولة مهما كان رأيهم فى نظام الحكم ومهما كانت مظالمه ومساوئه !!!..
حتى أنت أيها القارئ : ألسنت مستعدا للاستشهاد إن تهددت وحدة البلاد خطر؟!
ذلك أمر بديهى..

فإن رأيت من يقول بغيره مناديا بالحرية والاستقلال عن طغيان القاهرة وفساد دولاى الحكم بها فهل يراودك شك أنه خائن وعميل بلغ من الخيانة والعمالة ما لم يبلغه سواه.. فحتى فى الشرار خيار.. أما مثل هذا الخائن فمن شرار الشرار..

كان الطبيعى إذن أن تظل ذكرى انهيار الدولة الإسلامية الكبرى نزيفا داميا فى أعماقنا ووعينا وذاكرتنا لأنه لو ظل كذلك لكان هو دافعنا إلى العودة للوحدة تحت ظلال الدولة الإسلامية الواحدة..

كان ذلك هو الطبيعى فكيف حدث العكس ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ ..
وكيف أن هذا العكس حين حدث لم يحدث على مستوى أفراد يمكن حصارهم وعزلهم كما يعزل الجسد الصديد بل أصاب الجسد كسرطان

انتشر فيه كله.. ولم يكن رد الفعل إزاء انتشار ذلك السرطان حزنا وجزعا وخوفا من الموت بل تيهها وفخارا وفرحا واعتقادا بالغ الحماسة بأن الحياة الحقيقية بدأت..

إلا أننا يجب أن نؤكد هنا أن هذا الشعور العكسي لم يكن هو شعور الأمة حين حدوث الانهيار ولا قُبَيْلُهُ .. بل كانت فجيرة الأمة هائلة وكان حزنها فاجعا.. لما ارتد الجيش العثماني منهزما أمام جيوش الحلفاء في الشام كان العرب يضعون الطعام في أوعيته على أبواب بيوتهم لينتجوا لإخوانهم المنهزمين وجبة ترد عليهم العافية وهم ينظرون إليهم من خصاص النوافذ أسفين محزونين .. بل لقد تطوع كثيرون من العرب - مصريين وشوام ومغاربة وعراقيين ومن شبه الجزيرة العربية - للدفاع عن الأناضول التركي عشية انتهاء الحرب ووقوع تركيا فريسة الاحتلال .. كانت الأمة تدرك أن بلاد الإسلام واحدة، والدفاع عن دار الإسلام فرض عين .. حتى رجال الجيش الرسميون في البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية قاتلوا إلى جانب إخوانهم في الدين ولم يضعوا في حسابهم أن ينفذ فيهم حكم الإعدام رميا بالرصاص ساعة القبض عليهم واتهامهم بالخيانة .. لقد انضم رجال خفر السواحل المصريين إلى قوات الجيش الرابع التركي مع غيرهم من المتطوعين من باقي الأسلحة وإلى قوات السنوسيين في هجومهم على الجيش البريطاني من الغرب .. حدث ذلك وهناك سردار إنجليزي للجيش المصري والضباط الإنجليز يسيطرون على جميع القوات المسلحة وقصر الدوارة يحكم مصر، والأحكام العرفية معلنة وكل شيء على أرض مصر مواسلات وأموال وغلل وغيرها مسخر للحرب، سخره البريطانيون المحتلون ضد الترك..

حدث هذا أثناء الكارثة.. لكن بضعة عقود لم تكد تمر حتى أمكن محو ذاكرة الأمة وتغيير توجهها من وضع لطمت الخدود وشقت الجيوب عليه إلى وضع اعتبرت فيه انهيار دولتها الكبرى وهزيمتها الشاملة أعظم انتصاراتها عبر القرون .

نفس الطريقة والمنهج التي تعتبر الآن استسلامنا لإسرائيل سلاما وهزيمتنا أمامها انتصارا.. نفس الطريقة.. وبفس الطريقة فقدت الأمة ذاكرتها ونزفت وعيها كله.. فكيف يمكن لأمة أن تفقد الذاكرة والوعي ؟!..

كيف أمكن إجراء غسيل مخ لأمة ؟!

كيف استطاعوا.. وكيف ابتلعنا الطعم ؟؟

يجمع بى الخيال فأرى بعينه امرأة فاجرة تترك زوجها وأبناءها لا لكى تهرب إلى عشيق يحبها- ودعك الآن من الحرام بل إلى سيد يستعبدها ويسومها سوء العذاب فلا تملك تقربا من مولاها إلا أن تكيل التهم تلو التهم لعلاقتها الشرعية السابقة مفضلة عليها حياة العبودية والعار.. امرأة تلعن وتكفر بأعوام عزها الحافلة بالمسؤوليات الجسام التى كانت تبني فيها أسرته وتحميها إلى عبدة ليست حتى جارية فراش وإن لم يخل الأمر أحيانا من تأجيرها للغير ليقبض مولاها الثمن- عبدة تُسَاط كل مساء وتفضح كل صباح وتعامل أسوأ مما تعامل الحيوانات بل ولا مانع فى أحيان كثيرة من بتر عضو منها لزراعته لأحد أبناء مولاها الجديد الذى لا تكف عن عبادته والإيمان به ذلك الإيمان الوثئى الذى لا يعرف الشك وتخاف منه أكثر بكثير جدا من خوفها من الله ..

يصرخ الدكتور "محمد حرب" رئيس المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى: " معاداة العثمانيين قضية يحمل لواءها فى البلدان العربية وغير العربية أصحاب المذاهب المعادية للإسلام، والسبب إسلامية الدولة العثمانية" .. ثم يورد قول الأستاذ الدكتور "تهاد جيتين" رئيس قسم اللغة العربية بجامعة استنبول: "إذا كانت أوروبا وإيران وروسيا والدول الاشتراكية تعادى العثمانيين لأنهم عملوا على إعلاء كلمة الله ونشر الحضارة الإسلامية، فالمثير للعجب أن تعادى بعض البلاد الإسلامية العثمانيين" ..

يكتب الدكتور محمد حرب - أو ينزف بخط اليد لا بحروف المطبعة على غلاف كتابه الهام: العثمانيون فى التاريخ والحضارة:

"العثمانيون: مساحة مباركة فى زمن المسلمين، وجزء رحب فى حضارة البشر، اتسموا بالسمو فى تاريخ العالم، جاهدوا واجتهدوا أصابوا كثيرا ولهم أخطاؤهم، لكنهم أضافوا للإنسانية فخرا وللمسلمين عزة فلم كل هذه المعاداة للعثمانيين فى بلاد المسلمين !!!" ..

لم تختر حكومتنا السننية مثل هذا الكتاب ليدرسه التلاميذ فى المدارس .. حكومتنا التى قررت أن تغير مناهج التاريخ.. ولم تجد من تكلفه بهذه المهمة الجليلة سوى عبد العظيم رمضان !!!..

لم تختر حكومتنا السننية أيضا كتابا مثل "المسألة الشرقية" .. الذى يصرخ فيه محمود الشاذلى: "إن الذى حفظ لدير العرب عروبته

وأرومتها هم العثمانيون وليس أحد غيرهم.. ففي الأربعة قرون الماضية كانت البلاد التي فتحها الأتراك هي التي بقيت عربية العرق واللسان عربية الهوية والثقافة. ولولا الأتراك لانمحي هذا الوجود نفسه أو على أحسن الفروض دُئس وهجن وسرق لسانه وفقد ذاته .

ويواصل محمود الشاذلى فى كتابه القيم (المسألة الشرقية)^١ :

لقد اقترن الفتح العثماني لبلاد العرب بحركة الكشف الأوربية والسيادة البرتغالية والأسبانية في البحار، والاستعمار المتحضر للانقضاض لما وراء البحار اقترن بالبعث العرقي الغربي والنصرة القومية المتممرة للاستعلاء وإذابة غيرها والقضاء على الأجناس والشعوب.. ولولا الأتراك الأقوياء لكنا أثرا بعد عين كما فعل الأسبان بالأندلس أو على أحسن الفروض لكنا كبقايا الهنود الحمر في الأمريكتين، نستخدم للتسلية واللهو، نرقص وعلى رءوسنا ريش التعريف نزين حفلات الفلكلورا.. فالذين اكتشفوا الأمريكتين وكانوا طلائع غزوها، ويشكلون الآن كل سكان أمريكا اللاتينية هم أنفسهم الذين جاءوا لاكتشاف بلادنا وهم أنفسهم الذين صفوا الوجود العربي في الأندلس.. والجنود العثمانيون وجهادهم الإسلامى بمدافعهم القوية وأساطيلهم الفتية هم الذين أبقونا في ديارنا عربا يوم طاردوا الصليبيين الذين ثملوا بانتصارهم فى الأندلس انتصارهم الاستئصالي الذى قتلوا فيه أو نصرّوا ملايين المسلمين، انتصارهم الاستئصالي الذى لم يكن يقبل بجوار مسلم، وكان من الطبيعى فى فورة النشوة والحماس أن يندفعوا كالطوفان لمهمتهم التى نذروا لها حياتهم: ألا وهى القضاء على المسلمين والحرب القضاء المبرم الذى لم يكن ليدع لو نجحوا - عربيا ولا مسلما ولقد كانوا قادرين على ذلك فلم يكن فى العالم العربى كله من يستطيع صدهم ، لكن العثمانيين جاءوا.. وصدوا عنا الغزاة وكانوا خط الدفاع الأول حين تألّبت علينا قوى البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا فى التاريخ .. والقول بأن ذلك ما كان ليحدث لأن الأوربيين حين استعمرونا بعد ذلك بقرون تركونا كما كنا بعد أن سلموا مفاتيح القلعة لعملائهم فى بلادنا هو قول مردود ذلك أن الفتح العثماني - نعم الفتح العثماني - قد عطل الغزو الأوربي أربعة قرون، وأساليب الاستعمار الأوروبى القومى الاستيطاني فى القرون الخوالي غيرها فى منتصف القرن التاسع عشر أو القرن العشرين، أساليب الاستعمار فى منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر غيرها بالقطع فى منتصف القرن التاسع عشر أو القرن العشرين القريب".

١ - مرجع سابق ، وهو مرجع رئيسى فيما يرد فى هذا الكتاب عن الدولة العثمانية

سوف ندعم حديث الأستاذ محمود الشاذلي بمقال منشور للدكتور محمد صادق صبور، عما حدث للمواطنين الأصليين في أمريكا الوسطى عام ١٥٢١ والذي كان يمكن أن يحدث لنا بحذافيره لولا أن قيض الله للمسلمين دولة واحدة محورية للمسلمين تدافع عنهم، والمقال منشور في العدد الثالث من مجلة : "الكتب وجهات نظر وهى مجلة - رغم تميزها - فلا يمكن اتهامها بالعداء للغرب- : بعد نزول البحارة إلى الأرض سنوا سيوفهم وأشبعوا الأهالي ذبحا وتقتيلا وبقروا البطون والنساء الحوامل وشجعوا كلابهم على نهش أجسادهم، ولم يأت عام ١٥٥٠ إلا وكان أهالي البلاد الأصليون قد هلكوا جميعا من وحشية الأوربيين ومن الأوبئة التي جلبوها معهم من أوروبا. تكرر هذا المشهد البشع في بورتوريكو وفي كوبا، وبحلول عام ١٦٣٠ لم يتبق من الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية والوسطى سوى ٧% ممن كانوا هناك عام ١٥٢٤ (٠٠) السير جيفرى أمهريست قائد الجيش البريطاني في أمريكا الشمالية أمر عام ١٧٦٣ بأن ترسل البطاطين وملاءات الأسيرة المحملة بالجدري إلى من تبقى من الهنود الحمر لتعجل بفنائهم، بثور الجدري أرسلت في علب من القصدير من مونتريال .."

إن القارئ ليس في حاجة إلى مراجع كي يدرك كم تبقى من الهنود الحمر اليوم وكما كان يمكن أن يتبقى منا لو لم تكن الدولة العثمانية قد واجهت الغرب وردت عنا هجمته..

تلاميذ زويمر، الخونة، صبيان المبشرين، يتحدثون عن الاستعمار التركي ، ولم يسأل أحدهم نفسه : ترى هل كان العرب حقا يحكمون أنفسهم بأنفسهم يوم جاءهم الغزو التركي الفظيع ؟! .. (لاحظ هنا أيها القارئ واشهد أن الشواذ أشباه الرجال الذين احتفلوا بالغزو الفرنسي هم بأنفسهم الذين يكرسون نشويه الدولة الإسلامية الواحدة ويصبون لعناتهم على الدولة العثمانية) ..

هل كان العرب يحكمون العالم الإسلامي؟..

والإجابة التي يتجاهلها عمدا صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب هي أن مصر والشام والحجاز كان يحكمها المماليك قيادة وجيشا وولاية وسناجق وفي العراق نفسها بقايا أمراء الأجناد من سلالة بن بوية أو الزنج أو القرامطة. وأما المغرب العربي فلم يكن هناك شيء يقال له حكم عربي بعد انتهاء عصر الموحدين والمرابطين إلا إذا اعتبرنا حكومة أمير بني حفص في تونس تحت السيادة الأسبانية، حكومة عربية مستقلة ضرب العثمانيون استقلالها المهيب !! ..

يشهد "مورد بيرجر" في كتابه^١: "إن وحدة العالم العربي قد تحطمت في القرن التاسع والحكم العثماني فرض مقدارا عظيما من الوحدة ابتداء من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر .

كان العرب قد فقدوا قيادة الأمة الإسلامية منذ استنام خليفة بغداد في قصر "الدجلة" في أواخر العصر العباسي الثاني .

ويوم اجتاحت جحافل التتار ديار الإسلام من غزنة فيما وراء النهر وإلى البحر المتوسط لم تكن هناك دولة للعرب أو المسلمين .

والذي تبقى في بغداد لقب لا يتعدى سلطانه حدود "الأريكة التي يجلس أو ينام عليها صاحب اللقب في قصر قد أفرغ من كل سلطة قادرة على صنع القرار أى قرار !!

الذي كان قائما على امتداد الساحة الإسلامية كلها ليس دولة إنما أشباه دويلات هزيلة ومتكاثرة كخلايا السرطان، عديدة ومختلفة ومتناقضة، بل ومتصارعة، بقدر عدد البيوت الطامعة والمذاهب والشيع والنحل والأمراء والأفراد الأقوياء وشيوخ القبائل بل شرادم الأجناد!!.

والذى حقق وحدة العرب أنفسهم، بعد انفراط عقدهم الجامع، في مرحلة أوشكوا فيها على التحلل الكامل - وجمعهم عربا في إطار دولة مسلمة واحدة، كان الأتراك العثمانيون.

تاريخ أكيد وواضح يراه القس والمبشرون الغربيون أنفسهم ولا تعمى عن رؤيته إلا عيون تلاميذهم وقد لطحها قذى التهجين والاغتراب.

لكنهم لا يستطيعون أن ينكروا أن الذين هزموا جحافل التتار والصليبيين يوم لم تكن للعرب دولة كانوا الأيوبيين والمماليك، وهم كما يعلم عراقيونا لم يكونوا من قحطان أو عدنان إنما كانوا من نفس العنصر التركي الذى ينتمي إليه العثمانيون الذين حملوا من بعدهم راية الجهاد.

فالسلاطين الذين استنفروا الأمة العربية وخططوا للحرب وقادوا جهاد المسلمين يومئذ، وقادة الجند وغالبية العسكر الفعال كانوا من جنس غير جنس العرب .

فصلاح الدين والصالح أيوب والكامل محمد وشجرة الدر والمظفر قطز والظاهر بيبرس والناصر قلاوون وغيرهم بالآلاف كانوا من العنصر الكردي أو من التركمان.

والمعارك الخالدة في حطين وعين جالوت^٢ والمنصورة ودمياط وحرص وغيرها كانت بالدرجة الأولى إسلامية الإسلام فيها الراية والغاية والباعث

١ - العالم العربي اليوم ترجمة محيي الدين محمد - طبع في دار مجلة شعر - أغسطس ١٩٦٣ .

٢ - مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دكتور محمد فتحي الشاعر، دار المعارف.

والطريق، والجنود مسلمون وإن جاءوا من وراء النهر وتباعدت بينهم الأنساب والديار.

فالحكم العثماني إذن لم يفتت دولة عربية واحدة أو حتى واحدة كانت قائمة تحكم في ديار العرب، ولم يمنع دولة أو وحدة عربية من المحيط إلى الخليج بل إنه هو الذى خلصها من غاصبي ثغورها، أزاح عن جزئياتها ولاية الأجانب وأعاد تكوينها ودعمها واسقط عنها التشرذم.

ويوم تركها - بعد إن أعياه الجهاد في سبيل بقائها - اغتصبها منه صليبيو القرن العشرين، فسلموها لوكلائهم فيما بعد، عندما حان ميعاد تسليم مفاتيح القلعة للصبيبة من رموز الهزيمة وبدائل الغزو، سلموها للعصبيات القطرية، سلموها للإقامة والكفيل والجوازات وتأشيرات الدخول، سلموها لصراعات المحاور وتقاتل أعضاء الجامعة العربية بالدبابات والطائرات والصواريخ!!..

وقد يتباهى أعداء الإسلام المتخفون خلف أثواب مختلفة بالفترة التي سبقت ظلام الغزو العثماني إبان عصر الدويلات..

وما كانت شرذم الدويلات المهترئة على امتداد الساحة الإسلامية وعددها بالمئات، لتصمد -في عالم إسلامي يغفو- أمام محاولة جديدة وجادة - للغزو والسيطرة والاحتلال والاستيطان، أتت بها قوة متيقظة، مزودة بكل وسائل البحث والحرب والتقدم المادي، والحقه أيضا..

فلم يكد ينصرم قرن وبضع قرن على اندحار الهجمة الصليبية والمغولية، ولم تكد تمض سنوات قلائل على سقوط آخر معقل للمسلمين في شبه جزيرة أيبيريا، واندثار كل أثر للإسلام في الأندلس، حتى جاء صليبيون آخرون في صورة قراصنة احتلوا ثغور الشمال الإفريقي المسلم فاستولى البرتغاليون على سبتة عام ١٤١٥ م، ووهران عام ١٥٠٩ م، وطرابلس وآسفى عام ١٥١٠ م، وأزمور عام ١٥٥٣ م واحتل الأسبان مليلة وطنجة عام ١٤٧١ م، وجعلوا من تونس مستعمرة أسبانية تحت وصاية أمير من بني حفص، وتحرك الأسطول البرتغالي في البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي تحرك القوة والسيادة فاحتل القراصنة البرتغال مضيق هرمز وجزيرة سوقطرة في خليج عدن بغية السيطرة على التجارة الإسلامية في الهند بعد أن قطعوا طريق الشرق التجاري واكتشفوا رأس الرجاء الصالح، وكان الأسطول الذى أنشأه المماليك قد حطمه البرتغاليون عام ١٥٠٩ م في ديو أحد مواني الكجرات الهندية^١.. ثم بدأ تحرشهم بالأراضى المقدسة وعجز

١ - ملحمة الإسلام في الهند. الدكتور عدنان النحوى. دار النحوى للنشر والتوزيع. الرياض- كفاح المسلمين في تحرير الهند. د. عبد المنعم النمر. الهيئة المصرية العامة للكتاب- الإسلام واليارات الحضارية في شبه القارة الهندية. إسماعيل العربى. الدار العربية للكتاب- تاريخ العرب الإسلامى. د. إبراهيم القادري. دار الطليعة. بيروت.

المماليك عن الدفاع .. في تلك الحقبة البالغة التعقيد، والأمة المسلمة تعيش حالة ضعف مهين، تظهر الدولة العثمانية، قوة إسلامية جاءت على موعدها لتتخذ أمتنا من الاندثار..

فلنتصور أيها القارئ لو أن الدولة الإسلامية المحورية وهى الدولة العثمانية لم تتقدم لتقود النضال فى هذا الوقت..
لنأخذ الجزائر مثلا..

فنجرب الجزائر نقول : أن ضرب الإسلام يعني سقوط كل شيء، فلا وطن ولا عروبة ولا أرومة لا شيء على الإطلاق إلا غربة الوجود الإنساني ذاته، وتؤكد أن راية الإسلام وحدها هي القادرة على استعادة كل شيء، وبعثه من جديد.
فعندما استولت فرنسا على الجزائر في غزوة همجية، صليبية الغاية والراية والحصاد، قوامها الدمج والفرنسة وتغريب الهوية دخلت قوات "روفيجو" مساجد الجزائر وحولت الجوامع الكبرى إلى كنائس، وأخذ الجنود الصليبيون في داخل المساجد يقيمون القداس ويرتلون "نشيد الغفران" ويمجدون اله إسرائيل "يهوه رب الجنود"!!..

يقول "كوليت وفرنسيس جانسون" في كتابهما شاهدين على بني قومهما :
"ولعل العبث بالدين الإسلامى كان هو المجال المفضل لدى القائد روفيجو ليعيث فيه فسادا واستهتارا فقد وقف هذا القائد الفاجر، ونادى بين بني قومه بأنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين، وطلب من أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن وأشار لهم إلى جامع القشاوة لأنه كما قال أجمل جوامع الجزائر طرزا، وهو في وسط المدينة، وبالفعل تحدد ظهر يوم ١٨ من ديسمبر ١٨٣٢ لإنجاز هذا العمل وتحقيق هذه الرغبة، ففي الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبثها للعمل، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفئوس، وإذا بداخل المسجد أربعة آلاف مسلم اعتصموا كلهم خلف المتاريس، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ودحرتهم بالسناكي فخرجوا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود، واستمرت العملية طوال الليل حتى إذا كان الصباح كانت النظم قد تمت والقرارات قد صدرت وصار الجامع "كاثدرائية الجزائر" .. وما أن انتهى الجنود من هذا حتى داروا على أعقابهم صوب مسجد القصبة الغني بذكريات الإسلام وأيامه المجيدة فدخله القوات والضباط والجنود وأقاموا فيه شعائرهم الدينية حتى إذا انتهى القداس شرع القساوسة في تمجيد إله الجيوش وترتيل نشيد الغفران، وتزعم القسيس سوشيه

١ - الجزائر الثائرة . كوليت وفرنسيس جانسون. ترجمة محمد علي الشريف وزميله. دار الهلال.

طابورا صليبيبا آخر استولى على مسجد القصبة ، وعلى منبر مسجد يقال له المقدس ، ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتلقى عليه عذاته وعلى هذا المنبر النفيس وقف سكرتير الحاكم بوجو ليقول إن آخر أيام الإسلام قد ولت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد. أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا .

نعم حافظ الترك على عروبتنا يوم حموا لنا إسلامنا..

تري ماذا كان سيصبح عليه الحال لو احتلت فرنسا الجزائر في عام ١٥١٧ بدلا من عام ١٨٣٠ ؟.. كان قد بقي شيء؟..!

إن صورة احتلال قرن وثلث قرن في الجزائر ونتيجة الغرس الزنيم - وأثره لا زال حيا في عالم الشهود - توضح كيف كان يمكن أن يكون الأمر لو بدأ الاحتلال من قبل ذلك بقرنين ونصف من الزمان، أي لو لم يكن هناك آل عثمان فحموا البلاد لثلاثة قرون سبقت الغزو الفرنسي الرهيب..

ولعل "مولود قاسم" وزير التعليم الأسبق في الجزائر كان يجسد ضمير أمته المسلمة، وهو يرد في طمانينة الوثائق بالنفس، على متآمر من كتبة الكتبية العميلة المرتدة عن الإسلام، التي تمشي بيننا بأسماء إسلامية وذات المهمة المحدودة - تحويل الأجيال الناشئة عن دينها وتجنيدتها في جيوش الردة - قال "مولود قاسم" في مؤتمر الملتقى الإسلامي الأول في الجزائر: "كان الأتراك ضيوفا أعزاء علينا في الجزائر، ولم يكونوا محتلين أو غزاة، كنا وهم اخوة العقيدة الواحدة، وتحت رايتهم الغالية كان الاستقلال والمنعة، وكان الإسلام في ضميرهم وهم يدافعون عنا، قاتلوا معنا وسقط منهم شهداء أبرار ولما ضعفوا ضاعت الجزائر".

الحديث طويل وما زال أماننا الكثير لكى نقوله ونقذفه فى الوجوه الكالحة الخائنة المعادية للمشروع الإسلامى والمشوهة له.

ما يزال أماننا الكثير والكثير والكثير..

أما الآن فلنقرأ معا عبد الرحمن عزام - أول أمين عام للجامعة العربية- في بحثه القيم الرسالة الخالدة حين يقول:

"وقد يظن بعض الناس أنها (الدولة العثمانية) كانت دولة عظيمة ، ولكن لم تكن صفة الرحمة من مميزاتاها، وهو خطأ شائع لا يقف أمام البحث والتدقيق، ولقد سمعت بنفسى حديث هذه الرحمة في بسرابيا من رومانيا على نهر "الدنيستر" وقيل لى: أن أمثلة الفلاحين في هذه الأطراف النائية للملك العثمانى لا تزال تعبر

عن رحمة التركي وعدله، ومنها ما يشير إلى أن العدل ينزع مع الأتراك من الأرض ، وقد لفت نظري في بولونيا ورومانيا وفي بلاد البلقان في رحلاتي المتعددة أمثلة وأساطير لا تزال تشير إلى ما استقر في نفوس هذه الأمم المسيحية من احترام التركي المسلم كرحيم عادل .

أما جمال عبد الناصر ، فيقول في مقدمته لكتاب تركيا والسياسة العربية : اخترنا لك دار المعارف- ١٩٥٥ (كما يورده محمود الشاذلي) : مهما يكن الأمر بيننا وبين تركيا، في الماضي أو في الحاضر، فهي منا ونحن منها، كان أبونا وأبوها أخوين في التاريخ، تشاركنا في سراء الحياة وضرائها، وتقلبنا معا في نعمائها وفي بؤسها، وحاربنا جنبا إلى جنب في ميدان واحد قرونا عدة لنصرة المثل العليا، وحين تألبت قوى البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التاريخ، كانت تركيا هي الهدف الأول لكل رام من أهل البغي والعدوان وكنا نحن من ورائها، وقرأنا وقرأتها واحد، وماضيها وماضيها فصلان من كتاب واحد، ويوم وطأت أقدام الترك أرض أوروبا لتقيم إمبراطورية عثمانية على أنقاض إمبراطورية قسطنطين، كان شعار المحاربين من العرب والترك يومئذ واحدا على كل لسان، هو "الله أكبر" يهتف به المصلون في "أيا صوفيا" فيتردد صده على مآذن المسجد الأموي بدمشق، والجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزيتونة في القيروان، ومساجد أخرى في بغداد والكوفة وصنعاء، وفي غرناطة، وفاس وعلى شاطئ المحيط الأطلسي، ثم كانت محنتنا القريبة ومحنة تركيا على يد عدو واحد مشترك، نظر إلينا جميعا نظرة العدو فلم يفرق بين عربي وتركي، فإذا جيوشه تطأ بلادنا وبلاد الترك، وإذا احتلاله يجثم على صدورنا وصدور الترك، وإذا المستعمر في أزميز، والمستعمر في دمشق، والمستعمر في القاهرة، يتداعون جميعا إلى مائدة مشتركة من طعامنا وشرابنا (..) ونحن إلى كل ذلك أنسباء وأقرباء وأصهار (..) فقد اختلطنا نسبا وصهرا ومواريث ثابتة ومنقولة، وإن قامت بيننا الحدود والسدود والأسلاك الشائكة! (..) والشر الذي يتربص بتركيا اليوم على حدودها القريبة، هو الشر الذي يتربص بنا (..) فقد اتحدت مصائرنا إذن على الحاليين وارتبطت أواصرنا، وهي الأخوة في البأساء والنعمة، في الحاضر كما كانت في الماضي. وكما لا بد أن تظل أبدا..

بقيت كلمة أخيرة في هذا المقال أيها القارئ..

دعاء أدعوه للأمة.. اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون..

اللهم اغفر لقومي فإن حكوماتهم ودولهم ووزراؤهم وكبار كتابهم هم الذين يرفعون رايات التضليل والتجهيل ضد الأوطان وضد الأمة وضدك يا رب..

يقف الرّمانُ بنا كموقفٍ طارقٍ :

اليأسُ خلفاً، والرجاءُ أماماً !!

إننى واثق أن القارئ يدرك أننى لا أدافع عن الدولة العثمانية تفاخرا بالأنساب ولا ازدهاء بمجد دال وعز زال، ولم يعد لنا ثمة علاقة به سوى البكاء على أطلاله.

ولا أدافع عنها دفعا لسلسلة هائلة من الأكاذيب دسها علينا الصليبيون فتلقفها صبيان زويمر فينا ليس لتثويته الماضى بل للقضاء على أى فرصة أمامنا فى الولوج إلى مستقبل يحمل ملامح ماضينا.

ولا أدافع عنها مجرد تعصب لدين وليس التعصب للدين عيبا- بل إن ربط الكلمتين : التعصب والدين لا يجوز إلا فى عقول ديوثة كعقول رواد التنوير فينا.

الأمر أبعد من هذا بكثير جدا ..

إننى أدافع عن هويتنا التى لا هوية لنا سواها..

أدافع عن الباب الوحيد الذى يمكن أن نلج منه إلى المستقبل لنباهى به أمم الأرض .

وعندما أقول المستقبل فإننى لا أقصد الدنيا إلا كمعبر للآخرة التى لولاها لما استحققت الدنيا أن تعاش..

أقصد الآخرة التى يبلغ يقين إيمانى بها أن أصبحت الدنيا إزاءها ليست سوى جناح بعوضة وجيفة نتنة..

أليس الأمر كذلك يا أمة؟!..

أتؤمنين كما أو من أم تكفرين كما يكفر السفهاء؟!..

لذلك فإننى يا أمة لا إله إلا الله أدافع عن الإسلام ديننا ودنيا وحكما وحزبا لله الواحد القهار..

أدافع عن الشرف الإنساني والكرامة البشرية فليس الإنسان حيوانا
منتهى مرامه من الدنيا نشوة اللذة وزهو القوة بغض النظر عما يصيب
الآخرين..

أواجه الدنيا كابتلاء ليس أمامنا إلا أن ننجح فيه وإلا خسرنا الدنيا
والآخرة..

من أجل ذلك أدافع عن ذاكرة أمة تزيّف وعن وعى ينزف..

أدافع عن السبيل الوحيد الذي يجب علينا أن نسلكه لكنهم يسدونه دوننا
وما سبيلهم في ذلك بعد أن ملكوا أقطار الأرض إلا أن يزيّفوا
بالأكاذيب تاريخنا..

فحتى تاريخنا للأسف والخزي والمأساة هم الذين يكتبونه لنا
ثم علموا صبيانهم ونصّبوهم علينا رواد تزوير لا تتوير..

ولست أدري كيف بلغت الغيبوبة والعماء والحمالة بالأمة أن تركت
عدوها يكتب تاريخها فهذا التاريخ تشكل كل صفحة فيه إدانة لحضارة
هذا العدو الفاسدة تصمها بالعار..
أجل..

لا أدافع عن الدولة العثمانية بل عن الهوية الإسلامية بعد أن أدركت
أنهم لا يهاجمون الدولة العثمانية، إنما يهاجمون الإسلام، وأن تركيز
الاتهام وتوجيه النصال للدولة العثمانية حيناً وللرجعية حيناً وللتخلف حيناً
وللأصولية حيناً وللإرهاب أحياناً إنما هي جميعاً وجه واحد يتخفى خلف
أقنعة مختلفة..

قد يتساءل منكم متسائل ولماذا الدولة العثمانية دون سواها من دول
المسلمين؟.. والإجابة سهلة وواضحة ومباشرة وبسيطة لكن هيهات هيهات
الوصول إليها بعد دهور من التجهيل والتزوير.. فالدولة العثمانية وليس
سواها هي التي انتصرت فيما بدا أيامها نهاية التاريخ على الدولة
البيزنطية رمز حضارة الغرب وواجهة وجوده والتي ظلت قبل ذلك التاريخ
أحد عشر قرناً تحمل بالزور راية الصليب عجز العباسيون والأمويون
لكن العثمانيون نجحوا ففتحوا القسطنطينية وأنهوا وجود الدولة كلها
ومن هنا كان الحقد المستعر والتشويه المستمر..

ليس حسناً بل فظيلاً..

سنوافقكم..

سنوافقكم يا كلاب جهنم..

سنهاجم معكم الدولة العثمانية بل والعباسية والأموية أيضا..

سنهاجم الرجعية والأصولية والإرهاب..

فهل توافقون يا حصاد جهنم أن نعود إلى دين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أن هذا بالضبط هو الذى تواجهونه وتقصدون النيل منه، لكنكم يا جبنا يا خونة، تتسترون وتكمنون، وتأخذوننا الهويناء، فتغتالون الدين جزءا جزءا، لأنكم غير قادرين على اقتلعه من أعماقنا دفعة واحدة ووالله لو قدرتم لفعلتم..

وما موقفكم من الدين إلا لأنكم تعرفون أنه هو الحائل دون انتصاركم النهائى، فلولا لفكرت الغالبية منا أن تشارككم مظلماكم وملاذاتكم حتى لو كانت الغالبية بعد ذلك ضحايا، لكنه نمط تفكير المقامر الذى لا يفكر إلا بالمكسب رغم أن الخسارة أقرب..

الدين هو الذى يدفعنا إلى ويقوينا على مواجهة فجر الفاجر وعهر العاهر وظلم الظالم وجبروت المتجبر..

لسنا مثلهم وجزاؤنا فى الآخرة لكننا مصرون على إنفاذ كلمة الله فى الدنيا..

لا أدافع إذن عن الدولة العثمانية فالدولة العثمانية ماض انتهى ولن يعود أبدا، بل أدافع عن وجود حاضر لنا لم يكن ليكون لولا وجود الدولة العثمانية وهو وجود كنا نحلم فى ظلاله بأن نسود العالم، منذ قرن واحد فقط كنا ما نزال نحلم أن نسود العالم، لكن المؤامرات كانت أعتى من أن يسترد المريض عافيته، ولقد اشترطنا جميعا فى الخيانة والمساعدة على قتله، تركيا وإيران والعرب والبلقان والهند، وجازينا الدولة الإسلامية التى حمتنا جميعا من الفناء جزاء سمار.

ترى ماذا كان اسمك سيكون يا مصر لولا أن الدولة الإسلامية المحورية تحت قيادة العثمانيين قد انبرت للدفاع عنك فى الوقت المناسب ؟؟

ومن أى أجناس الأرض وأعراقها كان شعبك سيكون بعد استئصالنا نحن الشعب الأصلى .. ؟؟

لماذا كان علينا أن نصدق كلاب النار حطب جهنم لمجرد أن ندين الدولة العثمانية ..

ألم يستأصل الغرب المجرم الأمم ويقتل الشعوب بعد انتفاضة الشيطان فيه..

ألم يسمّ الأوطان باسم قراصنته ..

ألم تُسمّ أميركا - بعد قتل شعبها الأصلي - باسم الجغرافى الإيطالى فيريكو أميركو ؟!..

ألم تُسمّ كولومبيا بعد قتل شعبها الأصلي باسم البحار الإيطالى كريستوفر كولومبس ؟!..

ألم تُسمّ بوليفيا بعد قتل شعبها الأصلي نسبة إلى المستوطن الأسبانى سيمون بوليفار ؟!..

ألم تُسمّ ترينيداد نسبة إلى الثالوث سفينة كولومبس فى رحلته الثالثة ؟!..

ألم تُسمّ فنزويلا على اسم المدينة الإيطالية : فينيسيا..

ألم تُسمّ السلفادور على اسم المنقذ نسبة إلى السيد المسيح عليه السلام ؟!..

ألم تُسمّ الأرجنتين أرض الفضة بالأسبانية ؟!..

ألم تُسمّ بورتوريكو المرفأ الثرى بالأسبانية ..

ألم تُسمّ كوستاريكا الساحل الخصب بالأسبانية ؟!..

أليس سان دومنجو هو اسم قديس أسبانى ؟!..

ألم يسموا باربادوس على اسم عناقيد العنب التى بدت لهم فيها كاللحي ؟!..

ألم يسموا كوراكوا ومعناها القلب نسبة إلى القلب المقدس ؟!..

ألم تُسمّ استراليا بالمعنى اللاتينى للأرض الضائعة، وإنتركتيتا وهى القارة القطبية باللاتينية، وفولكلاند أرض الشعب بالإنجليزية، وهندوراس أرض العمق بالأسبانية، ونيوزيلاند: أرض الميعاد الجديدة بالهولندية..

ألم يقوموا غير ذلك بتغيير أسماء بلاد أخرى لمجرد طمس أسمائها القديمة فغيروا أسماء مكسيكو وجواتيمالا وهاييتى وكوبا ونيكاراجوا وجامايكا وشيلى وأوروغواى وباراجواى والبهاما و.. و.. و..

فلماذا كان وضعك يا مصر سيختلف ؟!..

يقول القسيس 'استيفانى' فى كتابه تاريخ الإرساليات المسيحي :

"إن الحرب العالمية الأولى وهزيمة تركيا قد حددت نهاية الحلم الإسلامي بالسيادة على العالم ، ولم تسقط دار الإسلام ، عالم الإسلام ، إلى مثل هذه المنزلة الوضيعة من قبل ."

هذه شهادة قسيس^١ !! ..

يشهدون هم بذلك فلماذا لم ينح كلاب التزوير صبيان زويمر نحوهم.. لماذا يحاولون إيهامنا أن انهيارنا بدأ بازدهار الدولة العثمانية وأن هزيمتنا بدأت بانتصارهم بينما العكس تماما تماما هو الصحيح..

يقول "رجاء جارودي" في كتابه "حوار الحضارات" : كانت الجزائر قبل وصول الفرنسيين سنة ١٨٣٠ بلدا يصدر القمح، وقد استطاعت جيوش الثورة والإمبراطورية أن تختذى بالقمح الجزائري الذي أرسله الداي، ومضى هذا الأخير في أريحية وفروسية حتى إلى عدم المطالبة بدفع ثمن قمحه بعد سنة ١٨١٦، وعلى الرغم من ذلك، لم تمر بضعة أعوام حتى قرر أن يقابل إصرار فرنسا على الامتناع عن سداد ديونها بطرد القنصل المناوئ دوفال باعتبار ذلك تدبيرا ثائرا، وقد حدث ذلك سنة ١٨٣٠ وأصبح ذريعة لتدخل قوى الجيش الفرنسي، وعندئذ فرضوا على بلد إسلامي تحريم ديانته الخمر زراعة الكرم، وبذلك قضى على الاقتصاد الغذائي الذي كان سائدا من قبل، وأصبحت الجزائر تستورد القمح بعد أن كانت تصدره، وقد أحيطت تبعيتها منذ ذلك الحين على الصعيد الاقتصادي بكفالة مزدوجة: لتصدير خمرها وهي لا تدرى ما تصنع به، ولاستيراد القمح الذي تحتاج إليه.."

أليست هذه تماما تماما هي السياسة المتبعة الآن مع كافة شعوبنا نفس الاستراتيجية القديمة التي جعلت من أمتنا أكبر مستورد للقمح في الدنيا ولصالح الكنتالوب والكروم والفراولة..

في لجنة تقص حكومية صدرت عام ١٨٨٣ يعترف الفرنسيون: لقد استولينا على أملاك المؤسسات الدينية، وأقمنا حارسا قضائيا على أملاك

١ - المسألة الشرقية: مرجع سابق- خروج العرب من التاريخ. د فوزي منصور. الفارابي- على خطى الصليبيين. جان كلود جويو. دار الحصاد. دمشق- العلاقات المصرية العثمانية. عبد الرزاق الطنطاوي. الزهراء للإعلام العربي- صوت الناس. مجلة ثقافة مزورة. الصادق النهوم. رياض الريس للنشر- العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي. وديع فتحي عبد الله. مؤسسة شباب الجامعة- الأمة المشلولة. محي الدين صبحي- رياض الريس- الماضي المشترك بين العرب والغرب. ا.ر. رانيا. عالم المعرفة.

طبقة من السكان هم الذين وعدنا باحترامهم، واستولينا على ملكيات خاصة دون تقديم أى تعويض، بل مضينا على العكس، حتى على إرغام الملاك بعد استملاك أملاكهم على دفع أجور هدم بيوتهم، بل وحتى المساجد. لقد دنسنا المعابد والأضرحة، وحرمة المنازل والأمكنة المقدسة الإسلامية، ذبحنا أناسا يحملون تصاريح المرور، وقتلنا لمجرد شبهة جماعات سكانية بأسرها، وما لبثت أن اتضحت براءتها، وحكمنا على أناس اشتهروا بالقداسة في البلدان، أناس أجلاء، وذلك لأنهم كانوا يتحلون بقدر من الشجاعة جعلهم عرضة غضبنا حين توسلوا للشفاعة عن مواطنيهم البائسين، وقد وجد أناس استساغوا إدانتهم، وآخرون متمدينون قاموا بإعدامهم " ..

لقد كان يجب على الأمة أن تقتل - بالازدراء والاحتقار - رواد التزوير صبيان زويمر لا أن ترفعهم إلى مصاف كبار الكتاب والمفكرين .
وكان يجب على الأمة أن ترجم ذلك المسئول الذى يسند كتابة التاريخ الذى يدرسه أبناؤنا إلى أمثال هؤلاء - كبار الكتاب والمفكرين -
يواصل رجاء جارودى :

الاستعمار نهب، ولكنه بالدرجة الأولى قتل، ونحن لا نضيف أى تعليق على شهادة هؤلاء الأبطال : "بوجو وكافينال وسان ارنو" وغيرهم من الأقل شهرة فلنقتصر على قراءة رسائل مارشال المستقبل سان ارنو::
"لقد اتسع النهب الذى بدأه الجنود أولا، وامتد بعدئذ إلى الضباط، وعندما أخليت قسطنطينة اتفاق، كما يحدث دوما أن آلت الحصاة الأغنى والأكبر إلى قيادة الجيش.. إنهم يخربون ويحرقون ويهدمون البيوت ويقطعون الأشجار(..) لقد تركت بعد مرورى حريقا هائلا، فقد كانت القرى كلها، وهى قرابة مائتين قد احترقت، ودب الفساد فى بساطينها، وقطعت أشجار زيتونها"

أما الكولونيل فوريه فقد كتب سنة ١٨٤٣ :

"انطلقت سبع كتائب بغية أن تعيث فى الأرض الفساد وتخطف أكثر ما تستطيع من القطعان ولا سيما من النساء والأطفال، فقد كان الحاكم وهو بوجو يريد بث الذعر بين السكان" ..

ويقول الكولونيل مونتياك:

" يعيش لامورسير.. إن هذا الجنرال الشاب الذى لن يقف فى وجهه عائق هو الذى اخترق الموقع فى لحظة من الزمان واقتلع العرب

من مخابئهم فى دائرة من خمسة وعشرين ميلا، وسلبهم جميع ما يملكون، من نساء وأطفال وقطعان وماشية (..) تسألنى عما نفعل بالنساء اللاتى نأخذهن، إننا نحفظ بقسم منهن رهائن، ونبادل قسما لقاء خيول، والباقي يباع بالمزاد بيع حيوانات الذبح " ..

فهل الشرق هو الذى يمتهن النساء بينما يكرمن الغرب يا كلاب جهنم؟! ..

وفى شهادة الكونت "دى هاريسون" فى كتابه صيد البشر يصف عمل إحدى الكتائب التى شارك فيها : " صحيح أننا كنا نعود بملء برميل صغير من الأذان المقطوعة، مثنى مثنى من أجساد الأسرى، أصدقاء كانوا أم أعداء، وكانت هناك ضروب من القسوة لم يسمع بها أحد من قبل، إعدامات أمر بها من أمر ببرودة، ونفذها الجلادون ببرودة بعيارات نارية أو بضربات سيف تنال من أولئك المساكين، الذين كان أعظم ذنب اقترفوه أحيانا أنهم أرشدونا إلى مستودعات فارغة، وقد أحرقنا القرى التى مررنا بها" ..

وفى ١٩ يونيو سنة ١٨٤٥ التجأت قبيلة ولد رياح بعد أن طردتها كتائب بوجو المحرقة من قراها إلى مغارة، فعمد الكولونيل بيليسيه إلى إشعال النار فى فوهة المغارة طوال النهار والليل، وإليك رواية شاهد عيان :

"من ذا الذى يستطيع وصف هذه اللوحة؟؟ أن ترى فى منتصف الليل وفى ضوء القمر كتيبة من الجيوش الفرنسية تضرم نار جهنم كلما خبت، وأن تسمع الأنين الخافت لرجال ونساء وأطفال وحيوانات، وتمزق الصخور المتكلسة التى تتشقق وتنهار، وفى الصباح، عندما عمدوا إلى تنظيف مدخل المغائر كانت ثمة جثث الأبقار والحمير والخراف وبين البهائم كان يتكدس تحتها رجال ونساء وأطفال وقد شاهدت جثة رجل يضع ركبته فى الأرض ويده تمسك متشنجة بقرن بقرة أمامه، كانت امرأة تحتضن طفلها بين ذراعيها، لقد اختنق هذا الرجل عندما كان يحاول حماية أسرته من غضب هذا الحيوان، وقد عدوا ٧٦٠ جثة .

".. أرسل الحاكم العام بوجو إلى الكولونيل بيليسيه الأمر الآتى: إذا انسحب هؤلاء الجراء إلى مغاراتهم فعليك أن تقلد كافينباك دختهم إلى الحد الأقصى مثل الثعالب " ..

وكافينباك هذا هو الذى سيصبح الحاكم العام للجزائر بعد ذلك ..

ويقول بوجو " : ينبغي أن نعطي الجمهور أفكارا أصح عن ضرورة القيام بأعمال قاسية لإتمام خضوع البلد خضوعا حقيقيا، وبدون ذلك لا يمكن أن يوجد استعمار ولا إدارة ولا حضارة، إذ لابد أن يقبل السكان قانوننا من قبل أن ندير ونحضر ونستعمر، وقد برهنت الاف الأمثلة على أنهم لا يرضون بقانوننا إلا بالقوة.." .

هل اختلف نهجهم الآن معنا يا رواد التزوير أم أنه هو هو كما كان وكما هو كائن وكما دائما سيكون..

لكن لعل كلام رجاء جارودي لا يعجب عبدة الشيطان..

فلنتركه إلى ما قاله لينين نعم لينين، إذ يقول في مقال له في البرافدا تحت عنوان "نهاية الحرب بين إيطاليا وتركيا" : كيف كانت هذه الحرب ؟ كانت مجزرة بشرية متمدنة متقنة، كانت تقتيلا للعرب بواسطة أحدث العتاد، لقد قاوم العرب مقاومة المستميت، فحينما أنزل الأميرالات الطليان في بدء الحرب، بدون حذر: ١٢٠٠ بحارا هاجمهم العرب وقتلوا منهم حوالي ٦٠٠ شخص، وعقبا قتلوا من العرب حوالي ٣٠٠٠ ونهبوا وذبحوا عائلات بأكملها وقتلوا النساء والأطفال، الطليان الأمة الدستورية المتمدنة علقوا على المشانق حوالي ١٠٠٠ عربي وقد قتل من العرب حوالي ١٤٨٠٠ وستستمر الحرب في الواقع، بالرغم من الصلح لأن القبائل العربية الموجودة بعيدا عن الساحل في داخل القارة الإفريقية لن ترضخ وسيستمررون زمنا طويلا في تمدينها بالحرايب والرصاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء (البرافدا - العدد ١٢٩، ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢) .

القول قول لينين يا عباد الشيطان يا رواد التنوير..

كانوا يمدنوننا بالحرايب والرصاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء ..

كانوا فهل اختلف الأمر الآن أم أن السهم تحول إلى صاروخ كروزو والحربة إلى توماهوك والسيف إلى الشبح ودخان الحطب على فوهة المغارات إلى قنابل اليورانيوم المشع ..

ماذا يقول صبية المبشرين وفتات عهود العهر الفاتلين بالاستعمار
التركي وظلام الغزو العثماني ١٩..

أنراهم يعرفون كيف ضاعت برقة وطرابلس ٢٠..

لقد ضاعت ليبيا يوم ضعف الوجود العثماني هناك أثناء حكم صبية
اليهود والدونمة والماسون في دار الخلافة الإسلامية..

وقد استدرج الجيش العثماني لمواجهة دول البلقان المسيحية التي
اتحدت كلها لأول مرة في تاريخها ضد تركيا فأعلنت الحرب عليها ولعب
قادة "الاتحاد والترقي" الحاكمون في استنبول دورهم القذر كانوا مثلكم:
دعاة تنوير!!

أهل فلسطين، التي كانت في حماية الدولة القائمة بأمر الإسلام ،
وفي حراسة السلطان العثماني خليفة المسلمين على مدى أربعة قرون
منذ فتح السلطان سليم الأول فلسطين لتصبح جزءا من الدولة الإسلامية
الواحدة في عام ١٥١٦، مثلها مثل أنقرة، أو بورصة، أو سيواس وكان لها
وضع خاص، فكانت كإنسان العين، لكنها ضاعت يوم ضاعت الخلافة
الإسلامية وانهزمت الدولة العثمانية وصفت المسألة الشرقية وحطت كل
قوى عالم العدو حقد القرون الطوال علي بلاد الأسد الجريح، وسلمها
الإنجليز غداة الهزيمة وطنا قوميا لليهود..

كانت فلسطين بيت القصيد وركن الزاوية وحجر الأساس في حركة
الدائرة اليهودية، وفي سبيلها حطمت الدائرة اليهودية - بمساعدة الدائرتين
الصليبية والاستعمارية - آخر دول المسلمين ذلك أن وصول رأس الأفعى
إلى أورشليم كان لا بد أن يمر عبر الأستانة التي كانت عقبة أمام صهيون
على الطريق كنود !! ،

ضاعت فلسطين يوم واجه الأتراك كل قوى عالم العدو بدوائره
الثلاث، وهزموا بعد أن أعياهم الجهاد في سبيل الدفاع عنها ومن خلف
خطوطهم كان الثوار العرب بقيادة لورانس يمثلون دور الطابور الخامس
خسة وغدرا وخيانة والذي مهد الطريق إلى القدس أمام اللبى الذي أعلن
نهاية الحروب الصليبية يوم تسلم فلسطين ١٠..

وبعد ..

يصرخ محمود الشاذلى وأصرخ معه: هل ضيع الأتراك استقلالنا؟
وفتتوا وحدتنا؟ وقضوا على وجودنا .. ١٩ ..

أم أننا أكلنا بوم أكلت دار الخلافة وتوقفت الأستانة عن أداء دورها
في حماية المسلمين ؟.

هذا هو التنوير الذى يدعيه كلاب جهنم تلاميذ دنلوب وصبيان
زويمر..

وسوف أكتفى أيها القارئ بإيراد نموذجين فقط للضوء الباهر الذى
أنتت به حضارة الإسلام لهذا العالم لتقارن..

فى كتاب الإعلان الإسلامى لعلى عزت بيجوفيتش^١ يلاحظ أنه
فى القرن الحادى عشر لم يكن يوجد فى أسبانيا شخص واحد يجهل القراءة
والكتابة بينما لم يوجد، فى القرن العشرين بعد حملات التنوير والتنصير
والتزوير أى بلد إسلامى تقل فيه نسبة الأمية عن ٥٠% .. كان ٧٥% من
الباكستانيين و ٨٠% من الجزائريين و ٩٠% من النيجيريين يعانون الأمية..

فهل كانت تلك هى الحضارة والعلم والتقدم التى جاء الغرب لينشرها
بين ربوعنا ؟..

وهؤلاء الذين يصفون غزو الغرب لنا بأنه كان بدايات عصور
تنويرنا هم بأنفسهم الذين يرفضون على سبيل المثال - الفتح الإسلامى
لمصر ويسمونه بالغزو العربى..

ليسوا رواد تنوير بل رواد تزوير..

ليسوا بشرا بل خنازير..

انظر أيها القارئ إلى ما فعلوه بأى شعب من شعوبنا وليس
ما أورده رجاء جارودى سوى قطرة منه - وقارنها بحكاية فرتونة بنت
عبد الملك :

" أرسلت "فرتونة بنت عبد الملك المسيحية المصرية من إحدى
قرى الجيزة إلى الخليفة "الوليد بن عبد الملك" فى دمشق رسالة تشكو فيها
أن حائط بيتها منخفض وأنها تخاف على دجاجها من اللصوص !.. فما
كان من أمير المؤمنين - المشغول بإدارة دولة من الصين إلى المحيط
الأطلسي، والحرب مع الروم على أشدها - إلا أن يرسل رسالة إلى والي
مصر "عبد الله بن شرحبيل" : من الوليد بن عبد الملك إلى والي مصر
عبد الله بن شرحبيل إذا أتاك كتابي هذا فأقرئ فرتونة بنت عبد الملك

١ - الإعلان الإسلامى. على عزت بيجوفيتش - ترجمة وتقديم الأستاذ محمد يوسف عدس. دار الشروق.

السلام، وابن لها من بيت المال حائطا يطول أعلى دار بجوارها، وأمنها على نفسها ودجاجها والسلام."

هل قرأت أيها القارئ؟!..

هل عرفت؟!..

وهل يعرف ذلك رواد التزوير !!؟

سوف أتلو عليكم أيها القارئ مثلاً يكشف لك كيف يزور عباد الشيطان الحقيقة :

عندما مات محمد الفاتح، وهو واحد من أعظم خلفاء المسلمين عبر التاريخ، والذي بشر به سيد الخلق وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم فى الحديث النبوى الشريف :

" لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش " ..

عندما مات تولى الخلافة بعده ابنه بايزيد الثانى فنازعة الخلافة أخوه جم، وكان من ضمن ما يدعى به أحقيته فى الخلافة أنه ابن السلطنة بينما بايزيد ابن مستولدة صربية، ولم يكتف بالنزاع بل قاد الصراع المسلح واقتطع جزءاً من الخلافة فرض عليه سلطانه، ونشبت الحرب فانتصر بايزيد فهرب جم إلى مصر فى عهد السلطان قايتباى (من المماليك الجراكسة)، وبالرغم من ذلك عرض بايزيد على جم أنه قرر له راتب سنوياً يليق به إذا عاد إلى وطنه قدره مائة ألف أجرة، مع ضمان الاستقرار له والحياة مطمئنة لأسرته لكن جم رفض هذا الاقتراح ثم وجد أن إقامته فى مصر ستحد من تطلعاته، فانطلق إلى الأناضول ثانية وتمكن مع رجاله من حصار أنقرة، لكن السلطان بايزيد هزمه مرة أخرى وعرض عليه أن يعيش فى القدس مقابل راتب سنوى فلم يوافق، ولجأ إلى فرسان القديس يوحنا فى جزيرة رودس وطلب منهم محالفته على قتال أخيه بايزيد، وانتقل جم بعد ذلك إلى فرنسا ليقوم بها سبعة أعوام، ثم انتقل من فرنسا إلى الفاتيكان بصحبة شارل الثامن ملك فرنسا، ثم دس له البابا اسكندر السادس السم نتيجة اتصالات مع أخيه بايزيد الثانى مقابل ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية ..

المؤرخون الخنازير عفوك أيها القارئ فلا بد أن أنفس عن غضبى كى لا أموت كمدا يتجاهلون أن ما فعله جم ينطبق عليه فى أى قانون

من قوانين الأرض لن نذكرهم بقوانين السماء - تهمة الخيانة العظمى، ليس مرة واحدة بل مرات عديدة، نال الصفح عنها المرة تلو المرة رغم خروجه المسلح على الخلافة، ثم أنه بعد ذلك تعاون مع الأعداء زمن الحرب، ثم أنهم غفلوا عن سماحة الإسلام الذى جعل ابن الصربية وليس ابن السلطنة سلطانا ثم أن تهمة دس السم من التهم التى يصعب التيقن منها دون اعتراف كل الأطراف وبرغم ذلك كله يتهمون بايزيد المتوحش بأنه قتل أخاه ثم يتركون الحكاية كلها ويتركون بايزيد نفسه ليطلقوها فرية يصمون بها كل الخلفاء العثمانيين: كانوا يقتلون أبناءهم وإخوتهم، ويسرى حديث الإفك فى صحفنا ومدارسنا وجامعاتنا..

الخنازير اتهموا بايزيد الثانى بالوحشية ولم يتطرق أحد منهم إلى موقف البابا الذى دس السم لحليفه الذى استجار به!!..
أفرايت أيها القارئ كيف يكون التنوير..

حتى مطلع هذا القرن كانت أمتنا تدرك الحقيقة، ولكن داهية دهياء ألمت بنا عندما نشر رواد التنوير الظلام والجهل فى بلادنا..

حتى عام ١٩١٢ كنا نعلم ونتخذ الموقف الصحيح وإن عجزنا..

الآن لا نتخذ موقفا صحيحا ولا نعتقد من إसार العجز..

حتى ١٩١٢ كانت الأمة تبكى الدموع دما على انهيار الدولة العثمانية وكان شوقى يكتب قصيدة الأندلس الجديدة وهى من قصائده الكبرى وتربو أبياتها على مائتى بيت :

هوت الخلافة عنك والإسلام
هذا يسيل وذاك لا يلتام
يسعى ولا الجمع الحسان تقام
تمشى إليه الأسد والأرام
أمم تضاع حقوقها وتضام
لا الكتب تدفعه ولا الأقلام
الياس خلف، والرجاء أمام
قتلا فاقتل منهما الإحجام

يا أخت أندلس عليك سلام
جرحان تمضى الأمتان عليهما
خفت الأذان فما عليك موحد
وخبث مساجد كن نورا جامعا
فيم التخاذل بينكم ووراءكم
ما ليس يدفعه المهند مصلتا
وقف الزمان بكم كموقف طارق
الصبر والإقدام فيه إذا هما

لا أقولها لك أيها القارئ من بنات أفكارى بل أنقلها لك من كتب بعض المؤرخين أن دافع الدولة العثمانية عندما فتحت العالم العربى إنما كان بعد أن انطلق الشيطان الصليبي الجامح من الأندلس بعد كارتتها فاحتل المغرب العربى والخليج والمحيط الهندى وبدأ يقطع أطراف دولة الإسلام ثم تسلل أسطوله إلى البحر الأحمر يهدد مكة والمدينة وعجز الجراكسة تحت قيادة السلطان قونصوه الغورى - لم يكن مصرى ولا عربيا يا دعاة القومية - عن مواجهته فتقدم العثمانيون لحماية العرب والمسلمين ومكة والمدينة والقاهرة وصنعاء وطرابلس ومنذ تقدمهم أصبح البحر الأحمر بحرا إسلاميا لا يجرؤ أسطول صليبي على دخوله..

هكذا يقول التاريخ الصحيح..

لكن لدينا مؤرخون كالخنازير يجوبون فى بطن التاريخ ليستخرجوا قمامته وقاذوراته ثم ينصبونها أمامنا كتاريخ وحيد..

خسئوا..

فى ظل الدولة الإسلامية الواحدة كان البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة بل وظل البحر الأبيض أيضا لفترة طويلة كذلك..

فى ظل أفكاركم ومؤرخيكم ومفكريكم هاهو ذا البحر الأحمر - والأبيض أيضا - بحيرة مسيحية يهودية - مغلقة يا رواد التنوير بل التنوير يا خنازير!!..

أضعنا كنزاً .. وأخذنا وباءً^١.. (١)

إن يمسسنا قرح فقد مس دعة التزوير قرح مثله..
إنهم لا يكفون عن تزوير التاريخ وتشويهه لكننا لا نكف عن تصحيحه
ثم أن الله مولانا ولا مولى لهم..
إن من يقرأ التاريخ الحقيقي يدرك كم كانت حضارتنا الإسلامية كنزا
أنصع الكنوز وأروع الكنوز وأسمى الكنوز لكننا أضعناه..
أضعناه لا لناخذ كنزا آخر حتى ولو كان أقل ..
لا..

لم نأخذ في المقابل كنزا بل وباء..
وباء وكارثة وخرابا يبابا..
لن نوغل في التاريخ كثيرا لنثبت ذلك..
لن نعود إلى الحضارة الإغريقية الوثنية وموقفها من الإنسان حين كان
الإغريق فقط هم البشر وسواهم برابرة وحين كان العبد حيوانا وليس
إنسانا..
لن نعود إلى نشأة روما في القرن السابع قبل الميلاد..

لن نعود إلى حضارة ليبيا وقرطاجة التي فرضت وجودها على شبه
جزيرة أيبيريا قبل الميلاد حين قاد هانيبال جيشا من الأسبان لمهاجمة روما
(لكنني فقط أنبه القارئ إلى الوجود العربي في أسبانيا قبل الميلاد مناشدا
أحد المؤرخين المختصين لتأصيل ذلك) وهُزم هانيبال فغزا الرومان شبه
الجزيرة تماما كما غزوا الشام ومصر..
لن نعود إلى انقسام الدولة الرومانية إلى غربية عاصمتها روما
وشرقية عاصمتها القسطنطينية التي بنيت مكان بيزنطة القديمة ، كما
لن نعود إلا بمقدار إلى خراب روما سنة ٤١٠ ميلادية ثم انهيار
الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ ميلادية وبقاء الإمبراطورية
الرومانية الشرقية بعاصمتها القسطنطينية تحمل تاريخ حضارة وتعصب

١ - نشر ملخصها في صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٥/٢٨ .

جنس وجبروت بشر وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، لقد أعادت الدولة الرومانية الشرقية فجور وجبروت الحضارة الإغريقية، وتكتبت لما قامت عليه روما في البداية من مبادئ كانت بمقاييس ذلك الزمن - أكثر إنسانية أو على الأحرى أقل وحشية، والإنسانية أو الوحشية هنا لا ترتبط بأي قيم مجردة، لكنها ببساطة تعني هل ستيبّد الشعوب التي تحتلها عن بكره أبيها أم تكتفى باستعباد أهلها واستنزاف ثرواتهم..

فى هذا الوقت انفردت الإمبراطورية الرومانية الشرقية بقيادة العالم فى نظام عالمى جديد أحادى القطب..

سنة ٤٧٦ ميلادية..

تذكروا يا قراء هذا التاريخ..

تذكروه، فهو بداية ما يطلقون عليه فى الغرب: القرون الوسطى والتي تمتد من هذا التاريخ حتى تنتهى بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ م.

كانت هذه القرون فى أوروبا عصور الجهل والظلام الخرافة، لكننا لم نتساءل: هل كانت كذلك مقارنة بما قبلها؟ بالدولة الرومانية الغربية أو باليونان مثلاً؟ لا، بل إنهم يتباهون بحضارتهم قبل ذلك سواء تقدم روما المادى والعسكرى أو تقدم أثينا فى الفلسفة والرياضيات ظلام العصور الوسطى، إذن كان كذلك لأن هذه الفترة (١٤٧٦-١٤٥٣م) قورنت ببزوغ الحضارة الإسلامية والتي شكلت تقدماً روحياً باهراً وتقدماً مادياً لا يبارى، نعم، كانت عصور ظلام للغرب عندما نقارن علماءهم بعلماء الدولة الإسلامية، وعندما نقارن مدناً بمدن، ففي هذه الفترة شيد المسلمون مدناً يقارب سكانها المليون بينما كانت كبرى عواصم الغرب فى ذلك الوقت مجرد أكواخ تشكل قرى صغيرة لا يزيد تعدادها عن بضع مئات، هي عصورهم المظلمة إذن، أما بالنسبة لنا نحن فقد كانت عصورنا المضيفة المبهرة، فيها بدأت الرسالة المحمدية، فيها أنزل القرآن، فيها كان للسحاب أن يمطر حيثما تسوقه الرياح ففي بلاد المسلمين سيمطر، فيها كان أكثر من نصف المعمورة مسلماً، حريراً إذن بها أن تكون عصور فخارنا.. دعاة التنوير فى بلادنا ينظرون إلى الأمور بعيون أعدائنا!! ويحذروننا كل أن وآخر من العودة إلى ظلام القرون الوسطى!!..

تنبهوا يا قراء إلى نمط آخر من التزوير يمارسه رواد التنوير.. إنهم دائماً يحذرون من أن يعود بهم الظلاميون أمثالنا إلى جهالات القرون الوسطى لكنهم يتجنبون تماماً أن يقولوا للناس ما هي الفترة التي تشملها

هذه القرون، لأن رجل الشارع العادى لو اكتشف أن هذه الفترة تشتمل على فترة الرسالة لكشف دورهم وأدرك خيانتهم وللفظهم على الفور، يدركون ذلك، لذلك يطلقون التعبير غامضا ليسرى فى هدوء ودون مقاومة بين الناس سريان سم حية رقطاء، وبعد أن يكمل السم مفعوله بعد أن يلوثوا وجدان الأمة وبعد أن يزيفوا وعيها، وعندها تكون الأمة قد وصلت إلى درجة من البوار لا يفيد فيها أن تعرف وأن تكتشف..

نعود إلى بداية القرون الوسطى..

كان ماثلا أمام الإمبراطورية الرومانية الشرقية انقسام الإمبراطورية كلها إلى شرقية وغربية ثم سقوط الأخيرة نهائيا على أيدي الرعاة والهمج ، كانوا يرتعدون من الخوف إزاء تهديد يأتيهم من الشمال والغرب ، وفجأة ومن حيث لا يحتسبون انفجر الخطر..

من الجنوب ..

من مؤتة ..

نشبت معركة مؤتة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى سنة ٨ هجرية (سبتمبر / أغسطس ٦٢٩ م) ..

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي يحمل كتابا إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، فقتل أحد عمال قيصر فى الشام الحارث وكان قتل السفراء يساوى - مقارنة بعصرنا الحالى - بل يزيد على إعلان الحرب، واهتزت أرجاء الجزيرة العربية بما حدث، فهاهو محمد صلى الله عليه وسلم - يواجه ما لا قبل له به، وفكر المشركون من القبائل - قتلوا حين فكروا- أن المسلمين بين شقى الرحى فأما أن يبتلعوا الإهانة فتسقط هيبتهم بين القبائل وإما أن يواجهوا فيبيدوا، وكان المشركون فى مكة يتربصون ويأملون، كيف فكرت يا حبيبي ويا مولاى ويا نبىي ويا رسولى ويا شفيعى صلى الله عليك وسلم.. كيف فكرت فى هذا الموقف العصيب.. كيف فكرت وكيف قدرت وجيشك قليل وسلاحك بسيط وأرضك محدودة وحسابات الدنيا تقول أنها محكوم عليها بالتلاشى إما بالتفتت لانصراف القبائل والتحالف مع قريش أو بالانسحاق بمواجهة روما..

انظروا يا قراء..

انظروا يا ناس كيف يفعل الإسلام بأهله حين تتصل حسابات الدنيا بحسابات الآخرة..

انظروا وقارنوا اليوم ماذا يفعل مليار وربع المليار لا يقتل سفراؤهم بل شعوبهم وأوطانهم وتضيع أرضهم وتحاصر دولهم وهم غطاء كغناء السيل..

انظروا..

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي لم يتجمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب، وتحرك الجيش الإسلامي حتى وصل إلى الشام ليفاجأ بأنه يواجه جيشاً قوامه مائتا ألف مقاتل تحت قيادة هرقل وحرار المسلمون كيف يتصرفون إزاء واقع لم يحسبوا له حساباً وقرر بعضهم أن ينتظر حتى يكتبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأما أن يمدّهم بالرجال أو يأمرهم بأمره لكن عبد الله بن ربيعة عارض هذا الرأي هاتفاً بالناس: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا، وفي مؤتة التقى الجمعان، وبدأ القتال المير ثلاثاً آلاف رجل بالأسلحة الخفيفة يواجهون مائتي ألف مقاتل هم بعض جيش القوة العظمى الأولى في العالم. بأسلحتهم الجبارة والهائلة، كانت دولة المسلمين التي تمثلها المدينة المنورة تواجه دولة الرومان التي تمثل معظم العالم المعمور، أخذ الراية زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فقطعت شماله فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى استشهد وكان أخو عبد الله بن ربيعة يحاول إطعامه كي يتقوى على مواصلة القتال لكنه سمع صليل السيوف فلفظ ما في فمه وهو يصرخ بنفسه لاأثماً ومقرعاً:

- "وأنت بعد في الدنيا" ..

وأنت بعد في الدنيا

و أنت بعد في الدنيا أيها القارئ

وأنت بعد في الدنيا يا أمة..

اغتصبت أرضك وانتهكت نساؤك وأذل الجبن أعناق رجالك ثم بعد ذلك كله أنت بعد في الدنيا..

قالها عبد الله ابن رواحة ثم اندفع يقاثل حتى استشهد ، فتقدم خالد بن الوليد لينجح فى الصمود بقية النهار، وكان يشعر بالحاجة إلى مكيدة حربية تلقى الرعب فى قلوب الرومان حتى ينسحب سالما بالجيش ، كان يشعر بالكارثة لو انهزم المسلمون وطاردهم الرومان ، لم يكن سيبقى منهم أحد فلما أصبح اليوم التالى غير أوضاع الجيش وعباه من جديد فغير مكان الفرق فلما رآهم الرومان ظنوا أن مددا جاءهم فأصابهم الرعب وناوشهم المسلمون مع انسحاب منظم وخشى الرومان من أن يكون الأمر مكيدة لاستدراجهم إلى الصحراء فانسحبوا هم الآخريين من ميدان المعركة.. وانسحب جيش المسلمين فى أنجح وأعظم انسحاب فى التاريخ ..

كانت حربا عالمية بين حضارتين..

لم نتقل لنا المراجع عدد قتلى الرومان لكنها تجمع على كثرتهم..

فهل تعلمون كم استشهد من المسلمين ؟..

كم استشهد فى حرب رغم تفاوت القوى فيها- تعد حربا عالمية؟..

استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا!!!..

وكانت المعركة ذات أثر هائل على العالم، لقد ألقت العرب جميعا فى الدهشة والحيرة، كان الرومان أعظم وأكبر قوة فى العالم وكان موقف الجيش الإسلامى مع خسائره الضئيلة فى المعركة الهائلة مذهلا واقتنع العرب أن المسلمين طراز آخر غير ما عرفوه وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله وأسلمت بعد هذه المعركة قبائل كثيرة^١ ..

يتناول الأستاذ محمود الشاذلى الأمر بالتحليل مدركا أن الأمر قبل مؤتة غيره بعدها.

منذ مؤتة وجذور المسألة الشرقية تنغرس فى الضمير الأوروبى وتلقى اهتماما بالغافى دولة الروم الشرقية :الدولة البيزنطية وكان عند بيزنطة عقدة تاريخية تبرر ذلك الاهتمام. فلقد شطرت قبائل القوط الغربيين والوندال والجرمان الإمبراطورية الرومانية الكبيرة إلى قسمين: غربى ومقره روما، وشرقى وعاصمته القسطنطينية ثم قضى الهون نهائيا على الدولة الرومانية الغربية، وأعلن "أودواكر الوندالى - كبير الجند البرابرة - نهايتها فى عام ٤٧٦م وأبلغ بلاط بيزنطة، أنه لم يعد هناك إمبراطور فى الغرب .

١ - المسألة الشرقية- الكامل فى التاريخ- البداية والنهاية : مراجع سابقة .

وكانت القسطنطينية قد بنيت على أنقاض مدينة بيزنطة الإغريقية، لتكون مدينة مسيحية الصيغة، ودشنها قسطنطين الأول في ١١ مايو ٣٣٠ م وسميت باسمه لتكون عاصمة الدولة الرومانية الكبرى.

ولئن كانت روما القديمة قد تميزت بكنائسها الضخمة فإن كنيسة القديسة صوفيا في روما الجديدة، قد فاقت الكل أبهة وفنا ومعمارا ، حتى قيل : أن الله والإنسان قد اشتركا في البناء..

فلما سقطت روما في أيدي القوط، وانتهى معها القسم الغربي من الإمبراطورية، غدت روما الثانية أو القسطنطينية رمز الاتحاد بين التقاليد الرومانية والديانة المسيحية فأصبحت المعتقدات الكنسية والجنسية الرومانية شيئين مترادفين .

كانت الإمبراطورية الشرقية المدافعة عن عالم الغرب الإغريقي ثم الروماني ثم المسيحي كما كانت هي تعبيره السياسي وحاملة موارثه الثقافية، ولها مستعمراتها في مصر والشام وإفريقيا والأناضول .

لم يكن ينافسها في الدنيا منافس بعد أن هزموا الفرس تلك الهزيمة التي تنبأ بها القرآن الكريم.

ظنوا أنهم ملكوا أقطار الدنيا فلا منافس لهم.

لكن مؤتة قلبت حساباتهم..

صحيح أن المسلمين قد انسحبوا وكان ذلك أبرع انسحاب تكتيكي في التاريخ. لكن الساسة في عاصمة الروم رأوا المسألة بوضوح تام. فلأول مرة يواجه الرومان جيشا عقائديا على حدودهم لا يعترف بما اصطاح عليه الناس من نصر أو هزيمة، وإنما يسمى الأشياء والمعاني تسمية جديدة. فنتائج أي معركة عند هذا الجيش الجديد تسمى إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، ولم يعد لمعنى الهزيمة العسكرية -لو وقعت - أي أثر في عقيدة المقاتلين الجدد، ولا في ضميرهم وهو على البشرية أيضا جديد .

وصدق ابن إسحاق الذي اعتبر ذلك نصرا وفتحاً، وكان حجة أن ثلاثة آلاف قد صمدوا لمائتي ألف يتفوقون عليهم تفوقا ساحقا في العدة والعتاد، ثم خلاصهم من إحاطة العدو وتراكمه وتكاثره وتكاثفه عليهم، وأيده ابن كثير، وعنده : أن من عادة الجيش أن يفر إذا قتل قائده فكيف وقد استشهد قادة ثلاثة تولوا القيادة على التوالي ، وصمد من بعدهم كل المقاتلين.

ويستمع هرقل لأول مرة أن النفس إن لم تقتل تموت نقلت إليه عن المسلمين المقاتلين في مؤتة، وقد صاغوها في طمانينة الواثق بوعد الله، المتحقق من صدقه، في يقين يعيشه المؤمنون بإحساس أقوى من الرؤية وأشد من اللمس. ويطور المسلمون غريزة البقاء الفاني إلى طلب الخلود في دار المقامة حيث الرجعى والمآب .

كان هذا هو الكنز الذى ملكوه فأورثونا إياه فأضعناه..

وبه كان يصبح للموت بالقتل طعم آخر ويغبط الشهيد.

وتأكد هرقل - أيضا - أن كل شهيد من جيش العقيدة في جسده بضع وتسعون ضربة ورمية من رمح أو سهم أو سيف فتساعل مذهولا : أي بشر هؤلاء ؟ وأجيب بأنهم المسلمون..

ويشهد أومان على المفهوم الجديد، فإنه في الأعمال الحربية الأولى بين الرومانيين الشرقيين والمسلمين لم يكن تفوق النظام وجودة الأسلحة عند الأولين عاملا كافيا يمكن أن يصمد أمام التهور الجنوني عند الآخرين - يقصد حماس المجاهدين - فإن المسلم كان يريد أن يموت حتى يستطيع أن يجني ثمار الشهادة في العالم الآخر، ولم يكن يعنيه كيف مات إذا كان قد قتل عدوا لله قبل موته وكان الروماني يحارب حربا لا بأس بها ، لكنه لم يكن مثل عدوه يتوق إلى الشهادة .

أومان يسميه التهور والجنون ونحن نسميه الجهاد فى سبيل الله..

أومان يسميه كذلك لأنه هو الذى هدد إمبراطورية الشر حتى قضى عليها..

أما نخبتنا فعلى دين أومان..

هل لاحظت أيها القارئ أن الإسلام محاصر فى جميع بلاد العالم الإسلامى مضطهد رجاله محاكم أبطاله مسجون فرسانه..

أمحض صدفه أم ولادة قيصر؟!..

هل عرفت الآن أيها القارئ لماذا توالى علينا الهزائم والنكبات والخيبات..؟!..

وهل أدركت أى كنز أضعنا؟!..

كان جيش المدينة بقيادة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة يملك هذا الكنز، وقد تنبه المسؤولون في بيزنطة أيضا إلى هذا الكنز وإن لم يفهموه.

اقتحام جديد ، له رسالة جديدة، ومفاهيم جديدة . ودرست المسألة في أروقة الحكم في القسطنطينية. وتساعل هرقل : إذا كان غزو قبائل الهون قد قضى على الدولة الرومانية الغربية في مدى أربعين عاما - وكانت دولة الرومان الكبيرة قد استغرق تكوينها ألفي عام - أفتسقط دولتهم الشرقية - كذلك - بدفع الدولة المسلمة الوليدة التي تتكون من مدينة واحدة وبضع كيلو مترات حولها ؟ وقبائل الهون كانت بربرية، ولا تملك هدفا إلا السلب ، والنهب ، والاستيطان أما الجدد فإن لهم رسالة منبثقة عن عقيدة وهدفهم تحرير الناس جميعا.

إذن هو الخطر ودقت الأجراس في كنيسة القديسة صوفيا، تستصرخ الناس أن يحاربوا المسلمين، لأن المسلمين قادمون..

كانت غزوة مؤتة قبل فتح مكة بحوالي أربعة شهور - ولا زالت الجزيرة العربية - عدا الجماعة المسلمة في المدينة المنورة - في جاهليتها.

كانت مؤتة معزولة بالكامل عما سبقها من سياق التاريخ بقدر ما كانت وثيقة الصلة بما بعدها، ففي سنة ٩ هجرية وبعد عام وشهرين من غزوة مؤتة كانت غزوة تبوك ردا على تجهيزات قيصر لغزو المدينة وكان جيش المسلمين هذه المرة ثلاثين ألف مقاتل فما أن علم الرومان به حتى أخذهم الرعب فتفرقوا في البلاد وخرت البلاد العربية التي تحتلهم بهم صاغرة ودفعت الجزية..

أكاد أرى أحد رواد التزوير يبتسم ساخرا في محاولة لإيهام من حوله أننا فقط نبالغ عندما نروى التاريخ من وجهة نظرنا يبتسم ساخرا فكيف يمكن لثلاثة آلاف أو ثلاثين ألفا أو حتى ثلاثمائة ألف أن يهددوا الإمبراطورية الرومانية بقضها وقضيضها..

وعلى هذا السفيه يرد التاريخ نفسه..

فلم يكد يمر عامان ورغم لحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى كان أبو بكر يرسل جيشا آخر بقيادة أسامة بن زيد الذي استشهد أبوه في غزوة مؤتة..

لم تكن مجرد غارات أعراب يا رواد التزوير يا خنازير ففي العام التالي مباشرة كان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد يلحقون بالفرس : القوة

العظمى الثانية فى العالم هزيمة ساحقة فى معركة ذات السلاسل حين ربط
فرسان الفرس أنفسهم بالسلاسل كى لا يفروا..

انظروا إلى الكنز الذى أضعناه..

دولة وليدة تواجه أكبر قوتين فى العالم معا وهى وثقة من النصر..

فى سنة ١٢ هجرية وقعت معركة المذار وأليس وفتح المسلمون
الحيرة وهى من أهم مدن الفرس..

فى عام ١٣ هجرية تجمع الفرس والرومان لمواجهة المسلمين
فواجههم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ليحققوا عليهم نصرا ساحقا قتل فيه
من جيوش بيزنطة وفارس مائة ألف فى معركة الفراض..

وفى نفس العام: ١٣ هجرية نشبت معركة اليرموك الحاسمة بين
المسلمين والرومان كان الجيش الرومانى يتألف من ٢٤٠ ألفا وكان
المسلمون خمسة وأربعين ألفا ومنى الرومان بهزيمة فادحة خسروا فيها
نصف جيشهم لينسحب هرقل كاسف البال حسير النفس مطلقا زفرة مازال
التاريخ يحمل حرارتها حين قال:

عليك يا سوريا السلام، سلاما لا لقاء بعده..

فى العام التالى مباشرة (١٤ هـ) حقق المسلمون انتصارهم الساحق
فى القادسية..

وفى ١٥ هـ — نشبت معركة أجنادين مع الروم وهى المعركة التى
فتحت الطريق إلى القدس ليدخلها المسلمون عام ١٦ هجرية..

لم يكن السلاح ولم تكن العدة والعتاد بل كان الكنز الذى أضعناه..

كان الإسلام..

كان الجهاد فى سبيل الله..

كانت الحمية الدينية لقوم بايعوا الله واشتروا الآخرة بالدنيا..

كانوا بالنسبة لأعداء الله إرهابيين!!..

وكانوا بالنسبة للشيطان إرهابيين ..

لكنهم كانوا أمام أمتهم وأمام الله هم المؤمنون..

وكانوا يملكون الكنز^١ ..

١ - من يعز عليه التصور فلينظر إلى الشيشان..

فى عام ١٩ هجرية بدأ الجيش الإسلامى فتح مصر وطلب المقوقس وفدا كى يفاوضه فأرسل إليه عمرو بن العاص عشرة على رأسهم عبادة بن الصامت وهو أسود البشرة فلما بدأ الكلام نجاه المقوقس قائلا : نحا عنى هذا العبد وقدموا غيره يكلمنى فرد عليه الباكون قائلين : هذا الأسود سيدنا وخيرنا والمقدم علينا..^١
كان ذلك منذ ١٤ قرنا..

إن جيلنا ما يزال يذكر الجامعات الأمريكية التى كانت ترفض قبول الطلاب السود والمطاعم والنوادر ووسائل النقل لكن الخنازير يعيروننا بتخلفنا وتقدمهم..

يلاحظ محمود الشاذلى ونلاحظ معه أنها ثمانية عشر عاما، فحسب، كانت المسافة من مؤتة، إلى ميراث الأرض في دولة مترامية الأطراف..

اليس عجيبا أن الفتى الذى كان بالغاً منذ دخل النبي إلى المدينة مهاجراً، قد تنقل من القيروان إلى نهاوند، ومن أرمينيا إلى السودان، ومشى في أراض صارت مسلمة، وكانت تديرها من قبل أكبر إمبراطوريتين في التاريخ !! تديرها بالقيصر والشاهنشاه، بالقلاع والثغور، بالحاميات، والعسكر والولاء. عاش وتنقل على امتداد أكبر قارتين ولا زال عمره أقل من الأربعين، إمبراطوريتان ضخمتان، وبمقاييس الأرض متحضرتان غالبتان وتسيطران على أمم وشعوب وقوميات مغلوبة، ولهما من قوة الجيوش وفنون الإدارة والنظم والقوانين والآداب، والطرق والجسور والقصور، وصناعة العصر وتجارته وزراعته - وفوق ذلك الحس الوطنى الملهب، كل ذلك - وتسقطان في مثل عدد تلك السنين !! ماذا ؟ ..

ولم يغفر الرومان (اقرأها : الأمريكان) أبدا ما حدث..

لم يغفروا لنا أبدا أننا حررنا بلادنا واخوتنا من بطشهم وجبروتهم..

ولم يكفوا أبدا عن المحاولة طيلة حكم الدولة الأموية والعباسية..

١ - الرحيق المختوم، صفى الدين المباركفورى. دار الحديث- وثائق الحروب الصليبية، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة.- معارك فاصلة في التاريخ الإسلامى. الدكتور عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف. الدار المصرية اللبنانية- معارك العرب الحاسمة. صبحى عبد الحميد. الدار العربية للموسوعات- البداية والنهاية- الكامل في التاريخ: مراجع سابقة- موسوعة تاريخ مصر. أحمد حسين. مطبوعات الشعب.

يقول على عزت بيجوفيتش فى كتابه : الإعلان الإسلامى^١ ترجمة الأستاذ محمد يوسف عدس :لقد توفى محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦٣٢ ميلادية، وفى أقل من مائة عام على وفاته انتشرت القوة الروحية والسياسية لرسالته إلى بقعة هائلة من الكرة الأرضية ممتدة من المحيط الأطلسى إلى الصين ومن بحيرة آرال إلى منابع النيل فتحت سوريا سنة ٦٣٤م وسقطت دمشق أمام الجيش الإسلامى سنة ٦٣٥م، ووصل الإسلام إلى الهند سنة ٦٤١ م، وإلى قرطاج سنة ٦٤٧م، وإلى سمرقند سنة ٦٤٧م، وكان المسلمون على أبواب القسطنطينية سنة ٧١٧م، وفى سنة ٧٢٠م كانوا فى جنوب فرنسا، وكان هناك مساجد فى شانتونج سنة ٧٠٠م، وحوالى سنة ٧٣٠ وصل الإسلام إلى جزيرة جاوه..

هذا التوسع الفريد الذى لا يقارن بأى توسع آخر قبله أو بعده قد وفر مساحة لتطويع الحضارة الإسلامية فى ثلاثة عوالم :فى أسبانيا والشرق الأوسط والهند، وذلك عبر حقبة من الزمن تبلغ حوالى ألف عام..

ويواصل على عزت بيجوفيتش : ما الذى يمثله المسلمون اليوم فى العالم المعاصر؟ هذا السؤال يمكن وضعه بطريقة أخرى : إلى أى مدى نحن مسلمون؟! إن الإجابة عن هذين السؤالين واحدة:

نحن مستعدون..

فى نقطة معينة من التاريخ الحديث هى سنة ١٩١٩م، لم تكن توجد دولة مسلمة واحدة مستقلة، ولم تتغير الأوضاع بعد هذه النقطة تغييرا جوهريا..

بين ١٤٥٣ - نهاية العصور الوسطى - و١٩١٩ كان الكنز يتسرب من أيدينا..

لم يغفر الرومان لنا قط أننا حررنا بلادنا من استعمارهم..

لم يغفروا ولم ينسوا..

نحن أيضا لم ننس بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لنا بفتح القسطنطينية..

كان المسلمون قد عجزوا مرات عديدة عن فتحها..

واستهلكت الحملات الصليبية ثم حملات المغول طاقة العرب وجهدهم وقدرتهم على مواصلة التقدم..

١ - مرجع سابق .

واحتلت القدس فأضعنا الأمانة التي استودعناها عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

فى الحملة الصليبية الرابعة ارتكب الصليبيون جريمة لا تختلف عن جرائمهم السابقة واللاحقة إلا فى شخوص من ارتكبت معهم..

كان شيئاً أشبه بزنّا المحارم..

كان شيئاً أشبه بالوباء وقد أورثوه لنا بعد أن أضعنا كنزنا فارتكبنا ذات الجرم مع اخوتنا ومع أنفسنا..

فى الحملة الصليبية الرابعة وفى طريقهم إلى القدس اغتصب نصارى الغرب نصارى الشرق وسبوا مدينة "أم الرب" وهتكوا عرض "ملكة المدن المسيحية" واستباحوا "القسطنطينية" المدينة التي يحرسها الله ، وقتل الصليبيون إخوانهم الصليبيين من غير إعلان حرب وهتكوا أعراض نسائهم وسرقوا كنائس "فخر اليونان"، وخطفوا عظام القديسين ونبشوا قبور أبطال المسيحية وعربدوا فوق مذبح الرب السامى، حدث كل ذلك والصليبيون فى طريقهم - فى الحملة الصليبية الرابعة - إلى حرب مقدسة- ليخلصوا بيت المقدس والقبر المقدس من المسلمين المتوحشين!!..

وما حدث بعد ذلك يرويه "أومان :

فقأوا عيني البطريرك خليفة المسيح وحامل تاجه وعصاه ولفوا به القسطنطينية (سبع لفات) وفي النهاية قطعوا رأسه والقوه فى البسفور!!.. قتلوا ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من أهالى المدينة المجريدين من السلاح وأظهر الجيش انقيادا للشهوة والشراسة. ولا يقل جميع الكتاب الغربيين تحمسا عن الكتاب الإغريق فى إظهار فظائع كرنفال الخطف والنهب الذي قام فى هذا الوقت - إذ كان كل فارس أو جندي يستولي على المنزل الذي يريده ويتصرف فى سكانه كما يشاء، ولم يكن مصير الكنائس والأديرة أحسن من مصير المساكن الخاصة، وقد وضع الجنود السكارى إحدى العاهرات فى الكرسي البطريركي فى كنيسة سانت صوفيا وأمرها أن تتلو أغاني بذيئة وترقص رقصات خليعة أمام المذبح السامى، وكان يوجد كثيرون من رجال الدين مع الجيش الصليبي ولكنهم بدلا من أن يحاولوا وضع حد لهذه الأعمال التي صدرت من مواطنيهم، وكانت تقوم على انتهاك الحرمات، كرسوا أنفسهم لنهب خزائن الكنائس من جميع العظام المقدسة التي كانت مخزونة فيها"..

كانوا يحملون الوباء الذى أعطوه لنا وكان "محمد الفاتح" يحمل الكنز الذى أضعناه..

دخل "القسطنطينية" فاتحاً فكان وهو يحارب دولة الروم التي ظلت أحد عشر قرناً من الزمان عدو المسلمين الرئيسي والتقليدي كان يحارب "حرب الإسلام" التي لا تهنك فيها حرمة، ولا يقتل فيها صبي ولا شيخ ولا امرأة، ولا يحرق فيها زرع، ولا يتلف فيها ضرع، ولا يمثل فيها بإنسان، ولا تصيب إلا المقاتلين الذين يحملون السلاح في وجه المسلمين".

ففي مارس ١٤٥٣ م أقام السلطان الفاتح حصناً على بعد سبعة كيلومترات من القسطنطينية سماه "روملي حصار".. وفي التاسع من إبريل قاد من خلفه سبعين ألفاً من الجنود وحاصر المدينة من جانب البر، بينما حاصر البسفور أسطول يتكون من بضع مئات من السفن الحربية.

وكان - رحمه الله - في الرابعة والعشرين من عمره يوم قاد جيش الفتح العظيم.. كان في مقدمة جيشه يقرأ مع جنوده ذوي الروح الإسلامية العالية سورة الفتح، ويدعو مستبشراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

وفي ٢٩ من مايو ١٤٥٣ م فتح السلطان عدة ثغرات في السور ووجه الضغط الأساسي إلى الثغرة الكبرى بجانب بوابة سانت رومانوس.

ومع المدفعية العثمانية الثقيلة، والمنافسة من الجنود على الفوز بإحدى الحسنيين، يصعد مدوياً الهتاف باسم الله أكبر، والتنادي أن لبيك أبا أيوب، وتسقط الحصون المنيعة لعاصمة الدولة البيزنطية، وتخر أسوار فخر اليونان - المدينة التي يحرسها الله - هاوية أمام الفاتحين غداة يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضان عام ٨٥٧ للهجرة الموافق ٢٩ من مايو عام ١٤٥٣ للميلاد، واخترقت فرقة من الإنكشارية الثغرة الرئيسية يقودها حسن الألوبادى، أحد أبطال الترك المجاهدين، واندفع الجيش المنتصر فى شوارع المدينة التي استعصت من قبل على كسرى ومسلمة بن عبد الملك وغيرهما

من القادة الكبار. ودخل السلطان الفاتح مدينة "أم الرب - روما الثانية - قبل ظهر يوم الجمعة، بعد ثلاثة أيام من الفتح، أمن المغلوبين وأعلن حرية الفكر والاعتقاد. وتكسر تمثال "رلفي" المثلث الرأس بثعابينه الثلاثة والذي كان واقفا حيث وضعه قسطنطين الأكبر، منذ أحد عشر قرنا مضت عند سانت صوفيا رمزا لانتصار الرومان على الشرق القديم، وتذكارا لصد الفرس في موقعة بلاتابا" .. وأقيمت الصلاة الجامعة ليوم الجمعة المعظم في السابع عشر من رمضان حيث دوى الأذان من أعلى تحفة "جستتيان" .. وكبر المسلمون في القبة التي أحيا فيها ثلاثون جيلا من البطارقة العشاء الرباني المقدس.

وأزال الفاتح العظيم - من الوجود - إمبراطورية الروم الشرقية التي دامت أحد عشر قرنا من الزمان .

وصارت العاصمة المقدسة للدولة الرومانية والحضارة الهيلينية والأرثوذكسية العالمية، حاضرة للدولة العثمانية، ومنازة لإشعاع الإسلام. وعوضا عن القيصر الكاهن الإمبراطور حل السلطان المسلم أمير المؤمنين، أصبحت الأستانة بمآذنها السامقة مؤنلا للثقافة الإسلامية، ودارا لطباعة المصحف العثماني الشريف، ومقرا لشيوخ الإسلام .

وعلى مسجد السلطان الفاتح تقرأ حديث رسول الله الذي يبشر بالفتح، ويبارك قائد النصر، ويثني على الفاتحين: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"

هذا هو التاريخ الذين يحاولون تشويهه..

وهذا هو ملمح من تاريخ الدولة العثمانية الذي شو هو ف أصبح مجرد الشك في وصمها بالسواد المطلق وصمة عار ووثيقة اتهام وإدانة..

فليحاول الآن كاتب لا أن يدافع عن دولتنا الإسلامية في فترة العثمانيين فليحاول ليرى كيف سيتعامل معه دعاة التنوير وكيف ستعوى الكلاب والخنازير..

ثم يخلط الخنازير متعمدين ما بين الفتح الإسلامى والاستعمار الغربى متجاهلين لا جاهلين- أن الاستعمار كان يخرّب ويستنزف ويسرق ويستعبد بينما كان الفتح الإسلامى يحرر الشعوب من المستعمرين والجبابة والطغاة ويخلى ما بين الناس وما بين الله .

لقد لاحظ رجاء جارودى ذلك لكن مستثيرينا لم يلاحظوه ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط.

لقد أدان الخنازير فتوحات الإسلام واعتبروها احتلالا بينما أشادوا باحتلال الصليبيين واعتبروه تنويرا.

بل لقد بلغ بهم الأمر - قتلهم الله - أن راحوا يحتفلون بذكرى الغزوات الصليبية لشعوبنا.

فهل يوجد من القراء من يعتب علىّ حين أصفهم بأنهم خنازير؟!

لقد كانت أيام فتح القسطنطينية أواخر عهدنا بالكنز الذى أضعناه .
وبعدها استشرى فينا الوباء الذى أخذناه.

أضعنا كنزًا .. وأخذنا وباءً^١ .. (٢)

كنّ نصف خدامات ونصف داعرات..

وكان ذلك فى أحد المجتمعات الريفية المتخلفة التى عرفتھا فى بواكير حياتي، حاولت فى أزمان متفرقة وممتدة دراستها كنقطة من ماء البحر يكفى تحليلها لمعرفة خواص البحر كله. ولأحضت فى بيوت أعيان القرية ووجهائها أنماطا غريبة من السلوك لا تنتمى إلى الأنماط السلوكية المعتادة للقرية كما أنها لم تلحق بالمدينة، أنماط ترقى فى تناقضاتها إلى مستوى الكاريكاتير الصاخب، لقد استبدل الجاتوه والجيلي على سبيل المثال - بالعسل الأسود والأبيض، لكنهم لم يكونوا يأكلون تلك الأطعمة الحديثة عليهم باستعمال الشوكة أو حتى بأيديهم بل كانوا يأكلونها ائتداما بالخبز، تماما كما كانوا يأكلون العسل. وقس على ذلك لباسهم وتقاليدهم حفلاتهم، ونقصيت الأمر، فاكشفت أن هذه القرية التى كانت معزولة لأسباب جغرافية واجتماعية متعددة عن التأثير والتأثير فى المدينة. كانت تقطنها عائلة من العائلات العريقة التى أخنى عليها الدهر فلم تستطع الاحتفاظ بالصدرارة ولا الرضا بالتهميش. ظلت على بقايا تقاليدھا القديمة حتى ذهبت إحدى فتيات القرية لتعمل كخادمة فى القاهرة. ولم تكن الفتاة كسابقاتها. لقد اندمجت فى حياة المدينة الصاخبة. وسرعان ما انتقلت إلى الملاهى الليلية راقصة محترفة بعد العمل فترة كداعرة محترفة. ثم تحولت إلى مطربة نصف مشهورة كانت تعود إلى القرية كل حين وآخر مستقلة سيارتها الهيلمان أو الأوستن. كانت تهز شوارع القرية الضيقة. لا بهذا الكائن الخرافى الميكانيكى الضخم المخيف بل بتصدع قيم وتقاليدهم راسخة. منها على سبيل المثال تراجع قيم الشرف والحياء والخوف من معصية الله. إن الشرف الذى كان لا يغسله إلا الدم أصبح الآن القليل من الدولارات أو حتى البترول كافيين لا لمجرد غسله بل ولجعله أكثر بياضا من شرف حقيقى. كانت الطريقة الجديدة للحياة تقدم لهم أنموذجا للحياة بدا باهرا فى متعه صاخبا فى نشوته بعد أن تخلى عن عبء مخافة الله واجتناب الكبائر، بدت الحياة الدنيا دون أعباء الآخرة خفيفة رائعة

١ - مزودة ومنقحة لما نشر فى صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٦/٤

تم التخلص من ملائكة العذاب ومن عبء المسئولية في الحياة الدنيا في لحظة وتراءت من بعيد المتع والنشوات دون حساب كالشهد المصفى، وبدا لهم أن غضب الله وانتقامه لم يحق بهذه المتمرده على نوايمسه بل أصابها الرزق الوفير والعز والجاه والمجد. إن هي إلا حياتنا الدنيا لم يقولوها ولكنهم تصرفوا على أساسها واندفعت فتيات القرية حتى من لم تكن محتاجة إلى العمل- إلى العمل كخادمت في القاهرة. بدا لهن أنهن لو سرن على نفس الخطى فسوف يصلن إلى نفس المنتهى. ضاع بعضهن إلى الأبد ولم يعد أحد يسمع عنهن أبدا. أما البعض الذى لم يضع تماما فقد رحن ينقلن قشورا من أنماط الحياة فى البيوت التى يخدمن فيها إلى بيوت أسرهن. ثم إلى الجارات. ثم إلى القرية كلها. استطاع البعض منهن الإفلات من المصيدة فى وقت مناسب فعدن إلى القرية والتحقن للخدمة فى منازل أثريائها لينقلن إليها قمامة تقاليد المدينة. لم ينقلن إيجابيات المدينة. بل أسوأ ما فيها. وعندما تزوج بعضهن فقد كان مظهر منازلهن وأزواجهن رغم الفقر المدقع- يختلف عن مظهر بيوت وأزواج أقرانهن. وتسلل الرعب إلى حرائر المدينة وخفن أن ينطلق أزواجهن إلى نساء المدينة ليتزوجوا عليهن، هذا إن لم يطلقوهن. اندفعت الحرائر إلى الخادمت يسألنهن عن تفاصيل التفاصيل فيما رأينه فى المدينة الساحرة، ماذا يفعل الرجال وكيف تتصرف النساء. وبدأ كفاح بائس للحاق بالمدينة عبر الخادمت وأنصاف الداعرات. وكانت النتيجة الساخرة المهيئة التى رأيتها أكل الجبلى والجاتوه بالخبز. ووضع السيارات التى باعوا أرضهم واشتروها فى حظائر المواشى فلم تكن ثمة أماكن لها ولا أماكن تتيح لهم علاقاتهم الاجتماعية المنغلقة أن يستعملوها فى الذهاب إليها.

كانوا مقتنعين بحياتهم الجديدة وكانهم وقد فعلوا ذلك فقد حققوا الرقى والتقدم والحضارة وأصبحوا كاهل المدينة وتجنبوا ما يمكن أن يحيق بهم وبهن من شرور.

هل تتدهش لتلك الحكاية أيها القارئ؟..

لكن لماذا تتدهش وأنت تعيشها؟!..

فالמוש التى اندفعت القرية خلفها لتلحق بركب المدينة ليست سوى بعض كبار المفكرين وكتاب التاريخ ونخبة الأمة والمستثمرين أعداء الانغلاق والتحجر والتأسلم..

أجل أيها القارئ..

أكبر كتابنا ومفكرينا الذين تدفعهم حكوماتنا إلى الصدارة ليسوا سوى واحدة ممن ذكرت.

الآخرون.. الذين لم يبتسم لهم حظ الشيطان تماما أصبحوا نموذجاً هزلياً لنصف الخادمة ونصف الداعرة.

و أنت أيها القارئ. أنا وأنت وهو وهى وهن وهم. اندفعنا كحرائر القرية ورجالاتها، خلف زبالات الموائد وحتالات المدن كما لو كان ذلك هو الطريق الوحيد الذى ينفى عنا الجهل والتخلف ويجعلنا نمسك بأهداب الحضارة. عاملنا الحضارة كوثن يجب أن نعبده وطلسمًا نتقى به شرور الآخرة!! ولقد غفلنا أنها لم تكن حضارة. وأن ما نقل إلينا منها كان الحثالات والقاذورات والدنس.

نسبنا أن الإنسان خلق ليكون عبداً فإما أن يكون عبداً لله أو للشيطان وأنه فى وجوده لا يجب أبداً أن يعزل الدنيا عن الآخرة.. وكنا نفقد كنزنا وناخذ وباء.

خدعنا الصدا والغبار على الكنز المطمور الذى لم نحافظ عليه فى البداية كما يجب. ثم فى اللحظة الحاسمة غفلنا عن أنه كنزنا الذى يحب علينا أن نعالج إهمالنا له وعدم استعماله بأن نجلوه ونظهره ونتباهى به على العالمين. خدعنا كل ذلك. وخدعنا النصاب الأفاق فى الغرب عن طريق نخبنا ومتقينا. المومسات وأنصاف المومسات..!!.

هل يتهمنى أنصاف الداعرات بأنى بذى؟.

اعترف بأنى حزين. وعلى مثل هؤلاء أرد :

انظروا إلى شاشات التلفاز فى عالمنا العربى والإسلامى.

انظروا إلى كبار مفكريكم وكتاب تاريخكم وأساتذة جامعاتكم..

انظروا إلى مانشيتات الصحف..

انظروا إلى رؤساء التحرير والصحفيين..

انظروا إلى وزراءكم وأمرائكم وحكامكم..

لقد كاد رئيس أكبر دولة فى العالم أن يفقد منصبه بسبب علاقته بغانية،

ولقد استقال وزير بريطانى عندما اتهم بالشذوذ..

كم من وزراءكم ونواب رؤساء وزراءكم كذلك لكنهم لم يستقيلوا ...

كانوا كداعرة تلك القرية التي انتهت من سرد حكايتها عليكم على الفور،
الداعرة التي اجتذبت الباقيات إلى طريق الهلاك.

وكان الضروري أن تتسيد تلك النماذج وأن تمنح أماكن الصدرة كقطع بلوث
الدنيا ويزيف الوعى ويضيع الكنز وينشر الوباء..

وكان من الضروري التركيز على فصل الدنيا عن الآخرة وأن يجهر
البارزون بالفحشاء فلا يتخطفهم الطير وكان من المهم صدم مشاعر الناس
لتحطيم معتقداتهم، فمن وزير يعترف بالزنا إلى مسئول كلما ازدادت
فضائحهم كلما علت مراتبه إلى أمين حزب شاذ إلى ملك ضليل وأمير سكير
وحاكم مزور، ومن لا يؤمن بنظامنا الجديد فليدع محمدًا فإن لم يستجب
إليه فليعد إلينا وليدعنا نعطه متع الدنيا، أما من لا يؤمن بنا فسنسومه
فى الدنيا العذاب الأليم وليكتف بمتع آخرته..

كلما ازدادت الخيانة للأمة كلما ازدادت الثروة والبقاء فى السلطة
وثمة ملك عربى تبدل عليه ثلاثة عشر رئيس أمريكى..11..

لم يكن ذلك يتم بهذا الوضوح على العكس كانوا يدركون ويخشون -
عمق الإيمان فى قلوب الناس، فدأبوا دائما على إخفاء حقيقتهم وسوف
نتناول إن شاء الله فى مقال قادم كيف تصرف قائدهم وسيدهم ومثلهم
الأعلى كمال أتاتورك..

هل يتهمنى البعض بالحدة والصوت العالى؟..12

كيف؟..12

والأمة تضيق والإيمان يتسرب من بين أيدينا لنخسر الدنيا والآخرة..

كيف وأنصاف الداعرات اللائى اجترأن على الله والنبيين والسلف
الصالح ونفوا عنهم القداسة ليمحوها لبشر أو نظام..

كيف ونخبنا التى كان عليها تقويم حكامنا ولو بالسيوف لا تكف
عن محاولة إفسادهم' ..

هذه الدبية تشوه وجه الوطن وتضيع الكنز وتجلب الوباء..

وما أهجمهم أو أندد بهم إلا حرصا على أمة كانت خير أمة أخرجت للناس..

١ - نشر هذا المقال قبل أزمة الولاية بحوالى عام.. نعم.. قبلها.. وليس اثناءها !!..

ولو لم تكن الأمانة التى أبنت السماوات والأرض أن يحملنها فحملناها قضيتى لما حفلت بهم أى احتفال..

عن مثل هذه الدببة أنصاف الخادمت أنصاف الداعرات وعن المستيرين دعاة الحادثة أعداء الله والوطن والإنسان يتحدث على عزت بيجوفيتش فى كتابه الهام: الإعلان الإسلامى فيقول :

"أما أولئك الذين يدعون بالنقدميين أو العصريين أو المستغربين إلى غير ذلك مما يسمون به أنفسهم فإنهم يمثلون فى الحقيقة سوء حظ هذه الأمة المسلمة، إنهم كثرة كثيرة ذات نفوذ وتأثير، إنهم يهيمنون بشكل ملحوظ على الحكومات وعلى التعليم والحياة العامة، وهم يرون فى فئة المحافظين تشخيصا للإسلام ويدعون الآخرين إلى أن ينظروا نفس النظرة، وهكذا استطاع دعاة الحادثة أن ينشئوا جبهة ضد كل ما تمثله الفكرة الإسلامية. ونستطيع التعرف على هؤلاء الذين أقاموا اليوم من أنفسهم مصلحين فى البلاد المسلمة من خلال فخرهم بما أن يجب أن يخلوا منه، واخلهم مما كان يجب أن يفخروا به إنهم "أبناء آبائهم" فقد تعلموا فى أوربا ثم عادوا من هناك بشعور عميق بالدونية تجاه العالم الغربى المتقدم الغنى، وشعور الاستعلاء على مجتمعاتهم التى جاءوا منها وقد أحاط بها الفقر والتخلف. لقد حرموا من التربية الإسلامية الصحيحة وفقدوا كل صلة روحية أو أخلاقية بشعوبهم ومن ثم فقدوا معاييرهم الأولى وأصبحوا يتخللون أنهم بتخريب الأفكار المحلية والتقاليد والمعتقدات وبتقديم أفكار غربية سيقمون أمريكا- التى يكون لها إعجابا مبالغا فيه - على أرض بلادهم فى يوم وليلة. إنهم بدلا من العمل على تطوير إمكانات بلادهم الخاصة ذهبوا ينفخون فى شهورات الناس ويضخمون رغباتهم المادية، فأفسحوا بذلك الطريق أمام الفساد والفوضى الأخلاقية، إنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أن قوة العالم الغربى لا تكمن فى طريقته فى الحياة. وإنما فى طريقته فى العمل وأن قوته ليست فى الموضة والإلحاد وأوكر الليل وتمرد الشباب على التقاليد، وإنما تكمن فى الكدح الذى لا مثيل له، وفى المثابرة والعلم والشعور بالمسؤولية التى تتميز بها شعوبهم. المشكلة إذن ليست فى أن مستغربيننا قد استخدموا أساليب أجنبية، وإنما فى أنهم لم يعرفوا كيف يستخدمونها أو يضعونها فى موضعها الصحيح وأنهم لم يفلحوا فى تطوير حس قوى يكفى للتمييز بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح، ومن ثم أخفقوا فى اختيار المنتج الحضارى المفيد واستعاروا لمجتمعاتهم بدلا منه عرضا مرضيا من أعراض هذه الحضارة فكان منتجا ضارا بل قاتلا" ..

كان على عزت بيجوفيتش يتحدث عن الكنز الذى فقدناه والوباء الذى أخذناه..

إننى أنبهك أيها القارئ أن مثل هذه الدببة هم الذين يصوغون وعيك
فيستنزفوه ..

وهؤلاء هم الذين يسيطرون على مؤسسات بلادنا من الصين حتى المغرب
ومن الأورال حتى الحبشة. وهؤلاء هم الذين نقرأ على أيديهم تاريخا مزورا يوردنا
موارد الهلاك، وهؤلاء هم الذين اختزلوا التاريخ - لا الشرف - ليصبح تاريخ
الإسلام والمسلمين مكونا من حقتين فقط هما الفتنة الكبرى في صدر الإسلام
وحقبة الانهيار والانحطاط في الدولة العثمانية. من هاتين الحقتين فقط تأتي كل
الأمثلة وتخرج كل الاستشهادات وتتبع كل الانتقادات والإدانات أما عن حقبة
استمرت ألف عام كنا فيها أعظم وأعدل وأشرف حضارة في التاريخ فلا يتطرق
إليها من الكلاب كلب ..

كانت القارئة تصرخ على المسامح: إننى خريجة كلية الآداب قسم تاريخ ومع
ذلك فإن كل التاريخ الذى حفظته مزور ومشوه. وكان قارئ يصرخ: إننى أعرف
عن سامبسون ومايكل جاكسون أضعاف ما أعرفه عن الحضارة الإسلامية كلها
وكانت الدكتورة ليلي عنان تصرخ فى هيئة الإذاعة البريطانية: إننى أعرف عن
نابليون بونابرت أكثر مما أعرف عن خالد بن الوليد الذى لم يهزم فى معركة قط ..

عندما بدأت أجلو الصدا وأكشف تزيف المستنيرين المستعربين الحداثيين عن
تاريخنا كان القراء يهاتفوننى مذهولين: هل تكتب عن تاريخنا حقا أم عن تاريخ أمة
لا نمت إليها بصلة. كانوا يقولون أيضا أن المذهل أنهم يعرفون ذلك لكن معرفة
الغارق فى غيبوبة تمنعه من التأثر والتأثير فهو يرى الأشياء لكنه لا يستطيع الربط
بينها. وسألنى قارئ إذا كان هذا هو التاريخ الحقيقى فما هذا الذى يكتبه الجهابذة
ورؤساء التحرير ورواد التنوير .. وجابر عصفور !! ..

كان القراء مذهولين من إضاعتنا لكنزنا وحرصنا على وبائنا وقد أدركوا
ما أهدف إليه حين رحت أزيل الغبار والروث الذى يلقيه الخنازير على تاريخنا ..
وكنيت أقول لهم أن هذا الجهل بتاريخنا يدين جل نظمنا الحاكمة فضلا
عن وزراء ثقافتنا وتعليمنا وأجهزة إعلامنا ..

ليسوا حكاما بل مروضين يعتبروننا عبيدا أو يعتبرون أنفسهم ثخاسا
وقد باعونا ..

إن افتقاد النظرة الشاملة للتاريخ تصيبنا بالعماء عن فهم الحاضر وتمنعنا
من صنع المستقبل ..

والغرب (الصليبيون) منذ مؤنة يفكرون بنفس الطريقة ويسبرون نفس المسار ومهما فشلوا، فإنه يعاودون الكرة المرة تلو المرة حتى ينجحوا..
المأساة أن ما كانت الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية تطلبه دائما هو أن تبقى فى بلادنا التى حررناها من استعمارهم أحرارا نتعيش معهم فى سلام..
أما هم فكان مبتغاهم طيلة الزمان أن يعيدوا احتلال بلادنا وأن يقضوا على ديننا..

وعندما أدرك الغرب عجزه عن إبادتنا فقد تأمر الصليبيون مع المغول علينا وذلك ثابت فى التاريخ رغم التعتيم عليه..
ولعل القارئ للتاريخ يدرك الآن أنه لو تأخر قيام الدولة العثمانية القوية الفتية قرنا أو قرنين لكان مآلنا الإبادة أو التهجير أو التنصير..

لقد تزامن إدراكهم لعجزهم عن إبادتنا مع فورة حماسهم لنجاحهم فى هزيمتنا فى الأندلس فشاعت فى أوروبا إبان العصور الوسطى كما يحدثنا الأستاذ محمد يوسف عدس فى كتاب غير منشور له بعنوان "الفليبين" وهو كتاب لم يسع إلى نشره ناشر ولا عهد ولا نظام ولا مؤسسة ولا وزارة ولا حكومة طيلة أكثر من ثلاثين عاما- أسطورة حول إمبراطورية خرافية تصوروها فى مكان ما بأقصى الشرق يحكمها ملك مسيحي هو القديس يوحنا وأكد هذا الاعتقاد ما ذكره ماركو بولو فى أخباره عن رحلته إلى الشرق وإقامته فى بلاد الصين فترة من الزمن.. كانت هذه الشخصية الغامضة للملك القس - فى ذلك العهد - موضوع حديث الناس فى أوروبا خاصة فى الأوقات التى تأزم فيها موقف الأوروبيين فى الحروب الصليبية، فقد كان الوصول إلى مملكه القديس يوحنا والتحالف معه كفيل بنجاح الغرب فى القضاء على زعامة المسلمين وكسر شوكتهم فى آسيا كلها ثم انتزاع الأرض المقدسة من قبضتهم .

وكانت أوروبا تتنسم أخبار الملك المقدس وتتلطف عليها حتى وصلت البابا أنباء جنكيزخان فصار الاعتقاد بأنه لا بد أن يكون هو نفسه القديس يوحنا لفرط عداوته للمسلمين ولكن سرعان ما تبخر هذا الاعتقاد .
وهكذا أصبح البحث عن مملكة القديس يوحنا هدفا متصلا بفكرة القضاء على المسلمين..

عندما اتجه دالبوكيرك إلى الحبشة مبعوثا من قبل ملك البرتغال كان يعتقد أن ملك الحبشة المسيحي هو نفس القديس يوحنا صاحب الأسطورة، كانت رأس هذا السفير تلتهب بفكرة جنونية تقضى بأن يقوم على رأس حملة عسكرية يزودها النجاشى بالمؤن والرجال، ثم يعبر البحر

الأحمر فى مسيرة سريعة إلى المدينة لاختطاف رفات النبى ثم يعرضها على المسلمين مقابل التخلي عن فلسطين..

فلسطين..

فلسطين..

كان هذا هو الهدف منذ استعاد المسلمون العرب فلسطين العربية من الرومان بعد معركة أجنادين وقد نجحوا فى تحقيقه فى الحروب الصليبية ثم نجح العرب المسلمون فى تحريرها مرة أخرى.. بعد حطين تحطمت جيوشهم لكن هدفهم لم يتحطم ولولا بزوغ شمس الدولة العثمانية فى هذا الوقت بالذات لاستطاعوا بعد إنهاك العرب واستنزافهم فى الحروب الصليبية وحروب المغول، لكن الدولة العثمانية تكفلت بحماية الإسلام والمسلمين فى الشرق فانطلقوا هم من الغرب..

وكان من بين الخطط التى اعتزمها "دالبوكيرك" تحويل مجرى نهر النيل ليحرم مصر من أراضيها الخصبة فيتم هلاكها وإخضاعها، وقد كتب إلى ملك البرتغال يستدعى صناعا مهرة ليقوموا بفتح ثغرة بين سلسلة التلال الصغيرة التى تجرى بجانب النيل فى الحبشة ولكنه توفى سنة ١٥١٥ ثم أحبط مواصلة الخطط فى هذا الاتجاه انضمام مصر بالفتح إلى الدولة الإسلامية الكبرى منذ عام ١٥١٧.

و دالبوكيرك هذا هو نفس الرجل الذى وقف من قبل على أبواب ملقا الحصينة يقول لبحارته إننى مقتنع كل الاقتناع بأنه منذ اللحظة التى تنتزع فيها تجارة التوابل من أيدي العرب تنهار القاهرة ومكة إلى الأبد..

نحن لم نسئ إليهم كنا دائما نحترم جميع أنبيائهم ونؤمن بأديانهم لكنهم أبدا لم يحترموا نبيينا وما اعترفوا بديننا بل إن تقدمهم الحضارى الذى اعتمدوا علينا فيه لم يغذه بعد ذلك ويستحثه ويستغفره سوى السعى المحموم بالحقد الأسود الهادف لتدميرنا ومنذ القرن الخامس عشر وهم يحاولون محاصرتنا اقتصاديا كى يضعفونا عسكريا ثم يمحقونا ..

لم تكن اكتشاف كولومبس لأمريكا حبا فى العلم ولا فضولا للمجهول بل كان يحترق بلهب التعصب الدينى ويتحرق شوقا للوصول إلى الهند عليه يعثر على ثروة من الذهب تكفى لتجريد حملة صليبية جديدة بعد أن قضت مصر على كل أمل فى نجاح الحملات الصليبية السابقة .

كانت البرتغال أسبق دول أوربا فى هذا المجال فقد استطاع فاسكو ديجاما أن يدور حول أفريقيا ويكتشف الطريق إلى الهند مارا براس الرجاء الصالح، ولم تمض غير أعوام قليلة حتى أصبحت أصغر دولة أوروبية تبسط سلطانها على مساحات أوسع من الإمبراطورية الرومانية فى عظمتها الغابرة.

وخشيت البرتغال أن تلحق بها دول أخرى فسعت إلى البابا ليمنحها مرسوما يقضى بتمليك البرتغال جميع القارات والبحار والجزر التى يكتشفها البرتغاليون فى الطريق إلى الهند وأقر هذا المرسوم ثلاثة بابوات آخرون، وافقوا على تلك الهبة العجيبة.

فلما نشطت أسبانيا فى مجال البحث عن جزر التوابل كان عليها أن تسلك طريقا آخر غير طريق البرتغال، ومن ثم تبنت مشروع كريستوفر كولمبس للوصول إلى الهند بطريق الإبحار غربا وقد استطاع كولمبس أن يعبر المحيط الأطلسى متجها إلى الغرب حتى وصل إلى اليابسة واكتشف دنيا جديدة عرفت فيما باسم أمريكا، ولكنه ظل حتى آخر لحظة من حياته يؤكد أنه نزل فى شرق آسيا وأنه إذا واصل السير غربا فسوف يبلغ نهر الكنج ببلاد الهند وهذا ما أثار مخاوف البرتغال حيث بات مرسوم البابا عديم القيمة مادام الوصول إلى الهند أصبح ممكنا عبر الطريق الغربى، وهبت إلى السلاح تدافع عن حقوقها فى الهند، ولكن البابا تدخل فى النزاع وقسم العالم مناصفة بين ملك أسبانيا وملك البرتغال فشطرت الكرة الأرضية شطرين متساويين بالمرسوم الصادر فى مايو سنة ١٤٩٣ بحيث تكون جميع البلاد الواقعة غرب الجزر الخضراء ملكا لأسبانيا وجميع البلاد الواقعة فى شرقها ملكا للبرتغال..

وعندما بدأ الاحتلال الأسبانى للفلبين التى غيروا اسمها تمجيذا للملك فيليب الثانى كانت العاصمة اسمها أمان الله وكان الحاكم الفلبينى المسلم هو راجا سليمان عام ١٥٦٥ ميلادية. وكان الإسلام منتشرا فى الفلبين كما كان منتشرا فى المنطقة كلها..

ونجحت حملات التبشير..

واليوم فإن ما يقارب التسعين فى المائة من سكان الفليبين مسيحيون..
وليست حكاية الفليبين فقط ما نلفت الأنظار إليه..
كانت الهند أيضا مسلمة وكان معظم أفريقيا..
لذلك نلفت الأنظار إلى حضارة وحشية همجية تخيرنا بين الإبادة أو التنصير
حتى ترضى عنا..
نلفت نظر الأمة إلى ذلك..
وأنهم نجحوا فى أماكن كثيرة والدور الآتى على القاهرة ومكة..
فهل تسمعين يا أمة..
وهل تسمعين يا جيوشنا..
وهل تسمعين يا أجهزة مخابراتنا؟!..

أضعنا كنزًا .. وأخذنا وباءً .. (٣)

انفجر - آنئذ - بقلبي ذلك المشهد الذى طالما أبكاني طفلاً..

مشهد خير الخلق وسيد المرسلين وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه، إذ يبلغ بالرجاء حد التوسل، إذ يدعو عمه أبا طالب وهو على فراش الموت فى عام الحزن أن ينطق بالشهادتين، كى تشفعا له عند الله يوم القيامة، وكان قلبى يخفق بالألم الصاخب، حتى لأود أن أشارك فى التوسل والرجاء، وتجمع بى حماقة الطفل وعدم فهمه ولا تبصره، حتى أتمنى على الله أن أمنح إيمانى لأبى طالب، كى لا يغص بالحزن قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى ولو كان الثمن أن أدخل النار، لم يكن عقلى القاصر يدرك أى كبيرة أقترف، لم يدرك إلا بعدها بأعوام حين أدرك أيضا أن مشيئة الله كانت درسا هائلا فى التوحيد: أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء لا تهدي من أحببت حتى ولو كنت خير الخلق وسيد المرسلين وخاتم النبيين .

قلت لصاحبى وقد جاشت مشاعرى وأخذ منى الانفعال كل مأخذ :

- لو أن أحدا فقا عينيك ووضع مكانهما جوهرتين ..

تُرى : هل تُرى ؟!..

أم أن ما منحناه الله من نعم لا تشتري..

وظفقت أرجوه رجاء بلغ حد التوسل هاتفا به : لقد أضعتم الكنز وأخذتم الوباء، ثم أنكم فخورون بالخيبة منتشون بالحماسة وتتشرفون بالخيانة وتتباهون بالجهل، لو أننى كنت أتحدث مع غيرك لوضعت احتمالات العمالة والخيانة والرشوة والكفر، معك أنت يختلف الأمر ، فلقد غرروا بك ، وأنت أيها الطيب المسكين لم يخطر ببالك أبدا أن أناسا

فى حجم ثقافتهم ومسئوليتهم وكلماتهم الصعبة وأفكارهم التى لا تكاد تفهم
يمكن أن يخفوا خلف أقنعتهم البراقة مسوخا للقيم ومسوحا للشياطين .

كان ذلك منذ عشرة أعوام ..

كنت جالسا فى مكتبى مرهقا ومحبطا فى نهاية يوم ثقيلة ساعاته كنت
عزوفًا عن الحديث وعن التواصل مع الآخرين كنت مجروحًا بقسوة عالم
لم يكف أبدا عن جرحى ولم أكن أرغب فى شىء إلا فى أن أتبع وأنأى
لعلنى أستطيع أن أفهم. ربما لو استطعت أن أتخلص من الغبار الذى يثيره
الآخرون أستطيع أن أرى ولو استطعت أن أتخلص من الضوضاء التى
يثيرها عجيجهم ومن الشوشرة التى يثيرها ضجيجهم فربما أستطيع
أن أسمع .

كنت كحوت مجروح عليه أن يأوى إلى كهف تحت الماء حتى يبرأ
جرحه أو يموت.

وكنت لا أنفك أقول لنفسى :أغض عينك حتى ترى وصم أذنك حتى
تسمع وتخلص من ضجيج الناس حتى تفهم،
بدا لى أن كل ما تراه العين سراب وأن جميع ما تسمعه الأذن كذب
وأن جل ما يضح فى وعينا تضليل.

أنطويت على نفسى مسلما إياها للحظة من لحظات الصمت المطلق،
وخدش ذلك الصمت من جاء يخبرنى بوجود الأستاذ (م.م) وبرغبته
فى لقائى.

كان الأستاذ (م. م) واحدا ممن أحترمهم احتراما حقيقيا رغم أنه كان
شيوخيا.
فزعت.

قلت لنفسى هؤلاء الشيوخيون لا يكفون عن الكلام والجدل أبدا وأنا
فى لحظة ضعف وألم لا أحتمل فيها أى مزيد لا أحتمل النطق بكلمة
ولا الاستماع لحرف ولا الإدلاء بحجة حتى لو كنت على حق فما قيمة أى
حجة إن كان الآخر لا يسمع فإذا سمع لم يفهم فإذا فهم لم يعمل فإذا عمل
أساء العمل فلم ينجح.

كنت غارقا داخل ذاتى وكنت عاجزا عن الطفو .

أقسى من وحشة الصمت اضطراراك لاصطناع الحديث.
وأشد من وطأة الغياب أن تقسر نفسك على ادعاء حضورها إذ هي
غائبة .

فكرت للحظة أن أعذر عن لقائه لكنني خجلت .
طلبت من موظف المكتب أن يقدم التحية بأقصى سرعة ممكنة بعد
دخوله حتى يسارع بالانصراف وعزمت على ألا أفتح أى موضوع للجدل
معه وألا أستجيب له إذا فتح أى موضوع.
ودخل الرجل وقدمت له التحية أخرج أوراقا كانت معه. قال لى أنهم
ينشئون حزبا شيوعيا جديدا وأنه يعرف أنني فى الطرف الآخر منهم،
المناقض لهم، لكن رأيهم اتفق على أن يعرضوا برنامجهم الجديد على
مختلف التيارات الفكرية للأمة كى يتخلصوا من وصمة عزلتهم
عن الشارع التى طالما لاحقتهم..

رحت أذكر نفسى بالأأفتح أى مجال للحوار والنقاش..
ثم أن الرجل يورطنى فى العلم بتفاصيل تنظيم سرى وأنا على
استعداد للموت فى سبيل قضية حق لا فى سبيل باطل..
وأحس الرجل بعزوفى فبادر قائلا أنه يلمح على وجهى ملامح
الإرهاق لذلك فإنه سيعود بعد أسبوع أكون قد قرأت فيه مسودة مشروع
الحزب الجديد لأبدى رأيى فيها..
حمدت الله على الخلاص..

لكن شعورا دهمنى فجأة، شعور كالطوفان الذى تنهار إزاء جموحه
كل الاستحكامات وتنهار أمامه كل السدود..
انسحق قلبى تحت وطأة تخايل الملامح الشريفة الحزينة ترجو أبا
طالب رجاء يبلغ حتى التوسل..

قلت للرجل أننى أحترمه جدا لكننى أشفق تماما عليه لقد انهارت
الشيوعية فى أرجاء العالم وهاهو ذا يحاول إحياءها وهيهات هيهات أن
يحيى الموتى..

اندفعت فى حديث متواصل من التوسل والرجاء لا أستطيع كبج جماح
نفسى..

الغريب أن الشعور المبهظ الذى كابدته لم يكن مجرد انفجار قدر من الحنان الطاغى عليه بل كان أيضا مقاومة الدموع حنانا عليه ورثاء له ، طوفان من الدموع كان ينحبس..

صارحته بما دار فى دخيلة نفسى قبيل دخوله وقلت له أننى أنكص عما عزمت عليه لأننى أحبه وأحترمه..

قلت له أنه مأساوى جدا أن أصرحه بما فى دخيلة نفسى وأن أقول له بعد أن تجاوز الخامسة والستين من عمره أن كل كفاحه وكل نضاله وكل عذابه كان خطأ فى خطأ، مأساوى جدا أن يكتشف بعد كل هذه السنين أنه سار فى الطريق الخطأ وأنه ضل بداية الطريق، مأساوى جدا لكن المأساوى أكثر منه أن يواصل نفس الخطأ ولو ليوم واحد آخر..

قلت له : لو كان الموت هو النهاية لناشدتك أن تواصل الخطأ فالإقلاع عن فكرة سرت من الإنسان مسرى الدم لأكثر من نصف قرن أشد إيلاما من السلخ..

قلت له ليتك كنت فاجرا أو عرييدا أو خائنا وليتك استمتعت بدنياك حتى يكون فى ذلك بعض عزاء عن خسران آخرتك لكنك عشت فى الدنيا كزاهد ثم تذهب إلى الآخرة وقد انتثرت كل تضحياتك وكل بطولاتك وكل عذابائك وكل آلامك وكل آمالك وكل نبلك كل ذلك ينتثر هباء منثورا.. لقد قضيت فى السجون ربع قرن، كنت زميلا لشهدى عطية الذى قتله الجلادون قالوا له اعترف بأنك امرأة فأبى فأخذوا يضربون رأسه فى الجدار حتى تحطم لماذا مات شهدى عطية؟! ولماذا مات هذا الجندى الذى رفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة فى سيناء عام ١٩٧٣.. هل من أجل تنفيذ أمر قائد أو إطاعة تعليمات تنظيم أو رفعة شأن وطن.. أى جنون يقبع فى أن تفقد الحياة نفسها وأنت تدافع عن الحياة.. كيف يمكن أن يتسع العقل البشرى لهذا الهراء؟.. لماذا أضحي بحياتى ولماذا تضحي بحياتك إن لم يكن الدافع شيئا أرقى من الحياة وأسمى وأعظم.. بل إن عظمة الإنسان أن يدرك أن هناك شيئا أرقى من الحياة وأسمى وأعظم.. وبدون هذا الشيء فالإنسان مجرد حيوان لا يسير على أربع.. هل يعقل أن تضحي بحياتك من أجل حياة آخر.. دون رابط يصلك بالسماء.. هل يعقل أن يدفع شهدى عطية حياته دفاعا عن قوم وطبقة منها هذا الجندى الجلاد المجرم الذى قتله.. هل يعقل أن تدفع حياتك من أجل إعلاء كلمات ماركس ولينين أو حتى جمال عبد الناصر أو القومية العربية أو اتحاد عمال العالم أو العروبة أو جميع هذه السميات مما ذكرت وما لم أذكر..

سوف أخطبك بمنطق قد تفهمه وتتعاطف معه سوف أخطبك بصرخة
دستوبفسكى فى الأخوة كرامازوف: "إذا لم يكن الله موجودا فكل شئ
مباح"!! القتل مباح والسرقه مباحة والظلم مباح والاستعمار مباح وقتل
الشعوب مباح وإسرائيل وأمريكا على حق فلا حق إلا القوة ..

ماذا تريدون أن تنشئوا على الأرض؟.. جنة؟.. لن توجد على الأرض
جنان أبدا.. أبدا.. ثلاثة ملايين عام من التاريخ غير المكتوب وسبعة آلاف
عام من التاريخ المكتوب تصرخ بذلك.. إننى أناشدك أن تتأمل الأشياء
حولك.. الأشياء الصغيرة العادية التى تحدث كل يوم وليس فى قضايا
الوجود الكبرى.. ماذا تذكر عن جدك ماذا تذكر عن جد جدك.. ألم يكن
ذات يوم يعج بالحياة التى تعج أنت بها الآن؟.. ألم يكن مفعما بأمال
كأمالك؟.. أين ذهبت حياته؟.. وأين ذهبت آماله؟!.. هل ذوت كعصف
الريح؟.. هل تلاشت كخاطرة؟.. أى بؤس للجنس البشرى أن كان الفناء
مآله؟.. أى ضياع لكل قيمة؟.. وأى باطل أى تحقير للإنسان أن ينتهى حين
يموت؟..

القيمة الوحيدة للجنس البشرى لا يمكن أن تتحقق إلا فى وجود الله
وبالله .. والقيمة الوحيدة لكل هذا الألم الهائل الذى نكابده والعناء المر الذى
نلاقىه لا يمكن أن تحتل إلا لأن هناك آخرة سوف نحاسب فيها.. إن خيرا
فخيرا وإن شرا فشرا.. الشئ الوحيد الذى يعوض كل هذا الضنى وكل
هذا العذاب ليس إلا الخلد.. صرخت فيه: هل يهون عليك أن يستوى
الأميين والخائنين والطاغوت والبطل والشهيد والجلاد فلا يخلف كلا منهم
إلا جيفة سرعان ما تجف وتذروها الرياح؟.. هل يهون عليك أن يذهب
أولئك الجلادون وطغاة التاريخ الذين لم يرتفعوا فى الدنيا إلا على أهرامات
من جماجم ضحاياهم فلا يعودون للحساب والعقاب؟..

هل استمتعت بدنياك؟ بكل هذا الألم والعذاب والتعذيب وخيبات
الأمل والهزائم؟ أى أباطيل بررت بها كل تعاساتك؟! ولماذا أنجبت أبناء
يتعذبون كما تعذبت عذابا بلا مبرر فى حياة بلا معنى؟..

بدا الرجل مترددا وهو يبتسم ابتسامة المخرج الذى فاجاه الأمر فراح
يدافع بأن الشيوعية ليست سوى مذهب اقتصادى اجتماعى يمكن أن
يتصالح مع الدين.. وقلت له أنت تخدع نفسك وتساهم فى خداع الآخرين..
حكيت له ما حدث منذ أعوام عندما جاء إلى شاب يقول ما يقوله الآن
بحماس وثقة كان الشاب يسر إلى مباهايا بأنه عضو فى خلية شيوعية..

ويومها سألته عما إذا كان قد قرأ أى كتاب فى الفكر الشيوعى وفوجئ الشاب وصرخ محتجا:

لا يستحق الأمر كل هذا التعقيد الشيوعية أن أقسم معك رغيف خبزى والراسمالية أن أخطفه منك ولا مانع من قتلك إذا قاومت..

وقلت للشباب أن الأمر أعقد ، وأمددته بالمنافستو وبعض الكتب الأخرى ، بهت عندما قرأ ، انهار عناده فاستمع إلى شرحى للخلفية النظرية فأدرك أن الفكر الشيوعى لا يستقيم إلا مع إنكار الله ، واكتشف الهاوية التى أوشك على الوقوع فيها ، فجاءنى بعدها بأسابيع ليقول فى

مرارة أن أحدا من أفراد خليته لم يكن قد قرأ كتابا عما أوشك أن يضحى بحياته فى سبيله وأنهم عندما قرءوا ما قرأ انسحبوا جميعا لم يبق منهم أحد..

هتفت بالأستاذ (م.م):

- أعجزت عن أن تكون مثل هذا الشاب.

لقد أعطى الإسلام للبشرية شهادة نضجها أعطاه كنزا فلماذا تتخلى عنه وتأخذ بدلا منه وباء..

لقد كرم الإنسان كما لم تكرمه قبله نظرية ولا فلسفة ولا دين..

ولقد قدم التصور الوحيد الممكن للعالم والآخر ولقد كان دوركم طيلة الحقب الماضية أن تثرؤا الرماد على هذه الحقيقة الساطعة كى تطفئوا بهاءها تلك جريمتكم التى لن تغفرها لكم الأمة قط..

بماذا تريد أن تجادلنى أقول أنك لا تستطيع أن تخطط لمجتمع بناء على غيبيات؟ أليست الروح غيبا والنفس غيبا وما أنت بدونهما سوى جيفة.. الكهرياء أيضا غيب.. أنت لا تراها امدد يدك الآن وضعها على هذا السلك المكشوف.. ستكون لحظة الإدراك ذاتها هى لحظة الموت.. أنكر إن شئت أن هذا الهواء الذى يحيطنا يحمل فى طياته ملايين الموجات ولكن إنكارك لن يلغى هذه الموجات.. بل سوف يلغى إمكانية نجاتك بها كئاته فى الفلاة لا وسيلة لنجاته سوى جهاز اللاسلكى الذى ينكر جدواه ما دام لا يرى موجاته..

إن العلم المادى الذى ظننتم يوما أنه كفيل بفك طلاسم مغاليق أسرار الوجود يعود اليوم إلى النقطة التى علمناها الدين منذ عشرات القرون..

هاهى ذى الإرادة الإنسانية تتلاشى وتحكم الإنسان فى مصيره بضمحل
ليثبت أن كل شئ مخطوط بالشفرة على جزيئات الجينات.. وأن المرض
مكتوب والميلاد مكتوب والسعادة مكتوبة والشقاء مكتوب وأن موعد موتك
لا يعلمه إلا الله.. لكم طالت أعمار ظن انتهاؤها وانقصت أعمار ما ظن
أحد أن تنتهى.. انظر إلى تداول الأيام بين الناس ما من قوة تستمر وما من
ثروة تستقر وما من حكم يدوم.. انظر إلى التاريخ انظر إلى مكر الإنسان
ومكر الشيطان إزاء مكر خير الماكريين.. انظر إلى ذلك اليقين المروغ
عند الأفراد وعند الأمم.. انظر إلى البدايات والنهايات.. وكيف تسجل
سجلا حافلا لخيبة العقل البشرى حينما يتنكب الطريق القويم.. لقد خلقَ
الإنسان عبداً وهو إما أن يتشرف بالعبودية لله أو أن يسقط عبداً لشهوته
وللشيطان.. تقول أنك لست عبداً؟! أنصت إذن إلى دقات قلبك وتحكم فى
كهرباء مخك ويا أيها المسكين العاجز عن التحكم فى عضلات معيّه كيف
تدعى القدرة على تغيير الكون أو حتى على فهمه ..

إن الدنيا امتحان، وفى الامتحان لا يتعين أن يحدد الطالب الأسئلة سلفاً
أو أن يختارها، كما أن خطاه فى قانون من قوانين الطبيعة لن يترتب عليه
تغيير القانون نفسه، وإنما سيجسب خطأ عليه لو أننى سألتك عن المسافة
بين القاهرة والإسكندرية فأجبت أنها مائة كيلومتر فإن المسافة لن تتكشم
طبقاً لخطئك لكنك ستفقد درجة السؤال..

انظر إلى الرموز المكنونة فى هذا الوجود ولا تنس أبداً أن الله
قد خلق الإنسان على صورته وأن الذرة الذرة الصغيرة التى لا ترى هى
رمز للمجموعة الشمسية كلها..

لماذا لم تفكر فى اتجاه دوران الإلكترون حول النواة واتجاه دوران
الأرض حول الشمس وعلاقة ذلك بالطواف حول الكعبة.. إن تأخر ك دقيقة
عن ركوب قطار قد يترتب عليه أن تموت أو أن تكتب لك الحياة.. وأنت
تظل يوماً بطوله مكتئباً من أجل حلم غامض رأيته ثم تأتى لتتحدث
عن الإرادة الإنسانية وتحكم الإنسان فى مصيره وعن مدينة فاضلة
تتشبونها على الأرض كبديل عن الجنة.. أى قرارات هائلة كان يمكن أن
تتخذها لو كنت هتلر أو قيصر تحت وطأة حلم عكر عليك صفوك..

إننى لا أنكر دور الإرادة البشرية والعقل البشرى لكن فى إطارهما
الصحيح.. تماماً كما أن لكل خلية فى جسدك وظيفة لكنها تمارس هذه
الوظيفة فى حدود جسديك.. لا تكن كذلك البحار الأحمق على ظهر حاملة

طائرات ضخمة يحسب أنه بيديه الكليتين قادر على التحكم فى مسارها ومصيرها..

العقل البشرى محدود فى وظيفته كأي عضو آخر..

هل تستطيع أن ترى بعينيك ما يحدث الآن فى أسوان أو أن تسمع بأذنك ما يقال فى الإسكندرية..

هل يمكنك أن ترى من خلال الراديو صورة تليفزيونية، وهل تستطيع أن تفك مسمارا.. مجرد مسمار.. دون المفك المناسب له العقل البشرى كحقيبة الآلات الجراحية التى يحملها طبيب.. فهل يستطيع بالآلات عملية اللوز أن يستأصل الزائدة الدودية أو سرطانا؟! العقل البشرى خلق لغرض معين محدود إذا استعملته فى غيره أفسدت كل شئ دون أن تصل إلى شئ أبدا كمن يحاول الطيران بسيارة أو الوصول إلى القمر بطائرة فكلهما لا محالة هالك ..

إنها الأمانة الفادحة التى أبت السماوات والجبال أن يحملنها فحملناها .

هل تريد مثالا على ضلال العقل؟!..

بماذا يمكن أن تحكم وأنت فى العاشرة من عمرك على أفكارك وأنت فى الخامسة.. ثم بماذا تحكم وأنت فى العشرين على أفكارك وأنت فى العاشرة .. ثم وأنت فى الأربعين عن أفكارك وأنت فى العشرين .. ثم وأنت فى السبعين عن أفكارك طوال عمرك.. ولو قبض لك أن تعيش ألف عام.. فبماذا ستحكم ساعتها عن أفكارك وأنت فى السبعين؟ لماذا تظن أن رأيك سيختلف عن رأيك الآن عن آرائك وأنت فى الخامسة من عمرك، ذلك الطفل الذى لا تذكر آراءه إلا لكى تضحك من فرط حماقة..

ثم من يحكم بأن الخير خير والشر شر؟!..

إنك لا يمكن أن تقول فوق وتحت ويمين ويسار دون أن تحدد ما تقيس عليه، ما فوق الأرض تحت السماء وما على يمينى على يسارك لا بد أن توجد قيمة مطلقة تنسب إليها كل الأشياء.. هذه القيمة هى الكنز الوحيد فى وجودنا إن فقدناه ضعنا.. خسرنا الدنيا والآخرة لا نستطيع أيضا أن نقول أن الله موجود وأنك تؤمن به ثم تحكم بعزله عن تدبير شئون العالم لأنك بهذا يا أحمق تعزل نفسك وتضيع.. تفقد الدليل الوحيد الذى يمكن أن يهديك.. ليس هناك نصف إيمان ولا يصح إيمان لم يسلم الله أمره.. يا مسكين يا أحمق هل يعجز الذى يدبر السماوات والأرض عن تدبير أمرك.. إن ما تظنه تقدما وتحضرا ليس سوى الجهل والغباء

والتخلف.. ولولا أكداس من الضلال زاغ فيها البصر لكانت هذه الحماسة مثيرة لأقصى درجات السخرية والضحك.. سخرية تتضاءل إزاءها سخريتك من طفل غبي أو من أحق عبي يمد يديه كي يمسك الشمس بأصابعه.. وهو رغم فشله في كل مرة لا يكف أبدا عن المحاولة دون أن يفكر أن المحاولات كلها خطأ وجنون..

هل تعرف متى كشفت العلوم الحديثة الاتساع الهائل للكون ؟ لم يتم ذلك سوى منذ بضعة عشرات من السنين بعد اكتشاف نظريات النسبية والكم ثم نظرية انعدام اليقين، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان الكون مقتصرًا على بعض القارات القديمة والسماء والشمس والقمر والنجوم اكتشفوا بعد مئات السنين المجموعة الشمسية ثم اكتشفوا أن المجموعة الشمسية مجرد مجموعة هزيلة تتبع نجما متوسطا هو الشمس وأنها تحتل مكانا هزيلا في مجرة درب التبانة وأن مجرة درب التبانة تحتوى على ألف مليون شمس وأنه يوجد في الكون المرصود ألف مليون مجرة كدرب التبانة وأن الكون منذ خمسة عشر مليار عام يتمدد بسرعة الضوء وأنا لا نعرف ما يوجد خلف الكون المرصود..

هل تريد حديثا نبويا ينبئك بكل هذا ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما في السماوات وما في الأرض وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ألغاهما ملق في الأرض ، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألغاهما ملق في الأرض، وما الماء في الريح إلا كحلقة ألغاهما ملق في أرض فلاة، وما جميع ذلك في قبضة الله عز وجل إلا كحبة وأصغر من الحبة في كف أحدكم..

هل تريد حديثا آخر :

عن أبي ذر "أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال :يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة".

هل يعجز مدبر كل هذا يا إنسان عن تدبير أمرك؟..

أى حماقة ؟.

أى جهل ؟.

أى جنون ؟..

هل أدركت الآن متى فقدنا الكنز ومتى أخذنا الوباء..

منذ تلك اللحظات التى تجرأ فيها الحمقى جردوا أنفسهم من الأمانة والشرف تخلوا عن تقديس الله فى نفوسهم الوضيعة ثم منحوا هذه القداسة لكسرى وقيصر وماركس ولينين وللحضارة الغربية أو الشرقية بل لأى حاكم يملك الحديد والقهر والسجن والنار..
غفلنا عما لم يكن يجب أن نغفل عنه أبدا ففقدنا كنزنا ولم يفقد الكنز شيئا..

لماذا نظن أننا خلقنا؟..

هل لنأكل ونشرب ونتناسل كالبهائم؟..

هب أنكم وصلتم إلى ما تريدون.. هب أنكم قضيتم على الجوع والفقر فهل هذا هو مبتغانا من الوجود وهل تستحق الحياة ساعتها أن تعاش؟..
أى عبث؟!!

لكن الإنسان لم يخلق سدى ولا عبثا.

يخيل لك الوهم والحماسة أنك قادر.

فهل كان يمكن لمسار التاريخ البشرى أن يتغير لو تغيرت أحداثه؟..

هل كان يمكن للتاريخ أن يكون تاريخا آخر لو لم يكن هناك كسرى وقيصر ونابليون وهتلر وهرتزل وأى واحد من هؤلاء الذين تعبدونهم أو ترجمونهم.. يمكنك أن ترفع اسم أى واحد من هؤلاء وتضع اسمك هل كل هذا العذاب البشرى جاء صدفة؟ هل نقول مثلا أنه لو لم يولد ماركس لما كان للشيوعية أن تولد؟ أو أنه لولا وجود هرتزل ما كان لإسرائيل أن توجد ولو أنه انزلق فى صدر شبابه على قشرة ثمرة موز ألقاما فى الشارع بمحض الصدفة مجهول لو أنه انزلق عليها فارتطم رأسه بإفريز فمات فهل كان يعنى موته أن إسرائيل لم تكن لتوجد؟.. لو لم يوجد الإسكندر أو جمال عبد الناصر هل كان مجرى التاريخ يتغير هل يمكن أن تؤمن بهذا العبث؟.. إنك لو أمنت به لأصبح الوجود البشرى عبثا لا يطاق.. مقامرة تتحكم فيها الصدفة.. صدفة أن ماركس لم ينزلق على قشرة موز ولم تصدم سيارة لينين أو هرتزل.. وإن ثعبانا لم يلدغ الإسكندر، أو حتى آدم ليتكفل بوقف هذه السلسلة الرهيبة من الأحداث التى أسفرت عن كل هذا التاريخ.. لأننا لو قلنا أن شخصا ما هو المسئول عن مسار التاريخ وأحداثه لكانت مسئولة أيضا ملايين التفاصيل التى تضافت

وتجمعت لكى تصل إلى أى حدث.. مسئولة مئات الظروف والصدف التى كان يمكن له أن يتعرض لها فيموت، ولا يقتصر الأمر على هذا ، لأن لحظة معينة قد شهدت مغازلة بين أبويه قد ترتب عليها وجود لحظة رغبة أو سام أو مجرد تفريع هم.. ملايين الصدف أيضا تحكمت فى تلك اللحظة.. لو أن صديقا طرق الباب فجأة.. أو أن نملة مجرد نملة قرصت شقيقه الأكبر فصرخ فهرعت أمه إليه.. أكان يمكن ألا يأتى إلى الدنيا بسبب هذه النملة وألا يحدث فى التاريخ ما يحدث؟! فلو أجبتى بنعم فإن ذلك يعنى أن ملايين الصدف أيضا تتحكم فى كل أسلاف هذا الشخص حتى آدم، كان يمكن لأى واحد منهم أن يفترسه وحش أو يموت فى وباء أو يقتل فى معركة فتتقطع السلسلة التى أتت به إلى هذا الوجود..

هل يمكن أن يتحكم فى الوجود هذا العبث..

لا ..

بل كل شئ بقدر..

لو جاز أن الصدفة والعبث وتاريخ الأفراد هى التى تحدد لنا مسار التاريخ لجاز أن انفجارا فى مطبعة أدى إلى اختلاط الحبر بالأوراق فأسفر انتشار الحبر على الورق إلى طباعة بالصدفة لملايين القواميس ودواوين الشعر ليس فى بيت منها وزن مكسور، كل منها مرصوص فى مكان مختلف ولجاز أيضا لانفجار آخر فى تلك الأمكنة إلى تجليد تلك القواميس والدواوين ولانفجار ثالث إلى توزيعها على مكتبات العالم.. إن منتهى نضج العقل البشرى أن يعرف أنه لا يعرف.. مأساة الإنسان ليس فى أنه يموت بل فى أنه محكوم عليه بالخلد.. لقد وجدنا قبل حياتنا تلك وسنبعث بعد الموت ثم لا نموت أبدا.. انظر إلى دودة القز إلى حياتها كدودة تمثل طور الحياة البشرية ثم انظر إليها تتشترق فتدفن نفسها ملخصة طور الموت ومن قبرها ذلك يخرج أجمل أطوارها : الفراشة.. لو قيض لهذه الدودة أن تفكر وأن تتخيل أن طور الدودة هو الطور الوحيد وأن التشترق هو الموت الذى لا حياة بعده .. ثم راحت تحاول الطيران كالفراشة وهى دودة كى تقيم جناتها بماذا يمكن أن تحكم عليها.. لا تحكم عليها احكم على نفسك فانت تفعل نفس الشئ..

أنت وأنتم ساهمتم فى تضییع الكنز وجلب الوباء..

ودون وخز من ضمير ساهمت في الوصول بنا إلى وضع رضىتم فيه باستبعاد العقيدة عن مجالات تطبيقها في الحياة.

شرذمت الأمة انظر إلى الوطن الصغير وتشرذمه ما بين شيوعيين ورأسماليين وناصرين وساداتيين ومباركيين ووفديين و.. و.. و.. انظر إلى وطننا الكبير تجد نفس الشيء لكن ما هي مرجعيتنا في الحكم على أى واحد من هؤلاء..

مرجعية الله والحق والعدل أم مرجعية الشيطان والهوى.. كيف نحكم عليهم فنؤيدهم أو نعارضهم؟ ما هو المقياس وما هو الدليل؟..

رضيتهم ورضى الآخرون بعزل العقيدة..
فانهار كل شئ حين أصبح لكل واحد مقياسه الخاص..
أضعنا الكنز وأخذنا الوباء..
وانتم بالذات من أكثر فئات الأمة مساهمة في ذلك..
فأقلع..

دعك إذن مما أنت فيه..
عد إلى الله وتب واعمل صالحا علّ ذلك يشفع لك أمام الله يوم القيامة ..

كنت قد واصلت لساعتين كاملتين الحديث الصادر من أعماق القلب بحماس وحزن لا حد له وكان الرجل ينظر إلىّ بذهول..
بدا أنه محرج لأنه لا يستطيع مشاركتى فى انفعالى..
وعدنى أنه سيفكر فيما قلت مؤكدا لى أنه مؤمن وإن كان على غير طريقتى..

قام يشد على يدى منصرفا وهو يوصينى ألا أنسى قراءة برنامج الحزب الشيوعى الجديد.. كنت قد نسيت ذلك البرنامج تماما وعندما وجدته ما زال يذكره انه قد فى داخلى شىء وخاب أمل وانطفأ اشتعال.. قلت له بصورة آلية تماما: إن شاء الله وكنت ما أزال أقاوم الدموع..

مر الأسبوع التالي ولم يحضر الرجل فحمدت الله ..

بعد ستة أسابيع كنت أتصفح صحيفة الأهلـى كنت ما أزال حتى ذلك الحين أقرأها فانفجر من بين الصفحات بركان وقف شعـر رأسـى ارتـياعا وهولاً،

كان ثمة مانشيت فرعى يقول:

ذكرى الأربعين للأستاذ (م.م.)..

وراحت الصحيفة تشيد بنضاله وتاريخه..

هرعت إلى آله لم يكونوا يعرفون أننى آخر من لقيه، انصرف من مكتبى فى السادسة مساء ذهب إلى منزله سقط فاقد الوعي مات فى اليوم التالي ولم أعلم ..

كان صديقى الدكتور جمال بلال استشارى فى علم النفس - يتابع الحكاية من بدايتها.. نظر نحوى فى رعب وذهول صرخ فى وجهى:

- لم تكن أنت الذى تتحدث لم تكن سوى قلم وبوق يسطر بهما القدر سطورـه وألحانه وإنذاره الأخير..

وواصل قائلاً:

- كان هناك شىء فيك شىء لا تعرفه ولا أعرفه لكنه موجود هذا الشىء القابع فى أعماقك لا تدرك كنهه كان يرى ملك الموت يرفرف على رأسه كنت تعرف دون أن تعرف - أنه يموت ومن هنا كان انفعالـك ولهفتـك..

وشملنى الرعب من الله ومن نفسى ورحت أردد فى ذهول:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا..

سبحانك إنى كنت من الظالمين ..

١ - هذه الحادثة حدثت منذ أكثر من عشرة أعوام، وقد انعكست ظلالها بقوة على رواية قصر العبنى التى أصدرتها لى مكتبة مديولى عام ٩٢، ومعظم الأدلة والبراهين الواردة فى هذا المقال والتى سقتها فى محاولة هداية الأستاذ (م.م) وارادة بنصها فى الرواية، لكن ذلك لم يمنع رواد التنوير والتضليل من حديث إفك عاصف عن الرواية إبان انفجار فضيحتهم فيما أصبح يعرف بأزمة الوليمة. ووقف وزير الثقافة آنذاك يصرح فى التلفزيون والصحف أننى كتبت رواية كافرة ١١،

الحدود في الإسلام كنز لا وباء !!..

هل نحن مؤمنون حقا ؟..

بل هل نحن مسلمون ؟!..

كيف..

كيف وقد تركنا الكنز واستمسكنا بالوباء..

كيف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف إلى تقرير المنكر والسخرية من المعروف إلى المكافأة على المنكر والسجن على المعروف بل إلى الحكم بالمنكر والقتل على عمل المعروف..

فعلنا ذلك فحق علينا الوعيد وحلت بنا النقمة فتولى أمرنا شرارنا ثم ندعو ولا يستجاب لنا..

كيف ؟..

كيف وقد صار المغنم دولا..

كيف وقد صارت الأمانة مغنما، والزكاة مغرما..

كيف وزعيم القوم أرذلهم..

كيف وما يكرم الرجل إلا مخافة شره..

كيف ونحن نؤمن يا رب ببعض كتابك ونكفر ببعض..

ثم نتشكى مما يلحق بنا من كوارث وما يدهمنا من خطوب..

سبحانك إنا ظالمون..

سبحانك ما أشد جرأتنا عليك وما أكثر حلمك علينا..

سبحانك فما لنا أن نعجب حين لا يستجاب لنا فالأولى أن نعجب أن طال علينا صبرك ولم يمحقنا غضبك ويحرقنا سخطك..

لقد نبهني القراء أن أشد ما يتهدد الأمة ليس مجرد الأعداء الذين تحدث عنهم فالأمر من وجهة نظرهم أخطر بكثير..

١ - نشرت هذه المقالة في صحيفة الشعب بتاريخ: ١٨/٦/١٩٩٩ تحت عنوان : " أضعنا كبرا وأخذنا وباء ، ٤ " .

فليس الوعى هو الذى ينزف بل الدين..
وليس الذكر ما نفقد بل الإيمان..
ليس إيمان النخبة فقد فقدت النخبة إيمانها منذ زمان طويل..
بل إيمان رجل الشارع العادى..
إيمان أبائنا وإخوتنا..
إيمان التلاميذ فى المدارس والعمال فى المزارع والفلاحين فى الحقول
و.. و.. والجالسين أمام شاشات التليفزيون ، !!..
وحيث أتحدث عن الإيمان فإننى لا أقصد الإيمان الحقيقى بشروطه
وأركانه ولا التليفزيونى ولا إيمان صفحات الملاحق الدينية ولا حتى
الإيمان الذى يدعونا إليه فضيلة شيخ الأزهر أو مفتى الديار إنما أقصد
إيماننا آخر إيمان جوهره قضية بسيطة لكنها فاصلة..
ما أقصده أبسط بكثير وأكثر مأساوية بكثير..
لم يعد لدى من شروط لظاهر الإيمان سوى الكف عن الاستهزاء
بالقرآن والسخرية من الإسلام..^١
ترانى بذلك أطلب المستحيل؟!..
انظر أيها القارئ إلى نخبك الحاكمة..
انظر إلى ذلك الدفاع الفاجر عن كل من يقطع من الإيمان شلوا..
أنظر إلى صحفك وشاشات تليفزيونك..
عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تمسخ طائفة من أمتي قرده، وطائفة خنازير"..
صدق يا سيدى يا رسول الله..
صدق..
فأنا أرى تلك القرده والخنازير تتصدر صفحات صحفنا وشاشات
قنواتنا الفضائية..
أراها كلابا للغرب آلت على نفسها أن تقوم للعدو بالوكالة بما
عجز أن يقوم هو به بالأصالة بهدم ديننا وإيماننا..

١ - هذه المقالة أيضا نشرت قبل انفجار أزمة الولاية بشهور .. !! ..

كانت هناك أم تصرخ على الهاتف فى مرارة :

- لست أدعى أن الدين مرجعى ودلىلى، لكنه خوفى من الإيدز هو الذى دفعنى لتحذير أبنائى من الخطيئة خشية الإصابة، حاولت أن أبين لهم سوء الفواحش وعقوبتها فى الدين، فإذا بهم ينفجرون ضاحكين من تخلفى ، كانت تسألنى فى لوعة عمن يسخر من حدود الله، فقلت لها أننى لا أفتى أبدا لكن إجابتى :هو الكفر دون سواء وأبناؤك الجاهلون يحكمون على كتاب الله فما شاءوا آمنوا به وما أبوا تركوه.. وصرخت الأم : لكن كل زملائهم كذلك.. الجميع كذلك.. الجميع كذلك..

وقلت لنفسى أن من ليس كذلك مغيب فى السجون أو مهدد بها..
لقد أينعت حدائق الشيطان التى غرسها دنلوب ليتولاها بالرعاية جل وزراء تعليمنا وإعلامنا وثقافتنا جلهم وعلى امتداد العالم الإسلامى كله..

كان ثمة قارئ يصرخ على الهاتف:

عندما يأتون لتقسيم مصر فمن سيدافع عنها شباب الزمالك ومصر الجديدة ذوى السلاسل الذهبية فى أعناقهم أم عشرات الآلاف من المعتقلين ذوى السلاسل الحديدية فى أقدامهم ؟ الرجال المخنثون الذين يستعملون الماكياج أم أولئك المضمخين بدماء عذابهم وتعذيبهم، الساخرون من الشريعة والمستهزئون بالدين أم من يموتون بسبب محافظتهم على الشريعة والدين ؟!!

وقلت لنفسى أن المحافظة على نظم الحكم لم تكن تتطلب هذا القهر كله كان يكفى بضعة أحكام بالإعدام وينتهى الأمر لكن الأمر لم يكن يقتصر على ذلك كان المقصود منذ البداية اختراق ثغر وتحطيم جبهة وتدمير دين.

لاحظت توحيد الوسائل بين أجهزة أمننا (بل أجهزة قمعنا) وجيوش الصرب وإسرائيل فأدركت أن الغايات أيضا واحدة!!.

وقلت لنفسى أن مجلس شعبنا على سبيل مثال متكرر فى كل عالمنا الإسلامى ليس سيد قراره على الأمة فقط بل وينصب نفسه حاكما-

عفوك يا رب عليك أيضا فيؤمن ببعض ما أنزلت إلينا ويكفر ببعض
وهو يا رب لا يزور أو يزور علينا فقط بل عليك أيضا..
كان علينا أن نواجه كأفراد وكمؤسسات..
كان على الأزهر أن يقودنا..
الأزهر ..

كل أن وأن كان شأن الأزهر يفدحني فينفجر الغضب في قلبي وكنت
أجادل مجدى حسين في ضرورة المواجهة والتنديد لكنه كان يردني
في حزن قائلا أن الأمر شائك جدا لأننا حين نفعل ذلك نفعله تقويما
لأعوجاج بعض شيوخه وحرصا على قيامه بدوره الجهادي في رفعة الدين
كاملا لكننا لو تناولنا بعض رموزه بالتخطئة والإدانة فسوف يشاركنا
مجهودنا القردة والخنازير.. ولأننا حين نخدش هيبة بعض شيوخ
لم يحرصوا على هيبة دين الله فسوف يندفع وسط غبار المعركة من يسعى
لهدم الأزهر نفسه ولهدم دين الله ومن هنا وجب الحرص.

وكنت أفكر أننى كتلك الأم التي اختلفت إلى القاضى تتنازع مع امرأة
أخرى طفلا كل منهما تدعى أنها أمه ولما عجزتا عن تقديم البينة حكم
القاضى الحضيف أن يشق الطفل نصفين لتحصل كل منهما على نصف
وهنا صرخت الأم الحقيقية : إنه ليس طفلى..

صرختها كى تتقذ الطفل..

وصرخت أنا :

- ليس الأزهر أزهرى خذوه لكن لا تهدموه ولا تشقوه..

لكنهم.. على الرغم من نوايانا أو.. على الأخرى بسببها- لم يكفوا
عن شقه' ..

لقد كنت أرتعب دائما من أن أورط نفسى فيما ليس لى به علم..

لكن ما حيلتى إذا بدت بلاد المسلمين كبناية نشب فيها حريق..

هل من حق سكانها ألا يشاركوا فى الإنقاذ والإطفاء لأنهم غير
متخصصين فى إطفاء الحريق ؟!..

¹ - هل لاحظت أيها القارئ أن هجوم التنويريين على شيخ الأزهر قد توقف منذ لقائه بالحاخام؟ وأنه ظل متوقفا حتى انفجار أزمة الوليمة وصدور بيان الأزهر القوى بإدانة صارخة لوزارة الثقافة فبدأ من جديد الهجوم على الأزهر وتبنيحه نص بيان الأزهر فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب.

ما حيلتى إن أنذرت الشواهد أن جنود الإطفاء لن يأتوا أبدا وانتشرت
الشائعات أنهم بعض من أشعل الحريق؟!..
تطلعت إلى الأزهر وما أزال..

تتداعى فى مخيلتى صرخات تلك الأم عن أبنائها الذين راحوا
يسخرون من القرآن عندما حدثتهم عن الحدود..
وأنا أدرك أن الإسلام قد عاد غريبا كما بدأ وأنا أبا لهب لم يعد كبير
بطن من بطون قریش بل وكيلا للغرب فى كافة أرجاء عالمنا الإسلامى أما
أبو جهل فهو رئيس جل وزراء الثقافة والإعلام والتعليم..
أولئك الذين يدعوننا للخجل مما كان يجب أن نفخر به وللфخر مما كان
يجب أن نخجل منه..

وفى جو هذا الهواء المسموم تحولت قضية الحدود فى نظر البعض
إلى عورة أو عار مع أنها والله أوسمة فخر..

ولقد ساعدتهم فى ذلك - للحزن والأسى - تناول بعض إخواننا
فى الله لتلك القضية..

إننى أنبه القارئ منذ البداية أننى غير متخصص ولست بفقير وأنشد
القارئ ألا يستخرج مما أكتب حكما وأن يعود بنفسه إلى المصادر أو إلى
شيوخ غير مشغولين بمبايعة أو بلقاء حاخام وأن يضع فى اعتباره دائما
أن أكون قد أخطأت فى الحفظ أو فى النقل أو فى الاستدلال..

كنت أقول لنفسى أن الأمر فى هذه القضية كما فى كل قضايا الإيمان
الأخرى يلخصها ما قاله أبو بكر رضى الله عنه: "إن كان قالها فقد صدق"
كنت أقول لنفسى أن الفیصل فى أى قضية ليس موافقتها لعقلنا وهوانا
أو عدم موافقتها، فالعقل والهوى متغيران، لكن الفیصل هل وردت
فى القرآن وصحيح الحديث أم لم ترد فهما ثوابت إيماننا، ذلك أن جوهر
الإيمان تسليم العقل البشرى بمحدوديته وأنه يرى جزءا ضئيلا جدا من
الصورة وأننا وجدنا قبل الميلاد وسنوجد بعد الممات إنه يدرك أنه جزء
من منظومة وعبد فى الكون لا سيد الكون ولذلك فإن عليه ألا يعمل رأيه
فيما فيه نص.. لنا أن نجتهد فى تفسير النص كما شئنا فى التفسير
لا فى التكسير، فى مزيد من الفهم لا فى مزيد من الجهل..

إن القضية يمكن تلخيصها في إيجاز مخيف.. إن مرتكب الكبائر التي تستوجب الحدود ليس بكافر لكن الكافر هو من يرفض أو ينكر وجوب تطبيق هذه الحدود..

في قضية الحدود بالذات يبدو الالتباس فظيحا ونزيف الوعي هائلا وفقدان الذاكرة مروعا ..

إن المسلم الذي انصرف عن التفقه في دينه عموما في إطار نزيف الوعي هو بالطبيعة أكثر انصرافا عن فقه الحدود فالذين يرتكبون ما يستوجب الحدود هم أبعد الناس عن الفقه أصلا أما سواد المجتمع بعد ذلك فقد اكتفى بالحد الأدنى الذي يعتبر النزول دونه خلا جسيما في الدين.. وهذا الحد يكفي من الفقه بما يقيم صلب حياته اليومية وأساسيات ممارساته الدينية إنه يقرأ القليل جدا عن الصلاة والصوم ويسأل الآخرين فيما يتعدى ذلك كالزواج والطلاق والحج ترتب على هذا أن الجانبين ابتعدا عن قراءة هذا الفقه والتعمق فيه الذين يرتكبون ما يستوجب الحد والذين لا يرتكبون فأصبح مصدر معلوماتنا الوحيد عن الحدود هو أقوال المهاجمين لنا والمعادين لدينا من علوج الغرب وخنازير العلمانيين وكان الجو أمامهم خاليا فباضوا وصفروا!!

اندفعوا وهم يدركون ضعفنا وحصارنا وهواننا على العالم ليكذبوا بمنتهى الفجور وليجلدونا بمنتهى القسوة..

اختزلوا الإسلام في الحدود وتجاهلوا أن الحدود في الإسلام كحلقة في فلاة ..

وراحوا يعلنون الهجوم على الحدود مضميرين على الإسلام هجومهم.. الحدود همجية ووحشية وتخلف..

يا كلاب جهنم أنتم الهمج الهامج وأنتم المتوحشون وأنتم المتخلفون وأنتم السفهاء ولكن لا تعلمون..

في الجانب الآخر ابتلع بعض اخوتنا الطعم .. غفلوا عن أن كلاب جهنم يحاولون اختزال الإسلام في الحدود .. فراخوا يدافعون والأوقع أن يهاجموا حاصروا أنفسهم فيما قدمه الخنازير من شرح للحدود وغفلوا عن واجب فضح عبيد الشيطان كلاب جهنم بتقديم الوضع الحقيقي للحدود في الإسلام..

تقدم الأفاقون والنصابون أتباعهم من صبية زويمر وتلاميذ دنلوب
وجنود كرومر فعلوا ما يفعله أى نصاب أفرغوا حقيبتنا من محتواها وفسوا
فيها سمومهم ومخدراتهم الممنوعة ثم أشهدوا العالم علينا وعندما سألنا
العالم: أليست هذه حقيبتكم؟ أجابنا دون أن نفطن للحيلة: بلى..
لمثل هذا المنزلق استدرج بعض اخوتنا فى دفاعهم عن الحدود وهم
يتبنون وجهة نظر أعداء الإسلام فيها !!

والآن سوف أعرض لكم نموذجا باهرا فى الرحمة شامخا فى العدل
سامقا فى الإحسان مذهلا فى كيفية احترام البشر ونصوص القانون..
سوف أعرض لكم الوجه الآخر الذى لم يعرضه المنافقون علينا حين
راحوا يهاجموننا مصورين الأمر كما لو كان الإسلام متعطشا لإقامة
الحدود ويترصد الناس فى الطرقات ولقد ساعدتهم على ذلك للحزن والأسى
نماذج معاصرة اختزلت الإسلام فى تطبيق الحدود جاهلة أو متجاهلة
أن الحدود كانت تطبق فى الجاهلية وأنها ما تزال !!

إن حد الزنا مثلا مشهور.. ومشهور أكثر الصعوبات الهائلة التى
تكتنف إثبات الجريمة بالشهود.. ذلك أن الشرع يشترط تواجد أربعة شهود
(يشترط تواجدهم بالصدفة) ورؤيتهم للفعل الفاضح كاملا دون أى شك..
واتفاق شهاداتهم حرفيا فإذا تناقضت شهادة أى واحد منهم أقيم عليهم حد
القذف.. وبرئ الزانى.. وللقارئ أن يتخيل أننا لو حاولنا تسجيل الفعل
الداعر بالصوت وبالصورة فإن كاميرات التصوير الأربعة ستختلف
فى زاوية الرؤية (الشهادة) ، !! لذلك ذكر أن هذه الجريمة لم تثبت
فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بالإقرار.. والإقرار أربع مرات
فى أربع جلسات مختلفة لو رجع فى أى واحد منها سقط عليه الحد.. وعلى
القاضى أن يبدى كراهيته للسمع.. بل وأكثر من ذلك عليه أن يلحق
المعترف الإنكار.. فإذا اعترف الزانى أربع مرات فإنه يمكن أن ينكر
فى أى لحظة بل إن بعض الفقهاء يعتبرون أن محاولة الهرب أثناء إقامة
الحد رجوع عن الإقرار توجب إسقاط الحد.

أما حد السرقة فلا يقام على مفهوم السرقة الذى يتبادر لأذهان السامعين..

يعرف الإسلام السرقة بأنها: أخذ الشيء في خفية ولقد شدد العقوبة عليها.. والحكمة في تشديد العقوبة في السرقة أنها تهدد كل فرد في المجتمع ، ولا يمكن إقامة الدليل عليها بسهولة، وأنه لا يمكن درؤها بولى الأمر الصالح، كما أن اللص بطبيعته مستعد لارتكاب كل الكبائر الأخرى كالقتل مثلا إذا ما عاقه عن ارتكاب جريمته، إلا أن الإسلام إذ يشدد العقوبة يضع لها محاذير هائلة تتعلق باللس وبالمال المسروق وبالمكان الذى كان فيه المال وبالضحية، فإذا لم تنطبق هذه الشروط يسقط الحد

فلا بد لاكتمال أركان السرقة من صاحب مال، ومال، ومكان يحفظ فيه المال..

ولا بد للجريمة أن تحدث خفية، ولا بد للمال أن يكون مملوكا لأحد، وأن يكون. صاحب المال قد اجتهد قدر فى يستطيع فى وضعه فى مكان أمين : "الحرز" ..

وربما يلخص هذا الأمر فى جلاء مثل بسيط: فإذا دخل اللص مسجدا ووجد رجلا احترز بقدر استطاعته ووضع متاعه تحت رأسه فسرقه اللص فإنه إذا كان الرجل نائما كانت تلك سرقة يقام فيها الحد، فإن كان مستيقظا عد اللص منتهبا ولا يقام عليه الحد بل يعزر..

ويشترط الإسلام شروطا لإثبات السرقة ويضع محاذير لإقامة الحد تجعل الإنسان فى مرحلة من مراحل عبور قناطر الشك إلى بحر اليقين يهتف بنفسه :لقد تواطأ الفقهاء كى لا يتم إقامة الحد على اللصوص والزناة (أستغفر الله العظيم) !!..

وحتى فى هذا المفهوم الضيق للسرقة فيرى الفقهاء ألا يكون للسارق فى الشيء المسروق شبهة، فإن كانت له فيه شبهة فإنه لا يقام عليه الحد، ولهذا لا يقام الحد على الأب ولا الأم بسرقة مال ابنهما، وكذلك لا يقام على الابن بسرقة مالهما، أو مال أحدهما لأن الابن يتبسط فى مال أبيه وأمه عادة، والجد لا يقام عليه الحد ؛ لأنه أب ؛ سواء أكان من قبل الأب أم الأم، ولا يقام الحد على أحد من الآباء والأجداد والأبناء، وأبناء الأبناء وأما ذور الأرحام، فقد قال أبو حنيفة والثوري : لا قطع على أحد من ذوي الرحم المحرم مثل العم والخالة والأخت والعم والخال والأخ لأن القطع

يفضى إلى قطيعة الرحم التى أمر الله بها أن توصل، ولأن لهم الحق فى دخول المنزل وهو ما يختل الحرز به .

ولا قطع على أحد الزوجين، إذا سرق أحدهما الآخر ..

ولا يقام عليه الحد الخادم الذي يخدم سيده بنفسه ..

والضيف لا يقام عليه الحد إذا سرق لأن صاحب البيت هو الذى أذن له بالدخول فاختل الحرز ولم يعد كاملاً، بل ووصل الأمر أن بعض الفقهاء قال أنه إذا جاء اللص فى ليلة فتقب الجدار أو كسر النافذة ثم جاء فى الليلة التالية ودخل وسرق فلا يقام عليه الحد لأنه حين دخل فى المرة الثانية دخل مكاناً مختل الحرز .

ولا يقام الحد على من سرق من بيت المال لأن له فيه نصيباً وذلك يورث شبهة تمنع إقامة الحد كذلك لو سرق من مال لشركة له فيها نصيب ..

ولا يقام الحد على من سرق من المدين المماطل فى السداد، أو الجاحد للدين لأن ذلك استرداد لدينه ..

ولا قطع فى سرقة العارية من يد المستعير؛ لأن يد المستعير يد أمانة وليست يد مالك .

ومن غصب مالا وسرقه، وأحرزه، فسرقة منه سارق؛ فقال الشافعي، وأحمد: لا يقام عليه الحد؟ لأنه حرز لم يرضه مالكه ..

وإذا وقعت أزمة بالناس، وسرق أحد الأفراد طعاماً لا يقام عليه الحد وقد قال عمر رضي الله عنه - : لا قطع فى عام المجاعة ..

واختلفوا فى الطرار (النشال) .

ويرى الشافعي أن من سرق قناديل المسجد وحصرها لا يقام عليه الحد؛ لأن ذلك جعل لمنفعة المسلمين وللسارق فيها حق ..

فهل اكتفى الإسلام بكل هذا كى يدرأ الحدود بالشبهات ..

لا فإن مطالبة صاحب المال بالمسروق شرط فى القطع فلو وهب اللص ما سرقه أو باعه قبل رفعه إلى الحاكم سقط الحد ..

فهل اكتفى الإسلام بذلك لدفع إقامة الحد؟! ..

اتفق الفقهاء على أن الدار لا تكون حرزاً، إلا إذا كان بابها مغلقاً، واختلفوا فيما إذا اشترك اثنان فى نقب دار، فدخل أحدهما، فاخذ المتاع،

وناوسله الآخر وهو خارج الحرز، وهكذا إذا رمى به إليه، فأخذه؟ قال أبو حنيفة : لا يحد منهما أحد .

واختلفوا فيما إذا قرب الداخل المتاع إلى النقب، وتركه، فأدخل الخارج يده، فأخرجه من الحرز ويرى الشافعي وأبو حنيفة أنه لا حد عليهما .

وذهب أبو حنيفة، ومحمد، والأوزاعي، والثوري إلى أن عقوبة التعزير هي العقوبة الواجبة على النباش الذي يسرق أكفان الموتى لأنه ليس سارقاً، فلا يأخذ حكم السارق، ولأنه أخذ مالا غير مملوك لأحد فالميت لا يملك، والقبر ليس حرزا (مكانا أميناً) ..

كما أن المسلم يقام عليه الحد، إذا سرق من الذمى، أما المعاهد والمستأمن، فإنهما لا يقام عليهما الحد لو سرقا في أصح قولي الشافعية وعند أبي حنيفة اللذان يريان أيضا أن سارق الطفل حتى ولو سرق ما عليه من حلى لا يقام عليه الحد بل يعزر (والتعزير يبدأ بالغرامة وقد يصل بالحكم إلى الإعدام) .

ويرى أبو حنيفة أنه لا حد على من سرق المصحف لأنه ليس بمال وليس ملك أحد..

ثم إن إقامة الحد لا تتم إلا بشاهدين عدلين أو بالإقرار مرتين (هذا في السرقة أما في الزنا فأربعة شهود أو الإقرار أربع مرات) ..

وتصل العقوبة بالشاهدين إذا ثبت أنهما (وفقا للقضية) للمتهم إلى قطع أيديهما ..

ويندب للقاضي أن يلقي السارق ما يسقط الحد .

فيقول :أسرقت ؟ قل :لا .

وعن أبي الدرداء، أن أبا بك أتى بجارية سرقت فقال لها: أسرقت؟ قولي :لا . فقالت :لا.. فحلى سبيلها. وعن عمر، أنه أتى برجل سرق فسأله :أسرقت ؟ قل :لا.. فقال :لا.. فتركه .

فهل اكتفى الإسلام بكل هذا..

!!..لا

فبعد هذا كله إذا ادعى اللص أن ما أخذه من الحرز ملكه، بعد قيام البيئة عليه فقد أفتى أبو حنيفة والشافعي أن لا يقام عليه الحد، وسماه الشافعي : السارق الظريف !!.

نطمئن الزنادقة إذن أن سرقة الفنادق والبنوك والقطاع العام والأموال الحكومية لا يقام عليها الحد، ولا كذلك الاستيلاء على الأراضي والعقارات والأوقاف..

ثم أقدم لك أيها القارئ درسا باهرا في احترام النصوص وعدم الخروج عليها درس أطمع أن يدرسه ذات يوم ترزية القوانين وسيد قراره بل أطمع أن يدرسه العالم..

إذ لا يؤخذ الأخرس بحد الزنا ولا بشيء من الحدود، وإن أقر به بإشارة أو كتابة أو شهدت به عليه شهود، فالكتابة قائمة مقام العبارة، والحد لا يقام بمثله، وكذلك إن شهدت الشهود عليه بذلك، لأنه لو كان ناطقا ربما يدعي شبهة تدرأ الحد، وليس كل ما يكون في نفسه يقدر على إظهاره بالإشارة، فلو أقمنا عليه كان إقامة الحد مع تمكن الشبهة،
اقرأ أيها القارئ ولنته على العالمين فخارا بدينك ..

اقرأ أيضا أنه بعد كل هذه المحاذير فإن الزاني إن قال زنيته في حال جنوني لم يحد..

اقرأ أيضا درسا نبيلًا باهرا في احترام الرأي المخالف..

إن جمهور الفقهاء يعتبر زواج المتعة زنا ولكن نفس هذا الجمهور -الذي لا يقره- اعتبره شبهة تمنع إقامة الحد، والجمهور يرى وجوب الوكيل والشهود في الزواج.. لكن بعض الفقهاء لم يشترط ذلك فاعتبر عدم وجود الشهود والوكيل شبهة تسقط الحد!!.. حتى يصل الأمر ببعض الفقهاء إلى القول : إذا وجد رجل مع امرأة لا زوج لها فإن له أن يدعي أنه تزوجها، وذلك شبهة تدرأ الحد في بعض المذاهب..

وإذا أقر الرجل أربع مرات أنه زنى بفلانة، وقالت كذب ما زنى بي، ولا أعرفه لم يحد الرجل في قول أبي حنيفة..

وقد يتبادر للذهن أن الإسلام قد حاصر الزناة واللصوص وشاربي الخمر بأن أوجب عليهم الاعتراف وإلا خرجوا من الملة أو أنه هدد الشهود إذا نكصوا عن الشهادة..

لكن ذلك لم يحدث..

حدث العكس!!

فالإسلام قد أوجب على المسلم إذا وقع في ذنب من هذه الكبائر، أن يقلع عن الذنب ويتوب إلى الله تعالى، ويستتر على نفسه، ولا يفضحها بالتحديث بالذنب أمام الناس، والتجاهر بالمعصية، وقد روي عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله تعالى..

أما الشاهد فلم يوجب عليه الشرع التقدم بشهادته بل خيرّه : فهو مخير في أداء الشهادة حسبة الله تعالى وغيره على حدوده ، أو ترك الشهادة رغبة في الستر على أخيه المؤمن وعدم إشاعة الفاحشة..

ولقد اتفقت كلمة العلماء على أن الجريمة التي لم يصل خبرها إلى الحاكم، لا يقام من أجلها حد، وأن الجريمة التي علم بها الحاكم ، ولم تثبت لديه بالإقرار، أو بشهادة الشهود لا يقام الحد عليها.. فإذا رأى الحاكم الجريمة بعينه فليس له أن يقيم الحد عليها إلا باكتمال شروط إقامة الحد وليس له أن يعتمد على ما رأى..

واتفقت كلمة الأئمة على أن من أقر بحد من الحدود أمام الحاكم ، ولم يفسره فلا يطالب بتفسيره وبيانه ولا يقام عليه الحد..

إن الحربي المستأمن في دارنا إذا أقر بالزنا أربع مرات لا يقام عليه الحد وإن المسلم إذا سرق الذمي أقيم عليه الحد..

فأى عظمة وأى بهاء..

ولقد قال الفقهاء: أن صاحب العسس إذا شاهد فاسقا يحمل تحت ثوبه قارورة - مثلا- لم يجز له أن يكشف عنه ما لم يظهر ما تحت ثوبه بعلامة، فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج إلى غير الخمر - أيضا - مما يوضع في القوارير، ولا يجوز أيضا أن يستدل بإخفائه على حرمة لأن أغراض الإخفاء لا تقتصر على الحرمة فقط!!..
فأى عظمة وأى بهاء..

لا ينبغي للقاضي أن يلحق الشهود ما تتم به شهادتهم في الحدود لأنه مأمور بالاحتياط لدرء الحد لا لإقامته وفي هذا احتيال لإقامة الحد فلا يكون للقاضي أن يشتغل به..
ثم إن موت الشهود أو موت أحدهم مسقط للحد فربما كان يرجع في شهادته إن امتد به العمر!!..
فأى عظمة وأى بهاء..

عن خليد أن رجلا أتى عليا فقال: إنني أصبت حدا فقال علي: سلوه ما هو؟ فلم يخبرهم، فقال علي: اضربوه حتى ينهاكم.
فأى عظمة وأى بهاء وأى تكريم للإنسان أكثر من أن يجعله الله قاضيا على نفسه فإن شاء أقر وإن شاء أنكر وإن شاء رجع عن إقراره، فإذا اعترف بما يوجب إقامة الحد لم يجز للحاكم سؤاله عن التفاصيل ووجب على القاضي أن يظهر كراهيته لسماع اعترافه بل ووجب عليه أن يلحقه إنكار ما اقترفه كي لا يقيم عليه الحد..
أى تكريم وأى عظمة وأى بهاء..

عندما رأى الفاروق عمر رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى على زانية بعد حدها سأله في دهشة: تصلى عليها؟ يا نبي الله وقد زنت؟.. فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟..

أى تكريم وأى عظمة وأى بهاء ، وأى رحمة..

فى هذا الإطار ينبثق نور الرحمة الذى يحاول المنافقون والمشركون أن يطفئوه..

فالعظمة الهائلة التى تدفع بشرا فتحت أمامه كل وسائل الهروب لكن ضميره وخوفه من الله يجعلانه يصر فى نقاء ليس له مثيل على أن وجود الله بنفسه هى قمة فى السلوك الإنسانى ندر أن يوجد لها مثيل..

ثم أن الإسلام لم يقصد الفرد بالحد بل لقد حاول أن يجنبه الحد بكل الوسائل.. وما حرص عليه الإسلام هو حماية المجتمع من المجاهرة بالفحشاء..

حق لك أيها القارئ أن تنهه فخارا بدينك..

أما القردة والخنازير الذين يطالعوننا على صفحات الصحف وشاشات التلفزيون يغمزون ويلمزون فيكفى دليلا على دنسهم أنهم وهم يعترضون على شرع الله فى ادعاء داعر للرحمة لم يجرءوا أبد على الاعتراض على التعذيب فى المعتقلات ولا على المئات الذين تحكم المحاكم العسكرية بإعدامهم قربانا للحكام وكلاء الغرب وبتهمة الإسلام !!..

البحث عن أتاتورك'...!!

كان ذلك منذ أكثر من ربع قرن ..

وعلى الرغم من كل هذا الزمن فما زالت تفاصيل ما حدث تكوى قلبي
ومرارة ملح دموعه فى حلقى ..

كنا فى موسم الحج .. وكنت قد انتدبت للعمل طبيباً فى مستشفى
عرفات .. وكنت أحج ..

كانت العادة أن تغلق المستشفى أبوابها مع النفرة .. وأن يُحوّل من فيها
من المرضى إلى مكة .. لكن اكتشاف انتشار وباءى الالتهاب السحائى
والكوليرا بين الحجاج فى ذلك العام غيّر من ذلك النظام فصدرت الأوامر
ببقائنا فى المستشفى لرعاية المرضى ..

واسئفتينا شيخ الحرم فأفتى لنا بأنه ينطبق علينا ما ينطبق على السقاة
والرعاة وألا نبّيت فى منى بل نؤدى المناسك ثم نعود لنبيّت فى عرفة ..
على أن نحفظ بإحرامنا حتى طواف الإفاضة ..

وكان المسئولون قد نسوا أمر إعاشتنا .. لم يكن ثمة طعام ولا شراب
بينما كانت هناك كميات هائلة من الأدوية والعقاقير .. رحنا نتوضأ للصلاة
بمحلول الملح بديلاً عن الماء ونشرب محلول الجلوكوز بديلاً عن الطعام
.. يتهددنا بين الجوع والعطش وانعدام الماء للتنظيف - انتقال الأمراض
إلينا .. وكنت أؤدى مناسك الحج للمرة الأولى وكنت أتخطب فى ملابس
الإحرام ..

كنت أجيش بالمشاعر بعد المزدلفة ومنى ورمى جمرة العقبة
الكبرى ..

وكنت مجهداً من عمل متواصل طيلة الأيام السابقة ..

وكنت جائعاً وعطشاً ونصف عار ..

كان المستشفى مكدسا بالمرضى وكان الموت يتجول بيننا حتى كدنا أن نراه..

كان الأمر هائلا وغريبا وبدا أنه لا ينتمى لحياتنا الدنيا .. ربما ينتمى إلى دنيا الأحلام والرؤى.. أو بدا أنه مشهد من مشاهد الآخرة.. كان الموت حاضرا .. وكان مسيطرا .. الموت الذى نقابله فى حياتنا العادية مرة أو مرتين فى العام.. وربما كأطباء نراه مرة فى الشهر أو حتى فى الأسبوع .. هذا الموت نقابله الآن فى الساعة الواحدة مرات ومرات بل وأحيانا يتكرر فى الدقيقة الواحدة.. استطعنا بجهد جهيد التعامل مع الوضع الطارئ وسط أحزان فاجعة لموت العشرات من الحجاج .. ذلك الحزن الثقيل الخانق الذى لا يتيح لك أى وقت تتأمله فيه.. لم أكن أحسب أن الموت يمكن أن يأتى بمثل هذه السهولة.. بمثل هذه التكرارية .. وخيم على الشعور بأن ملك الموت يدير المستشفى إدارة مباشرة.. وأنه لا يمكن أبدا مقاومته.. لو استمرت الوفيات بهذا المعدل فسنفنى جميعا فى أيام قليلة.. بل ستبديد البشرية كلها فى بضعة أسابيع..

أحسست بجبروت الله فملا الرعب قلبي..

كنا قد قضينا ٢٤ ساعة دون نوم .. أدبت مناسك الحج ثم عدت إلى المستشفى قبل فجر النحر بساعات فذهب زملائي جميعا وبقيت وحدى .. أحقن المرضى بالمحاليل وأراقب الضغط والنبض وأعطى مخفضات الحرارة والمضادات الحيوية وأغمض عيون الموتى وأتلو الشهادات وأحرر شهادات الوفاة ..

هل يعرف ذووهم أنهم يموتون الآن؟؟..

ولم يكن هناك أى وقت للإجابة على السؤال أو التأمل فيه..

كنت جائعا عطشانا نصف عار أكاد أسقط من الإعياء والإرهاق مترقبا وصول زملائي حتى أركن لبعض راحة..

لم يأت الزملاء .. ساعات وساعات ولم يحضروا.. وليس ثمة هنيهة أريح فيها جسدى المكدود.. ومضى نهار يوم النحر كله ولم يحضروا .. بل حضر فى المساء قول من سيارات الإسعاف يحمل المصابين فى حوادث الطرق..

نظرت ذاهلا .. كنت أتخيل أننى سأسقط فى أى لحظة من الإعياء بسبب المجهود المضنى الذى بذلته .. لم أكن أتخيل أننى أستطيع أن

أواصل .. الآن علىّ لا أن أواصل فقط بل وأن أتعامل مع الوضع الجديد أيضا ..

أدركت على الفور أنني يجب أن أتعامل مع هذا الوضع كما يتعامل الأطباء في ميدان المعركة .. فأجريت حصرا سريعا للمصابين .. كانوا أربعة عشر مصابا يلبسون جميعا ملابس الإحرام .. وزعهم رجال الإسعاف على حجرات الاستقبال .. وضعوا المصاب الأول - كيفما اتفق - وحده في غرفة .. كانت الغرفة صغيرة جدا بحيث لا تكاد تنتسج لكلينا .. لم أعرف أبدا طيلة الأيام السابقة لماذا صمموا هذه الغرفة بهذا الصغر .. كانت مهجورة ولم تستعمل ولم أر من يدخلها من قبل أبدا .. بل إنني فوجئت بوجودها .. فحصت المريض .. كان شابا .. ربما كان في الخامسة والعشرين من عمره .. لم تكن به إصابات ظاهرة .. حاولت بالعربية والإنجليزية التفاهم معه وسؤاله مم يشكو .. كان مكتمل الوعي لكنه لم يفهم لغتي .. كنت أحاول التفاهم معه .. كنت أتحدث إليه .. لم يقدم على مجرد المحاولة كما كان الآخرون يفعلون عادة حين كانوا يحاولون فيفشلون فيهنفون بعربية صحيحة: الله أكبر .. محمد رسول الله .. ثم يصمتون وكأنهم قد قدموا أوراقهم وهويتهم ودليل قرابتهم .. قدّموا الأهم أما الباقي فتفاصيل مكررة متشابهة لا معنى لها ولا قيمة .. لم يفعل هذا المريض ذلك .. فحصت الضغط والنبض .. كانا في حدود الطبيعي .. فحصت باقي الأعضاء .. لم يكن هناك سوى بقايا دم متجلط إثر رعاف .. كانت حالته جيدة وكان غيره أحوج لى .. فحصت الباقين وأنا ألقى تعليمات حاسمة وسريعة لهيئة التمريض تتضمن الإسعافات السريعة والعلاج والدم والبلازما والأكسجين وطلب سيارات إسعاف لتحويل من يحتاج لمستشفيات متخصصة .. طلبت من هيئة التمريض متابعة النبض والضغط وإبلاغى على الفور بما يستجد .. أكملت الفحص الأولي للمرضى .. حاولت مواجهة ما يتهدد الحياة بصورة عاجلة كنزيف حاد أو اختناق .. وضعت الجبائر للكسور وحقنت المسكنات وأعطيت التعليمات اللازمة لحالات النزيف الداخلى .. وصلت أخيرا إلى مصاب مصرى .. كانت ضلوعه مهشمة .. كل ضلوعه تقريبا بدرجة أذهلتنى كيف وقع الحادث وما هو كنهه .. كان ضغط الدم صفرا والنبض لا يحس لكنه كان مكتمل الوعي .. وكان الدم يفور كالزبد من فمه .. كنت أضخ المحاليل والدم فى عروقه وأشفت السوائل من فمه وأستعمل الأدوات الجراحية للبحث عن وريد أكبر أحقن فيه مزيدا من الدم .. كنت منفعلا تماما ومستغرقا بدرجة لا يمكن وصفها .. وكان هو يحدثنى بضعف فى صفاء واستسلام

الرضى لا استسلام اليأس: لا تتعب نفسك يا دكتور فأبني أحس بالموت .. أشعر بروحي تطلع الآن .. أحس بها تطلع فعلا .. ربما لا تصدقنى لكننى أقول لك الحقيقة .. لن أمكث طويلا .. رحلت أشجعه .. أكذب عليه وأشجعه .. قال فى استسلام كامل: أنا من المنصورة .. أعول ثلاثة عشر منهم أبى وأمى .. ليس لهم سوى .. حمله .. بدا أنه ينظر إلى مالا أراه وهمس: لهم الله .. لهم الله .. وكان كل ما فى الوجود يبكى إلا عيني .. رحلت أوصل طماننته .. كان على أن أقوم بواجبى الأخير .. قلت له بإذن الله سنشفى لكن إن كنت تريد إبلاغ أهلك بشيء أو أن توصى بشيء أعطنى رقم تليفون أتصل به أو عنوانا أكتب إليه .. حمله فى لكنه لم يكن يرانى .. همس .. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. ودون حتى رجفة أسلم الروح .. مات .. لم يكن لدى أى متسع من الوقت كى أمارس فيه رفاهية التفريج عن الألم أو التعبير عنه .. انطلقت إلى سواه .. حاجز اللغة سكين يذبح التواصل .. أرتب الحالات طبقا لخطورتها .. لكن هل أنا مصيب فى تقديرى لدرجة الخطورة .. أى خطأ أو سوء فى التقدير لا عاقبة له سوى الموت .. ولم يكن هناك أى وقت للإجابة عن السؤال .. كل آن وآخر كان أحد الممرضين يأتى ليطلب نجدتى لمريض من مرضى الكوليرا أو الالتهاب السحائى .. وكنت أترك المصابين وأجرى .. أصف الممكن من العلاج .. ويأتى المسعف بعد قليل ليخبرنى: هذا تحسن وذاك مات .. كنت أسمع به بأذن أما الأذن الأخرى فمع المصاب الذى أتابعه .. أحقق فى عيون الأحياء كى أقدر حالتهم وفى حركات الموتى كى أتيقن من موتهم .. كانت العيون الميتة تبدو بلا غور .. امتزجت باللانهاية .. لم تكن العيون الميتة ميتة .. بدت تحمل إنذارا رهيبا وتحذيرا مروعا .. بدا لى أنها تحسد الأحياء جميعا فما تزال أمامهم فرص لاستدراك ما فاتهم واستدبار أمرهم .. فرص للتوبة بينما هى قد عبرت الفرصة الأخيرة .. بدا أنها رأت ما لا عين رأت .. وأنها تريد لولا الموت أن تطلق صيحة تحذير هائلة .. عرفنا الحقيقة .. تبا لكم عرفنا الحقيقة .. ذلك ما كنا عنه نحيد .. كنت أحملق فى الأحداق .. كانت واسعة جدا .. وكانت تشبه فوهة بئر بلا قرار يكاد يجذبني بقوة جاذبية الأفلاك فأوشك أن أسقط فيه .. لو أن بصرى أحد لرأيت ما رأت .. ماذا رأيت أيتها العيون الميتة عند العتبة الفاصلة بين الحياة والموت .. وهذا الانطفاء فى اللوعة هل يعنى كشف غطاءك وأن بصرك الآن حديد .. لا يبدو فى الأجساد الميتة أى تغير فلماذا لا تنهض واقفة ؟! .. لماذا لا تنهض واقفة يا معشر الماديين والعلمانيين ولم ينقص من مادتها أى شيء .. كل ما تعترفون به لم ينقص

منه شئ فماذا حدث إذن.. وهل غير المحسوس الذى ذهب أهم أم الملموس الذى بقى؟!..

أجيبوا .. قولوا

لم تتطور أجسادكم من القروء لكنكم أضل ..

اعترفوا بأن الروح من أمر ربى

بعد ستة ساعات كان الوضع قد استقر قليلا ..

كان الصباح الجديد يشفق وكان الشاهد الأبيض فوق جبل الرحمة يخطف القلب ويلوح فى الأفق تهب منه نسمات تهفو لها الروح ..

أمكن إنقاذ عشرة من المصابين ومات ثلاثة.. كدت أتجه إلى مقعد استجابة لعظام تئن ومفاصل تتفكك وعضلات ترتجف .. لكننى تذكرت على الفور فاستدركت حائرا: لكنهم كانوا أربعة عشر.. انسدل غشاء من الغباء على عقلى فلم أجد تفسيراً لذلك اللغز الغريب لبضع ثوان لكننى سرعان ما هتفت فى لوعة وارتياح: مريض الغرفة المهجورة.. لم أتذكره ولم يذكرنى به أحد ..

جريت إليه ..

وكان راقدا بالحالة التى تركته عليها ..

لكنه كان ميتا ..

غام الأفق بل انفجر فانهرت تماما ورحت أجهش بالبكاء ..

لعلك تتساءل أيها القارئ لماذا أنزف هذه الذكريات وأكتبها لك..

أقول لك ..

ذلك أن شعورى إذ أكتب هذه المقالات شبيه بشعورى فى ذلك اليوم الذى مر عليه أكثر من ربع قرن فى عرفات .. إننى أتناول فى هذه المقالات من القضايا ما أظن أنه الأخطر.. ما أعتقد أنه لم يعد يحتمل الانتظار.. لذلك تجدنى أحدثك فى اتجاه وأعدك بالمواصلة فيه لكننى سرعان ما أخلف وعدى لأنطلق إلى قضية أخرى .. أما تتابع الأحداث فتجدنى بسياط من نار.. كشمير أولى أن تكتب عنها.. بل بورما ..

بل لفليبين.. بل كوسوفا ما تزال -لأن الأطلنطى لم يذهب لنجدة المسلمين بل لترويضهم-.. بل الأقربون أولى بالمعروف فلا تنس العراق .. وضع العراق شبيه بالميتوس منه فأدرك السودان قبل التقسيم .. بل تونس بل لجزائر بل الخليج بل نجد بل المسلمين فى المهجر بل الطواغيت ووكلاء الغرب المتسلطين على كافة أرجاء عالمنا الإسلامى.. ثم يصرخ صوت يغطى على جميع ما سبقه : لا تنس مصر .. لا تجعلها كمصاب الغرفة المهجورة.. تحسب ظلما أن حالها أفضل من غيرها بينما هى تشرف على الموت .. تموت لا يدركها أحد .. دعك مما توحى به الظواهر.. وانظر إلى التاريخ نظرة شاملة تضرب بها آباط الأمور وتصيب كبد الحقيقة.. افهم أنها لا بد مرصودة فى مخططات الغرب بعد تركيا.. فهى القادرة على لَمّ الشتات الذى تمزق .. لقد استمرت الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عام ١٩٢٤ .. عام نهاية الخلافة الإسلامية فى تركيا .. استمرت الدولة الإسلامية طيلة هذه القرون وكانت أغلب الحكومات غير إسلامية لكن الأمة كانت مسلمة والحضارة كانت مسلمة والتوجه كان إسلاميا وكان الإيمان بالله يعمر قلوب الناس فما لا يزعه القرآن يزعه السلطان حتى وإن كان هو نفسه فاجرا .. فقد كان يعلم أنه يحكم أمة مسلمة والإسلام هو سند شرعيته الوحيد .. انتهى هذا كله بكمال أتاتورك .. ولو سألتنى أيها القارئ عن فرد واحد فى هذا العالم أساء للإسلام أكثر مما أساء له أى واحد آخر لما تجاوزت إجابتي لك : كمال أتاتورك .. أكثر حتى من عبد الله بن سبأ .. كان يرجع فى أصوله إلى يهود الدونمة.. أولئك الذين فروا من محاكم التفتيش فى الأندلس بعد هزيمة المسلمين هناك .. كان الملك الأسباني فيليب قد قرر استرقاق المسلمين الباقين فى الأندلس للعمل كعبيد فى الكنائس والبيوت الأسبانية وليقوموا بدور الحيوانات فى المزارع والجبال .. كانوا ستمائة ألف مسلم بقوا بعد القتل والتهجير والتنصير .. وتدخل السلطان العثمانى أجمد رحمه الله .. وأدرك الملك فيليب أن السلطان قد يفكر فى تجميد الجهاد فى شرق أوروبا لينقله إلى غربها .. وخوفا من ذلك تراجع عن قراره .. وأطلق الستمائة ألف فاصطحبوا معهم اليهود الذين كانوا يتعرضون لنفس المصير^١ ..

١ - المسألة الشرقية. مرجع سابق- ملوك المسلمين. أمين محمد سعيد. مكتبة مدبولي- المسلمون ومؤامرات الإبادة. ممدوح الشيخ. مدبولي الصغير- تاريخ وحضارة الأندلس. دكتور كمال السيد أبو مصطفى. مؤسسة شباب الجامعة.

ساح المسلمون فى أنحاء الدولة العثمانية أما اليهود فلم يجدوا فى العالم مكانا يأويهم ويحميهم إلا تركيا .. عاثوا فى البلاد فسادا وادعى أحدهم النبوة .. استنثاروا المشاعر الإسلامية وعندما أحسوا أن أمرهم كاد يكتشف ادعوا دخول الإسلام فدخلوه جملة .. وكلمة الدونمة¹ كلمة تركية تعنى المرتدين أى الذين غيروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام تمييزا لهم عن مسلمى الأتراك أصلا..

من نسلهم كان كمال أتاتورك ..

كانت أمه غانية .. أما أبوه فى شهادة الميلاد فقد كان ضابطا تركيا انتحر كما يقول المؤلف التركي المجهول لكتاب: " الرجل الصنم" .. وكان من أسباب انتحاره معرفته بأن كمال أتاتورك ليس ابنه بل ابن سفاح لجندى صربى..

هذا اليهودى ابن السفاح هو الذى قضى على الدولة الإسلامية..

دبر اليهود والغرب مؤامرتهم الكبرى.. ووصلوا إلى بغيتهم فى ابنهم كمال أتاتورك .. كان فاسقا عريدا لا يكف عن السكر .. وكان قاتلا سفاحا.. لكنه غطى على كل ذلك .. وفى إطار عملية الخداع عين فقيهين مالكيين لتعليمه الدين ثم أعدمهما عندما استتب له الأمر..

ويذكر كتاب "الرجل الصنم" وهو من أهم الكتب التى تكشف سر كمال أتاتورك: " الذى يتمتع فى حركة مصطفى كمال يرى العجب فى المدى الذى وصل إليه فى تقليد الغرب : غير الأحرف التركية إلى الأحرف اللاتينية .. غير القيافة إلى القيافة الغربية .. غير حتى الأعياد الدينية ، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية بدلا من يوم الجمعة ، ومنع الحج .. وأباح تزويج المسلمة لغير مسلم.."

ويذكر مصطفى كمال نفسه فى كتابه " الخطابة " كيف تمكن من هدم الدولة الإسلامية وإلغاء الخلافة مسجلا فى شماته لحظاتها الأخيرة :

(إنني أرى أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد على اعتبار هذه قضية طبيعية ، ولكن إذا حدث العكس فإن هذا الأمر سينفذ أيضا وفى إطار المجرى الطبيعي ، ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع) .. ويجمد الجميع لدى سماعهم الجملة الأخيرة ..(..)).. هيئت لائحة القانون بسرعة ، وفى الجلسة الثانية

١ - مرجع سابق- راجع أيضا الكتاب الشهير : " الرجل الصنم " لمؤلف مجهول .

للمجلس في نفس اليوم وعندما اقترح وضع اللائحة للتصويت عليها مع بيان الأسماء وقفت على المنصة معترضا وقائلا :

" لا أرى حاجة لذلك ، ذلك لأنني أعتقد بأن المجلس الموقر سيوافق بالإجماع على الأسس التي سوف تحفظ إلى الأبد استقلال الأمة والوطن" .. ارتفعت الأصوات قائلة " التصويت " ! ... وأخيرا وضع الرئيس اللائحة للتصويت ثم قال : " قبلت اللائحة بالإجماع" .. ولكن سمع صوت نشاز " إنني أعارض " ولكن هذا الصوت اختفى بين الأصوات القائلة " لا يسمح بأي كلام ! " ..)

وهكذا أيها القراء جرت آخر صفحة من صفحات هدم الدولة الإسلامية الواحدة .. الدولة الإسلامية التي سبقت إلى الاتحاد قبل أوروبا بقرون .. وقد تمر قرون قبل استعادتها مرة أخرى ..

سوف نعود إلى مصطفى كمال كثيرا لكننا في هذا المقال نركز على لحظات موته .. نعود إليها فيما نشرته صحيفة الأهرام نقلا عن وثائق بريطانية .. تحت عنوان :

(كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية)

في نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت ، وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجبر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية .

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه فاستدعى السفير " بيرسي لورين " السفير البريطاني إلى قصر الرئاسة في استنبول . أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما (..) يروي لورين تفاصيل مقابلاته غير المألوفة مع الدكتاتور المحتضر : " بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة وقال لي انه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة. ولقد كانت صداقتي ونصيحتي هي الوحيدة التي كان يحافظ عليها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى لأنها كانت ثابتة لا تتغير وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشيرني

في مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي .

وقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته. وقد كانت أخلص رغبة له هو أن أخلفه في منصب الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي لهذا الاقتراح . وبعد بضع دقائق من التفكير الصامت قلت لفخامته أن جوابي هو أنني عاجز تماما عن أن أجد الكلمات التي تعبر عن مشاعري بصدق أو بما فيه الكفاية (...) " ... وعلى ذلك فإنني لا أجد سوى أن أعتذر أسفا ، ولكن يحزم .

وعندما انتهيت من حديثي ظهرت على الرئيس علامات التأثر الشديد (...) كان رقيقا كعادته عندما أضاف انه بالرغم من خيبة أمله الشديدة فقد كان هذا هو الجواب الذي ينتظره مني ولهذا فقد قرر أن يعين عصمت إينونو بدلا مني .

وختم بيرس لورين برقيته لوزير خارجيته بقوله :
" وأكون شاكرا لو أننى تلقيت منكم يا سيادة اللورد رسالة تتضمن موافقتك على الموقف الذي اتخذته ورجائى إبلاغ الملك "

هذا هو الرجل بل الشيطان - الذى ادعى فى البداية أنه يتقدم لينفذ الخلافة..

احتشدت قلوب المسلمين خلفه وهو يحارب غير مدركين أنه كان ضالعا فى المؤامرة من زمان طويل ..

من هنا كان بحثى الدائم عن كمال أتاتورك فى وجوه من حولى..
أبحث عنه فى أوجه أولئك الذين يدعون حماية الأوطان وهم بالفعل قد باعوها ..

أبحث عنه يتصدر الصفحات الأولى فى الصحف ويشكل الخبر الأول من جميع القنوات التليفزيونية الفضائية..

أبحث عنه فى عالم اغتربت عنه .. ويعود الإسلام فيه غريبا كما بدأ..

عالم رئيس أقوى دولة فيه داعر أما الدولة الثانية فريئسها سكير^١ ..
 عالم يقترف كل الرذائل ويرتكب كل الموبقات ولا يترك من الجرائم
 جريمة ثم لا يتورع ولا يتورع كلابه وأذنا به عن إسقاط كل جرائمه على
 تاريخنا الإسلامى..
 أبحث عن كمال أتاتورك فى عالم يسلط الله فيه الظالم على الظالم
 ثم يذهب بكليهما إلى النار..
 أبحث عنه مدركا أنه لم يكن شخصا بل كان منهجا ..
 أبحث عنه مدركا أنهم استنسخوا منه مئات النسخ بل آلاف النسخ
 وربما ملايين..
 أبحث عنه كامنا ومستترا فأراه فى وجه ملك خان ورئيس باع وأمير
 استغرب ومسئول نافق ورئيس تحرير كذب وكاتب ضلل وهو يعرف أنه
 مضلل..
 أبحث عنه فأراه فى وجه وزير داخلية عربى يقتل زعيم معارضة
 فى عاصمة أوروبية ويخفى جثته.. وأراه فى جهاز أمن يذيب معارضيه
 فى الحامض المركز^٢..
 أبحث عنه لأراه فى وجه شيخ خان الله والدين وعبد الشيطان ثم راح
 يدعونا أن نتبعه .. ولم يكتف بذلك بل راح يتهم بالكفر من لم يتبعه..
 أبحث عنه فى طوفان من الكذب والتضليل وقلب المعايير والتكيد
 بالمبادئ والمثل والقيم العليا.. طوفان لا أدرى والله كيف أواجهه ..
 لأن مواجهته لا يمكن أن تتم بكتابات فرد بل تحتاج مجهود أمة تتضافر
 فيها جهود رؤسائها ومرءوسياتها..
 أبحث عنه فى وجه السفهاء الكفرة الذين أضمرؤا الكفر وتظاهروا
 بالإسلام ليخربوه من الداخل ولينكلوا برموزه ..

١ - إشارة إلى رئيسى الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الروسى: كلينتون وبلستين .
 ٢ - هموم صحفى مسلم، إسماعيل الفخرانى . مكتبة مدبولى - المخابرات تحرك العالم، سعيد الجزائرى . دار الجيل
 بيروت.

أبحث عنه فى وجه قاض خان الأمانة الكبرى التى استودعها الله إياه
فراح يتولى القضايا وقد كتبت له الأحكام قبل أن يبدأ المحاكمة فلا يقول :
كلا فإننى أخاف الله.. قاض من الثلث الذى يعلم الحق فيحكم بالباطل ..
أو الثلث الذى لا يعلم الحق فيحكم بغيره ..
هل قلت الثلث ؟!..

يا إلهى .. لقد فهمت الحديث النبوى الشريف خطأ .. فالرسول صلى
الله وسلم حين أخبرنا عن قاض فى الجنة وقاضيين فى النار لم يكن يبين
لنا النسبة بل النوع.. فالحديث ينطبق على ألف قاض ليس منهما إلا اثنين
من أهل النار انطباقه على ألف قاض ليس فيهما إلا اثنين من أهل الجنة..
كيف لم أفهم ذلك منذ البداية .. وكيف لم أدرك أن النسبة لا يمكن
أن تتساوى بين قضاة الخلفاء الراشدين وقضاة زماننا .. قضاة كمال
أتاتورك .. قضاة الشيطان ..

يا إلهى .. لطالما اطمأن قلبى قبل ذلك ليقينى من أن ثلث القضاة
يحكمون بالعدل.. الآن أتمعن فى التاريخ فأدرك الحقيقة.. ولقد بلغ الأمر
فى عصور انتشر فيها جور القضاة حتى رأينا أحاديث تنقلها لنا كتب
التراث ولولا ذلك ما جرؤت على كتابتها ويرى الجمهور أنها
موضوعة.. لكنها حتى فى هذا الإطار تصلح نموذجا لرد فعل المجتمع على
فساد القضاة والأئمة.. يقول حديث من هذه الأحاديث: عن أبي هريرة
رضى الله عنه .. : " عَجَّ حَجَرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : إِلَهِي وَسَيِّدِي عَبْدُكَ
كَذَا كَذَا سَنَةً ثُمَّ جَعَلْتَنِي فِي رَأْسِ كَنَيفٍ فَقَالَ أَمَا تَرْضَى أَنْ عَدَلْتُ بِكَ
عَنْ مَجَالِسِ الْقَضَاةِ " .. !! ..

ويقول حديث آخر فى اللآلئ : " شَكَتْ مَوَاضِعُ النُّوَامِيسِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَبَقَاعُ الْأَرْضِ فَقَالَتْ يَا رَبِّ لِمَ تَخْلُقُ بَقْعَةً أَقْذَرُ مِنِّي وَلَا أَنْتَنَ يَلْقَى
عَلَى أَهْلِ نَارِكَ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ قَالَ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْكُنِي مَوْضِعَ
الْقَضَاةِ أَنْتَنَ مِنْكَ...!!..

ويقول حديث موضوع ثالث : " العلماء يحشرون مع الأنبياء والقضاة
مع السلاطين " ..

أبحث عن كمال أتاتورك فيمن وضع هذه الأحاديث وفي سلوك قضاة
دفع الواضعين إلى الوضع ..

وأبحث عنه في زمان أتى على الناس هم فيه ذئاب فمن لم يكن ذئبا
أكلته الذئاب ..

أبحث عن وجه كمال أتاتورك في وجه نائب عام كالنائب العام
الروسي .. كان كلما خان الأمانة أكثر ارتفعت مراتبه .. وكلما سرق أكثر
ارتفعت مناصبه .. وكلما لفق القضايا للشرفاء أكثر ارتفعت أسهمه
عند الحكومة .. والكارثة أن الفساد في مثل هذه المناصب الحساسة
لا يقتصر على فرد أو هيئة بل ينتشر كالسرطان في جهاز الدولة كله فتباع
القضايا ويبرأ الفاسدون فتجد الموظف الذي يعرف رجل الشارع العادي أنه
لص يخرج من النيابة مرفوع الرأس مرهوب الجانب يحمل صك براءة
مدفوع الثمن ليتقلد منصب مدير أو وزير ..

وفي هذا الصدد لا أنسى أبدا ما قاله لي المستشار أحمد رفعت خفاجي
ذات يوم: عليك أن تخاف تماما من الشخص الذي برأته النيابة أو الذي
خرج من مستشفى الأمراض العقلية .. فالأول يحمل صك براءة والثاني
يحمل شهادة رسمية بأنه عاقل .. وهاتان الشهادتان لا يحملهما أى إنسان
آخر ..

كان المستشار أحمد رفعت خفاجي قمة شامخة ووساما على صدر
القضاء في مصر لذلك لم يجد له ولم تسند له وزارة ولا إمارة ..

نعود إلى النائب العام الروسي الذي كان لصا .. منتشرا كالليل حذرا
كالفأر ..

ولولا الخلاف على المسروقات والتنافس على الغنائم ربما لظل
في منصبه أو أسندت إليه مناصب الوزارة والإمارة ولا رتقى حتى يخلف
يلستين في منصب الرئيس .. فمثل هذا النائب العام هو المطلوب تماما
من الغرب .. مثله لا يكتفى بهزيمة وطن قد ينهض بعد الهزيمة .. بل يدمر
مجتمعا ويخرب أمه .. مثله يقوم بدور جيوش وصواريخ نووية يهلك فيها
الملايين .. ووحده يهزم أمته .. فحين يدرك وكلاؤه كم فسقه وفجوره لا بد

أن ينحوا نحوه ويسلكوا سبيله ويتبعوا طريقه.. وإننى أختلف مع الكثيرين فى تفسير انهيار الاتحاد السوفيتى.. لأقول أنه لو صلحت النيابة والقضاء لما تفككت أوصاله كما تفككت .. فقهر الأحرار والشرفاء وتلفيق القضايا لهم هو أول الطريق إلى الهاوية .. وفى مجتمع كالمجتمع الروسى فقد كانت مهمة النائب العام ليس حماية المجتمع من الجريمة .. بل حماية الجريمة المنظمة التى يمارسها المسئولون والقادة باحتراف من الجريمة العشوائية التى يرتكبها هواة اللصوص غير المنظمين.. وهذه الجريمة التى يحميها النائب العام لا تتم فى الظلام ولا بين حثالات المجتمع بل تتم فى فنادق النجوم الخمس وفى أروقة الوزارات وأبهاء الدولة.. حيث تترك له الدولة والسلطة أن يرتشى كما يشاء وأن يسرق كما يشاء وأن يستولى على أملاك الناس كما يشاء مقابل أن يلبس لها الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل ويمكن السلطة من اقتناص أعدائها بمنتهى الخسة .. والكارثة أن أعداء السلطة هؤلاء هم أمل الأمة فى النجاة وفى الخلاص .. وهم القادرون على مواجهة الطغاة والطواغيت واللصوص والخونة .. وكمال أتاتورك.. يقوم مثل هذا النائب العام بدور أشد بشاعة من قناصى البشر وأكلة لحومهم.. وترد له السلطة فضله عليها .. إذ أنها بعد إحالته للتقاعد لا تتركه يسقط فى زوايا النسيان بل تقلده مناصب أرقى يستمتع فيها أكثر بما سرقه من جاه ومال .. وخطورة مثل هذا الشخص لا تقتصر على النتائج المباشرة لفعله بل تتعداها إلى هدم القيمة المعنوية للعدل ..

النائب العام صمام أمان لمجتمعه إن صلح صلح المجتمع وإن فسد فسد.. لذلك أتصور أنه ما كان يمكن أبدا لمؤامرة كمال أتاتورك ضد الإسلام والمسلمين أن تنجح لو كان النائب العام للدولة العثمانية صالحا ..

أبحث عن كمال أتاتورك بين أولئك العلمانيين^١ الذين لا يمنعهم عن إدانة الكفر سوى أن البديل الوحيد هو الإيمان بالله..
يقول السير آرثر كيث:

١ - محمد ابراهيم مبروك ومحمد مورو: مراجع سابقة .

"إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه..!!"

تستطيع أيها القارئ أن تستبدل الماركسية أو النازية أو النظام العالمي الجديد بـ: "نظرية النشوء والارتقاء" ..

إن موقفهم ليس مع.. بل ضد .. وضد الإسلام تحديداً.. وهم فى سبيل ذلك لا يتركون مجالاً لتزييف الوعي واستنزاف الذاكرة إلا سلوكه..

ابحث معى أيها القارئ عن الشيطان.. فجهدى قاصر..

ابحث عنه حيث لا تتوقعه أبداً ..

لقد علمتني الغرفة المهجورة أن الحريص حين يؤتى يؤتى من مأمن..

وعلمتني كمال أتاتورك أن الحية الرقطاء - حين تلدغ - تخرج من مكن ..

وتعلمت أن الخطر حين يأتى لا يأتى مواجهة ولا فجأة.. بل يتسلل وئيداً وئيداً حتى تكون لحظة الإدراك نفسها هى لحظة الغرق.. وأن الشيطان حين يدعونا لا يأتينا بقرونة بل يتقلد عمامة أو يلبس قبعة أو يتشح بوشاح رجل قانون أو يلبس عباءة ملك أو يمسك بقلم رئيس تحرير (أو نائبه!) .. وأنه فقط فى اللحظات الأخيرة.. حين نكون قد فقدنا كل فرصة للفهم أو للمواجهة يسفر عن قرونة وحافره المشقوق .. لتكون صورته تلك.. هى التى تتسع لها أحداقنا من الهول عند الموت ..!!

الإسلام العيسوي' ..!!

من تلافيف الذاكرة ينبثق ذلك المشهد الأخاذ من مسرحية يوسف إدريس: الفرافير حين يقف المؤلف يخطب في الناس خلف مكتب ضخم يرتفع إلى مستوى صدره .. كان المؤلف (المسئول) عملاقا مهيبا أنيقا يكاد رونق تناسق ملابسه يخطف الأبصار.. لكن اثنين من الكومبارس يدخلان فينقلان المكتب من أمامه فإذا بنصفه السفلى عار وإذا بعورته بادية .. أما ورقة التوت التي استلزمته الرقابة في المسرح فلم تكن موجودة في الواقع .. وأقول لنفسي ربما كان هذا هو السبب الذي يجعل جميع الصحف وقنوات التليفون لا تعرض إلا نصف الصورة .. وأنها - ربما - لو عرضت الصورة كاملة لانكشفت العورات جميعا .. وأقول لنفسي أن مهمتي في هذا العالم قد تنحصر في دور الكومبارس الذي يزيح السواتر ليكشف السوءات.. ويزيل الأقنعة ليكشف عن وجه كمال أتانورك.. حين أروح متقلا بالمأساة مروعا بالفجيعة أبحث عنه في تلك الثلة من الأشرار التي تركها الإنجليز زعماء الاستشراق في العالم وأكثر دولة في العالم تحمل ضعينة على الإسلام- يسيطرون على حياتنا الفكرية فيلوثوها .. أولئك الذين ركعوا أمام حضارة الغرب .. استسلموا لها وكفروا بأنفسهم وبأمتهم وبالله .. لكنهم لم يكونوا بالشجاعة الكافية ليكشفوا طويتهم فأضرموا الكفر وأظهروا الإيمان .. ظنوا أنهم قد سبقوا عصورهم وبرزوا أقرانهم فاكشفوا كما اكتشف الغرب أن الأديان أساطير ينبغي كي نتقدم التخلص منها فألقوا بديننا مع الخرافات والأساطير.. قالوا لأنفسهم أننا نحن الذين نشكل مجتمعهم المتخلف ما زلنا متخلفين جدا .. لأننا لم ننتقف بتقافتهم ولم نتعلم بعلمهم.. وأننا عندما نصل إلى ما وصلوا إليه من عقل وعلم وتحضر فلا بد أننا سنقتنع مثلهم أن الدين ليس إلا أساطير الأولين .. هذه الأبقار تنظر إلينا بالضبط كما ننظر نحن إلى عبدة البقر.. لذلك قررنا أن يأخذونا الهوينى .. أدركوا من تجاربهم ومن تجارب أسلافهم وسادتهم أن الدين عزيز جدا في قلوب الناس حتى لو جهل هؤلاء الناس أسرار عظمتهم وأهملوا فرائضه فالدين قد انتقل عندهم من مجال العقل إلى مجال الروح فسما إلى مستوى العقيدة التي انعقدت القلوب عليها فما لها

أن تنفك .. تحول الإيمان في دفاعه عن نفسه إزاء هجمة الشيطان إلى كينونة كلية لا تكشف تفاصيلها كي تنجو من سهامهم .. كينونة لا يمكن مهاجمتها أو تدميرها إلا بتدمير الكائن البشرى ذاته .. ولقد فعلها سادتهم مع الهنود الحمر والاستراليين الأصليين وكادوا أن يفعلوها معنا لولا أن قيض الله لنا الدولة العثمانية فحمت نسلنا وأبقت على حرثنا .. اكتشف هؤلاء إذن أن موتنا أقرب إلينا وإليهم من كفرنا .. وأدركوا أن المواجهة فوق أنها مستحيلة فقد تطلق في الناس فورة النخوة الأخيرة ليقدموهم طعاما للكلاب .. لذلك أضمرُوا الكفر وأظهروا الإيمان .. لا يعترفون بحقيقة كفرهم إلا فيما بينهم .. أما معنا .. مع الأمة .. فقد قرروا ألا يواجهوا الإسلام مباشرة بل أن يخربوه جزءا فجزءا .. لقد عجزوا عن سحقه في قلوبنا .. فليسرقوه إذن منها .. يسرقونه بالتسلل إلى بنوده وأركانه وتدميرها فلا يبقى في قلوبنا إلا هيكل بلا محتوى وشكل بلا مضمون .. وعندما يصلون إلى ذلك سيكون من اليسير عليهم اقتلاع بقاياهم .. إنهم يسوقوننا سوقا إلى إسلام آخر غير الذي نزل الأمين به على محمد صلى الله عليه وسلم .. إسلام لا نسلم أمرنا فيه إلى الله بل إليهم .. إسلام يتجرد من عقيدة الإسلام .. ولأنهم يدركون أن هذه الأمة لا تستطيع الحياة بلا دين فقد قرروا تقديم إسلام مزور إليهم .. إسلام كشف محمد جلال كشك عن تفاصيله حين أطلقوا عليه في أصابيرهم في مؤتمر انعقد في رأس الكفر وخليفة بريطانيا في محاربة الإسلام : في الولايات المتحدة الأمريكية اسم : "الإسلام العيسوي" .. إسلام بلا جهاد .. إسلام يتراجع فيه المسلمون عن عقد بيعهم لأنفسهم مع الله بأن لهم الجنة .. إسلام لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يقوم اعوجاج السلاطين بالسيف ولا حتى باللسان .. إسلام لا يتدخل في السياسة ولا في نظام الحكم ولا في الاقتصاد ولا في مكافحة الظلم .. إسلام لا رأى له في تزوير الانتخابات ولا في التعذيب .. إسلام لا دخل له بالكفر ولا دخل له بالإسلام أيضا .. ولقد سموا هذا الإسلام الذي يخططون لنشره بالإسلام العيسوي .. إسلام يعطى الدنيا بما فيها لقيصر وكلينتون ولا مانع لديهم من تركنا نتخيل آخره - لا يؤمنون بها- كما نشاء ما دما لا نحول بينهم وبين الدنيا .. إسلام منكفي على نفسه .. قد يمتنون علينا بألا يفعلوا بنا ما فعله أجدادهم بأجدادنا في محاكم التفتيش بشرط أن نحصر إيماننا في نطاق لا يؤثر ولا يتأثر .. إسلام كاساطير الأولين لا دور لها إلا في تسلية السادة وإلهاء الأمة .. وقد يحسنون إلينا بألا يفعلوا بنا ما

فعله كمال أتاتورك فى الإسلام والمسلمين.. لقد فعلها أتاتورك بالثورة والدم ..
وبرغم نجاحه فقد كانت المحاولة فجأة ومكشوفة .. وكان المرعب فيها أن تستثير
رد فعل معاكس ينبه أمة غافلة مخدرة .. أمة تساق إلى المجزرة وهى فرحة بها
نشوانة.. نجحت طريقة كمال أتاتورك إذن .. لكن مخاطرها أكبر.. فلماذا
لا يحاولون معنا .. مع العرب.. أن يكرروا طريقة كمال أتاتورك لكن دون ثورة..
أن يستفيدوا من تجربة كمال أتاتورك نفسه.. أن يخدموا الأصوات التى يحتمل
أن تعارض حتى قبل أن تعارض.. أن يجندوا ولاية الأمر والكتاب
والمفكرين والصحفيين والجيش والشرطة وأن يجردوا الأمة من كل سلاح ..
أن يجندوا الرؤساء والملوك..

يا إلهى ..

يا إلهى..

فى العالم العربى كله لا يسمح بحرية تكوين حزب إسلامى..

فى العالم العربى جله فإن الإسلام إما محاصر وإما سجين ..

يا إلهى ..

يا إلهى ..

فى العالم العربى جله وقف الجيش والشرطة مع العدو ضد الأمة..
مع الشيطان ضد الله.. مع الصليبيين واليهود ضد محمد صلى الله عليه
وسلم ..

كيف هان عليهم ..

كيف هان عليهم الدين والله والوطن ومحمد صلى الله عليه وسلم..

لماذا لم يدركوا قط أن الشيطان هو الذى يحركهم وأنهم يحاربون الله..

لماذا لم يقولوا لا .. حتى لو قالوها فاستشهدوا ..

ثم ماذا استفادوا .. ماذا كسبوا ..

معظمهم خسر الدنيا والآخرة ..

كيف لم يعتبر الجميع ..

كيف لم يدركوا أننا نسير فى طريق الشيطان وأن الله لن يبارك
فى عمل يخط الشيطان حدوده ..

وحتى هؤلاء الأغنياء الجدد لن يدركوا إلا بعد الخراب أنهم إذ كانوا
يكنزون الذهب لم يكنزوه لأنفسهم .. ففى البورصة والجات والنظام
العالمى الجديد سيرثهم الصليبيون واليهود.. ولن يبقئ لهم من الذهب إلا ما
يُصب مصهوره على أجسادهم يوم القيامة نارا ..

كيف لم يدركوا أننا وقد تركنا سبيل الله لم يبق لنا سوى سبيل
الشيطان..

كيف لم يذكروا أن الله قد عهد إلينا ألا نعبد الشيطان .. فعبدناه..

كيف ..

كيف لم ننتبه ولم ندرك ..

كمال أتاتورك ..

كيف لم يثر فينا نموذج كمال أتاتورك الخوف والرعب ولم يشعل
فينا التحدى..

كيف استمتنا فتركناهم فى نشوة انتصارهم بنجاح مؤامرتهم
يستسخون الآلاف والآلاف من كمال أتاتورك ..

كمال أتاتورك ملك ..

والقارئ يفهم من أعنى ..

كمال أتاتورك رئيس ..

كمال أتاتورك أمير..

كمال أتاتورك رئيس وزارة ..

كمال أتاتورك شيخ

كمال أتاتورك رئيس تحرير ومسئول إعلام ..

كمال أتاتورك وزير وصحفى ومفكر وكاتب ..

كمال أتاتورك مسئول عن مناهج التعليم فى العالم الإسلامى وقد تعهد
لسادته أن تخرج لهم مدارس المسلمين جيلا من الخريجين يدين بالإسلام
اليسوى .. جيل من الخريجين لا يعرف الفرق بين الإسلام والمسيحية

واليهودية ويتبنى آراءهم فى الإسلام .. جيل يسخر من دينه .. جيل
مخدوع مستنزف الوعى مخترق الذاكرة لا يدرك أن معظم الغرب لم يكن
يتبع المسيحية التى أنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام بل مسخا
مشوها ادعوا زورا أنه دين .. ولم يكن لهم أن يتقدموا إلا بالتخلص
من مسخهم المشوه .. أما نحن .. نحن خير أمة أخرجت للناس فلم نتخلف
إلا بعد أن تركنا ديننا الصحيح ..

تعهد لهم المسئول عن مناهج التعليم بذلك ..

والقارئ يفهم من أعنى ..

القارئ يفهم .. لكننى أناشد أجهزة أمننا القومى أن تفهم هى الأخرى
فمثل هذا الشخص ربما هو المرشح ليكون رئيسنا القادم بل ربما تسند إليه
خلافة المسلمين !!!..

فأبقى يا أمة ..

أبقى .. فكمال أتاتورك موجود بيننا يتخفى ..

أبحث عنه .. فأبحثى معى ..

أبحث عنه فى تلك التلة النتنة العفنة التى تنفجر الآن بإدانة مفعمة
بالاشمئزاز من أولئك المتخلفين الإرهابيين الذى بلغ من تخلفهم أنهم
يرفضون جلوس المرأة عارية تماما - أمام الرسام ليرسمها .. !! ..
وفى رئيس تحرير لم يتورع عن تحريض الدولة على إرهابى شركة
مصر للطيران الذين رفضوا المشاركة فى بيع الخمور فيها .. !!

و انتبهى يا أمة أنهم لا يذكرون كلمة الإسلام أبدا إلا بالمديح لكنهم
يخربون كل أهدافه .. الشئ الوحيد الذى لا يمانعون فيه أن يدخل المسلمون
إلى المساجد ليفعلوا ماشاءوا بشرط ألا تصل أصواتهم للخارج .. وبشرط
أن يكون المسجد سجنا لكل أفكار دينهم مادامت سجون الدولة لا تتسع
لهم ..

لقد بلغ الأمر أيها القارئ أن واحدا من هذه كلاب جهنم .. يلبس عمامة
ضخمة ويدعى أنه مجدد للإسلام تتبنى رؤاه صحيفة يسارية ظل أكثر من
عقد هو المتحدث باسم الإسلام فيها .. هذا الكاتب التنويرى كتب فى كتاب
من كتبه التى لم تصدر أن محمدا (ولم يصل التنويرى عليه) عليه
الصلاة والسلام كان يأمر جنوده (لم يقل الخنزير : صحابته) العائدين من
القتال (ولم يقل التنويرى : الجهاد أو الغزو) ألا يدخلوا يثرب (ولم يقل
التنويرى : المدينة رغم النهى النبوى عن تسميتها باسمها القديم) ليلا ..

المدافعين المسيحيين الشرقيين مثل يوحنا الدمشقي ، كان هدف العلماء في الغرب أن ينشروا تحليلهم للإسلام لكي يقاوموا ما يمكن أن يكون له من تأثير . لكن الحماسة العدائية التي أظهرها أمثال أبولوجيوس والفاروس وأتباعهما في الفترة القصيرة الممتدة بين عام ٨٥٥ وعام ٨٥٩ م ، ومحاولاتهم غير المجدية لإقناع طبقة الكهنوت المسيحية وعامة الشعب المسيحي (بالمقاومة) وتعطشهم للاستشهاد ، كل هذا حال دون بذل الجهد الفكري اللازم لمعرفة خصومهم وفهمهم..."

ولقد تسالت هذه الأساطير المشوهة إلى بعض كتب التراث .. وأغلب ظني أنها تسالت إلى صفحات كتبنا لا إلى رؤوس أئمتنا^١ .. فكتائب التبشير نشطة منذ ألف عام .. ولقد حمى الله المصحف ولم يعصم ما خلاه .. ولقد كان من دأب عبدة الشيطان وضع الأحاديث وتزوير الكتب ودس جملة بين سطور كتاب .. دسوها كالروث .. ليأتي الآن من بين ظهرائنا أناس من جلدتنا يتحدثون بالسنتنا .. أناس كالخنازير .. يكون أمامهم الطيب فلا يختارون إلا الخبيث .. ينتقون هذه الخبائث مستترين باسم علم من أعلامنا .. وأحيانا غير مستترين على الإطلاق ..

ولقد كتبت عن بعض هذه الأساطير والروث في بداية هذا الكتاب والتي وردت في كتاب " محمد " تأليف كارين أرمسترونج^٢ ...

حيث نظر الغرب إلى قدوم الإسلام على أنه الردة الكبرى التي تنذر بحلول الأيام الأخيرة للبشرية... وأن سيد البشر وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ليس سوى " الأثيم " .. إن محمدا دجال وكاذب، نصب نفسه نبيا ليخدع العالم، إنه فاسق يستمرئ الفسق البذء، ... إن الإسلام ليس ديننا منزلا بل بدعة أو صورة مشوهة من صور المسيحية... إنه دين عنيف يؤمن بالعنف (الإرهاب !؟) ... إن المسلمين ليسوا سوى عبدة أصنام يسجدون أمام ثلاثة آلهة... إنه العدو الأكبر للهوية الغربية الناشئة.. وهو رمز لكل ما ينبغي أن ننفيه عن أنفسنا ولقد اتسم بأقذع ضروب الشذوذ وأغرى الناس بالانضمام إلى دينه بتشجيعهم على إرضاء غرائزهم الدنيا .. لقد كانت جميع مزاعمه كاذبة، لقد كان دجالا عامدا ،

١ - المقصود أن الأئمة لم يخذعوا بأباطيل المستشرقين ولم يكتبوها في كتبهم، لكن هذه الأباطيل دُست بعد ذلك في هذه الكتب، وخدع التابعون فنقلوا الكلام المدسوس دون تمحيص منسوبها إلى الأئمة كي يصدقها الناس.

٢ - مرجع سابق.

أما بعض أتباعه الذين تكشف لهم حقيقة أفكاره السخيفة فقد التزموا الصمت بسبب أطماعهم الدنيئة، إن المارق سيرجيوس هو الذى لقنه الصورة المشوهة للمسيحية فأتى بها وسماها الإسلام ولقد انتهى نهاية تعتبر جزاء وفاقا إذ هجم عليه قطيع من الخنازير أثناء إحدى نوبات اتصاله بالجن فمزقوه إربا .."

لقد أعلن البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يعتبر إهانة لله " ... وفى نفس العام كتب همفري بريدو كتابا بعنوان : محمد : طبيعة الدجل الحقيقية يقول فيه : كان الشطر الأول من حياته يتسم بالإباحية الشديدة والآثام البالغة، إذ كان يجد متعة كبيرة فى السلب والنهب وفى إهراق الدم..

وفى القرن التاسع عشر يقول شاتوبريان عن الإسلام : " عقيدة معادية للحضارة ، وهى تشجع بانتظام على انتشار الجهل والاستبداد والرق " ويقول عن القرآن " القرآن لم يتضمن مبدأ واحدا من مبادئ الحضارة ولا فرضا يسمو بأخلاق الإنسان، إنه لا يحض على كراهية الطغيان أو على حب الحرية " ..

هذه هى أفكارهم عنا ..

وهذه الأفكار هى التى يلتقطها كما تلتهم الخنازير الروث - خنازيرنا ..

هذه الخنازير هى المتكفلة الآن بإتمام مهمة الغزوة الصليبية اليهودية ولإطفاء نور الله..

هذه الخنازير هى التى أشاعت اتهام واحد من أعظم خلفائنا هارون الرشيد بالفجر والعهر وقد كان هو الخليفة الذى قسم حياته كلها: عاما للحج وعاما للجهاد.. وكان هو الخليفة الوحيد فيما أعلم الذى حج إلى الله من بغداد إلى مكة ماشيا.. فينبى أحد السفهاء الذين تحتفل بهم صحفنا الكبرى ومحطات تليفزيوننا ليسخر قائلا أنه ربما كلف الدولة فى حجه ماشيا أكثر مما لو حج راكبا' ..

إننى أنظر بدهشة إليك يا أمة ..

كيف استطالت غيبوبتك إلى هذا المدى ..

أمة يقوم مترفوها بأبشع عملية لتزييف الوعي بتطوير مناهج التعليم.. حيث يأتي خبراء الغرب وصهاينته ليحذفوا من القرآن المقرر ما يشاؤون ولطمس الحق وعرض الدين للأطفال في صورة منفرة والدعاية للغرب.. وذات يوم لقيت واحدا من رجال التعليم المشاركين في ذلك التطوير الشيطاني.. صرخت فيه: كيف يطاوعك ضميرك؟ .. وأجاب الرجل فى استسلام : يأتون بالعشرات .. ويرصدون لهم ملايين الدولارات المحسوبة ضمن المساعدات الأمريكية.. يحصلون على ٩٠% من هذه الأموال، أما نحن، فنحصل على الباقي، على فتات، لكن هذا الفتات بالنسبة لنا كثير جدا، حصلت على عشرة آلاف جنيه، لا لكى أساهم ولا لكى أساعد، فقد جاءوا من بلادهم بالمناهج جاهزة، ما حصلت عليه أخذته لكى أصمت، ولقد صرخ ضميرى، لكننى فكرت أننى إما أن أحصل على مكافأتى وأسلم ، أو أن أرفض وأعرض فأفصل وربما أعرض للقبض علىّ ! وبعد ذلك سيقف مخططهم المرسوم كما يشاءون . صرخت فى الرجل : من أجل دينك هل تملك أى مستند على ذلك كي أنشره؟ .. فأجابنى أن كل التصرفات حتى المالية منها تتم دون مستندات على الإطلاق خشية أن يصل واحد منها إلى واحد مثلك!!

لماذا يا أمة وكيف يا أمة ..

يا أمة يقوم فيها مزور تاريخ لعله سليل من قذف بالروث على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى وفى الكعبة- بإلقاء الروث على كل رمز مضىء فى حاضرنا فلما ظن أنه انتهى من تلويث الحاضر انقلب إلى تاريخنا القريب فراح يتهم مصطفى كامل بما هو منه برئ.. بالانتهازية وعدم الأمانة وبأنه لم يكن يحب مصر!! ..

والهجوم على مصطفى كامل ليس منبت الصلة بالهجوم على الإسلام.. فقد كان رحمه الله من دعاة الدولة الإسلامية ..

أمة تتسع فيها صحيفة الأهرام لآخر وهو يأتي بما لم يأت به أحد من الشرق ولا من الغرب فيكتب فى أهرام الجمعة مدافعا عن سلوبودان ميلوسيفيتش ومنندا بقرار إحالته إلى محكمة جرائم الحرب ومقررا أن صدام حسين كان أولى ..

هذا الكاتب نفسه هو الذى ألقى الروث على رؤوسنا حينما راح يمتدح عظمة كمال أتاتورك بانى تركيا الحديثة ومخلصها من التخلف والجهل.. وهو حين فعل ذلك لم يفعله عن جهل بل فعله بعد أن سرد عنه كل ما هو

خروج عن الدين.. ولم يفعل ذلك خفية ولا في مقالة عابرة بل في كتاب مطبوع ..

وإذا كان الله قد ابتلى هذا الكاتب بحمل الروث فما حمل الأهرام على نقله إلينا ..

ويا مصر كنت الأمل فإذا بك المصاب ..

ويا أمة هناك من يجتهد فيخطئ ويصيب ..

وهناك من يجتهد لكي يخطئ دائما ويتجنب الصواب أبدا ..

لقد أصاب الوباء معظم مفكريك وكتابك يا مصر.. ولولا أن الله قيض لنا من المفكرين الكبار خارجك .. بل وخارج العالم العربي كله من يعيدون طرح الإسلام بنوره وعظمته لنسى القوم أن الإسلام دين .. وأنه من عند الله الذي لا يقبل غيره ..

على عزت بيجوفيتش

في كتابه الهام الإعلان الإسلامي^١ ترجمة وتقديم الأستاذ محمد يوسف عدس يتحدث على عزت بيجوفيتش عن النخبة المثقفة الخائنة فيقرر أنه من بين السلع المشكوك في قيمها- مما يجلبه مستغربونا معهم إلى أوطانهم - أفكار "ثورية" مختلفة وبرامج إصلاح ، و"مذاهب إنقاذ" موصوفة لعلاج جميع المشكلات . فإذا تأملناها مليا نجد- لدeshتنا- نماذج لا يصدقها عقل في قصر نظرها وارتجالها. ثم يضرب المثل بمصطفى كمال أتاتورك" الذي كان قائدا عسكريا أكثر منه مصلحا ثقافيا ، والذي ينبغي وضع خدماته لتركيا في حجمها الصحيح ؛ ففي أحد برامج الإصلاحية منع لبس الطربوش .. وطبعاً ظهر على الفور أن تغيير غطاء الرعوس لا يعنى تغيير ما في هذه الرعوس ولا تغيير عادات أصحابها .

لقد واجهت أمم كثيرة خارج العالم العربى- على مدى قرن من الزمن - مشكلة : كيف تنتسب إلى الحضارة الغربية ، هل ترفضها كلية .. أم تختار منها بحذر .. أم نأخذها كلها خيرها وشرها؟ ولقد تحدت عوامل سقوط كثير من هذه الأمم أو ارتفاعها بالطريقة التى أجابت بها على هذا السؤال المصيرى . فهناك إصلاحات تعكس حكمة أمة ما ، وإصلاحات

١ - مرجع سابق .

تمثل خداع أمة لنفسها ، والمثل على ذلك قائم فى نموذجين هما: اليابان وتركيا^١ .

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يجد المتأمل أن كلا الدولتين تقدمان صورة شبيهة جدا لدول أخرى مثيلة . فقد كانت الدولتان تمثلان إمبراطوريتين قديميتين ، كل منهما له ملامحه ومكانته التاريخية . كلاهما وجدت نفسها على نفس المستوى من التطور .. كلاهما يملك ماضيا باهرا .. وهذا يشير إلى الامتياز العظيم وإلى العبء العظيم فى نفس الوقت .. وفى كلمة واحدة كانت فرصتهما فى المستقبل - عند نقطة معينة - تكاد تكون متساوية .

ثم جاءت الإصلاحات المشهورة فى كل من الدولتين . أما اليابان - فلكى تستمر فى الحياة بطريقتها الخاصة وليس بأى طريقة أخرى - حاولت أن توحد بين تقاليدھا الخاصة وبين متطلبات التقدم. بينما اتجه التقدميون دعاء الحداثة فى تركيا إلى سلوك الطريق المعاكس فتخلوا عن تقاليدهم واندفعوا فى طريق التغريب . فماذا كانت النتيجة ؟ أصبحت اليوم تركيا من الدرجة الثالثة ، بينما اليابان ترتفع إلى القمة بين أمم العالم. ويبدو الاختلاف بين فلسفة الإصلاح اليابانى وفلسفة الإصلاح التركى أكثر وضوحا فى موقفهما المختلف من مسألة حروف الكتابة: حيث قامت تركيا بإلغاء حروف الكتابة العربية فى حين أن هذه الحروف لبساطتها ولأنها تتألف من ثمانية وعشرين حرفا فقط - تعتبر واحدة من أكمل وأرقى حروف الكتابة وأكثرها انتشارا فى العالم . أما اليابان فقد رفضت دعوة مستغربيها فى تبني حروف الكتابة اللاتينية وأصررت على الاحتفاظ بنظام كتابتها المعقد الذى يحتوى على ٨٨٠ شكلا صينيا بالإضافة إلى ٤٦ حرفا أخرى. ورغم ذلك فلا يوجد فى اليابان أمة بينما نجد تركيا بعد أربعين سنة من استخدام الحروف اللاتينية تزيد الأمية فيها على خمسين فى المائة من تعداد السكان الذين يجهلون القراءة والكتابة . وتلك نتيجة تجعل الأعمى يسترد بصره .

وليس هذا هو كل شيء ، فقد أصبح واضحا أن القضية لم تكن مجرد حروف كتابة هى مجرد وسيلة للتسجيل ، ولكن الأسباب الحقيقية وبالتالي النتائج التى ترتبت عليها كانت أكثر عمقا وأكبر خطرا . فجوهر كل

١ - راجع أيضا : النهضة العربية والنهضة اليابانية . د. مسعود ضاهر. عالم المعرفة .

حضارة أو تقدم إنسانى يكمن فى الاستمرارية وليس فى التخریب والتتكر
للماضى . إن طريقة الأمة فى الكتابة هى الطريقة التى تتذكر بها الأمة
وتستمر فى وجودها التاريخى . وعندما ألغت تركيا الحروف العربية فقدت
كل ثراء الماضى الذى حفظته الكلمة المكتوبة . وبهذا الإجراء وحده
وضعت الأمة على حافة البربرية . ومع سلسلة أخرى من الإصلاحات
المماثلة وجدت الأجيال التركىة نفسها بلا دعامة روحية تقوم حياتها ..
وجدت نفسها فى فراغ روحى بعد أن فقدت ذاكرتها الماضىة .. فمن الذى
استفاد بهذا الوضع ؟ .

فهل تستطيع دولة لا تعرف هويتها ولا تعرف أين تمتد جذورها
أن تكون لنفسها صورة واضحة عن الموقع الذى تنتمى إليه ، والأهداف
التي يجب أن تسعى لتحقيقها ؟ .

قد يبدو النموذج الذى قدمه "أتاتورك" مفاجعا ، ومع ذلك فانه يمثل
النمط الغربى لفهم مشكلات العالم المسلم كما يمثل الطريقة التى يفكر بها
الغربيون والمستغربون لإصلاح هذه المشكلات .

هل كان على عزت بيجوفيتش يتحدث عن تركيا..؟

أم عنك كان يتحدث يا مصر..!؟

أم عنك جميعا يابلاذ العرب والمسلمين!!؟

على أنه يعترف بأنه لو ظل ألف عام يدعو قومه للرجوع إلى الإسلام
لما أفلحت دعوته كما أفلحت مدافع الصرب ومذابهم فى إعادة مسلمى
البوسنة والهرسك إلى دينهم

ساعتها اكتشفوا أن الإسلام هويتهم ودينهم وحاميهم من عذاب الدنيا
وخزى الآخرة

ترى هل ننتظر نحن أيضا أن يحدث لنا ما حدث ويحدث لإخوتنا
فى البوسنة والهرسك وكوسوفا حتى نرجع إلى كنزنا الذى أضعناه وحتى
نشفى من الوباء الذى أخذناه؟!..

الله فاعل' !!..

فى نهاية الحديث كان ذلك القارئ على الهاتف يبكى وينتحب حتى ذابت مخارج حروفه فى دموعه ..
كان قد عرفنى بنفسه فهو أستاذ بجامعة الأزهر..

بدأ الحديث بيننا بفجيعة عندما قرأ لى عن تطاول كلاب جهنم على مقدساتنا وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة رضوان الله عليهم .. قال لى أن الناس لا يقرءون ما يكتب أولئك التنويريون .. لكنهم يفزعون كل حين وآخر بأصوات النادبات وهن يلطنن الخدود على كتاب صودر دون أن يعلموا لماذا صودر وأى قدر من الإسفاف يحتويه.. كان الرجل يسأل إذا كان هذا الإسفاف البذى الكافر قد ورد فى كتاب لم يصادر فماذا كان فى الكتب التى صودرت إذن.. أخذ الرجل يصرخ : كان يمكن أن نغفر لهم لو أنهم حاولوا فأخطأوا .. لكن لماذا يحرصون كل هذا الحرص على الكذب.. على خداع الأمة وتزييف وعيها وتغب ذاكرته..

وتطرق الحديث بنا إلى جماعة كوبنهاجن..

وقلت له أننى بعد قراءتى لمقال عبد المنعم سعيد الأخير قد غيرت رأيى فيهم ..

كنت أظن فى البداية أنهم ماجورون عملاء خونة يقبضون ثمن بيعهم لأمتهم وتسليمهم لعدوهم.. وأنهم أشبه بالجواسيس والطابور الخامس.. كنت أظن ذلك.. لكننى اكتشفت أننى ظلمتهم كثيرا .. فطبيعة الجواسيس أن يفروا فور افتضاح أمرهم أو على الأقل أن ينكروا .. هؤلاء لم يفروا ولم ينكروا .. بل أخذ عبد المنعم سعيد فى مقاله الأخير يتفجر غضبا ويتمزق ألما وهو يزعم أنهم دعاة التحضر والسلام وأننا دعاة التخلف والحرب.. أن القصور لهم والقبور لنا .. أن المستقبل لهم والوجود ولنا النسيان والعدم.. أن فكرهم هو الذى أنقذ البلاد وأعاد الأرض وأن فكرنا هو الذى سيعود بالأمة إلى عصور البداوة والجهل .. كان الرجل يكتب بثقة وبيقين وحرقة وألم.. وأنا ضعيف إزاء الألم أينما كان .. قلت لنفسى

١ - الشعب: ١٩٩٩/٧/٢٣ - كما أنها ملخصة ومنقحة عن فصل ورد فى كتاب : إني أرى الملك عاريا للمؤلف .

أنهم ليسوا جواسيس ولكنهم مرضى ذوو فكر شاذ.. وأنهم ربما يعتقدون فى صواب ما يقولون ويفعلون .. تماما كما كان رؤوف مسعد (وهو كاتب يسارى علمانى مثلهم لكنه أشد جرأة وصراحة وكشفا لحقيقة أمرهم) يعتقد وهو يكتب فى روايته أو سيرته الذاتية يدافع عن الشذوذ الجنسى ، ويدين اليساريين أصدقاءه ويتهممهم بالنفاق، لأنهم فى مجالسهم الخاصة يذهبون إلى ما يذهب إليه ، لكنهم للجبن وبقايا البرجوازية فيهم وافتقارهم الشجاعة مثله لا يجرون على مواجهة المجتمع بأفكارهم تلك ..

يقول رؤوف مسعد :

"إنها معركة شرسة عليه أن يقرر أولا أن ما يفعله ليس بذلك الأمر الخطير أو ما سيفعله.. عليه أن يجد الهارمونى بين آرائه ومعتقداته وبين جسده .."

"بدأ الأشياء الصغيرة فى النمو اهتمام كل منهما بالحياة اليومية للآخر خلق واحة مشتركة فى بحر الرمال هذا، ثم بداية البوح التدريجى إنه يبدأ بالبوح الجسدى، تلامس الأصابع تشابك الأيدي، اهتمام الواحد بجسد الآخر وإذا أسعدهما الحظ فإنهما لا ينكشفان تحت النظرات الفضولية المستريية إذا أسعدهما الحظ فبإمكانهما أن يسكنا فى زنزانة واحدة وأن ينقلا برشيهما ليتجاوزا أثناء النوم ليقوم أحدهما فى النهاية بالحركة المؤجلة ويخطئ من يظن أنها علاقة مشابهة لتلك الموجودة فى جرائم غير جرائم الراى ليس هنا أى مجال للمقارنة إن الجسد يتجرد هنا من فعل ليصبح حالة ، من إفراز إلى بوح ليس هنا فاعل ومفعول به بل واحد وواحد فى حالة متساوية ومتشابهة من الرغبة فى مساعدة الآخر على تخطى الحبسة .."

ويواصل الكاتب اليسارى الهام..

".. التقيت اليوم مع صديقى (ص) قلت له أننى أود أن أكتب كتابا عن فكرة استخدام الجسد فى أغراض مختلفة قلت إنى أود أيضا أن أكتب عن السجناء الذين كانوا معى فى الواحات وقبلها فى سجن القناطر وفى سجون أخرى عن العلاقات التى تتم بين المسجونين وبعضهم البعض لم تعجبه فكرة الحكى فى هذا الموضوع قال إن المباحث وغيرها من الجهات المعادية سوف تنتهز الفرصة لمزيد من التشنيع على الشيوعيين والديموقراطيين الذين يدخلون إلى السجون فى بلدنا بانتظام حاولت أن أشرح له فكرتى وهى أن الجسد هو الشيء الوحيد الذى يبقى

للسجين بعد أن تأخذ منه إدارة السجن كل شيء أوراقه كتبه خطابات ملابسه وحتى شعر رأسه باختصار هويته لا يبقى له من نفسه سوى عقله وجسده قلت له حتى الجسد تحاول الإدارة أخذه منه الحمامات الجماعية والمراحيض التي ليس لها أبواب جرادل الخراء في الزنزانة المغلقة لأكثر من عشرين ساعة في اليوم باختصار سحب كل الخصوصية الخطابات تمر على الإدارة وأنت ترسلها وأنت تستقبلها إذن فمحاولة استخدام الجسد بوساطة السجن السياسى أكدت هنا على السياسى للحفاظ على آدميته المهذرة والتمسك بمساحة من الرغبة في الحب المتبادل في العطاء لشخص بعينه لاحظ هنا مبدأ الاختيار المنعدم تماما في الحياة اليومية في السجن كل هذا يعطى السجن فرصاً شديدة الخصوصية في التعبير بجسده ومن خلاله وعن تمسكه بنفسه وبروحه هو لم يقتنع مع أنه كاتب مهم

قلت للصديق على الهاتف: ألا تلاحظ أنه يتحدث بنفس الثقة واليقين والحرقة والألم التي يتحدث بها جماعة كوبنهاجن؟!..

وأن هذه الحرية التي يتحدثون عنها هي التي ينشدونها لنا .. وأنا في تصدينا لفكرهم الشاذ لا يجب علينا أن نهجم بل فقط أن نكشف الأستار عن حقيقة فكرهم ومعتقداتهم.. رحت لأسرد عليه منها حصيفا ورد في كتاب : " علمانيون أم ملحدون " للكاتب الجاد محمد إبراهيم مبروك..^١ وهو كاتب لم تتول نشر كتبه هيئات الدولة ولا وزارات الثقافة المشغولة بنشر ما يهدم ثوابت الأمة.

في كتابه ذاك يقترح الكاتب منهاجاً لمواجهة فكر التنويريين والعلمانيين الشاذ والمعوج، ذلك الفكر المستورد (والأولى أن نقول المصدر من الغرب إلينا) المريض، حيث تنقسم كتابات العلمانيين إلى نوعين: كتابات فلسفية موجهة إلى مرديهم، وكتابات موجهة للناس، وأنه يجب على الإسلاميين دراسة المذاهب والفلسفات الحقيقية التي ينتمون إليها (في قالبها الغربى الأصيل) ودحضها من الناحية الفلسفية وإظهار مدى تناقضها مع الإسلام، بعد ذلك يجب دراسة كتابات مستيرينا العلمانيين لكشف زيفهم وعدم أصالتهم ونقلهم عن المستشرقين، بعد ذلك يجب فضح التناقض بين ما يقولونه في كتبهم الفلسفية الموجهة لمرديهم وتلك الموجهة

١ - علمانيون أم ملحدون - حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين - محمد إبراهيم مبروك - دار ثابت.

للجمهور، حيث لا يتوخون الحذر فى الأولى بعكس الأخيرة، خوفا من افتضاح أمرهم بين الناس، بعد ذلك يجب التركيز على أن العمالة الثقافية خيانة وطنية، وأن مجمل أفكارهم متناقضة مع الدين تناقضا ينقلهم من الإيمان إلى الكفر.

ثم قلت له : دعنا من ذلك الآن.. قد نتحدث عنه فى وقت آخر.. إن ما يشغلنى الآن موقف الأزهر المشلول فى أمة مشلولة..

كنت أصرخ لماذا لم يبتدع طلاب الأزهر نمطا جديدا للمقاومة عندما دنس الحاخام أزهرهم.. لقد ابتدع أطفال فلسطين بعد أن عجز الكبار - ثورة الحجارة التى أذلت الصهاينة حتى أخمدها العرب!.. لماذا لم يبتدعوا شكلا جديدا للمقاومة.. لماذا لم يذهب عشرة آلاف طالب يفتershون الأرض.. يصلون ويقرءون القرآن أمام مكتب فضيلة شيخه.. فلا يدخل الحاخام أبدا ..

هل كان يمكن لقوات الأمن أن تقتل ألفا أو أن تعتقل عشرة آلاف ..

وحتى لو فعلت لانفجرت الأمة وما دخل الحاخام ..

كنت أقول لذلك الأستاذ أن الخطأ ليس خطأ شيخ الأزهر وحده بل خطأ الأزهر وخطأ الأمة التى تراجعت عن بيعها لله..

أين راح شرفنا ونخوتنا وحرصنا على الجهاد.. إننا نريد أن نجاهد فى سبيل الله بشرط السلامة.. بشرط ألا نقتل ولا حتى نجرح .. وبشرط ألا يخصص للموظف منا يوم من راتبه.. وذلك لا يمكن أن يكون جهادا فى سبيل الله بل خيانة لله..

استبد بى الغضب فهتفت فى ذلك الأستاذ بجامعة الأزهر : أين كنتم ؟ .. أين الناس ؟؟ أين الأمة ؟؟ لماذا لحقهم التشويه لماذا انتشر فيهم الوباء ؟؟ لماذا انهزموا ؟؟ لماذا لم ينج منهم أحد ؟؟.

عندها راح الرجل يبكى ..

وجاءنى سؤاله عائما فوق طوفان دموعه:

- هل يعنى ذلك أنه لا أمل ..

وقلت له أن مفردات الواقع تشي بياس مطبق أسود لا يرى ثمة بصيص ضوء.. فإننى لا أدعى -كما يدعى السفهاء - ولا أزعم - كما يزعم الأغبياء - أن جموع الأمة بخير، بل أعترف أنها -جميعها - بشر، الحكام والمحكومين، النخبة والعامّة، المجنسين والبدون، الصفوة والحقالة

والقضاء والجيش والشرطة والاقتصاد والصناعة والزراعة، والأزهر
والحرم والأقصى، ليس ثمة عندنا ما لم يلحق به البوار..

نخرب بيوتنا بأيدينا ...

لا منهج يقودنا ..

ولا نبراس يضيء الطريق لنا..

ولو نظرنا إلى كل الفئات لوجدنا أن أكثر ما أساء ولوث بالعار كل
فئة لم يكن الأعداء ولا الاخوة أو الأصدقاء، بل أبناء الفئة نفسها..

فمن أساء إلى هيبة الحكم هم الحكام أنفسهم ..

ومن أساء إلى الدين رجال الدين..

ومن أساء إلى الأزهر شيخ الأزهر ..

ومن أساء الجيش هم قياداته..

ومن أساء إلى الشرطة هم ضباطها ..

ومن أساء إلى القضاء قضاة ..

ومن أساء إلى رجال النيابة رجال نيابة ومن أساء إلى المثقفين
مثقفون، وإلى الصحفيين صحفيون، وإلى الكتاب كتاب، وإلى أحزاب
الأغلبية أحزاب الأغلبية وإلى أحزاب المعارضة أحزاب معارضة وإلى
الأمة سكوتها عن كل هذا..

لقد افتقدنا المنهج..

لقد كانت طريقة إدارتنا لكل شئوننا تفتقد إلى منهج، لذلك كان الفشل
هائلا والكوارث فادحة..

وجاءنى عبر الهاتف صوت الرجل الباكي: ما العمل؟..

قلت له أننى لا أملك تفاصيل حل بل أملك منهجا ..

لست أملك وصفة سحرية نتجرعها فى المساء فإذا بالصباح يأتى
وقد انقشعت الغيوم ورحلت الهموم وانتهت الكوارث وتحولت الهزائم
إلى انتصارات ..

لا أملك ذلك الحل، لكن ما لا أملكه أنا قد يملكه ٦٥ مليون مصرى
وأغلب الظن يملكه ٣٠٠ مليون عربى ويقينا يملكه ١٥٠٠ مليون مسلم ..

الحل فى تبني منهج الحضارة الإسلامية فى مواجهة قضايانا ..

المنهج الشامل الكامل الذى هو أوسع من أى جماعة أو حزب لأنه يستوعب الجميع ..

المنهج الذى نسيناه، والذى يتير عليه العلمانيون الغبار ويقذفوا الأوحال.. المنهج الذى يعيد إلينا الثقة بديننا.. والذى يجعل هذا الدين حتما لا مناص منه.. ليس لأن الإسلام هو الحل لمشاكل دنيانا.. بل لو لم يحل الإسلام لنا أى مشكلة من مشاكل دنيانا وهذا افتراض غير صحيح فليس أمامنا سواه .. وليس لنا اختيار.. المنهج الذى يجعلنا نشعر بأننا الأعلون..

إن جهد الأمة الآن يجب أن يكرس لا لإصلاح شامل جذرى يستحيل حدوثه، بل لتحقيق توازن مبنى على قانون إلهى ربما يشبه قانون الكتلة الحرجة فى الفيزياء، وهو قانون لا يتحكم فيه الكمبيوتر ولا يجرى حساباته العقل بل القلب، قانون لا يخطئ، ويقضى بأننا لو استطعنا أن نربى أمام كل ألف خائن مخلص واحد لانتصرنا..

قلت له استخلص العبر من التاريخ منذ صفين والجمل وكربلاء حتى جماعة كوبنهاجن، عن شرفاء تدنوا، وأطهار تدنسوا، وأبطال خانوا، وأتقياء فسقوا وأسوياء انحرفوا، ومجاهدين بلغ بهم الانحراف بعد أن رفعوا لواء الثأر لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أن ادعوا النبوة- لماذا يفسد الكل ويتعفن؟ لماذا.. الإجابة واضحة وجلية : افتقاد المنهج ..

قلت له تسألنى عن الحل؟.. الحل أراه بقلبي بعد أن كلت عيني.. ببصيرتى بعد أن زاغ بصري.. الحل أمل فى الله ويقين به ورجاء أن تسبق رحمته بنا عدله فينا.. وأننا مساقون سوقا إلى منهجه وإن أينا..

وبهذا المنهج أقول لك أيها القارئ أننا برغم كل هذا الانهيار سننهض لننتصر ..

بهذا المنهج أقرر أننا أنا وأنت نحن الأقل لكننا الأعز، وأننا نحن الضعفاء، المحاصرين، المعتقلين، المعذبين، الشهداء، نحن الذين ننتصر فى النهاية دائما رغم كل عناء، وأن التاريخ يلقي بالآخرين فى مزابله، وأن الله يفصل بيننا يوم القيامة..

إن المستقبل غير كل تصوراتنا له ، والإعجاز الإلهى فى الخليفة يأبى إلا أن يكون معجزا ..

إن منهج الحضارة الغربية يعتمد على المادى المجرب المحسوس، فهو أشبه بجسد بلا روح، أما جوهر الحضارة الإسلامية فإنه يعتمد على كل ذلك مضيفاً إليه قوة ودعماً لا نهائياً هو قوة الروح، وهنا إذن يكمن جوهر نملكه لا يمكن أن يتمتع أعداؤنا بمثله، جوهر الإيمان بأن وعد الله حق، جوهر الإيمان، لا بالله فقط، بل بنواميس الله التى خلقها والتى تحتم دائماً وأبداً انتصار الحق واندحار الشر مهما بعد المدى ومن هذا المنظور وبهذا المنهج يجب علينا أن نقرأ التاريخ وأن نتأمل عبرته، إن خيانة الحكام والنخبة ليست بحادث طارئ، فعبّر التاريخ كله كان حكامنا يخونون قضية أمتهم، تاريخ الحكام هو تاريخ الخيانة والبطش والجبروت والتزوير والكذب، إننا نقع فى خطأ تفسير المستشرقين بما يكتفه من نوايا السوء، حين نطالع تاريخ الحكام مفترضين أنه تاريخ الحقيقة، وليس إلا سلسلة من الأكاذيب لإخفاء الحقيقة، كان الحكام يخونون، لكن الناس كانوا فى نفس الوقت يصوغون حضارة شاملة ورائعة فى كافة فروع العلم والدين والأدب والمعرفة والحرب، تلك الحضارة هى التى بقيت لنا وللعالم، أما الحكام فقد ذهبوا فى مزابل التاريخ . انظروا فى تاريخ البشرية منذ آدم، وتعلموا أنه يتوجب علينا ألا نرفض الشر، لأن الله هو الذى خلقه لئبلونا به، ليمتحننا، علينا إذن أن ندرك الحقيقة المعجزة فى بساطتها، فى بهائها، فى سطوعها الذى يعمى الأبصار عن رؤيتها، أن الله فاعل فى هذا الكون، لا تتجاهلوا أهم عنصر فى أى صراع فى هذه الدنيا، أن الله فاعل . المادى المجرب المحسوس موجود وعلينا أن نتلمس به الأسباب لكن الله فاعل . حسابات الحاسبات الضخمة موجودة ويجب أن نحترم ولكن الله فاعل. الله فاعل فى هذا الكون، إن المؤمن ليس مطالباً بالقوة كلها بل بما يستطيع منها، وأنه حين يتجرد ويخلص، فئمة قانون أشبه بقانون الفيزياء الذى يتحكم بالكثلة الحرجة التى يتحقق بعدها الانفجار النووى، لقد طبق القانون الذى يقضى بأنه حينما يكتمل قدر معين من التجرد والإخلاص، يأتى نصر الله الموعود ليقرب كل موازين القوى. انظروا إلى بدر، انظروا إلى غزوة الخندق، انظروا إلى الحروب الصليبية، انظروا إلى الحرب العالمية فى حطين حين خرج صلاح الدين من مصر بجيش قوامه اثنا عشر ألفاً ليووجه مئات الآلاف من جيوش الصليبيين، ولينتصر؛ بالقانون الإلهى الذى لا ندرك كنهه، انظروا إلى ما حدث أيامها عندما جند

ملك الألمان جيشا جرارا من ثلاثمائة ألف مقاتل لينجد به الصليبيين وليقضى على المشكلة من جذورها باحتلال مكة والمدينة، وبدأ الجيش الجرار زحفه، تخيلوا لو أن هذا الجيش وصل إلى ساحة الحرب ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة؟..كيف كان يمكن أن يكون تأثيره على الجغرافيا والتاريخ؟ هل تعرفون ماذا حدث لهذا الجيش؟ حدث أن الله فاعل، أن الله غالب على أمره، لقد نشبت الصراعات بين الجيش واستحر القتل، ثم غرق الإمبراطور وهو يستحم فى ترعة صغيرة فخلفه ابنه، ثم فشت الأوبئة فمات الابن أيضا، فهل تعلمون كم وصل من الجيش الجرار إلى ساحة الحرب فى فلسطين؟ ألف ألف فقط منهكين متعبين مهزومين، الله فاعل، الله فاعل، انظروا إلى صراع الخير والشر منذ آدم، لو اتبعنا قواعد التفكير العلمى بمنطق أهل الأرض، بالمادى المجرب المحسوس وبأدق وأضخم الحاسبات، لانتهى الخير بالهزيمة الماحقة بعد بضع عشرات أومئات من السنين من بداية البشرية، لكن الله فاعل، ألق البذرة فى الأرض كيفما شئت لكنها ستنتبت فى اتجاه الشمس، اقلبها، سيستدير الساق نحو الشمس، الله فاعل.. انظروا إلى تلك النسبة المعجزة فى الإنسان والحيوان والنبات بين الذكور والإناث وملاءمة ذلك لكل جنس منها، وانظروا إلى زيادة نسبة المواليد الذكور بعد الحروب الكبرى حين يهلك كثير من الرجال، الله فاعل، وثمة قوة لا ندريها ولا ندرك كنهها لكننا نؤمن بها هى التى تحدد النهايات والمصائر، الله فاعل، لكن خطيئتنا الكبرى أننا - خاصة بمفهوم الحضارة الغربية - نعطى العقل أكثر مما يستحق، وليس العقل إلا بعضا من الإنسان قدراته محدودة ومحكومة بوسائل الجسد فى تحصيل المعارف، لقد خلقنا الله ثم أعطانا من العقل ما نحتاج فعلا إليه، ما ندرك به النسبى لا المطلق، الناقص لا الكامل، والعقل يشبه حقبة جراح تحوى من الآلات ما يمكنه من إجراء عمليات محددة، لا يمكنه أداء سواها، وعدم استعماله فيما خلق من أجله حماقة واستعماله فيما لم يخلق من أجله جنون، تماما كما أن الله قد خلق لنا قدمين نسير عليهما، فإن من يتوقف عن استعمالهما أحقق استدفع حماقته بقدميه إلى الضمور، أما من يحاول استعمالهما للسير بهما على السحاب فهو مجنون ثم أنه لا محالة هالك، الله فاعل، والعقل البشرى محدود، فإذا كنا نؤمن بكل ذلك فلماذا نستبدل المنهج الأرضى بالمنهج الإلهى؟.. وكيف بعد ذلك ننتظر الفلاح والنجاح؟..

الله فاعل ، انظروا إلى صراع الخير والشر من الأزل إلى الأبد، لقد كان المدافعون عن الخير دائما هم الأقليون، هم المستضعفون في الأرض، كان عددهم في كل بقعة من بقاع الأرض لا يتجاوز العشرات إزاء الآلاف، أو الآلاف إزاء الملايين، لكنهم هم الذين انتصروا دائما، لو أخضعتم التاريخ لمقاييس العقل الأرضي لما بقي في الأرض خير، واحد في الألف هم الذين رفعوا الراية دائما عبر التاريخ وسلموها من جيل إلى جيل، واحد في الألف أظهر الله دائما إلى أيديهم وقلوبهم نوره، واحد في الألف هم الذين أصروا دائما على ألا يستسلموا، ولقد كان الحكام دائما في الجانب الآخر، عدا استثناءات نادرة سجلها التاريخ واحتفى بها أيما احتفاء، واحد في الألف، هم الذين أدركوا أنهم جند الله في الأرض وأنهم هم الوارثون، ليست خيانة الحكام والنخبة اكتشافا جديدا، ومع ذلك، هم الذين يذهبون ملعونين - في أغلب الأحوال - حتى نهاية الزمان ونحن الذين نبقي، نحن المستضعفين، ولست أدعى أننا كنا على الحق دائما، لكننا حاولنا طول الوقت فكنا الخطائين التوابين، نحن الذين بقينا، نحن الذين ذبحنا وقتلنا وعذبنا وحرقنا وصلبنا وسجنا وهزمتنا وتقولت علينا الأقاويل وزيف ضدنا التاريخ، هم ذهبوا ونحن بقينا، لأنهم أطفأوا نور الله فيهم فلم يبق فيهم إلا الوجود الحيواني الذي لا يترك خلفه بعد الموت إلا نتن الجيف، نحن، نحن المستضعفين من الله علينا فأدركنا أننا حملة راية نور تنتقل من جيل إلى جيل، أدركنا أننا نحملها كأمانة تعهدنا بها قبل أن نولد بملايين السنين لنوصلها إلى بعد أن نموت بملايين السنين، كي نقف أمام الله يوم الحساب يباهي بنا نبينا عليه الصلاة والسلام الأمم، نقف منتصرين خالدين لا نموت، ليس يضيرنا إذن أن يسقط منا فرد أو مليون فرد، فنحن نحارب من أجل قضية خلق ووجود وكون لا يحده زمن ولا وطن ولا جيل ولا فرد، قضيتنا مستمرة استمرار الوجود، ولأننا واثقون أن رايثنا هي التي تصل، فلا محل عندنا لليأس ولا انتظار للنصر، لأننا منتصرون ونحن محاصرون، منتصرون ونحن نقصف بالصواريخ أو نعدم بالرصاص، منتصرون معلقين على المشائق، منتصرون مصلوبين، منتصرون لحظة اتخاذ الموقف لا لحظة النتيجة الأرضية، منتصرون حين انتصرنا في الجهاد الأكبر على نفوسنا فتوقفت ذواتنا عن التضخم، توقف كل واحد منا عن اعتبار نفسه مركز الكون وأن موته هو نهاية الدنيا، توقفنا عن

انتظار جنى ثمار جهادنا فى حياتنا، نحن نحارب اليوم كى ننتصر بعد ألف عام، تاما كما حارب الحسين كى ينفى الشرعية عن اغتصب الحكم رغما عن المسلمين، ولو أنه استسلم لحل لكل غاصب غصيبته، قولوا لى من انتصر، يزيد أم الحسين، انظروا، لتدركوا أن جهادنا نحن هو الذى يبقى فى قلوب الناس وأن كلامهم زبد يذهب فى الأرض جفاء. نحن خسرنا الدنيا فلا نطيق أن نفقد من الآخرة شيئا وهم فقدوا الآخرة فلا يطيقون أن يخسروا من الدنيا شيئا، وما خسرنا الدنيا لقلّة حيلة لكننا أدركنا أنها لهو ومتاع الغرور، أنها جيفة، ولولا هوانها إلى الله ما رزق فيها كافر بشربة ماء، لذلك استعصت قلوبنا عليها، لا لزهدها، بل لطمعنا فيما هو خير وأبقى. فإذا كانت الدنيا جيفة فما موقع التاريخ الكذب من الجيفة وما قدر حكام خانوا فيها. انظروا إلى سر الإعجاز الإلهى فى خلقه .. إن الواحد فى الألف هو الذى يحدد مسار التاريخ، وهو برغم الأغلبية الكاسحة يتطور باستمرار إلى أمام، إنهم دائما يعرقلون التطور، يؤخرونه، لكن مشيئة الله هى التى تنفذ على أيدينا فى النهاية، هذا الواحد فى الألف لم يخبرنا به حساب ولا تجربة ولا جهاز كمبيوتر بل أنبأنا به الله حين أخبرنا أنه يأمر آدم يوم القيامة أن يأتيه بحصاد جهنم فيأتيه من كل ألف بتسعمائة وتسعة وتسعين، الواحد فى الألف إذن هى الكتلة الحرجة التى يحدث بعدها الانتصار، فهل نعجز كأمة أن نربى من كل ألف واحدا وأن يثبت هذا الواحد وهو على يقين من نصر الله..

إننا الآن فى الزمن الذى أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم، الزمن الذى يخرج فيه الناس من دين الله أفواجا، زمن العولمة، فهل تعجزين يا أمة الإسلام أن تعطى من كل ألف واحدا فقط ؟ أجل، فليثبت منا من كل ألف واحد، وسيكون لنا النصر

أرأيت أيها القارئ كيف يمكن أن يغير المنهج من نظرتنا للأمر، لسا مطالبين إذن بالمستحيل، ولا مطالبين بما قد يؤدي إلى مجازر الشعوب والحروب الأهلية، مطالبون فقط بما نقدر ونستطيع، فليكن فى الحاشية والجيش والشرطة والقضاة والنيابة والمجتمع كله صالح واحد بين ألف طالح، وسينتصر الواحد الصالح لكن هذا الصالح عليه ألا يخشى إلا الله، أن يعبد الله حقا ويعرفه حقا ويجاهد فى سبيله حقا.. إن الآخرين يعرفون

عن قوانا الكامنة أكثر بكثير مما نعرف، لكن الجهل والخيانة يحاصرانا، وعلى سبيل المثال فما أكثر ما كتب عن كتاب صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمى، ما أكثر ما كتب عنه، لقد قدمه البعض للقارئ كما لو كان كتابا لا يأتيه باطل، ومع ذلك لم يذكر أحد أن رأي المؤلف : " صمويل هنتجتون " فينا أفضل من رأينا فى أنفسنا، يقول الكاتب : " طالما أن الإسلام يظل - وسيظل - كما هو الإسلام، والغرب يظل - وهذا غير مؤكد - كما هو الغرب، فإن الصراع الكبير بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما فى الحياة سوف يستمر .."

أجل .. مهما كانت كثافة الظلام فى الحاضر، ومهما كانت حسابات العقل متشائمة، فإنه لا ينبغي أن نياس من المستقبل فئمة وجه آخر للأمر علينا ألا نغفله، ذلك أن التطور البشرى كله مبنى على اكتشاف خطأ ما ظنناه حقائق راسخة لا يتطرق الشك إليها، إن حساباتهم الآن أننا نحضر .. حسابات صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وجنود كرومر وجماعة كوبنهاجن أيضا تقول ذلك..

فهل نستئس !!؟

لا .. لا يحق لنا نحن مهما صادفنا من إحباط أو نكران أو فشل أن نياس، فنحن لا نجاهد من أجل قضية شخصية ولا من أجل مجد أرضى، قضيتنا هى إعلاء كلمة الله، وهى قضية محسومة، نحن على الحق، من يسقط منا فاز، ومن يستمر يفوز والقضية فى كل الأحوال مستمرة. حتى الأخطاء والهزائم، يوظفها الله لنا كى تكون جنودا لنا، وانظروا فى عصرنا الحديث إلى تصرفات بعض دولنا، لقد كان تصرفها ضد مصلحة الأمة كى تثار فى الضمائر الآن تساؤلات عن شرعية وجودها، هذه التساؤلات المثارة اليوم سوف تنفجر غدا، وسوف تغير الجغرافيا والتاريخ، انظروا مثلا إلى الأزهر عندما نسى دوره ليدعم السلطان، عندما راح يقارن كامب ديفيد بالحديبية، لقد انصرفت الأمة عنه، عزلته كى توقف تأثيره الضار على وجدانها، وحل محل الأزهر خطباء

مساجد نصف ما يقولونه من أحاديث هي أحاديث موضوعة، وبرغم ذلك فبجهل الجهلاء لا بعلم العلماء احتفظت الأمة بتوجيهها الصحيح، تماماً كما يحافظ الصدا على تماسك هيكل معدني ضخم لو أزلت منه الصدا لانهار، فانظروا فيوض الكرم حين ينصرنا بضعفنا ويحفظ عقلنا بجهلنا، انظروا أيضا إلى البوسنة، لقد كانت محاولة استئصال شأفة الإسلام هي نفسها الطريق إلى انبثاق أول دولة إسلامية في أوروبا الحديثة. اقرؤوا كتاب : الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ، اقرؤوه لتدركوا أن الله سوف يسبب لكم الأسباب .. انظروا وأيقنوا إذن بالنصر، واعلموا أن مأساة البشرية ليست في الموت بل في الخلد، وما الموت سوى عرض عابر، لقد كنا أحياء قبل أن نولد، وسنحيا بعد أن نموت ثم نبعث ثم لا نموت أبدا، وإنما عندما نبدأ الطريق ندرك أن اخوة وأبناء لنا سوف يكملون ما بدأنا، ما لراية ترفع مشيئة الله أن تسقط فأبدا لا تستئسوا، بعون الله سوف ننجح، سنوقف التعذيب وسنمنع التزوير وسنقضي على الفساد وسنوحّد الأمة وسنحارب إسرائيل كافة كما أمرنا الله - لا لكي نعيدها إلى حدود ٦٧ بل حتى نزيلها من الوجود- ..

لو أن إنسانا شريفا وعدك وعدا فإن وعد الحر دين عليه ولو أن جلالة ملك أو فخامة رئيس أو سمو أمير أو معالي شيخ وعد وعدا فإن وعده أمر .. أما إذا وعدنا الله نفسه فإن وعده قضاء لا رد له ومجرد الشك في حدوثه معصية نبرا إليه منها

لقد فشلت الدول، وفشلت الأحزاب وفشلت التجمعات لكننا نحن كأفراد سننجح ..

نحن شتلات الزمن الآتي، نحن الذين سنحافظ بإذن الله على اليقين فنى قلوبنا كي نمنحه لمن يأتي بعدنا ، نحن جيش الله، وعلى كل فرد منا أن يدرك أنه يحارب وحده وأنه جيش وحده وأن وعد الله حق ونصره قريب ..

علينا أن نحافظ على أنفسنا، على مبادئنا وقيمنا وأفكارنا كي
لا يصيبنا البوار والعفن الذى أصاب الذين من حولنا ..

علينا أن نناضل ونكافح وأن نستعد للاستشهاد فى كل لحظة، فما أقل
عدونا وما أكثر أعداءنا ..

علينا أن نفعل كل ذلك بحب وثقة ويقين فنحن جنود، أوصانا قائدنا
بمهمة، وعلينا القيام بها، حتى لو متنا فى الطريق، فالقائد يعلم، وقد كان
قادرا على أن ينفذ مهمته بقدرته دون تكليف لنا، لكن التكليف امتحان لنا،
ليس من حقنا نحن الجنود أن نسأل القائد لماذا يفعل ما يفعل، فكوننا لا نقرأ
إلا صفحة من كتاب الوجود ثم نذهب يحتم علينا بعدم اكتمال المعرفة
ألا نسأل أو نعجب أو نعترض، ثم أنه سبحانه ما ضنّ علينا بوعده النصر،
إن الإيمان الأكمل كان يقتضى منا أن ننفذ ما كلفنا به حتى دون وعد، لكنه
سبحانه رحم الضعفاء فينا، نحن لا نصل إلى الغايات بل نتبع الوسائل،
وفى وسائلنا ينبغي أن نكون دائما كما أمرنا، ولا عذر لنا، تحت أى ظرف
من الظروف، فى أن نتخلى عن نبينا وشرفنا، ولا أن ننسى أبدا أننا خير
أمة أخرجت للناس ..

كل نفس ذائقة الموت ..

اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ..
هل تتقون يا أمة يوما ترجعين فيه إلى الله ..
لقد كانت تلك الآية هي آخر آية أنزلت في القرآن .. قبض الرسول
صلى الله عليه وسلم بعدها بأيام ..
فهل تتقون يا أمة ..
أريحى قلبى وصارحينى ..
هل تتقون يا حكامنا ..
يا ملوكنا ورؤسائنا ووزرائنا وأمرائنا ..
هل تتقون يا قادة جيوشنا ويا كتابنا ويا رؤساء تحرير صحفنا ..
هل تتقون يا رجال أمننا .. يا ضباط مباحث أمن دولتنا ..
هل تتقون ..
بل هل تؤمنون حقا ..
ناشدتكم الله أن تجيبوني ..
فإن لم تجيبوني فأسروا بها إلى نفوسكم ..
هل تتقون يوما ترجعون فيه إلى الله ..
بل هل ما زلتم تؤمنون بذلك اليوم ..
هل تعرفون أنكم ميتون؟! ..
وأن ما منكم إلا واردها ..
وهل يبلغ يقينكم بها معشار يقينكم بأصنام عبدتموها من دون الله ..
قيل لأم هارون العابدة الدمشقية :

أتحبين الموت ؟..

قالت : لا... .

قيل : ولم ؟..

قالت : لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته ؟

فكيف تفكرين يا أمة في لقاء ربك ؟..

أم تشكين في البعث ، وترين أن الموت ربما يكون عدما تاما ، فلا بعث للخلق بعد الموت ..

لقد كان من آخر ما نطق به الرسول عليه صلوات الله وسلامه قبل موته :

أخرجوا المشركين من جزيرة العرب..

هل الأمريكيون مؤمنون ؟..

وماذا تفعل تلك القواعد الأمريكية هناك في رحاب حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم..

قال الشيخ صفى الرحمن المباركفوري في (الرحيق المختوم) لما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صلى الله عليه وسلم ، وتتضح بعباراته وأفعاله. فاعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوما، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب ، وتدارسه جبريل القرآن مرتين. وقال في حجة الوداع : إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا.. وفى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد.. لف على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى المنبر، فقال : (إني فرطكم ، وإنى شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإنى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها).. وعرض صلى الله عليه وسلم نفسه للقصاص قائلا : من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليتسقد، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضي فليستقد منه .. ثم قال : (إن عبدا خيره الله أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده ، فأختار ما عنده) .

قال أبو سعيد الخدرى : فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال فديناك
بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له..

تنافسنا بعدك يا رسول الله ..

خلقنا الله شعوبا لنتعارف لا لنتعارك لكننا تعاركنا ..

بل وأشرك الكثيرون منا ..

فهل تؤمنين حقا يا أمة ..

هل تؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
وشره؟..

هل ما زلت تؤمنين بأن الله أقوى من كلينتون وجور وبوش؟!..

وبأن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ما زالت أجدر بالاتباع
من وصايا النظام العالمى الجديد..

منذ زمان طويل لم تعودى ترين الله يا أمة .. فهل ما زلت تؤمنين
أنه يراك؟!..

أريحى قلبى يا أمة شرار الناس فيها في خفة الطير وأحلام السباع
لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.. أريحى قلبى فأجيبى: كيف يمكن
أن تؤمنى بالبعث ثم تعزلين الحياة الدنيا عن الآخرة..

أم أن ما أنزل به خاتم النبيين ليس إلا أساطير الأولين..

هل تؤمنين يا أمة بالصور..

ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض

حين ينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخرأ بالديمومة
والبقاء، ويقول:

لمن الملك اليوم

لمن الملك اليوم

لمن الملك اليوم

ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول:

لله الواحد القهار

هل ما زلت تؤمنين يا أمة بأنه : فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم
بالساهرة

هل تؤمنين بأنه : ثم ينفخ أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: أيها
الناس هلموا إلى ربكم { وقفوهم إنهم مسؤولون } : {ثم إذا دعاكم دعوة
من الأرض إذ أنتم تخرجون }.

هل تؤمنين يا أمة أنه في ذلك اليوم ذى الأياويم يقال : أخرجوا بعث
النار، فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون..
هل تؤمنين بالبعث حقا يا أمة!؟..

حين يتجلى الله علينا ..

وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون..

ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون..

فهل تؤمنين يا أمة بلغها رسولها الأمانة وأدى الرسالة..

رسول خَيْرَ بين أن يكون رسولا ملكا أم رسولا عبدا فاختار
العبودية للرؤية.. رسول تذكّر في سكرات الموت أن عنده سبعة دنائير،
فراح يأمرهم بالصدقة بها، ثم يغمى عليه ، فينشلون بوجعه ، فدعا بها،
فوضعها في كفه وقال :

"ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه "!!.."

ثم تصدق بها كلها.

يا خلفاء محمد والأمناء على دينه ما بالكم بسبعة ملايين.. بسبعمئة
مليون.. بسبعمئة مليار .. بثمانمئة مليار نهبتموها من أمتكم يا كلاب النار
يا حطب جهنم وأودعتموها عند أعداء الله يستقون بها علينا ..

فى سكرات الموت ثقّلت عليه سبعة دنائير وأنتم فى غمرات الحياة
لا تأبهون لا بالمليارات ولا بأمّكم..

كيف نسيت تاريخ نبيك يا أمة..

كيف نسيتم فحوى ورمز ما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله
عنها.. ففى سكرات الموت ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
أصلى الناس ؟ فقالت : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضعوا
لى ماء فى المخضب (وهو إجابة تغسل فيها الثياب) . ففعلوا ، فاغتسل ،

ثم ذهب لينوء (ينهض) فأغمر عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ فقالوا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله . قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله لصلاة العشاء فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن يصلى بالناس .. حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إليهم وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهُمُّوا أن يفتتنوا من الفرح برؤيته فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر ودخل فجعل يدخل يده في إناء به ماء فيمسح بها وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده صلى الله عليه وسلم ..

هكذا كان اهتمام رسولنا صلى الله عليه وسلم بالصلاة عماد الدين وهو في سكرات الموت..

أحد علوجنا صرخ عندما نودى للصلاة في مجلس شعب أو أمة .. صرخ يمنع الصلاة.. صرخ الأتاتوركي المصري يقول أن العمل صلاة.. وأن اجتماع المجلس صلاة.. اجتماع المجلس بمن فيه من المزورين اللصوص تجار المخدرات صلاة.. وصرخ الأتاتوركي يقول لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين فكيف خضعت إن كنت تؤمنين يا أمة !؟ ..

عندما قبض الرسول افتنن الناس قائلين: لم يميت رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر فكشفه الصديق ..تصف أم المؤمنين عائشة ما حدث.. إذ لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يقولون: لم يميت النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحي. فجاء أبو بكر فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه وقال: أنت أكرم على الله من أن يميتك مرتين. قد والله مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يقطع أيدي أناس من المنافقين كثير وأرجلهم. فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال : من كان يعبد الله فإن الله حي لم يميت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ". قال عمر: "فلكأنني لم أقرأها إلا يومئذ". ورجع عن مقالته التي قالها ..

لماذا انقلبت على أعقابك يا أمة ..

لماذا عبدت طواغيت الأرض ..

لماذا استسلمت لهم ..؟

هل نسيت أم أنسيت ..؟

هل ضللت أم أضللت ..؟

"كل نفس ذائقة الموت" يا أمة ..

"إنك ميت وإنهم ميتون" يا أمة ..

وخرج الناس يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم يتلونها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم.

فلماذا لا تتلونها الآن يا أمة!؟ ..

لماذا نسيت واستسلمت لطغائك ..

لماذا تركتهم يشوهون تاريخك الوضئ المضئ الباهر ..

لماذا نسيت آخر ما كتبه الصديق رضى الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب إننى أستخلف بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا وأطيعوا فإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى إياكم خيرا، فإن عدل فذلك الظن به ، وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردت ، ولا علم لى بالغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وفى سكرات الموت دخلوا على أبى بكر ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلى . فقالوا ؟ ما قال لك ؟ قال : قال إننى فعال لما أريد . ثم سأل أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين . قال : فإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى لغد فإن أحب الأيام والليالى إلى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

كان صديقا لله وللرسول لا للغرب والشيطان ..

لماذا لم تتأملى يا أمة فى وصية أبى بكر رضى الله عنه - أنه حتى

عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مرهونا بعمله ..

لماذا تركت حكامك وطغائك وجلاديك وملوكك ورؤساءك يرزحون على صدرك يخنقون دينك دون أى برنامج يعدون حتى به ولا ينفذوه..

لماذا لم يذهب شيوخنا وفقهائنا ومفكروننا وزعماء التنوير فينا ليقولوا لأى حاكم ما قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما وهو فى سكرات الموت:

اتق الله يا عمر ، واعلم أن الله عملا بالنهار ، لا يقبله بالليل ، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا.

فلماذا خفت موازينك يا أمة ؟..

لماذا لم تواجهى شيوخك الذين ضلوا وأضلوا بهدى الحاخامات لا بهدى الله .. لماذا لم تذكرهم بذلك الذى ذهب إلى ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يعالج سكرات الموت يقول :

أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة .
فيرد عليه أمير المؤمنين :

وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لى .

قال عثمان بن عفان : أنا آخركم عهدا بعمر ، دخلت عليه ورأسه فى حجر ابنه عبد الله ، فقال له : ضع خدى بالأرض . قال عبد الله : فهل فخذى والأرض إلا سواء؟ قال عمر : ضع خدى بالأرض عسى الله أن ينظر إلى فيرحمنى. قال عثمان : وسمعتة يقول : ويلي وويل أُمى إن لم تغفر لى حتى فاضت نفسه .

عمر..

عمر رضى الله عنه ينشد رحمة وغفرانا من الله لم ينشدها من ملوكنا ملك ولا من رؤسائنا رئيس ولا من أمرائنا أمير..

لماذا لم تذكرى - يا أمة - فقهاء قانونك ووضاع دستورك وقضاتك العسكريون- وللأسى غير العسكريين أيضا- بأن احتمال خطر قد يلحق بحاكم لا يسوغ ترويع الرعية وقتلهم أو اعتقالهم وحبسهم وترويعهم.. لماذا لم تذكرهم بما حدث عندما اشتد الحصار على الخليفة ذى النورين أمير

المؤمنين حاكم نصف العالم المعمور عثمان بن عفان رضى الله عنه فتوجه إليه على بن أبى معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه أمامه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار، ولم يستطيعوا الدخول حتى حملوا على الثوار وفرقوهم .

ثم دخلوا على عثمان فقال له على رضى الله عنه :

- السلام عليك يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر وإنى - والله لا أرى القوم إلا قاتلوك ، فمرنا فلنقاتل .

فقال عثمان :

- أنشد الله رجلا رأى الله حقا، وأقر أن لى عليه حقا أن يريق فى سبيلي ملاء محجمة من دم ،أويهرق دمه فى .

فليئخن التاريخ إكبارا ولتتحو يا حطب جهنم..

فلينحن التاريخ إجلالا ولتخسئوا يا من اتهمتم ماضينا وشوهم تاريخنا ولوثتم حاضرننا ..

فلينحن التاريخ إكبارا يا صغار..

خليفة الأرض محاصر وأعوانه وأتباعه وأصحابه قادرون على القتال لفك الحصار عنه لكنه يأمرهم ويناشدهم الله ألا يريق ملاء جفنة من دم .. تساوأت أمامه دماء المسلمين ..فهو يرفض أن يكون الدم المهرق دم عدو أو صديق ..

اشهد يا ذا النورين واشهد يا على.. واشهد يا محمد صلى الله عليك وسلم أن جفنة الدماء تلك تبذل اليوم لكتابة وثيقة مبايعة..

اشهدوا ودعوني أصرخ : هذا شرك ..

فكيف أشركت يا أمة..

ويلح على رضى الله عنه فى الرجاء ويعيد على الخليفة أمير المؤمنين ملك الأرض.. فيجيبه بمثل ما أجابه ..

كم مائة ألف معتقل اعتقل منك يا أمة اتقاء لاحتمال خطر- معظمه هو اجس الشيطان فى أصابير رجال الأمن- على الملك الرئيس الأمير..

كم ألف شهيد قتلوا يا أمة باتهامات زور ستر زورها القضاء بأحكامه ..

وكم ألف شهيد قتلوا دون أحكام قضاء..

وكم عشرة آلاف عذبوا وروعوا وسفكت دماؤهم واغتصبت
أعراضهم ..

كم ألفا وكم عشرة آلاف وكم مائة ألف لم يحاصروا بيت الرئيس
الملك الأمير ولم يمنعوا عنه الماء كما فعلوا مع الخليفة ذى النورين ملك
الأرض.. فلا يملك إلا أن يستجد بعلى رضى الله عنه الذى يناضل لإدخال
ثلاث قرب إلى الخليفة العطشان..

ودخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور، فاستأذناه
فى الحج، فأذن لهما، فقالا له : إن غلب هؤلاء القوم فمع من نكون ؟
قال : عليكم بالجماعة .

قالا: فإن كانت الجماعة هى التى تغلب عليك ، فمع من نكون ؟
قال : فالجماعة حيث كانت .

انحن يا تاريخ أمام العظمة الإنسانية ..

هذا عبد أواب لله لا عبد خوار للغرب والشيطان ..

إن الرجل لا يهمله إلا وحدة المسلمين حتى لو كانوا الثوار المنشقين
عليه ..

قال : فخرجنا، فاستقبلنا الحسن بن على عند باب الدار داخلا على
عثمان، فرجعنا معه لنسمع ما يقول ، فسلم على عثمان ثم قال :
- يا أمير المؤمنين مرنى بما شئت .

فقال عثمان :

- يا ابن أخى ارجع واجلس حتى يأتى الله بأمره .

فخرج وخرجنا عنه ، فاستقبلنا ابن عمر داخلا إلى عثمان ، فرجعنا
معه نسمع ما يقول ، فسلم على عثمان ثم قال :

- يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت
وأطعت ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت ، ثم صحبت عمر فسمعت
وأطعت ، ورأيت له حق الوالد وحق الخلافة، وها أنا طوع بديك يا أمير
المؤمنين فمرنى بما شئت .

فقال عثمان :

- جزاكم الله يا آل عمر خيرا مرتين ، لا حاجة لى فى إراقة الدم ،
لا حاجة لى فى إراقة الدم .

ثم دخل أبو هريرة متقلدا سيفه فقال : الآن طاب الضراب .

فقال عثمان :

عزمت عليك يا أبا هريرة لما ألقيت سيفك..

ولم يكن أمام الصحابة إلا الامتنال لأمر الخليفة ولكن عليا رضى الله عنه احتاط للأمر وقال للحسن، والحسين : اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الثوار أن يدخلوا على عثمان ، فلما رأى ذلك الثوار رموا باب عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابيه وأصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشى الثوار أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فقالوا : إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسوروا البيت وقتلوه ، وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا، فاسترجعوا وقال على لابنيه كيف قتل أمير المزمين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن غاضبا..

فليتضاءل نور الشمس والنجوم أمام النور المنبعث من العظمة الإنسانية فى أسمى معانيها..

لم يستدع مباحث أمن الخلافة..

ولا روع الناس ..

بل رفض إراقة جفنة دم من قاتليه..

لم يفرض حكم الطوارئ عشرين عاما ..

لم يغير شرعا ..

ولم ينشئ دستورا جديدا ..

فكيف ضللت وكان فيك مثل هذا يا أمة..

كيف يا أمة..

لماذا غفلت عن تاريخك..

لماذا نسيت الله فأنسأك نفسك..

لماذا لم تذكرهم بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه لما ضربه ابن ملجم فأوصى إلى الحسن والحسين وصية طويلة، وفي آخرها:

- يا بنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً، تقولون قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بى إلا قاتلى . انظروا إذا مات من ضربته هذه فاضربوه ضربة، ولا تمثلوا به ، فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

يا إلهى..

إنه ينهى عن المثلة بقاتله..

بل وينهى عن المثلة ولو بكلب عقور..

فكيف استتمت حتى مثلت بك الكلاب العقورة يا أمة..

ثم أنهم يتوسلون إليه أن يستخلف عليهم فيأبى قائلاً:

- لا.. أكلكم إلى من وكلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان عبداً لله .. كان إنساناً .. لا مسخاً للغرب ومطية للشيطان مثل روادك يا أمة..

لم تكن الدنيا مطلبهم بل الآخرة.. ومع ذلك .. بل على الأحرى بسبب ذلك سادوا الدنيا أيضاً..

كيف وصل بك الحال إلى ما وصل إليه يا أمة..

أقول لك ما قاله إبراهيم بن أدهم حين سئل: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتُم الله فلم تطيعوه، وعرفتُم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتُم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتُم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتُم النار فلم تهربوا منها، وعرفتُم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتُم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس..

إن المستكبرين الضالين المضلين لم يعترفوا قط بأنهم أخطئوا أو حتى بإمكانية احتمال أن يخطئوا..

لم يعتبروا أبداً بتاريخنا وديننا وسلفنا الصالح..

لم يعتبروا بالإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه حين بكى ندما ملئ ما كان أفتى به برأيه . قال القعنبي : دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيت يبيكي ، فقلت :
يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك ؟..

فقال لي :

وما لي لا أبكي ؟ ومن أحق بالبكاء مني ؟ والله لو ددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأى بسوط سوط ، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه ، وليتني لم أفت بالرأى..

لم يعتبروا حتى بالدولة العثمانية التي شاركنا جميعا في تشويهها ..
فلتظنوا إلى وصايا حكامنا ووصاياهم..

فلتذكروا محاولة الفاجر الكافر كمال أتاتورك أن يوصي بالسفير الإنجليزى ليخلفه في حكم تركيا التي كانت عاصمة الخلافة.. ولتدركوا أنهم جلهم على شاكلته.. ولتقارنهم بحكام الدولة الإسلامية التي ألغوا الروث عليها..

قال السلطان محمد الفاتح - رحمه الله - في وصيته لابنه :

" ها أنذا أموت ، ولكني غير أسف لأنى تارك خلفا مثلك .

كن عادلا صالحا رحيمًا ، وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز ، وأعمل على نشر الدين الإسلامى ، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض. قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ، ولا تغتر في المواظبة عليه ، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ، وجانب البدع المفسدة وباعد الذين يحرضونك عليها .. وسع رقعة البلاد بالجهاد ، واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد. إياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيته إلا بحق الإسلام، واضمن للمعوزين قوتهم ، وابذل إكرامك للمستحقين . وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبنوثة في جسم الدولة ، فعظم جانبهم وشجعهم ، وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه إليك، وأكرمه بالمال . حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند ، وإياك أن تبعد

أهل الشريعة عن بابك ، وإياك أن تميل إلى أى عمل يخالف أحكام الشريعة، فإن الدين غايتنا ، والهدية منهجنا ، وبذلك انتصرنا" ..

وينقل المؤرخ التركي المعاصر عبد القادر زاده أوغلو في كتابه " التاريخ العثماني المصور " عبارات أخرى من وصية عثمان مؤسس الدولة تقول :

وصيتي الأولى لأبنائي ، ولجميع الأعداء علي ، أن لا يتركوا الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، ونشر دين الإسلام الجليل ، ورفع راية محمد صلى الله عليه وسلم عاليا . وليكن كل وقتكم لخدمة الإسلام ، ونشر كلمة التوحيد في ربوع العالمين ، وإنني أقول لكم : إنني أدعو الله عز وجل أن يحرم من شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، كل واحد فيكم يبتعد عن طريق الإسلام ، ويظلم الناس ، ويترك الجهاد .

أما عن نصوص الواجبات التي أناطها دستور الدولة العثمانية بسلطين الدولة ، أنقلها من كتاب الدكتور عمر عبد العزيز عمر^١ "محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية" .

هذه الواجبات هي :

أولا : أن يخضع السلطان لأحكام الشريعة الإسلامية خضوعا كاملا .

ثانيا : أن يبجل الشريعة الإسلامية ويبجل علماءها .

ثالثا : أن يحمي مقدسات المسلمين ، وينظم شؤون الحج بعناية .

رابعا : أن يدافع عن تخوم المسلمين ضد أعدائهم .

لقد كان عثمان ابن أرطغرل شديد التدين ، وكان يؤمن أن نشر الإسلام واجب مقدس بالنسبة إليه .

وقد نص القانون الذي وضعه السلطان سليمان القانوني ، والذي حدد بموجبه الشروط التي ينبغي أن تتوفر في كل شخص يتولى منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) ، أو منصب الوزارة ، على أن يكون ذلك الشخص مواظبا على أداء الصلاة في أوقاتها .

هاتوا اليوم من يطالب الوزراء أو الحكام بالمواظبة على الصلاة..
 ستعلق له المشانق.. ستطارده تهم الأصولية والإرهاب..
 بل إن الأمر أبشع..
 فلقد كففنا - باليأس أن نطالب الحكام بعمل المعروف..
 وكففنا أيضا عن نهيمهم عن المنكر إلا الفاحش منه..
 سنمتن لك يا مولاي الملك الرئيس الخليفة إن تحريرت في وزرائك
 أن يكون ولعهم بسفك الدماء محدودا وأن يكونوا غير شواذ ولا بأس أن
 يكونوا زناة لصوصا عصاة!!..
 فلماذا يا أمة..
 كان هذا هو ماضيكم يا أمة فلماذا وصل بك الحال إلى ما وصل إليه..
 لماذا لم تعتبرى..
 إن لم توقنى بالغيب أفلا توقنى بالموت..
 {أيمنما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم
 حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل
 من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا}..
 أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..
 أنت تخسرين الدنيا والآخرة..
 الموت حق والبعث حق والحساب حق..
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يؤتى بالموت في هيئة كبش
 أملح، فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة. فيطلعون خائفين وجلين
 مخافة أن يخرجوا مما هم فيه فيقال: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت
 فيقال: يا أهل النار. فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه.
 فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت. فيؤمر به، فيذبح على
 الصراط، فيقال للفرقيين: خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبدا".
 وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن معاذ بن جبل "أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال: يا أيها الناس إني

رسول رسول الله إليكم إن المرّة إلى الله، إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن، وأجساد لا تموت".

وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو قيل لأهل النار ماكنون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكنون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد".

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..

إنه موت واحد فقط ثم الخلد أبد الأبد..

إنها السعادة أبداً أو الشقاء أبداً..

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..

* إن المتقين في مقام أمين..

* في جنات وعيون..

* يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين..

* كذلك وزوجناهم بحور عين..

* يدعون فيها بكل فاكهة آمنين..

* لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم..

* فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم..

* فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون..

فارتقب إنهم مرتقبون..

فارتقبى يا أمة..

أم ترانى أقول فيك ما قاله أبو حامد الغزالي:

لقد أسمعت لو ناديت حياً * ولكن لا حياة لمن تنادي

وارتقبى يا أمة..

فما منك إلا ذائق الموت..

أجل..

كل نفس ذائقة الموت..

كيف عميت بصائرنا؟! ..

ماذا حدث لك يا أمة؟؟ ..

لماذا كل هذا الانبطاح أمام الغرب..

رغم الهزيمة الساحقة أمام الصليبيين لم يحدث انهيار للأمة ولا هي
فقدت الثقة في نفسها ..

فلماذا حدث لنا ذلك الآن..

فكرى معي يا أمة فوحدي لا أحيط بالأسباب..

هل حدث ذلك لأنه منذ ألف عام كان الناس قد انحرفوا وفسدوا لكن
أساسيات الدين وأركانه كانت ما تزال صلبة وسليمة وكان النموذج موجودا
ومن السهل الرجوع إليه.. كانت كآلة تعطلت لكن كل رسومها الهندسية
موجودة فكان من اليسير إعادتها إلى أصلها.. الآن زيفت الرسوم علينا..
شوهت الرسوم.. نزلناها.. سقطت من ثقبوب الذاكرة.. فنحن الآن حين
نريد الإصلاح والعودة إلى سيرتنا الأولى لا نستطيع لأننا فقدنا النموذج
الذى ينبغى أن نسير عليه.. ذروة سنام الإسلام وهى الجهاد معطلة
ولا يملك أى واحد منا أى سبيل لإعادتها سيرتها الأولى.. الصلاة لم تعد
تنهى عن الفحشاء والمنكر.. بل إنها فى أحيان كثيرة تستعمل لها ستارا..
الحج أفرغ من مضمونه.. أما الصوم فقد أفرغ من التقوى والعظة
والاعتبار وحُشِبَ بالمسلسلات والفوازير والرقص وأجساد العراة..

كل هذا والدولة ضد الأمة..

عندما كان الصليبيون يحاولون تبديل ديننا وتزييف وعينا كنا ندرك
وكنا نقاوم وكنا ننجح..

لكن ماذا نفعل إن كان ولاية أمورنا هم الذين اضطلعوا بالدور وكلاء
عن الصليبيين..

ماذا نفعل إن كانت أجهزة أمننا هي التي تحمى أمن عدونا ..

ماذا نفعل إن كانت أجهزة إعلامنا تروج لهدمنا..

لقد طعن قلبى وأنا أشاهد اليابانيين يحتفلون بذكرى ضحاياهم فى هيروشيما ونجازاكي كى لا تنسى أمتهم التاريخ أما نحن فنعتّم على شهدائنا وكأنهم عورة وما هم بعورة لأننا نحن العورة..

وطعن قلبى أن المسئول الهمام يصافح باراك ويرفض مصافحة عرفات - أيا كان رأى فيه..

طعن قلبى فصرخت : ليس مسئولا بل وكيلا وعورة..

وطعن قلبى ذلك الأغيلمة السفية الذى أفرد الأهرام له صفحاته فراح يهاجم رمزا كبيرا وقيمة عليا تتمثل فى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد .. راح يهاجمها لأنها تنقذ خيانة للأمة تقودها الدولة فى إهمال اللغة العربية وإنقاص درجاتها، وراح السفية يسخر من استشهادها بقيمة مصر ودورها فى الحفاظ على اللغة العربية منذ القرن الرابع الهجرى .. راح السفية فى سماجة لم أر لها مثيلا يرد فى أسلوب مخنث رقيق : لكن القرن الرابع الهجرى لم يكن فيه ثانوية عامة..

أغيلمة سفية آخر راح يرد على الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أيضا حين اقترحت فى بساطة مذهلة خطوة لو اتبعناها لرتقنا ثقب الذاكرة ولاستعدنا هوية الأمة لا فى مصر فقط بل فى العالم الإسلامى كله.. خطوة أقتنع على كل الأحزاب والمؤسسات والهيئات فى العالم الإسلامى أن تتبناها..

قالت الدكتورة نعمات أنها حقا تعلمت العلم فى المدرسة والجامعة لكن الذى صاغ وجدانها هو تعلم القرآن فى الكتاب وأنها تقترح ما دامت المدارس لا تقبل الأطفال قبل سن السابعة أن يتم تحفيظ القرآن للأطفال من الرابعة إلى السابعة..

انبرى الأغيلمة السفية يسخر من نعمات أحمد فؤاد..

انبرى القرد يسخر من الإنسان والقملة من النسر والضفدع من الفيل..

لا يعنى الكتاب - الذى علم القرآن لأجيال وأجيال - عند السفية إلا للفلكة..

حسنا يا سفية..

إذا كان ما يخيفك هو الاسم لا المضمون فهل توافق إذا غيّرنا الاسم..

لو أننا سميناه : "club koran" .. فهل توافق

ولو أننا ألغينا فكرة الكتاب وقررنا تعليم القرآن بالكمبيوتر فهل يتوقف اعتراضك..

ولو أننا أبقينا على الكتاب لكننا قررنا أن نعلم أطفالنا فيه أساطير التوراة لا حقائق القرآن واللغة العبرية لا العربية وتوم وجيرى لا المتنبي وامرؤ القيس أو حتى قررنا أن نعلمهم فيه العري والسفاهة والشذوذ فهل سيستمر اعتراضك .. ؟!

أم أن المقصود بالاعتراض هو القرآن يا كلب جهنم..

لقد وعدنا دعاة القومية حين بدعوا بالدعوة للقومية أنهم سيرفعون شأن اللغة لأنها عماد القومية..

إن التعريف الألماني أن القومية لغة والتعريف الفرنسي أنها إرادة فلماذا يا دعاة القومية - يطعن قلبي أننا - تحت شعارات القومية نفقد اللغة والإرادة.. بعد أن فقدنا الدين والسيادة؟!

يطعن قلبي أغيلمة سفهاء سموا أنفسهم زورا رواد التنوير فراحوا يرفعون على أعلى سارية كلمة : أنا أشك إذن فأنا موجود وأنا أفكر إذن فأنا موجود فإذا جرونا على الذات الإلهية كنا مستبشرين أما إذا جرونا من أحد على الشك في رئيسه أو ملكه أو في النائب العام على سبيل المثال لتغيرت حروف الكلمة أعلى السارية لتكون: أنت شككت فلا يحق لك الوجود ، أو : أنت شككت فلن تكون موجودا في بيتك غدا بل في سجوننا ..

إن التفكير - على سبيل المثال - في الريب التي تكتنف قضية هروب عليّة العيوطي^١ ترفع ألف علامة استفهام حول سماح النائب العام السابق لها بالسفر حتى دون شهادة مرضية، وعلامة الاستفهام في زماننا هذا قد تكون تعبيرا مهذبا - أو جباناً - عن يقين اتهام.. لقد أصدر سيادته لها القرار قبل إحالته للقاعد بأربعة أيام.. وأصدره خلسة من وراء ظهر

١ - في قضية الفساد الكبرى المتعلقة بالبنوك والتي تم فيها الاستيلاء على مليارات الجنيهات .. وكانت عليّة العيوطي وأباها وأفراد من أسرهما متهمين، وحكم على الجميع بأحكام مشددة. عدا عليّة العيوطي .. كانت قد هربت إلى الخارج.. وقالت بعض صحف المعارضة أن هذا الهروب قد كلفها ٣٠ مليون جنيه.

المحكمة التى تحاكمها وخفية حتى عن أجهزة نيابته رغم أنه قرار قد يترتب عليه خسارة للأمة بمئات الملايين .. وعندما ووجه الرجل بفعلته لم يتعد قوله أنه أصدر قرارا ولا معقب عليه .. حتى مجلة المصور لم تتمالك نفسها فعقبت بأنه قال ما قاله بلا خشية ..

لا معقب عليه ..

حق يأبونه على الله فيبيحه النائب العام السابق لنفسه ..

ويبيحونه له دون أن يعقبوا عليه ..

لقد رفضوا - ورفضنا معهم - ما ذهب إليه الشيعة من أن يكون الإمام معصوما لكننا نكتشف الآن أن النائب العام السابق عندنا معصوم ..

فيم إذن كان كل هذا الخلاف مع الشيعة ولم كان كل هذا الدم الذى أهرىق ..

الإمام عند الشيعة إمام غائب فتظل قضية العصمة قضية نظرية لكنه عندك يا أمة قضية حاضرة متمثلة فى النائب العام السابق الذى لا معقب على حكمه ..

لا معقب على حكمه ..

جرؤ على الحق فقالها ..

ولم ينبح من كلاب التنوير أحد وهم الذين يعقبون على الله ورسله ..

لم ينبح من كلاب التنوير أحد وهم الذين يهزءون من كتاب الله ورسله وملائكته والحساب والغيب ..

لم يصرخ أحد أن الواجب أن يمثل النائب العام للتحقيق إن ثارت حوله شبهة وذلك حقه فى أن يبرئ ساحته قبل أن يكون واجبه ..

لا معقب على أحكام النائب العام أما الله فمن لا يعقب على أحكامه إرهابى ظلامى ..

لا معقب ..

لكننا إذا ذكرنا الله أو الرسول اشمازت قلوبهم فإذا ذكرنا باراك أو كلينتون والنظام العالمى الجديد إذا هم مستبشرون ..

هل يمكن يا أمة والحال ذاك أن تعوم سفينة كلما سددنا خرقا فيها أحدث السفهاء ألف خرق؟ ..

وهل يمكن أن يطير البالون فى الهواء إن كنت تضخ فيه الغاز وفيه ألف ثقب ؟..

وهل يمكن أن ينطلق قطار تأكلت آلاته وانسكب زيتته وانتقبت مستودعات وقوده ؟..

هل يمكن أن تنطلقى يا أمة ودولك ضدك ؟!.. وأبناؤك غافلون عنك؟ وحكامك يبيعونك وشيوخك يفسدونك ومفكروك يضللونك ؟! وقضاتك يفعلون ما يريدون.. دون معقب ؟!..

هل يمكن أن نستعيد النموذج والأصل كى نضاهيه ونرتق جراحنا على مثاله ..

وهل يمكن أن يحدث ذلك فى إطار الوطنية أو القومية..
لشد ما خدعونا ..

ولشدهما تشبثنا وانبهرنا بالخداع والكذب..

تحت دعاوى التحضر والاستنارة والقومية والوطنية خدعونا ..

إن النطفة الأولى للفكرة الوطنية هى الانتماء إلى موطن، إلى بيت الأسرة والعائلة والقرية والمدينة والمحافظة والبلد..

ما تراكم قائلين لو تعصب أهل القاهرة للقاهرة وأهل الإسكندرية للإسكندرية وأهل أسوان لأسوان وأهل المنوفية للمنوفية.. وأهل مصر لمصر وأهل المشرق للمشرق وأهل المغرب للمغرب ؟!..

أى قدر من التخلف سوف تتهمونهم به ..
فكيف عميت بصائرنا..

الفكرة القومية عصبية جاهلية للقبيلة والجنس والعنصر..

لقد فقدنا حتى القومية حين رفعنا شعار القومية..

تفتنت القومية لتصبح قطرية وهاهى ذى الأقطار توشك أن تتفتنت..

هل كان يمكن أن نترك ما يحدث للعراق يحدث لو لم نكن قد عقبنا على حكم الله.. واستبدلنا الذى هو أدنى بالذى هو خير..

هل كان يمكن أن يحدث لنا ما يحدث لو أننا لم نعرض عن أحكام الله ورباط الدين..

هل كان يمكن أن يحدث فى كوسوفا ما يحدث..

تقول مجلة العربي الكويتية - وهي مجلة لا يمكن اتهامها بأى تعاطف مع الاتجاه الإسلامى - (فى مقال طويل نقلت جزءا منه من دراسة الأستاذ محمد يوسف عدس المنشورة فى كتبه وفى مقال له فى الشعب دون أن تشير إلى ذلك) : " كان حجم المأساة أكبر من أن يجد المرء سببا لتفسيره، حتى لو قيل أنه جنون التعصب، فحجم الإبادة والتطهير العرقى والاغتصاب وابتكار وسائل غير مسبقة فى إذلال البشر وامتهان كراماتهم وانتهاك محرماتهم (...) لم أجد أبدا ما يفسر ما حدث لخير الدين بكتاشى (٧٨ عاما) الذى كان يدور فى معسكر اللاجئين (...) متكئا على عكازه الخشبي عندما حكى لنا عن أبنائه الثلاثة الذين ذبحوا أمام عينيه حين استدعى الجنود الصرب كل ساكنى قريته دوشانوف الكوسوفية إلى ساحة القرية، واختاروا عددا من الشبان وطلبوا من آبائهم أن يققوا مع أبنائهم فى وسط الدائرة البشرية التى امتلأت بها الساحة الترابية، الأكثر وحشية وفقا لما رواه العجوز الذى سقطت أسنانه وامتلأ وجهه بتجاعيد حادة، هو قيام الجنود الصرب بإصدار الأوامر للأبناء بممارسة الفحشاء ضد آبائهم وأمام الجميع.. بكى العجوز خير الدين بحرقة ويداه ترتعشان من فوق عكازه وهو يقول : لن أنسى ما حدث ساعة رفض الشبان لتلك الأوامر ، لقد ذبحوهم ذبحا وكان من بينهم أبنائى الثلاثة .."

بم تشعرون يا دعاة القومية والقطرية ولحمكم يمزق ..

بم تشعرون والعراق يباد والسودان يفتت وليبيا تحاصر وسوريا تعزل ..

فكيف عميت بصائركم ولم سعيتم طول الوقت لتعموا بصائر ..

نطفة الوطنية انتماء لقرية، ونطفة القومية انتماء لقبيلة.. أما نطفة الجماعة الإسلامية فهى انتماء لله ..

فكيف عميت بصائرنا..

فى كتابه القيم فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام يصرخ صالح العبود: ماذا أكسب القوميون العرب أمتهم؟ إنهم لم يكسبوها سوى الهزائم المنكرة والتبعية، إما للشرق الشيوعى الملحد وإما للغرب الصليبيى المفسد وكلاهما مذلة ذميمة.

وفى كتابه أزمة المجتمع العربى المعاصر يصف مدثر عبد الرحيم الطيب وهو أحد القوميين العرب حال القوميين العرب بعد الفشل المدوى لمشروعهم فيقول : " .

١- أما بعضهم فقد أضاع الوقت فى الترائشق بالتهم، وتبادل السباب، يبرى كل منهم نفسه ويضع مسئولية ما حدث على أكتاف الآخرين ، فانشغلوا ببعضهم وانصرفوا عن المعركة الأساسية .

٢- وأدرك بعضهم حقيقة الموقف فقام محاولا صد الهجوم ولكن بأسلحة قديمة صدئة بالية باذلا غاية جهده لسد الباب فى وجه الأعداء لكن الأبواب كانت مثقوبة هالكة، والنوافذ هزيلة ركيكة، والسقوف خاوية متهتكة .

٣- وفريق ثالث كذب ما أبصرت عيناه ، ورفض أن يصدق هول ما حدث فراح يغالط الحقيقة ويمارى الواقع

٤- شلت الصدمة فريقا آخر أصيبوا بعنة فكرية أجلستهم القرفصاء فى قاع السفينة .

٥- وبين هؤلاء وهؤلاء قام فريق من الخائرين المنهزمين .. استهوتهم مظاهر من حضارة الغرب فراحوا يتسللون إلى سفن العدو: يزاولون البغاء الفكرى ويتاجرون فيه سرا وعلانية.. وأصبحوا كل يوم يأتوننا بجديد من زينة القوم.. مرة باسم الحضارة، ومرة باسم التحرر، ومرة باسم الفنون، لكنهم شأنهم فى ذلك شأن البغايا، قد أخذوا إليهم الأعراض دون الجواهر، والمظاهر دون اللباب، فظنوا أن الحضارة الغربية هى سيجارة وكأس (..) ثم أنهم، شأنهم فى ذلك شأن البغايا، قد اختلفوا فيما بينهم، ورفعوا أصواتهم بالخلاف والنزاع، أخذت جماعة منهم تجرنا إلى فرنسا، وجماعة أخرى تجذبنا إلى إنجلترا أو أمريكا، وجماعة ثالثة تحاول سحبنا إلى روسيا، وكل جماعة منهم تحاول أثناء ذلك إغراءنا وخداعنا عن أنفسنا والمساومة فى أعراضنا .."

ويقول الدكتور على جريشة : " يشير معرب كتاب لعبة الأمم إلى أن تسعين بالمائة من قادة حركة القومية العربية الأقحاح هم من خريجى الجامعة الأمريكية فى بيروت كما يشير مؤلف الكتاب مايلىز كوبلاند إلى أسماء زعماء القومية وكلهم من المسيحيين.

وفى كتابه : الإسلام فى وجه التغريب يتناول الأستاذ أنور الجندى جذور المسألة التى تنقسم إلى مرحلتين: مرحلة بدأت منذ أسر لويس التاسع قرر فيها الصليبيون أنه لا قبل لهم بمواجهة المسلمين ماداموا متمسكين بالإسلام.. قرروا مواجهة الإسلام نظريا وتدميره فإذا ما تمكنوا من ذلك

تمكنوا من قهر المسلمين.. وقد استمرت هذه المحاولة النظرية حتى عام ١٨٣٠ حين انتقلوا بعدها لمواجهة مسلمين بلا إسلام فاكسحهم ..

لا يخطبها أنور الجندى خبط عشواء بل يعتمد على وثيقة سرية منسوبة إلى لويس التاسع نفسه وهو ما أرجو أن أعود إليه في كتاب أخصه لنظرية المؤامرة على العالم الإسلامي .. كى أجيب على السؤال المعضل :

كيف عميت بصائرنا ومتى..

هل كان ذلك منذ تركيز الأمريكيين على كليتهم فى بيروت فى ثلاثينيات القرن الماضى.. هل كان فيما أسفر عنه تلاميذ هذه الكلية ومبشروها من نداءات القومية التى انتقلت إلى الأتراك والبلغان فكانت من أهم العوامل فى هدم دولة الخلافة ..

هل كان ذلك مع محمد على ومبعوثيه الذين عادوا إلينا مصابين بالجرثومة فنشروها بين شعوبنا ؟..

هل كان ذلك فى الأخطاء الفادحة التى وقع فيها سلاطين الدولة العثمانية قبل ذلك بقرن..

ثم كيف شملت الخديعة الأمة كلها ..

إن التاريخ ملئ بالومضات لكنها ومضات تضى أجزاء من غيابات الذاكرة فلا نرى إلا نممات وشذرات لا تكفى لتصور الصورة الكاملة..

لقد ثار الشريف حسين - مثلاً - يوم الإثنين الخامس من يونيو سنة ١٩١٦ وهجمت إسرائيل على مصر وسوريا يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ فهل كان ذلك صدفة من قوم يبنون حياتهم على الاحتفاء بالتاريخ والأساطير؟..

تذكروا مدريد حين استدعونا لتتجرع كئوس المذلة والهوان فى ذكرى مرور خمسة قرون على هزيمة العرب والمسلمين..

كيف عميت بصائرنا وكيف شملت الخديعة الأمة كلها ..

حتى واحد فى حجم عقل وعبقورية وموسوعية محمد حسنين هيكل يبتلع الطعم ويقع فى الخطأ.. فى حفل تسليمه جائزة جمال عبد الناصر ألقى واحدة من أروع وأنضج تحليلاته (لعلمها تمسح آثار بعض مقالاته الأخيرة فى مجلة الكتب وجهات نظر والتى بدا فيها " لورد " يتحدث بتعال

وانفصال وبغير لغتنا) إذ راح يتحدث عن حرب من نوع جديد لها هدف مزدوج، حرب تُحوّل الحلم إلى كابوس، حرب لم تتوقف منذ عام ٤٨، حرب لا تستهدف الماضي فقط بل المستقبل أيضا، حرب من نوع جديد مستغنية بالكامل عن كل ما عرفه تاريخ الصراع من أشكال الحرب، حرب مستغنية عن بؤرة معينة تدور المعارك لاحتلالها أو لتأمينها، حرب مستغنية عن مسرح استراتيجي للعمليات بل مستغنية عن السلاح وقوة النيران أصلا، حرب استهدفت عام ٥٦ نزع استقلال مصر لكن الأمة العربية قدمت درع فولاذ لحماية مصر فقرروا في حرب ٦٧ نزع سلاح مصر باعتبارها درع وترسانة الأمة العربية، ولم تستسلم مصر ولا الأمة العربية بل خاضوا حرب ٧٣ وهنا مشيت قوى السيطرة إلى أبعد، فلم يعد طلبها نزع استقلال وطن ولا نزع سلاح أمة وإنما أصبح الطلب نزع إرادة أمة، في البداية كانت "الأرض مقابل السلام" .. ويفجر هيكل كعادته مفاجأته بأن هذا المصطلح قد تم صكه قبل حرب فلسطين ١٩٤٨، ثم سجله بن جوريون عام ١٩٥٥، لكننا بعد ١٩٧٤ عندما بدأت " الحرب من نوع جديد" بدأت أفكارنا تختلط مع تلاعبهم بنا فانتقلنا من النقيض إلى النقيض، وتحول مصطلح "الأرض مقابل السلام" إلى مصطلح الأمن مقابل السلام، ولم يعد التفاوض تحت بند أن يعترف العرب بحق إسرائيل في الوجود بل بأن تعترف إسرائيل بحق العرب في الوجود، ولم يعد تحت بند استعادة الأراضي الفلسطينية بل استكمال أرض إسرائيل! .. ولم يعد تحت بند منع الأسلحة الاستراتيجية في الشرق الأوسط ولكن تحت بند منعها في العالم العربي وحده..."

يرثي محمد حسنين هيكل أيضا أطلال قيم كادت تندثر في ثنايا تحويل الحلم إلى كابوس.. قيم كالوفاء والعدل والحرية والتقدم والانتماء..

إن عقل محمد حسنين هيكل الموسوعي يقع في خطأين منهجين طالما دعوت الله أن يعافيه منهما كي يعز الإسلام به..!!

والخطأ أن يفقدان تحليله قيمته ولا عمقه ولكنهما يفقدانه أي ثغرة للخلاص وأي سبيل للعلاج..

الخطأ الأول أنه بنى تحليله على أن : " الحروب ضد الأمة لم تتوقف منذ حرب ١٩٤٨ .. والهدف نزع إرادتها..."

ماذا يسمى محمد حسنين هيكل غزو مصر سنة ١٨٨٢ وحملة فريزر عام ١٨٠٧ وغزوة نابليون .. و .. و .. و .. ماذا يسمى غزو العالم الإسلامي كله ..

إننى أختلف مع أنور الجندى فى تقسيمه للمواجهة إلى مرحلتين كانت أولاهما نظرية والثانية عملية، فالمواجهة العملية لم تتوقف قط منذ يوم مؤتة إلى يومنا هذا والحروب الصليبية لم تتوقف يوماً واحداً لكننا وقد انتقبت ذاكرتنا نغفل من التاريخ مواجهة الغرب للعثمانيين كاستمرار للحروب الصليبية..

لم تتوقف الحرب يوماً واحداً .. ليس عبر خمسين عاماً كما يقول محمد حسنين هيكل بل عبر ألف وخمسمائة عام وما حسبه أفعى هائلة تسد الأفق طولها خمسين عاماً ليست إلا ذيل الفيل...!!

الخطأ الثانى الذى وقع فيه الأستاذ هيكل هو فى حديثه عن قيم كالوفاء والعدل والحرية والتقدم والانتماء.. ذلك أن المنظور القطرى أو القومى لا يمكن أن ينشئ قيماً كذلك.. لا.. ولا حتى النظام العالمى الجديد .. بل على العكس.. وما كتابات جارودى وتشومسكى وتوينبى إلا مثالا على ما أقول ..

المنطقى مع القطرية والقومية والنظام العالمى الجديد هو عكس هذه القيم .. فالقيم المطلقة لا يمكن أن تتبع إلا من الدين والإيمان بالله.. بل إننا لا يمكن أن نفهم سر الوحشية المولعة بالإيغال فى الدماء من الغرب تجاهنا دون أن نحيط بالأساطير التى تسربت إلى اليهودية والمسيحية الصهيونية فجعلت من سفك دماءنا والوحشية تجاهنا عبادة لإلههم ظلام العبيد المولع بسفك الدماء..

لقد أخطأ الأستاذ الكبير خطأين: وبقدر من التجاوز نستطيع أن نقول أنه فى الخطأ الأول حول المطلق إلى نسبى .. وفى الخطأ الثانى حول النسبى إلى مطلق !!

إننى أعرف أن من الإجحاف توصيف الأستاذ محمد حسنين هيكل تحت راية القوميين أو الناصريين وأن من الظلم له أن ندمغه بالاستشراق والتغريب.. ولعله يحمل سمات من كل ذلك لكنه ليس أياً منها.. إنه جبهة قائمة بذاته.. وإن آراءه بالغة الدقة والعمق.. وإخلاصه لا شك فيه ووفاءه مضرب مثل.. لكن ثمة خطأ واحد فى البداية وانحراف لا يكاد يلحظ فى زاوية انطلاق الصاروخ الجبار جعلته يخطئ فى النهاية هدفه بملايين

الأميال.. ولو أننى مكانه لكنى أشد يأساً منه.. ذلك أن البصيص الخافت الباقي من أمله هو أن شعوبنا ستنهض وأن الحق سينتصر.. وهو هنا يفارق منطق التحليل العميق الذى يحتم أن تفنى أمتنا وتبديد لا أن تنهض وتنتصر.. فالخطأ أن الطبيعة وحتمية التاريخ لا تنصر الحق ..

ينصره الله...

ينصره الله ..

ينصره الله...

وبإغفال هذه الحقيقة لا نتوه فقط بل ونضيع..

نضيع ونبيد ونتلاشى كأمم كثيرة من قبلنا آخرها الهنود الحمر...

لقد ألزم هيكل نفسه بالمنطق العلمى الصارم بمفهوم الغرب العلمانى المنفصل عن الدين..

ومن ثم بدأت زاوية الانحراف وانحراف الزاوية..

إننى لا أزايد بأى شكل من الأشكال على إيمان محمد حسنين هيكل وهو مسلم ومؤمن مادام لم يقر بغير ذلك ويصر عليه..

لكنه يكرر الخطأ الفادح الذى وقع فيه بطل رائعة يحيى حقى: قنديل أم هاشم..

إن الفكر العلمى احتمال صواب علينا ألا ننكر أى جزئية فيه بل وأن نتبعه بكل دقة لكنه بالرغم من ذلك يظل دائما احتمال صواب وليس الصواب..

ثم أن انشطار المسلم ليفكر فى أزمة أمة مسلمة بمنطق الغرب لا بد أن ينتهى إلى ما يريد الغرب..

والمنهج العلمى الصارم مطلوب فى دربه فإن عممناه هلكنا.. وعلى سبيل المثال فليس لقيم كالوفاء والعدل والحرية والتقدم والانتماء أى منهج علمى !!..

ليس للاستشهاد ولا للميلاد ولا للموت أيضا أى منهج علمى..

ولا خروج الناس يومى ٩ و ١٠ يونيو تمسكا بالبطل المهزوم كان يخضع لأى منهج علمى..

إن الغرب متسق جدا مع نفسه.. فالعدل عنده هو القوة.. والسعادة هي اللذة.. وما دون ذلك هراء وخداع وزيف.. ودعكم مما يقولون وانظروا إلى ما يفعلون..

يتناول المفكر الإسلامى الهندى وحيد الدين خان فى كتابه الإسلام يتحدى^١ (الناشر : المختار الإسلامى) ما يسمونه بالمنهج العلمى واليقين الذى لا يتولد إلا بمعرفة الحقيقة بالتجربة والمشاهدة، ذلك المنهج الذى يناقض يقين القلب والحدس والروح، يقين ما وراء الحواس التى لا يمكن إخضاعها للتجربة، يقولون أن المنهج العلمى العلمانى حقيقى لأنه يرى الحقيقة ويجربها .. أما منهج الدين الذى لا يقوم على أى أساس علمى فباطل لأنه كله مبنى على قياس واستقراء..

القضية التى يطرحها أولئك المنهجيون العلمانيون خطأ، لأنها لا تقوم على أسس علمية، ثم أنها تناقض نفسها، إنها لا تنفى وجود أشياء لم تجرب مباشرة كما لا تنفى القياس..

يصرخ وحيد الدين خان أن التجربة لا تعد حقيقة لمجرد أنها شوهدت، كما أن القياس ليس باطلا لمجرد أنه قياس..

إن إمكانية الصحة والبطالان موجودة فيهما على حد سواء..

منذ آلاف الأعوام يستعمل الناس السفن الشراعية ويصنعونها من الخشب، كانت الحقيقة العلمية المبنية على المشاهدة تقضى بضرورة ذلك لأنه لن يطفو على الماء إلا ما هو أخف منه، وخرج على الناس من يقول أن السفن ستصنع ذات يوم من الحديد فأنكر الناس مقالته واتخذوه هزوا، اتهموه بالجهل، بالابتعاد عن المنهج العلمى للتفكير، وجاء أحد من يدعون منهج العلم التجريبي فى جمع من الناس لكى يثبت لهم جهل الجاهل الذى ادعى أن الحديد سيطفو، أتى صاحبنا بإناء ضخ وألقى فيه بنعل من الحديد فغاص، هلل الناس للعالم ونبذوا الجاهل، كانت تجربة علمية رآها الناس بأعينهم، وعلى الرغم من ذلك، كانت التجربة العملية التى شاهدها العين باطلا لا حقيقة، فقد صنعت السفن بعد ذلك من الحديد فلم تغص فى الماء وطففت، وثبت أن العالم المغرور كان جاهلا رغم تجربته العلمية التى - برغم مشاهدة الناس لها - عبرت عن باطل وخطأ لا يثير الآن سوى سخرية ونفكته..

١ - الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان الناشر : المختار الإسلامى

فى بداية القرن العشرين كنا نملك تليسكوبا ضعيفا راقبنا به الكون، رأيناه، فكان تصورنا عنه بالغ الاختلاف عما رأيناه بعد ذلك بعقود باستعمال تليسكوب قوى.. كانت التجربة تنفى التجربة وتصفها بالزيف والبطلان.. ويعلم الله ماذا سنرى بعد عشرات العقود الأخرى عندما نكتشف تليسكوبا أقوى..

التجربة والمشاهدة إذن ليستا وسيلتى العلم القطعيتين والعلم لا ينحصر فى الأمور التى شوهدت بالتجربة المباشرة، لقد اخترعنا الكثير من الأدوات للملاحظة الواسعة النطاق وللدراسة، ولكن الأشياء التى نلاحظها بهذه الوسائل كثيرا ما تكون أمورا سطحية ومتغيرة بتغير درجة دقة وتقدم الوسائل التى نلاحظها بها، أما النظريات التى نتوصل إليها بناء على هذه المشاهدات فهى أمور لا سبيل إلى ملاحظتها، والذى يطالع العلم الحديث يجد أن أكثر آرائه تفسير للملاحظات وأن هذه الآراء لم تجرب مباشرة وإنما تم الوصول إليها بالقياس.. ذلك أن بعض الملاحظات يدفع العلماء إلى الإيمان بوجود بعض حقائق لم تثبتها التجربة المباشرة، إن أى عالم من علماء عصرنا لا يجرؤ أن يخطو خطوة علمية واحدة دون الاعتماد على ألفاظ مثل القوة أو الطاقة أو الطبيعة أو الجاذبية أو الإشعاع أو الموجات الكهرومغناطيسية.. لكن أى عالم على ظهر الأرض لم ير مباشرة القوة أو الطاقة أو الطبيعة أو الجاذبية أو الإشعاع أو الموجات الكهرومغناطيسية !! .. إن هذا العالم لا يستطيع تفسير هذه الألفاظ وما تعنيه إلا بالاستنباط والقياس .. وهى نفس الطريقة التى يصل بها المؤمن إلى الإيمان بالله !!! كلاهما قد صاغ كلمات تعبر عن وقائع معلومة لكى يبين عن علل غير معلومة .. كلاهما لا يستطيع أن يرى أو يمسه ما آمن به.. وكلاهما يؤمن إذن بما لم ير.. يؤمن بعلى غير معلومة.. على غيبية..

أليست تلك هى التهمة التى طالما واجهنا بها المتشككون بالنهج العلمى الرافضون للغيبيات ١٢..

أجل، فى معظم الأحوال لا يرى العالم الحقيقة مباشرة بل يصل إليها بالقياس والاستنباط والاستنتاج. والعلم الحديث لا يجرؤ على الادعاء أن الحقيقة محصورة فيما علمناه من التجربة المباشرة. إن ذرة الهيدروجين عبارة عن نواة تحتوى على بروتون واحد ومدار يدور فيه إلكترون واحد، تلك حقيقة لا يجرؤ أى واحد من البشر على إنكارها، رغم أن أى واحد من البشر لم يرها قط .. !! ولا حتى بأقوى مجهر فى العالم ..

يقول الدكتور إليكسيس كاريل : " إن الكون الرياضى شبكة عجيبة من القياسات والفروض، لا تشتمل على شئ غير معادلة الرموز التى تحتوى على مجردات لا سبيل إلى تفسيرها " ..

ويقول الدكتور ا. مانديرا : " إن الوقائع المحسوسة هى أجزاء من حقائق الكون ، غير أن هذه الحقائق التى ندركها بالحواس قد تكون جزئية وغير مرتبطة ببعضها البعض، فلو طالعناها منفصلة عن أخواتها فقدت معناها مطلقا، أما إذا درسناها فى ضوء الحقائق الكثيرة التى علمناها مباشرة أو بالاستنباط فإننا سندرك حقيقتها.."

ثم يستطرد مانديرا قائلا: " إننا نرى أن الطير عندما يموت يقع على الأرض، ونعرف أن رفع الحجر على الظهر صعب، ويتطلب جهدا، ونلاحظ أن القمر يدور فى الفلك ، ونعلم أن الصعود إلى الجبل أصعب من النزول منه، ونلاحظ حقائق كثيرة كل يوم لا علاقة لإحداها بالأخرى فى الظاهر، ثم نتعرف على حقيقة استنباطية هى قانون الجاذبية ، وهنا ترتبط جميع هذه الحقائق فنعرف للمرة الأولى أنها كلها مرتبطة إحداها بالأخرى ارتباطا كاملا داخل النظام، وكذلك الحال لو طالعنا الوقائع المحسوسة مجردة فلن نجد بينها أى ترتيب، فهى متفرقة ، غير مترابطة، ولكن حين نربط الوقائع المحسوسة بالحقائق الاستنباطية فسنخرج بصورة منظمة للحقائق " ..

إن الجاذبية لا يمكن رؤيتها قطعاً، وكل ما شاهده العلماء لا يمثل فى ذاته قانون الجاذبية، وإنما هى أشياء أخرى، اضطروا لأجلها منطقياً أن يؤمنوا بوجود هذا القانون..

إن نيوتن .. مكتشف قانون الجاذبية .. يتحدث عن اكتشافه قائلاً: " إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس وهى تؤثر على مادة أخرى، مع أنه لا توجد أى علاقة بينهما" ..

يا قراء ..

يا علماء ..

يا محمد حسنين هيكل ..

هل ينكر منكم أحد قانون الجاذبية ؟! ..

الجادبية.. تلك النظرية المعقدة غير المفهومة.. والتي لا يوجد أى
سبيل إلى مشاهدتها مباشرة .. نعتبرها اليوم - جميعا - حقيقة علمية
بلا جدال ..

لماذا؟! ..

لأنها تفسر بعض ملاحظتنا ..

ليست الحقيقة العلمية إذن هى ما علمناه مباشرة بالتجربة.. بل هى
اعتقاد يقينى فى وجود حقيقة لا نراها تربط وتفسر ما نراه..

حقيقة لا نراها تربط وتفسر ما نراه ..

ماذا تسمون إنسانا لا يؤمن بنظرية الجاذبية..

الحقيقة التى لا نراها ولكنها تربط وتفسر ما نراه ..

ماذا تطلقون على الكافر بها والذى يعلن أنه لن يؤمن بها إلا إذا
رأها..

ماذا تطلقون على الأحمق الذى يرفض الربط بين تجلياتها وظواهرها
ونتائجها.. ويعتبرها غيبا يتنافى الإيمان به مع المنهج العلمى..

أى قدر من الاتهامات الهائلة يمكن أن نواجه به هذا الأحمق الغبى
المأفون ..

هل تسمح لى أيها القارئ وهل يغفر لى الله تجاوزى إن أنا استبدلت
كلمة الله بكلمة الجاذبية..

يا قارئ..

هـب أن واحدا اشماز قلبه فقال أنا لا أومن بقانون الجاذبية ، أو حتى
قال : أنا أومن به كأمر واقع لكننى ما دمت لا أفهمه لن أرتضى أحكامه..
سوف أعقب عليها.. سوف أسقطها وسأصنع قانونى الخاص الخاضع
لتجربتى العملية..

هـبوا أن ذلك الرجل الذى قرر ألا يتحكم قانون الجاذبية فيه خرج إلى
شرفة بيته.. فى الطابق العاشر أو العشرين.. ثم قرر أن يتحدى القانون
الذى لا يفهمه.. فخطى فى الهواء ليمشى ضد قانون الجاذبية - نحو
السحاب..

ماذا سيحدث؟! ..

لن يموت على الفور..

سوف تكون هناك ثوان يسقط فيها..
فى هذه الثوانى سوف ير ما لم يره أبدا.. وسوف يحس بما لم يحس
به أبدا..
ما بين التحدى والهلاك ثوان.. ليست كمثلها ثوان..
يا أمة..
يا قارئ..
يا محمد حسنين هيكل..
لو أن واحدا منا.. قال لنفسه أنه لا يؤمن بالله.. أو كتبه أو رسله
أو اليوم الآخر.. ولو أنه قرر أنه حتى وإن آمن فإنه لا يفهم.. ومن أجل
ذلك سيسقط أحكام الله.. سينشئ أحكامه الخاصة الخاضعة لمنطقه.. هبوه
فعل ذلك.. ثم انطلق فى حياته بمنطقها بمنطقه.. وهو يظن أنه بين السحاب
يوشك أن يمسك النجوم..
هذا التعيس.. فى هذه اللحظة.. يكون قد بدأ سقوطه.. سقوط يستمر
أربعين أو خمسين أو ستين عاما..
فما أربعون أو خمسون أو ستون عاما إزاء الأبد..
أهى أكثر من ثوان ؟؟؟..
ثوان .. نسقط فيها من أرحام أمهاتنا .. فيلتمع الضوء لحظة ..
ثم نسقط فى غياهب القبور..
أوتنكرون علىّ إن قلت لكم أن عمر أى واحد فينا إزاء الخلد القابع
فى الغيب.. ليس إلا لحظة كمثل تلك اللحظة وثوان كمثل تيك الثوانى؟؟..
ثوان يتبعها الخلد أبدا .. إما فى جحيم وإما فى نعيم ..
و لكن عميت بصائرنا!!..

كلاب للأعاجم هم ولكن ...

على أبناء جلدتهم أسود^١ ...

نَبَحَ الكلب من باب ضرب وقطع ونَبَّحَ ونَبَّاح بضم النون وكسرها وربما قالوا نبح الكلب والطَّيُّ والنَّيْسُ والحَيَّةُ، نَبَّحاً ونَبَّيْحاً ونَبَّاحاً ونَبَّاحاً، وأنبَحْتُهُ واستنَّبَحْتُهُ.

يقال: نَبَّحْتَنِي كِلَابُكَ: أي لحِقْتَنِي شَتَائِمُكَ. وأصله من نَبَّاح الكلب، وهو صِيَّاحُهُ. وفي التنزيل العزيز: كَمَثَلِ الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث..

ترى هل يجوز لنا أن نقول عن بعض الكتاب الذين يحادون الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - : نبح الكاتب نَبَّحاً ونَبَّيْحاً ونَبَّاحاً ونَبَّاحاً، ونفاقاً وكذباً وتدليساً وتزييفاً للوعى كما قد يجوز أن نقول أنبَحَ المال واستنَّبَحَ الحاكم !!.

لا تحملوا على يا أمة ولا تحملوا على يا كتاب ولا تحملوا على يا قراء..

لا تحملوا على لأنكم لو علمتم ما علمت من حجم جنایات بعض الكتاب على الأمة وعلى التاريخ وعلى الحقيقة وعلى الدين وعلى الله لكنتم أشد منى عليهم.. ولو أنكم قرأتم ما قرأت للعلامة محمود شاكر في مقدمة كتابه المتنبي: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا حيث يقول مقارنا ثقافة الحضارة الإسلامية بمثلتها الغربية :

" أقول لك غير متردد أن الذى كان عندهم من ذلك لم يكن قط عند أمة سابقة من الأمم، حتى اليونان، وأكاد أقول لك غير متردد أيضا أنهم بلغوا فى ذلك مبلغا لم تدرك ذروته الثقافة الأوروبية الحاضرة اليوم ، وهى فى قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة .. " .

١ - الشعب : ٢٧/٨/١٩٩٩.

إننى أيها القارئ أشعر بالخزى والعار لأن زمنا مر اهتز فيه إزاء عجز قومي - يقينى بذلك.. فكنت كمن يعجز عن التمييز بين قطرة لبن وقطرة سم.. وبين عظمة أم ودعارة داعرة.. ذلك أن عظمة التوحيد فى ديننا تنقلنا من مراتب الحيوان إلى مراتب الإنسان.. ومن طبيعة الكلاب إلى طبيعة البشر..

إننى أيها القارئ أشعر بالعجز حين أريد أن أنقل إليك ما وصلت إليه.. إذ كيف تنقل بحرا بكوب.. على أن الأمر لا يقتصر على استحالة نقل البحر بالكوب لأن هناك كتابا تدعمهم الدولة والعالم ينقلون فى الاتجاه العكسى .. أولئك أعداؤك أيها القارئ.. أعداء الوطن وأعداء الأمة وأعداء الدين وأعداء الله ..

انظروا مثلا إلى واحد منهم ينبج فى صحيفة أردنية مطالبا بإعادة كتابة تاريخ العرب بعد أن نحذف منه كل ما يذكرنا بما فعله الغرب بنا..!!

وانظروا مثلا إلى واحد آخر يتنكر لكل تاريخنا ويسفه ديننا ، كان الوقت قد مضى، والحنظل قد أثمر.. كان القومية قد أدت دورها وهدمت دولة الإسلام الواحدة.. فأسفر التتتين عن أنيابه وظهر الخبيء.. فالقومية التى طالما أغوى أقرانه الأمة بها قد أدت دورها وحان الحين للانقضاء عليها.. ولقد مرت القومية بطورين.. امتد أولهما قرنا من الزمان من ثلاثينيات القرن الماضى حتى ثلاثينيات هذا القرن.. ابتدأ بالهجمة الصليبية - على لبنان حين لم يكن ثمة لبنان - فمن خلال الجامعة الأمريكية خرج شياطين التبشير الداعون إلى القومية.. لم يعلنوا عن حقيقة مرامهم فى البداية .. بل ادعوا العكس.. قالوا أن الثورة على الدولة الإسلامية الأم فيه إحياء للعرب وللعروبة وللقومية والإسلام.. وأنه لا انتصار للإسلام إلا بذلك.. خدعونا فانخدعنا.. طيلة ذلك القرن كانت القومية صنو للإسلام وطريقا أرحب إليه.. بعد انهيار الدولة العثمانية أسفروا عن وجههم القبيح.. بدأ الطور الثانى الذى مات فى يونيو ٦٧ ودفن فى حرب الخليج فإذا بنا بلا قومية وبلا إسلام .. بدأ الطور الثانى فى ثلاثينيات هذا القرن فإذا بالقومية مناقضة للإسلام بل وللعروبة أيضا .. وراح سلامة موسى: مسيلمة الكذاب، سيد المشركين ورائد المنافقين يهدم فى القومية لصالح الانتماء لأوروبا.. طالب بإلغاء الفصحى ونادى بالكتابة بالعامية وكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية.. لم تعجبه صلاتنا فابتدع صلاة جديدة يقول فيها :

يا الله : نحن بلاليس فارغة املأنا بنعمتنا السماوية..

يا الله : أنت الوابور ونحن العربيات، جرجرنا لملكوت السما..

يا رب : أنت الحنفية ونحن الجرادل ..

هل كان الكلب يسخر منا أم من الله ؟!..

نبج الكلب.. نبج الكلب ..

فانظروا إلى نبيج واحد من الكتاب تعليقا على هذا الهراء الفاجر
وفي مجلة كانت تصدر في مصر.. :

" ويدل هذا الشيء على شدة عناية سلامة موسى بالمعنى على حساب
اللفظ .. وهى عناية كان يتوخاها عامدا، لأن المعنى عنده مقدم دائما على
اللفظ .. فالأدب كما قال مرة ليس حلويات يمضغها العاطلون الناعسون
وإنما هو كفاح، وبهذا الأسلوب المستتير، عاش سلامة موسى للحياة
وأعطى خير ما عنده لبنى وطنه..".

إننى أريد أن أنبهك أيها القارئ أن معظم الكتاب العلمانيين وهم جل
ما تواجهك به أجهزة إعلامنا وصحفنا وإذاعاتنا ومحطات تليفزيوننا
هم تلاميذ سلامة موسى يضلون بضلاله ويمشون على دربه..

وأريد أن أنبهك إلى ستة أسماء أرجو ألا تنساها أبدا : الاستشراق
والتبشير والاستعمار ثم التعليم والإعلام والثقافة.. ففي هذه الأسماء الستة
نضيع.. فيها نضل ونزل.. وفيها هلكنا وبها نهلك..

بدأ الاستشراق فى القرن الثانى عشر بعد فشل الحروب الصليبية..
وكان الصليبيون فى رعب من سرعة استجابة الناس للدخول فى الإسلام
فانبروا لدراسة الإسلام ومحاولة تشويبه بالأباطيل حتى ييغضوه إلى
مواطنيهم.. وحققوا فى ذلك نجاحا ملحوظا أغراهم فى فترة تدهور
وانحطاط أحوال المسلمين إلى نقل جهودهم إلى بلاد المسلمين بالتبشير
واستعانوا بالاستعمار فى ذلك.. وعندما استعمرونا قاموا أولا بوضع حدود
تناسبهم بين أقطارنا يمثل كل حد منها لغما يفجرونه حين يشاءون ثم قاموا
أيضا بتغيير تركيبة المجتمع فسودوا الخونة وقتلوا الأبطال قتل جسد أو قتل
روح.. هذه النخبة التى استخلفها المستعمر الصليبي علينا هى التى تحكم
أرجاء عالمنا الإسلامى الآن .. تخيل أيها القارئ أن الذى وضع نظام
التعليم فى مصر مبشر وقسيس انجليزى اسمه دنلوب .. وعلى هذا النظام
مازلنا نسير حتى اليوم.. ومن مصر انطلقت كتائب الفجور والجهل
والتزوير لا كتائب الطهر والعلم والتتوير تبث سمها فى كافة أرجاء العالم

الإسلامي.. واتسعت الكارثة ليكون تلاميذ دنلوب هم المسيطرين على الإعلام والثقافة في بلادنا ..

يقول الشيخ مصطفى صبري: شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا في كتابه : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين^١ : " أضعنا الدنيا وأضعنا الفرصة فأصبحنا العوبة في يد الدول الكبرى.." ثم يواصل :

" إن دولة الترك المسلمة التي دفاعها بسيفها عن حياض الإسلام ضد أعدائه يستغرق الثلاثين من تاريخها وتندرج في ذلك عند التحقيق أدوار الحروب الصليبية الموجهة ضد البلاد الإسلامية بالنسبة إلى تلك الأدوار في ردها على أعقابها.. هذه الدولة كان آخر سلاح حاربتها به الدول الوارثة لضغائن تلك الحروب ، نشر الإلحاد القائم على العلوم والمبادئ المادية بين أبنائها المثقفين ونشر المبادئ القومية بين العناصر المندرجة تحت لوائها .. (..) وكفى السلاحان في القضاء على الدولة التركية المسلمة.. وكنت لما كنت في بلادى كافحت هذين السلاحين على طول فترة انتقال الحكم فيها إلى أيدي الملاحدة، وكان ظنى عند مغادرة تركيا مهاجرا إلى بلاد العرب التي جاء نور الإسلام إلينا منهم، أنى أستريح من مجاهدة الملاحدة ، لكنى وجدت الجو الثقافى بمصر أيضا مسموما من تيار الغرب، فشقّ هذا على نفسى أكثر مما شقّ على موقف تركيا الجديدة من ذلك التيار، كما شقّ وقوفى على أن إخوانى العرب يفضلون تركيا هذه على تركيا القديمة المسلمة، فرأيتهم توغلوا في تقليد الغرب وسابقوا الترك في الافتتان به.. والانقلاب الثائر في تركيا حصل عندهم في شكل هادئ ..".

ثم يبدى الرجل جزعه وعجبه مما يحدث في مصر بلد الأزهر التي ما يزال دستورها يقرر أنها بلد إسلامى فيقول : " حالة عجيبة ، لا من ناحية العمل بأحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها فحسب، بل ومن ناحية الاعتقاد والاعتراف بأصول الدين الملخصة في الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر. فالدين بكل ركنيه الأساسيين مقدوف به في نظر الأوساط المثقفة المصرية بيد العلم الحديث الذي لا يؤمن بغير ما ثبت بالتجربة الحسية ،

١ - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين - الشيخ مصطفى صبري: دار إحياء التراث العربى- بيروت- لبنان

إلى عالم الأساطير لا فرق بين مصر وتركيا الحديثتين في غلبة الإلحاد علي الديانة إلا من حيث أن الانقلاب اللاديني تأسس في تركيا جبراً من الحكومة مفاجأة من عهدي مصطفى كمال، وفي مصر بالنشر والدعاية المدسوسة من حملة الأقلام والمحاربة من الحكومة المرتبطة هي الأخرى بمحاربة من الغرب الذي هو رأس هذه الفتن المدبرة في المملكتين، فإنجلترا انتهزت فرصة كون تركيا في عداد الدول المغلوبة في الحرب العالمية الأولى، فساومتها بواسطة مصطفى كمال، الذي وجدته أنصع أهل لهذه المساومة، علي الاحتفاظ باستقلالها، في مقابل التنازل عن الخلافة، والتجرد عن الدين، والمشى في السياسة الدولية من وراء الإنجليز، كأنها مولى العتاقة لها، وتسني انتشار الإلحاد في مصر تحت حماية الإنجليز من غير ثمن مقابل يذكر.

نعم، إن تركيا الحديثة أخسر صفقة وأسوأ عاقبة من مصر التي أدركت ما يضمم الإنجليز من البغض العميق نحو المسلمين فأخذت تقابل البغضاء بالبغضاء وتكرهها بكل قوتها على أن تكف أيديها عن مصر في حين أن تركيا دخلت في حماية الإنجليز ووصايتها وكفرت بنعمة الله التي كانت لها حين كانت دولة إسلامية.

ولقائل أن يقول: تجلو الإنجليز بعد الحرب العظمى الثانية عن مصر، لأنها بلغت رشدها في الابتعاد عن الدين، ولم تعد تحتاج إلى شيطان الوصاية ..

فهل أدركت أيها القارئ عمق الكارثة وفداحة الخطب ..

كارثة شرذمة العالم الإسلامي وتقريق أمته دولاً ..

تخيل أن كل دولة من دول مجرى النيل - على سبيل المثال - تفعل في النيل في أرضها ما شاءت ..

ثم تخيل أن كل محافظة تفعل في الجزء الذي يمر بأرضها من النيل ما شاء لها الهوى ..

أتظن أن النيل يبقى بعد ذلك نيلاً؟ ..

أم ماء آسن إن بقي ماء ..

فلماذا تظن أيها القارئ أن الوضع يختلف بالنسبة لتاريخنا ..

حين مزقه لنا العدو شر ممزق ففتنولناه كما أعطناه ..

فقدنا النظرة الشاملة وتصورنا لكون لا يستوى على عرشه إلا الله ..

استسلمنا لوقوفه الكلاب..

استسلمنا .. نسينا الله فأنسانا أنفسنا ..

نسينا أيضا محمود شاكِر .. نسيناه حيا وميتا ..

أنسوننا إياه لأنه كان يملك هذه النظرة الشاملة..

يقسم محمود شاكِر^١ مراحل الصراع بين الصليبية والإسلام بقوله:

تستطيع أن تتبين أربع مراحل واضحة للصراع الذى دار بين

المسيحية الشمالية والإسلام :

* المرحلة الأولى : صراع الغضب لهزيمة المسيحية فى أرض الشام ودخول أهلها فى الإسلام، فبالغضب أملت اختراق دار الإسلام لتسترد ما ضاع، وتدفعها بغضاء حية متسامحة، لم تمنع ملكا ولا أميراً ولا راهبا أن يمد المسلمين بما يطلبونه من كتب " علوم الأوائل "، الإغريق ، التى كانت تحت يد المسيحية يعلوها التراب، وظل الصراع قائما لم يفتِر، أكثر من أربعة قرون..

* المرحلة الثانية: صراع الغضب المتفجر المتدفق من قلب أوروبا، مشحونا ببغضاء جاهلة عاتية عنيفة مكتسحة مدمرة سفاحة للدماء، سفحت أول ما سفحت دماء أهل دينها من رعايا البيزنطة، جاءت تريد هى الأخرى ، اختراق ديار الإسلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذى بقى فى الشام قرنين، ثم ارتد خائبا إلى موطنه فى قلب أوروبا.

* المرحلة الثالثة: صراع الغضب المكظوم الذى أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوهجة عنيفة، لكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام مرة ثالثة بالسلح وبالحرب، فارتعدت لكى تبدأ فى إصلاح الحياة المسيحية، بالاتكاء الكامل الشديد على علوم الإسلام، ولكى تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك مؤس، وظلت على ذلك قرنا ونصف قرن.

وهذه المراحل الثلاث ، كانت ترسف فى أغلال القرون الوسطى، أغلال الجهل والضياع، ولم تصنع هذه المراحل شيئا ذا بال.

١ - رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا- أباطيل وأسمار- مرجعان سابقان .

* المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية،
يزيده اشتعالا وتوهجا وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر في العظام
على الترك، (أى المسلمين) وهم شبح مخيف مندفع فلا قلب أوروية، يلقي
ظله على كل شىء ويفزع كل كائن حى أو غير حى بالليل أو النهار.
وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى لم تصنع للمسيحية شيئا ذا بال، فصراع
الغضب المشتعل بلهيب البغضاء والحقد هو وحده الذى صنع لأوروية كل
شىء إلى يومنا هذا .."

إننى أناشد كل قارئ لهذا المقال أن يقتنى كتاب محمود شاكر هذا
والذى أصدرته دار الهلال كما صدر فى مكتبة الأسرة (لا أدري والله
كيف) .. وأناشد مسئولا فى وزارة التعليم لم يصبه وباء الخيانة أن يدرس
هذا الكتاب فى مرحلة من مراحل التعليم بحيث لا ينتهى طالب من تعليمه
إلا ويكون قد درسه..^١

فى إيجاز معجز يلخص لنا العلامة محمود شاكر الأمر كله .. كيف
ينظر إلينا الغرب .. لا .. ليس الغرب فقط .. بل وكيف ينظر إلينا حكامنا
والمحكمون فى تعلمنا وإعلاننا وثقافتنا بل كيف ينظر إلينا معظم كتابنا ..

يقول محمود شاكر عن صورتنا عند أعدائنا:

" كان جوهر هذه الصورة الميثوث تحت المباحث كلها، هو أن هؤلاء
العرب المسلمين هم فى الأصل قوم بداءة جهال لا علم لهم كان، جياح فى
صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبي مرسل، ولقق لهم
دينا من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه، ولم يلبث هؤلاء
الجياح أن عاثوا بدينهم هذا فى الأرض يفتحونها بسيوفهم، حتى كان ما
كان، ودان لهم من غوغاء الأمم من دان، وقامت لهم فى الأرض بعد قليل
ثقافة وحضارة جلها مسلوب من ثقافات الأمم السالفة كالفرس والهند
واليونان وغيرهم، حتى لغتهم كلها مسلوقة وعالة على العبرية والسريانية
والآرامية والفارسية والحبشية..

كان جوهر دراسات الاستشراق فى البداية : أنها كتبت للمثقف
الأوروبى وحده لا لغيره، وأنها كتبت له لهدف معين، فى زمان معين،
وبأسلوب معين، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول

١ - رسالة فى الطريق إلى ثقافة - دار الهلال - محمود محمد شاكر .

الموفق إلى حماية عقل هذا الأوروبي المثقف من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب...".

إننى أريد أن أقول لك أيها القارئ في جل أنحاء عالمنا الإسلامى أن ما تسمعه فى إذاعات بلادك وما تراه فى تليفزيوناته وما تنشره عليك صحفك وما يكتبه لك كتابك وما يتعلمه أبناؤك فى مدارسهم لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى تزييف وعيك ومنعه من أن يتحرك فى جهة مخالفة للجهة التى يحددها النظام العالمى الجديد والعولمة..

أريد أن أقول لك أيضا أيها القارئ أن بعض كتابك ينطبق عليهم الحديث النبوى الشريف : " سيخرج من أمتى أقويام تتعاهى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .."

أريد أن أقول لك أنهم لا يكتبون لك بل يكالبونك : كالب الرجل مكالبة وكالبا أى ضايقة مضايقة الكلاب ..

سَمِنَ الكلب بجوع أهله..

فى مقالة ماضية ذكرت أن بعض الكتاب قد تجاوزت ثروته من مصروفه الحكومى مائة مليون جنيه وقد تصل إلى مليار جنيه..

أى شىء باعوه..

أى وعى زيفوه..

متوسط ثمن المقال خمسون ألف جنيه ..

المقال الذى يزيفون به وعيك أيها القارئ يدفعون له فيه من دمك خمسين ألف جنيه..

سَمِنَ الكلب بجوع أهله..

كلب أدلعه العطش: أى أخرج العطش لسانه من فمه ..

يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعا لسانه فى النار..

يبعث كاتب مقالات التزوير - لا التنوير - يوم القيامة مدلعا قلمه ولسانه ويمينه فى النار..

يبعث الجائر - وإن كان ملكا أو رئيسا أو أميرا - يوم القيامة فى النار.

يبعث الظالم - وإن كان مستشارا وقاضيا - يوم القيامة فى النار..
يبعث المستكتب المستتبج - وإن حصد كل جوائز الدولة - يوم القيامة
فى النار..

ويقول الشاعر:

نكهت مقالهم فوجدت منه : كريح الكلب مات حديث عهد ..!!..
وقحب الكلب أى سعل ومنها امرأة قحبة حيث كانت الداعرات يسعلن
حتى ينبهن طالبي المتعة إليهن..
قحب الكاتب أى أصدر صوتا ينسبه فيه السلطان أنه مستعد لبيع
ضميره وأهله وأمتة وعرضه ودينه..
قحب الكاتب - حتى وإن كان مستشارا - حين يكتب فى أكبر
الصحف كى يسبغ على حاكم ما لا يجوز إلا لله..
قحب المسئول - وإن كان وزيرا - حين يعترف بالزنا فيضحكون
له ويهللون (فالزنا وأى كبيرة من الكبائر دليل قطعى على أنه ليس ظلاميا
إرهابيا متأسلما) ..

قحبت الصحيفة التى ابتسرت الإسلام فى الفاشية فقالت:

" ... أما مواجهة الفاشية فهى مسئولية الفكر المدنى " ...

ثم تستطرد لتوضح ما يعنيه بالفاشية التى تكرسها السلطة:

" فعلى مستوى الإعلام أصدر مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون
قرارا يفرز الفن الكافر من الفن المؤمن فى قوله أن تراعى البرامج
والدراما أن مفهوم الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى يجب ألا يُنظر إليه
فقط من منظور فلسفى واعتقادى لكن تتعين ترجمته إلى سلوك يشمل كل
مجالات الحياة، وأن الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر وبالقدر خيره وشره"...

ثم تستطرد الصحيفة القومية فض فوها وبورك لاعنها :

" ... وهو ما يعنى فى رأينا أن المنهج الذى مارسه وسائل الإعلام

كان أحد المنتجين الكبار للإرهاب فى مصر.."...

قحب رسام الكاريكاتير الذى ابتسر القرآن فى الفلكة فراح يتصدى فى أكبر الصحف لنداء الدكتوراة نعمات أحمد فؤاد بالعودة لتعليم القرآن ولأن القحب لا يستطيع مهاجمة القرآن مباشرة فهو يهاجم الكتاتيب والفلكة كناية عن القرآن ..

قحب الصامت عن جريمة مسئول قالت إحدى الصحف أنه هرّب متهمه إلى الخارج بعد أن حصل منها على رشوة مقدارها ثلاثون مليون جنيه.. وأنه بعد أن تلقى الرشوة أدرك خطورة ما فعل .. أدرك أنها تكون القاضية فحاول التراجع لكن اللصة المجرمة كانت قد تحسبت لذلك فسجلت واقعة الرشوة فأسقط فى يده وتوكل على الشيطان وأكمل جريمته .. فلم يحاسبه أحد..

قحب الصحفى الذى هبط به الحقد الأسود إلى ما دون غريزة الحيوان الساعية إلى المحافظة على النوع والتعصب للجنس.. فإذا به يبارك لحبس زملائه وقد يهمل لقتلهم.. ويجعل مانشيت صحيفته الأكبر حربا عليهم وعونا لأعدائهم..

قحب الأجير ينبح على الوقور..

قحبت صحيفة منذ نشأت صحيفة ضرار..

هل رأيت أيها القارئ وهل ترى كيف يندفع قطيع من الكلاب لمهاجمة فريسة وتمزيقها

وهل رأيت أيها القارئ وهل ترى كيف يندفع قطيع من الكتاب لمهاجمة شخص أو رأى ..

هل حاولت أيها القارئ أن ترى اليد المحركة لهم.. هل حاولت أن تتلمس اتجاههم..

إنهم ليسوا أنصار ديموقراطية - وإلا ما سكتوا عن كل هذه الدكتاتوريات - ولا أنصار حرية - وإلا ما سكتوا عن كل هذه العبودية التى ترسف فى أغلالها الأمة والأوطان - ولا أنصار طهارة - وإلا لما ارتكبوا كل هذا الدنس - ولا أنصار علم - وإلا لما كانوا بكل هذا الجهل - ولا أنصار تنوير - وإلا لما كانوا روادا للتزوير - وإنهم ليسوا مع اشتراكية ولا رأسمالية.. إنهم ضد الله.. إنهم عبيد الشيطان.. إنهم صنعة

الصليبية وثمرتها المرة.. إنهم تلاميذ دنلوب وصبيان زويمر وجند كرومر.. إنهم العساير (العسبورة ولد الكلب من الذئبة) التى تسلطت علينا كى تخذعنا عن أمرنا وكى تنسينا موضعنا فى هذا الكون كخير أمة أخرجت للناس..

تخيل أيها القارئ لو أن مجدى حسين باع الآخرة واشترى الدنيا وأيد إسرائيل وأمريكا..

أى دفاع محموم - كله باطل كانوا سيدافعون به عنه مهما ارتكب-.. وتخيل أن يوسف والى هجر إسرائيل وأمريكا وهاجر إلى الله.. هل كانوا سيقبلون منه توبة..؟!؟..

إنهم يتسترون خلف ألف ستار يخفون به دنسهم.. تحميمهم أجهزة الدولة.. وتحميمهم أمريكا وإسرائيل وتحميمهم الصليبية.. وتغسل أجهزة الإعلام دنسهم .. جاهلة أو متجاهلة أن الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل..

فى رواية سلوى بكر ليل ونهار^١ يعود البطل زاهر كريم من الخارج محملاً بملايين كثيرة، يتصل بمجلة ليل ونهار لإجراء مسابقة جائزتها مليون جنيه لأفضل اقتراح عن فكرة مفيدة مبتكرة لصالح المجتمع أو بعض الناس فيه، على أن يتكفل هو بتنفيذ هذه الفكرة فى حدود مليون جنيه أخرى بعد وصول آلاف الخطابات التى تساعده فى فرزها وتبويبها الصحفية المبتدئة يدور الحوار بين زاهر كريم وبين الصحفية، فيقول بمرارة :

- المسألة مخيفة فظيعة جدا..

تساءلت :

ما هو المخيف والفظيع ؟..

رد مستكراً سؤالى:

- ألم تلاحظى ما هو المخيف والفظيع ؟.. كل هذه الخطابات لا يوجد بينها خطابان متفقان على فكرة واحدة.. ألا تدركين معنى ذلك ؟.. ألا يعكس هذا شيئاً مخيفاً فظيماً ؟.

لم أفهم مقصده على وجه التحديد، فقلت مدافعة عن غياب التشابه:

- الناس لديها أفكار كثيرة مختلفة ومتباينة، وهذه مسألة صحية ولا أجدها مخيفة أو فظيعة..

- هذا غير صحيح، الناس عادة تتفق، تخلق أشياء وعوالم مشتركة، وتنتج أفكارا متقاربة، إذا كانت تعيش حالة من النفاذ والتمازج، إن هذا هو الطبيعي بالنسبة لأي جماعة بشرية يربطها ماض مشترك وحاضر مشترك وتعيش على أرض واحدة هل وجدت فكرة مشتركة بين جميع هذه الخطابات ؟..

قلت بعد تفكير:

- في معظمها أفكارا تعبر عن الصالح العام..

- الصالح العام ؟..

تساءل ثم واصل:

- إن هذه الخطابات لا تعكس بأي حال من الأحوال فكرة وجود هدف كبير مشترك على مستوى المجتمع ككل، لم تكن هناك فكرة تتعلق بمستقبل البلد، الوطن، المجتمع، بعبارة أخرى ليس هناك مشروع.. أين هؤلاء الملايين الذين ظلوا موجودين تحت دائرة الضوء يصنعون التاريخ، أين الذين كانوا في الماضي يخرجون في المظاهرات يتحدثون البنادق والرصاص ؟.. أين أولئك الذين كانوا يؤثرون في صنع القرار ؟.. يغيرون حكومات ووزراء ودول ؟.. هل ابتلعهم الطوفان ؟.. هل اختفوا فجأة من على خريطة الأحداث وكأنهم لم يكونوا أبدا ؟.. كنت دائما أحلم بأن أستكمل ما بدأه جدى وأبى، أن تكون لنا صناعة مستقلة قادرة على المنافسة، وصنع اقتصاد مستقل متين، لكننى كلما توغلت في دنيا الأعمال أكثر، أشعر أن حلمى يبتعد، وأن قدمى تغوصان في عالم تحكمه قوانين السمسرة والعمالة والارتباط بالغريب فلا أعرف بصراحة إلى أين يسير مشروعى فى النهاية..

ولا ترد الصحفية عليه وإنما تحدث نفسها :

" لا أعرف من أين أبدأ الرد على كلامه، هل أحدثه أولا عن الملايين، التى باتت الآن الأغلبية الصامتة ؟.. الأغلبية التى جرحت وسحقت لحد الانسحاق، بسبب فنون وشطارة السياسة الحديثة، وأساليب التهديد والوعيد بكل الأشكال والطرق ؟.. هل أقول له أن هذه الملايين يؤت من كل إصلاح بعد أن ظلت تدفع الثمن طوال سنوات وسنوات من دمها، ولم يتبق لها إلا لعق الجراح ؟.. أنت يا زاهر كريم لا تعرف ما الذى حدث هنا، أنت لا تدرك مدى المأساة ومدى المهزلة..

هل تدركون أنتم يا معشر المتقنين والكتاب، أو يا معشر المتقنين الكتاب مدى المأساة ومدى المهزلة؟؟ المأساة والمهزلة التي تصنعونها وتضيفون عليها كل يوم بممارساتكم

فى كتابها النهائي (المبتسرون) الذى انتحرت بعده تقول أروى صالح :

" لم يعد هناك حلم مشترك، بل خوف مشترك من الخواء الذى يحل بعد ضياع الأحلام، من عدم الأمان الاقتصادى، ومن الوحدة التى تكتسح مجتمعا يبدو الجميع فيه منشغلا بنفسه وقد فقد الموضوع مع ذلك، ليس لديه ما يتبادله مع بعضه البعض سوى الشكوك أحيانا والمنافع طول الوقت، الأفكار فيه ترف غريب فاقد المعنى، شأن الواقع نفسه الذى لم يعد أحد يحلم بالخلاص من سطوته .. " .

وتواصل أروى صالح:

" وسط الانهيار العظيم، أخذ الجميع يبحث عن أرض مضمونة يسند عليها قدميه اللتين اتضح أنهما كانتا معلقتين فى الهواء، وفى واقع انعدمت فيه كل أرضية مشتركة بين أفراد المجتمع بأسره، حيث الهم الوحيد الحقيقى هو أن يؤمن كل فرد نفسه ماديا، أصبحت الأسرة - بعد الشغل - هى الحصن الرئيسى للفرد الذى لم يعد ينتمى فى الواقع إلا لأسرته، الأرض الحقيقية الوحيدة تحت قدميه، وهو ما لم يمنعها من أن تبلغ ذروة من التحلل لم تعرفها بلادنا من قبل ولم يكن الثوريون السابقون استثناء من هذا البحث عن جزيرة صغيرة خاصة يقف عليها المرء وسط هذا الطوفان، بل لعل حاجتهم كانت أشد ضراوة

لقد كانت إدانة أروى صالح لكم يا معشر المتقنين إدانة هائلة لم يكلف أحدكم نفسه عناء الرد عليها أو أنكم خشيتهم مواجهة من تعلمون أنها صادقة فأحطتم كتابها بالصمت حتى انفجر ذلك الصمت بانتحارها..

يا معشر المتقفين والكتاب لم نكن حتى نطالبكم بمشروع قومي، كنا فقط نرجو أن تكفوا عن تكبيلنا بأساليبكم المجرمة..

فهل كنا على صواب في هذا الأمل؟ أم أننا تجاهلنا أن الإنسان وحدة متسقة وكل لا يتجزأ، وأننا لا نستطيع أن نصوم بالنهار ونصلي للنزى بالليل ونكذب، الإنسان وحدة متسقة، ولأنكم رضيتم أن تكونوا للسلطان خدما بكل ما تحويه كلمة الخدم من معان العبودية المطلقة الموعلة في القدم فقد كان يستحيل عليكم فعل أى شيء آخر، فالإنسان إما أن يعبد الله وإما أن يعبد قيصر، ولقد اخترتم أن تعبدوا قيصر، وكان لابد مع اختياركم هذا أن تكونوا مسطحين مشوهين بلا مبادئ ولا قيم ولا مثل ولا ثقافة ولا وطنية ولا دين، إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق، واللاعب السيئ هو الذى يفرض مستوى اللعب لا اللاعب الماهر، والمناقش الجاهل هو الذى يحدد مستوى الحوار، والمثل السيئ فى مسرحية يهبط بمستوى الأداء حتى للعمالقة، ولقد كان من تأثير التلوث الثقافى والقيى الذى نشرتموه فى الأمة أن أفقدتم الجميع الثقة بالجميع فجعلتم من الكل جناة ومن الكل مجنيا عليهم، لم يعد فى المجتمع مثل أعلى، لا كفر ولا كقيمة، فرضتم العزلة على الآراء الحرة والصحيحة، خنقتموها فازدهر النبت الشيطانى وترعرع، ومن أجل سيدكم ومولاكم يا خدم السلطان كان ديدنكم فرق تسد، فرق يبق مولاك فى أمان، اسخر من الكل وشوه الكل كي لا يملكوا فرصة الاجتماع، ففى اجتماعهم الخطر كل الخطر على مولاك..

يا معشر الكتاب والمتقفين : من اصطنعه السلطان صبغه الشيطان..

فيا مصبوغين .. أنتم تنهشون أمتكم ..

نهش الكلب نبج الكلب نبج الكلب فيا جل معشر الكتاب والمتقفين
اسكتوا مشفوحين مقبوحين منبوحين ..

فلنعد مرة أخرى إلى العلامة محمود شاكِر:

"... وإذا كان هلاك بعضى قد أفرغنى إلى التأمل ، فإن هذا قد أفرغنى إلى النظر ومراجعة أمر مصيرنا ومصير أبنائنا من بعدنا. فنحن نعيش فى عالم يتربص بنا الدوائر، وإن زعم بعضنا لبعض أحيانا أننا بعض هذا العالم، وأننا على مدرجه إنسانية شاملة من التطور.... كلا ، بل هو عالم يريد أن يبتلع عالما آخر: أن يفترسه، ثم يقضقه، ثم ينهشه، ثم يبتلعه بضعة بعد بضعة"

"من أشد الغفلة أن نعيش هذه الأيام المظلمة بأعين مفتوحة وقلوب مغلقة. فالقلب إذا أغلقت الأبواب على بصيرته، فلم يعد له نور ينبثُ وينفذ إلى أعماق الحوادث العظام التى تحيط به من كل جانب، كانت العين بعد ذلك أداة مجردة من الإحساس، مكفوفة عن النفاذ واللمح، لا تكاد تدرك مما ترى وتبصر سوى الظواهر الخداعة. وعندئذ يصبح الزمان حطاما من الساعات والأيام، وركاما من الشهور والأعوام، وتصبح الأشياء كلها صفا واحدا، ونمطا متشابها، قد خلا من الروابط، وعُرِّى من الأسباب. وإذا بلغ الأمر بنا هذا المبلغ، فقد يكون من أكبر الجهل أن يُسمى هذا (غفلة) ، إنما هو ضرب من الموت يصيب الحى، وينقله إلى لحد مظلم لا تراه العيون، وهو بعدُ مقيم على ظهر الأرض يسعى أو يتحرك أو يتكلم . "

فيا بعض معشر الكتاب والصحفيين ..

اتقوا الله فينا.. فى الأمة والله والدين والوطن..

كفوا عن النباح بأصوات الأعاجم..

كفوا عن الاستئساد علينا ..

ولا تكونوا من وسمهم القرآن الكريم : كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ!!^١

١ - يبدو هذا المقال الذى نشر قبل انفجار أزمة الولاية بتسعة شهور فى إدانته العنيفة للمتطرفين التنويريين وكأنه نشر بعد انفجار الأزمة لا قبلها!! راجع الملف الخاص بالولاية فى نهاية الكتاب.

صراط المغضوب عليهم .. والضالين' .. « ١ »

انفجرت في الضحك أضحك الله سنكم..
يكاد الضحك الغالب علىّ يمنعني من كتابة المقال..
كان اليوم يوم خميس كما جاء في صدر الصحيفة القومية - هذا
لو صدقت الصحيفة ١١- .
وكان رئيس التحرير يكتب مبشرا بالتغيير الوزاري الذي ينتويه
الرئيس..
أذهلتني المفارقة فضحكت..
ذلك أن أول واحد تنتظر الأمة - على جمر - أن يشملته التغيير هو
رئيس التحرير نفسه..
أذهلتني مفارقة قدرة هؤلاء الناس أن يحتفظوا بكل هذه الشفافية لكن
في الاتجاه المضاد.. فضحكت..
اندفع بيت شعر لنزار قباني يتراقص أمامي حاولت أن أستنقذ
من تلابيب الذاكرة عنوان القصيدة أو أبياتا أخرى لكنها استعصت على..
كان بيت الشعر يقول:
ولم أر إلا جرائد تخلع أثوابها الداخلية..
تأملت خيال الشاعر فضحكت.. ضحكت ضحكت..

رحت وأنا من الضحك في غاية أقرأ أحمد مطر:
لماذا كلما أمعنت في قتل الذباب ..
وانتقاد الاغتصاب..
أبدت إشمئزازها مني المفاسد..
والمراحيض التي تدعى جرائد..
لماذا كلما غطيت ثقب الزندقة جرحت أمزجة العهر..

ولاكتنى الفروج اللبقة..
أمن الفحشاء أن استنكر الفحش..
وأدعو العيب عيبا..
أيسمى الصدق سببا..
حسنا ..

هذى حمير نهقت .. ماذا تسمون الحمير الناهقة؟!..
قرأت ذلك مستعيدا شطرة المراحيض التى تدعى جرائد ..
فضحكت.. ضحكت ضحكت..

رحت أتأمل ما قرأته فى الأسابيع الماضية وما أتوقع أن أقرأه فى
الأسابيع التالية فقلت لنفسى أن منظر الأسد العجوز الذى سقطت أنيابه
وانبرت مخالبه منظر مأساوى لكن وقع المأساة لا يخلو من السخرية حين
يتسول ذلك الأسد طعامه من الكلاب .. فضحكت..

وقلت لنفسى أن عبقرية الدين والأحاديث الدينية كجواهر الأرض لا
تبدى لنا بهاءها إلا إذا احتكت بالتجارب.. ومن تلك العبقریات اشتداد
غضب الله على شيخ زان.. فغضب الله على الزناة جميعا لكنه يشتد على
الشيوخ حين تتم الخيانة بلا أى مبرر..

وقلت لنفسى أنه مرفوض أن تمتهن بنت العشرين الدعارة .. لكن
المذهل حقا أن تمتهنها ابنة السبعين..
فضحكت..

يوم السبت كنت ما أزال أضحك - كان اليوم يوم سبت على عهدة
الجريدة القومية الكبرى - عندما قرأت مقال رئيس تحرير آخر...

لقد فقدت الثقة حتى فى أيام الأسبوع وتاريخ الأيام التى توردها تلك
الصحف فربما قرأت العدد القادم فى الأسبوع الماضى وربما قرأت صحف
السبت يوم الأحد وصحف الخميس يوم السبت .. لذلك أناشد القارئ ألا
يحاول استنباط اسم شخص ما لم أذكره بصراحة.. لأننى أتناول النمط لا
الشخص..

رحت أقرأ الجريدة..

أدهشتنى قدرة هؤلاء الناس على ألا يرتكبوا صوابا ولو بالمصادفة..
 أن يسبوا دائما على صراط المغضوب عليهم والضالين ..
 قلت لنفسى أن الساعة المتوقفة تماما عن العمل ترتكب الصواب
 مرتين كل يوم.. لكن هؤلاء الناس لا يصيبون أبدا .. أبدا..
 تعانقت شطرتان من بيتى شعر عن المراحض التى تدعى جرائد
 وعن الجرائد التى تلخ أثوابها الداخلية وراحتا تتراقصان أمامى..
 فضحكت..

رحت أنصفح الصحيفة فإذا بكل الأقلام مجندة .. ليس لتحقيق النقد
 الداخلى أو الخارجى.. ليس للعثور على علية العيوبى - ولن يعثروا عليها
 أبدا مادام : حاميا حراميا ١١- أو للمطالبة بمحاكمة المسئول الذى
 ساعدها على الهرب دون معقب عليه، ولا لوقف التعذيب فى السجون
 ولا للإفراج عن المعتقلين دون أحكام ، ولا للمناشدة بوقف التزوير
 فى الانتخابات والاستفتاءات، لم تجند الصحيفة أقلام كتابها لأى من ذلك..
 بل جندتها لاغتيال مجدى حسين^١ ورفاقه..
 يقتلون رجلا أن يقول ربى الله ..
 قيل ادخل الجنة..

قلت لنفسى : يهلكنا من أهلك من قبلنا .. وضحكت..
 نصّب كاتب (أرجو عدم نسيان الشدة على الصاد وإلا اتهمت بالعيب
 فى الذات الصحفية وأحلت إلى القضاء لأسجن) .. أقول نصّب كاتب من
 نفسه قاضيا فراح ينصح قضاة مجدى حسين بإعادة محاكمته لأنه صرح
 أنه يرفض الحكم ويعترض عليه..
 ضحكت..

الغيبى لا يدرك أن نصيحته هذه فى عرف القضاء مرفوضة..
 والغيبى لا يدرك أن القضاء - العظيم الشامخ العادل الـ .. الـ ..
 الـ .. هو الذى وضع آليات النقض ، وما النقض إلا اعتراض..

١ - رئيس تحرير صحيفة الشعب المصرية، وكان مسجوناً آنذاك فى قضية الدكتور يوسف والى، وقضيته تصلح
 كنموذج للدراسة عبر الأجيال، لقد قضت محكمة النقض ببراءته فى كل القضايا التى وصلت إليها، وكانت
 السلطة مصرّة على حبسه كل مرة.

والغبي يجعل من القاضى إلها لا اعتراض على قضائه.. والغبي نفسه
يعتبر التسليم بقضاء الله إرهابا وتخلفا وجمودا..
حمدت الله أن الغبي ليس قاضيا وإلا لصدق فيه شعر محمود درويش:
ما الذى تطلبه يا سيدى القاضى من العابر بين العابرين؟..
فى بلاد يطلب الجلاذ فيها . .
من ضحاياها مديح الأوسمة!!..
أن لى أن أصرخ الآن وأن أسقط عن صوتى قناع الكلمة..
هذه زنزانة يا سيدى . . لا محكمة . .
أنا الشاهد والقاضى . .
و أنت الهيئة المتهمه!!..

محمود السعدنى^١ - ويا لقلبه الشفوق الرفيق - يطالب الشعب بأن
تتشر اعتذارا ليوسف والى ثلاثة مرات بأبناط ضعف ما كانت تتشر بها
ضده .. وبعدها فقط يمكن لهم أن يتوجهوا ليوسف والى ليطلبوا منه الصفح
والمغفرة..
بلغت شفقة الولد الشقى أنه لم يطلب منهم أن يحملوا أكفانهم أيضا ..
واكتفى بأن يحمل هو أكفان النزاهة والشرف..
فضحكت ..

كويتب آخر يتملق الشيطان فيهاجم صحيفة الشعب .. وكويتب
يهاجم إبراهيم نافع.. وكويتب يهاجم المجلس الأعلى للصحافة.. لم أحتمل
مواصلة مقاله فعدت إلى ديوان أحمد مطر^٢ :
آه يا مرتزقة . .
ياجنادير . .

١ - صحافى مصرى معروف، يكتب الآن فى صحيفة أخبار اليوم ومجلة المصور وصحف أخرى عديدة، سجن
فى عهد السادات فى قضية مراكز القوى، عمل بعد ذلك فى الخليج والعراق ولندن حتى عاد فى عهد مبارك،
وهو كاتب ساخر، لكنه لم يكن معارضا أبدا.
٢ - ديوان: لافئات أحمد مطر - شاعر عربى معاصر شهير يعيش فى المنفى، وأشعاره متنوعة فى معظم الدول
العربية .

يا جرائش . .
يا أصايل مرابد..
يا زبالات الموائد
كم تطوعتم لا لتحرير الجماهير بل لتحرير الصكوك..
كم جعلتم شعبي المسحوق . . .
مسحوقا لتجميل قباحات الملوك..
كم أقمتهم في بيوت الشعب باسم الشعب . . .
والشعب بقعر السجن راقدا..
دمه من فوقكم . . . من تحتكم..
من حولكم . . . بين أياديكم . .
على المأساة شاهد..
منذ أجيال وشعبي . . .
فوق سندان الحكومات..
وانتم فوق شعبي مطرقة..
منذ أجيال وانتم تستريحون على أكتاف شعبي المرهقة..
وتدورون بسوح المهرجانات سكارى..
كالكلاب الشبيهة..
وتبولون عليه الكلمات الزلقة..
فمتى كان لكم ذوق . . . لكي تتهموا ذوقي بسوء الذائقة؟..
ومتى استاء من البصق . . . جدار المبصقة؟..
وضحكت.. ضحكت.. ضحكت..

كان القارئ يقول على الهاتف حزينا :
- لماذا تكره الكلاب كل هذه الكراهية ؟..
خشيت أن أبوح له بما في قلبي فصمت .. فواصل هو معاتباً:
- عندما أشاهد بعض البشر حولى - أو أقرأ لهم - أحترم
الكلاب !!!..

ولم أحر جوابا فرحت أتلو عليه قصيدة لنزار^١ :
 الدولة تحسن تأليف الكلمات ..
 وتجيد النصب .. تجيد الجر ..
 تجيد استعراض العضلات ..
 لا يوجد شعر أسوأ من شعر الدولة ..
 لا يوجد كذب أنكى من كذب الدولة ..
 لا أحد يرقص بالكلمات سوى الدولة ..
 لا أحد يزنى بالكلمات سوى الدولة ..
 ثم ضحكت ...!!..

وجدت نفسى أقف فى صف إبراهيم نافع ..
 فضحكت ..

وجدت نفسى أطلع هجومهم على إبراهيم نافع فضحكت ..

نفس الأسلوب الحيوانى المجرم الكذاب المجنون اللاأخلاقى الذى
 هاجمونا به .. ولو أتيح للقارئ أن يقرأ كلامهم دون أن يعرفهم لظن أن
 إبراهيم نافع قد تحول إلى زعيم من زعماء الإرهاب (هم وحدهم الذين
 يعرفون حقيقة دوافعه وسيكشفون عنها فى الوقت المناسب) .. والحكاية
 أن إبراهيم نافع قد تورط فى جريمتين لا يمكن غفرانهما له من عبدة
 الشيطان: الجريمة الأولى هى الأساس الذى حولهم ضده وقلبهم عليه لكنهم
 لا يستطيعون الحديث فيها فسوء اتهم فيها بادية .. لكنهم يستطيعون تحميل
 غضبهم على الجريمة الثانية وهذا يمنحهم أمام السلاطين ميزة أنهم يدافعون
 عنهم .. كانت جريمة إبراهيم نافع الأولى أنه نشر عن جريمة إهدار
 المال العام فى مؤسسة كبرى يرأسها مملوك منهم (المنطق يقول أن هذا
 أساس عمل الصحافة) لكنهم لا ينظرون للأمر كصحفيين (وربما
 هم أنفسهم لا يصدقون أنهم صحفيون) بل كعصابة لصوص ..

١ - من أشهر الشعراء العرب فى العصر الحديث، بدأ شعره فى أغراض الغزل المكشوف، توفى ابنه فى القاهرة،
 وزوجته فى بيروت بقصف مدفعى، وكان لكا حادث أثر عميق على شعره، حيث تحول إلى حامل لهُموم الأمة
 وانعكس ذلك على شعره الساسى.

ولا ينظرون إلى إبراهيم نافع كرئيس مجلس إدارة ونقيب وإنما ينظرون إليه كزميل فى العصاة خان عهد الشيطان بينهم فأبلغ العسس عنهم.. لكن ما ذنب إبراهيم نافع إن كان صحفيا حقاً وليس لصاً مثلهم.. كانوا متورطين محاصرين .. ولم يكونوا يستطيعون التبجح بوجوههم وظهورهم عارية.. كانوا فى مأزق.. لم يكونوا يستطيعون مهاجمة إبراهيم نافع لأنه كشف للدنيا أنهم لصوص.. لذلك كظموا الغضب الناتج من حقنهم عليه لكشفهم ليسقطوه على قضية مجدى حسين فى تلك القضية تستند ظهورهم وتغطى بالسلطين .. ولقد دفعهم هذا المأزق إلى تناقض مأساوى .. لقد كتلوا كل جهودهم كصحفيين لا لمناصرة زميل لهم دخل السجن.. بل لمطالبة إبراهيم نافع كنقيب ومسئول فى المجلس الأعلى للصحافة بإعادة محاسبة مجدى حسين وعقابه..!!..

قلت لنفسى أن الكلاب قد تتعارك مع بعضها لكنها حين تهاجمها الذئاب تتحالف ضدها ..

وقلت لنفسى أن الزمن القادم سيسجل هذه العجبة عندما انبرى نقيب الصحفيين ومعظم الصحفيين معه لاستصدار قانون لصالح الصحفيين فإذا بعصاة تتنابح عليه وتكيل له الاتهامات..

إن اختلافى فى الفكر والتوجه مع إبراهيم نافع لا يحتاج إلى تدليل . لكنه كان اختلافاً مع إنسان يمكن أن تختلف معه وأنت تحترمه .. مع إنسان لجأ إلى صناديق الانتخاب فنجح بينما هم لو رشحوا داخل بيوتهم لما نجحوا..

ضحكت..

أذهلتنى المفارقة فلجأت إلى كتاب " فئران البراميل " إعداد فريق من الخبراء بإشراف وتوثيق الأستاذ أسامة عرابى (وهو كتاب تحت الطبع)

والكتاب يتناول الملفات السرية للصحافة المصرية، ويسرد ما يسميه أسرار وحقائق عن معظم صحفى مصر وعن - مؤسسة الأخبار، الأهرام، روز اليوسف- وعشرات الصحفيين النفطيين فى مصر.

يقول الكاتب : " فى مصرنا المحروسة بالصمص والافاكين الآن، نمطان لا ثالث لهما من الكتاب والصحفيين: أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التى تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى، بعد أن امحت تماما الحدود الفاصلة بين عمل المخبّر الصحفى والمخبّر السرى. والنمط الثانى يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونسية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهى - بلا ريب - أمريكا ومن ورائها إسرائيل. أما من ارتضى لنفسه الاختيار الصعب، وهو أن يعيش شريفا عفيفا، صاحب مبدأ وموقف، فمكانه الأوحى الانزواء فى غياهب النسيان، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه ."

قرأت .. فعرفت .. ففهمت .. فضحكت..

سوف نعود إلى أسامة عرابى لنطالع معه إلى أية هوة سحيقة اندرنا..

لكن بقيت غصة حقيقية تجاه محمود السعدنى.. وهو الوحيد الذى أتناوله باسمه فهو بالرغم من كل شئ من فصيلة يمكن أن تختلف معها.. والاختلاف نوع من الاحترام.. وأنت لا تحاور من تحتقر بل تبصق عليه.. محمود السعدنى: الشتام الكبير والساخر الأكبر..

وعندما يتهم محمود السعدنى شخصا آخر بأنه يشتم أو يقذف فتلك نكتة..

فإذا كان هذا الشخص هو مجدى حسين فإن هذه النكتة تكون أكبر نكتة فى حياة محمود السعدنى!!!

ومحمود السعدنى رجل الاختيارات الخاطئة طول عمره لكنه مارس هذه الاختيارات بعذاب لا يوصف.. وكان هذا العذاب كفيلا بدفعنا إلى التعاطف معه رغم الاعتراض عليه.. ولقد نجح فى أن يفجر منا أعتى الضحكات وهو يسخر من الآخرين ويقذف فى حقهم ويسبهم كما نجح أيضا فى استئثار دموعنا وهو يتحدث عما لاقاه من مذلة وعذاب وهوان وهو يتنقل فى منافيه.. ثم وهو ينتظر أعطيات أمير أو رئيس أو ملك كى يكمل علاج ابنته فى لندن..

أعترف أنني بكيت معه وهو يحكى تفاصيل الألم الذى كابده وهو يترقب - بعد شقاء لا حد له - هل ستستطيع ابنته السير..

كانت الاختيارات الخاطئة تدفعه من مأزق إلى مأزق أشد..

كان قد فقد المرجعية التى تجعل لفكره إطارا متماسكا ولم يعد له من مرجع سوى الهوى والفطرة التى كانت تصيب أحيانا وتخييب فى غالب الأحيان..

ولقد كنت معجبا بمعارضته لمواقف السادات تجاه أمريكا وإسرائيل رغم شك - (تأكد الآن بعد موقفه من مجدى حسين ويوسف والى) فى أنه لم يعارضه إلا لأنه لم يجد دورا فى حكمه ..

ويالها من مأساة أن يفقد السعدنى دنياه كلها والله أعلم بآخرته بمعارضته للسادات من أجل موقف السادات من إسرائيل وأمريكا ثم يتخذ هذا الموقف الآن مع يوسف والى..

مهما كانت الآراء فأحسبها جميعها تتفق أن السادات لم يبلغ فى علاقته بإسرائيل أبدا ما بلغه يوسف والى..

يالها من مأساة أن يحول حياته كلها بموقفه الأخير ذاك إلى عبث لا يطاق ولا يعقل ..

لقد كنت أتجنب - احتراما لما عاناه ولشيخوخته - أن أتعرض لمواقفه ..

لم أتصل به إلا بعد أن كتب عن أحد كتبى .. وبرغم أسلوبه الساخر فقد كان يبدى إعجابه .. ودار أغرب حوار يمكن أن يدور بين كاتبين.. إذ قال :

- أى نوع من الحشيش تشرب؟! ..

فقلت له:

- بل لم أر الحشيش فى حياتى..

فقال بذهول:

أنت كذاب وأنا لا أصدقك..

أخذت فسكت فواصل هو قائلا بنفس الذهول (والمصيبة أنه حقيقى):

- كيف تكتب إذن مثل هذه الكتابة المتدفقة دون حشيش..
قلت له (مذهولا أنا هذه المرة) :

- بل كيف يستطيع من يشرب الحشيش أن يكتب أصلا ..
فانفجر ضاحكا.. ثم واصل:

- إن كنت تخشى من مراقبة تليفونك فلا تخف .. اعترف .. اصدقني
القول أى نوع تتعاطى.. فهو نوع فاخر فعلا..

أرتج على القول وهو يلح فى دعوتى للقائه للاستمتاع بمأدبه وحديثه
ويحدثنى عن أصدقائه ويشرح لى أن إبراهيم نافع صديقه غير إبراهيم نافع
الصحفى .. ثم واصل القول :

- لا تخش من حشيشنا فإنه حشيش شرعى..
وضحكت.. ضحكت .. ضحكت..

وواصل هو:

- هل تعرف الحشيش الشرعى ؟!..
فقلت له :

- أنا لا أعرف الحشيش أصلا حتى أعرف الشرعى من غير
الشرعى ..

فإذا به يقول:

- الحشيش الذى أستعمله شرعى لأنه مستورد من وزارة الداخلية
رأسا !!..
وضحكت..

لكننى تجنببت بعد ذلك معاودة الاتصال أو الاستجابة لدعوته ..

واستمر موقفى ذلك حتى فوجئت به يطعن قلبى فيهاجم الإمام الحسين
فى خروجه على يزيد ويضرب المثل على خطئه فيتساءل عما يحدث
إذا خرج الشيخ الصباحى- قارئ الكف وزعيم الحزب - بأعضاء أسرته
الذين هم فى نفس الوقت أعضاء حزبه ليواجه أمريكا.. ماذا يمكن أن يقول
الناس عنه .. ثم راح يشبه ما قام به سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين
بالمثل الذى ضربه .. أخذ يواصل التخریف بأن يزيد أيامها كان القوة
العظمى فى العالم حين خرج عليه الحسين بأعضاء أسرته وحزبه..

انفجر الألم..

صرخت فى نفسى غاضبا من نفسى : هل أتجنب التعرض له احتراما
لما عاناه ولشيخوخته - أم تجنبنا للسانه السليط ..

انفجر الألم..

رحت أردد شعر الإمام الشافعى (ولست أقصد به محمود السعدنى
لكنى أصف به خشيتى من سلطة لسانه) :

بلاء ليس يعدله بلاء.. عداوة غير ذى حسب ودين..

ينيلك منه عرضا لم يصنه.. ويرتع منك فى عرض مصون..

انفجر الألم ..

قلت لنفسى لا بد من مواجهته وعند الله أحاسب ما سوف يصيبنى
من أذاه ..

مهما بلغ من أذاه لن أتردد ولن أفكر حتى فى محاسبته بل لعلى
أشكره أن منحنى أنا الضعيف العاجز تلك اليد التى تجعلنى أتباهى أمام
الله يوم القيامة أننى دافعت يوما عن الإمام الحسين فكأننى من جنده..

وكتبت فى الشعب مقالا كان مانشيته الرئيسى يبنط ضخم يتحدث
عن قلة أدب السعدنى .. قلت فيه :

"كى تكتشف قلة أدب محمود السعدنى ، قلة أدب حقيقية دون رمز
ولا استعارة ولا كناية ولا تشبيه (....) ومع محمود السعدنى نستعير كلمة
من كلماته وجهها هو نفسه إلى من حاكمه ذات يوم : "بعض الناس عندما
تقابلهم تخلع لهم قبعتك احتراما، والبعض ، الآخر تخلع لهم حذاءك" ..

وواصلت : "تصطخب الكتب وتتهافل التدايعات ، فيذيب الدم
الحاجز بين الماضى والحاضر، وتهب رياح الصراعات القديمة فإذا بها
ليست قديمة، وإذا بكل حركتنا عبر القرون إنما نتحرك إلى الوراء .

فقدنا البراءة والطهر ولم يفقد أعداؤنا الفجر والعهر، وماتت فينا
فريضة الجهاد والسعى إلى الاستشهاد فازداد أعداؤنا عتوا وغلوا، ولم يكن
صراع ، التقدم والتخلف إذن بل كان صراعا بين من يريدون عبادة الله ومن
يعبدون الشيطان . نعم صراع بين من يريدون عبادة الله ومن يعبدون

الشیطان ، ولقد تخفى هذا الصراع دائما فما كان يستطيع أبدا أن يسفر عن وجهه إلا فى أحوال شاذة ونادرة منها تلك الواقعة التي صدعت قلب الأمة أخيرا عندما ألقت الشرطة القبض على من يعبدون الشیطان مباشرة ويربطون المصاحف الممزقة حول أذيتهم ، فكانوا كمن يحلون للغز ويكشفون الرمز، ولم يكونوا وحدهم ، بل كانوا هم الطليعة الجريئة التي أفصحت ، لا عما تعبد به تلك المجموعة فقط ، بل عما تعبد به أممهم ، ومجتمعاتهم وصفوتهم وقياداتهم ، وربما شیوخهم أيضا.

وتحت ظلال حاضر مجلل بالسواد، ومستقبل تغلفه الغيوم ، لا يعود لنا سوى ماضينا نرتكز إليه ونستند عليه ، ومن هنا تأتى أهمية الأعمال التي تسألهم ذخائر الحكمة من الفترات المضیئة فى ذلك الماضى .. العقاد قد استوعب تلك الذخائر فصاغ رؤية محكمة عبقرية فى تناوله لها، ولنتأمل مثلا كيف تناول أبو الشهداء الحسين بن على رضى الله عنه يقول العقاد : (يتناوب طبع الناس مزاجان - متقابلان ، مزاج يعمل أعماله للأريحية والنخوة، ومزاج يعمل أعماله للمنفعة والغنيمة، والمزاجان لا ينفصلان كل الانفصال ، فقد تقترن الأريحية بالمنفعة، وقد تقترن المنفعة بالأريحية، ولكنهما إذا اصطدما، ولاسيما فى الأعمال الكبيرة لم يعسر عليك أن تفصل بين المزاجين، أما موقف المؤرخين فى العطف على حركات التاريخ فهو على ما ترى موقف مزاج بين هذين المزاجين ، وليس بموقف سبيل من سبيل البحث أو مذهب من مذاهب التفكير، فالذين يجنحون بمزاجهم إلى المنفعة يفهمون أعداء المنتفعين ، وينكرون ملامتهم على ناقدتهم ، والذين يجنحون إلى الأريحية، يفهمون دوافع النخوة يحسبونها إذا لأصحابها أقوى من غواية المنافع والأرزاق " .

ثم واصلت الكتابة:

" لم ينتصر معاوية على على بن أبى طالب إذن، ولا يزيد بن معاوية على الحسين بن على، بل انتصر أشباه معاوية ويزيد على أتباع على والحسين رضى الله عنهما وغلب أشياع يزيد ومعاوية أشياع الحسين ويزيد رضى الله عنهما. لم يكن العيب فى المغلوب ولا الميزة للغالب وإنما كان العيب فى الأمة . كانت وما زالت قد اختلت ودليل ذلك انه قد يجوز الخلاف فى المفاضلة بين على رضى الله عنه ومعاوية غفر الله له ، لكن

لا تجوز أبدا المفاضلة في الحسين رضى الله عنه ويزيد، ومع ذلك فقد كانت النتيجة واحدة ولم يكن موقف على أو الحسين رضى الله عنهما ضربة مغامر من مغامرى السياسة، ولا صفقة مساوم من مساومى التجارة ولا وسيلة من متوسل ينزل عل حكم الدنيا، أو تنزل على حكمه ، ولكنه من يدين الدنيا، ويدين نفسه ، برأى من الآراء وهو مؤمن به ومؤمن بوجوب إيمان الناس به دون غيره ، فإن قبلته الدنيا قبلها، وإن لم تقبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة بل لعل فواته بالموت أشهى إليه. لقد خرج الحسين من مكة إلى العراق واحتمالات الاستشهاد هى الغالبة، يرجح العقاد ذلك ويؤكد إبراهيم عيسى فى خروجه من مكة التقى الفرزدق الذى أخبره عن شأن أهل العراق : "قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء" ، وفى الطريق لقى مجمع بن عبيد العامرى فقال له : "أما أعظم الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم قلب واحد عليك، وأما سائر الناس بعدهم فإن قلوبهم تهوى إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك ، وكان الحر بن يزيد من قواد بنى أمية الذين أنيط بهم محاربة الحسين فلما رأى القوم يهمون بقتل الحسين ولا يكتفون بحصاره سال عمر بن سعد -قائد الجيش - أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ فلما قال نعم ، ترك الجيش الأموى وذهب يقترب من الحسين ، حتى دنااه فقال له : جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله ، أنا ضاحبك حبستك عن الرجوع وجعجت بك فى هذا المكان ، وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ، والله لو علمت انهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذى ركبت ، وإنى تائب إلى الله مما صنعت فهل ترى لى من توبة ؟! ثم انضم إلى آل البيت وراح يقاتل حتى استشهد وأخر كلمة فى فمه: السلام عليك أبا عبد الله.. لم يكن الحر بن يزيد ساعته طالب دنيا لا .. ولا يفسر موقفه حتى الاستشهاد أى من غرائز منطق الدنيا ولا الجنس ولا الديالكتيك ولا المال ولا السلطة ولا الشهرة.."

ثم طفقت أصرخ:

"يا حمقى يا علمانيون ويا يساريون حمقى : أن ذلك الذى ذكرت لا يصلح مبررا أو تفسيرا لموقف شهدى عطية عندما فضل الموت على الرضوخ لجلاده بالاعتراف أنه امرأة...!!".

أفتستكثرون وتستكثرون يا محمود السعدنى عل سيد الشهداء وآل البيت
ما تسوغونه لشهدى عطية .."

وواصلت :

" أقام الحسين ليلته الأخيرة فى كربلاء وهو لا ينتظر من عاقبته غير
الموت العاجل ، فأذن لأصحابه أن يتفرقوا عنه تحت الليل إذا كانوا
سيستحون أن يفارقوه فى ضوء النهار، فأبوا إلا أن يموتوا دونه ، وقال
له مسلم بن عوسجة الأسدى : أنحن نتخلى عنك ولم نعدز إلى الله فى أداء
حقك؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى
ما بقى قائمه بيدي، ولو لم يكن معى سلاحى لقدفنتهم بالحجارة دونك حتى
أموت معك ، ودنا منه حبيب بن مظاهر وهو وجود بنفسه فقال له : لولا
أنى اعلم انك فى إثرى لاحق بك لأحببت أن توصينى متى أحفظك بما أنت
له أهل ، فنطق مسلم بكلماته الأخيرة: أوصيك بهذا رحمه الله أن تموت
دونه.. وأوما بيده نحو الحسين..

كان على الحسين إما أن يبايع يزيد وهو فى مكة أو المدينة غصبا
حتى يتركه ولادة يزيد..و إما أن يستسلم ليبايع فى كربلاء ولو قد فعلها
لكرس الشرعية لدولة الطواغيت حتى قيام الساعة . لم يعد أمامه إذن
إلا الاستشهاد درسا داميا لكل من يليه . . درسا عمليا يثبت بالبرهان
الساطع والبيان القاطع أن دين الرجال وشرفهم أغلى من أرواحهم . لم يكن
الصباحى يا سعدنى ولا النظام العالمى الجديد ولكنه الإنسان فى عظمتة
وسموه حين يعطى التاريخ درسا يسربله بلباسه الدامى أن خليفة الله
فى الأرض أشرف من أن يحنى رأسه أمام الطواغيت طمعا فى الحياة
وخوفا من الموت ، موقفا مجردا عن الزمان ، مطلقا من المكان كي يلزم
البشرية كلها الحجة . لم يكن الحسين يسعى إلى حكم ولا إلى نجاة وما كان
أيسرهما عليه لو تخلى عن مكارم خلقه وسلك سبيل أهل لدنيا. كان كل
جيشه اثنين وسبعين فى مواجهة نيف وأربعة آلاف . لو أراد الحسين
أن يعيش لاستسلم قبل المعركة . ولو أراد أن يعيش والناس يلتمسون
له المعاذير لاستسلم بعد استشهاد نصف جيشه . ولو أراد أن يعيش وسط
إعجاب الناس بحسن بلائه وشجاعته لاستسلم بعد استشهاد ثلاثة أرباع
جيشه.. ولو أراد أن يعيش موسوما بالبطولة لاستسلم بعد أن لم يبق معه

سوى ثلاثة ولو أراد ما هو أكثر من البطولة لاستسلم لأكثر من أربعة آلاف يقاتلهم وحده .. ولو أراد أن يعيش لاستسلم بعد أن ضربه زرعة بن شريك التميمي عل يده اليسرى فقطعها. . أو بعد أن ضرب على عاتقه فخر على وجهه ، ولكنه راح يقوم ليقاتل فيطعنونه بالرمح ويضربونه بالسيوف فيكبو فيقوم ويكبو حتى بلغت الطعنات فيه ثلاثا وثلاثين طعنة وضربات السيوف أربعا وثلاثين غير مائة وعشرين ضربة سهم أو نبل.
يا الله ..

ما اشد ما صعبت الابتلاء علينا

هذا ابن بنت نبيك أحب الخلق إليك وذاك هو ابتلاؤه .

كان حتما أن يموت .. وبهذه الطريقة نفسها . بهذه البشاعة والإجرام والدموية والقسوة . . كيلا يكون لأى واحد منا ولا لأى جماعة ولا لأى دولة ولا لأى أمة سم خياط ينفذون منه .. أى اعتذار أمام الله يوم القيامة أن العدو كان أقوى وأكثر وأن الطواغيت كانوا - لا يهزمون . . حتى لو استحال النصر واصبح الموت حتما لا تسقط فريضة الجهاد وإلا سقطت كرامة الإنسان وشرفه قبل أن يسقط إيمانه ، وذلك هو الدرس ..".

أضحك أضحك أضحك أضحك ..

أضحك حتى البكاء فأنوح مع نزار قباني:

مواطنون نحن فى مدائن البكاء ..

قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء ..

طعامنا .. شرابنا .. عادتنا .. راياتنا ..

صيامنا .. صلاتنا .. زهورنا .. قبورنا

جلودنا مختومة بختم كربلاء ..

أضحك وأبكى وأسأل نزار قباني : لماذا لم تقل :

- وصحفنا القومية أيضا مختومة بختم كربلاء ..

صراط المغضوب عليهم .. والضالين' .. <<٢>>

أى حُمى وأى جنون يمكن أن تصيبنا جميعا لو سرت بين الناس شائعة - مجرد شائعة - أن أسهم شركة ما فى البورصة تبلغ قيمة السهم منها الآن مائة جنيه ستتضاعف فى نهاية العام ليباع بألف جنيه..

أى حُمى وأى جنون وأى تكالب لو كان أصحاب هذه الشركة من الأسماء اللامعة فى عالم الاقتصاد وليسوا نصابين وشذاذ آفاق..

وكم يبلغ مدى الحُمى ومدى الجنون ومدى التكالب لو أن البنك الأهلى وبنك مصر وبنك الإسكندرية ضمنوا ذلك..

من منكم يا قراء لن يبيع كل ما يملك كى يشتري من أسهم تلك الشركة..

أى حُمى وأى جنون يمكن أن تصيب الناس جميعا لو قيل لهم أن الفدان الذى يباع فى توشكى بألف وخمسمائة جنيه ستنصل قيمته بعد خمسة أعوام إلى مليون جنيه على الأقل.. وأن الدولة بنفسها تضمن ذلك..

أى حُمى وأى جنون يمكن أن تصيبكم يا ناس..

من منكم سيبقى فى الوادى..

من منكم لن يبيع ما أمامه وما خلفه كى يشتري بثمنه أرضا فى توشكا..

من..

من منكم..

أى حُمى وأى جنون يمكن أن تصيبكم يا ناس لو تعهدت الدولة أن الأمر لا يقتصر على ذلك.. لأن هناك فرصا أمام بعض الناس كى يجدوا الذهب والبترول والمعادن النفيسة فسيما يشترونه من أراض.. وأنها - أى الدولة - لن تشارك أحدا فيما وجد.. بل إنها ستساعده فى استثماره .. وبالمجان ..

١ - الشعب : ١٠/٩/١٩٩٩ .

أى حُمى وأى جنون..

وأى حماقة وأى غفلة سنصم بها أولئك لا يغتمون الفرصة..

هل يمكن أن يدع أحد - والحال ذاك - تلكما الفرستان - فرصة
أسهم البورصة وفرصة توشكا - تفلتان من يده..

حتى أولئك الذين لا يحملون فى قلوبهم الثقة واليقين الكاملين
بضمانات الدولة..

حتى أولئك سيفسرون الشك لصالح هذه الضمانات.. سيقولون لأنفسهم
من المؤكد أن خسائرننا ستكون قليلة جدا فى مقابل احتمالات للمكاسب
هائلة..

لن ينكص عن الشراء - يا قراء - إلا فئة واحدة..

تلك الفئة التى تملك اليقين المضاد ..

يقين بأن الدولة كاذبة وليس فى ذلك أى ريب..

ويقين بأن الدول الكبرى تبيع لنا الأوهام وأنها كاذبة وليس فى ذلك
أى ريب..

ويقين بأن من يندفع لاقتناء أسهم تلك الشركة فى البورصة أو لشراء
تلك الأرض فى توشكا ليسوا إلا من الحمقى والجهلة الذين سيطرت عليهم
غشوات الظلام والجهل والخرافة وأنهم صدقوا ما لا يمكن أن يصدق..
وأن هؤلاء الجهلة المتخلفون الظالميون إذ يندفعون ويتكالبون يخسرون
ما يملكونه فعلا فى سبيل وهم لن يملكوه أبدا..

وهم لم يحركهم له سوى الجهل والغباء والتخلف ..

ماذا يمكن أن يحدث يا قراء لو أن هذه الفئة القليلة التى ظنت بنفسها
العلم والاستتارة حاولت أن تعرقل مسيرة ملايين المندفعين نحو البورصة
ونحو توشكى..

ماذا يمكن أن يحدث..

هل أقل من أن تسحق الملايين تلك القلة بالأقدام..

هل تتساءل أيها القارئ الآن : لماذا استدرجنا هذا الكاتب إلى كل هذا الخيال هذا اليوم..

يا مسكين ليس خيالا..

ولم أقصص عليك قصص شركة البورصة وتوشكا إلا كمجرد مثل عن الدنيا والآخرة..

أردت يا مسكين أن أقول لك أنا المسكين .. أننا في حدود المثليين السابقين لن نجد فئة ثالثة..

سنجد الفئة الأولى: فئة الذين صدقوا وآمنوا فتكالبوا..

وسنجد الفئة الثانية: فئة الذين كذبوا وكفروا فانصرفوا..

لن تجدوا يا قراء أبدا من كذب فاشترى ولا من صدق فنكص عن الشراء..

أقول لك يا مسكين أنا المسكين .. أن الأمر لا يتعلق بحسابات الكمبيوتر ولا بقوانين الاحتمالات.. لا توجد نسب مئوية ولا يوجد كسر.. وليس ثمة نصف إيمان ولا ثلاثة أرباع كفر.. المادة تتجزأ.. لكن المعنويات لا تتجزأ.. ليس ثمت نصف شرف ولا ربع أمانة ولا ثلث ضمير..

أقول لك يا مسكين أنا المسكين.. أن الأمر لا يخرج عن اثنتين لا ثالث لهما..

إما إيمان وإما كفر..

إما إيمان وإما كفر..

إما إيمان وإما كفر..

ولقد أتيت لكم يا قراء بمثل واحد وبديل واحد..

أغفلت مئات الأدلة..

تجاهلت آلاف البراهين..

عزفت عن ذكر ملايين الأسباب..

عندما يسألك صغيرك الذى لا يعرف أى شئ عن بلاغة الشعر وحلاوته ماذا تعنى حلاوة الشعر فتجيبه أنها تعنى حلاوة كحلاوة الشيكولاته فإنما أنت قد حاولت أن تشرح له الأمر فى حدود مدركاته..

وعندما يسألك عن لوعة الهجر فتجيبه أنها حارقة كالنار فأنت أول من يدرك أن إجابتك وإن ساعدت الصغير على الفهم ليس لها بالحقيقة أى صلة ..

وعندما يسألك سائل عن نوع العذاب الذى يعانيه المجاهدون فى سجون الطاغوت فتحدثه عن الآلات الكهربائية والعقاقير والضرب فهل سيكون لديك أى فكرة - رغم أنهم قريبون حتى أننا نسمع الصراخ - عن نوع هذا العذاب وآلمه ، هل ستكون لديك أى قدرة على تصور آلات التعذيب الجهنمية المصنوعة كلها - تقريبا - فى الولايات المتحدة الأمريكية ..

وفى هذه الحدود أضرب لكم الأمثلة أيها المساكين أنا المسكين ..

لكن الأمر فى حقيقته أكبر وأعظم وأشد هولا ..

الأمر أمر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر ..

الأمر أمر يوم ترجعون فيه إلى الله ..

أمر يوم تصدقونه فأنتم مؤمنون أو تكذبونه فأنتم كافرون ..

إيمان أو كفر ..

إيمان أو كفر ..

لا ثالث ..

لكن الإيمان تصديق وليس ادعاء تصديق ..

فمن يصدق يعمل ..

ومن لا يعمل فهو غير مصدق حتى ولو قال أنه يصدق ..

الإرجاء فرية لم يقل بها قرآن ولا سنة ..

من يصدق يعمل .. ومن لا يعمل لا يصدق ..

وكيف العمل ونوعه يجب أن يتناسب مع ذلك اليوم الذى نحاسب فيه ..

إن كنا نصدق به فكيف لا نعمل له ..

إن خالص إيماننا بالله فكيف نشرك به سواه ..

كيف نواجهه يوم القيامة..

كيف نواجهه فى يوم عقيم هو آخر أيام الوجود فلا أيام بعده..

كيف نواجهه..

يوم..

القيامة..

يوم القيامة..

يوم تشهد عليكم ألسنتكم وأيديكم وأرجلكم بما كنتم تعملون..

يوم البعث..

يوم يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون..

أى هول ينتظرنا يوم الحساب..

أى هول.. فهل يمكن أن يوجد شئ فى الوجود أهم من الاستعداد لهذا الهول؟..

وهل يمكن أن نعد أنفسنا لهذا الهول عن طريق الحضارة الغربية..؟.

قد تصلح الحضارة الغربية لإعدادنا للدنيا.. وأقول قد .. فالأمر مشكوك فيه.. وما حروبهم العالمية وقنابلهم النووية إلا دليلا على ذلك..

أقول قد تصلح للدنيا.. لكن هل تصلح للآخرة..!؟.

ذلك هو الفيصل الذى لا فصل بعده..

الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية يقبع فى الإيمان بهذا اليوم.. إيمان يتجاوز اللسان إلى القلب .. ويتجاوز القلب إلى العمل..

إما إيمان وإما كفر..

إما عمل مكرس للدنيا فقط وإما عمل للدنيا والآخرة..

عمل للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

فكر للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

سياسة للدنيا لا تصلح ولا تستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

حكم للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

يوم القيامة ، يومَ الآزفة، يومَ الراجفة، يومَ الرادفة، يومَ ينفخ فى الصور، يوم لا عاصم من أمر الله، يومَ يؤتى بالموت فيذبح فلا موت

بعده، يوم الغم، يوم الهم، يوم النشور، يوم النشر، يوم الحشر، يوم البعث، يوم الحساب، يوم الروع، يوم الفزع، يوم الجزع، يوم القلق، يوم العرق، يوم كل دين فيه عند الله سوى الإسلام زور، يوم العاشية، يوم الواقعة، يوم القارعة، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم الحر، يوم العطش، يوم الخزي، يوم الذل، يوم تسود وجوه وتبيض وجوه، يوم يكون لذي اللسانين في الدنيا لسانان من نار، يوم يؤتى بكل من ولي من أمر المسلمين شيئاً فيوقف على جسر جهنم، يوم أشد الناس عذاباً فيه أشدهم عذاباً للناس في الدنيا، يوم ينادى مناد من كان أشرك في عمله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، ويوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة، يوم يؤتى بمن سئل عما يعلمه فكتمه فيلجمه الله يلجم من نار، يوم يؤتى بطواغيت الأرض فيحاسبون على حكم كان أوله ملامة، وثانيه ندامة، وثالثه عذاب يوم القيامة، يوم يظهر الله للناس فيخرج المسلمون للسنجود وتعلق أصلاب المنافقين فلا يسجدون، يوم يأتي شريف الدنيا ذليل الآخرة، يوم يأتي عظيم الدنيا خامل الآخرة، يوم يأتي من ليس ثوب شهرة وقد لبسه الله ثوب مدلة، يوم يجمع فيه الله عز وجل الناس في أرض يشهد جميع الخلق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده، ويروى ما يصير إليه، يوم لا مرد له..

يوم لا مرد له..

يوم لا مرد له..

هو الأهم في حياتنا كلها..

فما خلقنا الله إلا لنعبده.. ثم ليحاسبنا ذلك اليوم..

أى تزيف للوعى جعلنا ننحرف ونضل..

كيف ضلت النخبة فأضلتنا..

كيف..

إن هذه السلسلة من المقالات تحاول الإجابة عن هذا السؤال..

كيف؟..

كيف يندفع- على سبيل المثال - عقل عملاق كمحمد حسنين هيكل ليكتب فى العدد الأخير من مجلة : الكتب وجهات نظر مقالة شديدة التسطيح لو كتبها من هم دونه بكثير لوجهنا إليهم اللوم والعتاب..

إننى يمكن أن أقبل أن ينبهر واحد كإبراهيم سعدة أو سمير رجب أو أنيس منصور.. أما محمد حسنين هيكل فكلًا.. ذلك أننى عندما أنتقده يقف معه جزء منى.. ولكنه جزء ليس صوابًا..

فى ملاحظته تلك يقارن بين رد فعل الغرب والشرق لكسوف الشمس ..

إن الغرب هو العلم والأشواق إلى النور أما الشرق فكان الاختباء فى البيوت والالتجاء إلى المعابد حيث تقام الصلوات شفاعاة وضراعة.. (..)

إنه الانبهار الكامل بالغرب.. وليته كان كاملاً فقط.. لأنه أيضا أعمى.. ولأنه أعمى فإنه لم ير واقعة من أكثر الوقائع احتراماً للعلم والدين جميعاً.. لم ير محمد حسنين هيكل ذلك الحديث النبوى الشريف حين كسفت الشمس فقال الناس : هذا لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لا تتكسف لموت أحد ولا لحياته..

كان ذلك منذ خمسة عشر قرناً والغرب غارق فى ظلماته..

إننى حزين من أجل هيكل كعلم ساقى للنخبة النظيفة.. النخبة التى كنت أدافع عن أخطائها دائماً بأنها أخطاء الاجتهاد ..

إن كان هذا هو الأفضل فكيف يكون الآخرون؟!

حزين أنا من أجل هيكل.. ففى عدد سابق من نفس المجلة كتب مقالا بعنوان بقايا يوغسلافيا استبدت بى الغضب بعد قراءته فوجدت نفسى أوجه رسالة قاسية إلى المجلة ، وكان فى قلبى ما يشبه الحداد على عزيز مات..

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها مقال للأستاذ محمد يوسف عدس نشرته مجلة الهلال ' هذا الشهر ..

فى نهاية المقال كنت أهتف: ياله من كاتب جبار.. لقد حاصر هيكل تماماً بأدب جم ونعومة كنعومة حد السيف وباستعمال المنهج الغربى الذى

يبهر الأستاذ هيكل.. حاصره حتى أن الأمر يخرج من دائرة حوار إلى رد مفحم..

انتصب فى وجدانى خيال قرية أمية لا يعرف القراءة فيها سوى واحد.. لكن هذا القارئ لم يكن يقرأ المكتوب فعلا بل كان يقرأ ما يعن له هو وهواه ويضيف ما شاء ويحذف ما شاء.. ولقد فعلت بنا نحن المثقفون مثلاً فعل هذا القارئ.. وقلت لنفسى أن جزءاً هائلاً من وعينا المزيف يعود إلى ذلك.. وأن المأساة التى حدثت بين محمود شاعر وطه حسين تعود لتحدث بين المحمدين: يوسف عدس وهيكل..

يتناول محمد يوسف عدس بالنقد والتحليل اختيار هيكل لمراجعته فى مقاله عن كوسوفا فيستبعد على الفور الماريشال تيتو لأنه مات، وضابط المخابرات البريطانى القديم فيتزروى ماكليان لأن تعليقاته لا تضيف شيئاً ذا قيمة.. ثم يلتفت إلى الشاهدين الباقين لهيكل فيسحبنا إلى مناقشة بالغة الثراء والعمق متسائلاً : هل يمكن أن نقرأ التاريخ على صفحات رواية (كان محمد يوسف عدس شديد التهذيب فلم يسأل هيكل مثلاً إذا ما كان يمكن قراءة تاريخه هو شخصياً فى رواية: "وغابت الشمس ولم يظهر القمر" لإحسان عبد القدوس - وهى رواية أعترف أننى كرهتها.. من أجل هيكل !!) .. وبعد تفنيد أن الشاهد الثالث إيفو أندريتش مؤلف رواية جسر على نهر درينا لا يصلح أن يكون شاهداً أصلاً لم يبق لهيكل إلا الشاهد الرابع وهو اللورد دافيد أوين الوسيط الأوروبى فى مفاوضات السلام البوسنوية.. حيث تمثل الخطأ : " فى الثقة المطلقة التى منحت لكل من لورد أوين وإيفو أندريتش، وفى اعتبار كلامهما مرجعية لا معقب عليها وقضايا مسلمة" .. ثم يستطرد محمد يوسف عدس محللاً شخصية لورد أوين ليفاجئنا بالمفاجأة المذهلة .. ولنكتشف أن اللورد أوين ذاك رجل فشل فى كل شئ أسند إليه طيلة حياته وأنه مزيج من شخصيات حسن التهامى ومحمود السعدنى ولا أقول الشيخ الصباحى!!.. وليس هذا هو رأى محمد يوسف عدس فيه بل رأى مواطنيه ومفكرين كبار يمثلون مرجعيات غربية أيضاً .. وبعد هذه الإضاءة ينتقل الأمر على الفور من إطار الحوار إلى إطار النكتة..

وجدتني أهتف : يا إلهى.. كيف وقع هيكل فى هذا الخطأ... إن أى محاولة لتلخيص مقال محمد يوسف عدس هى إهدار لكنز ، فليس الأمر

أمر مقال وإنما هى مواجهة فكرية هزم فيها خصمه بالضربة القاضية..
ليس فى واقعة محددة بل بمنهج فكر وفى منهج فكر.. حتى أننى تمنيت
وأتمنى أن تقوم إحدى صحفنا بنشر المقالين : مقال هيكل ومقال محمد
يوسف عدس فى نفس العدد كى يتمكن القارئ من أن يعاين بنفسه كيف
يُزيف وعينا بل ووعى نخبنا..

هل يعتب علىّ بعض القراء الآن أننى أسرفت فى القسوة على الأستاذ
هيكل ؟!..

وهل يحس القارئ الذى تواصلت العلاقة بينى وبينه أن هناك ما أخفيه
عنه ؟..

أعترف..

نعم..

هناك ما حجبته..

طعن قلبى فحجبته..

حجبته إشفاقا على هيكل.. على قيمة كنت فى بعض الأحيان أحبها
وفى كل الأحوال أحترمها..

حجبته وأنا أصرخ : ماذا يحدث للمفكرين فى بلادنا بعد سن
السبعين..

حجبته ملتصقا بالرخصة فى ستر زلة عالم..

وإن هيكل عزيز علىّ لكن الحق أعزّ .. والقارئ أيضا أعزّ..

لقد توقفت فى الاستشهاد بملاحظة هيكل عن الكسوف عند حد ذبحتنى
بعده كلماته.. حيث يواصل شرح رد فعلنا على الكسوف بقوله : " كانت
الدعوة اختباء فى البيوت أو التجاء إلى المعابد حيث تقام الصلوات شفاعة
وضراعة، واسترحاما واستغاثة، ودعاء إلى الله أن يزيع الهم ويكشف
الكرب، وينقذ عباده ولا يعذبهم بكسوف الشمس وراء ظل القمر، وعواقب
ذلك الهول الأعظم الذى يرمز إلى تهاوة الحياة ويؤذن بنهاية الدنيا.."..

صرخت: لماذا فعلتها يا هيكل..

لماذا تزيد من إدانتنا لأنفسنا لأننا أحببناك وأعجبنا بك ذات يوم..

هل نعود إلى مثل القارئ الوحيد فى قرية أمية فيقرأ ما يشاءه
الهوى ؟!..

هل نصرخ فى هيكل: لقد اعتبرت رئيسا ميتا وكاتب رواية وضابط
مخابرات سابق و"بلياتشو" انجليزى مرجعيات مطلقة لا ينالها الباطل أبدا..
ونحن لا نتدخل فى اختيارك.. لكننا لا نسمح لك أبدا .. أنك وأنت تغتفر
من مرجعياتك المطلقة تهدم مرجعياتنا المطلقة.. تهدم أحاديث الرسول مثلا
عن صلاة الكسوف.. نفس الداء الوبيل الذى حمله اليسار إلينا ذات يوم
حين طلب منا أن نسحب القداسة عن الله والنبيين فالإنسان هو المقدس..
والعلم هو المقدس.. والعقل هو المقدس أما تقديس ما دون ذلك فهو رجعية
وتخلف.. وغوى اليسار من الأمة من غوى.. لنفاجأ بعد ذلك.. أنه يمنح
القداسة المسروقة لماركس ولينين..

أجل يا محمد حسنين هيكل.. مازلت أعتبر أخطاءك الماضية أخطاء
الاجتهاد.. لكن الخطأ هنا يرقى إلى الانحراف .. ليس الدينى فقط بل
والفكرى أيضا..

إننا لا نصلى مع الكسوف فقط.. بل مع الكسوف والمرض والكرب
والحاجة والضعف.. وبدون كل ذلك أيضا مأمورون أن نصلى.. نصلى
لخالق هذا الكون ومبدعه.. لأنه أمرنا بهذا ونحن نصدق.. بلغنا الرسول
صلى الله عليه وسلم به ونحن نصدق.. رسول أبى فى سمو لا يتاح
إلا للنبي أن يقول أن الشمس يمكن أن تتكسف لموت ابنه إبراهيم ..

هذا الموقف المتعالى والمزدرى يا أستاذ هيكل يحمل فى طياته ألف
عام من التضليل والتشويه مارسه الغرب ضدنا حين أدرك أنه غير قادر
على هدم قلعة الإسلام من الخارج فتلمس السبل لهدمها من الداخل..

يا أستاذ هيكل: إن كنت تنظر إلى من صلوا الكسوف بكل هذا
الازدراء فكيف تنظر إلى بقية الصلوات، وكيف تنتظر إلى الحج مثلا وإلى
الصوم...؟!..

إننى لا أريد أن أطيل فى ذلك الحديث.. لكننى حزين..

إنك تسخر من هول أعظم ومن رمز على تفاهة الحياة ونهاية الدنيا..
وجميع ذلك وارد فى القرآن والحديث..

إنك تسخر وتزدرى.. لماذا لم تحاول تدعيم استهزائك وسخريتك ببيان
قاطع من الغرب يكشف لنا أن الساعة لن تقوم بغتة ؟!..

إنك تسخر وتزدرى .. ولقد انزلت إلى خطيئة كبرى.. ثم بعد ذلك تريد من الأمة أن تنزل معك فيها .. ولقد ربطت بين موقف الغرب والعلم وموقف الشرق والدين.. ولقد خلطت أنت وأنت تحذر الناس أن يخلطوا بين دور المعابد والمراصد..

ثم أن الناس عندما اختبأوا لم يفعلوا ذلك خوفا من المجهول ولا جهلا ولا غيابا ولا حتى غيبية بل اختبأوا خوفا على الشبكية!! .. بعد أن كرس أجهزة إعلام غبية الخوف في الناس ربما لصرفهم عن بلايا حاضرمهم.. ولست أظنك مهما بلغت خطاياك بقادر على أن تنسب أجهزة الإعلام هذه إلى الدين أو الإسلام.. لا هي ولا حكوماتها في كافة أرجاء عالمنا العربى.. وأنت تعرف قبل غيرك أن هذه النظم جميعا لا تمثل الإسلام بل تمثل ضده.. إنها الانقلاب عليه.. إنها صنعة الغرب للحيلولة بيننا وبينه..

أنت وليس الناس يا أستاذ هيكل الذى خلط بين دور المعابد والمراصد ..

وعندما فعلت ذلك فإنك فعلته بطريقة تزرى بالعقل الذى ترفع لواءه.. أخطأت في الرصد.. ثم أخطأت في الاستدلال .. ثم أخطأت في الحكم .. فكان مثلك كممثل في مسرحية عبثية يتساءل أسئلة غير منطقية قد تصلح في المسرح لكنها لا تصلح في الفكر.. أسئلة من نوع : كيف تكون طبيبا وتصلى؟ أو كيف تكون شاعرا وتأكّل؟ أو كيف تكون كاتباً ثم تقضى حاجتك !!؟

يا أستاذ هيكل:

إما إيمان وإما كفر..

فإن كان الإيمان فاعترف وتب..

وإن كان الكفر فلماذا لا تقول ذلك للناس بصراحة !!؟

ويا أستاذ هيكل: لقد كان مشروعك الفكرى ضد الغرب.. فكيف يغزو الغرب إلى هذه الدرجة.. نعم .. مشروعك القومى هُزم هزيمة ساحقة ولا قيام له أبدا .. ولكنك بدلا من أن تبحث عن أسباب فشل مشروعك رحت تتماهى بجاهرك وتتشبه بقاتلك فلا حول ولا قوة إلا بالله..

لقد فرض الأستاذ هيكل نفسه على هذا المقال ولم يكن ضمن حساباتي أن أكتب عنه.. ذلك أن أى اختلاف مع الأستاذ هيكل هو خلاف بين عقل وعقل وبين فكر وفكر مهما كان رأينا فى نوع الفكر الآخر ومدى خطئه..

لم أكن أريد أن أتناول ذلك الآن..

كنت أريد أن أكتب فى شئ آخر..

كنت أريد أن أتناول تلك الحثالة البشرية التى نصبت علينا بالزور كرواد فكر..

كنت أريد أن أتناول ذلك الخسيس الذى مات ابنه غرقا فلم يعتبر لا بالموت ولا بالحزن فتدنى للدرجة التى باع فيها عظام ابنه كى يرتزق فراح مجاملا للسادات الذى كان على عداوة مع منظمة التحرير الفلسطينية يتهمها بأنها هى التى أغرقت ابنه.. ولقد ارتزق ..!!..

وكنت أريد..

وكنت أريد..

وكنت أريد مواصلة الحديث عن تجاوزات محمود السعدنى..

وأجدنى حزيناً للجمع بين هيكل والسعدنى فى ذات الصفحة..

محمود السعدنى الذى لم يكتب لنا أبداً رغم كثرة كتاباته كيف عاد من منفاه؟ وعلى أى أسس وبأى شروط ومن اتصل به كى يعود؟.. وهل هو مسئول ثقافى أم سياسى أم أمنى؟!..

١ - كان محمود السعدنى يرد على مقالاتى فى أخبار اليوم بأبداً ما ظهر على ساحات الصحافة المصرية، لم يكن رداً، بل كان كلمات من نوع: يا صايح يا ضايح، يا أبو قفا تحين، عندما أراك سأغمس حذائى فى المرحاض لأضربك به.. و يا " نوكى" وهى كلمة لا أعرف معناها بالتحديد، وإن كانت صحيفة القاهرة - صحيفة وزارة الثقافة! - قد أعادت توجيهها لى إبان أزمة الولاية!! وكان غريباً، أن صحيفة وزير الثقافة بالذات تستعمل هذا النوع من الكلمات.. وكانت روز اليوسف سعيدة ومؤيدة للسعدنى الذى وصفت قاموسه بأنه قاموس سكسكة - وأنا لا أعرف ما سكسكة - لكن ذلك كان مستوى الحوار والصحافة القومية. ولقد تولى القراء الرد بأشد ما يكون، ونشرت الشعب، ورفض إبراهيم سعدة نشر ردود القراء، لكن هذا خارج القضية التى أذاع عنها، وقد أفكر ذات يوم فى إيراد تلك الأحداث فى كتاب عن مدى تدهور الصحافة فى مصر. لكننى أنبه القارئ هنا أننى ترفعت عن كل هذا ولم أرفع حتى قضية ربما كانت مضمونة ضده فلم يكن ذلك شاعلي، لكننى أورد هذا الهامش مذكراً القارئ أنهم بعد هذا ومثله، يتهمون صحيفة الشعب بالخروج على آداب الحوار!!..

إن الأمر يعنى الكثير.. لكننا نتركه الآن لنعود إلى موقفه من مجدى حسين ورفاقه فى السجن..

إن بصيصاً من الضوء يلوح يجعلنا نقرأ فى ضوءه الخافت سر موقف السعدنى..

وقفزاً على كل التفاصيل فإن الدولة تجد نفسها فى قضية مجدى حسين- والى فى غاية الحرج أمام العالم وأمام الأمة وأمام ضميرها.. وهى فى ورطتها تلك.. أشد ما تكون حاجة إلى واحد من الصحفيين يلقى بالكرة إلى مجدى حسين والشعب.. إلى من يحيل الحرام الذى ترتكبه الدولة إلى حلال.. فليتقدم إذن أحد أعوانها بحل مهما كان مستحيلاً إلا أنه يمنح الدولة فرصة لالتقاط الأنفاس.. حلاً مهما كان ساذجاً ومرفوضاً وأول من يعرف أنه مرفوض هو الدولة نفسها ورجلها العائد من المنفى والحريص ألا يعود إليه.. هذا الحل سوف يشق الصحفيين والأمة..

ولقد كانوا فى حاجة إلى جرأة محمود السعدنى.. ولقد أعطاهم لهم.. ليتشجع بعده آخرون ممن لا يملكون جرأته..

لكن هل نستغرب ذلك على السعدنى؟!..

هل نستغرب ذلك على من قدح فى الصحابة وعلى رأسهم الإمام على كرم الله وجهه..

سوف أكتفى الآن بأن أورد نص ما كتبه:

" إن الخلاف بين سيدنا علي وبين بني أمية كان محوره طمع الدنيا ، وليس رسالة السماء لأهل الأرض، الشيء نفسه تكرر بين سيد الشهداء الحسين بن علي والخليفة يزيد بن معاوية، خرج سيدنا الحسين في خمسين فرداً من أسرته ومعهم بعض النساء والأطفال من كل بيت، خرج من الحجاز ليقا تل إمبراطورية امتدت شرقاً وغرباً، وجيشها يخفي وجه الشمس، وخزائنها ممتلئة بالذهب والفضة، ولها عيون وجواسيس وأجهزة مدربة ، ونصحها قائد جيش يزيد أن يرجع بأهله إلى الحجاز وكفى الله المؤمنين شر القتال، ولكنه رفض (عملية الانتقاء القذرة مرة أخرى ، إذ يتجاهل أن والى المدينة كان في انتظاره إما المبايعة وإما القتل، ثم إنه رفض أن يسمح له بالعودة إلى الحجاز . . علي العموم لنعد إلى محمود

السعدني) . اقترح عليه أن يذهب إلي أمير المؤمنين في دمشق لبيبايعه ولكنه رفض وألح في أن يسمح له بمخاطبة جنود معاوية ليقنعهم بحقه في الخلافة، فسمح له القائد الأموي بأن يخاطب عساكر الأمن المركزي فانبهر يخطب والعساكر زنهارة ، وبعد أن انتهى من خطابه جاءت الأنبياء بمقتل أنصاره الذين أرسلهم إلي الكوفة، عندئذ طالب سيدنا الحسين السماح له بالعودة ولكن طلبه رفض بشدة وخبروه بين السفر إلي دمشق لمبايعة يزيد أو القتل، وكانت مأساة كربلاء التي يعرفها الجميع، تصوروا لو أن أنصار عمنا الشيخ الصباحي يخرج بأنصار حزب الأمة لمحاربة أمريكا في سبيل السيطرة علي النظام العالمي الجديد"

يا أيها الولد الشقي هل تستطيع أن تسخر من ابن بنت الرئيس مثلاً تسخر من ابن بنت النبي صلي الله عليه وسلم ؟ ..
ولا يملك المرء إزاء ذلك إلا أن يقول في أسي ليس هذا أدباً .. بل قلة أدب ."

كانت هذه هي نهاية مقالتي التي كتبتها منذ أعوام ..
فهل يسمح لي القارئ أن أغير نهايتها فأسحب " قلة أدب" لأضع مكانها أنه بأحكام الفقهاء ^١ وقد سب الصحابة وسخر من سيد الشهداء - فاسق؟!..
أجل..
فاسق..
فاحمد الله يا مجدى حسين واحمدوه يا رفاقه..

احمدوه حمد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سأل عن قتله فعرف أنه مجوسى فقال:

- الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ..

١ - راجع أحكام الفقهاء في الاجتراء إلى المقدسات في ملف الوليمة الوارد في نهاية هذا الكتاب.

ألم يعهد إليكم ألا تعبدوا الشيطان؟! ..

يُطعن قلبي كلما تذكرت ما فعله الفرنسيون حين اقتحموا الأزهر^١
وربطوا خيولهم في أعمدته وأهانوا المقدسات فيه ..
يُطعن قلبي ومصر الرسمية تحتفل بذلك حين يدعى الخونة فيها أنه
بداية التنوير ..

يُطعن قلبي فأتخيل أن الأمر قد تكرر مرة أخرى ...
لا .. لم يتكرر .. بل إنه من حينها لم ينقطع .. ولقد واصلوا فعلهم
عبر تلاميذ دنلوب وصبيان زويمر وجند كرومر ..

لم ينقطع .. وإن استتروا أحيانا وأخفوا وجوههم خلف وجوه الخونة
منا.. وأنهم لم يحولوا صحن الجامع إلى اسطبل للخيول فقط بل إلى حانة
للرقص واحتساء الخمر، لم يهدم الفرنجة المئذنة ولا هم أزالوا مكبرات
الصوت، وحين حدث ذلك، فإن الأمة المغيبة، الأمة نازفة الوعي، الأمة
مثقوبة الذاكرة، ظلت تحمل لمسجدها القديم ذات القداسة، بل واستمر جنود
الأمة الذين اصطفاهم الفرنجة في حراسته من الخارج، وسحق أى محاولة
من (الإرهابيين !!) الذين يحاولون إعادة المسجد إلى سيرته الأولى ، أما
الأنكى والأفدح ، فهو أن عموم الناس لم تكف عن الذهاب إلى الحانة التي
كانت مسجدا ، وأنهم قلدوا على الرغم منهم - في بداية الأمر - رواد
الحانة فيما يمارسونه من رقص وسكر، قلدهم مرغمين مستكرهين وقلوبهم
مطمئن للإيمان، كانوا يتحينون الفرصة للوثوب على العدو، ظلوا يتحينونها
حتى ماتوا، وبعد أن مات من مات، وقُتل من أبى، وأُخرسَ من تكلم، ونُفِيَ
من اعترض، بعد هذا كله جاءت أجيال جديدة، لم تر أبدا كيف يكون
المسجد، ولا عرفت أبدا كيف تكون الصلاة ، فراحوا يرقصون سكارى
يؤمهم عدوهم وهم يظنون أنها صلاة..

هل هذا خيال يا أمة أم وصف لحالك؟!.

١ - الشعب ١٩٩٩/٩/٢٤.

٢ - ودخلت الخيل الأزهر. جلال كشك. ط ٣. الزهراء لإعلام العربي .

هل حكامك يا أمة حكامك أم أمراء يمتثلون لطاعة الخليفة في البيت الأبيض؟!

هل حكوماتك يا أمة حكوماتك أم هي مجالس محلية لا هم لها إلا متابعة تنفيذ أغراض الحكومات الفعلية في واشنطن ولندن وباريس وبون و.. تل أبيب..

لماذا نسينا الله ورحنا نعبد الشيطان ؟.. لماذا دخل الشرك إلى قلوبنا .. ؟! أين كبرياؤنا وعزنا واستعلاؤنا؟!

حتى في عنفوان انتصارهم علينا منذ تسعمائة عام كان الأمير الشاعر "أسامة بن منقذ"^١ والذي كان في الرابعة من عمره حين استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وتوفي قبل عام واحد من استعادة صلاح الدين الأيوبي له ، وكان طيلة حياته على صلات مستمرة وثيقة بالصليبيين ، يخاصمهم حيناً ويصادقهم حيناً آخر، ويشترك في الحرب ضدهم ، وفي الخروج للصيد معهم . وقد خلف لنا في كتابه "الاعتبار" ما يصلح شاهداً على نظرة الاستعلاء التي كانت لدى العرب المسلمين تجاه الغزاة الصليبيين . فهو يصف هؤلاء الأوروبيين بأنهم "بهائم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير ، كما في البهائم فضيلة القوة والحمل" . ويقول :

"كل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية ، أجفى أخلاقاً من الذين عاشروا المسلمين، ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، طبعهم ساذج جاهل بالمقارنة مع الطب العربي. ومحاكماتهم غبية غريبة".

أما المعلم "برنار دي شارطر" فقد ترك عبارة بليغة سارت بها الركبان في عصره والعصور اللاحقة، عبارة عن العرب والمسلمين يقول فيها : (نحن أقزام محمولون على أكتاف عماليق، فإذا كنا نشاهد أكثر مما شاهدوا ونرى أبعد مما رأوا، فليس ذلك لأن بصرنا أحد، أو لأن أجسامنا أطول ، بل لأنهم يحملوننا على أكتافهم في الهواء ويرفعوننا بكل طول قاماتهم الهائل).

كانوا يتعلمون منا العلم.. وعلى أيدينا انتقلوا من أطوار البداوة والتوحش إلى أعتاب الحضارة.. لكنهم لم يأخذوا من الحضارة سوى شقها المادي.. أما أرواحهم فقد كانت وما تزال أرواح وحوش.. كنا تعلمهم وكانوا يتأملون علينا ..

١ - كى لا ننسى التاريخ لأن التاريخ لا ينسى. موسى الزغبى. بدون ناشر .

يقول "بطرس الجليل" رئيس دير كلوني الذي قام بجولة على الحدود الفرنسية مع الأندلس فتعرف إلى الإسلام والمسلمين : "يجب أن نقاوم الإسلام لا في ساحة الحرب بل في الساحة الثقافية. (..) إنه لإبطال العقيدة الإسلامية يجب التعرف على كتبهم (..) إنه سواء وصفنا الضلال المحمدي بالنعت المشين : بدعة، أو بالوصف الكريه : وثنية، فإنه لا بد من العمل ضده ، لا بد من الكتابة ضده (..) هذا السم القاتل " العقيدة المحمدية " أصاب أكثر من نصف الكرة الأرضية .."

كانوا ينهلون من علمنا ويتآمرون علينا ..
امتثلوا بالشعور بالدونية إزاءنا ..

كان "الدار دي باث" مترجما من العربية إلى اللاتينية وكان فيلسوفا في الوقت نفسه . سألته رجل ذات يوم أن يدخل معه في مناقشة حول الحيوانات ، فرد عليه قائلا : "من الصعب قبي أن أتحدث معك عن الحيوانات ، فأنا تعلمت ، في الواقع ، من أساتذتي العرب اتخاذ العقل هاديا ومرشدا ، في حين أنك قانع بالخضوع لسلطة مخرفة .. خضوع اسر وعبودية، وهل هناك من اسم آخر يمكن إطلاقه على تلك السلطة سوى أنها قيود وأغلال ؟ فكما أن الحيوانات البلهاء تقاد بواسطة حبل ، ولا تعرف لا إلى أين ولا لماذا هي مقتادة، وتقع بمسيرة الحبل الذي يجرها، فكذلك الأغلبية منكم ، أنها سجيبة انقياد حيواني ، مكتوفة مستسلمة لمعتقدات خطيرة تفرضها سلطة الكتاب.

ويشنتكي مثقف آخر من الاختناق الذي كان يسود البلاد المسيحية ومن اضطهاد رجال الكنيسة للمفكرين الأحرار مما جعله يفكر في الرحيل إلى أرض العرب ، حيث الحرية الفكرية مكفولة. يقول بيير ابيلاز : الله يعلم كم مرة فكرت، تحت ضغط يأس عميق ، في الرحيل عن الأرض المسيحية والعبور نحو الوثنيين لأعيش مع المسلمين في سلام ، دافعا الجزية لأعيش مسيحيا بين أعداء المسيح".

ولم يكن اضطهاد السلطات الكنيسة لهؤلاء المثقفين الحدائين لينال من الرغبة في الانتماء المعرفي إلى العرب . فلقد كان الجيل الجديد لا يثق إلا في ما يأتى من العرب أو ينسب إليهم . يقول "الدار دي باث" في هذا الصدد: "إن في جيلنا عيب متجذر فيه . أنه يرفض جميع ما يبدو أنه

صادر من عند المحدثين . ولذلك ، فعندما تكون لدي فكرة شخصية أريد نشرها بين الناس ، فأني انسبها إلى غيري مدعيا أن "قلنا هو الذي قال بها ولست أنا صاحبها". ولكي يثق الناس بي ثقة كاملة، أقول عن جميع آرائى: "إنها من ابتكار فلان ولست أنا قائلها. ولكي أتجنب العواقب الوخيمة التي تنجم عن اعتقاد الناس في أننى ، أنا الجاهل ، استقي أفكارى من أعماقى فأني أقدمها لهم بصورة تجعلهم يعتقدون إننى استقيتها من دراساتي العربية. أنا لا أريد أن أكون مرفوضا إذا كان ما أقوله لا يروق للعقول المتخلفة، فأنا اعرف المصير الذي ينتظر العلماء الحقيقيين بين السوقة من الناس، ولذلك تراني أدافع، لا عن قضيتي، بل عن قضية العرب).

كان لديهم كل هذا الشعور بالدونية وكانوا محقين - وكان لدينا الاستعلاء..

ثم كان ما كان..

غزوا القلعة من الداخل قبل أن تهدم الأسوار..

ينوح رجال "كمالك بن نبى" و"محمود ثابت الشاذلى" وهما يصفان مرحلة الانحطاط.. تتقطع نياط قلوبهما وتتقطع نياط قلوبنا معهما:

وصلت عوامل التعارض الداخلية في العالم الإسلامي الواهن قمتها وانتهت إلى حتميتها الموعودة، فانشأت مجتمعا جديدا له خصائص وسمات جديدة في عصر جديد هو عصر الانحطاط ، حيث توقف إشعاع الروح فحمد إشعاع العقل ، وبالتالي فقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل ومقدرته على المهمة الناشطة واتسعت الهوة بين السلطة الحكومية والضمير الشعبي. وقد أدى هذا الانقلاب في القيم إلى انهيار البناء الاجتماعي فلم يعد يقوى على الوفاء بمقومات العلم والفن والابتكار. ذلك أن "الروح"، والروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم ، فحينما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت ، لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض ، وعندما يبلغ مجتمع ما هذه المرحلة، أي عندما تكف الريح التي منحتة الدفعة الأولى عن تحريكه - تكون نهاية دورة وهجرة حضارة إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة .. ولم يعد الدين هو "مركب" القيم الاجتماعية، أى بؤرة الارتكاز التي تنبثق منها كل المفاهيم والتصورات والعادات والتقاليد والإلهام الدافع إلى الخبرات المختلفة، بل صار إيمانا جذابيا أو نزعة فردية دون إشعاع . وعندما يتحول

الدين من التعبير عن فكرة جماعية إلى التوقع في نزعة فردية، تتجمد رسالته التاريخية على الأرض .

ذلك إن الإيمان الناشط المشع يصنع حضارة، أما الإيمان الفردي الجذبي فيهرب إلى صومعة .. حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود وما كان لأى معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية وهو الإيمان .. وقد ترتب على ذلك حالة من التشرذم خرم معها الصولجان القادر، وتحطم ، واستحال إلى صويلجانات يتخاطفها صغار الملوك ..

إن هذه أمتكم أمه واحدة وأنا ربكم فاعبدون ..
كيف غفلنا .. كيف ذهلنا .. كيف عمينا .. كيف تعامينا ..
كيف عبدنا الشيطان .. كيف تركنا لتلاميذ دنلوب وصبيان زويمر
وجنود كرومر أن يسوسونا .. بل يسوقونا ..

إننى أناشدك أيها القارئ، أيها القارئ المنكوب بكتاب معظمهم طلبوا الباطل وأصابوه وبعضهم طلبوا الحق فأخطأوه ، وبالرغم من ذلك ، يواجهونك بكبرياء أعظم الفلاسفة وثقة أعظم العباقرة، وكأنهم لا يخطئون، وكأننا بفضل كتاباتهم قد سدنا العالم .. أما أقل القليل من الكتاب فهم الذين ما يزالون قابضين على الجمر .. لذلك أناشدك والدواهي أخذة بنا .. ألا تستمر فى سلوك طالما أوردنا موارد التهلكة .. ألا تواصل القراءة بصورة سلبية مكتفيا بأن شاشات رادار عقلك مازالت صافية .. وأن بوصلة اتجاهاتك مازالت سليمة .. فذلك لم يعد يكفي .. فإزاء كل حرف تقرأه لكتاب يذكرك بمن أنت ومن أين أتيت وإلى أين ينبغي أن تمضى .. يوجد من يكتب ويطلع وينشر ألف حرف لكتاب ليسوا سوى عبدة الشيطان أو السلطان كل كاتب منهم يصل إلى ملايين القراء على أجنحة أجهزة إعلام غارقة فى بحار الجهل أو التخلف أو الخيانة .. لذلك فإن عليك - لا أقول المبادرة فقد فقدتها منذ زمان طويل - وإنما محاولة لتعويض الفارق الهائل بين وسائلنا الضعيفة المهيضة المحاصرة ووسائلهم الجبارة العالمية المدعومة بالشيطان ..

نحن فى نفس المركب التى يخرقها السفهاء فىنا .. وعليك أيها القارئ أن تبذل جهدك لخرق الحصار المضروب علينا ... لماذا يقرأ الصحيفة

مثلا قارئ واحد أو أسرة واحدة .. لماذا لا نتفق أن نتبادل الصحيفة خمس أسر .. والكتب .. الكتب الغالية محدودة التوزيع قليلة التأثير .. لماذا لا يتفق خمسون شخصا يكتفى كل منهم بشراء كتاب أن يتبادلوا هذه الكتب فيقرأ الواحد منكم خمسين كتابا بدلا من كتاب واحد .. ولماذا لا تعقد حلقات للمناقشة والحوار فى مضمون هذه الكتب والصحف .. فلعل ذلك يشكل فكرا متجانسا للأمة .. ولعله يخلق وعيا نكشف به ونحارب سموم شياطين الإنس .. ولعلها عودة إلى فكرة : "العمود" حين كانت مجموعة من الدارسين يتدارسون معا كتابا معينا أو منهاجا ما .. يجب أن يتفاعل الناس .. أن يتحاوروا .. ولعل تأثير تلك الحوارات ينتقل إلى أطفالنا لينقذهم .. أطفالنا المساكين الذين يواجهون مستقبلا مروعا مجللا بالأباطيل والزيف والكذب .. أطفالنا المساكين الذين شغلنا القوارع عنهم ... فليس لهم أباء كأبائنا يهدونهم سواء السبيل .. أطفالنا المساكين الذين ينظرهم مستقبل تتسابق فيه أجهزة الدول وأنظمة العالم على تشويه الوعي وطمس الهوية وإعلاء شأن الباطل ..

كان صديقى يقول مذهولا: هؤلاء الأمريكيون أكذب ناس فى التاريخ، ثم أخذ يحكى لى عن الفيلم السينمائى الذى شاهده بالأمس .. كان الصديق يقول أنه برغم الإجرام والبربرية التى مارسوها فى فيتنام فقد عكس الفيلم الصورة تماما وجعل الفيتنامى المتخلف المتوحش هو الذى يعذب الضابط الأمريكى الفارس النبيل ثم يهرب بعد ذلك من الجوع والتخلف فى بلاده ليلجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويكاد يموت لولا أن الضابط الأمريكى ينقذه !!.. وقلت لنفسى أنهم وأسلافهم قد مارسوا نفس الحملة الهائلة من الكذب والتضليل كى نكره أى دولة توحدنا.. ولكى يعزلوا لإسلام عن الحكم.. كى يدفعونا إلى عبادة الشيطان .. نفس منهج الكافر الفاجر "أتاتورك" .. ونفس سخريته من الدين .. حين أمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية وتلاوة الصلاة باللغة التركية ولما ثارت ثائرة رجال الدين والعلماء ، فكان رده عليهم: ألا يفهم الله اللغة التركية ؟..

ولقد نجحوا ونجح تلاميذهم .. تلاميذ دنلوب .. نجحوا وما زالوا ينجحون .. يسخرون من رموزنا .. ويشبه الفاسق سيد شباب أهل الجنة بالشيخ الصباحى .. ويسخر .. فلا يتصدى له من مشايخنا شيخ ..

نسوا الله ..

عهد الله إليهم وإلينا ألا نعبد الشيطان .. فعبدناه..

انظر أيها القارئ حولك ..
 انظر بعيني رأسك لتحصى عبدة الله وعبدة الشيطان..
 انظر فى حكوماتك .. فى كتابك ومفكرتك .. فى المسؤولين..
 انظر قبل ذلك كله داخل قلبك.. انظر نظرة صدق..
 هل يهولك أن الشرك فى قلبك..
 هل يهولك أن تكتشف أن الشيطان لم يكن له أن يحكم ويسود إلا لأننا
 عبدناه من دون الله ..
 أحص أيها القارئ - بعد أن تتخيل أننا أجرينا استفتاء - نسبة
 الأصوات التى يمكن أن نعطيها للشيطان..
 هل يمكن أن تقل عن ٩٩ , ٩٩%..
 ألا تذكر هذه النسبة بشيء أيها القارئ؟.. ألا تذكر بيعت جهنم..
 حين يصدع آدم عليه السلام لأمر ربه ليخرج حصاد جهنم .. من كل ألف
 تسعمائة وتسعة وتسعين..
 قلب عباد الشيطان الصورة، تماما كما جعلوا من الفيتنامى وحشا
 متخلفا ومن الأمريكى بطلا منقذا..
 أولئك هم أعداؤك يا وطنى.. أولئك هم أعداؤك يا أمة.. شقوا الأمة..
 فى خطبة الوداع قال خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم: "يا أيها
 الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى
 على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى"..
 لمستبيريها رأى آخر.. لفساقتنا رأى آخر..
 إذ الفضل قد يكون للون أو للجنس أو للوطن أو للقوم أما التقوى
 والفسوق فحرية شخصية لا حق لأحد بالتدخل فيها.. يعترف الوزير أنه
 زان والكاتب أنه حشاش فلا يتحرك أحد .. فإذا تكلمنا نبحت كلابهم
 وعوت ذئابهم وانقضت صقورهم..
 مارسوا أبشع كذب وأبشع تزوير..
 لم يكتفوا بالحاضر فعربدوا فى التاريخ أيضا..
 ألقوا بروثهم عليه تماما كما ألقى المشركون بالروث على سيد البشر
 وخاتم النبيين..

يقول الأستاذ محمد قطب^١:

وقد لاحظت في أثناء قراءتي ، وفي التدريس كذلك ، أن التاريخ الإسلامي لا يقدم بمنهج صحيح ، سواء لطلاب العلم أو للقارئ العام . وأن معظم ما نقرأه في الدراسات الحديثة هو ما قدمه المستشرقون ، سواء أكان ذلك بطريق مباشر من كتبهم ، أم عن طريق تلاميذهم من "المؤرخين" المسلمين ، الذين يتلقون كلامهم كأنه القول الفصل الذي لا يحتمل النقاش ! وغني عن البيان أن المستشرقين كانوا أنشط ما يكونون - في عملهم التخريبي - في مجال التاريخ الإسلامي!.. وأحسست منذ تلك الفترة البعيدة أنه لا بد من إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على نسق آخر غير ما يقدمه المستشرقون وتلاميذ المستشرقين !.. وظل إحساسي بهذه القضية يتزايد مع مرور الأيام ، كلما ازددت اطلاعا على ما يكتبه "المؤرخون" المحدثون في التاريخ الإسلامي ، وكذلك كلما برزت إلى الوجود صيحات مشبوهة ، تنادي بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، ولكن من زوايا أخرى ، لا تقل تخريبا عما كتبه المستشرقون من قبل .. فمرة من زاوية القومية العربية ، ومن مضحكاتها أن صلاح الدين - الكردي - كان يدافع عن القومية العربية ، وبطلا من أبطالها ! ! ومرة من زاوية الاشتراكية ، ومن مضحكاتها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قائد ثورة الفقراء ضد الأغنياء!.. ومرة من زاوية التفسير المادي - أو التفسير الاقتصادي - للتاريخ ، ومن مضحكاتها أن الدافع وراء الفتوح الإسلامية كان هو الدافع الاقتصادي ، ووراء الحروب الصليبية كذلك ، وأن الدين في الحالتين كان ستارا يستغله المستغلون!.. وكنت كلما مرت مناسبة من هذه المناسبات أزداد اقتناعا بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من منطلق إسلامي، وبروح إسلامية، لا تتأثر بتلك التيارات المنحرفة والصيحات المشبوهة، التي تريد طمس معالم ذلك التاريخ ، وطمس مقوماته الخاصة النابعة من كونه تاريخ " الأمة الإسلامية " بالذات ، وإن ادعت تلك التيارات " الروح العلمية " أو " الموضوعية " أو " المنهجية " أو ما شابه ذلك من الشعارات!

كتب الأستاذ محمد قطب ذلك .. ونوه بأدب ووقار إلى مزورى التاريخ.. أولئك الذين قرعوا تاريخنا فى كتب المبشرين والقسس الذين يعتبرون نبينا المصطفى أكبر دجال فى التاريخ.. كبرت كلمة تخرج

١ - كيف نكتب التاريخ الإسلامى. محمد قطب. دار الشروق- راجع أيضا لنفس المؤلف والناس: مذاهب فكرية معاصرة .

من أفواههم .. قرءوا ذلك وصدقوه .. ولم تكن لديهم الشجاعة لإعلان كفرهم .. ولا لمواجهة الناس .. ابتعدوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم (بعض حثالة حثالتهم لم تبتعد) وهاجموا من عداه.. وشبه أحدهم سيد شباب أهل الجنة ابن بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالشيخ الصباحي زعيم حزب الأمة وقارئ الكف الشهير..

في ظل هؤلاء المستنيرين تمكن الغرب من عقلنا..

سيطر الغرب ووكلاء الغرب وعبيد الغرب على قطاعات الثقافة والإعلام والتعليم فاستنزفوا وعينا ووجداننا ..

راحوا يروجون للغرب الذي يعاملنا كالأطفال... فطفل يخدعه بالألعاب والحلوى (الكويت ؟) .. وطفل يفزعه بالضرب المبرج (العراق ؟) .. وطفل يوهمونه لإشباع غروره أنهم يعاملونه كبالغ (مصر ؟) ..

اندفعوا يكررون تجربة الكافر الفاجر كمال أتاتورك بعد أن استفادوا مما حدث في تركيا فتجنبوه في مصر.. أجروا العملية الجراحية في تركيا دون تخدير لكنهم في مصر وباقي أرجاء العالم الإسلامي يجرونها بمخدر قوى ..

في معظم دوائر الغرب الثقافية ينظرون إلى العلمانية كمرادفة للإلحاد.. مستتبرونا السفلة وجدوا أن العلمانية ستسقط في بلاد المسلمين لو احتفظت بمعناها الحقيقية في الغرب فراحوا يموهون عليها..

وإنني أرجو من القارئ أن يقرأ معي مطالب الجيش العلماني في تركيا من الحكومة هناك.. أن يقرأها لا ليعرف ما سوف يحدث لنا .. ولا ما سيحدث لنا .. بل ليعرف ما يحدث لنا بالفعل.. كانت هذه هي أوامر العلمانيين في تركيا^١:

- ١ - منع أي دعوات مؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية .
- ٢ - فرض الرقابة على شبكات البث الإذاعي والبث والتليفزيون الإسلامية .
- ٣ - منع ارتداء "لباس" يتعارض مع ما نص عليه القانون ، مما يعنى فعليا تطبيق حظر ارتداء النساء للحجاب .

١ - مجلة الاجتهاد. دار الاجتهاد بيروت المعدادان ٤٥/٤٦. وراجع أيضا: تركيا. رضا هلال مكتبة دار الشروق .

- ٤ - فرض إجراءات للحيلولة دون خرق الإسلاميين المتشددين لأجهزة الدولة.
 - ٥ - فرض رقابة مشددة على شراء البنادق قصيرة الماسورة، بحجة إقبال الإسلاميين على شرائها .
 - ٦ - فرض رقابة على الموارد المالية للجمعيات الدينية) .
 - ٧ - إحياء المادة ١٦٣ من قانون العقوبات ، التي تنص على تجريم أى نشاط سياسى بدافع دينى .
 - ٨ - إلزام الحكومة بالمراقبة الدقيقة لجهود إيران لزعة النظام العلمانى فى تركيا.
 - ٩ تجريم العمل ، بصورة مطلقة ، ضد النظام الديمقراطى العلمانى.
 - ١٠ - تطبيق المادة ١٧٤ من الدستور ، الخاصة بعدم التعرض للإصلاحات التى اعتمدت فى ظل الجمهورية التركية منذ تأسيسها عام ١٩٢٣ .
 - ١١ - الطلب من المدعين العامين اتخاذ إجراءات فورية ضد أى عمل يعتبر انتهاكا للقوانين ، وإغلاق المؤسسات الدينية التى تنتهكها .
 - ١٢ - زيادة مدة التعليم الإلزامى إلى ٨ سنوات (يعنى فعليا إغلاق مدارس إمام خطيب أى الكتاتيب) .
 - ١٣ - إغلاق مدارس تعليم القرآن التى يديرها أصوليون .
 - ١٤ - مساعلة رؤساء الأحزاب عن تصريحات وبيانات رؤساء بلديات ينتمون إليها.
 - ١٥ - حظر تسلم المجالس البلدية لأى تحويلات من منظمات دينية فى الخارج .
 - ١٦ - منع إقامة المسجد (الجديد) فى حى "تقسيم" بإسطنبول .
 - ١٧ - فصل ١٦٠ من ضباط الجيش لانتمائهم للتيار الإسلامى.
 - ١٨ - فصل بعض حكام الولايات المنتمين للتيار الإسلامى .
- هذه هى تعليمات الجيش العلمانى فى تركيا..
- فى تركيا ؟..
- لماذا تطبق إذن ذات التعليمات فى مختلف أرجاء عالمنا العربى؟؟..
- نفس التعليمات.. ليس الجيش إذن هو مصدر تلك التعليمات..
- بل دوائر الصليبية والغرب..
- راجع التعليمات أيها القارئ مرة أخرى..
- وقارنها بما يحدث فى بلادنا من أقصاها حتى أنداها..
- افعل ذلك.. واكتشف من يحكموننا..
- وتحرك..

لا للوطن كرامة.. ولا للدين حرمة' ١..!!..

أى شأو بعيد من السمو كنا قد بلغناه وسيد البشر وخاتم المرسلين يتلوها فى خطبة الوداع: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" ..

يقول المفسرون : أي ورضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً بكماله لا أنسخ منه شيئاً. لا ينقص يا أمة ولا ينسخ منه شيئاً ..

لا ينقص يا من أنقصتموه بحجج باطلة تحتج بأننا لسنا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتتحرك السنة تظهر الإيمان وتبطن الكفر لتقول: وهل نحن كالصحابه حتى نفعل ما كانوا يفعلون ١؟ ..

أى شأو وأى شأن كنا قد بلغناه .. ومتى ولم وكيف انحدرنا ..!؟ ..
إننا نعرف فى أى يوم وفى أى ساعة غزا الأعداء بلادنا لكن التساؤل هو : متى غزا الأعداء أرواحنا ..

متى ران ظلامهم فطمس النور فى قلوبنا؟ ..
إن رحي الإسلام دائرة فلم تدوروا حيث دارت ..
ولقد افترق السلطان والقرآن فلم فارقتم القرآن واتبعتم السلطان ..
ألم يخبرنا حبيبنا وقائدنا ومعلمنا وشفيعنا المصطفى عليه السلام :
"إنه سيكون عليكم أمراء مظلون، يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم،
إن أطعموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم" ..

وسأل السائل:

- فما نصنع يا رسول الله ؟ ..

قال:

- " كما صنع أصحاب عيسى، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب، والذي نفس محمد بيده لموت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله عز وجل .."

كان مثلنا وقدوتنا أصحاب الأخدود واستشهاد سيد شباب أهل الجنة فى كربلاء .. كانوا هم مثلنا العليا .. فمتى أصبحت مثلنا العليا- بل

السفلى- جماعة كوبنهاجن .. وبرامج التليفزيون .. والصحف الصفراء والكتاب الصفر .. ورموز حضارة الغرب وانحلاله..

إن الأمر لا يحتاج حتى إلى الإيمان بل إلى مجرد الإنصاف لندرك أن شطر سطر فى حديث نبوى شريف يرجح كل موثيق حقوق الإنسان التى يتباهى بها الغرب علينا.. وشطر سطر آخر يرجح كل نظم الديموقراطية الغربية..

كان أصحاب الأخدود مثلنا الأعلى..

يقول الدكتور "محمد السيد الوكيل" فى كتابه "هذا الدين بين جهل أبائنا وكيد أعدائنا" : فى قصة أصحاب الأخدود ثورة على التفكير البشرى، وتمرد على جبروت الظالمين، وإذلال لكبرياء الملحين، وتثبيت لإيمان المؤمنين.. وبطل القصة غلام حدث، صغير فى سنه كبير فى عقله، ضعيف فى جسمه قوى فى إيمانه، ذليل فى عشيرته، عزيز بربه، استقر الإيمان فى قلبه، وخالطت بشاشته روحه، فوجد حلاوته بين جوانحه، فاستعلى على الكفر، وتمرد على الظلم، لم يكن فى الأرض مؤمن سواه، ثم آمن على يديه جليس الملك بعد أن أبراه العلام من العمى باسم الله، وكان أجدر بالعلام أن يضمن بحياته، لا ليعيش طويلا فى قصر الملك، ولا لينعم بملاذ الحياة فيه، ولكن ليدعو إلى الله، وينشر الدعوة بين صفوف معاصريه، وقد حاول الملك أن يقتله مرارا لكن الغلام كان يدعو الله فينجيه.. انتشر خبر الغلام بين الناس، وعجبوا لأمره، ولم يهمل العلام فرصة يستطيع بها نشر دعوته ولو كان الثمن حياته، فقال للملك: " لست بقائلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى ثم تأخذ سهما من كنانتى وتقول: باسم الله رب هذا الغلام، ثم ترمينى به". وفعل الملك ذلك.. ولم يكن يظن أن فيه القضاء على جبروته، وأنه بذلك يقنع الناس بالإيمان برب الغلام.. كان خوفه من فكر الغلام دافعا إلى قتله دون أن يفكر فى النتائج التى ستترتب على ذلك، وكان يظن شأن كل طاغية أنه بقتله للغلام سيقضى على دعوته، ولم يكن يحسب قط أن أصحاب الدعوات إنما يستشهدون لتحىي مبادئهم وتخلد دعوتهم.. وفعل الملك كما قال له الغلام ورماه بسهم فوق فى صدغه فمات..

يا أمة .. لو أن هذا الغلام فكر كما نفكر الآن..

لو أنه فكر أن يخدع نفسه أو أن يخادع الله .. كما نفعل..

لو أنه " حسبها " كما نفعل ..

لو أنه فعل ذلك لما رضى بالموت، أليس هو المؤمن الوحيد، أليس هو البذرة التى لما تنم بعد ولم تؤث ثمارها.. ومن الذى يضمن له إيمان القوم إذا هو مات..

لكن الغلام لم يفكر كما نفكر.. وأقدم على الاستشهاد مخلصا لدعوته.. وهذا ما يملكه.. أن يكمل القصد.. ولقد حدث على الفور .. فلم يكد الغلام يقتل حتى آمن الناس بربه الذى مات فى سبيله.. وانتصرت مقاييس السماء على مقاييس العقل البشري.. وجن جنون الملك - وما أكثر ما يجن جنون الملوك - عندما رأى أن الأمر قد أفلت من يده.. وأن الغلام المقتول قد انتصر عليه وعلى جبروته.. ولو لم يكن جنون الملك مجنونا لخضع لإرادة شعبه ولأقدم على تغيير نظامه الفاسد الكافر بنظام خير مؤمن.. ولكن الملك الوحشى الجنون.. والذى لم يكن يهيمه فى الوجود إلا استقراره على كرسي العرش حتى ولو على جماجم شعبه .. هذا الملك.. طاش صوابه - ولم يكن له أبدا صواب - إذ كيف يتمرد الرعاع على ربوبيته.. وكيف ينكر الدهماء ألوهيته.. أوليس هو الذى يطعمهم ويسقيهم ويكسوهم؟ أوليس هو الذى يدبر أمرهم.. أوليس هو المائل المتجسد الذى يرونه رأى العين.. يحيى ويميت.. بيده الذهب والسيف والنار وهو على كل شئ قدير.. كيف يتركون الإيمان به إلى إله لم يروه.. كانوا بالنسبة للملك إرهابيين كفروا به .. كانوا بالنسبة للملك متأسلمين ظلاميين حمقى.. وأمن خدم الملك وعبيده من كتاب وجنود على ما يقول.. لم يكونوا يرون إلا ما يرى.. وأمرهم الملك بخذ الأخاديد فحفروا فى الأرض شقوقا هائلة.. استجاب الزبانية.. وأتى رجال مباحث أمن المملكة وأشعلوا فى الأخاديد نيرانا هائلة.. كانوا قد شقوا بالمناشير قبل ذلك اثنين أمنا بالغلام ورفضوا أن يرجعا عن إيمانهم بالله الواحد القهار.. ووقفت أمة الغلام أمام هذا المشهد الرهيب ثابتة كالطود.. لم تروعه المحنة.. ولم ينل من إيمانهم هول الفتنة.. لم يشترطوا على الله أن يؤمنوا بشرط ألا يعذبوا أو يفتنوا.. لم يرجعوا فى بيع أنفسهم بأن لهم الجنة.. لم ينبت من بينهم رواد تنوير ولا رؤساء تحرير يزينون لهم الكفر بعد الإيمان.. لم يجروا استفاء .. بل وقف كل واحد منهم ينتظر دوره.. ليلقى بنفسه فى الآتون المستعر.. كان الجبار الطاغية السفاح يستعلى عليهم بجنده وكتبته.. وكانوا يستعلون بالله .. وكانوا أعلى.. التهمت النار وكانوا أعلى .. بل التهمت النار فكانوا أعلى.. وطوت يد الظلم والجبروت صفحة غضة من التاريخ لم تكذ تنشر..

يصرخ الدكتور محمد السيد الوكيل: لو أن مؤمنى الأخدود ترددا
مجرد تردد لبادوا وبادت دعوتهم إلى الأبد..

هكذا يجب أن يكون المسلم، ليثبت للعالم أنه لا سلطان للطغاة والمستبدين
إلا على أجساد فانية، أما الأرواح فقد باعها المؤمنون لبارئها، وأهل الأرض جميعا
عاجزون عن النيل منها..

يقول شهيد الإسلام المرحوم سيد قطب: " لقد كان فى استطاعة
المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا
يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون
هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية،
وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد" ..

لقد كان مؤمنو الأخدود هم الأساتذة الذين علموا بلالا وصهيبا وعمارا
وسلمان وسيد شباب أهل الجنة الحسين وسليمان الحلبي وسعد إدريس
حلاوة وخالد الإسلامبولي وشهداء حماس ومقاتلى حزب الله وجيش
تحرير كوسوفا ومناضلى الشيشان وثوار داغستان.. كانوا هم المعلمين
الأوائل الذين علمونا كيف يكون الصبر عند البلاء وكيف تكون التضحية
بأعز ما يملك الإنسان فى سبيل عقيدته..

يا أمة.. : العقيدة..

لو صلحت عقيدتكم لصلح لكم أمر الدنيا والآخرة..

وليس الصلاح الذى يحسبه المنافقون عبدة السلطان المتمردون على
الله وقيمونه بالذهب والدولار..

صلاح آخر يا أمة..

صلاح يبذل الإنسان حياته فيه فى سبيل الله لا فى سبيل الطاغوت..

صلاح من يؤمن — {يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن
لبئتم إلا قليلا}.

لكم ارتجف قلبى يا أمة وأنا أقرأ الحديث النبوى الشريف عن أول من
يدخل النار يوم القيامة.. إنه شهيد .. أجل شهيد يؤتى به فيُسأل فيم قاتلت
واستشهدت فيقول قاتلت واستشهدت فى سبيل الله فيقال له كذبت بل قاتلت
كى يقال شجاع وقد قيل.. اذهبوا به إلى النار..
ارتجف قلبى يا أمة..

بكيت..

تذكرت الآلاف والآلاف من شهدائنا.. ذلك الذى قاتل من أجل ذرة
رمل فى سيناء.. وذلك الذى استشهد فى حفر الباطن.. وأولئك الذين
يموتون فى العراق .. وذلك الذى مات فداء لزعيمه المفدى.. أو مضحيا
من أجل وطنه العظيم .. هل هم شهداء حقا يا أمة.. أيؤتى بهم يوم القيامة
فيقال لهم فيم استشهدتم فيقولون فى سبيلك يا رب .. فيقال لهم كذبتكم.. بل
قتلتكم فى سبيل طواغيتكم وأوطانكم وعشائركم .. اذهبوا بهم إلى النار..

وا حسرتا .. وا حسرتاه يا أمة ... وا حسرتاك يا أمة..

لو أنك يا أمة آمنت حقا لما كان هذا الحال حالك..

أصلحي عقيدتك يا أمة فإن هذا السواد حالك..

العقيدة..

لقد ضربت لكم فى المثل بالبورصة.. فلو أنكم آمنتم واعتقدتم بأن
سهما سيرتفع سعره فى نهاية العام إلى عشرة أضعاف.. من منكم لن
يشترىه..

من لا يؤمن لا يشتري.. ومن يؤمن لا بد أن يشتري..

العقيدة يا أمة..

إننى أفهم الآن فى عذاب لا يوصف بصيصا من معنى الآية القرآنية
"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ..

تلك هى الأمانة يا أمة.. الأمانة التى عجزت عن حملها السماوات
والأرض.. الأمانة .. العقيدة..

لشد ما أوغلت وأوغلت فى الخطأ يا أمة..

لكم كان يرعبنى أن أتهم واحدا بالكفر فأبوء به..

اقتصررت على اتهام المنهج والفكر لا الأفراد..

لم أكن أستسيغ أبدا أن يكون القائمون بالتعذيب أو مزورو الانتخابات
مؤمنين..

ولم أكن أستسيغ أبدا أن يكون الموالون لأعداء الأمة على حساب
الأمة مؤمنين..

كنت أقترب من هذه المنطقة برعب وحذر..

الآن ينفجر فى اللغم يا أمة رغم الحرص والحذر..

الآن ينفجر التساؤل: هل هم الطواغيت فقط؟..
 هل هم عبيد الطواغيت فقط؟..
 هل هم كتاب الطواغيت فقط؟..
 هل أصيب أولئك وأولئك وأولئك وسلمت أنت يا أمة..
 هل سلمت عقيدتك يا أمة..

إننى أعلم أننى بهذا التساؤل أفتح بابا لنار من نيران الأخدود على
 نفسى، ولكن مرحبا بها ، لا والله .. ليس لكى يقال شجاع.. ولكن خوفى
 يا رب منك أكثر من خوفى منهم.. لا وحق جلالك وعزتك يا رب ..
 لا أطلب منك ميثاقا أن أجاهد فيك بشرط ألا أودى.. أسالك العفو لكنى
 لا أشرطه.. يشترطه جل شيوخنا ومعظم مجاهديننا..
 يشترطون عليك يا رب..

العقيدة يا أمة..

ليس الله بظلام للعبيد..

ثمة خلل فيك يا أمة لا أجرؤ على تسميته..

كان آخر من ألقى في النار من مؤمنى الأخدود امرأة معها صبي
 رضيع، فلما رأت النار صَدَّتْ بوجهها وأعرضت فقال لها: يا أُمَّتاه قَفِي
 ولا تُنافقي وقيل: إنه قال لها ما هي إلا غُمَيْضَةٌ فصبرت..

فألقيت في النار..

فهل رأيت هذا المعنى للنفاق يا أمة..

وهل تعرفين أن الكلمة مشتقة من الفعل " نفق " .. ونفقت الدابة أى
 خرجت روحها من جسدها ونافق المنافق أى خرج الإيمان من قلبه خروج
 الروح من الجسد..

هل رأيت !؟.. لن أجرؤ على أن أسميك يا أمة..

يا أمة إن الله حق والدين حق والغيب حق والجنة حق والنار حق..

يا أمة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو قيل لأهل النار ماكنون
 في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم
 ماكنون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد".

جعل لك الأبد يا أمة فكيف تغفلين وتزورين؟!

يا أمة عليك أن تدركى أن ثمة خلل فيك ..
لكم ضيعت من وقتٍ وجهد..

مبارك أم السادات.. السادات أم عبد الناصر.. الثورة أم الملك..
النحاس أم مكرم.. سعد زغلول أم عدلى يكن.. أمريكا أم روسيا..
الاشتراكية أم الرأسمالية.. الشرق أم الغرب.. الشمال أم الجنوب.. الإسلام
أم العروبة.. مصر أم السعودية.. لبنان أم سوريا.. القدس الشرقية
أم الغربية.. العراق أم الكويت.. الخليج أم إيران.. إرجاء أم تعجيل..

ماذا كان مرجعك يا أمة فيما اختلفتم فيه..
ماذا كان مرجعك..؟.. هل كان هو الله أم الهوى..؟
أجيبى يا أمة .. أجيبى تعرفى سبب ما أنت فيه..
حسنا .. بل ليس حسنا..

سنفترض أن فئة منا تحب مبارك أو السادات أو عبد الناصر..
فيم أحببت .. أفى الله أم فى الهوى..
ولنفترض أن فئة أخرى أبغضت هذا أو ذاك..
فيم أبغضت .. أفى الله أم بالهوى..
هل تعرفين الآن يا أمة لم تشرذمت..
لأنك فقدت الدليل والمرجع..

اتبعتكم هواكم.. وما دمتم قد اتبعتم هواكم فقد حق لكل واحد منكم أن
يكون جزيرة معزولة.. هو مرجع نفسه.. لم تلومونه إذن حين لا يتفق مع
آخرين هم مراجع نفوسهم..

هبوا أننا فقدنا المتر كوحدة لقياس المسافة..
هل يتفق بعدها اثنان منك يا أمة على مقدار مسافة..
هبوا أننا فقدنا الكيلوجرام كوحدة لقياس الوزن..
هل يتفق بعدها اثنان منك يا أمة على مقدار وزن..
لماذا فقدت مقياسك ومرجعك يا أمة!؟..

لماذا فقد بعض كتابك عقولهم وضمائرهم فلم تقوم بهم..

عندما كتبت نعمات أحمد فؤاد تطالب بعودة الكتاتيب كي تعود للقرآن
مرجعيته فوجئنا بانفجار طوفان المستهزئين فى صحفنا القومية بعد نشر
مقالها بيوم واحد.. ولم يكن الوقت يكفيهم حتى لكتابة مقال فلأنما كانت

مقالاتهم معتقة منذ ألف عام في أقبية كنائس المستشرقين وأوكار المبشرين
وأنها جاهزة للنشر - دائما - عند الطلب..
وعندما صرح الرئيس مبارك بعدها بأسابيع أنه تعلم القرآن في الكتاب
وحفظه كقت الكلاب الجرباء فجأة عن العواء..
إنهم يحبون الرئيس أكثر من حبهم لله..
ويخافون الرئيس أكثر من خوفهم من الله..
وليس على الرئيس في ذلك وزر.. لكن واجبه أن يفعل بهم ما فعله
إمام المتقين بمن عبده من دون الله..
على برنامج التغيير المزموع - وأرجو ألا يكون المزعوم -
أن يتكفل بهذا ..

إن الإسلام طريد ومحاصر وعلى التغيير الجديد أن يفك أسرهِ..
في كتابه "آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم" ^١ يقول
الدكتور جابر قميحة: من كان يسمع بسلمان رشدي إلا بعد أن جعل
من القرآن آيات شيطانية.. ومن كان يسمع بسعيد حبيب قبل أن يصف
الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام بالحمق والطيش والتخلف
الفكري - كبرت كلمة من أفواههم إن يقولون إلا كذبا - .. ومن عجب أن
ينهض في بعض البلاد العربية والإسلامية من يدافع عن هذين المارقين
ومن سار في دربهما بحجة الحق في حرية التفكير والتعبير في الوقت نفسه
الذي ينادون فيه بوجوب الشنق في ميدان عام للرجعيين المتخلفين الذين
يدعون إلى حاكمية الإسلام مما يسميه العلمانيون بجريمة الردة الفكرية
أو الحضارية..
و على برنامج التغيير ^٢ أن يتكفل بهذا.. لأنها أصبحت ظاهرة .. ليس
في العالم الغربي فقط - وذلك منه فجر.. بل في عالمنا الإسلامي أيضا
- وذلك منا كفر - إذ الطريق إلى تسنم ذرى الشهرة والغنى وفتح أبواب
الجاه لا تبدأ إلا للمتقين أنهم بعيدون عن الإسلام.. وكلما ازداد بعدهم كلما
ارتفع شأنهم..
إن تليفزيوننا - نحن الدولة المسلمة - يبعد المحجبات..

١ - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم. د. جابر قميحة. رابطة العالم الإسلامي. مكة. العدد ١١٦
من سلسلة دعوة الحق.

٢ - أسفر الوعد بالتغيير الشامل عن تغيير وزارى أجمع الكل أنه أسوأ .

وتعليمنا نحن الدولة المسلمة تستبعد الملتحين..

هل تذكرون نداء المأسور الغالى مجدى حسين ذات يوم إلى الدولة..
كان مدعوا فى حقل زفاف فى إحدى قاعات الأماكن السيادية.. على الباب
منعوه فالأوامر تقضى بمنع دخول الملتحين..
نحن الدولة المسلمة..

وأنت يا أمة إزاء هذا غائبة مغيبة لاهية ملهية..
تتركين وعيك ينزف وذاكرتك تستنزف وأنت سادرة فى خلافات
واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان..

هل وقفت يا أمة ذات يوم تقولين أنا أحب فلانا لكننى أحب الله أكثر..
أو أنا أخاف فلانا لكننى أخاف الله أكثر.. أو أنا أبغض فلانا لكننى أقر أنه
يطبق شرع الله..

هل تلوت يا أمة قول الله:

{قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقترفتكموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي
القوم الفاسقين }.

فتربصى يا أمة ..

وسلى نفسك إلى أى مدى حكمت الإسلام فى حياتك..

إلى أى مدى صدقت الله وإلى أى مدى خادعتيه.. وما خادعت
إلا نفسك ولكن لا تشعرين..

الإسلام الذى رضىه الله لنا دينا..

الإسلام الذى لا ينقص منه شىء ولا ينسخ منه شىء.. لا الإسلام
المعدل ولا الإسلام بشرطة ولا الإسلام الذى توافق عليه أمريكا
وإسرائيل..

لماذا يا أمة تركتهم يفعلون بك كل هذا..

هل كان يتهددك أكثر من نار الأخدود؟!..

أخرج ابن عساكر عن سليمان بن يسار قال: بلغنا أن الأشياء اجتمعت
فقال السخاء: أريد اليمن. فقال حسن الخلق: أنا معك. وقال الجفاء: أريد

الحجاز. فقال الفقير: أنا معك. قال البأس: أريد الشام. فقال السيف: أنا معك. وقال العلم: أريد العراق. فقال العقل: أنا معك. وقال الغنى: أريد مصر. فقال الذل: أنا معك.

لماذا اختفت الأشياء جميعا يا أمة ولم يبق إلا الذل والعجز وأنت ترين وتألمين فلا تتحركين.

كانت الحقيقة واضحة..

تركت لهم ميادين التعليم والثقافة والإعلام فعاثوا فيها فسادا..

لم تعد للوطن كرامة ولا للدين حرمة..

هل تعرفين لماذا يا أمة؟..

أقرئى معى كتاب الأستاذ أنور الجندى: الإسلام والتغريب الفكرى:

تقول المبشرة أنا مليجان: ليس ثمة طريق أقصر إلى حصن الإسلام من المدرسة، إنها أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب والمسيحية، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم.. وهذا هو الهدف فى الحقيقة: السيطرة على الجيل الجديد منذ مطلعته، لإعداده على النحو الذى يكفل له عندما يصبح فى مكان القيادة السياسية والاجتماعية والثقافية فى وطنه أن يكون صاحب ولاء فطرى وثقافى قوامه الحب والإعجاب والتقدير للذين علموه ونشئوه..

هل أدركت يا أمة!؟

لقد كان النبت الشيطانى لهؤلاء هم الذين حملوا لواء التشهير بالدولة العثمانية وعملوا على تمزيق الرابطة بين العرب والترك وتمكين الدول الأوربية من تقسيم الفريسة فيما بينها، هم الذين خدموا النفوذ الأجنبى فى مصر، كانوا هم المقربين لكرومر، وهم أصحاب الصحف الكبرى، وهم الداعون إلى العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، ومنهم صدرت كل الدعوات التى تعمل على تعميق الإقليمية وتمزيق وحدة العرب والمسلمين الفكرية وإيقاع الخلاف بين العروبة والإسلام.

هل أدركت يا أمة؟..

يصف جبران خليل جبران أثر مدارس التبشير فيقول : " في سوريا كان التعليم يأتي من الغرب بشكل الصدقة وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز ولما أحيانا أماتنا، لأنه أيقظ بعض مداركنا، ونبه عقولنا قليلا، وأماتنا بأن فرق كلمتنا وضع وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا " ..

أما ميخائيل نعيمة فيقول: " لقد عرفت سوريا غزاة كثيرين، فلم يكن من شأنار عليها وهي الضعيفة أن ترسخ لقوة فوق قوتها، إلا أنها منذ أواسط القرن الماضي اتخذت مهذا لغزاة ما عرفت مثلهم من قبل، غزاة جاءوها لا ليملكوا جسمها بل ليقبضوا روحها، فقد شنوا عليها الغارة بالثورة والإنجيل والريالات والعقاقير، فكانوا أشد قسوة عليها من كل من سبقهم، افتتح هؤلاء سوريا باسم الدين، وكان على المبشرين أن يزينوا مدنيتهم للسوريين كما لو أنها صفة الكمال، فحملوهم على احتقار مدنيتهم واحتقار أنفسهم، ومن ثم فقد صوروهم للغرباء الذين أرسلوهم في حالة تقارب الهمجية، فمسلهم جاهل، ونصرانيهم وثني، وكلهم كذبة ضد المدنية.." ..

يقول الكاتب الفرنسي إيتين لامى : " إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيد انتشاره، أما الوسيلة الفعالة لهدمه وتقويض دعائمه فهي تربية بنيه في المدارس التبشيرية أو المسيحية، ونفث جراثيم الإلحاد في صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون، فإن لم يتنصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا مسيحيين.." ..

أما زويمر كبير المبشرين في العالم الإسلامي فيتحدث عن هدفهم من عزل القرآن عن الناشئة وتشويه تاريخ الإسلام لتكوين مجتمع لا هو يهودى ولا هو مسيحي ولا هو مسلم فيقول: " ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة.." ..

لا للدين كرامة ولا للوطن حرمة..

فهل تمارين يا أمة أنه نجح..

لا للدين كرامة ولا للوطن حرمة..

كان عبد القادر الحسيني طالبا فى الجامعة الأمريكية، ويوم حفل التخرج طلب الكلمة، وفاجأ الجميع بقوله :
 " إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس فى مظهر المدرسة العلمية، ولكنها فى الحقيقة بؤرة إفساد للعقائد الدينية، وهى تطعن فى الإسلام.."
 وكشف عبد القادر الحسيني عن عدد من الكتب المقررة تمس النبى والإسلام.. وقال مدير الكلية أن هذه الكتب ليست مقررة على الطلبة..
 وكان المدير كاذبا..

تكرر الكذب بعد ذلك ..

تيقن الغرب أن لا مجال لخروج المسلم من دينه بأساليب التبشير العادية.. فركز محاولاته على إبقاء الإسلام مادام لا مناص.. على أن يفرغه من مضمونه، راحوا يعلنون شأن الثقافات الغربية ويؤلّهون أبطالهم، وفى نفس الوقت يسفّهون أبطالنا ويثيرون الشبهات حول حقائق الإسلام واللغة العربية والتاريخ العربى والإسلامى ..

كان العمل الأساسى للمبشرين تزيف تاريخ الإسلام والعرب، ومن بعدها تزيف العقيدة الإسلامية لحمل المسلمين والعرب على الاعتقاد بأنها سبب تخلفهم.. وأن السبيل الوحيد إلى النهضة هو التخلّى عنها..

فى كتاب وجهة الإسلام تأليف جب وأربعة آخرين كانت أهدافهم العامة: الحيلولة دون وحدة المسلمين، والقضاء على جامعتهم الفكرية والسياسية..

يقول جب: تغريب الشرق إنما يقصد به إلى قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحي.. وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر، حتى إذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيتها ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها.. وبقيت عيالا على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقدير وعادة.. وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا..".

كان محمد حسين هيكل (حسين وليس حسنين) واحدا من الذين تعلموا فى الخارج وأشربت أنفسهم بحب الغرب وعبادته، وراح يروج لفكر الغرب فى مجلة السياسة الأسبوعية وجريدة السياسة اليومية، وفجأة أحس بالهاوية تحت قدميه.. رأى أن دينه هو المستهدف فغضب لإسلامه الذى يريد الغرب أن يمحوه.. وانطلق هادرا ليكتب أكثر من خمسين مقالا يهاجم فيها الغرب بعد أن انكشفت أمامه الحقيقة كاملة.. كان قد وصل إلى قرار

حاسم فى موقفه من الغرب.. راح يعترف بمرارة أن الذين درسوا فى أوروبا يقصد نفسه ومجموعة من زملائه: - طه حسين ومحمود عزمى ومصطفى عبد الرازق - كانوا هم رسل الحضارة الغربية والداعين إليها فى مصر، ظنا منهم أن هذا هو السبيل إلى نهضتنا..

فى عصرنا هذا البئيس لا نجد واحدا مثل محمد حسين هيكل يخطئ فيعترف بخطئه فيكفر عنه..

ويبقى السؤال..

منذ متى سكنت الدنيا قلوبنا التى عميت عن الآخرة..
والدنيا ما سكنت فى قلب عبد إلا التاط قلبه منها بثلاث: شغل لا ينفك عنه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه.

الدنيا طالبة ومطلوبة ...

فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه..
وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه...
منذ متى فقدنا مثلنا الأعلى..

الإجابة هائلة ومروعة وطويلة يا أمة..
وإنها تشمل الدين والتاريخ والثقافة..
يقول العلامة محمود شاكر:

"من العسير إن لم يكن من المستحيل الممتنع، أن أقص عليك فى كتاب كبير، قصة شعوب مختلفة كثيرة العدد، تناولت عليها أيام وتتابع سنون، منذ ذرّت عليهم شمس اليقظة، ثم انبسطت عليهم أشعتها، حتى تحركت أوصال كل حى من جماهيرها الغفيرة، هذا محال، أفطن، إذن، أنى قادر على مثل ذلك فى ورقات قلائل، كلا، فما هو إلا الوصف السريع الخاطف.."

ويواصل:

"كيف كان ذلك؟ ولم كان ما كان؟ قصة طويلة عريضة ملؤها الغرائب والعجائب، والمضحكات والمبكيات، والحسرات والآهات، من مبدئها إلى منتهاها، ليتنى أستطيع على المكان - أى الآن - أن أقصها عليك كاملة بتفاصيلها، ولكن أنى أن يكون لى ذلك الآن؟ فأفنع منى بالاختصار المفهم، والإيماء الخاطف، واللمحة الدالة، إبراء للذمة، ذمتى

أنا، وأداءً للأمانة التي حملتها لأستودعها بين يديك، وأنت مخير بين خطتين لا ثالثة لهما: إما أن تتقصى المكنون الغائب من تفاصيلها المشتتة في تاريخك وكتبك، بعقل وهمة وجد وبقظة وبصر وإدراك، وبأنفة من قبول الذل والعار والمهانة، وإما أن تملها فتطرحها عن كاهلك قابلاً للمزيد من الذل والعار والمهانة، مستحلياً خداع النفس بأوهام سولتها لك حياتنا الأدبية هذه الفاسدة، والتي ألقى بكل فسادها في حياتنا اللغوية والثقافية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، بل في صميم حياتنا الدينية أيضاً، حتى أوشك أن يضيع كل شيء كان غير قابل للضياع، فاختر لنفسك منها ما شئت، فإن اخترت الخطئة الأولى، فاصبر على لأوائها ومشقتها ولا تجزع ، وكن رابط الجأش لا تستحوذ عليك المخاوف والرغبة ، ولا تهولك أسماء الرجال المحدثين الكبار، والتي لها دوى وضخامة، فإنما هي طبل فارغ، وزق منفوخ ملؤه هواء، واعلم أن الأمر جدّ كله، فإن داخله الهزل خرجت منه صفر اليمين. ولا يغررك زخرف الألفاظ الوسيمة المتألئة ، مثل قولهم : الجديد والقديم، والأصالة والمعاصرة، والتخلف والتحضر، فإنما هي ألفاظ لها رنين وفتنة، ولكنها مليئة بكل وهم وإيهام وزهو فارغ مميت فاتك، توغل بنا في طريق المهالك، وتستنزى العقل حتى يرتطم في ردغة الخيال، - أى طينته اللزجة- ، فإن استبان لك أول الطريق ولكن هبت وترددت، فاستمع عندئذ لنصيحة الحسن البصري رضى الله عنه: " إن من يخوفك حتى تلقى الأمن، أشفق عليك ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف" ، كان الله في عونى وفى عونك.

الهلاك يتهددك يا أمة..

فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم..
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
ذلك هو الفوز العظيم..
ذلك هو الفوز العظيم..

لا للوطن كرامة.. ولا للدين حرمة' .. ٢!!..

طوفان بلا سفينة نوح ..

طوفان ..

طوفان يطاردنا ويغرقنا فيغفل كل منا عن سبيل النجاة لياوى إلى جبل يعصمه من الماء..

لن يعصمنا الجبل من الماء..

فالجبل سيغمره الماء..

الجبل سيفنيه الماء..

أما من اعتصموا به فخالدين فى النار أبدا..

من يندفع إلى النار ستكون النار عليه بردا وسلاما..

ومن يبحث عن جبله الذى يعصمه من الماء سيكون الماء حوله جحيما لا يخبو أواره ولا تخمد ناره أبد الأبدين..

يا أمة ..

لست أدعى لنفسى الصواب والحكمة.. كما أننى لن أذعكم أبدا لأدعى أننى وحدى اكتشفت طريق النجاة.. فما أنا إلا بقايا من مزقة شراع تمزق.. وشظية سفينة تحطمت.. ومزقة الشراع تدرك أنها وحدها لا تدفع السفينة أبدا ثم أنه لا سفينة.. وشظية الخشب تدرك أنها لا يمكن وحدها أن تكون سفينة أبدا ثم أنه لا شراع..

بك يا أمة يلتئم الصدع ويرتق الفتق وتعود المزق شراعا والشظايا سفينة ناوى إليها فتعصمنا من جبال الماء.. من الطوفان يا أمة.. كل واحد منا معلق بشظية أو يمسك مزقة من شراع.. بك يا أمة.. بكم يا قراء.. حينما يدرك كل واحد منكم أنه مزقة وشظية.. وحين يجاهد كى يقترب من الآخرين كى تعود السفينة سفينة والشراع شراعا.. بك يا أمة.. وبكم يا قراء.. عندما لا يكتفى كل واحد منكم بما يقرأ.. منتظرا من الغيب أن يأتى له من يقوم بالعمل عنه..

أحيانا يا قراء يفيض ألمى فيسوء أدبى.. أهتف من نفس مكلومة :
يا رب .. طال السفر وبعدت الشقة وغرتنا الأمانى وخذعنا الشيطان
وابتعدنا عنك ولا نملك القوة والعزيمة - ربما ولا حتى الرغبة - للرجوع
إليك .. عجزنا.. طال الابتلاء فعجزنا.. يا رب .. علمت أن فينا ضعفا..
فتجاوز عنا تجاوز الحليم .. وارفعا عنا غضبك رفع من لا يعجزه شئ ..
ارفع عنا ما نعانیه من الذل والمهانة .. ارحمنا ..

وفى أحيان أخرى يا قراء أشعر بالخجل.. كيف أدعوه وما من أحد منا جاهد
فيه حق الجهاد.. أحيانا.. أجد جوارحى ساجدة لكرمه.. لأننا لم نفن ولم نبذ بعد..
ولأن ما حدث لعاد وثمود لم يحدث لنا بعد.. وأن السماء ما زالت تمطرنا الماء
السلسيل لا الرجم والشهب والصواعق .
يا أمة ..

غناء كغناء السيل نحن.. زبد سيذهب إن لم تتداركنا رحمة الله
جفاء.. تداعت علينا كلاب الدنيا كما تتداعى الأكلة على قصعة..
يا قصعة..

يا قصعة بترول العالم ومدفن نفاياته.. تداعت الأكلة عليكم.. فى الداخل
والخارج تداعت الأكلة عليكم.. تداعى الطواغيت عليكم.. تداعى الأعداء عليكم..
تداعى الاخوة عليكم.. تداعى الأبعد والأقرب.. بل تداعيتم على أنفسكم.. انظروا
إلى ما يحدث فى جروزنى والعراق .. وداغستان وفلسطين .. والبوسنة
والسودان.. وكوسوفا والصومال .. وأمان الله التى حولوا اسمها إلى مانيلا والقاهرة
التى لم تعد قاهرة.. والفلبين وبورما.. أما البلد الذى أنزلت فيه أعظم آيات التوحيد
فى تاريخ الكون فقد صار البلد الوحيد فى الدنيا الذى ينتمى باسمه لاسم شخص..
انظروا إلى بخارى وسمرقند وحفر الباطن .. انظروا إلى بقاينا .. إلى أشلائنا
المتناثرة وجوارح الدول تنقض عليها .. انظروا أنى شئتم .. فحيث لا للوطن
كرامة ولا للدين حرمة فثمة بلاد المسلمين .. كانت كل بلد فى هذه البلدان عضوا
من أعضاء الجسد الإسلامى إذا ما مرض تداعت له سائر الأعضاء بالسهل والحمى
.. إذا ما مرض!!.. الآن تبتر الأعضاء فلا يتحرك أحد..!! فإذا ما جرؤ على
التحرك أحد فهو إرهابى وهو من أتباع أسامة بن لادن.. يقول بذلك طاغوت يؤيده
مائة شيخ وألف ألف سيف.. فتئن اليسار العربى بذى الحية جيفارا لأنه يقارع
الاستعمار العالمى والإمبريالية وأمريكا.. ارتفعت بطولته لحد الأسطورة.. وعندما
مات بكتته بالدماء العيون.. فلما جاء بديله.. بل الأفضل منه إلى ما غير حد وهو

أسامة بن لادن لم يجرو قلم أن يقول كلمة حق فيه.. الفعل ذات الفعل بل أعظم ..
والقصد لله لا للناس.. والسجايا أعظم بما لا يقاس.. لكنه ارتكب الجريمة التي
لا غفران لها .. فهو مسلم..

أنتم أيضا أيها القراء مجرمون لأنكم مسلمون..
هكذا ينظر الغرب إليكم .. وهكذا ينظر حكامكم إليكم..
وهكذا تنتظر نخبكم إليكم..

هو الطوفان يا أمة بلا سفينة نوح..
لا تنتظروا عرافا يستكشف لكم طريق النجاة..
لا .. ولا مفكرا ولا كاتباً ولا زعيماً.. ولا دولة..
أنت يا أمة بإذن الله قادرة إن أردت..
لكن تذكرى دائما أنك لن تقدرى حتى تغيرى ما بنفسك..
يصيبني اليأس أحيانا يا أمة..

ليس اليأس من رحمة الله ولا اليأس من وعد بالنصر أومن والله به بل
لولا إيماني به ما استطعت أن أعيش..
إنما أياس من حاضرك يا أمة..
يستوقفنى القراء الذين يتابعون مقالاتى فى الصحف وعلى شبكة
الإنترنت كثيرا..

كان ثمة قارئ يحمل أعلى الدرجات العلمية يهتف من الولايات
المتحدة : " اكتب.. قل لهم أن ممارساتهم قد انتزعت من قلوبنا حب
الوطن.. إننى أعرف أنك ستعارضنى.. لكننى أقول لك الحقيقة.. ليس هذا
شعورا شخويا.. كل المغتربين العرب والمسلمين هنا يشعرون ذات
الشعور.. أصبحنا نكره أوطاننا.. فالمكان الذى نمتن فيه ونهان ليس
وطنا.. والمكان الذى لا يحافظ على كرامتنا وكرامته ليس وطنا.. والمكان
الذى يمارس التعذيب والتزوير ليس وطنا .. والمكان الذى يعلى الطالح
ويطيح بالصالح ليس وطنا.. والمكان الذى لا يحفظ للدين حرمة ليس
وطنا .." صرخت فيه.. ذلك هو المكتوب بنصه فى بروتوكولات حكماء
صهيون..

يقول البروتوكول العاشر:

"إن حكمنا سيبدأ في اللحظة التي يصرخ فيها الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكاهم - وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا - فيصرخون هاتفين : إخلعوههم وأعطونا حكماً يستطع أن يمنحنا السلام والراحة، لكن لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكام، اضطراب يستمر العداوات والحروب والكراهية والموت استشهاداً أيضاً، هذا مع الجوع والفقر، وسيستمر كل ذلك إلى الحد الذي لا ترى شعوبهم الأمل في أي مخرج من المتاعب غير أن يلجئوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة ."

فزعت يا قراء.. فزعت..

إنهم - استهانة - بشأننا لم يخفوا عنا شيئاً..
وطرق ذبحنا مكتوبة في كتبهم منشورة على أوسع مدى فهم كالقصاب القاسي الذي لا يبالي أن يدارى عن شاة ذبحة لشاة أخرى..
فزعت يا قراء.. واشتد فزعى برسالتين من رسائل القراء..
كانتا كخنجر أعمد في قلبي..
عجزت بعدها عن الكتابة..

كانت الرسالة الأولى من طالب في قسم التاريخ في كلية الآداب:

الدكتور محمد عباس

أنا طالب بالفرقة النهائية بكلية الآداب - قسم التاريخ وقد حرصت علي دخول ذلك القسم من باب قول الشاعر .

اقرأوا التاريخ فإن فيه العبر قد ضل قوم ليسوا يدرون الخبر

و اكتشفت بعد قراءتي لكتب ومذكرات الأساتذة ومتابعتي لسلسلة مقالاتك كيف زور تاريخنا وكيف ترك مثقفونا أعلامهم لمؤرخي الغرب كي يكتبوه بدلاً منا وصدقني يا أستاذ أن هؤلاء في الغالب ينقلون كتبهم من مصادر أوربية كتبت بأيدي قساوسة وشماسين تقطر مؤلفاتهم سماً وحقدًا.

فمثلاً ندرس مادة اسمها نصوص تاريخية مترجمة عن اللغة الأوروبية تصف المسلمين بأنهم وثنيون يعبدون محمداً والغريب أن الأستاذ الدكتور لا يرد علي تلك الترهات وإنما يطلب منا أن نتبع الكتب الأصلية التي وردت بها تلك النصوص لكي تزداد الغشاوة علي أبصارنا.. إنهم يدرسون لنا مثلاً إن محمد الفاتح قام بقتل كل اخوته الذكور حتى لا يشاركوه

في الحكم وأن السلطان بايزيد تعقب أخاه المنشق الأمير نجم في أوروبا حتى تخلص منه وإن كمال أتاتورك أقام دولة عصرية في تركيا أزال بها دولة التخلف والخلافة.. والآن.. الحاضر هو انعكاس الماضي (...)
منذ فترة وجيزة ظهرت المذبة في برنامج إخباري في التلفزيون المصري منتشية وهي تعلن عن خبر إقامة حفلة في الجزائر لاختيار ملكة جمال وحضره الرئيس الجزائري وكان ظهور الفتيات الجزائريات عاريات الجسد في رأي السادة معدي البرنامج وهو دليل علي أن الجزائر انتصرت علي الإرهاب الإسلامي فقلت في نفسي بل فرنسا هي التي انتصرت .

إنني يا دكتور أحاول قدر استطاعتي وقف نزيف الوعي عن طريق نشر مقالاتك بين زملائي الطلبة وبين كل من أعرفه والحمد لله أنها تجد إقبالا رغم كل تلك الهالة من التي تطل علينا من خلال إعلام كاذب ونفاق رخيص وصور مبتذلة .

و إنني أنظر حولي سواء في الشارع أو الجامعة وأتساءل في صدق هل نحن مسلمون بل إنني أشك في نفسي هل أنا مسلم أم لا ...

علاء محمد عبد الراضي

آلمتنى يا بنى.. آلمتنى..

هو الطوفان يا بنى.. فكيف أستطيع بجهدى المتواضع أن أواجه المؤسسة التعليمية والإعلامية وقد اخترقت حتى النخاع..

كيف أستطيع.. ربما يقرأ هذا الكتاب خمسة آلاف .. خمسين ألف أو حتى مائة ألف.. ماذا عن ستين مليون آخر.. ماذا عن ثلاثمائة مليون وماذا عن مليار وربع المليار.. كيف أصل إليهم لأقول أن ما يتخرون به .. وما يعتبرونه العار هو الفخر بعينه..

لقد حاول الصليبيون - دائما - ولا يزالون - اختراق النخبة الحاكمة ..

ولقد كانوا دائما - ولا يزالون - ينجحون ..

في صدر الدولة العثمانية.. عندما كان الإسلام هو المحرك والمرجع.. لم يكن هناك أى تسامح مع الخونة الذين يتآمرون مع العدو ضد الأمة.. لم يكن الخونة والجواسيس يتولون الحكم.. كان دوندار عم عثمان بن أرطغرل متأمرًا خائنًا فلما اكتشف أمره أعدم.. وكان ساوحي ابن السلطان مراد خائنًا آخر تأمر على أبيه عندما كان يواجه تحالف أوروبا كلها ضده تحت رعاية وبتوجيه البابا أوربيان

الخامس تحت شعار الانتقام للصليب من العثمانيين المسلمين.. فى هذا الظرف تأمر ساوجى بن السلطان مراد مع الأمير البيزنطى أندرونيقوس، الابن الثانى للإمبراطور يوانيس.. وانتقلت المؤامرة من طور التدبير إلى طور التنفيذ.. فسار الأميران على رأس جيش للقضاء على السلطان مراد الذى هزمهما شر هزيمة وألقى القبض عليهما.. وحوكم ساوجى وحكم عليه بالموت ونفذ فيه الحكم.. هاتوا لى ملكا من ملوك العرب والعجم يحاكم ابنه.. مجرد محاكمة!!..

شقيق السلطان محمد الفاتح كان طفلا غفلت المربية عنه فى المسيح فغرق ..

السلطان بايزيد الصاعقة.. لم يقتنع علماء الشرع بمبررات إعدام أخيه.. فماذا كان موقفهم؟.. لقد قاطعوه - وهو السلطان والملك - وردوا شهادته.. وعندما ذهب ليفتح مسجد "أولو جامع" سأل الحاضرين إذا كان ينقص المسجد شئ فأجابه العالم المؤمن شمس الدين الفنارى معرضا به وساخرًا منه ومحتجا على عدم التزامه الكامل بالإسلام إجابة لا يستطيع أى عالم من علماء المسلمين على أعتاب القرن الحادى والعشرين أن يوجه مثلها لحاكمه.. قال الشيخ لأقوى سلطان فى الدنيا:

بالنسبة لنا نحن المسلمين فإننا لا نجد أى نقص فى بناء المسجد، أما بالنسبة لك يا بايزيد، فإننى أخشى أن تكون قد نسيت أن تضع خزانة تحفظ فيها خمورك بجانب المحراب ..!!..

كان خطأ فرد لا خطأ الإسلام..

كان خطأ فرد لم يعرف عنه أنه اتخذ الإسلام مرجعه.. ومع ذلك يحملون جرائمه على الإسلام..

ولكن الخطأ الذى يأخذه الصليبيون على العثمانيين لم يكن ذلك.. لأن الجرائم التى ارتكبت فى كواليس القصور الأوروبية كانت أفظع إلى ما غير حد ..

الجريمة التى ارتكبها العثمانيون كما يعبر عنه المستشرق الألمانى فولدكه فى مجلة "دار إسلام" عام ١٩٢٤ هـ: "إن دخول الأتراك فى الإسلام كان أكبر نكبة فى التاريخ" .. مؤرخونا لا يذكرون ذلك يا بنى.. مؤرخونا درجوا على خداعنا بأن الحروب الصليبية انتهت عام ١٢٩١..

إن ماضى الأتراك غامض قبل دخولهم الإسلام .. لكنهم بدخولهم الإسلام وإنشاء الدولة قلبوا كل مخططات الصليبيين رأسا على عقب

عندما حولوا ميدان الحروب الصليبية بعيدا عن قلب الأمة.. إلى الشمال وإلى الغرب.. فى عقر دار الصليبيين .. فهل تعلم يا بنى متى بدأ ذلك ؟..
بدأ عام ١٣٠٠ ميلادية.. فتذكر على الفور التاريخ الآخر الذى يقولون لك
أن الحروب الصليبية انتهت فيه: ١٢٩١ ميلادية!! لا يمكن أن يكون
مؤرخونا قد أخطئوا عن جهل.. أليس ذلك يا بنى!؟..

لم تتوقف الحروب الصليبية أبدا .. يذكر زياد أبو غنيمة فى كتابه:
جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك : اضطر العثمانيون بل
المسلمون - لخوض غمار الحروب ضد أعدائهم بشكل متواصل ومستمر
خلال الأعوام التالية : ١٣٠١ م (وهي السنة التي أعلن فيها عثمان بن
أرطغرل تأسيس الدولة العثمانية) ١٣٠٩ ، ١٣٥٢ م ، ١٣٦٥ م ، ١٣٧٠ م ،
١٣٨٩ م ، ١٣٩٤ م ، ١٤٠٢ ، ١٤٣١ م ، ١٤٤٢ م ، ١٤٤٣ م ،
١٤٤٤ م ، ١٤٥٢ م ، ١٤٥٥ م ، ١٤٥٦ م ، ١٤٥٧ م ، ١٤٦١ م ، ١٤٦٤ م ،
١٤٧١ م ، ١٤٧٣ م ، ١٤٧٤ م ، ١٤٩٤ م ، ١٥٠٨ م ، ١٥١٧ م ،
١٥٧١ م ، ١٥٩٦ م ، ١٦٠١ م ، ١٦١٤ م ، ١٦٥٧ م ، ١٦٦١ م ،
١٦٦٤ م ، ١٦٧٢ م ، ١٦٨٣ م ، ١٦٨٧ م ، ١٦٩٥ م ، ١٦٩٦ م ،
١٦٩٧ م ، ١٧٠٩ م ، ١٧١٣ م ، ١٧١٦ م ، ١٧٣٦ م ، ١٧٦٢ م ،
١٧٦٨ م ، ١٧٦٩ م ، ١٧٧١ م ، ١٧٧٣ م ، ١٧٧٤ م ، ١٧٨٧ م ،
١٧٩٨ م ، ١٨٠٦ م ، ١٨٠٧ م ، ١٨١٥ م ، ١٨٢٢ م ، ١٨٢٧ م ،
١٨٢٨ م ، ١٨٣٠ م ، ١٨٥٣ م ، ١٨٦٠ م ، ١٨٦٧ م ، ١٨٧٧ م ،
١٨٨١ م ، ١٩١١ م.

وفى عام ١٩١٨ م أقحمت عصاة الاتحاد والترقي - وهى حكومة
عميلة خائنة زرعها الصليبيون لتحكم تركيا تماما كما فعلوا فى العديد
من بلادنا - أقحمت الدولة فى الحرب العالمية الأولى حيث انهزمت
شر هزيمة مما أدى إلى إعطاء الفرصة لأعداء الإسلام ، لتنفيذ مخططهم
للقضاء نهائيا على الدولة العثمانية ، سلطنة ، وخلافة .

ستمائة عام هى عمر الدولة العثمانية المسلمة - أطول دولة إسلامية
عمرت فى التاريخ - يسقطها أساتذتك المستثيرون يا بنى كى يستطيعوا
القول فى بساطة: انتهت الحروب الصليبية عام ١٢٩١!!..

هل تريد أن تلم بطرف من تفاصيل هذه الحروب يا بنى.. كى تربط
شظية خشب بشظية خشب ومزقة شراع بمزقة شراع..

لم تتوقف الحروب الصليبية أبداً يا بنى .. ولا ليوم واحد..
والذين يقولون بغير ذلك هم ما بين جاهل غبى وضال حائر ومضلل
جائر وخائن سافر..
لقد أسقطوا الإسلام كرابطة ومرجعية وقرعوا التاريخ فى إطار
منهجهم الشيطانى ذاك وسكبوه فى آذننا سما ناقعا..
أساتذة التاريخ فى جامعاتنا مثلاً لا بد - بحكم التخصص- أن يعرفوا
الحقيقة.. لكنهم عرفوها فكتموها ودرسوا لتلاميذها سواها.. ليس سواها
فقط بل عكسها تماماً تماماً ..

فى موجة الاندفاع الصليبية لحصار الإسلام والمسلمين .. اندفع
البرتغاليون لاحتلال مدينة سبته المغربية عام ١٤١٥ م ، مازالت سبته
حتى الآن تحت الاحتلال، مؤرخونا الأشاوس لا يذكرون لنا كيف احتلت،
لقد احتلت بطريقة حصان طروادة، كنت قد كتبت شيئاً كهذا فى إحدى
قصصى الخيالية وكنت ألوم نفسى لأن الخيال جمع بى فتصورت أنهم
سيحتلون القاهرة بجيش يرسلونه فى صناديق المعونة الضخمة^١. بعد أعوام
قرأت أن ذلك قد حدث بالفعل فى سبته. سلطوا قراصنتهم على الميناء
فافتقد الأمن وكسدت التجارة فساوموا المغاربة أن يديروا لهم الميناء مقابل
تأمينه، ووافقوا كما زلنا نوافق، وذات ليلة أرسل الصليبيون صناديق
ضخمة فيها جيش صغير مكون من أربعة آلاف، هاجم المدينة من الداخل
وفتح الأبواب لجيش أسبانى ضخم وصل إلى الميناء بعد نجاح الخطة،
وهكذا نجحت المحاولة بعد محاولات كثيرة فاشلة سبقتها.

استهدف البرتغاليون المسلمين أنى كانوا.. وفى ١٤٩٨ وصل فاسكو
ديجاما إلى كاليكوت على ساحل مليبار، كانت دول المماليك فى مصر
وفارس ودلهى تعاني الضعف الشديد ولم يكن لديها أسطول.. وفرض
الأسطول البرتغالى سيطرته على المحيط الهندى، ولم يعد لأى سفينة أن
تعبره دون أن تحمل ترخيصاً يسمى: (Cartaz) من قرطاس، مقابل دفع
إتاوة، وكانت السفن التى لا تحمل هذا الترخيص، وأحياناً التى تحمله
عرضة للإغراق أو المصادرة من قبل الأسطول البرتغالى إذا ما كان
التجار من المسلمين.

وبرغم الضعف كان ما يزال للأوطان كرامة وللدين حرمة..

١ - قصة المؤتمر فى المجموعة القصصية : إعلانات مبوبة - دار جهاد للنشر .

أدرك السلطان الهندي المسلم خطورة الوضع فاستغاث بسلطان مصر قنصوه الغورى الذى أرسل أسطولاً بقيادة الأمير حسين التركى حيث أوقع الهزيمة بأسطول برتغالى بالقرب من ميناء شيول فى يناير ١٥٠٨ إلا أن البرتغاليين استطاعوا فى العام التالى القضاء الكامل على الأسطول المصرى، ثم طوروا هجومهم ليحتلوا سواحل عدن وجزيرة هرمز وجزيرة سوقطرة فيمدوا سيطرتهم إلى جميع الدول المطلة على الخليج العربى.. وتدهورت الحالة الاقتصادية فى مصر بعد نجاح الحصار الاقتصادى الذى نجح البرتغاليون فى فرضه، وبادر قنصوه الغورى بالاستجداد بالعثمانيين، فأمده بأربعمائة مدفع وأربعين قنطاراً من البارود ومواد لصناعة السفن وعدد من الخبراء والبحارة.

انظروا يا قراء كيف كانت سائر الأعضاء تتداعى للعضو المريض .. وانظروا إلى حالنا اليوم..

فى عام ١٥١٣ دخل الأسطول البرتغالى إلى البحر الأحمر واحتل جزيرة كران بقيادة ألفونسو دى بوكويرك، كان ينوى الاتصال بملك الحبشة المسيحية وتدمير محاولة المصريين لبناء أسطول جديد واحتلال جدة وإنشاء قاعدة بحرية للأسطول البرتغالى بها ثم الإغارة على المدينة المنورة وحمل رفات النبى صلى الله عليه وسلم، وفى عام ١٥١٦ أبحر فى البحر الأحمر آخر أسطول مصرى بقيادة تركى هو سليمان ريس يرافقه الأمير حسين الذى كان قائداً للأسطول فى معركتى شيول وديو..

تكررت المأساة التى ابتليت مصر بها دائماً دون بلاد العالمين.. خطأ فادح من السلطان قنصوه الغورى، الذى شغل الأسطول بمعارك فى عدن واليمن ثم أمر بسحبه، وتعقب الأسطول البرتغالى الأسطول المصرى الذى لجأ إلى جدة، كان العثمانيون قد أخذوا يد المبادرة وهزموا المماليك بعد تاريخ سابق خانت فيه مصر دورها التاريخى وتأمرت مع البندقية ضد القسطنطينية (ومع ذلك لم يتوان العثمانيون عن المساعدة عندما يكون الأمر أمر الإسلام والأمة)، ضم العثمانيون مصر إلى الدولة الإسلامية الكبرى وتولوا مسئولية الدفاع عنها ضد الصليبيين، وتصدى الأمير التركى سلمان للأسطول البرتغالى فمنعه من احتلال جدة، وتولى العثمانيون مهمة حماية البحر الأحمر وأحبطوا محاولة البرتغاليين إقامة قاعدة لهم فى سواكن بل واحتلوها.. وبعد استيلاء العثمانيين على العراق أصبح فى إمكانهم مواجهة البرتغاليين فى البحر الأحمر والخليج بل وفى المحيط الهندى، وفى عام ١٥٤١ تحالف البرتغاليون مع ملك الحبشة ضد الزعيم

الصومالي أحمد الغازي، فأمدّه بحامية على رأسها ابن فاسكو ديجاما، وبادر العثمانيون بالتدخل فأبادوا الحامية البرتغالية وهزموا ملك الحبشة .

يقول أمين توفيق الطيبي في دراسة منشورة بمجلة الاجتهاد: بفضل قوة العثمانيين البحرية في البحر الأحمر سلمت المنطقة من أخطار البرتغاليين وأطماعهم، وكانت تتمثل في تهديدهم للبقاء الإسلامية المقدسة في الحجاز، وسعيهم في التحالف مع ملك الحبشة ضد المسلمين، والعمل على تعطيل تجارة المسلمين مع الشرق (..). وبدا واضحا في منتصف القرن السادس عشر بأنه لم تكن لدى البرتغاليين القدرة الكافية للتحكم بتجارة المحيط الهندي (..) وفي عام ١٥٦٤ كانت كمية التوابل التي وصلت إلى الإسكندرية أكثر من تلك التي وصلت إلى لشبونة.

إنني أذكرك يا بنى بأنه لولا الدولة العثمانية الإسلامية لكان بقايا المسلمين في العالم العربي اليوم كبقاياهم في الفلبين وبورما والأندلس.. هذا هو التاريخ الصحيح يا بنى .. ولكن .. لا بد أن يشوه أساتذتك التاريخ خدمة لسادتهم ولسادة سادتهم..

لأننا لو قرأنا التاريخ قراءة صحيحة لانقلبت الأمور جميعا..

لم تتوقف روما أبدا عن مواجهة مكة.. تغيرت الأسماء والبلدان لكن المواجهة لم تتوقف أبدا.. الآن روما هي واشنطن.. أما بديل مكة فشطيا خشب ومزق أعلام..

ونحن لو قرأنا التاريخ كذلك يا بنى لكان أى تحالف مع واشنطن هو حلف ضد الإسلام وضد الله.. ولكانت أى قاعدة لواشنطن في أى بلد من بلادنا هي حرب على الله ورسوله والمؤمنين.. ولكانت كل كلمة مديح وتقدير وإطراء لحاكم من حكامنا تأتي من واشنطن ليست إلا اتهام بالخيانة العظمى..

يصرخ مراد هوفمان أن كل شئ مسموح به في الغرب إلا أن تكون مسلما..

هل قرأت ذلك يا علاء محمد عبد الراضى..

هل كنت أستطيع أن أقول كل ذلك يا بنى وأن أضمن وصوله إلى كل من استنزفت آلة التعليم الجبارة وعيهم وإلى كل من شوّهت أجهزة الإعلام الهائلة ذاكرتهم..

أحسست بالعجز يا بنى..

انفجرت الذكرى بواقعة حزينة ومريرة.. فمنذ عدة أعوام حاولت أن أجرى بحثاً عملياً عن سبب تدهور التعليم فى الجامعة.. لماذا تحولت إلى أوكار للتجهيل لا للتعليم.. فكرت فى أن أعد ثلاثين سؤالاً لأوجهها إلى ثلاثين من الأساتذة المرموقين حرصت على أن يمثلوا دولا عديدة من عالمنا العربى.. نجحت فعل فى إعداد تسعة وعشرين سؤالاً ثم استغلق على.. وكنت حريصاً على أن يكون العدد ثلاثين كى يسهل عمليات الإحصاء والاستقراء.. ووضعت السؤال الثلاثين لإكمال العدد ولم أكن أنا نفسى مقتنعا به .. كان السؤال :

ما هو دور الحرس الجامعى فى تدهور التعليم..؟!

وعندما عرضت الأسئلة على الأساتذة ذهلت.. لقد تركوا الأسئلة كلها واهتموا بالسؤال الأخير.. كان رأيهم أن الحرس فى جامعات كثيرة هو الذى يدير الجامعة فعلاً.. وتمنى أحدهم ساخراً أن يكون رئيس الجامعة لواء.. فعلى الأقل سنعرف مع من نتكلم ومن نحمل المسؤولية.. فهم والوضع ذاك يمارسون سلطة مطلقة دون أى مسؤولية.. وواصل الأساتذة نزيههم: الحرس الجامعى ليس إلا الوجهة الظاهرة لأجهزة الأمن السياسى .. تلك الأجهزة الحريصة على قمع أى حركة طلابية صحيحة وسليمة ومستقلة.. كل من يرون فيه بادرة لاستقلال الشخصية يعتقل أو يفصل أو على الأقل يقمع.. أى بادرة للمعارضة - ليس بالضرورة معارضة سياسية - إثم كبير يستحق العقاب الشديد.. ليست الجريمة فى موضوع ماذا تعارض.. بل الجريمة أن تعارض أصلاً.. وليس حتى أن تعارض بل مجرد أن يكون لك رأيك المستقل.. وواصل الأساتذة نزيههم.. تقوم أجهزة الأمن هنا بتبوير التربة التى يمكن أن تنبت للأمة قياداتها.. قال أحدهم فى مرارة: المطلوب أن نخرج جيلاً ذليلاً خاضعاً بلا نخوة ولا كرامة ولا إرادة.. ثم واصل الأساتذة نزيههم: تنجح أجهزة الأمن فى عملية الخصاص .. نجحوا فى تخريج أجيال مخصية عقيمة.. أما من توجد عليه أى شبهة.. فسوف تطارده تقارير الأمن فلا يعين أبداً.. وفى الجامعة نفسها.. تكون ورقة الأمن هى الورقة الرئيسية فى تعيين أعضاء هيئة التدريس.. الخنوع هو المسوغ الأول للتعيين.. من عارض مرة.. ومن جرؤ على إبداء رأى لا مكان له.. فإذا حدث وتسرب أحد منهم إلى هيئة التدريس فما تزال هناك أكثر من مراجعة.. فالترقية من معيد أو مدرس مساعد إلى مدرس مصفاة.. وكل ترقية بعد ذلك مصفاة أخرى.. أما الاختيار للمناصب القيادية بعد ذلك فليس مجرد مصفاة.. إنه مجزرة تسلخ على مذبحها كل قيمة ومبدأ ومثل أعلى.. صرخ واحد من الأساتذة :

ليس الأستاذ مخزن معلومات ولا جهاز كمبيوتر.. إنه شيخ عامود يعطى نموذج الشخصية والروح ومنهج العلم قبل العلم نفسه.. ولكنهم حرصوا على أن يكون الأستاذ مخزن معلومات فقط.. لكن المخزن أن أكثر الأساتذة علما هم أقواهم شخصية وأكثرهم على العطاء وبناء جيل سوف يقود الوطن فى المستقبل.. أما أولئك الخانعون الذين يستقر اختيار أجهزة الأمن عليهم.. فلا علم ولا أدب ولا شخصية ولا قيمة.. لذلك فهم يعلمون الجهل..

هل تدركون يا قراء أنى لست ضد أجهزة الأمن.. على العكس.. أنا معها.. مع أجهزة أمن تستطيع الإطاحة بالحاكم إن تنكب الطريق القويم.. ومع أجهزة أمن تستدعى رئيس وزراء سابق وزوجته إلى مخفر الشرطة بعد أن تفتش بيته.. مع أجهزة أمن حقيقية ولست مع فرق عبيد مدربة للحكام..

هل أدركت يا علاء محمد عبد الراضى وهل أدركتم يا قراء عمق الكارثة..

وهل أستطيع يا أبو ياسر أن أواجه ذلك وأنت تحملنى مسؤولية أفزعتنى وأبهظتنى.. أبو ياسر هذا هو مرسل الرسالة الثانية:

د. محمد عباس

أيها المقاتل أيها المحارب خذ الحذر وسدد الله رميك ..

أيها الطبيب أيها الحبيب أيها الجمعة..

حوصر الكتاب وضيعت الأحكام وغيب الفرسان وتاريخ الفرسان ..

نعم .. أيها الجمعة كم كنت الجمعة دون أن تدري..

وكم اعتليت منابر وما الجمعة للجمعة دون منبر أو مضمون ؟

ابق علي جبل الرماة واستمر فلا سبيل للخسران ولا استسلام للشلل..

أيها الحبيب لا تهبط من هذا الجبل وصوب سهامك بالدواء وصوب سهامك بالسموم نعم بالسموم ونعم بالدواء ..

نقول .. يا أمة ثمة خلل فيك .. لا أجرؤ علي تسميته ..

١ - حدث هذا مع بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيلى سابق، بغدها وجهت اتهامات مالية إلى رئيس الجمهورية نفسه ، واستقال !!

ماذا لو سميت هلا سميت الله جرأة في الله لا علي الله ..
 أما رأيت ؟ .. رأيت الذي يكذب بالدين .. و.. ولا يحض علي رفع
 المعاناة والحصار
 والويل لمن ؟ له ؟ أم الويل لمن ؟ .. لمجلس الأمن .. لحلف الشياطين ؟
 الويل لمن ؟ ..

أما رأيت ؟ .. وكم المصلين في الأمة ؟ وكم من المصلين عن صلاتهم
 ساهون ؟ وما الصلاة بغير الله أكبر ؟ الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر .. وفي
 قلوبهم غير الله أكبر .. ألم تشهد عليهم بذلك ؟ ..
 جل المصلين نالوا من الدين ما لم ينل منه من قبل المكذبون بالدين فالويل
 للأمة الساهية .. الأمة المرائية ..

الويل .. ومتي كان الويل لغير المكذبين .. إلا في السهو عن الدين فما
 الدين بلا صلاة وما الصلاة بلا تكبير ..
 الويل .. لامة ما منعت الماعون ..

أيها الباحث في ثقب الذاكرة أرجوك ابحث عن الماعون ..
 ما الماعون ؟ .. ابحث عنه بعيداً عن معاجم اللغة ..

فليس بالضرورة دلو أو فأساً أو إناءً فالقرآن يتحدى مستجدات العصور
 فابحث عنه من بعيد وقريباً في لوازم الطب في حاجيات الحياة في حقوق السجين
 وفي وزارة التعليم وفي الدستور لعلك تجده قلماً أو فكراً أو قانوناً أو في كل ذلك ..
 ابحث عنه أيها الحبيب في قائمة المحظورات علي المسلمين المصلين ابحث عنه
 أيها الحبيب في قائمة الممنوعات عن العراق والسودان والأطفال وفلسطين وبلاد
 القوقاز المسلمين والبلقان، ابحث عنه أيها الفارس في كل مكان بعيداً عن الأزهر ..
 يا ويلنا إن كنا منعاه نحن المصلين. يا ويلهم أن كانوا منعه .. هم المصلون ..
 يا ويل الأمة ..

أرجوك ابحث عن الماعون ابحث عنه في ثقب الذاكرة في ساحة جهادك ما
 هو ؟ هل منعاه ؟ ومن منعه ؟ وعن من ؟ ومتي ؟ وكيف السبيل ؟ وأين المفر ؟ ..
 أبو ياسر ألمانيا - ميونخ

فكيف يمكنني أن أرد عليك يا أبو ياسر ..

لقد حاولت أن ألمس فى إيجاز شديد دور مؤسستين من أهم
المؤسسات فى بلدنا فيما صرنا إليه.. مؤسسة التعليم ومؤسسة الأمن ..
وتذكر يا أبو ياسر.. وتذكروا يا قراء.. أن الاثنين .. يحصلان على
شهاداتهم العليا أو تدريبهم فى روما التى أصبحت واشنجتن..
هو الطوفان يا أبو ياسر.. هو الطوفان يا قراء..
هو الطوفان يا أمة .. طوفان بلا سفينة نوح ..
طوفان ..

طوفان يطاردنا ويغرقنا فيغفل كل منا عن سبيل النجاة لياوى إلى جبل
يعصمه من الماء..

لن يعصمنا الجبل من الماء..
أما من اعتصموا به فخالدين فى النار أبدا..
من يندفع إلى النار ستكون النار عليه بردا وسلاما..
ومن يبحث عن جبله الذى يعصمه من الماء سيكون الماء حوله جحيما
لا يخبو أواره ولا تخمد ناره أبد الأبدين..
هو الطوفان..

كنت أريد أن أختتم المقال بأى من الذكر الحكيم..
لكننى أريد أن أسمع الذين بأذانهم وقر.. الذين إذا قرئ القرآن عليهم
أزوروا واستهزءوا.. فلأختتم المقال إذن بما يمكن أن يسمعه:

يقول البروتوكول الخامس عشر من بروتوكولات حكماء صهيون:
لخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا، إنهم قادرون على أن يلحقوا ستارا
على مشروعاتنا، وأن يستتبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين
الطوائف، وأن يعاقبوا أيضا أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا..
أما البروتوكول السابع عشر فيقول:

"إننا سنعرف كل شئ دون مساعدة بوليسهم الرسمى، الذى بلغ من
إفسادنا إياه، أنه لا ينفع الحكومة إلا فى أن يحجبها عن رؤية الحقائق .."

هل يرضى الذئب عن الحمل؟!!

..لا

لن أستجيب للقراء ولن أكتب عن الشيشان الآن..

فلأدع العار يلاحقني يا قراء ويلحقكم..

فالكثابة لن تطهرنا..

نعم..

لن تطهرنا الكثابة..

يا إخوتي في الله..

ثم أننى لا أستطيع الكثابة عنها وأنا مثلكم..

أخبُّ كما تخبُّون فى ثوب النجاة الدنىء..

وأن أكتب معناه أننى مازلت أحياء.. وحياتى دليل خزى .. لأننى أود
لو داريت وجهى من العالم ومنكم ومن نفسى.. أخجل من نفسى.. ومنكم
ومن مواقف حكوماتنا.. أخجل من كونى حيا.. وأخجل من الله..

قليل فى محاولة لفهم بطولة أهل الشيشان التى لا يمكن أن يمارسها
إلا عباد ربانيون.. أن المفتى هناك .. منذ مائتى عام أفتى لهم.. بأن من
يظل حيا بعد دخول الروس أرضهم لا يمكن أن يكون مسلما .. فلا يسلم
أرضه للكفرة الفجرة إلا كافر.. فالمؤمن حقا والمسلم حقا لا يعرف
الهزيمة.. وليس ثمة من نجاة إلا لشهيد أو منتصر..

هل تنطبق الفتوى على أهل الشيشان فقط؟؟ أم تجمعنا جميعا فى نفس
الحرمة للعار وذات العصبة للشنار.. يا حطب النار.. يا أنا وأنتم..

لا أستطيع الكثابة عن الشيشان يا إخوانى..

أخبُّ مثلكم فى ثوب النجاة الدنىء..

وكلما حاولت الكثابة بكيت..

أدين نفسي.. وأدينكم .. وأدين حكومات لم ترع حق الله.. حكومات
هى بالضبط عبدة الشيطان..

توقفت تماما عن سماع نشرات الأخبار منذ آخر انتصار فى أيام
العيد.. وكنت أسمع أخبار النصر فأبكى.. لأننى أرى عالما يسمى إسلاميا
يشغل قلب الأرض وواسطة العقد.. وعالما عربيا يشغل قلب القلب..
وفى هذا كله.. لم تخرج مظاهرة يسقط فيها شهيد دفاعا عن إخواننا
فى الشيشان..

والحكومات الشاذة العميلة لا تكف عن التصريح بأنها لا تتدخل فى
شئون روسيا الداخلية.. فلماذا شئونكم الداخلية أنتم لا يحركها إلا الغرب
الذى استرقكم وراحت أصابعه تعبث فى كل شئونكم .. ثم من قال أنه شأن
داخلي يا خونة.. لم تكن الشيشان أبدا جزءا من روسيا.. حافظت على
استقلالها منذ بداية الإسلام وحتى ضعفت الدولة الإسلامية بقيادة العثمانيين
فغزتها روسيا فلم تكف عن المقاومة والاستشهاد منذ نيف ومائتى عام..

ليس شأننا داخليا يا خونة.. الشيشان كفلسطين وكوسوفا وبورما وبغداد
وبيروت والقاهرة.. جزء من قلبنا ولحمنا وجسدنا المستباح..
ماذا يمكننى أن أكتب يا إخواني..

هل أكتب مطالبا بطرد السفير الروسى.. أم أكتب لمجرم الحرب
بوتين.. أم للقرصان يلسيتين.. أم لمنظمات العالم المجرمة التى استباحت
دماء المسلمين أينما كانوا.. أم لحكوماتنا.. حكوماتنا التى لم تخجل وإخواننا
يقتلون هناك من الذهاب لمجاملة الروس بإشراكهم فى عملية السلام..
سلام.. أى سلام يا من خانوا الله والرسول..

يخيل إلى أحيانا أن جل ولاة أمورنا رجل ديوث.. يرى ابنته وأمه
وامراته يغتصبن.. فينكر - درءا للعار - علاقته بهن ويقف يتضاحك
مع من يغتصبهن.. فهل درأ العار؟.. أم بلغ به العار أكثر وأكثر..
ألم - وألا - يشارك بنفسه فى الاغتصاب فى بغداد..

ماذا يمكننى أن أكتب وبمن أستجد..

هل أكتب لأناشد الأفراد لا الحكومات كما صرخ قارئ.. أم أستجد
باسامة بن لادن كما صرخ قارئ آخر.. أم أرقع ثوب النجاة الدنس لأكتب
متشدقا بأن الشيشانيون سينتصرون لا محالة.. وأنهم بشرى الزمن الآتى..
فعندما نقاتل مثلهم سننتصر.. وأنهم التجسيد الحى لحروب الصحابة

وانتصار الحسين بالاستشهاد .. هل أكتب ذلك ثم أخلد للراحة كأنما أديت
ما على فكأنما حروف تلك الكلمات قد غسلت عنى العار أو منعت عنهم
صاروخ دمار .. هل أكتب عن نصرهم كي أخفى هزيمتي .. ولكن نصرهم
وأحسبه والله وشيك - عار لنا فنحن لم نشارك فيه ..

ألفان فى جروزنى الحبيبة فعلوا ما فعلوا .. مرغوا فى الطين ثانى
أقوى دولة فى العالم .. ماذا لو كانوا عشرة آلاف .. ماذا لو كانوا مائة
ألف .. ماذا لو كانوا مليوناً .. وهل كان يمكن حينها يا أمة لا إله إلا الله أن
ينتهكنا ذلك العالم الداعر كما يفعل الآن ..

دعونى يا قراء ..

لن أكتب .. عن الشيشان ولا عن لبنان ولا عن بغداد ولا عن ..
ولا عن .. ولا عن ..
لن أكتب ..

فالكتابة أحيانا نباح كلاب .. ولن تطهرنا الكتابة .. لن يطهرنا
إلا الدم ..

نعم .. لن يطهرنا إلا الدم ..

لن تطهرنا الكتابة كما يطهر الاغتسال النجس ..

لن تطهرنا ..

لن تطهرنا ..

لن تطهرنا ..

فالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل ..

أحيانا والله أود لو توقفت عن الكتابة وعن القراءة

أنقض الهم ظهري فتوقفت عن القراءة والسماع ..

ولولا إدراك عميق أننى جندى على ثغر من الثغور ليس له
الانسحاب وليس له أن يتوقف عن جهاده إلا بالاستشهاد أو الأسر أو الموت
لكننت قد توقفت منذ زمان طويل طويل ..

يا ناس..

يا من تخشون بأس الناس..

يا من توقفتن عن الجهاد فى سبيل الله..

سوف يحيق بكم كل ما خشيتموه ثم تحرمون من أجر الجهاد..

عار الدنيا وخزى الآخرة..

استسلموا كما شئتم أو كما شاء لكم الشيطان..

لن تغلحوا أبدا..

ولن يرضى عنكم الوحوش أبدا..

ستسأمون سوء العذاب..

مالتوا أعداء الله..

طاردوا أشرف من فيكم زلفى لهم وقربى..

افعلوا ما شئتم..

فلن يرضى الذئب عن الحمل..

طاردوا علماءكم.. اتهموهم بالإرهاب ..

طاردوا وانفوا واحدا -لا أزكيه على الله- من أفضل وأعلم علماء المسلمين ألا وهو الشيخ يوسف القرضاوى الذى يقف فارسا مغوارا على تغور المسلمين يذب عن عقيدتهم ويرتق ذاكرتهم الممزقة ويعيد إليهم وعيهم المفقود..

أطلقوا عليه كما أطلقتم ذات يوم من تونس على الهواء مباشرة كلب مسعور وذئب عقور وخنزير حاول إلقاء الروث عليه..

وذلك مخطط يا قراء.. يدرُسونه ويدرُسونه فى أجهزة الأمن وأوكار المباحث.. إذ يظنون أنهم بذلك يفقدون مثل هذا الشيخ الكبير بعض مهابة.. يظنون أن التجريح الشخصى يمكن أن يمنع مثله من المواجهة.. فإن لم ينجحوا فى ذلك فإنهم يأملون عن طريق كسر الهيبة أن يقللوا تأثيره على الناس..

نفس الشئ حدث مع فضيلة الإمام محمد الغزالي رضى الله عنه.. وكان الكلب العقور من الجزائر..

١- نفس ما فعلوه إبان أزمة الوليمة مع كل من رفض الإساءة إلى المقدسات .

العالم العلامة محمود شاكر تجاهلوه وحبسوه..

مئات الكتب ومئات البرامج عن سفيه خائن مثل سلامة موسى أما مصطفى صادق الرافعي فلا أحد يكتب عنه..
خسئوا..

لكن يا ناس .. هل رأيتم مجنونا بل خائنا يستكين لجلاده ويطعن اليد التي تمتد لإنقاذه من الموت .. ويقطع الحبل الذي قد ينقذه من الغرق؟!..
لن أكتب عن كل ذلك..

لقد تركتموه جميعا بحجة مواجهة التحديات المصيرية في الفترة الحاسمة التي تمر بها الأمة من أجل تقدم الوطن ورفاهية المواطن وجميع هذه الجمل الضخمة الشكل والفارغة من المضمون.
فهل فعلتم شيئا من ذلك؟..

هل توقف التزوير والتعذيب والفساد؟..

هل تركتم القضاء على سبيل المثال كما كان وتوقفتم عن تحويل المدنيين إلى محاكم عسكرية وكأنكم تزرعون فتنة بين الجيش والأمة..
أم أنهم يحرسون على فصم تلك العلاقة..

إن قوة الدولة الأسطورية وقدرتها على انتقاء أسوأ العناصر وأشدّها شذوذاً وفسادا لشغل المناصب الحساسة العليا .. إضافة إلى أن الدولة ألحن.. كل ذلك يمكنها من أن تحكم بما تشاء على من تريد.. فلماذا توريط الجيش إذن؟!..

توقفت عن القراءة والسماع فما هي أنباؤكم كم يا قراء..

ورئيس وزرائكم يقسم أن من رابع المستحيلات أن يكون ثمة فساد في بيع القطاع العام ونحن نقسم أن الفساد يزكم الأنوف.. لكنه يقسم كما أقسم وزير اقتصاد قبل ذلك بشرف أمه أن الاقتصاد المصري بخير ثم صحونا على القارعة والرئيس مبارك يخبرنا أن الاقتصاد المصري كان قد وصل إلى مرحلة دون الصفر وأنها من أجل هذا دخلنا حرب الخليج.. وكانت خطيئتنا الكبرى.. كانت عار الدنيا وذلها وخرابها وندم الآخرة ونارها وعذابها .. لكن رئيس الوزراء يقسم.. محافظ الجيزة السابق أيضا كان كثيرا ما يقسم..

ما هي أخباركم يا قراء ..؟ ما هي أخبار محافظ الجيزة السابق.. والذى كتبت عنه في صحيفة الشعب عندما نقل من محافظة الغربية إلى محافظة الجيزة. كتبت منوها بفساده وفساد من يساندونه ومنهم رئيس تحرير كبير عند الدولة صغير عند الله .. كتبت أنني أهني شعب الغربية وأعزي شعب الجيزة .. وكان رجل الشارع العادي يروى الأعاجيب عن فساده المكشوف .. ومن المؤكد أن أجهزة الدولة كانت تعرف ومن المؤكد أن بعضها عرض ما يعرف وهذا لا يعنى إلا أن مقاييس الاختيار مثلها مثل من يختار - غير صالحة للاستمرار ..

لقد كان ما نشرته صحيفة الأسبوع^١ عن الفساد صاعقا ليس لأننا لا نعرفه بل لأنها امتلكت الشجاعة لنقول ما نعرفه وتضعه في إطاره الصحيح ولقد دفعني لاستثنائها مما أقطع .. كانت الصحيفة واضحة وقاطعة وصريحة: "الفساد أصبح قاعدة" .. "الرشوة في عز الضهر" .. "بالمستندات: سكرتير الوزير يلف الحبل حول عنق الكبار" ... " : ماهر الجندي مجرد تلميذ خائب فإذا كان قد حصل على أكثر من مليون جنيه فإن هناك عشرات غيره قد حصلوا على مليارات" ..

وتتساءل الأسبوع متى بدأ ماهر الجندي فساد .. هل منذ أصبح محافظا .. أم أن الفساد قد صاحبه منذ تولى منصبه القضائي الحساس .. ولم تجب الأسبوع عن السؤال لكن رجل الشارع يعرف والحكومة تعرف وجميع رؤساء تحرير الصحف يعرفون .. إلا أن هناك نقطة أخرى أشد مرارة .. فقد يكون من اختاره منذ البداية اختاره لأنه يعلم فساد .. راجعوا كم من القضايا لفقت لأبرياء تعلموا أن منصب المحافظ كان قليلا عليه .. ولولا أنه رجل يرضى بالفتات لكان منصبه أعلى ..

لم تقتصر الأسبوع على محافظ الجيزة السابق بل تحدثت أيضا عن الرجل الثاني في وزارة الزراعة .. الرجل الثاني بعد يوسف والي .. ومن الطبيعى أنه يعمل تحت إشراف يوسف والي وبرضائه .. فإن كان يدري فإنها مصيبة وإن كان لا يدري فليست المصيبة أقل .. لكن مجدى حسين وصلاح بدوي وعصام حنفى هم الذين يسجنون!! ..

ما نشرته الأسبوع ليس كافيا لإقالة حكومة بل لإشعال ثورة ..

هل لديكم أخبار أخرى يا قراء!؟

فلقد توقفت عن السماع وعن القراءة..

لقد اقتصررت على قراءة الشعب والأسبوع ..

فهل لديكم أخبار عن رجائي العربى.. النائب العام السابق الذى نشرت عنه الشعب وعن تصرفه فى المليارات ولعله واحد ممن تقصدهم الأسبوع..

هل كانت الأسبوع تقصده عندما قالت أن ماهر الجندى مجرد تلميذ صغير خائب ؟..

أما من أحد منكم يا معشر القراء قد سمع ضمير العدالة يئن ويصرخ ؟..

وهل أحس منكم أحد يا معشر القراء بالجمر الذى أحسه..
الجمر..

الجمر الذى كنت أحس لهيبه فى يدي انتقل إلى دمي .. يسرى فى العروق.. يحرق القلب ويشوى الكبد ويسمل العينين..

فى محاكم التفتيش كانوا يشعلون النار تحت الحديد حتى يحمر لونه ثم يبيض ثم يقربون الكتلة الملتهبة بالنار من عين الضحية فيفقد البصر على الفور..

أحيانا أشعر يا قراء أن صفحات الصحف كقطعة الحديد المتوهجة بالنيران تلك..

أحاذر الاقتراب منها.. أخشئ النظر إليها من بعيد.. فالأخبار التى أنتظرها يمكن رؤيتها من بعيد إذ لا بد لها أن تكتب بأضخم الأبناط..

فى محاكم التفتيش أيضا كانوا يشعلون النار تحت الرصاص حتى ينصهر.. ثم يسكبونه فى الأذنين..

أحيانا أشعر يا قراء أن محطات الإرسال بأخبارها المسموعة والمرئية ليست سوى ذلك الرصاص المنصهر..

كنت أستمع إلى أخبار الشيشان حين اتخذت قرارى بالتوقف عن القراءة والسماع..

كنت أتفرج معك يا عالم الوحوش على الوحوش تغترس البشر..

كنت أنفجر معك يا عالم الوحوش على اللحم المسلم ... والدم المسلم.. والأشلاء المسلمة وأعراض المسلمين وأرض المسلمين كل ذلك ينتهك ويغتصب..

كنت أعجب منك يا عالم الوحوش إذ اعتبرت دماء الخراف ملوثات لبينتك.. فهل تطهرها دماء المسلمين؟..

وكنت أنتظر يا عالم الوحوش من حاكم مسلم أو من دولة مسلمة أن تتخذ موقفا.. لا أقول أن ترسل جيشا رغم أن هذا واجب .. بل مجرد موقف.. أى موقف.. قطع العلاقات.. استدعاء سفير .. وقف تجارة.. أو حتى كلمة شجب يرشون بها مشاعرنا المسحوقة..

وكنت أدرك أن أيا من ذلك لن يحدث..

وكنت أدرك أننى لن أستطيع قراءة الصحف ومشاهدة التلفاز وكان شيئا لا يحدث..

ثاحصرون ..

ثاحصرون يا حمقى على أمل أن يرضى الذئب عن الحمل..

ثاحصرون.. وترضون بالحصار بل وترحبون به عسى أن يقيكم مما هو أسوأ..

أسقطتم فريضة الجهاد فهنتم..

رجعتم عن بيع أنفسكم لله وخنتم..

أسقطتم فريضة الجهاد..

سوف تسقطون الفرائض فرضا فرضا..

سوف تسقطونها بالرغم منكم..

بقوانين الباب السابع للأمم المتحدة وبالنظام العالمى الجديد..

لن يبقوا لكم سوى فريضة واحدة..

صلاة الجنازة...!!..

كان ثمة قارئ على الهاتف يبكى ويهتف فى:

اكتب عن الشيشان.. وجه نداء إلى العالم علّ أحدا يسمع.. لا تلبس من موقف الحكومات .. اكتب إلى الأفراد لعل أحدا فى أقصى الدنيا يستطيع أن يفعل شيئا..

لكن قارئاً آخر كان يكتب على الإنترنت :

- لماذا توقفت عن الحديث عن كوسوفا .. إن أبشع ما يمكن أن يحدث لهم يحدث الآن .. فبعد أن تعمّدوا بالنار والدم والموت والجوع والرعب والتهجير .. بعد كل ذلك .. وبعد الصمت المخزى لعالمهم المسلم .. وبعد تقديم النانو لنجدتهم .. الآن يُعرض عليهم الخلاص المطلق من كل هذا إن هم استجابوا لجماعات التبشير وتخلوا عن الإسلام .. لم يعد الشعار أسلم تسلم بل تهود أو تنصر تسلم ..

وكنيت أقول لنفسي أن أمة من الأمم لا تملك ما نملك .. أكبر مساحة متصلة في الدنيا .. أكبر تجمع بشري .. ثم أن هذه المساحة الهائلة المتصلة .. وكل ذلك التجمع البشري .. وكل تلك الملايين من إخواننا في كل بقاع الأرض خارج كتلتنا المسلمة .. لو أن كل أولئك اتفقوا على أن يخرجوا في مظاهرة صامتة تشمل كل بقاع الأرض في نفس الساعة لا هتزت الدنيا .. لما سقطت جروزني ولما تنصر الألبان ولما انضمت أفغانستان إلى طائفة البلاد المحاصرة ..

كنت أقول لنفسي أننا نشبه كائناً خرافياً له امتداداته في كل الدنيا .. وأنه يستطيع أن يقلبها رأساً على عقب - أو على الأحرى يعدلها - إذا ما قرر أن يتحرك .. هذا الكائن الخرافي يتحرك بالتروس .. لكن الترس الرئيسي الذي يحرك التروس كلها توقف عن الحركة فأصاب العطب والعجز الكيان كله .. هذا الترس المحوري كان ذات يوم المدينة المنورة .. وذات يوم آخر دمشق وذات يوم ثالث بغداد ثم الأستانة والقاهرة .. ثم لا شيء ..

ما أشد عتبي عليك يا مصر ..

كان يمكنك أنت دون سواك أن تكوني الترس والمحور الذي يحرك العالم الإسلامي كله فينقذه ويحفظه من الدمار ويقيه من البوار ..

فما أشد عتبي عليك ..

كيف وصل بنا الضياع إلى هذا المدى ..

اقذف كلباً بحجر ..

سوف تتجاوب معه كلاب الحي كلها بالنباح ..

هاهم أولئك يقذفون إخواننا .. لا بالحجارة .. بل بالصواريخ عابرة القارات ..

وما من كلب ينبج..
أصرخ: هل مسلمون أنتم..
ثم أوصل الصريخ مع مظفر النواب..
هل عرب / أنتم.. بشر.. حيوانات..
حيوانات..
حيوانات..
فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها..
والكلبة تحرس نطفتها..
والنملة تعتز بثقب الأرض..
أهتف : وا إسلاماه
قالتها امرأة فأغاثتها جيوش..
الآن تقولها دول فلا يغيثها مغيث..
توقفت عن القراءة يا قراء كما توقفت عن السماع..
توقفت كي لا أرى بعيني رأسى رايات لا إله إلا الله محمد رسول الله
ممزقة منكسة مغموسة بالدم.. دمننا لا دم عدونا..
توقفت كي لا أرى بعيني رأسى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم
يقتلون وبناته سبايا وذريته مقتلة..
توقفت كي لا أرى المزيد من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم
مهجرين لاجئين..
توقفت يا قراء فهل من أحد منكم يروى لى أنباء الدنيا؟..
هل من أحد منكم يحكى لى.. ليقول لى أى من عواصم المسلمين
سقطت بعد جروزنى؟..
أو ياجروزنى..
يا شلوا من الجسد يُقطع..
يا جزءاً من القلب يُنزع..
كنت أشاهد نضالك البطولى .. وتقاعسنا.. فيقتلنى العار والخزى ..

كنت أسترجع التاريخ^١ حينما كانت الشيشان دائما عصية على الغزو.. ولقد بدأ احتكاكك بالإسلام منذ القرن الأول الهجرى .. انتشر إليك عبر بخارى وداغستان وشيرون وحافظت على استقلالك طالما كان للإسلام مهابة ودولة تدفع عن هذه المهابة، ثم تسلل إلينا الوهن، عاملونا كقطع الشطرنج.. ووقفت قطعة الأستانة فى مواجهة قطعة طهران أما قطعة القاهرة فكانت تفرج أو تتأمر حينما مع هذا وحينما مع ذاك ناسية عدوها الرئيسى.. كانت موسكو تعتبر نفسها وريثة روما والمكلفة بمواجهة العالم الإسلامى ودحره وهزيمته.. وفى غبار المعارك الخائنة اكتمل سقوط القوقاز كله فى يد الروس فى عام ١٧٨٥... كان العالم الإسلامى قد بدأ مرحلة التدهور والاضمحلال.. كانت القاهرة تطعن الدولة الإسلامية من الخلف حينما قام "على بيك الكبير" بالتمرد على الخلافة.. وكانت موسكو هى الممول والمحرض.. كانت تضرب فى الشمال وتعرض فى الجنوب الخونة.. لكن تاريخنا يجعل من المنشق بطلا لمجرد أنه انشق على الدولة الإسلامية التى كان منوطا بها حماية الإسلام والمسلمين.. كان علينا أن نصلحها.. أو حتى نهدمها لكى ننشئ دولة أقوى لا لكى نتشتت فى الضياع.. والآن.. عندما جرح يهودى فى لندن احتلت إسرائيل لبنان وما تزال.. ولو أصيب مسيحي فى أى ركن من أركان هذا العالم لانقلب العالم المسيحى كله دفاعا عنه..

أما نحن .. فغثاء كغثاء السيل.. دول تضيع وأمم تباد وما من حاكم من حكامنا يجرؤ حتى على كلمة شجب دون تصريح من واشنطن..

لم يستسلم الشيشان للاحتلال كما يذكر الدكتور محمد عوض الهزايمة^٢ .. وظهر المجاهد الكبير الشيخ منصور الشيشانى الذى نظم المقاومة ضد المحتلين الروس.. وجاء بعده الإمام مولا الداغستانى ثم تلاه الإمام شامل حيث حشد القيصر له ثلث الجيش الروسى كله.. وهزم الشيشان لكن مقاومتهم لم تخمد حتى نجحوا فى عام ١٩١٨ فى إعلان الجمهورية الجبلية المستقلة لكنها سرعان ما تفككت وعادت تحت سيطرة البلاشفة الذين ساموهم سوء العذاب عندما اتهموهم بالتعاطف مع الألمان.. ثم عادت الثورة عام ١٩٩١ حيث أعلنت الشيشان جمهورية مستقلة..

١ - أطلس تاريخ الإسلام. د: حسين مؤنس. الزهراء للإعلام العربى- وتاريخ القوقاز. محمود عبد الرحمن. دار النفائس.

٢ - حاضر العالم الإسلامى. محمد عوض الهزايمة. دار عمار. عمان.

حتى عام ١٩٢٨ كانت اللغة الشيشانية تكتب بحروف عربية وتحتوى
على عدد كبير من الكلمات العربية..

الشيشان إذن جزء من لحنا المسلم المستباح..

ما يحدث لها هو ما حدث لبعضنا فى عصور سابقة وما سيحدث
لبقيتنا فى عصور لاحقة..

غناء كغناء السيل..

لاعن قلة.. بل دب الوهن فى عروقنا..

المملكة العربية السعودية واليمن وعمان والإمارات وقطر والبحرين
والكويت..

غناء كغناء السيل..

مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا
والصومال وجيبوتى وإريتريا..

غناء كغناء السيل..

العراق والأردن ولبنان وفلسطين وتركيا - وحتى إيران - وأفغانستان
والباكستان وبنجلاديش وجمهورية المالديف وجمهورية اتحاد ماليزيا
وسلطنة برونى وإندونيسيا ..

غناء كغناء السيل..

أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وكازاخستان
وقرغيزستان والشيشان ..

غناء كغناء السيل..

السنغال وناميبيا وغينيا الشعبية وغينيا بيساو ومالى وبوركينا فاسو
وساحل العاج وسيراليون ونيجيريا والكاميرون والنيجر وتشاد وتنزانيا
وجزر القمر وأوغنده..

غناء كغناء السيل..

ألبانيا والبوسنة والهرسك..

غناء كغناء السيل..

هل يهولك أيها القارئ كل هذا العدد من دول يشكل المسلمون أغليبتها
الساحقة..

هل تراجع وعيك النازف وذاكرتك المتقوية لتدرك أنك لا تعلم عنها
إلا أقل القليل بينما تعرف كل شيء عن سامبسون وجاكسون ومادونا..
غناء كغناء السيل..

الدول التى تحتوى أقليات إسلامية لكن هذه الأقليات أيضا غناء كغناء
السيل رغم أن عددها فى بعض هذه الدول يفوق كل سكان مصر..

تصوروا يا قراء ولو للحظة أننا أم نهدر مرجعيتنا الإسلامية ولو أن
هناك زعيما لم نشووه وننسج حوله الأباطيل ولو أن هذا الزعيم وجه
نداءه للأمة المسلمة فى كافة أرجاء الأرض.. تصوروا ماذا كان يمكن
أن يحدث ..

لكننا غناء كغناء السيل..

وأنت تقرأ تاريخك من كتب عدوك..

فيصبح أنت وأمتك غناء كغناء السيل..

توقفت عن القراءة والسماع يا قراء فلم يعد مما أسمع أو أقرأ إلا ما
يدمى قلبى..

فما هى أنباؤكم ..

ماذا تم فى جريمة سقوط الطائرة المصرية.. بل إسقاط الطائرة
المصرية التى ستتوصل أمريكا المجرمة إلى مسئوليتها عنها.. فليس ثمة
مرجع عند هؤلاء القوم إلا المصلحة الذاتية .. والأمر الآن قد يسئ إلى
واحد من ثلاثة: إما أجهزة الأمن والمخابرات الأمريكية .. وإما شركة
البوينج الأمريكية.. وإما مصر.. ولأن مصر غناء كغناء السيل فلا بد أن
تكون هى المخطئة..

فى لمحنة نادرة أعجب كيف جرؤ الأهرام عليها نشر بريده ملاحظة
قارئ حول الصلاة على ضحايا الطائرة.. فلقد أقيمت الصلاة فى آلاف
المساجد وفى كنيسة واحدة.. وعندما أذاعت محطة CNN الخبر فقد
تجاهلت تماما آلاف المساجد وأذاعت صلاة الكنيسة.. هكذا يتناولون
تاريخنا كله.. نحن - المسلمين - بالنسبة لهم غير موجودين اعتبارا بما
هو كائن وبما سوف يكون..

شوهوا تاريخنا..

سملوا عيوننا..

شوشروا على سمعنا..

ونحن صدقناهم..

بعد ستمائة عام من الحكم الإسلامى ظلت الأقليات المسيحية تنمو وتترعرع فى حماية المسلمين حتى استطاعوا بعد ستمائة عام هزيمة الدولة الأم والانفصال عنها..

ستمائة عام..

وفى ثمانية أعوام فقط اندثر من على وجه البسيطة شعب الأندلس.. ثمانية ملايين.. اندثروا.. لم يبق منهم أحد..

ثم تكون الدولة الإسلامية تحت قيادة آل عثمان هى البربرية المتوحشة الهمجية..

يصرخ جلال كشك^١:

ثمانية ملايين مسلم ومسلمة فى الأندلس ، حيث جرت أول وأضخم عملية إبادة جماعية لشعب بأكمله على يد الكنيسة والدولة الكاثوليكية فى أسبانيا والبرتغال .. وتلك الجريمة التى تحلل منها الضمير العالمى ، بحذفها من ذاكرة التاريخ ، فهى لم تقع ..!! ولا يوجد مرجع غربى حاول أن يفسر ، ولا أقول أن يدين ، لغز اختفاء شعب بأكمله ، وزوال حضارة دامت حوالى سبعمائة سنة ، ولا حاجة للحديث عن كمية ما نشر عن الستة ملايين يهودى (..) .. ولكن لا أحد يهتم بالبحث عن شعب الأندلس الضائع ، لا أحد يقدم أمام محكمة التاريخ واقعة إبادة هذا الشعب .. لا أحد استقصى أصل ودين العبيد الذين نقلوا من العالم القديم إلى العالم الجديد فى سفن الأوروبيين ، وفى طليعتها طغاة أسبانيا والبرتغال ، ولا كلمة عن مئات الألوف الذين ماتوا على المجدف فى هذه السفن وتحت ضربات السياط ، أو فى حقول أمريكا ، والذين ما زالت أسماؤهم ودمائهم وألفاظهم فى دول أمريكا اللاتينية تشى بأنهم مسلمو الأندلس وسواحل أفريقيا ، وتشير بأصابع الاتهام إلى الجريمة التى ارتكبتها حضارتهم ومازالت مستمرة بالإصرار على تجاهلها وحذفها من التاريخ ..

ولأن الفكر العربى المعاصر هو مجرد مسخ للفكر الأوروبى ، فإن كتابنا لم يكتفوا بجهل مأساة إبادة الأمة الأندلسية وتناسيها ، بل نجد بعض

١ - إنهم يذبحون المسلمين. جلال كشك. مكتبة التراث الإسلامى .

كتابنا إذا ما أراد التشهير بالإسلام والمسلمين يصرخ قائلا : تريدون إعادة محام التفتيش ؟ ويظن جبل الجهل من تلاميذ هذه المسوخ، أن محاكم التفتيش قد ظهرت فى العالم الإسلامى ، أو أنها اختراع إسلامى ، أو استخدمها المسلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغيير دين الشعوب التى خضعت للسلطة الإسلامية!!..

وكلنا نعرف أن السلطة الإسلامية هى أول سلطة فى تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها فى اعتناق دين مخالف للدين الرسمى للدولة أو دين الفئة الحاكمة .. وأنه فى تاريخنا عبر ألف سنة لم يعدم أو يعذب إنسان بسبب معتقده ، وإنما لأسباب سياسية وللصراع على السلطة ..

أما الحقيقة التى لا يكاد يذكرها أحد، فهى أن محاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيرا فقط فى أوروبا الكاثوليكية ، ولكن أهم من ذلك أنها ظهرت أولا وأساسا ضد المسلمين ولتنظيم إبادةهم فى جنوب أوروبا وبالذات فى أسبانيا والبرتغال حيث كان الشعب الأندلسى المسلم ... ومحاكم التفتيش هذه ، التى كانت باكورة هدايا الحضارة الغربية الناهضة للجنس البشرى ، هى التى عذبت المسلمين حتى الموت أو الردة عن الإسلام ، وحقت هدفها بنجاح لم يستطعه طاغية عبر التاريخ الدموى للبشرية ، ولا حتى فى حالة الهنود الحمر، فقد بقيت بقية من هؤلاء إلى اليوم ، ولكن فى ظل الحضارة الأوروبية وعصر النهضة وسلطة الكنيسة الكاثوليكية اختفى شعب بأكمله فلم يبق فى ما كان يعرف بالأندلس أو أسبانيا والبرتغال اليوم ، لم يبق مسلم واحد ولا ناطق بالعربية ولا مسجد واحد . أحصوا عدد غير المسلمين وعدد الكنائس فى البلدان التى حكمها المسلمون ..

نحن الذين لم نجبر مسيحيا واحد فى الأندلس على الإسلام.. ولا أغلقنا كنيسة فى وقت كان بوسعنا إبادة جميع المخالفين دون خسائر مادية .. نحن الذين تركناهم يتمتعون بالقدرة على الحركة والتأمر حتى انقضوا على الدولة الإسلامية ، كنا أول ضحايا محاكم التفتيش، ومع ذلك تجد المفكرين الغربيين وصبيانهم بينما إذا تحدثوا عن محاكم التفتيش لا يذكرون المسلمين بحرف .. وإنما يروج هؤلاء أن ضحاياها هم اليهود أو المذاهب المسيحية المنشقة (...) المهم أن محاكم التفتيش قامت أصلا وأساسا لإبادة المسلمين فى أسبانيا والبرتغال وكريت وصقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا .. وكما قلنا نجحت فى إزالة الإسلام والمسلمين من هذه المناطق .. ونفس التجاهل والحذف من التاريخ نجده إزاء إبادة المسلمين فى الفلبين حيث كانوا

الأغلبية على زمن ماجلان فتحولوا إلى أقلية تجرى إبادتها إلى اليوم ، ونفس الموقف من التهام روسيا المقدسة بقيادة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، للعالم الإسلامي الإيراني والتركي حيث كان السكان مائة بالمائة مسلمين ، وحيث عاشت وازدهرت حضارة إسلامية من أرقى الحضارات التي عرفها الإنسان ، بنجوم شوامخ في تاريخ الفكر البشرى .. سقطت كلها تحت قبضة الاستعمار الروسي عبر مجازر وحروب وثورات لا تكاد تجد لها مكانا في التاريخ ، (..) ونفس الشيء عن الإبادة والتجاهل في دول أفريقيا التي كانت أغليبتها مسلمة ، وها هو مؤلف رواية الجذور عندما راح يفتش عن جذور الأمة الزنجية في أمريكا، لم يستطع، رغم أنه مسيحي، أن ينكر حقيقة كون هؤلاء السود الذين اختطفوا واسترقوا ونقلوا إلى الولايات المتحدة ، جاءوا من بلدان إسلامية وعائلات وقبائل مسلمة ، ولكن هذه الحقيقة محيت محوا من ذاكرة الإنسان الأبيض ، ومن ثم جهلها أو تجاهلها. الببغاوات التي تكتب بالعربية .. وليت نزييف الذاكرة وتشويه الوعي يقتصر على ذلك.. بل يندفع من بيننا.. من أبناء جلدتنا ..كلاب من كلاب جهنم تتهم العرب بأنهم هم الذين كانوا وراء تجارة العبيد..

هل لديك أبناء عن ذلك أيها القارئ..

هل تضيفها أجهزة تعليمك وإعلامك وتثقيفك إلى وعيك..

بل هل تسلكك بها أجهزة أمنك القومية!؟..

هل يهولكم يا قراء ما حدث في الأندلس' ..

في كل أندلس في شتى أنحاء العالم..

اقرأوه.. وعوه..

لأنه هو ما سيحدث لكم..

لكن .. دعوني أنقل الآن لكم عن كتاب "المسلمون والإبادة" للأستاذ ممدوح الشيخ - مكتبة مدبولي الصغير - شهادة لأحد الضباط الفرنسيين الذين ذهبوا لتنفيذ مرسوم نابليون الصادر في ١٨٠٨ بإلغاء محاكم التفتيش في المملكة الأسبانية فقد كتب يقول :

١ - أخبار سقوط غرناطة. واشنطن إيرفينج. الانتشار العربي .

أخذنا حملة لتفتيش إلى أحد الأديرة التى سمعنا أن فيها ديوانا للتفتيش وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب ، لقد فحصنا الدير وأقبيته وممراته كلها فلم نجد شيئا يدل على وجود ديوان للتفتيش فعزمنا على الخروج يائسين ، وكان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهما باطلة وراح زعيمهم يؤكد لنا براءته بصوت خاشع خافت ، وتوشك عيناه أن تطفرا بالدمع ، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير ولكن اللفتينانت دى ليل استمهلنى قائلا :

إسمح لى الكولونيل أن أخبره بأن مهمتنا لم تنته حتى الآن ؟!..

قلت له :

فتشنا الدير كله ولم نكتشف شيئا مرييا ، فماذا تريد أيها الليفيينانت ؟!

قال :

- إننى أرغب فى فحص أرضية هذه الغرف فإن قلبى يحدثنى أن السر تحتها.

عندئذ نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة ، فأذنت للقائد بالبحث فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة ، وكنا نرقب الماء فإذا بالأرض تبتلعه فى إحدى الغرف ، فصفق الكولونيل دى ليل من شدة الفرح وقال هاهو الباب ، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف كان قطعة من أرض الغرفة يفتح بطريقة ماهرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير .

فأخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق فاصفرت وجوه الرهبان وعلتها الغبرة وفتح الباب فظهر لنا سلم يؤدي إلى باطن الأرض فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر كانت تضىء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين ، ولما هممت بالنزول وضع راهب يسوعى يده على كتفى متلطفا وقال :

- يا بنى لا تحمل الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال !! .. إنها شمعة مقدسة..

فقلت له :

- يا هذا.. إنه لا يليق بيذى أن تنتجس بلمس شمعتكم الملوخة بدم الأبرياء ..
وسنرى من النجس فينا ومن القاتل السفاك!!..

هبطت على درج السلم يتبعنى سائر الجند والضباط شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج فإذا نحن أمام غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحكمة فى وسطها عمود من الرخام به حلقة حديدية ضخمة ربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها ، وأمام هذا العمود كانت المصطبة حيث يجلس عليها رئيس الديوان وا لقضاة لمحاكمة الأبرياء .

ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجساد التى امتدت إلى مسافات كبيرة تحت الأرض ، رأيت فيها كل ما يستفز نفسى ويدعونى إلى القشعريرة والتقرز طوال حياتى .

رأيت غرفا صغيرة فى حجم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى فيبقى سجين. الغرف العمودية واقفا على رجليه مدة سجنه حتى يموت ، وسجين الغرف الأفقية ممددا حتى يموت وتبقى الجثث فى السجن الضيق حتى تبلى ويتساقط اللحم عن العظم وتأكله الديدان .

ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجى .

كان السجناء بين الرابعة عشرة والسبعين وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء وهم فى الرمق الأخير من الحياة وكان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من العذاب ، وكان السجناء جميعهم عرايا حتى اضطر الجنود إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا السجناء ، وأخرجناهم إلى النور بالتدريج حتى لا تذهب أبصارهم ، وكانوا يكون فرحا وهم يقبلون أيدي الجنود وأرجلهم لأنهم أنقذوهم من هذا العذاب وكان مشهدا يبكى الصخور .

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان ، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب منها آلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشرى، كانوا يبدعون بعظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا حتى يخرج الجسم البشرى

من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ،
هكذا كانوا يفعلون بالأبرياء المساكين .

ثم عثرنا على صندوق فى حجم رأس الإنسان تماما يوضع فيه رأس المعذب
بعد ربط يديه ورجليه جيدا بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة وفى أعلى
الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام كل دقيقة
نقطة ، وقد جن كثيرون من هذا اللون من العذاب ، ويبقى المعذب هكذا حتى
الموت .

آلة أخرى للتعذيب فى شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة، كانوا يلقون الشاب
فى هذا التابوت ثم يطبقون بابه بسكاكينه الحادة وخناجره فإذا أغلق الباب مزق
جسد المسكين وقطعه إربا إربا .

كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز فى أثداء النساء وتسحب بعنف حتى
تتقطع الأثداء وتبتر بالسكاكين .

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب المعذبون بها وهم عراة حتى
تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم .

هل لديكم القدرة على مزيد من الاحتمال يا قراء..

لقد سكتم عن كل هذا وذاك كى يرضى الذئب عن الحمل ..

فهل رضى..

وصدق الله العظيم..

{ ولئن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى
الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من
الله من ولى ولا نصير } .

صدق الله العظيم

ويا أيها القارئ المسلم فى ألمانيا .. يا من كتبت تعاتبنى لأننى أقدر
لنهوض الأمة الإسلامية ما بين مائتى إلى ثلاثمائة عام .. حين رحت تؤكد
أن ربع قرن يكفى..

قد أوافقك.. ومع ذلك نحن لا نختلف..

ربع قرن تكفى للنهوض.. أما الباقي فزمن ابتلاء مازور غير
مأجور.. الباقي عقاب على ما فرطنا فى جنب الله .. الباقي عقاب.. وأظن
أنه سيحدث لنا جميعا ما يحدث الآن لإخوتنا فى الشيشان.. وما حدث من
قبل لإخوتنا فى الأندلس .. ثم يذهب الله بنا.. ليأتى بقوم يحبهم ويحبونه
ينهضون فى ربع قرن..

أما نحن.. فقد أضعنا الصلاة واتبعنا الشهوات فسوف نلقى غيا..

سوف نلقى غيا..

سوف نلقى غيا..

وصدق الله العظيم حين قال:

{ فَخَلَفَ مِنْ بَٰعِدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ
يَلْقَوْنَ غِيًّا } ..

ليس على الشيشان وحدها أبكى ..

الدكتور محمد عباس :

... أرسل لسيدتك صورة من مقال : مواقف لأنيس منصور المنشور في أهرام ٢٩/٢/٢٠٠٠ وأنا أكاد أنفجر من الغيظ، ولا أعرف ماذا أفعل بالنسبة لهؤلاء الناس والكتاب. عندما تقرأها ستكتشف أن السم في كل كلمة منها. إنني أبكى كل يوم قبل أن أنام بسبب ما يحدث للمسلمين في العالم وعلى رأسهم اخوتنا الشيشانيون، ولست أتخيل كيف طأوع هذا الرجل قلبه فكتب بهذه الطريقة المستهترة المسمومة عن أشد آلامنا. إنني حزين جدا بسبب ما يحدث، وحزين أكثر بسبب موقف حكوماتنا، وحزين أكثر وأكثر بسبب ما يكتبه أمثال مثل هذا الرجل، وحزين أكثر وأكثر .. لأن المسؤولين لم يجدوا إلا هذا الرجل وأمثاله كي يكتبوا لنا.

مواقف

العالم كله يتفرج على الوحشية الروسية في بلاد الشيشان وقد ابتلع كل واحد لسانه، واتجه إلى ما يحدث على حدود لبنان وإسرائيل وأهل الشيشان وقعوا في غلطة غير مغفرة ... فقد راحوا ينسفون ويقتلون المدنيين في روسيا.

فانضموا بذلك إلى بقية الإرهابيين وتولت روسيا تأديبهم، كما سكت العالم عن المذابح الروسية لسبب آخر وهو أن أهل الشيشان قد أعلنوا انفصالهم عن روسيا، وأنهم دولة مستقلة ذات سيادة. والعالم كله من أوله لأخيره ضد انفصال جزء من الدولة عن جسمها.. (..)

وأذكر أنني ذهبت إلى الرئيس الفلبيني ماركوس استوضح ما تفعله الفلبين بالمسلمين في جزيرة مندناو. ودافع عن سياسته . وأدهشه جدا موقف العرب المسلمين وتساءل : مل تقبلون في بلادكم أن ينفصل جزء منها ، وذهبت إلى مندناو، ورأيت المسلمين البعيدين عشرات الألوف من الكيلو مترات ومئات السنين عن مهبط الإسلام، إنهم أناس على فطرتهم . وفهمهم للإسلام ساذج، فقد رأيت

فى أحد المساجد دولابا مكتوبا عليه (كتب مقدسة) .. ولم أجد سببا يجعلنى اشرح لهم أن الكتاب المقدس واحد فقط عندما وجدت فى الدولاب: (الف ليلة) وكتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (أدب الدنيا والدين) وهزرت رأسى .. وبالمسبة لشعب الشيشان، لا أطلب رد القضاء عنهم، ولكن اطلب اللطف فى ذبحهم ..
أنيس منصور

أحمد التلوانى - كندا

لا فرق بين الخنزير الأبيض والخنزير الأسود

يا أخى فى الله :

يبدو أننا نحتاج فيما نحتاج إلى رجيل نتعقب به كتاب السلطة كذلك الرجيل الصالح الذى أخذ فى قرون الإسلام الأولى يتعقب أصحاب الأحاديث الموضوعة الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا نحتاج إلى صياغة عصرية تقلد كتب الجرح والتعديل كى تكشف لنا من يزيفون وعينا .. فتصف كاتباً بأنه فاسق لا تقبل مقالته، والآخر بأنه كذاب لا تقبل روايته، والثالث بأنه سكير لا تقبل شهادته، والرابع بأنه لص لا ترجى أمانته، والخامس بأنه خائن لا يؤتمن حكمه، والسادس بأنه شاذ، والسابع أنه مجرم والثامن بأنه ضعيف العقل والتاسع أنه شيطان والعاشر بأنه يجمع بين هذه الموبقات جميعاً، وهكذا دواليك ..

لقد توقفت عن قراءة أنيس منصور منذ أدركت دوره فى تزيف الوعي (وهو دور أخشى أن أقرر أنه رسمى) .. والرجل يتمتع برشاقة عبارة وصفها هو نفسه بقوله: " عباراتى مثل فساتين ضيقة وشفافة تغطى المعانى وتفضحها أيضا ، وبين الستر والفضيحة يتأرجح قبيح الكلام!! " .. ولقد كان فى البداية حريصاً على ألا تتكشف نواياه .. فكان السم يتسلل بين سطوره فى خفاء لا يدركه إلا حصيف .. وقد اعتمد ككل أقرانه ليس اعتماد الصدفة بل اعتماد التدريب - على سحر الكلمة المطبوعة على الناس .. ولقد دأبت فى فترة على تحقيق ما يكتب بالرجوع إلى المصادر التى ينقل منها .. وأشهد أننى وجدت الرجل يكذب .. يكذب حينما يكون للكذب داع - كما فى السياسة - .. لكنه يكذب أيضاً حينما لا يكون للكذب أى داع

- كما فى القضايا العلمية - .. لكنه كان كذبا خفيا لا يدركه إلا مدقق.. وازداد ضعفنا وازدادت قوة أعدائنا فتحول الرجل أكثر وقل حرصه على إخفاء أكاذيبه.. بل لقد بلغت به الجراءة فى فترة قيام الغرب وإسرائيل بتحطيم بقايا الدولة القومية- أن ادعى أن سيناء تشكل سدس مساحة مصر وأن جمال عبد الناصر أضاعها.. كان أحمد بهاء الدين يكتب العمود المقابل فى نفس الصفحة.. وصحح له المعلومة الخاطئة منوها أنه ليس ثمة فرق فى أن تشكل سدس مساحة الوطن أو مجرد ذرة رمل واحدة فيه.. فالوضع بالنسبة لها ولنا لا يختلف.. لكن الحقيقة أنها ٦% من مساحة مصر وليس سدس مساحتها.. وكنت ما أزال على قدر من حسن النية وعدم فهم أمثال أنيس منصور.. وظننت أن الرجل سيذوب خجلا لجهله أو لانكشاف ضلوعه فى تزيف وعى الأمة.. بل ظننت أن الأهرام احتراما لنفسه واحتراما لقرائه - إن كان الأهرام معنا - سيقصيه.. فإن كان الأهرام علينا - لا لنا - فإنه سيقصيه أيضا لأنه- بمنطق المخابرات والجواسيس - كاتب قد احترق .. ورحلت أتابع عموده فى شغف لأعرف كيف يغطى موقفه وكيف يعتذر.. إلا أنه بعد أيام كتب فى الموضوع مرة أخرى.. كتب عن سيناء التى تشكل مساحتها سدس مساحة مصر!!..

وتوقفت عن قراءته.. حتى جاءتني رسالتك يا أخى.. فذهلت.. إن الرجل يبدى شجاعة أكبر من حجمه بكثير فيعرض فى السطور الأولى بموقف من أفضل مواقف الرئيس مبارك منذ حكم.. وهو توجهه إلى لبنان.. لقد كان عهدى بالرجل أنه يدس كلمة سامة كل ألف كلمة ظاهرها صحيح.. فى هذه المقالة ليس هناك كلمة صحيحة.. فأهل الشيشان لم ينسفوا منازل فى موسكو.. والعالم كله حتى مرجعيات أنيس الغربية والإسرائيلية تقر وتعترف بأن هذه الانفجارات قامت بها المخابرات الروسية نفسها تمهيدا وتبريرا لغزو الشيشان.. والروس عندما اتهموا الشيشانيين بذلك لم يقدموا دليلا واحدا ولم يقبضوا على شيشانى واحد.. ثم حديثه عن الانفصاليين الشيشانيين.. وكأنه لا يعرف أنها دولة مستعمرة تجاهد من أجل الاستقلال.. ويسرد الوقائع على الموقف العالمى ضد الانفصال لكنه يتجاهل ما يفعله هذا الموقف العالمى لتفتيت العالم الإسلامى.. وتجاهل الشيطان فى قلمه محاولات تقسيم العراق والسودان

وإندونيسيا وحتى مصر.. بعد تقسيم دولة الخلافة الإسلامية إلى نيف وثلاثين دولة..

وتبقى بقية باقية من حصافة وذكاء - لا أقول حياء - تردع الرجل عن السخرية من الشيشانيين الذين ينظر لهم العالم الإسلامي كله بانبهار وألم لا بوصف.. الشيطان في قلمه يريد أن يسخر من إسلامهم.. لذلك فهو يحول هذه السخرية إلى أشقاء مسلمين في الفلبين التي كانت دولة إسلامية وامتدادا طبيعيا لإندونيسيا.. وقد دخلها الإسلام في القرن الثالث الهجري (قبل أن توجد على ظهر الأرض بلد اسمها روسيا يا أنيس منصور) وكانت عاصمتها أمان الله حتى غزاها الصليبيون عام ١٥١٦ ميلادية فدافعت عن نفسها حتى لقد قتلت الاستعماري القبيح ماجلان نفسه.. لكن أرتال الصليبيين جاءت خلفه فاستولت على البلاد.. واستمرت المقاومة الضارية للمسلمين الذين سماهم الصليبيون (الموروس) وهو نفس الاسم الذي كان يطلق على المسلمين في أسبانيا) مازالت وسائل إعلامنا تستعمل نفس الاسم في مزيج من الجهل والغباء وربما الحياء.. كي لا يدرك الناس أن الموروس هم إخوانهم في الدين).. استمرت المقاومة أربعة قرون حتى حل الأمريكيون محل الأسبان وواصلوا فعلهم.. وحرّفوا اسم العاصمة من أمان الله إلى مانيلا وفعلوا بأهل الفلبين المسلمين ما يفعله الروس الآن في الشيشان.. أبادوا معظم أهلها وأرغموا الباقين بالحديد والنار على التنصر.. وحاصروا الباقين وعزلوهم عن العالم.. ولم يجدوا من العالم الإسلامي من يناصرهم.. ولا حتى من يعلمهم يا أنيس.. ولست أدري لماذا لم تجب على التساؤل الداعر للرئيس الفلبيني ولست أدري كيف تعاطفت معه.. لماذا لم تقل له يا كاتب السلطة الرسمي أن الفلبين كلها كانت دولة إسلامية اقتطعت من العالم الإسلامي؟؟.. ولست أدري لماذا سخرتكم بمسلمي الفلبين في مقال عن الشيشان إلا إذا كان الإسلام نفسه هو المقصود..

نعم.. الإسلام هو المقصود بالسب شديد المفعول الذي تفتته أقلام الشياطين.. (وفي التفسير فإن الشياطين نوعان : إنس وجن).. فما دام المسلمون في الفلبين على هذا الجهل بالإسلام فذلك يعني أن اخوتهم في الشيشان كذلك.. وأنهم والأمر ذاك ليسوا مسلمين حقا.. ولا يستحقون تعاطفكم يا أمة الإسلام والمسلمين.. وهذا بالضبط ما يهدف إليه كاتب الأهرام الكبير.. وهذا الدور بالذات هو ما جعلهم يصنعون منه كاتباً كبيراً.. وهذا بالضبط ما جعله أنيسا للرؤساء

والملوك.. يطوع لهم كلماته.. وهى أمضى من النار وأنقذ من السم وأفتك من الرصاص.. نعم.. عندما تكون الكلمة كدغة الحية الرقطاء .. تنتهى فى ثانية أو ثانييتين ويستغرق العلاج منها عاما أو أعواما.. هذا إذا نجح العلاج ولم نهلك..

لم يقل لنا أنيس منصور أن القوقاز التى احتلتها روسيا تقارب مساحتها مساحة أوروبا.. وأن دولة منها هى الداغستان - وليست السودان - هى أكبر بلد فى العالم الإسلامى.. ولم يقل لنا أنيس منصور أن الإسلام قد دخل هذه البلاد فى نفس العام الذى دخل فيه إلى مصر (إذ ربما ينبه هذا المصريين إلى أن ما يحدث للشيشان اليوم سيحدث لهم غدا).. ففى عام ١٨ هجرية (٦٣٨م) أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائده عياض بن غنم عام والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث انتشر نور الإسلام صلحا فى معظم الأحوال فلم يأت عام ٢٤ (٦٤٤م) إلا وقد خضع جنوب القوقاز كله للحكم الإسلامى وذلك خلال ست سنوات فقط من الجهاد.. وهناك استشهد قثم بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم..

كانت الفتنة الكبرى قد أطلت برأسها وخفت اندفاعة المسلمين فانتهاز اليهود الخزر الفرصة وتصدوا للفتح الإسلامى، وفى سنة ٦٥٢ م نشبت معركة هائلة استشهد فيها أربعة آلاف مسلم.. وفى سنة ٧٣٠م انتصر اليهود فى معركة إردبيل وتقدموا حتى وصلوا الموصل وديار بكر عازمين على غزو دمشق نفسها والقضاء التام على الخلافة الإسلامية لكنهم أخفقوا فى التقدم نحو عاصمة الخلافة وردوا على أعقابهم بعد هزيمة نكراء.. وفى عهد مروان بن محمد الأموى تمكن المسلمون من هزيمة الخزر هزيمة كبرى.. وأدركوا عجزهم عن مواجهة المسلمين وفشلت خطتهم التى كانوا يخططون لها وهى هزيمة العالم الإسلامى ثم اكتساح أوروبا بكاملها لتهويدها.

و لقد لجأ الأمويون والعباسيون لتعزيز الفتح فى بلاد القوقاز - والشيشان منها - إلى توطين العناصر العربية فى تلك المناطق ليعلموا الناس الإسلام. وكانت البداية توطين ٢٤٠٠٠ من أهل الشام فى المنطقة تبعثها عشرات أخرى من الآلاف.. وذلك تفسيرا ما يقولونه اليوم هناك عن أصولهم العربية.

عند الفتح الإسلامى لم تنشب أى معارك مع الروس فروسيا نفسها لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت كما يقول الأستاذ محمد يوسف عدس فى

دراسة قيمة منشورة بمجلة الهلال عددها الأخير.. كان الموجود مجرد إمارة حقيرة لا تتجاوز مساحتها ٢٥٠ كيلومترا مربعا وكان اسمها موسكوفيا .. وخلال الخمسة قرون التالية حين تشكلت ما تعرف اليوم بروسيا من قبائل النورمان وهم مجموعة من الغزاة البرابرة الوثنيين امتنهنوا القرصنة وقطع الطرق .. لم تزد مساحتها عن مساحة مصر اليوم..

وفى بداية القرن العاشر الميلادى كانت ثلاث قوى تتصارع لكسب الروس: الإمبراطورية البيزنطية التى كانت تبذل جهودها لنشر المسيحية بين الروس على المذهب الأرثوذكسى، ودولة الخزر اليهودية تحاول نشر اليهودية بينهم، ومن جهة ثالثة كان المسلمون قد نجحوا فى نشر الإسلام فى معظم القوقاز، كان الطريق ممهدا أمامهم لولا وَهْنُ النِّقَّةِ وَجَلْدُ الْفَاجِرِ، وفى ذلك الوقت أرسل أحد حكام المنطقة وهو ألمش بن يلطوار طلبا إلى الخليفة العباسى المقتدر بالله (٩٠٨-٩٣٢م) لكى يرسل إليه بعثة تنشر الإسلام وتفقّه بالدين وتبنى مسجدا يقيم عليه الدعوة للخليفة فى جميع مملكته وأن يدعمه بجيوش تحميه من اليهود الخزر. وقد استجاب المقتدر وأرسل له العالم والمؤرخ المسلم " ابن فضلان" الذى رحل من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ الموافق ٢١ حزيران ٩٢١ م، وقد نجح فى مهمته مبدئيا، إلا أن المسلمين لم يأخذوا المسألة على محمل الجد، ولم يرسلوا الدعاة ولا الجيوش ، وقد ترك لنا ابن فضلان وصفا دقيقا للأمة الروسية الهمجية، ولم يكن عددهم حينئذ يتجاوز المائة ألف فقال: "و هم أشر خلق الله على الأرض...شقر الأبدان صفر الشعور طوال القامات ضخام الأجسام مستهترون بالخمير ، يشربونها ليلا ونهارا وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده... إذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم أو يستبيحوا نسائهم وأطفالهم ويسترقونهم .. وهم أقدر خلق الله لا يستجوبون من غائط ولا يغتسلون من جنابة كأنهم حمير ضالة .." (ترى هل يختلف الوضع الآن؟) ..

و إزاء درع منيع كان المسلمون أقوى حلقاته انهارت دولة الخزر وفر بقايا اليهود إلى أوروبا .. ومن بطش أوروبا لجأ عدد كبير منهم إلى سماحة الإسلام فى الأندلس.. وبعد سقوط الأندلس فروا مرة أخرى إلى سماحة الإسلام فى الدول الإسلامية خاصة تركيا حيث شكلوا يهود الدونمة التى تنتمى إليهم حركة الاتحاد والترقى وكمال أتاتورك الذين قضوا على الخلافة الإسلامية.. ثم النف بقايا كل هؤلاء .. التفوا وعادوا إلينا فى إسرائيل !!.. نفس الهدف: القضاء على الإسلام والمسلمين..

و بدخول القرن الخامس الهجري سيطر السلاجقة الأتراك على معظم القوقاز وازدادت نسبة المسلمين في عهدهم زيادةً عظيمةً إلا أن المنطقة أصيبت بنكسة بسبب الهجمة المغولية. ثم حدثت آية من آيات الله وهي تحول تلك القبائل الهمجية الشرسة إلى الإسلام وحسن إسلامهم فيما بعد وصاروا حماة للإسلام في القوقاز وعلى ضفاف الفولجا والذي أصبح نهراً إسلامياً .

خضعت إمارة موسكو للحكم الإسلامي حتى بدأت الصراعات بين المسلمين فبدأت هذه الإمارة الصغيرة الحقيرة في الاستيلاء على الأراضي المجاورة.. وسامح الله المقتدر بالله فقد ترتب على إهماله في نشر الإسلام نجاح الضغوط والإغراءات البيزنطية وتحول الروس إلى المسيحية عندما تنصر أميرهم فلاديمير عام ٩٨٩ ميلادية وكان هذا انتصاراً كبيراً لبيزنطة على المسلمين.

وكانت الشيشان يا أنيس حرة مستقلة..

بعد ذلك وحتى القرن الحادي عشر كانت روسيا الأوروبية مقسمة إلى أربع وستين إمارة. وظلت موسكو قرية مغمورة حتى القرن الثالث عشر.

فى القرن الثالث عشر الميلادى كان دوق روسيا الأعظم يقسم يمين الولاء للمسلمين ويعلن خضوعه وجميع الأمراء الروس لهم .. نعم .. كانوا يدفعون الجزية ويدعون لهم فى الكنائس. كان إيفان الأول موظفاً عينه الحكام المسلمون لتحصيل الجزية من الروس.. فكان يسرق لنفسه أضعاف الجزية وبدأ فى تكوين جيش قوى.. وحتى عام ١٤٨٠ كانت روسيا تدفع الجزية للمسلمين القوقازيون.. والشيشان يا أنيس !!

وحتى ذلك الوقت لم تكن مساحة روسيا تتجاوز مساحة مصر لكنها أخذت بعد ذلك تتوسع توسعاً همجياً فوق جماجم المسلمين حتى بلغت اليوم خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول فوصلت إلى البحر الأسود في عهد بطرس (١٧٢٢م) ولم يكن لها موضع قدم فيه من قبل.

كان الهجوم الكاسح على الإسلام والمسلمين قد غير اتجاهه من الهجوم على القلب (فى الحروب الصليبية) إلى الهجوم على الأطراف.. وكان البابا يبارك.. والتدين المحرف المنقوص يتلاقى مع هوى نفوس الملوك اللصوص .. وكان أمثالك يا أنيس قد زيفوا وعى الأمة أيامها.. وأوهموها أن الحروب الصليبية قد انتهت وانقضى الخطر.. بينما هذه الحروب لم تتوقف.. ولا ليوم واحد حتى اليوم.. بدأ الهجوم تلك المرة من الغرب بعد سقوط الأندلس (١٤٩٢ م) وفى الشمال والشرق بدأ هجوم كاسح آخر من الروس (أذكر

القارئ وأسأله أن يتساءل معي: ماذا كان سيحدث لنا جميعا لولا وجود الدولة العثمانية التي تصدت للهجومين قدر ما استطاعت).. وكانت القوقاز كلها -والشيشان منها- حتى ذلك الوقت يا أنيس حرة مستقلة..

فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى بدأ إيفان الرابع المسمى "بالرهيبي" (حفيد إيفان الأول أجير المسلمين) هجومه .. ولقد سمي بالرهيبي لكثرة الفظائع التي ارتكبتها. تولى الحكم وهو فى الثالثة من عمره بعد وفاة أبيه. وفى الثالثة عشر قرر التخلص من الوصي عليه ولكي يبيث الرعب فى نفوس النبلاء الروس قام بإلقاء الرجل الذي رباه للكلاب لكي تنتهشه وهو حي! وقد بلغت قسوة إيفان هذا وإجرامه أن ذبح ابنه بيده. (لم يتحدث المستيريون ورائدهم أنيس عن ذلك.. يتحدثون فقط عن المسلمين الإرهابيين وعن الحكام العثمانيين) !! قام هذا المجرم بعد أن تغلب على بعض إمارات المسلمين ودخل عاصمتهم قازان بقتل كل سكان تلك المدينة.. فى مجزرة هائلة عام ٩٥٩هـ (١٥٥٢م).

بعد سقوط قازان المروع تحول نهر الفولجا من نهر إسلامي إلى نهر يسيطر عليه مجرمو الروس بعد أن أراقوا دماء المسلمين على ضفتيه. أيضا بسقوط أستراخان أصبح للروس موطأ قدم على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحر قزوين (أو بحر الخزر) ذلك البحر الذي كان بحيرة إسلامية على مدى أكثر من أربعة قرون..

كان من العوامل المساعدة على انتصارات الروس ذاك التنازع الذى نشب بين الدول الإسلامية الكبرى قبيل القرن الخامس عشر.. المماليك فى مصر والصفويون فى إيران والعثمانيون.. (نفس ما يحدث الآن) .. وفى عام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) كان العثمانيون (السنة) والصفويون (الشيعة) يقتسمون النفوذ على الجمهوريات الإسلامية فى قازان ، وبعد وفاة شاه عباس ١٢٢٨م استتجد مسلمو قازان بالسلطان العثماني يؤكدون له أنهم من رعاياه ويطلبون مساعدته لمواجهة الخطر الروسي الذى عظم فى ذلك الوقت. لكن العثمانيين كانوا مشغولين بجهادهم فى وسط وجنوب أوروبا فى هذا الوقت مما أعطى الروس اليد الطولى فى البلاد الإسلامية فى القوقاز ..

عام ١٥٥٦م قام الروس بإغراء حاكم مسلم هو الأمير تيمروك بالتحول إلى المسيحية مقابل مساعدة الروس له ضد منافسيه، وبالفعل تحول تيمروك إلى المسيحية وزوج إحدى بناته للقيصر

الروسي إيفان الرهيب.. ولقى الحاكم المرتد جزاءه عام ١٥٥٨ فقد استعاد المسلمون الإمارة ودمروا المرتدين.. وفي عام ١٥٩٤ أرسل الروس حملة عسكرية أخرى للاستيلاء على مزيد من الأراضي الإسلامية فتصدى لها المسلمون (العثمانيون والتتار والداغستانيون) وهزم الروس بعد معركة شرسة لكنهم عادوا مرة أخرى عام ١٦٠٤ حيث قام القيصر بوريس جودونوف بهجوم كبير على داغستان في محاولة لاحتلالها ولكن حملته انتهت بكارثة كبرى فقد دمر المسلمون جيشه وحطموا القلاع الروسية على أنهار سولاك وسونجا وتريك. وحتى ذلك الوقت - يا أنيس كانت معظم القوقاز ومن بينها الشيشان حرة مستقلة..

وصب الروس غضبهم على المسلمين الذين في قبضتهم .. واستغرقت سياسة البطش والتنصير الإجباري وهدم المساجد وحرق المدارس الإسلامية قرنين من الزمان لقمع المسلمين على ضفاف الفولجا وفي سيبيريا التي سقطت عام ٩٨٨ (١٥٨٠م) بعد أن كانت تحكم بالإسلام .. سقطت سيبيريا بعد معارك استمرت ٥٦ عاما..

وفي عام ١٧٢٢م بدأت حملة روسية استعمارية جديدة بقيادة بطرس (المسمى بالكبير). واستطاع بطرس انتزاع داغستان من جسد الأمة الإسلامية على حين غفلة من المسلمين، ثم استولى للمرة الأولى في التاريخ (يا أنيس منصور) على شمال الشيشان وشرقها . ومن الفظائع التي تروى بعد سقوط تلك البلدان أن الروس جعلوا بعض أسرى المسلمين فريسة يتبارون لاصطيادها عن طريق كلاب الصيد تماماً كما كان يفعل الإنجليز بالثعالب البرية.

و توالى المصائب بتولي كاثريين عرش روسيا وتلك المرأة كان حلمها وهدفها المعلن هو السيطرة على بلدان المسلمين وتحويلها إلى بلدان أرثوذكسية . ففرضت النصرانية على المسلمين القاطنين فيما يسميه الروس وأوليائهم بالجزء الأوروبي من روسيا (يعنون بذلك تتاريا وباشكريا والشوفاش وكومي وغيرها من بلدان المسلمين التي لا تمت لروسيا بصلة دينية كانت أو عرقية أو لغوية أو تاريخية أو حضارية (إن كان للروس حضارة تذكر عدا الهمجية والوحشية وسفك الدماء). وعندما اصطدمت بتمسك المسلمين بدينهم سرّاً أصدرت مرسومها الشهير بأنه على المسلمين الذين عمدتهم الكنيسة

قهرأ (و كان هؤلاء المستضعفين يمارسون شعائر دينهم سرأ كما كان الأمر في الأندلس فيما بعد ١٤٩٢م وهو تاريخ سقوط غرناطة) التوقيع على إقرار كتابي "يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية (أي العقيدة الإسلامية) وتجنب كل اتصال بالكفار (أي المسلمين) والتمسك بتعاليم النصرانية والثبات عليها". وبالطبع كان هذا المرسوم أيضاً حبراً على ورق إذ بعد ما يقرب من قرنين على إصداره وتحديداً في عام ١٩٠٥م عندما أتيحت بعض الحريات الدينية في روسيا ظهر هؤلاء المقهورين كمسلمين حافظوا على إسلامهم سرأ طوال تلك القرون.

لم يكتمل سقوط القوقاز والشيشان بين أيدي البرابرة الهمج إلا في عام ١٧٨٥..

ولتذكروا يا قراء .. أن ذلك هو الوقت الذي كانت روسيا تساعد فيه على بيك الكبير على الانفصال عن الدولة العثمانية.. على بيك الكبير ذلك يا قراء تدرسه وزارة تعليمنا لا تعليم الروس ولا الأمريكان ولا إسرائيل ولا صربيا لأبنائنا كبطل للتححر والاستنارة..

ولتذكروا يا قراء.. أن الحملة الفرنسية قد بدأت بعد ذلك بأعوام قليلة.. في حرب طويلة مستمرة.. وضع أسسها وبدأها الباباوات.. ثم يسخر كلاب جهنم منا الآن حين نتحدث عن المؤامرة..

حين استيقظ المسلمون القوقاز والشيشان على تلك المصائب هرعوا إلى حكاهم وأمرائهم يلتمسون منهم العون.. يلتمسون منهم السماح لهم بالاستشهاد.. لا يطلبون منهم إلا تدعيم وتنظيم هذا الاستشهاد.. لكن الحكام والأمراء خانوا بل وتحالف بعضهم مع الروس لقمع المسلمين (ما أشبه الليلة بالبارحة!). أما العلماء والقادة فحملوا راية الجهاد ضد الروس.. وكان أولهم الشيخ منصور الشيشاني الذي استطاع توحيد عشائر المسلمين تحت راية الإسلام بدعم من الخلافة العثمانية رغم بداية أفول نجمها واستطاع كذلك أن يذل ناصية الروس على أرض القوقاز الإسلامية.. وذلك بعد أن تمكن من إلحاق هزائم متتالية ومذلة بالروس خلال ما يقرب من تسع سنوات (١٧٨٣-١٧٩١م). فأمرت إمبراطورة الروس كاترين أصغر عشاقها الكونت بافل بوتومكين بأن يأتي لها برأس الشيخ. وأرسل الأخير الكولونيل بييري ليفعل ذلك. وتمكن الشيخ منصور من إنزال هزيمة منكرة ببييري وقواته عند نهر سونجا عام ١٧٨٥م وقتل بييري نفسه.. وجن جنون كاترين واعتبرت تلك الهزيمة أسوأ كارثة تعرضت لها القوات الروسية في عهدها

الذي توسعت روسيا خلاله حتى أحكمت السيطرة على شمال شرق البحر الأسود. وبعد ست سنوات من هزيمتهم على ضفاف نهر سونجا استطاع الروس أن يأسروا الشيخ منصور أثناء معركة ضارية تسمى تثار - تومب عام ١٧٩١م .. فخلفه فى الجهاد الإمام مولا الداغستاني.. ثم الإمام شامل.. الذى قاد المقاومة فى عام ١٨٢٤، وكان شخصية أسطورية شامخة جمعت فى جوانبها شجاعة الفارس وورع المؤمن وأخلاق الزاهد وتضحية الشهيد، وقد حقق انتصارات هائلة حتى تمكن الروس من أسره بعد خمسة ثلاثين عاما من الجهاد: (١٨٢٤ - ١٨٥٩) بعد أن حشدت القيادة القيصرية له ثلث الجيش الروسى (٢٠٠٠٠٠ رجل) ، لكن الجهاد لم يخدم كليا بل أعلن فى ١٩١٨ قيام الجمهورية الجبلية المستقلة.. لم يخدم الجهاد - يا أنيس- رغم قيام الروس بإغلاق جميع المساجد والمدارس وجعل مناسك الإسلام جرائم يعاقب عليها القانون.. وكان من أسلحة الروس مع المسلمين نفس السلاح الذى استعمله الصليبيون مع الفليبيين.. ونفس السلاح الذى ما يزالون يستعملونه حتى اليوم..معنا جميعا أيها الساخرون من فكرة المؤامرة.. هذا السلاح يا نساء المسلمين وبيا شيخ الأزهر هو إصدار قوانين للأحوال الشخصية تخالف الدين الإسلامى الذى يزعم المجرمون أنه يضطهد النساء..

فى عام ١٥٥٦ ارتد تيمروك عن الإسلام فقتل شر قتلة.. الآن يكافأ المرتدون بأعلى المناصب.. ويقودون.. يا أنيس..

لم يخدم الجهاد .. وبعد الحرب العالمية الثانية قتل السفاح المجرم ستالين نصف مليون شيشانى (٦٠% من الشعب الشيشانى ذلك الوقت) بعد أن أرغمهم بالآلة العسكرية الروسية على الهجرة من بلادهم إلى سيبيريا .. لكن أبناء الشهداء عادوا ليواصلوا الجهاد..

نعم.. فم منذ بداية الاحتلال الروسى وحتى اليوم لم تنته المقاومة. كانت تخبو أحيانا تحت وطأة الآلة العسكرية الجبارة المدعومة من الغرب الصليبي كله .. وكانت تخبو إزاء خيانات حكام يدعون أنهم مسلمون لكنهم يخونون الله والرسول.. ويخونون أهل الشيشان.. ويستعملون مثلك يا أنيس.. كى ينشر بين الناس بالكذب.. أن مشكلة الشيشان والقوقاز مشكلة روسية داخلية.. وأن الشيشانيون إرهابيون انفصاليون.. كانت المقاومة تخبو أحيانا وتستعل أحيانا .. لكنها لم تخدم أبدا.. وكان العالم الإسلامى.. الأمة التى يريد الله أمة واحدة.. تتحول إلى فتافيت أمة.. فتافيت أمة وليست فتافيت

امرأة يا نساء المسلمين.. ويا شيخ الأزهر.. وكانت الأمة كمريض أصابه
البرص.. تتساقط أطرافه دون أن يحس..

فى معركة استيلاء الروس على البلاد الإسلامية وبدون حصر
للحروب المحلية مع الإمارات المسلمة المستقلة شنت روسيا ١٢٠ حربا ضد
العثمانيين الأتراك استغرقت ١٥٠ عاما و ٦٠ حربا ضد الصفويين استغرقت
٩٤ عاما ..

كانت حرب إبادة.. بلغ تعداد إحدى القبائل فى تعداد أجرى عام
١٨٨٩ ثلاثة ملايين (يقارب الرقم تعداد مصر فى ذلك الوقت) .. الباقي
منهم الآن ١٨٥٠٠٠٠.. فى مائة عام.. ترى كم سيبقى من المصريين بعد
مائة عام..

فى منطقة القبرطاي كان تعداد المسلمين ٤٠٠٠٠٠ لم يبق منهم الآن
إلا عشرين ألفا .. بقاياك يا فتافيت الأمة.. بقايا كبقايا الهنود الحمر..
ومع ذلك فقد كانت هذه المناطق أحسن حالا من سواها .. فثمة قبائل
كاملة ومدن هائلة لم ينج منها أحد ولم يبق منها أحد...

انظروا على شاشات التلفاز إلى جرونى.. وإلى مدن الشيشان
الأخرى.. هذا ما يحدث فى القرن الحادى والعشرين.. انظروا .. وتخلوا
الذى كان يحدث من قرن وقرنين وثلاثة.. انظروا.. وانظروا يا فتافيت
الأمة..

حتى عام ١٩٢٨ كانت اللغة الشيشانية - يا أنيس - تكتب بالحروف
العربية وما زالت تحتوى على قدر هائل من الكلمات العربية.. يا أنيس
منصور الذى يعتب على الشيشان (الإرهابين) محاولتهم للانفصال عن
الدولة الروسية..

ولم يكن إسلامهم سطحيا يا أنيس (ومن بلايا الدهر أن يحكم مثلك على
سطحية الإسلام أو عمقه) بل لقد كان مسلمو القوقاز - والفلبين أيضا -
من أشد الشعوب الإسلامية تمسكا بالدين وكانوا للمناسبة من المعترضين على
إنهاء الخلافة الإسلامية فاضطهدهم كمال أتاتورك ونكل بمن لجأوا منهم
تحت وطأة الحديد والنار الروسية إلى تركيا .. وكمال أتاتورك هذا.. هو
معبود أنيس منصور!!..

كانت الفرقة التى يكرسها ويدعو لها أمثالك يا أنيس منصور هى السبب
فيما حدث للإسلام والمسلمين..

يقول المؤرخ جون بادلي فى كتابه: "الغزو الروسى للقوقاز":
لو اتحدثت إيران وتركيا لتم هزيمة الروس هزيمة ساحقة.. (ترى ماذا يحدث
الآن لو اتحدثت إيران وتركيا وانضمت إليهما مصر ١٩) ..

وكان العالم كله - وما زال - شديد الإعجاب بالمجاهدين القوزاق
والشيشان .. حتى المنصفين من الروس أنفسهم راجع يا أنيس بوشكين
وتولستوى (راجعهما آمنة مطمئنا .. فليسا مسلمين!) .. راجع أيضا الشاعر
الروسى ليرمنتوف ومارلينشكى ومن المعاصرين فاليرى تشكوف .. راجع
أى مرجع لا يرجع إلى يهود الخزر أو يهود إسرائيل قبل الوصول إليك ..
كان كارل ماركس يقول: " يا شعوب العالم ليكن قتال القوقازيين من
أجل حرياتهم درساً لكم" ..

إن نبل القوزاق والشيشان جزء منهم لا تقتصر على البطولة
والشجاعة والنضحية والفداء.. بل يتعدى ذلك إلى آفاق قد لا يتخيلها القارئ
الذى دمر وعيه أمثال أنيس منصور ..

يقول المؤرخ الروسى فادييف: " إن الحرب القوقازية شلت حركات
الجزء الأكبر من الجيوش الروسية بعض الوقت، ولولاها لاستطاعت
الجيوش الروسية أن تحتل الشرق جميعه من مصر إلى اليابان"
هؤلاء هم الإرهابيون الذى أدانهم أنيس منصور .. وسخر منهم ..

ولعل القارئ يدرك أننى لم أتكلم إلا عن رؤوس الموضوعات ..
ولم أذكر إلا العناوين .. وأن كل سطر من هذا المقال يحتاج إلى كتاب ..
كتاب لا تحرمه وزارة التربية والتعليم ولا تقاطعه الإذاعة والتليفزيون
والصحف ولا تطلب مباحث أمن الدولة حظر نشره تجفيفاً للمنباع .. نعم ..
لقد أوجزت الإيجاز المخل .. فاغفر لى يا ربى .. لأننى وجلال وجهك أحسب
أننى لو قضيت العمر كله أكتب فسوف تكون جنايتى أمامك يوم القيامة
وسؤالى: ماذا فعلت .. أذلك كان قصارى جهدى؟ .. وأخشى يا قراء أن يأتى
ملاك بأطنان الحبر التى سودت بها مقالاتى ليضعها فى الميزان .. ثم يضع
فى الكفة الأخرى .. قطرة دم واحدة .. لشهيد واحد .. من ملايين شهداء
المسلمين .. فى أنحاء المعمورة .. من الشيشان إلى الفلبين .. ومن الأندلس
إلى فلسطين .. فترجح قطرة الدم أطنان الحبر .. فيقال اذهبوا به إلى النار ..
نعم يا قراء .. ما أفدح ذنبى وذنبكم ..

كثيراً يا قراء ما أربط تفاصيل كوارث حياتنا اليومية بالتاريخ .. وكأن
هذه الكوارث مجرد رمز .. أو تعبير فنى عن التاريخ كله .. ومن ذلك يا
قراء ما أحسست به مع الوقائع الفاجعة للجريمة البشعة التى ارتكبتها

الأمريكيون بإسقاط الطائرة المصرية^١.. حين تخيلت .. أن هذه الطائرة هي الأمة الإسلامية التي أسقطها العالم.. واغتيالها.. ومدركا أن المجرمين الروس كالمجرمين الأمريكيين وأذنباهم وعبيدهم.. يهدفون إلى طمس تاريخنا الشهيد كله.. طمسه بصورة مطلقة ونهائية وأبدية.. تماما كما فعل المجرمون بحادثة الطائرة المصرية.. يسقطون الطائرة.. يموت الجميع فلا يبقى ثمة شاهد.. ثم يلفقون الأدلة كي يكون الضحايا هم الجناة.. أما من شاهد من بعيد فإما الصمت وإما الموت.. يتعاملون مع تاريخنا بنفس المنطق.. لذلك فإنهم هم المتحضرين ونحن المتخلفون الهمج.. والشيشانيون إرهابيون انفصاليون.. أما أنيس منصور الذى أدان الإرهاب الشيشاني والجهل القليبينى.. فإنه هو الطبعة العربية لذلك العجى الأمريكى .. الذى خرج ليعلن أن الطيار المصرى هو الذى انتحر بكل ركابه.. وكان دليله على ذلك كلمة : "توكلت على الله.."

يجمع بى الخيال المعذب كثيرا لأتخيل الموقفين.. وفى الحاليين يا قراء.. الشيشان والطائرة.. كان موقف مصر.. يخزنى ويضئنى ويكيئنى..

يجمع بى الخيال.. وأحايلى ذاكرة مستنزفة.. فأستعيد ما كتبه أنيس منصور ذات يوم: "كان فى مصر شارع واحد للبغاء يتنفس فيه المراهقون، أما الآن بعد إلغائه فقد صار هناك مائة شارع" ..

قال ذلك فلم يمنعه من الكتابة.. ولم يوقفوا النشر له..

أوقفوا النشر لفهمى هويدى..

فاهنا يا أنيس منصور لا هنتت- .. اهنا .. لم يعد البغاء فى امتنا مقصورا على مائة شارع فقط.. بل انتشر فى الأمة.. فى فتافيت الأمة.. وليس بغاء الجسد وحده ما انتشر.. فاهنا..

يجمع بى الخيال أحيانا يا قراء.. فأتخيل أن أعداءنا كانوا الخنزير الأبيض.. وأن من باعونا من ولادة أمورنا عبر التاريخ ومن زيفوا وعينا كانوا الخنزير الأسود..

أما نحن .. أنا وأنتم يا قراء فأظن أن منطقنا تجاه كل ذلك هو نفس منطق المثل الشيشانى: "لا فرق بين الخنزير الأبيض والخنزير الأسود".

١- فى نهاية القرن العشرين كانت طائرة مصرية تحمل مئات الركاب تسقط بجوار الساحل الأمريكى.. المرجح أن صاروخا أمريكى أسقطها.. كان عليها خيرة كبار ضباط الجيش المصرى.. وادعت أمريكا أن الطيار المصرى انتحر بركاب الطائرة.. وكان دليلهم على ذلك أنه قال: توكلت على الله...!!

أنا مع الإرهاب' ..!!

كان صديقي يقول معاتباً:

- أسرفت على القراء.. حاول أن تعطيهم جرعة أمل..

وقبل أن أرد عليه استطرد قائلاً والدموع في عينيه:

الكارثة أنني أطلب منك ذلك رغم أنني أعرف أنك لا تذكر كل الجرائم والغباوات والجهالات والبشاعات والخianات والكوارث.. بل إنك رغم كل ما تكتب ما أحطت منها إلا بجزء يسير.. ورغم علمي بذلك فأنا - والقراء - يحتاجون إلى جرعة من الأمل..

وقلت له:

عندما نهوى من حالق فليس من الحكمة ولا من صالحنا أيضاً - أن يطمئننا أحد.. بل الأولى أن يصرخ فينا أن نتشبت بالصخور وبالثوابت كي لا تنهشم عظامنا.. وعندما تشتعل النار في بيتنا فنحن لا نحتاج - أثناء الحريق - لمن يسرّي عنا بل لمن ينقذنا من النار..

صرخت فيه:

تريد الأمل المزيف.. أنظر إلى شاشات التلفاز.. لقد أحصيت بالأمس اثنين وعشرين محطة عربية.. تابعت برامجها.. ما من برنامج منها كان يوقظ الأمة أو يوحى أنها مهددة بالتلاشي.. ما من برنامج منها يكشف للأمة أننا قطيع يساق إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان.. ما أكثر الغناء والرقص.. ما أكثر البرامج التافهة.. كل البرامج لا تضيف إلى الوعي بل تستنزفه.. كل البرامج لا تستدعي الذاكرة بل تشوهها.. تريد الأمل المزيف.. طالع صحافة العرب والمسلمين.. حيث كل عهد أروع العهود.. أنظر إليها.. لن تجد منها ما يذيع حتى عن أحداث الطائرة المصرية أو عن أحداث الكويت.. أمريكا المتهمة لا تبالى وتنتشر.. والكويت التي تدفعنا للرعب من وعيد الله من فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة.. أما نحن فلا شيء ينقذنا من الغيبوبة أو ينهي الرقص في محطات إرسالنا.. لن تجد من يتحدث عن لحمنا الذي يتمزق في الشيشان.. ولا أعراضنا التي

١ - قصيدة لزار قباني.

٢ - الشعب: ١١/٥/١٩٩٩.

تنتهك فى أربعة أنحاء المعمورة.. ولا عن رقابنا التى تقطع.. ولا عن ديننا المحاصر المضطهد المطارد.. ولا عن حكامنا الذين يستسخم الغرب كيفما شاء فيوليههم علينا.. هل رأيت كيف يغير ملكا ولى عهده وهو على فراش الموت فى بلد العدو.. هل رأيت وزارة تشكل تصلح مجلسا للجامعة الأمريكية لا وزارة.. ثم يتحدثون عن استقلال القرار وعدم الخضوع للضغوط.. هل رأيتهم يقدمون القرايين لبيت الشيطان الأبيض فيتبادلون التمثيل الدبلوماسى مع إسرائيل.. دون أى مبرر.. دون أى خطر مباشر.. انفرط العقد.. وكنا نحن من قطع الخيط الذى يربطه.. ولم يكن ذلك الخيط سوى الإسلام.. إذ ما الذى يربط الأندونيسي بالمصرى بالموريتانى سوى الإسلام.. وقد قطعوه وحاصروه.. قطعوه وشتتوا أمة يجمعها الدين والجغرافيا والتاريخ والقرآن وهم يواجهون أمة تجمعت من شتات الأرض لا يجمعها إلا الدين.. إسرائيل.. قطعوه فأفقدونا أقوى سلاح كان فى أيدينا.. قطعوه فهان أمرنا على العالمين.

أشع مراتب المهانة والألم أن يشفق عليك حتى عدوك..
سيناتور أمريكى صفت سريره فضج ضميره فصرخ:
ليت المسلمين كانوا درافيل حتى يمكننا الدفاع عنهم..
ويا أيها السيناتور لمر أن ألك لم يكونوا وحوشا ضارية.. لما احتجنا أن نكون درافيل..
ويا أيها السيناتور لولا الخداع والانخداع والخيانة لما كان للأمور أن تسير على هذا النحو..

أجل يا مسلمون.. لو أنكم درافيل أو قطعا من الحمار الوحشى لضج العالم من مذابحكم..
لكنهم يستتكرون ذبح شاة كأضحية - أيها المتوحشون المتخلفون القساة - المسلمون - ولا يهتز لهم جفن لذبح مئات الآلاف منكم..
بل لو اختلجت مشاعر واحد منكم لذبح أخيه فهو متهم بالإرهاب يجب استئصاله..

يصرخ نزار قباني:
متهمون نحن بالإرهاب..
إذا رفضنا محونا..

على يد المغول.. واليهود.. والبرابرة..

متهمون نحن بالإرهاب..
 إذا رفضنا أن نفاوض الذئب..
 وأن نمد كفنا لعاهرة..
 متهمون نحن بالإرهاب..
 إذا حملنا الخبز والماء..
 إلى طروادة المحاصرة..
 متهمون نحن بالإرهاب..
 إذا رفعنا صوتنا..
 ضد الشعوبيين من قادتنا..
 وكل من غيروا سروجهم..
 وانتقلوا من وحدويين إلى سماسرة..

يا أمة: الغرب ووسائل إعلامنا علمونا أن الجهاد إرهاب..
 و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أنا أمركم بخمس الله
 أمرني بهن بالجماعة وبالسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل
 الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من
 عنقه إلى أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم
 قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى قال وإن صام وصلى وزعم أنه
 مسلم.."

ماذا فعلنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟..
 الجماعة تفرقت وتشرذمت..
 السمع والطاعة لأمريكا وإسرائيل..
 الهجرة لا إلى الله بل إلى ملاجئ اللاجئين أو إلى الشيطان..
 الجهاد تجرّمه قوانين عقوباتنا..
 ثم نزع أنا مسلمون..
 إنهم يدعونك بدعوى الجاهلية يا أمة فلا تستجيبى ولا تصدقى..
 وصلوا بك إلى ما دفع بعض عدوك للإشفاق عليك..
 لقد كان قلبي ينزف وأنا أتابع جورج جالوى فى قافلة مريم^١..

١ - عضو مجلس العموم البريطاني، انفل بالطفلة مريم التى أصيبت بسرطان الدم نتيجة المواد المشعة التى
 قصف التحالف العربى-الغربى بها العراق. قام برحلة عبر العالم العربى ينأشده إثناء الحصار على
 العراق.

دعنا الآن من أن اسمها قافلة مريم.. فنحن المسلمين أكثر من
ييجلها في الدنيا..

دعنا الآن من أن اختبار الاسم نوع من النفي لنا..
دعنا من أن خديجة وزينب - رضى الله عنهما - أسماء
لا تصلح عندهم إلا للمهانة والاستهزاء فسموا ما ينتعل في القدم :
خدوجة وزنوبة.. فعلوا ذلك وفعلناه خلفهم..
دعنا من كل ذلك..

يصف جورج جالاوى معظم حكوماتنا العربية بأنها "عبدة
وعميلة".. ويصرح بأن ثلاثة وزراء بريطانيين هم تانتشر وميجور
وبلير قد أخبروه أن الحكومات العربية هي التي تشجع ضرب العراق
وأنها أعطت الغرب تفويضا كاملا بذلك وقد أعطوني إحصائيات
مفصلة عن المبالغ النقدية التي تدفعها حكومات عربية لبريطانيا
لتمويل قصف العراق وحصاره..

يا إلهى..

هل أسامة بن لادن وعمر عبد الرحمن ومن على دربهم هم
المجرمون الذين يستحقون الشنق؟.. وهل هم الخونة؟! وهل ثمة
فرجة لأمل تحت حكم مثل هؤلاء يا صديقي المعاتب؟..

يا إلهى..

ثم تعجبون حين تدعون فلا يستجاب لكم..

يستعرض جورج جالاوى ما وصل إليه الحال في العراق
فيقول:

إن ما يحدث للشعب العراقي من حصار وجوع وضرب
بالقنابل وقتل للأطفال والنساء والمدنيين ونشر للأمراض بينهم إنما
هو عمل مشين ونحن نعلم يقينا من الذى يقوم بأد أطفال العراق..
إنه الاستعمار الأمريكى والبريطانى.. ولكننا نعلم فى نفس الوقت من
الذى لا يقومون بأى جهد لردع هذا العدوان ووقفه.. إن ما يحدث
فى العراق هو من أكبر جرائم العصر.. ولكن المجرمين ليسوا أولئك
الذين يخططون وينفذون الجريمة فقط.. المجرمون أيضا هم الذين
لا يفعلون شيئا لوقف هذا الإجرام.. شاهدت المأساة العراقية بعيني..
استمعت إلى أصوات لا أتمنى أن يسمعها أعدائي.. سمعت صوت
امرأة تضع طفلها فى عملية قيصرية دون مخدر.. ورأيت نساء

يحملون أطفالهن الموتى بأيديهن.. ورأيتهن يضعن أطفالا مشوهين..
لقد رأيت أطفالا يولدون دون رؤوس.. وأطفالا يولدون برأسين..
وأطفالا يولدون بلا أطراف.. وأطفالا يولدون بأطراف إضافية..
ثم لا يتمالك نفسه فيصرخ:

إن هذا الأمر هو كرامتكم وشرفكم.. وإذا كان هذا الأمر بالنسبة
لى كغير عربي وغير مسلم ومن مجتمع استعماري قضية شرف
بالنسبة لى.. فأتترك لكم أن تحددوا ماذا يعنى هذا الأمر بالنسبة
لكم؟!..

ماذا يعنى هذا الأمر بالنسبة لك يا أمة؟..
هل تتخيلون أن مساعدة العراق أو ليبيا أو السودان أو سوريا
أو إيران إرهاب..

وأن ولاية أمرنا آمنوا بذلك وأمنوا عليه..

وأصرخ مع نزار قباني:

متهمون نحن بالإرهاب..

إذا اقترقنا مهنة الثقافة..

إذا قرأنا كتابا فى الفقه والسياسة..

إذا ذكرنا ربنا تعالى..

إذا تلونا سورة الفتح..

و أصغينا إلى خطبة يوم الجمعة..

فنحن ضالعون فى الإرهاب..

متهمون نحن بالإرهاب..

إن نحن دافعنا عن الأرض..

وعن كرامة التراب..

إذا تمررنا على اغتصاب الشعب..

إن كان هذا ذنبنا..

ما أروع الإرهاب..

لقد سألتكم - يا قراء - فى مقال سابق أننا نعرف بالتحديد متى
احتلت بلادنا لكن التساؤل الأهم هو متى احتلت أرواحنا..
يحاول الأستاذ أنور الجندى^١ أن يجيب عن السؤال فيقول :

١ - الإسلام فى وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق . أنور الجندى - دار الاعتصام .

ظهرت فى السنوات الأخيرة وثائق كثيرة كانت خافية على المسلمين والعرب لها أثرها الكبير فى مصائرهم ومقدراتهم وإليهما يمكن تفسير أسباب هزيمتهم ونكبتهم ومنها يوجد المنطلق إلى الأصالة الحقّة. بعد هزيمة لويس التاسع فى المنصورة، وجنوحه إلى التأمّل فى نتيجة خطته التى جرت عليه الهزيمة والاعتقال، كتب مذكّرة خطيرة أشارت إليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسى، وذكرها مؤرخه جوفانفيل، يحدد بها الموقف من العالم الإسلامى بعد هذه السنوات الطويلة من الحروب الصليبية والمعروف أن لويس كان يقود الحملة الثامنة.

لقد أشار لويس التاسع فى وثيقته إلى أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، ذلك لأن فى دينهم عامل حاسم هو عامل المواجهة والمقاومة، والجهاد وبذل النفس والدم رخيصاً فى سبيل حماية العرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين، فمن المستحيل السيطرة عليهم، لأنهم قادرون دوماً انطلاقاً من عقيدتهم على المقاومة ودحر الغزو الذى يفتحم بلادهم، وأنه لا بد من وجود سبيل آخر من شأنه أن يزيل هذا المفهوم عند المسلمين، حتى يصبح مفهوماً أدبياً أو وجدانياً، وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء بحيث تسقط خطورته، واندفاعاته، وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامى وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء، أو الصداقة أو التعاون، وحتى نحصل على نص وثيقة لويس التاسع التى لم نتمكن من الحصول إلا على مقتطفات منها فيما أورده الأستاذ محمد على الغتيت فى كتابه من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، فإن الضرورة تقضى بدراسة هذا الهدف الذى كان له أثره فى ذلك المنحنى الخطير الذى تحولت إليه علاقات الغرب مع عالم الإسلام، هذا الهدف الذى جندت له قوى التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافى، فى خطة محكمة مدبرة ما زالت مفروضة على العالم الإسلامى منذ عام ٥١٥ هجرية الموافق ١١٢١ ميلادية، هذه الخطة التى سيطرت عليها من بعد قوى الصهيونية العالمية.

المذهل فى الأمر يا قراء أن لويس التاسع حدد نقطة ارتكاز فى الشرق لكى يتخذها الغرب لتقويض الإسلام، وأن نقطة الارتكاز هذه تتطابق حدودها مع حدود إسرائيل!!..

أدرك لويس التاسع، وأدرك الغرب كله معه أن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة، والتي تدفع بالوفهم إلى ساحات الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الحق وعن الأرض وعن العرض. إذن فهذه هي بداية المعركة ولا بد إذن من تزييف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان، وذلك بالانفارقة بين العقيدة والشرعية، أو تصوير الإسلام بصورة دين عبادة كالمسيحية وفصل الدين عن الدولة، حتى يفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن في أصالة عقيدتهم، وجوهر دينهم، عندئذ يصبحون قطيعاً من السائمة التي تتطوى وتقهّر.

المرض إذن قديم يا أمة..
مرض وبيل عضال.. أخطر ما فيه أنه شمل النخبة وأصابها أكثر ما أصاب وأخطر ما أصاب.. لم يفلت منها إلا أقل القليل..
ولقد كان الكتاب والمفكرون من بين إصاباتنا الفادحة..
لقد باع معظمهم نفسه..
يصرخ نزار قباني:
لم يبق في حياتنا قصيدة..
ما فقدت عفافها..
في مضجع السلطان..

إنني ألاحظ خطابات القراء فأجدها أشد نضجا وأكثر وعياً - بل وربما أصبح لغة - من معظم الكتاب.. ذلك أنه كان من شروط الغزو الثقافي الكاسح الذي تعرضنا له أن تنشأ آلية كآلية أجهزة الأمن في الجامعة والتي حدثتكم عنها في المقال الماضي.. آلية تحاصر المفكر الجاد وتحاول أن تمنعه أصلاً من الوصول إلى منابر لفكر التي يمكنه أن ينشر منها رأيه.. فإن عجزت عن منعه سعت إلى أن تقضى عليه.. فإن عجزت حاولت أن تحيطه بالتجاهل والظلام.. فإن عجزت حاولت أن تسفه فكره.. فإن عجزت حاولت أن تسلط كلابها عليه.. فإن عجزت تلقت أجهزة الأمن وأوته السجون.. لا تتجو من مقصلة الجزار إلا النماذج المشوهة..

١ - كان هذا نظرياً في تاريخ كتابة هذا المقال، لكنه بعد أزمة الوليمة أصبح تجربة شخصية..!! فيما عدا السجن.. حتى الآن...!!

إن محمود شاكر - على سبيل المثال - هو نموذج فذ وكامل لكل هذه الآلية الجهنمية.. وهو فى نفس الوقت بفضح كل آلياتها..
ألاحظ كتابات كبار الكتبة ..

لحظوا كتابات الدكتور جابر عصفور على سبيل المثال.. فهو ينتمى إلى فصيل من الكتاب يكون ملء السمع والبصر طالما بقى فى وظائفه العديدة فإذا أقيـل منها لا يسمع به ولا له أحد.. تفرض الدولة كتبه وأحاديثه إلى القراء مدعومة وتناقش كل الصحف الكبرى كل إصداراته وهو عن طريق علاقاته المتشعبة والخدمات التى يمكن أن يؤديها ينتشر وينتشر وينتشر.. لكن .. ثمة سؤال هام : ما هى القيمة الفكرية التى يمثلها فى النهاية ؟ ما هو الفكر أو الإبداع أو الإنجاز الذى شيده..

فكروا يا قراء.. وسوف تجدون أن النتيجة : لا شئ..
فى كتابه : "مواجهة المواجهة" يتناول الأستاذ "محمد إبراهيم مبروك" مواقف الدكتور عصفور ويتساءل ذات السؤال فيجيب :

انظروا كيف يعالج الدكتور جابر المسألة ؟.. إنه لا يفعل شيئاً سوى أن يطبق مصادره المسبقة على الحالة التى أمامه فمن يؤيد الشيخ (وجهة نظر جابر) من دعاة الاستنارة والعقلانية والتقدم والحالمين بالديموقراطية والحرية أما من يرفضون فهم دعاة الحكم المطلق وأنصار الأتباع والتقليد وبمفهوم المخالفة فهم غير تنويريين وغير عقلانيين كما أنهم متخلفون رجعيون.. هل فعل الدكتور شيئاً؟.. هل فكر فى شئ؟ هل قدم أى نوع من الدلائل على ما يقول؟ أين هـذا الفكر الذى ناقشه فيه؟ وأين فكر الدكتور حتى نناقشه نحن؟ لا يوجد شئ من كل هذا والمسألة كلها عبث فى عبث، وإطلاق تهم عدوانية مسبقة لا أكثر.. والسؤال الأهم من كل هذا: أين تلك العقلانية التى يتحدث عنها الدكتور؟ أين هى فى فكره هو؟..

يتناول الأستاذ مبروك نماذج مذهلة من كتابات جابر عصفور المنحرفة، ومنها على سبيل المثال اعتباره أن من المحن التى حاقت بالتنوير تراجع محمد حسين هيكـل تحت ضغط التقليديين ليكتب كتابه "حياة محمد" واتجاه "العقاد" ليكتب فى "العقريات الإسلامية"..

مشكلتنا مع أمثال الدكتور جابر ممن تسند إليهم السلطة عشرات المناصب وتمدهم لمناصب أعلى أن أفكاره بلا قيمة حقيقية وأنها تكرار وترديد لأقوال المستشرقين، ليس المنصفون منهم بل غلاة المتعصبين الكارهين للإسلام والحاقدين عليه، لا يوجد فكر، لكن

يوجد إلحاح إعلامي مدر.. ضجيج ولا طحن.. لذلك فإن أى مفكر يتردد كثيراً قبل أن يواجهه ويفند فكره.. لأنه لا فكر.. ثم أن فكره كله سيتهوى كجذع شجرة نخره السوس فى أول بادرة لتخلى السلطة عنه.. النقطة الأخيرة .. أنه يملك - بفضل ما ذكرنا وما لم نذكر - الوسائل التى يمكن أن ينشر بها لا فكره على أوسع نطاق.. كما يملك - وهذا هو الأهم - من الوسائل ما يمنع المتصدى له من الوصول إلى وسائل إعلام يسيطر هو عليها.. إما بالوظيفة وإما بالعلاقات ..

فى كتابه مركسة الإسلام وفى مقالات نشرتها صحيفة الشعب المصادرة واجه الأستاذ منصور أبو شافعى كاتباً آخر من نوع الدكتور جابر عصفور، الدكتور القمنى، وببراعة دمر مشروعه الفكرى - أو لامشروعه - لبثت الأخطاء والأكاذيب الفادحة التى تهدف بصراحة ووضوح إلى تدمير السيرة النبوية.. لا فى مجالات قد يجوز الاختلاف فيها.. لا .. فالمجال الذى يسير فيه المشروع هو تكذيب النبوة كلها..

ما فعله محمد غبراهيم مبروك ومنصور أبو شافعى مثالى، لكن من أين نأتى لكل تنويرى بكاتب باحث مجتهد يفضح مشروعه ويكشفه أمام الناس.

إننى لاحظ والأسى ينهشنى أنه كلما ابتعد القارئ عن كتاب التنوير كلما كانت رؤيته أصوب وأصدق.. القارئ العادى يفهم المسألة أفضل من كثير كتابنا.. من أكبر كتابنا..

وبعض الأميين يفهم المسألة أكثر من كثير من المتعلمين.. فلقد نجا الأميون بأميتهم من عمليات غسيل المخ واستنزاف الوعي وتشويه الذاكرة..

ولقد اهتممت بهذه القارعة كثيراً..

كيف أن نخبة المثقفين تسقط كل هذا السقوط..

ولقد ألممت بجانب من الإجابة عندما فكرت أن الاستعمار حين جاء لم يجئ ليألهو.. بل جاء ليشكل بممارسات فى غاية التعقيد

١ - بعد أزمة الوليمة أصدر الدكتور جابر عصفور كتاب : " مواجهة التعصب " وهو كتاب فى ٦٤٤ صفحة ويباع بثلاثة جنيهات. الغريب أنك تقرأ الكتاب كله فلا تجد فيه إلا " مكمة " لا تتوقف . لكنه لا يقول شيئاً.. وفى أزمة الوليمة على سبيل المثال لا يجرؤ على إيراد نموذج واحد من رواية حيدر حيدر. ربما بعد أن اتعظ من تجربته القاسية مع الدكتور محمد سليم العوا على إحدى القنوات الفضائية.. وكانت تجربة قاسية لحد الفضيحة: راجع هوامش ملف الوليمة فى نهاية هذا الكتاب

والشمول تغيير نخبة الأمة .. وقد غيرها .. وعندما رحل فقد سلم زمام الأمور إليها .. ولقد نصب في كل بلد من بلاد العالم الإسلامي أصناما .. يستطيع الناس أن يجترئوا على الله وعلى الرسل وعلى الصحابة دون أن يمسهم سوء (بل على العكس .. تفتح لهم الأبواب للسيادة والرئاسة أنى كانوا .. من رئاسة الدول إلى رئاسة التحرير إلى رئاسة الصفحات الثقافية) لكنهم إذا جترءوا على هذه الأصنام فهم إرهابيون ظالمون متأسلمون حمقى ..

لقد كان مذهلا لى أن اكتشف أن معظم ما يردده دعاة التنوير الآن مكتوب بنصه فى تقارير اللورد كرومر السنوية .. يقول أنور الجندى:

" فى هذه التقارير، سجل كرومر الخطوط العامة لتهديم كل عوامل الإيمان الوطنى والاعتزاز العربى الإسلامى .. وكان أول من ساق الأكذوبة الضخمة التى تقول أن المصريين كانوا خاضعين أكثر زمانهم .. فقد حكمهم دولة الفرس فال يونان فالرومان فعرب جزيرة العرب، وبغداد، فالجراكسة، فالترك آل عثمان .."

هذا بالضبط ما كتبه اللورد كرومر عام ١٩٠٦ ومازال كبار مثقفينا الرسميين الذين تفرضهم حكوماتنا علينا يرددونه حتى اليوم .. متجاهلين أن صلة مصر بالعرب لم تكن صلة استعمار وأن الرابطة بين العرب وبين الدولة العثمانية لم تكن رابطة احتلال ..

لقد تحدث كرومر أيضا على أن مصر ليست جزءا من أفريقيا ولا من الشرق وكان يهدف إلى نزع مصر من دورها وجذورها .. وهو ما يزال صبيته يرددونه حتى اليوم .. إن الأفارقة متخلفون والعرب أجلاف وتركيا بلد احتلال فمال مصر وكل هذا .. وليت نخبة مثقفينا - حتى بمفهومهم الغبى الخائن - فكروا ما هو الثمن الذى سنحصل عليه عندما نقطع جذورنا .. هل سنلتحق بأوروبا مثلا ..؟! ..

كان كرومر أيضا هو أول من هاجم الحكومة الإسلامية، ووصفها بأنها الحكومة الثيوقراطية ..

أخطئ يا عربي يا مسلم فى تلاوة القرآن ..

أنكر حديثا نبويا شريفا ..

عارض شرعا أو فقها ..

لا ضير ..

لكن حاول أن تعارض ما غرسه كرومر لتتطلق كلاب جهنم
تعوى عليك من كل صوب..

والرجل - للدهشة والأسى - لم يحاول إخفاء دخيلته.. فهو
يعترف بالنص في تقرير عام ١٩٠٦: " إنى واثق من قوة أوروبا،
واقترارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة (الحركة الإسلامية)
من الجهة المادية وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة
الروحية.."..

شن كرومر حملة شاملة على الإسلام..
وما زالت حملته وتعاليمه هي المسيطرة والحاكمة..
ما زال كرومر هو مندوب الإعلام السامى ومندوب التعليم
والثقافة..
ما زال كرومر هو المرجعية الأولى لأجهزة الأمن السياسي..
وما زالت نفس عباراته هي العبارات التى يلوكمها كبار كتابنا..
أنظر إلى قوله مثلاً عن المنهج الإسلامى: " السعى فى القرن
العشرين فى إعادة مبادئ وضعت من ألف سنة صدى لهيئة
اجتماعية فى حالة الفطرة والسذاجة، هذه المبادئ مناقضة لآراء
أهل البصر.."..

هل رأيتكم يا قراء..
هل لاحظتكم معى أن كبار كتابنا قد رضعوا لبن كرومر وأنهم
يحاربون حتى الآن بسيفه ولا يزالون يحصلون على ذهبه..
كانت الطبقة القديمة التى حملت هم الدين والوطن قد استشهدت
أو قمعت أو غيبت فى غياهب السجون.. وكانت الطبقة الجديدة -
ويسميه كرومر: الأحداث - قد انسلخت عن الدين والوطن إما عن
جهل وإما عن ضلال وإما عن خسة.. وكانت طبقة الأحداث هذه
تطلب الثمن طموحاً عارماً مجنوناً إلى السلطة والسيادة والريادة..
وكان كرومر جاهزاً.. إنه يقول: بدأ أحداث المصريين يصيحون
للحصول على نصيب أعظم فى حكومة بلادهم وإدارتها.. (..)..
يريدون أن يرتقوا إلى مناصب الحكومة العالية التى يتقلدها
الأوربيون الآن وليس عندى كلمة ضد هذه الأمنية"..
وولاهم..
وخذعت يا مصر .. وخذعت يا عرب .. وخذعت يا مسلمون..
كنتم تحسبون أنكم أرغتم الاستعمار على أن يخفف قبضته وأن
يولى رجالنا بدلاً من رجاله..
- ٤٤٩ -

وكان كرومر - وكل كرومر - كالحية الرقطاء قد نفت سمه
واستودعه النخبة التى ما تزال حتى اليوم تحكمنا..
كان على النخبة أن تدافع عن وعى الأمة..
لكنها كانت للمأساة أكثر من شوهره..
تستر الصليبيون خلف مفكرين وشيوخ وقادة لم ينطقوا إلا بلسان
أعدائنا..

يلاحظ "محمد جلال كشك" أن العالم الغربى يقسم تاريخه إلى
حقب ثلاث .. يسمى الحقبة الوسطى منها عصور الظلام.. كانت قمة
تخلفه.. وكانت فى نفس الوقت عصرنا الذهبى الذى سدنا فيها العالم
ألف عام.. لكن مفكرينا جريا على ما جرى عليه الغرب طبقوا نفس
التقسيم علينا ليجعلوا من أزهى عصور ازدهارنا عصرا للتخلف
والظلام...!!..

لم يفصح كبار كتابنا المعايير المزدوجة..
فضحها بعد إسلامه "مراد هوفمان" كما يذكر فى كتابه: الطريق
إلى مكة- دار الشروق- تشدد الغرب بحقوق الإنسان قائلا: " يبدو
أن الغرب فى تعريفه للإنسان يقصد ذوى العيون الزرقاء والشعر
الأشقر! " .. ثم يواصل فضح العالم الغربى الذى ترسبت فى أعماقه
مشاعر الفزع والرعب من كل ما هو إسلامى . هذا الفزع التاريخى،
يصل إلى درجة اللامعقول، وسرعان ما يتحول وبسهولة شديدة إلى
عداء سافر..

ويتغذى هذا الفزع على ذكريات جماعية مشتركة، تتوارثها
الأجيال عن المنازعات الحربية المريرة بين العالمين المسيحى
والإسلامى فى العصور الوسطى. لم تغب أبدا عن ذاكرة الألمان -
حتى بشكل غير واع - حقيقة وجود المسلمين لعدة قرون فى إسبانيا
وصقلية والمجر.

ولعبت الحروب الصليبية، بطبيعة الحال، دورا أساسيا فى إزكاء
هذا الفزع وروح العداء تجاه الإسلام والمسلمين. فلقد أصابت هذه
الحروب - برغم نجاحها العسكرى - الأوروبيين بصدمة ثقافية هائلة
ومروعة، لأنهم تيقنوا أن هؤلاء " الكفرة " الحقراء، الذين يقطنون

بلاد الشام، أصحاب حضارة كبرى مزدهرة، بل إنها تتفوق على الحضارة المسيحية - الأوروبية في مختلف الأوجه والمجالات ..

ولقد أدرك بعض الأوروبيين، في ذلك الوقت، حقيقة أثارت حرجهم، بل أزعجتهم، حقيقة مفادها أن الغرب هو غروب صباح أشرق في بلاد الشرق .

وتأتى صحوة الإسلام، وعودة الحياة والروح إليه التى شهدتها فى العقود القليلة الماضية، لتضيف أسبابا جديدة لفرع الغرب من الإسلام، خصوصا وأن هذه الصحوة تتعارض تماما مع تكهنات المحللين المتخصصين فى دراسة الشرق .

فى عام ١٩٠١ نشرت للمرة الأولى ترجمة القرآن كتب المترجم فى مقدمتها : " إن الإسلام على ما يبدو قد استنفد دوره السياسى " . وكانت هذه العبارة فى ذلك الوقت تحمل الكثير من الصحة، نظرا لوقوع العالم الإسلامى بنسبة تصل إلى ١٠٠% تحت وطأة الاستعمار الأوروبى . وكان دارسو الإسلام، إبان فترة الاستعمار وحتى خمسينيات هذا القرن، على يقين تام من موت وفناء موضوع بحثهم، حتى إنهم انطلقوا يبحثون عن الإسلام قبل زواله وأفول نجمه، ليتمكنوا من وصفه وتصويره، مثلهم مثل علماء الأنثروبولوجيا، وعلماء النبات . لقد كان واضحا بما لا يدع مجالا للشك، أن ديانة السكان الأصليين البدائية ستذوب أمام شمس الحضارة الغربية. أما الصدمة الكبرى، والأمر المثير لاستفزاز دول الغرب وحكوماته، فهو ذلك التطور فى مسيرة الإسلام وصحته، والذى بلغ قمته عندما ألحقت دولة شيعية، هى إيران، إهانات بالغة ومنتالية لأمريكا، بدأت منذ عام ١٩٧٩ . وأن . هذه الإيران تصمد لكل ردود فعل الولايات المتحدة وعقوباتها . وعلى الجانب الآخر، أجبر المجاهدون الأفغان الجيش السوفيتى، وهو جيش قوة عظمى، على الانسحاب من أراضيه .

ويعتبر الكثير من الغربيين صمود الإسلام، ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، خروجاً عن سياق الزمن والتاريخ، بل إنه يمثل إهانة بالغة للغرب، خاصة بعد انتصار النظام " الرأسمالى " على غريمه الشيوعى .

ثم يواصل مراد هوفمان فضحه للازدواجية والعنصرية الغربية قائلا:

"لا يتوهم المسلمون على أى حال أن الغرب ما كان ليتدخل عسكرياً وبقوة إذا كان الصرب - بكل ما اقترفوه من الجرائم ضد البشرية مسلمين، والبوسنيون - بكل ما تحملوه من آلام هم المسيحيين. إننا على يقين تام بأن الغرب كان سيشن حرباً شعواء على هؤلاء المسلمين المتوحشين الهمج، وكل

هذا باسم حقوق الإنسان، ومبادئ الأمم وقيم الإنسانية الغربية.. أما أن يفرض حظر سلاح على البوسنة الكاثوليكية الضعيفة فلا أستطيع تخيل وجوده أبداً."

كنت أعود إلى صديقي المعائب..
وكنيت أقول له أننى لم أشك لحظة واحدة فى حتمية انتصار الإسلام.. فذلك وعد الله..
و أن حزنى كله هو من أجل نفسى.. وأهلى.. وقومى..
وأمتى.. فقد كنت أتمنى أن نكون من ينفذ الله على أيديهم وعده..
والآن أشك فى ذلك.. وأحسبه يذهب بنا لىأتى بقوم يحبهم ويحبونه
يحقق على أيديهم النصر..

كنت أقول له ذلك.. ثم أتمتم مع نزار قبانى:
أنا مع الإرهاب.. / إن كان يستطيع أن يحرر الشعب..
من الطغاة والطغيان.. / وينقذ الإنسان من وحشية الإنسان..
أنا مع الإرهاب.. / إن كان يستطيع أن ينقذنى..
من قيصر اليهود.. / أو قيصر الرومان..
أنا مع الإرهاب.. / بكل ما أملك من شعر .. ومن نثر .. ومن
أنياب..

مادام هذا العالم الجديد.. / بين يدى قصاب..
أنا مع الإرهاب.. / إن كان مجلس الشيوخ فى أمريكا..
هو الذى فى يده الحساب.. / وهو الذى يقرر الثواب والعقاب..
أنا مع الإرهاب.. / مادام هذا العالم الجديد..
يكره فى أعماقه.. / رائحة الأعراب..
أنا مع الإرهاب.. / مادام هذا العالم الجديد..
يريد أن يذبح أطفالى.. / ويرميهم إلى الكلاب..
من أجل هذا كله.. / أرفع صوتى عاليا..
أنا مع الإرهاب..
أنا مع الإرهاب..
أنا مع الإرهاب..

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله' ؟!

مواجهة

أشهدك يا رب..

وأشهدك يا أمة..

و أشهدكم يا قراء..

لو أنني جعلت مرجع عنوان مقالتي الماضية: "أنا مع الإرهاب.." كتاب الله أو سنة نبيه أو استندت إلى أبى حنيفة أو الشافعى أو أحمد بن حنبل - ولا أقول ابن تيمية - رضى الله عنهم أجمعين، لكنت الآن محالا إلى محكمة عسكرية!!..

لكن المرجع كان نزار قباني..

كان القلب ينزف سخرية وهو يتوقع تلمظ الوحوش المفترسة إذا
تقرأ العنوان فتتهافت :

- ها هو قد وقع فى المحذور .. هاتوه .. لقد انتظرناه طويلا
وتربصنا به طويلا..^٢

تربصوا يا وحوش .. نحن أيضا نتربص..

يا وحوش..

وحوش سوط ووحوش صوت ووحوش قلم...

وحوش..

وحوش إذا ذكر اسم الله اشمازت قلوبهم وإذا ذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم كأن فى آذانهم وقر فإذا ذكر فقهاؤنا إذا هم
يستهزئون..

لكنهم إذا ذكر نزار قباني يخشعون!!..

١ - الشعب: ١٢/١١/١٩٩٩

٢ - ومع ذلك.. كان د. رفعت السعيد على قناة الجزيرة يوم ٣٠/٥/٢٠٠٠ يلوح بالصحيفة فى تشجيع
مظهرا على الشاشة عنوان المقال: " أنا مع الإرهاب" ويقدمه للمشاهدت على أنه اعتراف منى
بذلك.. والاعتراف سيد الأدلة.. وكان يحرض الناس والسلطة.. وكان أمين عام حزب التجمع
المفروض أنه معارض! - وكان عضوا معينا فى مجلس الشورى!!..

وهذا هو تزيف الوعي يا أمة..
هذا هو تزيف الوعي الذى عليك أن تواجهيه..

أمل

لست يائسا..

فلا يئأس من رحمة الله إلا الظالمون..

لكننى يا أمة حين أقارن ما وهبه الله لك وما صرت إليه يفرى
الألم كبدى..

يذكر الدكتور سعيد عبد الحكيم زيد^١ - أن العالم الإسلامى يحتل
ربع مساحة العالم (٣١، ٧ كم مربع) وتشكل مساحته أكبر وحدة
روحية وفكرية فى العالم، تضم مجموعة من البشر تزيد على سدس
سكان العالم، يكونون أمة واحدة تفوق أى كتلة بشرية مجتمعة فى
العالم..

هذا ما وهبه الله لنا..

هذه المساحة تزيد عن ١٥٠% من مساحة أوروبا والولايات
المتحدة مجتمعتين ..

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه المساحة تشغل وسط العالم وقلبه
وأنها أغنى مناطقه بالثروات وأكثرها اعتدالا فى المناخ لازدادت
إدانتنا لأنفسنا.. ولازدادت مرارة السؤال : كيف وصلنا إلى هذا
الحال..

إن مساحة البلاد الإسلامية التى اقتطعتها روسيا من العالم
الإسلامى تفوق مساحة أوروبا مجتمعة.. اقتطعتها مع تدهور
الأحوال فى الدولة العثمانية المسلمة وكانت موسكو قد اعتبرت نفسها
وريثة روما وحامية الصليب.. يقدر عدد المسلمين فى هذه
الجمهوريات بستين مليون مسلم.. وتشغل مساحتها أربعة ملايين
كيلومتر مربع.. وجمهورية كازاكستان هى أكبر بلد إسلامى فى
العالم - وليس السودان - حيث تبلغ مساحتها ما يقرب من ثلاثة
ملايين كيلومتر مربع..

١- واقع العالم الإسلامى . الدكتور سعيد عبد الحكيم زيد. مكتبة وهبة .

هذا هو لحمننا الذى نسيناه..

من تلك الأرض المحتلة كان أسلافنا العظام.. كان الإمام البخارى، والزمخشري والترمذى والنسائى وكان أيضا ابن سينا والبيرونى والشاشى والخورزمى وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض وإسحق بن راهويه ..

هؤلاء هم أسلافنا العظام الذى يسيل دم أحفادهم الآن فى الشيشان والداغستان دون عون ولا غوث ولا حتى احتجاج..

إن مائتى مليون مسلم يعيشون فى بلاد غير إسلامية فى آسيا: ثمانون مليون فى الصين ومثلهم تقريبا فى الهند ..

وخمسة وعشرون مليونا فى بلاد غير إسلامية فى أفريقيا..

وسبعة وعشرون مليون مسلم يعيشون فى أوروبا..

وأكثر من عشرة ملايين مسلم فى الأمريكتين..

قلت لأصحابى وهم يحاوروننى:

لست متشائما .. أنتم المتشائمون..

ونظروا نحوى فى دهشة فواصلت:

أقصى أمانىكم أن نستطيع الوقوف على أقدامنا .. مجرد الوقوف.. أقصى أمانىكم أن تعود إسرائيل إلى حدود ٤٨ .. أقصى أمانىكم أن تتعامل أمريكا معنا بقدر أقل من الإذلال والمهانة.. هذا أمر يسير جدا لا يحول بيننا وبينه إلا اختلافات - أو خيانات - ولاية أمورنا.. وإننا - على ما بنا من عجز وذل ومهانة وتخلف - نستطيع أن نواجههم اليوم لا غدا لو اتحدت كلمتنا.. وإن القوة التى أهدرت فى حربى الخليج كانت كفيلة بأن تكون أقصى مطالب أى يهودى فى العالم لا تتجاوز ما سمح به عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

ثم صحت فى وجوههم :

- لا .. لا وحق جلال الله ما أنتظر ذلك وما هو ما أريد.. إنما أرنو إلى وعد سينفذ إن شاء الله لأنه وعد الله.. وإلى زمن سيأتى.. لن تعود إسرائيل فيه إلى حدود ٤٨ بل بإذن الله سنمحقها من الوجود محقا.. سنجوس الديار.. وسيهتف الجهاز الإلكتروني فى أيدينا : يا مسلم هنا يهودى فاقتله .. فنقتله.. لا .. ليس مطروحا حتى أن يعيشوا بيننا فى بلد عربى مسلم بعد ما فعلوا.. والقدس وفلسطين التى

استودعناها الفاروق عمر ستعود إلينا.. نحن عباد الله بإذن الله سنستعيدها.. هذا الطرح لم تطرحه - ولن تطرحه - دولة قومية لكننا نطرحه.. لست متشائما.. بل أرنو إلى زمن يكتب فيه خليفتنا : من خليفة المسلمين إلى كلب الروم.. فترتعد أوصال في لندن وباريس وواشنطن وموسكو.. أرنو إلى زمن تستغيث فيه امرأة - لا دول وأمم - فنغيثها بجند أولهم عندهم وآخرهم عندنا.. نعم.. لست متشائما.. أنتم المتشائمون إذ تشكون ولو للحظة أن ما أقول بإذن الله سيحدث.. أنتم المتشائمون إذ رضختم لمقولات ما أنزل الله بها من سلطان.. لا سلام مقابل أرض ولا أرض مقابل سلام.. لا كامب ديفيد ولا مدريد ولا أوسلو ولا ممرا آمنا.. افعلوا ما شئتم فأننا لا أعترف به.. إن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس وكلينتون يفاوض كلينتون وباراك يفاوض باراك.. كل ذلك ستدروه الرياح.. رياحنا.. وسيذهب هباء منثورا.. نحن الأعلون.. نحن خير أمة أخرجت للناس.. وسنتبوأ في الدنيا المكان الذي وعدنا الله به.. والفرق بين ما نحن فيه وما سنصير إليه هو الذي يبعث الحزن في قلبي.. لا عن شك.. بل عن ألم لأنني كنت أود أن أكون شهيدا في تلك المعركة الكبرى.. لست متشائما حين أتوقع أن تكون تلك المعركة بعد مائتي أو ثلاثمائة عام.. وربما لا يكون ثمة اختلاف بين ما أراه وما يراه مفكر كبير كالأستاذ عادل حسين الذي يرى أن الأمة الإسلامية حين تنهض فإنها تتقدم بخطى خوارزمية - وليس بوعاريتمية - وأنها في خلال ربع قرن تستطيع المواجهة.. لعنا لا نختلف كثيرا.. ولعله يقصد بداية القدرة على المواجهة بينما أقصد أنا نهاية المواجهة..

لست متشائما.. وإنما أدرك ما أدركه الغرب الصليبي أنه لم يكن من باب المصادفة أن يغدو المسلمون سادة العالم طوال حلقة كبيرة من حلقات تاريخه ، ولم يكن من باب المصادفة أن تصبح الدولة الإسلامية على مدى عدة قرون سيدة دول العالم سياسيا وحربيا، وأعظمها حضارة ورقيا، وأكثرها إبداعا وخلقًا وابتكارا .

يقول سعيد عبد الحكيم :

أدرك الغرب أن هذه القوة، وتلك العظمة الخالدة قد تحققت نتيجة لما تمتع به العالم الإسلامي من إمكانات ضخمة، روحية وبشرية واقتصادية وغيرها، مما زوده بطاقة بناءة كبيرة، ساعدته على تحقيق تلك المكانة السامية.

هذه الإمكانيات التي توفرت للعالم الإسلامي ليست بالمزايا المؤقتة التي تتغير بتغير الوقت ومرور الزمن ، وإنما هي راسخة ثابتة، بعضها أصيل في بنية البشر ، خالد في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم ، تتوارثه الأجيال جيلا بعد جد، وبعضها الآخر تمتد جذوره بعيدا في البيئة والأرض ، مما يضمن للأمة الإسلامية بقاء أبديا، ورفعة وازدهارا. هذه الإمكانيات البشرية الهائلة هي التي ترهب أعداء الله في كل زمان ومكان .

يقول الألماني " بول شيمتزر " في كتابه الإسلام قوة الغد : إن مقومات القوة في الشرق تنحصر في عوامل ثلاثة :

(١) في قوة الإسلام كدين ، وفي الاعتقاد به ، وفي مثله، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة .

(٢) وفي وفرة مصادر الثروة الطبيعية في رقعة الشرق الإسلامي ، الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربا إلى المحيط الهادي على حدود إندونيسيا شرقا. وتهيئ هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة قوية، ولاكتفاء ذاتي لا يدع المسلمين في حاجة مطلقة إلى أوروبا، أو إلى غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا.

(٣) خصوبة النسل البشري لدى المسلمين ، مما جعل قوتهم العددية متزايدة .

ثم قال : فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث ، تأخى المسلمون على وحدة العقيدة " وتوحيد الله ، وغطت ثرواتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم ، كان الخطر الإسلامي خطرا منذرا بفناء أوروبا، وبسيادة عالميه في منطقة هي مركز العالم كله ..

ثم يقترح لصدد هذا الخطر الذي صورته ماحقا لأمته : أن يتضامن الغرب المسيحي، شعوبا وحكومات ، ويعيدوا الحروب الصليبية في صورة أخرى ملائمة للعصر، ولكن في أسلوب نافذ حاسم .

ويقول روبرت بين في مقدمة كتابه السيف المقدس : "علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم ، لأنهم حكموا العالم سابقا وربما عادوا إلى حكمه مرة أخرى، سيما والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تطفأ، ولهذا ألقت هذا الكتاب لكي يقف القراء على اصل العرب..

ما هو الحل؟!

نعود إلى التساؤل يا قراء كيف ومتى غزوا أرواحنا ..

يقرر سعيد عبد الحكيم أن الكارثة استفحلت مع سيادة منهج التعليم الغربي في بلادنا.. كانت العلوم الغربية التي تعلمها أبناء الأمة الإسلامية في تلك المدارس والكليات مخالفة في أصولها وفروعها لأصول الأحكام الإسلامية وجزئياتها. . صورت لهم أن الدين مجرد عقيدة شخصية ، لا علاقة لها بالحياة الإنسانية، وأن الوجود الإلهي ليس بشيء ثابت ، كما أن الوحي شيء مرتاب فيه . وصوروا لهم العبادات والأعمال - التي هي في الإسلام فرائض وواجبات - على أنها من تقاليد العصور المظلمة الجاهلة، مما لا فائدة منها في الوقت الراهن .

اكتسبت الأجيال في هذا التعليم الغربي غير الإسلامي أموراً تتناقض وتتضاد مع تعاليم الإسلام في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخلاق، كان من نتيجة ذلك أن افترق أبناء الأمة القدرة على النقد والتمييز، واعتبروا كل ما تعلموه من الغرب مقياس الصحة . والصواب ، ثم راحوا ينتقدون الإسلام بهذا المقياس مع علمهم الناقص ، ونظروهم القاصرون ... وكلما وجدوا في الإسلام اختلافاً مع الغرب حملوا الإسلام ما ليس فيه ، بل اقبلوا على مبادئه وقوانينه يحرفونها عن وجهها، ويستبدلون بها مبادئ أخرى .

كانت تلك بداية استفحال الكارثة يا أمة.. ومن هنا يبدأ باب من أبواب العلاج.. ومن هنا أيضاً أرد على القارئة شيماء عز الدين التي كتبت تقول :

أكتب إليك وأنا أبكى... ولقد فكرت أن أكتب إليك يوم كتبت أنك لا تمتلك نفسك فتنهمر دموعك كلما قرأت آية : " ويضل الله الظالمين " عندما لا تتخيل كيف يصل إنسان إلى درجة الوحشية الهائلة وكأنه أكثر من شيطان.. إننى أتعذب عذاباً نفسياً هائلاً عندما أرى التناقض والفساد في كل شأن من شئون الحياة.. مناقضة الحقائق ببجاعة صارخة في كل الأمور.. في الدين والسياسة والزراعة والتاريخ والاقتصاد.. والناس ما بين ظالم طاغ متجبر قذر وذليل خسيس دنئ وغبي .. وعامتهم .. بل كلهم موتى صم بكم عمى لا يعقلون..

وتواصل القارئة رسالتها لتشارك في المعنى والتساؤل مع القارئة ف.ع.م خريجة الجامعة - كالقارئة الأولى - والتي كتبت تقول :

"... تعجبني مقالاتك كثيرا وتؤثر في نفسي تأثيرا عميقا ولكني لا أعرف بعد قراءتها ماذا أفعل.. أقرأ الكلمات كثيرا لكني لا أعرف كيف أترجمها إلى فعل.. وإن كلماتك وكلمات أمثالك حجة علينا عند الله تعالى.. فدلنا بالله عليك إلى الحل وإلى عمل أشارك فيه وكل قرائك.. إلى عمل يعود على الأمة بالنفع والخير.."

إنني أورد هذه الرسائل كي ندرك جميعا كم يتمزق شباب هذه الأمة مما يفعله السفهاء فيها.. أما عن الحل فلن تجود به قريحة كاتب.. الحل موجود.. كان موجودا دائما وسيظل موجودا أبدا.. حل لو اتبعناه لن نضل أبدا.. كتاب الله وسنة رسوله.. الحل موجود.. ونحن الغائبون..

الفكر المراوغ

لشدهما أرثي لنفسي ولكم يا قراء..
ذلك أن العقل خادع والحقيقة مراوغة..
وما قد تراه اليوم يقينا قد لا يكون سوى سراب..
وإننا لا نصل إلى الحقائق كلها بالدليل العقلي أو التسلسل المعرفي أو تركم المعلومات..
العقل خادع والحقيقة مراوغة..
ونحن نشبه - أحيانا - من ينظر إلى شاشة تلفاز فيرى عالما بأسره ثم يأتي من يقول له أنه يرى غير ما يرى ويسمع غير ما يسمع..
لا تحدوا البصر ولا تنظروا في الزوايا المظلمة والأركان البعيدة كي تروا ما يرى..
ولا تظنوا أن الصورة أمامكم باهتة ومهتزة وبعيدة..
ولا تظنوا بمن يقول لكم أنه يرى غير ما ترون الجنون..
لا تحدوا البصر.. بل البصيرة..
غيروا اتجاه الهوائي..
أو بللمسة واحدة غيروا قناة الاستقبال..

سوف ترون عالما آخر غير ذلك الذى كنتم مستعدين أن تقسموا
منذ ثانية واحدة أنه غير موجود وليس موجودا سوى ما ترون..
العقل مخادع والفكر مراوغ..
لقد مررت بهذه التجربة عندما قرأت العلامة محمود شاكر..
تجربة مروعة يقرأ..
تجربة مروعة تفهمون بعدها أن من يهدى الله هو المهتد..
أحيانا يقرأ .. أشعر أنني وأنكم مرضى.. وأن الجرعة السليمة
للدواء وللحقيقة قد تكون قاتلة..
اشتد بنا الداء يقرأ..
اشتد حتى لا نحتمل إلا العلاج المتدرج..
أنظر إلى نفسى وإليكم يقرأ أحيانا كمريض نفسى امتلأت نفسه
بالضلالات والهلاوس.. وأنا لو تعاملنا كأصحاء فقد هلكنا..
الفكر مراوغ يا قراء .. والعقل كثيرا ما يزل فيضل..
وقد تجد نفسك اليوم مقتنعا بفكرة أشد ما يكون الاقتناع .. مقتنع
بها حتى لتكاد تقايل أو تقتل من يقول بسواها.. ثم إذا بك ما بين
عشية وضحاها تكتشف كم كنت على باطل.. وكم كانت الحقيقة منك
قريبة وتحسبها بعيدة وعصية..
الفكر مراوغ يقرأ حتى لو صدق التاريخ فما بالكم لو كذب..
الفكر مراوغ يقرأ ويأكتاب ويا مفكرون فلا تصروا على ما
أنتم فيه من ضلال باسم الفكر والعقل..

الدكتور محمد إسماعيل المقدم

لقد طاف كل ذلك بخاطري وأنا أنصفح الموسوعة الضخمة التى
كتبها الدكتور محمد إسماعيل المقدم تحت عنوان : عودة الحجاب..
أعترف.. أننى رغم اهتمامى بكل ما ينشر إلا أننى لم أكن
أعرف شيئا عن الموسوعة حتى شرفت بلقاء كاتبها.. الموسوعة تقع
فى ثلاثة أجزاء وتناهل صفحاتها الألف وخمسمائة صفحة..
قلت لنفسى لعها طبع طبعة محدودة ووزعت على نطاق
ضيق..
ضيق..

فى الصفحات الأولى ذهلت..

كانت الطبعة التى بين يدى هى الطبعة الثالثة عشرة..

والموسوعة وإن كان عنوانها عن الحجاب إلا أنها سفر هائل للتاريخ يكشف كيف زيف وعى الأمة.. ومن الذين زيفوه..

وبمناسبة الاحتفالات الصاخبة واحتفالات عباد الشيطان بأعياد تحرير المرأة فقد كنت أود يا قراء أن أروى لكم ما جاء فى هذا السفر الضخم عن جذور المهزلة..

لكن .. هل تحتلمون جرعة الحقيقة يا قراء..!؟

كنت أريد أن أقتطع لكم من الموسوعة التفاصيل المخزية لجذورها ولحياة قاسم أمين..

كلاب سوط وكلاب صوت وكلاب قلم..

كنت أريد أكثر أن أقدم من هذا الكتاب نموذجاً للفكر الجاد المحاصر فى مواجهة الفكر السفيف المدعم..

هل كنت أستطيع أن أفعل ذلك؟..

أم تتناهنى وتتناهنى الكلاب لو قلت..

أولاد الميامس

فلتسمحوا لى إذن أن أوجل جرعة الدواء هذه لنتناولها مخففة فيما نشرته صحيفة الأسبوع^١ عن أعياد تحرير المرأة التى عقدت فى مدينة الأربعين ألف مئذنة.. فى القاهرة..

وأنا أقرأ الأسبوع تساءلت إن كانت كلمة " مومس " كلمة عربية صحيحة..

كنت أذكر بيتاً من الشعر أظنه لأبى العلاء المعرى يقول فيه:

العقلُ إن يضعفَ يكن مع هذه الدنيا كعاشقٍ مومسٍ تغويه

لكن الأمر كان يستحق العناء فبحثت فى لسان العرب:

امرأة مومس ومومسة: فاجرة زانية تميل لمريدها كما سميت خريعاً من التخرع وهو اللين والضعف، وربما سميت إمء الخدمة

١ - الأسبوع: ١١/٩ - ١٩٩٩ .

مُؤمِسات، والمُؤمِسات: الفواجر مجاهرة. وفي حديث جريج: حتى يَنْظُرَ في وجوه المُؤمِسات، ويجمع على مَيامِيس أيضاً ومَوامِيس،

وأصحاب الحديث يقولون: مياميس ولا يصح إلا على إشباع الكسرة ليصير ياء كمُطْقِل ومُطافِل ومُطافِل. وفي حديث أبي وائل: أكثر أثباع الدَّجَال أولاد المَيامِيس، وفي رواية: أولاد المَوامِيس؛ قال ابن الأثير: وقد اختلف في أصل هذه اللفظة فبعضهم يجعله من الهمزة وبعضهم يجعله من الواو، كلُّ منهما تكلف له اشتقاقاً ..

رجعت إلى صحيفة الأسبوع إذ تروى ما حدث في مؤتمر تحرير المرأة:

كاتبة تقول أنها سيئة السمعة.. وأخرى تعتبر الختان قطعاً للسان.. هجوم شديد على الشريعة الإسلامية والمطالبة بإلغاء قوانين الزنا والميراث..

كان الدين فريسة وكن كلاب الصيد وأسفرت الحقيقة العارية عن وجهها المومس فإذا بالتححر الذي يقصدنه مجرد بغاء.. مطلقة منهن كانت تدافع عن نفسها إذ تتقاضى نقوداً من أصدقائها الرجال.. وواحدة أخرى بلغت من المجاهرة بالفحشاء أن احتج صديقها عليها فصرخت فيه من على المنصة: لا تصاحبني إذن.. مندوبة الكويت خرجت على النظام.. أشعلت سيجارتها رغم منع التدخين في القاعة ففتحت الباب للباقيين للتدخين.. كالكويت!!

شاعرة مصرية تحدثت عن نجاحها وفشلها في تجاربها الجنسية وذكرت بجرأة تحسد عليها أسماء الأعضاء الجنسية وأوضاعها لدرجة أن إحدى الحاضرات من الجمهور اشتبكت معها بعد الندوة واتهمت الكاتبات بالابتذال الجنسي..

كاتبة مصرية أرسلت من أمريكا حيث تعيش - وحيث يعيش الخونة - تقرر أن ارتباط الشيطان باللذة الفنية لا يمنع من الإحساس بها.. وكذلك ارتباطه باللذة الجنسية لا يمنعنا من الإحساس بها..

أكثر ما آلمني .. أن الصحفية ميرفت إسماعيل عبد التواب وهي صحفية في الأهرام قد نشرت مقالا في الأسبوع تندد فيه بانعدام الحياء الذي ساد الندوة وتصرخ في نهاية المقال: على المرأة بعد

مائة عام تحرر ألا تطالب بقاسم أمين جديد إنما بمن يعلمها الدين
الذى كله حياء..

آلمنى ذلك.. لأننى فهمت أنها لو وجدت لفكرها فى الأهرام
مكانا لما لجأت لغيره..

وذلك وحده يكفى لكى يكون دليلا على عمق الكارثة..

اتباع الدجال

اختلفت كثيرا مع الأستاذ منصور أبو شافعى فى دأبه واجتهاده
وموسوعيته فى التصدى لرموز العلمانية والتتوير، كنت أرى دائما
أنهم أقل شأنًا من التصدى لهم، وأن الكتاب الإسلاميين الذين يعانون
الحصار ولديهم مهام كالجبال ينبغي عليهم تجنب هؤلاء الذين
لا يسعدهم شئ قدر التصدى لهم، فذلك يروج لكتبهم وأسمائهم
ويعطيهم قيمة لا يستحقونها.

والحقيقة أنه تناول أحدهم فسحقه سحقًا، لكننى قلت له: وماذا
بعد؟ لقد أثبت أنه كذاب وملفّق ومدلس .. أثبت أكثر من هذا كفره..
ثم ماذا.. إن رجل الشارع العادى الذى لم يقرأ له إلا حديثًا عابرا فى
مجلة يعرف عنه كل ذلك.. أنت تحاول إثبات قضية مثبتة، أما عن
الصوت العالى والصحافة السوداء والمجلات الحمراء فلا تلق لها بالا
لأنها ظاهرة من ظواهر حياتنا الثقافية والسياسية.

وكان رأيه أن هؤلاء الناس يمثلون أخطر ظاهرة تواجه المجتمع
الإسلامى^١ وأنه يجب مواجهتهم باستمرار لأنهم كالسوس الذى ينخر
فى أساس المجتمع. وكتب إلى يقول:

"قبل أى شئ أقول - بصدق- أنك واحد من الذين أدهشونى
بقدرتهم على الكتابة المغامرة التى لا تكتفى فقط بإضافة الجديد إلى
عقل القارئ، وإنما - والأهم - تسعى إلى تحريضه على الوعى
كحتمية لمواجهة تثار التتوير العلمانى الذين استهدفوا تضبيب الحقائق
لتغيب الثوابت الدينية والتاريخية عن الفعل.. تمهيدا لنفيها من إطار

١ - بعد أحداث الولىمة.. أجدين مسلما بأن الحق كان مع الأستاذ منصور أبو شافعى .

الثوابت وإدخالها فى إطار المتغيرات التى يمكن أو يجب تجاوزها.:
وهذا الهدف العلمانى - كما تعلم - بدأ بعلمنة الإسلام فى " الإسلام
وأصول الحكم لعلى عبد الرزاق وانتهى الآن بنفى إلهية الإسلام
والقرآن فى " الحزب الهاشمى وتأسيس الدولة الإسلامية لسيد
القمنى". وبهذه النهاية فقد نقل تثار التنوير معركتهم من مواجهة
أوهام الحكم والدولة الدينية ... إلخ ... إلى مواجهة الدين كعقيدة".
هل قرأتم يا قراء..

هل تريدون معرفة الهدف النهائى لرواد التنوير..
إنه كما ينقله الأستاذ منصور أبو شافعى عن أحد التويريين حيث
أنهى كتابا له بهذا البيت من الشعر:

لعبت هاشم بالملك فلا ... ملكٌ جاء ولا وحى نزل ..

هذه هى النهاية عندهم يا قراء مهما حاولوا إخفاءها ..

نبيكم دجال وأنتم وثنيون حمقى..

يا قراء: هذه هى نفس نظرة الغرب لكم ..

فيا قراء..

مالك لا تقاتلون فى سبيل الله..!!؟؟..

يذوب قلبي ..

ما من أحد منا برئ..

نعم..

ليس من حق أى واحد منا أن يدعى أنه برئ ..

كلنا نعلم..

وكلنا نصمت..

الله جل جلاله يجرمون عليه..

والقرآن يتجرعون عليه..

والدين مستباح..

بل إن كل هجوم عليه علامة تحضر وتثور..

كل ذلك مستباح..

وكل ذلك تستطيع أن تخوض فيه آمنا فى كل وقت وفى أى وقت باسم حرية التعبير والتنوير...

لكن جرب مرة أن تتحدث عما تفعله بعض قطاعات الشرطة خاصة ضباط مباحث أمن الدولة والسجون..

جرب مرة باسم حرية التعبير والتنوير أن تتحدث عنهم.. أو عن النيابة والقضاء..

جرب مرة أن تواجههم بالواقع الذى يقول فى تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان:

"صعدت الأجهزة الأمنية من إجراءاتها القمعية فى مواجهة الجماعات الإسلامية المسلحة، على نحو يشير إلى إطلاق يد الأجهزة الأمنية فى ملاحقة هذه العناصر وتصفيتها جسديا، دونما التقيد بأحكام القانون وهو ما أفضى إلى سقوط عشرات القتلى فى صفوف الجماعات الإسلامية على أيدي رجال الشرطة دون إحاطة الرأى العام بتحقيقات النيابة أو بتقارير الطب الشرعى فى هذا الشأن كما

استمر تعذيب المعتقلين فى مراكز الاحتجاز سواء بمقار الشرطة أو داخل السجون العمومية، وسقط مالا يقل عن ١٥ قتيلًا داخل هذه المراكز بشبهة التعذيب" ..

صحيفة فاسقة واصلت وتواصل الادعاء بأن المعتقلين يتعمدون إصابة أنفسهم كى يهدروا الأدلة التى ضبطت ضدهم ..

ليس حسنا.. بل رهيبا..

فقد ينطلى هذا الكذب والتزوير على المصابين فماذا عن الشهداء يا فاسقة؟..

يواصل تقرير المنظمة:

"وقد رصدت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وفاة ٩ من عناصر الجماعات الإسلامية بالسجون ومقار مباحث أمن الدولة، وأربعة مواطنين فى أقسام الشرطة خلال عام ، وتقدمت بمذكرة معلومات للنائب العام فى أواخر ديسمبر تضمنت قائمة بأسماء هؤلاء الأشخاص الذين تتور الشكوك حول وفاتهم نتيجة التعذيب وهم : فاروق احمد على، عفت محمد والى، محمود حسين محمد، حسين صلاح سيد، المحمدى محمد مرسى، محمد جمعة عبد السيد، احمد عبد الرحمن محمد، عيسى طاهر سليمان، بهاء الدين عبد الرؤوف ، محمد سلومة عبد الحميد، محمد عطية شمرو ل، عبد الستار رشوان ، عمرو محمد صفوت ، سيد حسنى فتوح..

لم تتناول الصحيفة أبدا موت هؤلاء..

تناولت فقط سمكة ميتة فى الخليج ومن أجلها وافقت وأيدت موت مليونى عراقى.. ثم ثبت أن السمكة قد جاءوا بها ميتة من بحر الشمال ووضعوها فى الخليج وصوروها.. وانتشرت الفضيحة .. لكن متى كانت الداعرات يخشين الفضائح..

كانت تلك الصحيفة أيضا من الذين شرعوا خناجرهم ومداهم لذبح منظمات حقوق الإنسان بتهمة التمويل من الخارج..

كانت بعض المنظمات حقا تستحق الهجوم.. لكن بعضها الآخر كان العلامة الوحيدة التى تدل على أن هذه الأمة مازالت تمتلك بقايا من شرف ومن ضمير..

لم يكن الهجوم عند الجبل من أجل التمويل الخارجى.. فبعض من هاجموا يحترفون التمويل الخارجى والداخلى ونهب أموال الأمة.. وصحفهم تخسر بالملايين لكنهم يتقاضون منها الملايين..

وذلك كله لا يهمنا الآن..

لم يكن علينا أن ننظر إلى من قال بل إلى ما قال..

ولقد قرر تقرير المنظمة السابق ذكرها أنها اهتمت بحالتين من حالات الاعتقال :

الأولى خاصة بعدد المعتقلين السياسيين الموجودين داخل السجون فقدرتهم بما لا يقل عن خمسة آلاف معتقل سياسى ..

أما الحالة الثانية، فتتعلق بأعداد من تم اعتقالهم بطريقة عشوائية من العناصر المتطرفة. وتقدر المنظمة أعدادهم بحوالى ١٥ ألفا، وتعتمد المنظمة بشأن هذا التقدير على البيانات الصادرة عن السلطات الأمنية بعدد العناصر المتطرفة والمشتبه فيهم الذين تم القبض عليهم فى أعقاب كل حادثة من حوادث العنف ، وكذا على الإحصائية الصادرة من مكتب التظلمات لدى النائب العام ، ببلوغ عدد التظلمات فى أوامر الاعتقال ٢٩ ألف تظلم خلال العام ..

كما ترصد التقارير الواردة للمنظمة أن معظم حملات الاعتقال والقبض قد اتسمت بالعنف الشديد ورافق بعضها فرض حظر التجول على بعض مدن الصعيد، كما رافقها فى الكثير من الحالات ، تعدى أجهزة الأمن على الأثاث والممتلكات فى المنازل التى جرى اقتحام العديد منها وتفتيشها دون التقيد بأحكام القانون..

وقد شهدت السجون حالات من الهياج والتذمر والإضراب بسبب استمرار وزارة الداخلية فى تجاهل أحكام الإفراج الصادر فى حق مئات المعتقلين ، ويعانى المعتقلون منذ تفجر الأحداث الأخيرة من منع الزيارات عنهم.. وتلقت المنظمة العديد من الشكاوى من أهالى المعتقلين تشير إلى استمرار حرمانهم من زيارة أقاربهم .. كما تعددت الشكاوى التى تلقتها المنظمة عن سوء الرعاية الصحية والتغذية كما اشتكى العديد من السجناء والمعتقلين من المعاملة السيئة من قبل ضباط مباحث أمن الدولة وضباط مصلحة السجون ، وأشار المتهمون فى أحداث أغسطس بأبى زعبل إلى تورط مباحث أمن الدولة فى هذه الأحداث..

وتظل أخطر الظواهر التى تعانى منها السجون ومراكز الاحتجاز المصرية هى اتساع نطاق ممارسة التعذيب داخل السجون

ومقار مباحث أمن الدولة وأقسام الشرطة.. وقد اشتد الجدل هذه الظاهرة اثر صدور قرار بإدانة التعذيب فى مصر من جانب لجنة مناهضة التعذيب بالأمم المتحدة ... إذ كثفت وزارة الداخلية تصريحاتها حول نفى وقوع تعذيب فى السجون ، ومحاسبتها المستمرة للتجاوزات لبعض الضباط ورجال الشرطة.

كما اتهم وزير الداخلية منظمات حقوق الإنسان بالكذب ومساعدة الإرهابيين وقد أصدرت "المنظمة المصرية لحقوق الإنسان" بيانا فى ٢٤ أكتوبر تعقيبا على تصريحات السيد الوزير أوضحت فيه التزامها المبدئى بالوقوف ضد التعذيب باعتباره ممارسة روتينية مستمرة جرى توثيقها ليس فقط من خلال تحقيقات المنظمة المستقلة، بل أيضا استنادا إلى المحاضر الرسمية للنيابة العامة والتقارير الطبية الرسمية فضلا عن صدور العديد من الأحكام القضائية التى تؤكد وقوع التعذيب على المتهمين..

كما أعربت المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن اعتقادها بأن الإنكار الدائم لوزارة الداخلية لوجود ظاهرة التعذيب فى مراكز الاحتجاز المصرية، لا ينفى وجودها الفعلى ولا يحول دون تفاقم أثارها السيئة فحسب ، بل يؤدى إلى إفلات القائمين على هذه الانتهاكات من العقاب.. لذا ناشدت المنظمة السلطات المعنية بإجراء تحقيق قضائى حول كافة الادعاءات والبلاغات المتكررة بشأن التعذيب وإعلان نتائج هذه التحقيقات للرأى العام ..

ثم يتحدث تقرير المنظمة عن حق المتهمين والمعتقلين فى المحاكمة العادلة فيقول :

" تابعت المنظمة بقلق بالغ المحاكمات التى جرت لمئات المدنيين الجماعات الإسلامية المتطرفة أمام المحاكم العسكرية خلال العام وتعتقد المنظمة أن المحاكمات قد أهدرت الضمانات الأساسية للمحاكمة العادلة المنصفة الواردة فى العهد الدولى لحقوق المدنية والسياسية، ومن بينها حق كل متهم فى المثل أمام قاضيه وحقه فى أن يتاح له وقت كاف لإعداد دفاعه، وحقه فى الاستئناف ، وحقه فى قضاء حقيقى يتمتع بالحيدة والاستقلال.. ففى حين أن القضاة المدنيين فى مصر معينون من قبل مجلس القضاء الأعلى وغير قابلين للعزل ضمانا لاستقلالهم ، فإن العسكريين هم

ضباط عسكريون عاملون يعينهم وزير الدفاع لمدة عامين قابلة للتجديد ويخضعون للعزل والترقية، مما لا يوفر الضمانات الكافية لاستقلالهم كما لا يتوافر لديهم الخبرة الكافية في تطبيق القوانين الجنائية على المتهمين المدنيين..

وقد لاحظت المنظمة في قضية الاعتداء على السياح والمنشآت السياحية التي ضمت ٤٩ متهما من بينهم سبعة هاربون .. أعلن الدفاع عن المتهمين عند بدء جلسات المحاكمة أمام المحكمة العسكرية العليا بالقاهرة في ٩ مارس عدم قناعته بإحالة المتهمين إلى المحاكم العسكرية، وأكد على عدم قانونية وعدم دستورية هذه الإحالة .. وطالب بتمكين المحامين من مقابلة المتهمين مشيراً لانقطاع كل صلة بهم منذ صدور قرار إحالتهم إلى المحكمة العسكرية وطلب من هيئة المحكمة التحقيق في الادعاءات المتعلقة بتعرض المتهمين للتعذيب والإكراه المادي والمعنوي للإدلاء باعترافات على غير الحقيقة، وتسليمهم " لضباط مباحث أمن الدولة " دون إذن كتابي من النيابة العامة بالمخالفة لأحكام قانون الإجراءات الجنائية .. وفي جلسة ٢٩ مارس أعلنت هيئة الدفاع عن المتهمين انسحابها من المحكمة ورفضها سماع شهود الإثبات ، بسبب رفض المحكمة منحها أجلاً جديداً للاطلاع على ملف القضية باعتبار أن الأجل الذي منحه المحكمة لمدة عشرين يوماً فقط غير كاف بالنظر لضخامة الملف .. وقد قررت المحكمة نذب محامين جدد للدفاع عن المتهمين وفي ٢٢ أبريل أصدرت حكماً في القضية بإعدام سبعة متهمين والأشغال الشاقة المؤبدة لثلاثة متهمين ، كما قضت بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة تتراوح بين ١٥ عاماً وعامين على ٢٢ متهماً، بينما برأت ساحة ١٧ متهماً آخرين ..

كذلك لاحظت المنظمة في قضية تنظيم الشوقيين والتي انتهت بإصدار أربعة أحكام بالإعدام وبالأشغال الشاقة والسجن لـ ١٣ متهماً أن المحكمة العسكرية قد أخلت بحقوق المتهمين الأساسية ورفضت الاستجابة لطلب الدفاع بشأن استدعاء شهود نفي، ولم تلتفت لدفع المحامين ببطلان الاعترافات لأنها وليدة التعذيب والإكراه الواضح والثابت في تقارير الطب الشرعي، كما لم تتح للمحامين الوقت الكافي للاطلاع أو لإعداد دفاعهم.. وأكد المحامون أن الأحكام الصادرة ضد المتهمين قاسية جداً بمفهوم القانون ذاته..

ليس حسنا بل رهيبا..

فما من أحد منا برئ..

ما من أحد منا برئ..

فلنواصل ما يقوله التقرير:

وتعتقد المنظمة أن حكم محكمة أمن الدولة السابق لا يشكل فقط إدانة واضحة لأجهزة الأمن المصرية بالتعذيب الذى صار من الناحية الفعلية جريمة لا عقاب عليها، وهو الأمر الذى يتأكد يوما بعد آخر من خلال اتساع نطاق دائرة ضحاياه وعجز النيابة العامة والجهاز القضائى عن وضع حد له ، بل يطرح أيضا العديد من التساؤلات الجوهرية بشأن تقييم المحاكمات العسكرية التى جرت خلال العام وما إذا كانت قد راعت الضمانات والحقوق للمتهمين بما يكفل تمتعهم بمحاكمة عادلة منصفة، أم أنها كانت أكثر حرصا على الحسم والإسراع فى المحاكمات دون إطالة فى الإجراءات - وهو ما أعلنه السيد رئيس الجمهورية هدفا لإحالة قضايا الإرهاب إليها- بصورة أدت إلى التضحية بالهدف الأول ؟ وهل راعت المحاكم العسكرية وهى تحاكم المدنيين أن الاعترافات الصادرة عنهم لم تنتزع قسرا، عن طريق الإكراه والتعذيب بحيث يتعين إهدارها؟ والواضح للمنظمة أن المحاكم العسكرية غلبت عنصر الحسم والإسراع على حساب عنصر الضمانات والحقوق للمتهمين ، ولم تلتفت للدفع الخاصة ببطان اعترافات المتهمين الصادرة عن طريق الإكراه والتعذيب، وفى قضية أحداث زينهم ، التى ضمت ٨ متهمين ، أثبت المحامون فى جلسة ٢٩ أغسطس تراجع رئيس المحكمة العسكرية عن قراره الصادر فى جلسة ٢٣ أغسطس بعرض المتهمين على الطب الشرعى لبيان ما بهم من إصابات وتاريخ وسبب حدوثها، واكتفى بمناظرة المتهمين وإثبات إصابتهم ، وعلل الإصابات بأنها حدثت نتيجة تعرضهم لضرب المواطنين أثناء القبض عليهم فى مسرح الجريمة وقد أكد المحامون أن قرار المحكمة باطل ، لأنه ضد مصلحة المتهمين وبعد سابقة خطيرة لم تشهدها المحاكم من قبل .. كما رفض رئيس المحكمة تسليم المحامين صوراً من محاضر الجلسات وطالبهم بالاطلاع فى قاعة المحكمة وفى جلسة ٧ سبتمبر قام رئيس المحكمة بانتداب محامين عسكريين للدفاع عن المتهمين ضد رغبتهم عندما انسحب محامو الدفاع بعد أن رفض رئيس المحكمة السماح لهم باستجواب الشهود بدلا من

تأجيل القضية والسماح لنقابة المحامين باندتاب محامين جدد وفي ١٥ سبتمبر أصدرت المحكمة العسكرية العليا حكمها في القضية بإعدام اثنين والأشغال الشاقة المؤبدة لأربعة وبراءة متهمين آخرين واللافت للنظر أن جلسات المحاكمة قد بدأت في ٢٣ أغسطس ثم أجلت أسبوعين للاطلاع أي أن المحاكمة استغرقت فعليا ١٣ يوما فقط..

ليس حسنا بل رهيبا..

وأنت يا أمة جميعا مسئولة..

رأيت الظلم والفاحشة فصمت..

إننى لا أريد أن أعادى أحدا..

لكننى لن أنكص عن هذا العداء إن كان من أعاديهم أشد وحشية من الوحوش وأكثر رجسا من الشيطان..

في غيبة مرجعية الإسلام تغولت الوحوش..

عندما كان رجاء جارودى^١ حينما كان معتقلا في الجزائر وشارك في القيام بتمرد أصدر الجنرال الفرنسي أوامره إلى الجنود الجزائريين بإطلاق الرصاص عليه وعلى زملائه من المتمردين.. لكن الجنود رفضوا إطاعة الأمر.. وهددهم الجنرال بمحاكمة عسكرية قد يترتب عليها إعدامهم رميا بالرصاص لكنهم أصروا على عدم إطاعة الأمر.. وبعد انفراج الأزمة سأل جارودى الجندي الجزائري لماذا كاد يضحي بحياته من أجل من لا يعرف.. وأجابه الجندي أنه يخاف الله وأن الإسلام وليس الجنرال الفرنسي مرجعه..

لقد فقدت أمناك يا أمة منذ تخلت عن الإسلام كمرجع..

في الخارج أصبحنا سخرية الأمم ..

وفي الداخل لا أمن ولا أمان ..

ما هي مرجعيته جنودنا ..

إنهم يخافون من رئيسهم..

١ - كيف صنعنا القرن العشرين. روجيه جارودى. دار الشروق- راجع أيضا: الإسلام والقرن الواحد والعشرون. الدار العالمية للكتب والنشر.

ومرجعيته أمر شفوى لا يجرو على كتابته أبدا ولا على قوله
فى العلن وإن كان لسان كبير لهم قد أفلت بها ذات يوم فصرح أنه
قد أمر جنوده " بالضرب فى المليان " فى سويداء القلب وأنه لن
يتورع عن قتل مليون فى سبيل استتباب الأمان فىاله من أمان...!!..

لم يكن الجنود كجنود جارودى وضربوا " فى المليان .."
وأنتم تباركون بالصمت أو بالهتاف يا حمقى.. يا رواد التنوير ..
إننى أنظر إلى الأمور فى إطارها الكلى.. ليس ثمة شئ عبث
ولا شئ سدى.. أرى مكر خير الماكرين..

خنتم الله وخنتم أنفسكم.. وظننتم أن الوحش الذى تتم تربيته فى
أقبية السجون لن يخرج منها.. لا والله.. لقد خرج.. وحش لا
مرجعية له ولا مسئولية عليه ولا قانون يحاسبه ولا عقاب يناله..
فقدتم الأمان والأمان..

إننى لا أتحدث عن بعض قطاعات الشرطة إلا كرمز.. ويمكنك
أيها القارئ أن ترفع كلمة : " الجندى " من السطور السابقة لتضع
مكانها أى مهنة .. أى مهنة أى مهنة.. حتى مهنة كبار شيوخك
ومصدرى فتاواك.. اسأل نفسك ممن يخافون؟!.. كل واحد يخاف
رئيسه.. والرئيس يخاف رئيسه ورئيس الرئيس يخاف رئيس الرئيس
وتستمر السلسلة.. سلسلة يباركها الشيطان حتى تقضى إلى نتائجها
الاحتمية فإذا بنا راكمون أمام إسرائيل منسحقون أمام روما الجديدة ..
وعلى الرغم من ذلك .. على الرغم من أننا قد فعلنا ذلك كى نحصل
على الأمان والأمان فلا أمن ولا أمان.. لا على مستوى الدول ولا
على مستوى الأفراد.. امش فى الشارع.. سوف يفترسك وحش
مسعور كذلك الذى افترس الصحافى محمد همام فى الشارع..والذى
يفترس ألف همام كل يوم لكن ذنبهم أنهم لا يعملون فى صحف كبرى
تسلط الضوء على قضاياهم..لا تمش فى الشارع.. قرّ فى بيتك..
ستقتلك سحابة مسمومة فإن أفلت فماء ملوث فإن أفلت فغذاء مسموم
.. وكل مرؤوس يخاف رئيسه ولا أحد يخاف الله .. ومن يخاف الله
إرهابى...!!..

هل تعرفون لماذا يا ناس؟!..
يجب أن نفهم الداء العضال قبل أى محاولة للقضاء عليه..

فمن يخاف الله لا بد أن يُرهَبَ الشيطان..

ومن يخاف الله لا بد أن يُرهَبَ أعداء الله..

والمسلم .. المسلم الذى يهتف كل يوم بـ : " الله أكبر " مائة وأربعة وثلاثين مرة فى صلواته المفروضة فقط يدرك إن كان يعنى ما يقوله أن الله فقط هو القوة وهو المرجع وهو المنتهى وأنه لذلك يجب عليه أن يخشاه وحده وألا يخشى سواه..

الجندى المسلم حقا هو الذى يقف أمام الجنرال ليهتف : لا طاعة لك فى معصية الله..

القاضى المسلم حقا هو الذى تهون عنده رغائب الحكام إن كانت فى معصية الله فيأبى أن يتلقى أمرا من حاكم أو أن يتولى قضية أحكامها معدة قبل أن يتولاها..

وكيل النيابة المسلم حقا لا يتلمس رضاء السلطة واتجاهاتها بل يتلمس مرضاة الله..

أستاذ الجامعة المسلم حقا .. لا يدلّس ولا يغش.. ولا يزور كى يكون أبناء زملائه فى المراتب الأولى..

رئيس التحرير المسلم حقا لا ينتظر " مهاتفة المساء " التى تخبره بما يكتب فى الصباح بل يكتب ما يمليه عليه ضميره وما يرضى الله..

رئيس لجنة الانتخابات المسلم حقا لابد أن يعلم أن التزوير من أكبر الكبائر فلا يقدم أبدا عليه..

التاجر المسلم حقا لا يدلّس ولا يغش ولا يغبن..

السائق المسلم حقا لا يستهين بالروح الإنسانية حتى لو كان يقود سيارة ملك أو أمير لأنه يعلم أن الله أكبر..

الطالب المسلم حقا لا يهمل دروسه لأنه يعرف أن الإلتقان فريضة..

المفكر المسلم حقا لا يرفض أن يستعبد تكنولوجيا الغرب لكنه يرفض أن تستعبد تكنولوجيا الغرب.. إنه يأخذ من الغرب ما يحتاجه من تكنولوجيا مهما كانت آفاقها وهو لا يخجل من أن تبدأ تلك التكنولوجيا من التغليف والإبرة ثم لا يخاف أن تنتهى بالقبلة النووية والصاروخ (الغريب أن دعاة الغرب يكتفون من تلك التكنولوجيا

بالملابس والسيارات وأدوات تجميل النساء .. والفياجرا...!! لكن حاول أن تحدث أحدا منهم عن حقنا فى تكنولوجيا الصواريخ والذرة)..

والمسلم حقا يعرف أن القنبلة الذرية والنووية وأسلحة الدمار الشامل هى أسلحة غير إسلامية لأنها تدمر وتقتل وتخرّب وتفعل ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وما حذر منه .. ذلك أنها تقتل الشيوخ والأطفال والنساء وتقتل الأشجار وتهلك الزرع والضرع.. لكنه بالرغم من كل ذلك يعتبر الحصول عليها فرض عين لا لكى يستعملها بل لكى يمنع أعداء الله من استعمالها.. أو من الاستهانة به وإذلاله لأنه لا يملكها..

العالم المسلم حقا لا يرضى أن يتفوق أعداء الله علينا وفرض الكفاية علينا عليه فرض عين..

ثم أن المسلم حقا إذ يتعلم من عدوه لا ينهار أمامه ولا يركع ولا يفقد ثقته بأنه الأعلى وبأنه واحد من خير أمة أخرجت للناس.. أجل.. لا يفقد المسلم حقا استعلاءه بالحق .. تماما كما فعل أسلافنا العظام حين واجهوا أكبر إمبراطوريتين فى التاريخ : روما وفارس.. أخذوا منهم التكنولوجيا ولم يتعلموا منهم الفساد..

والمسلم حقا لا يرفض أى شئ فى صالح الأمة من أى مكان فى العالم .. فالحكمة ضالة المؤمن.. أنى وجدها فهو أولى بها.. لكن المسلم حقا إذ يفعل ذلك يفعل به عقل يقظ وضمير نزيه .. وليس بطريقة المفسدين فى الأرض .. الذين يفسدون أرض الزراعة - على سبيل المثال - كى يتمكنوا من بيعها بأعلى سعر حتى لو جاعت الأمة.. ويخربون مصانع الأمة كى يفرطوا فيها بأدنى سعر وأعلى عمولة (العمولة اسم تنكرى للرشوة) حتى لو ضاعت الأمة.. فمثل هؤلاء يخربون الإسلام كى يتمكنوا الغرب منا.. ومنهم أولئك الذين يختزلون الإسلام فى بنود عقوباته دون حتى نظر إلى ضوابط التنفيذ..

المسلم حقا لا يختزل الإسلام فى الإعدام ولا التنوير فى الكفر ولا الفن فى الدعارة (فى أفلام فنان المستثيرين الرسمى عادل إمام تُعتبر الصلاة واللغة العربية والحجاب من سمات الإرهاب بينما العرى والخنا ومعاقرة الخمر دليل تحضر)..

المسلم حقا لا يسرق أصوات الناس ولا أقواتهم.. ولا يقهرهم ولا يروعهم ولا يحقرهم ولا يعذبهم..

أجل يا أمة.. فالإسلام أخلاق وتعامل..

والتعامل فى الإسلام ليس مادة دستور ولا كتاب مونتسكيو أو روسو وليس بندا فى القانون ولا تعليمات من مجلس الأمن أو النظام العالمى الجديد.. بل هو ميثاق مع الله..

التعامل فى الإسلام ضد البراجماتية والنفعية (كتاب الغرب المقدس الآن) .. أجل ضدهما .. وبضدهما نكون خير أمة أخرجت للناس..

التعامل فى الإسلام يجعل الله بينك وبين الآخر يحميك منه ويحميه منك..

والله هو الذى يحدد معايير الأخلاق فيقول وقوله الفصل: هذا حلال وهذا حرام.. هذا حسن وهذا قبيح.. ثم أن المسلم حين يفعل ذلك لا يفعله ابتغاء مرضاة السلطان ولا خشية طغيانه بل إنه يفعله ولو غضب السلطان وطغى..

المسلم الحقيقى يعرف أن الأخلاق كل لا يتجزأ .. وأن الأمانة التى عرضها الله علينا فقبلناها أمانة شاملة فلا يقال عن شئ أنه خارج نطاق الأمانة.. لا الأخلاق قضية فردية بين العبد ونفسه.. ولا السياسة شأن من شئون الساسة منفصل عن الأخلاق أو الدين.. ولا الحرب ولا الأمن ولا الانتخابات ولا الاقتصاد ولا الاجتماع ولا الفكر ولا حتى الفن .. ولا ساعة الجد ولا ساعة الترويح .. وحتى مسلسلات رمضان وفوازيه.. كل ذلك داخل فى شأن الأمانة التى حملناها.. وكلها داخله فى الميثاق المعقود مع الله وكلها يقوم بها المسلم حقا ..

يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه " واقعنا المعاصر ": الارتباط لا ينقسم بين لا إله إلا الله وأخلاقيات لا إله إلا الله، وإن هذه الأمة بحكم أنها أمة ربانية أمة عقيدة فهى أمة أخلاق وأن التزامها بأخلاقيات لا إله إلا الله هو معيار من معايير صدق إيمانها لا يمكن إغفاله، وأنها لا تستطيع أن تنقلب من أخلاقها ثم تزعم أنها صادقة الإيمان..

هل قرأت أيها القارئ فى التاريخ أبدا حاكما يطلب من أمته أن تقوم إن أساء ولو بحد السيف..

حكامنا المسلمون حقا قالوها..

أقصى ما يصلون إليه فى أعتى ديموقراطيات الغرب أن يعاملوا
الحاكم كغول يحيطونه بعشرات الضمانات والقوانين والمؤسسات كى
لا يطغى وكى يتمكنوا من مواجهة طغيانه إذا ما طغى.. ثم أن الحاكم
الجيد هناك من يرضخ تحت وطأة هذه المؤسسات لنبض شعبه.. لكن
لا أحد منهم أبدا يناشد الأمة أن تهدى إليه عيوبه..

هل رأيت أيها المسلم كيف أضعنا كنزا وأخذنا وباء..

وهل رأيت أيها كم خسرنا عندما أقصينا أنفسنا عن الله..

هل ترك الآن لم نفتقدنا الأمن والأمان..

وأى حماقة كانت حين تخلينا عن ضمانه أن يكون الله بيننا وبين
الآخرين فإذا بنا ننتهى الآن والشيطان بيننا وبين أنفسنا ثم بيننا وبين
كل الآخرين..

هل كان يمكن أيها القارئ تحت رايات الإسلام أن ترى ذلك
الجبروت البشع فى قهر أمم وتعذيب أبرياء - أو حتى غير أبرياء -
فى أقبية السجون وهم لا حول لهم ولا قوة..

هل كان يمكن لضابط أمن الجمهورية أو المملكة أو الإمارة أن
يكون بكل هذه الوحشية لو أن الله كان بينه وبين ضحيته..

وهل تدرك الآن جريمة الطواغيت الذين يحاربون الإسلام
ويحاولون عزله..

أننى إذ أكتب لا أقول لك كل ما عندى.. لتعلم ذلك منذ
البداية.. فليس كل ما يحدث يعرف .. ولا كل ما يعرف يُقال..
ولا كل ما يقال يكتب.. ولا كل ما يكتب يستشهد به.. لا تخدع
نفسك إذن بأننى أنقل لك صورة لقمة الجبل فما أنا وأنت إلا زاحفين
على سفحه.. ولا تظنن أنى مبلغك بعظائم الأمور.. بل أبلغك فقط
ببعض ما تسرب..

اعلم إذن أيها القارئ أننى لا أنقل إلا القشور..

أننى من بحر الدموع أغترف مجرد دمة..

ومن قرار الجحيم لا أكويك إلا بجمرة..

ومن حدائق الشيطان لا أتيك إلا بغصن صغير..

ولتعلم أن الأنين الذى قد يتردد فى حلقك يجب أن يكون صراخا.. وأن الصوت الذى يخرج من فيك يجب أن يكون نواحا.. وأن الدموع التى تختنق بها عينيك اغرورقا يجب أن تكون طوفانا..

أَنْ يَبْنَؤُا أَنَا وَأَنْبِنَا وَأَنَا وَتَانَا...

لا تَتَأَوَّهْ بل اصرخ..

لا تهمهم بل عليك بالعويل..

بُخْ وَبُخْ..

اصرخ أيها القارئ ألى كنت.. اصرخ فى وجوه الجبابرة: إن المجتمع الذى يسكت عن إذلال بعض أفرادهِ هو مجتمع مختل ومريض وبلا كرامة..

اصرخ أن الكل مسئول..

الكل مسئول..

الكل مسئول.. ليس ذلك فقط.. بل إن المجتمع الذى لا يتحرك أفرادهِ لرفع الضيم عن مظلوم والذل عن ذليل .. إما عن خوف وإما عن خسة .. هو مجتمع لا بد أن يكون ذليلا ولا بد أن ينتمى إلى أمة ذليلة.. وأن ذل الخارج هو الوجه الآخر لذل الداخل.. وأن النخبة المذلة لبعض شعبها لا بد لها أن تكون - فى أفضل أحوالها - مُدَّة ومهانة أمام قوى الخارج.. ذلك أن البديل الوحيد أمامها كى تهرب من الذل والمهانة.. ليس سوى الخيانة..

فى الولايات المتحدة الأمريكية، كانت رواية هاريت بيتشر ستو: "كوخ العم توم" التى فضحت أنماط الذل الذى يتعرض له العبيد من أسباب انفجار الحرب الأهلية الأمريكية التى نشبت كى تخلص هؤلاء العبيد من ذلهم (يكفيك ألما الآن أيها القارئ.. لذلك لن أضغط عليك بالإسراف فى تذكيرك أن هؤلاء العبيد هم نسل أجدادك المسلمين الذين استسلموا ذات يوم - كما تستسلم أنت اليوم - لذل حكاهم).. رواية كوخ العم توم هزت الضمير الأمريكى كله.. أسفرت عن أهم حدث فى تاريخ الأمريكيين حتى الآن.. فجرت الحرب.. فلماذا لم تهز رواية العميد حمدى البطران ضمائرنا كما

هزت ضمائرهم .. أم لم تعد لنا ضمائر .. ولمن يدعى أن ما كتبه حمدي البطران مجرد رواية نقول أن ما كتبه هاريت بيتشر ستو كان أيضا مجرد رواية .. أما أنت يا أمة فاعلمي أنك بصمتك تكررين ما فعله أسلافك .. وأيقنى أن أبنائك وأحفادك سيكونون خدما وعبيدا عند أعدائك ..

أريد أن أذكرك أيضا أيها القارئ، أن مجموع الممارسات البشعة المذلة المهينة الحيوانية المتوحشة التي تعامل بها الآن شعوبنا هي التي حلت محل التعامل بالشريعة الإسلامية التي اتهمها الوحوش المتخلفون الهمج بالوحشية والتخلف والهمجية .. هي التي حلت محل سماحة الدين وإعلائه لكرامة البشر حتى جعلت حرمة دم المسلم أشد عند الله من حرمة بيته الحرام ..

هل حرمة دم المسلم تساوى الآن يا أمة عند جلاذك حرمة دم كلب أو دم ذبابة؟ ..!

هل حرمة دم المسلم تساوى حرمة دم الدرافيل؟ ..!

كنت أحاور أحد الذين عانوا بلاء الاعتقال في سجون الجبابة .. كنت أقول له أننى أظن أن الحال الآن أفضل بكثير مما قبل .. ونظر نحوى مشدوها مستنكرا ومحتجا .. وقلت له مبررا أن أحداث التمرد في السجون قلت وكذلك شكاياتهم .. وصرخ الرجل فى وجهى:

فى البدايات الأولى كان يموت كل عام معتقل لكن الثورة والإضراب والتمرد فى السجون والمعتقلات كانت تحدث كل أسبوع .. الآن لا يكاد يمر أسبوع دون ضحية .. لكن التمرد لم يعد يحدث أبدا ..

ونظرت أنا نحوه هذه المرة أنتظر تفسيراً ومبرراً للتناقض فاندفع يقول:

اليأس .. اليأس الكامل المطلق المطبق الأسود .. كانوا يثيرون فى البداية لردع الوحشية التى يعاملون بها .. فلما قوبل التمرد بوحشية أشد ثاروا لعل أنينهم وصراخهم يصل إلى خارج المعتقلات والسجون .. إلينا .. ومنا كانوا يلتمسون الغوث .. فلما نكصنا عن إغاثتهم .. لما صمتنا صمت القبور .. وأدركوا أن التمرد على كلمة

يستدعى صفقة.. ورفض الصفقة يولد ركلة .. وعدم الاستسلام للركلة يوجب السوط.. وعدم الرضا بالسوط يتمخض عن إطلاق الرصاص.. حيث لا يعانون مجرد الموت.. بل يعانون الموت المتكرر.. الموت الذى لا ينتهى بالموت.. يتأله الجبابرة.. يصلون بضحاياهم إلى مشارف الموت كل مرة ثم يتركونهم يعودون إلى الحياة من جديد كى يذيقوهم بعد ذلك الموت من جديد .. كل يوم موت .. كل يوم موت .. ليس موت شخص يذهب فيموت بعده شخص آخر.. بل الكل يموت ثم يموت ثم يموت .. بلا أى أمل ولا فرصة فى النجاة .. لا الأمة تتكلم.. ولا المجالس تعترض.. ولا الصحف تكتب.. وحتى أحكام القضاء بالبراءة والإفراج لا تفيد.. عندما حدث كل ذلك ملأهم اليأس .. استسلموا.. أنت لا تعرف نوع الخيارات المرة التى يتعرضون لها..

صمت محدثى قليلا.. هل كان يقاوم دمة .. هل كان يمنع دفقة بكاء.. هل كان يتماسك كى لا ينهار..!؟.. واصل الحديث فى أعقاب الصمت قائلا:

- تمنع الزيارة شهورا.. وعندما يسمحون بها يخبرون المعتقل الأسير أن له زيارة.. يقولون له أنه إذا أراد أن يلتقى بأهله فإن عليه أن يمر بين صفين من الجنود ينهالون عليه بالضرب الوحشى حتى يصل إلى أهله مضمخا بالدم مسربلا الألم.. حطاما بشريا أو أنقاض إنسان تقوض.. فإن كان من أهله امرأة محببة أو منقبة فإن جلادا آخر يكشف ما أمر الله بستره.. ثم ينطلق أمام الشلو الدامى يكيل لها السباب كى يحيلها هى الأخرى إلى شلو آخر .. يسبها .. ليس أى سباب.. وإنما ذلك السباب المنتقى لخدش العرض والذى يحطم ما تبقى من كرامة الرجل إن كانت ما تزال لديه بقية لم تنسحق.. والسجين مخير بين أن تتم الزيارة بهذه الطريقة أو لا تتم..

رحت أنظر إلى محدثى وقد عقد الألم لسانى فانحبس صوتى..

ولم يكن المسيطر على خواطرى ووجدانى مجرد آلام المعذبين.. بل طوفان آخر من الألم .. حين رحى أفكار فىك يا أمة.. ورحى أتخيل .. أى درجة هائلة من الترويع والإرهاب والقهر والخوف والجبروت تعرضت لها حتى تصمتين عما يحدث لبعض بنيك صمت السائمة..

لا والله.. بل أكثر من صمت السائمة..

فما كل السوائم تسكت عن الضيم .. بل إن منها من يثور
وينتقم ..

أى نظام غير الإسلام اخترتموه يا حمقى..
وما المصير الذى قاد أمتكم إليه بعد أن تركتم شرع الله؟!..
أعليتم العقل وبخستم الإيمان؟!..
لا والله..

لأن قمة نضج العقل البشرى أن يدرك محدوديته ونسبته ..
وقمة نضجه أن يعمل حتى طاقته القصوى لكن فى إطاره..
وقمة نضجه أن يدرك أن الله خارج إطاره وإمكانياته وقدرته..
وأنه ليس من حقه أن يحكم هو على الله .. ولا على شرع الله..
ليس من حقه أن يتأمل الشريعة ليقول : هذا عدل وهذا ظلم..
أو هذا خطأ وهذا صواب..
عليه أن يدرك أن أقصى طاقاته أن يصل إلى تخوم الإيمان..
أو أن يستنبط آيات الإعجاز حينما يتعدى تلك التخوم..
عليه أن يدرك أنه إذا حاول غير ذلك فليس عقلا جامحا بل
جنونا مطبقا..

كرافع أثقال يفكر فى حمل الكرة الأرضية..
كمن يحاول أن يسمع بعينه أو يرى بأذنيه أو يطير محلقا فى
أجواز السماء بقدميه..

العقل نسبى.. لا يستطيع أبدا أن يحكم إلى المطلق..
لا يصح إذن يا قراء أن نقول أننا مؤمنون ثم نؤمن ببعض
الكتاب ونكفر ببعض معتمدين على أحكام عقولنا التى تقبل هذا
وترفض ذاك..

ليس هناك نصف إيمان ونصف كفر..
وتلك الجرأة الفاجرة على الدين وعلى الله ليست استنارة
ولا تقدما وإنما مجرد جهل وكفر وفجور..
وأولئك الذين يدعون قدرتهم على صياغة نظام بشرى يفوق
شرع الله ليسوا سوى مجانين حمقى.. بل ومجرمين .. إن نظامهم

البشرى - العلماني - لا يمكن أن ينشأ إلا على أنقاض الدين ذاته.. وهو نظام لا يمكن أن يقبله العقل إلا بعد أن يكفر بالغيب والآخرة والجنة والنار.. وإن نظاما لا يضع الآخرة في حسابه حيث العدل المطلق والرحموت المطلق والجبروت المطلق والحساب الأخير هو نظام بالضرورة كافر.. ونظام يدعى الإيمان ثم يتجاهل كل ذلك هو نظام منافق مجنون..

من أجل ذلك فإن الخيار محسوم في الاختيار ما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كأسلوب للحياة ومنهج..

ولو طرح علينا الاختيار أن نكون كأمریکا بكل جبروتها وغناها.. أو كأوروبا بكل ألوان ديموقراطيتها.. فإن الاختيار محسوم في قلب كل مؤمن..

ليس لمجرد أننا نؤمن بالغيب رغم أن هذا وحده سبب كاف.. وإنما لأن العقل الصحيح أيضا يقول أن حضارتنا وديننا أرقى بما لا يقاس..

أرقى بنفس النسبة بين الله وبين الناس إن صح أن تكون ثمة نسبة..

لو اخترنا الحضارة الغربية إذن نكون قد أخطأنا خطأ مروعا..

فهل الأمر الآن هو أمر الخطأ المروع ذاك..

أم أننا أضل سبيلا..

ظلمنا فضلنا السبيل ..

وواصلنا ظلمنا فأضلنا الله..

فالاختيار المطروح علينا الآن ليس الحضارة الإسلامية أو الحضارة الغربية..

ولو أننا كنا الآن سويسرا أو أمريكا أو حتى بريطانيا .. بل لو كنا إسرائيل لاختلف الأمر..

كان يمكن لنا ساعتها أن نقول أننا اخترنا الدنيا وخسرنا الآخرة.. وأن في الدنيا مغريات كثيرة تبيح لنا أن نفضل عصفورا في اليد على عدد لا نهائي من العصافير في الغيب..

مثل هذا المنطق منطق الشيطان لكنه منطق..

لكننا دون حتى منطق الشيطان..

لقد تركنا تعاليم الإسلام.. اتهمتها نخبتنا أنها سر بلايانا
وتخلفنا..

فهل انتهى التخلف أو توقفت المصائب؟..
وهل عندما تركناها تركناها إلى معادل موضوعى ولو كان
خطأ؟..

هل تركنا البيعة مثلاً إلى انتخابات حرة ونزيهة كما هى
فى الديموقراطية الغربية؟ أم إلى انتخابات دامية فاضحة التزوير..
هل تركنا أحكام الدين إلى أحكام أخرى لها منطق وقانون؟..
أم أننا تركنا أحكام الدين إلى اللا منطق واللا قانون..

لكم اشمأزت الوجوه النجسة من حدود الدين ولكم تخرصت
الأسنة المخمورة متهمة الدين بالقسوة والوحشية بسبب الحدود
(وتلك قضية ناقشناها فى مقال سابق وضح فيها مدى الزيف
والبهتان الذى يدعونه عن الدين).. لكن هل تركنا ما اشمأز منه
المناكيد إلى مجال لا يعاقب الإنسان - من فرط الرحمة والحنان
والرقة المدعاة - حتى وإن أخطأ.. أم تركناه إلى نظم همجية وحشية
مسعورة تعاقب الإنسان حتى ولو لم يخطئ.. بل تحاسبه بالذات إن
لم يخطئ.. بل تسحقه سحقاً.. وتلك الوجوه النجسة والأسنة
المخمورة التى اشمأزت من قسوة حدود الدين وعقوباته هى التى
لم تنطق ببنت شفة والرقاب تقطع والعيون تسمل والجلود تحرق
وتجلد والأمم تقهر فى سبيل الحاكم الرئيس الأمير الملك.. وفى سبيل
الشیطان..

ليس حسنا يا فجرة..

فهناك رقاب تقطع والأسنة تنزع وثروات تنهب وأمم تستباح..

هناك تعذيب وهناك تزوير..

تصرخ فيهم بذلك..

فلا تملك كلاب جهنم إلا أن ترتدى مسوحا زائفة للحكمة لتحديثك
عن السياسة التى هى فن الممكن لا المستحيل.. ثم محاضرات طويلة
ومقالات لا أول لها ولا آخر عن تطور المجتمعات وعلم السياسة
والتاريخ والمنطق..

يا فجرة: هناك قتل وتعذيب وتزوير..

ويأتيك الرد أطنانا من الكلمات لا يأتى فيها أبدا ذكر التعذيب والتزوير.. لأنهم لو تطرقوا إليه فلا بد أن يحددوا المسئول عنه.. ولكن الوجوه النجسة والألسنة المخمورة لا تجرؤ.. إنها تجرؤ فقط على الطعن فى شرع الله.. نصرخ فيكم: هناك قتل..

لا تمدوا أيديكم لتتناولوا كتابا يحدثنا عن السوسولوجيا.. اصرخوا معنا: القتل إجرام ويجب أن يتوقف.. الآن على الفور وليس بعد خمسين عاما أو مائة عام تحملنا فيها عربة تطوركم لتجاوز تلك الوحشية والهمجية.. وعربة تطوركم هذه غيب لكنه غيبكم الذى تؤمنون به دون غيب الله.. يا فجرة: هناك قتل..

يجب أن تصرخوا معنا: هذا إجرام ويجب أن يتوقف على الفور..

يا فجرة: عندما نصرخ فيكم: هناك تعذيب فلا تعدونا بأن يقودنا التطور إلى توقف التعذيب بعد مائة عام بل اصرخوا معنا: يجب أن يتوقف التعذيب على الفور وأن يحاسب مقترفوه..

يا فجرة: عندما تزور الانتخابات فلا تغرقونا بالكلام والتحليلات والخطب بل اصرخوا معنا وساعدونا كي نوقف هذا التزوير.. يا فجرة: حصانات مجالسكم النيابية تحولت إلى ستار يحمى اللصوص كي لا نلاحقهم..

لا تصمتوا صمت القبور.. بل اصرخوا معنا أن العضوية فى بيت آل النبى لم تكن تمنح حصانة لفاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم - إذا سرقت..

هل رأيتم يا قراء كيف ضلوا وأضلونا وأضلهم الله.. ألا أجد من بينكم من يرفع قضية لإلغاء الحصانة لعدم الدستورية فلا حصانة فى حضارتنا الإسلامية الراقية السامية حيث الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم إلا بالتقوى..

١ - المحامى الكبير الأستاذ عبد الحليم رمضان رفع دعوى بإلغاء الإسلام واعتماد العلمانية دينا وإعلاق المساجد وتسليمها للحزب الحاكم كمعاهد لتدريس العلمانية!!.. وسألته فى دهشة.. فأجاب أن المحكمة سوف ترفض الدعوى بالتأكيد مما يعنى إقرار القضاء بإسلامية الدولة.. عندئذ سيرفع دعوى أخرى لتمكين الإسلام لأنه مستبعد.

يا معشر الكتاب والمفكرين..

إن الطبيب الذى يترك مريضه ينزف ويذهب ليبحث فى كتب
الطب عن طريقة وقف النزيف ليس طبيا جاهلا فقط .. بل وقاتل
أيضا..

ورجل الإطفاء الذى يترك الحريق مشتعلا ليطلع على تاريخ
الحرائق ليس مجرد جاهل وإنما مجرم أيضا..

والمفكر الذى يترك التعذيب وإهدار القانون وتحدى أحكام
القضاء واتخاذ الأبرياء رهائن ليس مفكرا وإنما دجال يخون أمته
ودينه..

يا معشر الكتاب والمفكرين..

هاتوا أيديكم..

ضموا أصواتكم إلى صوتى..

واصرخوا معى:

ليكن آخر القرن العشرين هو آخر عهدنا بالتعذيب..

أما أنت يا أمة ..

فالعيب عليك ثقيل .. والمسئولية أمام الله باهظة..

أشك يا أمة تذبذب قلوبها كما يذوب الملح فى الماء مما ترى
ولا تستطيع أن تغيره أن تقبل لنا صلاة أو يرفع لنا صوم وكل هذه
الجنايات والكبائر تحدث فلا تغيريها..

نهلك يا أمة.. يهلكنا فسوق بعضنا وإجرامه..

ولقد صدق الصادق الأمين..

نعم..

صدق..

صدقت يا سيدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم صدقت..

"أماتوا الصلاة واتبعوا الشهوات وكان الأمراء الخونة
والوزراء الفسقة.." .. صدقت..

و "أصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا.." ... صدقت..

"وعندها -يا سلمان- يذوب قلب المؤمن فى جوفه كما يذوب
الملح فى الماء مما يرى ولا يستطيع أن يغيره.." ... صدقت..

"يؤمن الخائن ويخون الأمين.." .. صدقت..
"يصدق الكاذب ويكذب الصادق.." .. صدقت..
صدقت يا سيدى ويا حبيبى ويا مولائى .. صدقت ..
وقومنا الآن هم القوم الذين أخبرت عنهم..
"قوم يمشى المؤمن بينهم بالمخافة.. إذا تكلم أكلوه.. وإن
سكت مات بغیظه.." .. صدقت..
هذا هو الزمن الذى "تفيض فيه اللثام فيضا.. وتفيض الكرام
غیضا.. ويعظم فيه رب المال.. ويباع الدين بالدنيا.. وتلتبس الدنيا
بعمل الآخرة.." .. صدقت..
ظهر القوم الذين "جثثهم جثث ناس وقلوبهم قلوب شياطين..
صدقت..
"عليهم لعنة الله.." .. صدقت..
"كثرت الشرط.." .. صدقت..
"كثرت الصفوف وتباغضت القلوب واختلفت الألسنة.." .. صدقت..
"يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب" صدقت ..
علمائنا "شر من الجيفة.." وهم شر خلق الله على وجه
الأرض.. منهم بدت الفتنة وإليهم تعود" .. صدقت..
لو أنهم يا سيدى ويا حبيبى ويا مولائى أفقتوا أن التعذيب كبيرة
لا يبررها أمر ولى أمر لما استمر كل هذا التعذيب والظلم..
لكنهم لم يفعلوا..
وما أظنهم فاعلين..
بل إنهم "يعينون على المنكر .. بل منهم بدأت الفتنة"..
صدقت..
"ذهب الخير وأهله وبقي الشر وأهله" صدقت ..

"ألهتنا الجبابة فيمنعون حقوقنا ويملئون قلوبنا رعباً" ..

صدقّت ..

"اغبرّ الأفق .." ... صدقت ..

"تشتائم الناس وفسدوا.." ..

صدقّت ..

"كثرت الأشجار وقلت الثمار وغلت الأسعار" ..

صدقّت ..

"قلّ الرضا واستعملوا السفهاء علينا وكثرت الخيانة وقلت
الأمانة وزكى كل امرئ عمله ونفسه واشتهر كل جاهل بجهله" ..

صدقّت ..

"كثرت الآيات ، وتتابع العلامات وتراجمنا بالظنون ودارت
علينا رحي المنون" ..

صدقّت ..

"عميت القلوب وذهب التواصل وعم الفساد وصارت المباهاة
فى المعصية والكبر فى القلوب والجور فى السلاطين" ..

صدقّت ..

"صار الناس بحيث لا يعبأ الله بشيء من أعمالهم" ..

صدقّت ..

"ويل لنا من الله" ..

صدقّت ..

"إن تكلمنا قتلنا وإن سكنا قتلنا" ..

صدقّت ..

ويل لنا ..

ويل لنا ..

ويل لنا ..

ملف وليمة الأعشاب البحر

المقالات التي هزت العالم الإسلامي
النصوص الكاملة لبيانات الأزهر الثلاثة
خطبة فضيلة الشيخ يوسف القرضاو
هوامش المؤلف

لو كنت مكان الدولة لكرمت الدكتور محمد عباس

الرواية فى ميزان الإسلام : ساقطة داعرة.. فى ميزان العقل:
مختلة فاسدة.. فى ميزان الأدب: ضعيفة مهترئة..

(..) اتهام الدكتور محمد عباس بالإثارة والتهيج اتهام ساقط(..) إنه أديب وناقد من الطراز الأول بكل المقاييس فالرجل له روايات وقصص لها قيمتها الفنية والأدبية ، وقد رأيت بعض أساتذة الأدب فى إحدى الجامعات العربية يصف محمد عباس بأنه رائد فن : "المقال الدرامى" ويقدم نماذج من هذا الفن لطلابه كمادة دراسية ضمن منهج : "الفنون النثرية فى العصر الحديث" ولا يستطيع منصف أن ينكر أن محمد عباس معروف مشهور على مستوى الوطن والأمة العربية والإسلامية، وجاليات العرب والمسلمين فى أوروبا و أمريكا من سنوات ككاتب شديد المراس، متميز المنهج والأسلوب، يقصد بكتاباتة وجه الله ومصلحة الوطن ونصرة الإسلام.

الأستاذ الدكتور / جابر قميحة

أستاذ الأدب العربى

لا إله إلا الله..

من يبايعنى على الموت..

تبت أيديكم .. لم يبق إلا القرآن ..

ماذا لو قلنا أن رئيس الوزراء خراء ؟!

لا إله إلا الله ..

بكيت..

جرح قلبى كما لم يجرح من قبل..

لم يكن طول الجرح بالمسافة بل بالزمن .. جرح طوله ألف
وخمسمائة عام..

صرخت: تبت أيديكم .. أيما كنتم .. وأيما كنتم.. وأيما أنتم .. وأيا
كان من وراءكم.. يا كلاب النار يا حطب جهنم..

تبت أيديكم.. وتبت أيدى من يسكت عنكم بعد اليوم..

لا إله إلا الله..

بكيت يا قراء .. صرخت..

وصلت الإهانة إلى نخاعى فزلزلت عظامى .. فذابت دموعا..

تمنيت لو أننى مت قبل هذا اليوم وكنت نسيا منسيا..

تمنيت ألا يأتى الله بى يوم القيامة على هذه النوازل الهائلة
ولو كشاهد .. لأن الشاهد هنا أسوأ من ديوث.. ومثل تلك النوازل لا ينجو
منها من يشهد عليها بل من يستشهد فيها .. أو ينتصر..

اختتقت..

لا إله إلا الله..

لم أشعر بمثل هذا الشعور طيلة حياتي..

وكما يحدث لأفراد العائلة يجتمعون عند المصاب الجلل راحت ألامى
يستدعى بعضها بعضا.. ينادى بعضها بعضا.. فلا أملك من العزاء إلا:

لا إله إلا الله..

رحت أستعيد الآلام ألما بعد ألم.. وكارثة بعد كارثة.. وداهية بعد
داهية.. ومصيبة بعد مصيبة.. ورحت أقول لنفسي أن أشد آلامنا وأعظم
كوارثنا وأدهى دواهيها وأنكى مصائبنا لم تأت من أعدائنا.. بل جاءت على
أيدي ولاة أمورنا..

فاض بى الألم.. وأنا أهتز وأترنح كالمذبوح ..

لا إله إلا الله..

أمسكت بالهاتف واتصلت بصديق كى أبثه همى..

ما أن بدأت الحديث حتى أبعدت المسامح عن فمى على الفور.. فقد
كنت أنتحب.. وكنت أشعر بالخزى من نفسى.. ومن أمتى.. وبالخجل
من الله..

استطعت بعد جهد جهيد أن أقرأ للصديق بعض الجمل التى انصبت
على جسدى كالنار.. كرصا ص منصهر.. طفحت من كتاب داعر فاسق
فاجر كافر.. طبعته لنا ونشرته بيننا وزارة الثقافة المصرية.. وليس
الإسرائيلية ولا الأمريكية..

لا إله إلا الله..

كانت الكلمات التى نشرتها وزارة الثقافة المصرية^١ تقول:

لا أستطيع أن أكتب تلك الكلمات فلا إله إلا الله.. لا أستطيع أن أنقل
ذلك الفسوق ولا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

~~~~~ يا قراء..

حرون هو القلم فى يدي..



تتأبى الكلمات على بيانى..

وتستعصى الحروف على لسانى..

وقلبي لا يطاوعنى أن أنقل لكم الكلمات الفاسقة الداعرة الكافرة التى  
أوردها كتاب فاسق داعر كافر.. نشرته هيئة لابد أن تكون لابد أن تكون  
فاسقة داعرة كافرة تحت رئاسة مسئول لابد أن يكون داعرا فاسقا كافرا..  
آآآه..

لا إله إلا الله..

لو أنصفت يا قلم لانكسرت..

ولو أحسست يا ورق لاحتترقت..

فهل تريدون الآن أن تعانوا ما عانيته يا قراء..

إليكم ما طبعته ونشرته وزارة الثقافة المصرية:

" وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء، فى عصر  
الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين إلهة السبدو وتعاليم  
القرآن.. خراء " ..

آآآه..

إلهة السبدو..؟؟؟!

القرآن..

خراء..

لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله  
إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله ..

يا ليت أُمى لم تلدنى..

لو أن صاعقة من السماء انقضت على أم رأسى لما شعرت بمثل هذا  
اللهيب اللافح فى رأسى..

لهيب..

لا لهيب الشمس فى الصحراء .. بل لهيب قلب الشمس حيث كل شيء  
ذوب منصهر..

شعرت بالدوار يا قراء..

غامت عيني.. وغامت الدنيا..

صرخت فى نفسى: كيف يا صفيق قرأتها فلم تمت الفور.. كيف؟!..

كيف يا صدى الروح قرأتها فلم ينفجر النزيف فى رأسك على الفور..  
كيف؟<sup>٣</sup>!

وصرخت:..

لا إله إلا الله..

تراءى لى الرسول صلى الله عليه وسلم ينظرنى معاتباً يوم القيامة  
فصرخت من الخجل..

تراءى لى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين  
فصرخت من الخجل..

تراءى لى الحسين سيد الشهداء.. إذ يبذل روحه وأرواح جميع أهل  
بيته.. أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. يبذلون أرواحهم كي  
تكون كلمة الله هى العليا.. فصرخت من الخجل..

تراءى لى الزبير بن العوام يهتف صارخاً فى حروب الردة : من  
يبايعنى على الموت..

تراءى لى حمزة بن عبد المطلب.. وعبد الله بن الزبير.. ومصعب  
بن عمير.. وزيد بن حارثة.. وجعفر بن أبى طالب.. وعبد الله بن  
رواحة.. وسعد بن معاذ.. وسعد بن عبيد.. وعكرمة بن عمرو بن هشام  
يصرخ فى اليرموك : من يبايعنى على الموت؟..

تراءى لى الإمام أحمد بن حنبل..

تراءى لى ملايين وملايين من الشهداء والصابرين.. بذلوا حياتهم  
واحتسبوا صبرهم لتقديس اسم الله ورفع كلمته.. ثم يأتى الشيطان ليكتب  
ما يسميه كتاباً تعتبره وزارة الثقافة المصرية - وهى الأخرى شيطان - أدبا  
فتنشره على الناس كي تنورهم..

وزارة الثقافة المصرية فى بلد الأزهر وصلاح الدين وقطر وخالد  
الإسلامبولى تنشر يا قراء كتاباً يدعى أنه رواية يقول أن القرآن خراء..  
ثم لا يلبث أن يقول: إخرأ بربك...

.....

لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن  
العزیز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب  
الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع  
البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي  
الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم  
الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد  
المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد  
الأحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن  
الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال  
والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور إلهادي  
البدیع الباقي الوارث الرشید الصبور..

لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

أول مرة ألقى مثل هذا الألم في حياتي ..

أبدا..

ولا حتى هزيمة ٦٧..

ولا حتى قتل الشهيد سيد قطب..

ولا حتى استدراجنا كقطيع من الخراف إلى مقتلة الخليج .. حين اندفع  
بالشرك والغباوة والخيانة والجهل والنفاق نصفنا يقتل نصفنا .. كقطيع ..  
قطيع من الخراف يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان..

ولا حتى عندما حمل السادات كفنا وكرامتنا وتاريخنا ليذهب مذموما  
مدحورا إلى القدس..

ولا حتى يوم اجتمع ثلاثة آلاف من جنود الشيطان ليقتلوا سعد إدريس  
حلاوة لأنه اعترض على أن يدنس علم الصهاينة الكلاب أرض مصر..  
وعندما اختاروا بالرغم منا أن تكون سفارتهم في الحيزة لا في القاهرة..  
على الضفة الغربية للنيل.. لأن أساطيرهم الفاجرة تقول لهم أن أرضهم

من النيل إلى الفرات.. فكيف تكون لهم سفارة في القاهرة .. والقاهرة  
أرضهم.. واختاروها - رغم دواعي الأمن - أمام أضخم تجمع شبابي  
في الوطن.. أمام جامعة القاهرة.. كي يروضوا أبنائنا على رؤية العلم كما  
يروض العبيد..

ولا حتى يوم استشهاد خالد الإسلامبولي بالإعدام ..

ولا حتى مع الذبح اليومي الذي نشارك فيه للعراق..

ولا حتى مع انهيار الآمال أملا بعد أمل..

وحتى مع تراكم الآلام ألما بعد ألم..

ولا حتى يوم موت أبي..

أبدا..

لم أشعر بمثل هذا الألم..

القرآن..

خراء...

عندما وقعت عيني على الكلمات الفاجرة الكافرة أحسست أني تدنست.

لا دنس الجسد .. بل دنسا يتسلل إلى خلايانا خلية خلية.. يختلط

بالذرات.. ويتسلل إلى القلب .. ويدمغ الروح بخاتم جهنم ..

دنس كالنار ترعى الهشيم فتأكله..

دنس كإشعاعات الذرة تخترق الخلايا فتدمرها خلية خلية..

دنس يكتب على وجه الشيطان الأخرس فينا : آيس من رحمة الله..

دنس لا يدنس فردا بل يدنس أمة..

دنس لا يدنس يوما بل يدنس عصرا..

دنس لا يمحوه اغتسال بالماء..

ولا كل أمواه الدنيا..

دنس لا يمحوه إلا الدم ..

دنس لا يمحو عاره وذنبه عنا إلا أن نموت شهداء ونحن نزيله..  
نموت شهداء.. مدركين أن استشهدنا ذاك لا يمنحنا الحسنات بل يمحو عنا  
بعض السيئات.. أقصى آمالنا بالاستشهاد أن يعفو الله عنا.. وألا يسألنا يوم  
القيامة: لماذا انتظرنا كل هذا الانتظار قبل أن نستشهد..

شعرت بالدوار..

ملاذنا الأخير ينتهك ويهان..

فلا كتبت لى الحياة ولا لكم يا قراء إذا لم ندافع عن ملاذنا الأخير..

\*\*\*

كان صديقى ما يزال على الهاتف..

وكنيت ما أزال أبكى وأنا أقرأ له مما نشرته وزارة الثقافة المصرية..  
رائدة التكفير لا التنوير..:

(.. " الله قال انكحوا ما طاب لكم. رسولنا المعظم كان مثلنا جميعا  
ونحن على سنته.. لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية وخليلة  
ومتعة.. وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: تناسلوا تناسلوا فإنى مفاخر  
بكم الأمم . استبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة ، أما أنتم  
فتريدونها شيوعية" )..

ثم يدعى الكتاب الفاجر الذى لا ينشره إلا فاجر ولا يطبعه إلا فاجر  
على القرآن ما ليس فيه حين يقول ساخرا من القرآن: " والله تعالى قال  
فى كتابه العزيز فإذا ابتليتم بالمعاصى فاستتروا .." وصرخ مهدى ضاحكا:  
يا عمى الحاج رغبنا فى الاستتار فإذا بمخابرات ربى تفرع علينا الأبواب  
الموصدة " .

ثم يستطرد الكتاب الفاجر الكافر الذى يلبس عباءة رواية وليس برواية  
إلا فى عقول مخصية شاذة مريضة سعت وتسعى إلى نشر الكفر  
والفاحشة.. يستطر مجترئا على الذات الإلهية ليقول:

" إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل  
والشمس ببطيء السلحفاة " .

ويسوق فى حوار فاجر كافر:

هو من صنع ربى..

لا بد أن ربك فنان فاشل إذن..

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله..

ويقول الفاجر بن الفاجر الفاسق بن الفاسق الكافر بن الكافر: مؤلفا  
وطابعا وناشرا ووزارة<sup>٧</sup> ..

" داخل هذه الأهواز التى خلقها الرب فى الأزمنة الموعرة فى القدم  
ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها حيث  
الزمن يدور على عقبه منذ ألفى عام " .

و ..

" أقام الله مملكته الوهمية فى فراغ السموات " ..

و ..

.. " .. الله الله يا ولدي داود.. لقد غفرت لك .. انكح كل صبيان  
بونة وأنا شفيعك يوم القيامة.." ..

و ..

.. " وخلق الجلد المتخلف والبالى الذى خاطه الإسلام فوق جلودنا  
القديمة.." ..

و ..

" فله المساوية لروح الله الجامعة هبطت كالروح القدس فجمعت  
الجسد إلى النفس وأعادت تكوين التنسيق الأول بعد اختلاله" ..  
وفلة هذه عاهرة..

و ..

.. " ربى خذ بيدي فى مملكتى لأخذ بيدك فى مملكتك، ربى زدنى  
أرصدة فى الدنيا والمصارف لأزيدك ابتهاالا فى الآخرة.. ربى لتكن منافعنا  
متبادلة وليتحقق القصد الذى من أجله ولدتنى فأكون طفلك البار على هذه  
الأرض الفانية " ..

و ..

" إن حبل السرة ما يزال موصولا مع الأزمنة الرعوية وأزمنة عبادة  
الله الواحد القهار فى السماء والأرض، وذلك الذى يقول للشئء كن فيكون؛  
ومن خلال تلك الهشاشة الرثة<sup>٨</sup> .

.....

آه من القلب لا من الحلق..

آه يصدع لها القلب وينحطم الفؤاد وتنكسر الروح..

برح الخفاء يا ناس وهذا وقت المفاصلة إما إيمان وإما كفر..

للهولة الأولى.. والدوار يكتنفني قلت لنفسى اذهب إلى الأزهر على الفور واصعد منبره واصرخ:

من يبايعنى على الموت..

ثم أخذ الرهط الذى يجتمع حولى وأتوجه بهم إلى قصر الرئيس مبارك.. عراة صدورنا نازفة قلوبنا دامعة عيوننا عزلاء أيدينا .. نسأله والسؤال دم: ما هى الحدود بين الإسلام والكفر.. ما هى التخوم بين التنوير والتعهير.. ما هى الطخوم بين تجفيف منابع والخروج من الملة .. ما هى البيون بين أن تكون مصر قائدة للتنوير حقا يرتضيها العرب والمسلمون وبين أن تكون قوادة للكفر والفسوق والعصيان..

نهتف فيه :

أنت ولى الأمر.. وليس لنا أن نقيم الحد على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا..

ثم نواصل الهتاف:

إن لم تقم عليهم الحد .. إن لم تدافع عن القرآن فاقتلنا.. لأننا لا نستطيع أن نواجه الله يوم القيامة وقد اخترنا الحياة بعد هذا الكفر<sup>١</sup>..

\*\*\*

تسلل إلى نفسى أمل ميت.. أن يكون ثمة لبس قد حدث أمام صحيفة الأسبوع<sup>١٠</sup> عندما فجرت هذه الفضيحة منذ أسابيع قليلة.. لعل الكتاب طبع فى سرائيل مثلاً.. وقلت لنفسى أن الإسلام يأمرنى بالتثبت.. بحثت عن كتاب.. ووجدته..:

وليمة لأعشاب البحر.. حيدر حيدر.. سلسلة آفاق الكتابة.. العدد ٣٥ - الهيئة العامة لقصور الثقافة.. وعنوانها كما هو مثبت : ١٦ أ شارع أمين سامى - قصر العينى - القاهرة ت: ٣٥٦٤٨٤١ - ٣٥٦٤٨٤٢ - فاكس ٣٥٦٤٢٠٢ - ١١ أما الطابع فهو: شركة الأمل للطباعة والنشر أما قائمة

العار الدنسة المكتوبة على صفحات الكتاب الأولى فتجمع: رئيس مجلس الإدارة: على أبو شادي.. أمين عام النشر: محمد كشيك.. رئيس التحرير إبراهيم أصلان.. الإشراف الفني: د. محمود عبد العاطي.. مدير التحرير حمدي أبو جليل<sup>١٢</sup>..

\*\*\*

حصلت على الكتاب منذ أسبوعين.. كنت أتصفح أوراقه السبعمئة كمن يقلب بيديه العاريتين الجمر.. وتأكدت مما قيل..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

كنت يا قراء أتابع الحملة الصحفية التي بدأها المجاهد الأسير مجدي حسين<sup>١٣</sup> ضد عملية التكفير التي تقوم بها وزارة الثقافة مستعينة بسلطات الدولة.. وعزمت على المشاركة خاصة بعد أن قرأت الفواجع الرهيبة التي فضحها كتاب كاريمان حمزة: "الله يا زمرى"<sup>١٤</sup>.. وقلت لنفسى أننى سأكمل سلسلة المقالات التي أكتبها الآن: "بروتوكولات حكماء العرب" فى أسبوعين أو ثلاثة ثم أبدأ على الفور فى ولوج المعركة..

كنت أظننى محتاجا لقراءة الرموز بين السطور كي أكتشف الشرك الخفى ..

حتى جاء هذا الكتاب وفجرت صحيفة الأسبوع قضيته..

لا إله إلا الله..

ليس الشرك الخفى بل الكفر البواح..

لا إله إلا الله..

هذا هو التنوير الذى يدفعونك إليه يا أمة..

برح الخفاء..

هو التكفير لا التنوير..

هو الخيانة لله ولرسوله.. هو الخيانة للأمة وللوطن..

هى العمالة الصريحة المباشرة لأمريكا وإسرائيل..

هى تزيين الباطل كما يزين القواد الزنا لبغى..



هو التسلل إلى عقول أبنائنا لإخراجهم من الإسلام تماما كما قال  
زويمر..

هو نشر الإباحية والسفالة والشذوذ وقتل روح الأمة..  
وكل الكوارث التى قادتنا إليها وزارة الثقافة وكل الفضائح حلقات  
فى سلسلة التكفير والتعهير يا أمة..

\*\*\*

إن العار لا يلحق بوزارة الثقافة فقط.. فتضامن المسؤولية الوزارية  
يجعل مجلس الوزراء كله مسئولاً وكل وزير مسئول.. ورئيس الوزراء  
مسئول .. و..

ترى ماذا كانوا يفعلون بى لو أننى قلت أن كلينتون أو باراك أو حتى  
أحد الوزراء خراء..

هل كنت أجد من يدافع عنى لو أننى قلت اخراً برئيس الوزراء..  
لكن الفاجر يكتب والفاجر ينشر أن "القرآن خراء" .. و "خرا بربك" ..  
ثم يجد من يدافع عنه..  
أما من وزير يستقيل؟ ١٥١٩ ..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

إننى أناشد الرئيس مبارك.. باسم الله.. باسم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم.. باسم الأمة .. أن يدافع عن القرآن.. لأنه يمثل هذا الدفاع  
لا يدافع عن الدين فقط بل يدافع عن تاريخه وتاريخنا..  
إن الوزارة التى سمحت لمثل هذا الكتاب أن يصدر لابد أن تتسلف  
نسفا بكل هيئاتها ومؤسساتها.. ولن ترضى الأمة منك بأقل من ذلك..  
وليست الإقالة فقط هى ما نطلبه منك..  
وإن لم تكن المحاكم العسكرية لمحاكمة من خانوا الله والرسول والأمة  
والوطن فلمن تكون..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا جلالة ملوك وفخامة رؤساء الدول الإسلامية.. لطالما تعاونتم على الإثم والعدوان.. فتعاونوا ولو مرة للدفاع عن القرآن.. اطلبوا الرئيس مبارك اليوم.. قولوا له أن ما نشرته وزارة الثقافة المصرية لم يذبح المسلمين في مصر فقط بل في العالم الإسلامي كله.. من لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه<sup>١٦</sup>..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

إن كل سفير مسلم<sup>١٧</sup>.. وكل دبلوماسي يغار على الإسلام ويغضب للقرآن عليه اليوم أن يبلغ ملكه أو رئيسه بهذا النداء وأن يستحثه للاستجابة له.. من لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

إن كل كاتب وكل مفكر عليه أن يرفع الآن صوته دفاعا عن القرآن<sup>١٨</sup>.

كنا نختلف ونتفق ونتناجز وبالتنازع..  
لكن عندما يكون الأمر أمر القرآن فلنتفق..  
من كان منكم يحب الله والرسول فليدافع عن القرآن..  
من كان منكم يحب الأمة فليدافع عن القرآن..  
من كان منكم يحب الوطن فليدافع عن القرآن..  
من كان منكم يحب نفسه فليحتمها من النار بالدفاع عن القرآن..  
من كان منكم مذنباً فليكفر عن ذنوبه بالدفاع عن القرآن..  
من كان قد انخدع منكم بالتنوير وظن أنه تنوير لا كفر بواح فليكتشف الحقيقة وليكتب وليتكلم..

من كان منكم قد تدنس فليتنظف..

أناديكم جميعاً..

وأطالبكم جميعاً أن تدافعوا عن القرآن..

ومن لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

\*\*\*

يا شيخ الأزهر<sup>١٩</sup>..

يا شيخ الأزهر..

يا شيخ الأزهر ..

لا إله إلا الله..

\*\*\*

يا فضيلة المفتي.. أنت تعرف أن الأمة تحترمك مستعدة أن أفضل  
السلطين من صاحب العلماء وأسوأ العلماء من صاحب السلطين.. والأمة  
تراك يا فضيلة المفتي حتى الآن - ولا نزكك على الله - بعيدا عن  
السلطين قريبا لشرع الله..

إن هذه الصفحة تنظر يوم الجمعة القادمة فتواك فيما حدث..

فتواك فى الوزير الذى سمح به ووجه..

فتواك فى رئيس الوزراء إن صمت..

فتواك فى النظام كله إن لم يرجع إلى الله..

فإن حيل بينك وبين الفتوى فإن هذه الصفحة تنتظر كي تنشر يوم  
الجمعة القادمة استقالتك.. فو الله لأن يسب القرآن ويهان فى بلد ليس فيها  
من يفتى للإسلام والمسلمين لأفضل من أن يحدث هذا تحت ظلال  
وصور تهيب للناس أن الكفرة مسلمون..

أعيزك من أن يخفى خلفك الكافر كفره..

استقل..

ولياتوا إن أصروا على الكفر والفسوق والعصيان بحاخام من اليهود  
وليصدر القرار - لا من أعلى بل من أسفل سافلين - بأن يحل مكانك مفتيا  
للمسلمين.. فذلك أفضل من أن تختلط الأمور..

افعل ذلك يا فضيلة المفتي.. دافع عن القرآن.. فإنك إن لم تفعله تأت  
الله يوم القيامة والقرآن خصمك..

\*\*\*

يا شيوخ الأزهر ويا طلبة جامعة الأزهر<sup>٢٠</sup>..

لا إله إلا الله..

يا طلبة العلم..

يا كل الناس..

يا أمة.. إنه الله الذى لا إله إلا هو .. وإنه القرآن .. إنه ملاذك  
الأخير و قدس أقداسك الأخير.. لم يتركوا لك حرما إلا لوثوه ولا وطننا  
إلا اغتصبوه ولا كنزا إلا انتهبوه.. فإن سكنت فأولى لك فأولى ثم أولى لك  
فأولى أن تتوقفى عن الصلاة.. وعن الإسلام كله..

دافعى عن القرآن يا أمة..

إلا تفعلنى تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا خطباء المساجد<sup>٢١</sup>..

لا إله إلا الله..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا كل قاض وكل محام<sup>٢٢</sup>..

فلتثبتوا غدا فى مضابط المحاكم احتجاجكم ورفضكم.. ولتطلبوا من  
ولى الأمر القصاص للقرآن..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا كل حزب سياسى وكل نقابة وكل هيئة<sup>٢٣</sup>..

فلتصدروا بيانا تعترضون فيه عما لحق بالدين والقرآن.. فلتكتبوا إلى  
الرئيس مناشدين أن يستعمل صلاحياته على الفور ..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

\*\*\*

لا إله إلا الله ..

يا كل صحيفة وكل مجلة وكل كاتب وكل كاتبة فى مصر<sup>٢٤</sup>..

دافعوا عن القرآن..

اكتبوا..

أو فاكسروا أعلامكم..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا ضباط مباحث أمن الدولة<sup>٢٥</sup>.. تعلمون والله أنني أبغضكم في الله.. لكنني لا أياس من ذبالة خير فيكم.. أو أنكم عندما تكتشفون هول ما فعلتموه وأن جل ما فعلتموه كان لكي تمكنوا في الأرض لمن يقول أن القرآن خراء .. عندما تكتشفون ذلك فقد تدركون هول ما تورطتم فيه..

أناشدكم.. كفروا عن بعض ذنوبكم ..

لقد دستم على القانون كثيرا من أجل النظام..

فنفذوا القانون اليوم من أجل القرآن..

ارفعوا إلى الرئيس اليوم تقريرا بأن مثل هذا العفن والكفر وازدراء كتاب الله هو الذي يهدد الأمن القومي والسلام الاجتماعي وهو الذي يثير الفتنة.. بل ويهدد النظام ذاته..

ارفعوا إلى الرئيس أيضا تقريرا بالأمور المشينة المخزية التي تورط فيها المسئولون عن نشر هذا الكتاب في مصر.. وأظن أن هذه الأمور المخزية مسجلة عندكم صوتا وصورة..

من لم يفعل ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا كل امرأة<sup>٢٦</sup> في هذا الوطن.. أما كانت أم زوجة أم ابنة.. فلترفعي اليوم صوتك أمام زوجك أو أبيك أو ابنك.. ولتطلبى منه أن يدافع عن القرآن.. فالقرآن ليس خراء..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا كل هيئة ومؤسسة وصحيفة فى العالم الإسلامى<sup>٢٧</sup> .. اكتبوا أنهم  
فى بلد الأزهر ينشرون أن القرآن خراء..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

إلى الجاليات الإسلامية فى الخارج<sup>٢٨</sup> .. اذهبوا إلى السفارة المصرية  
فى بلادكم أو اكتبوا لها..

فإنه القرآن..

\*\*\*

لا إله إلا الله..

يا شيخ يوسف القرضاوى<sup>٢٩</sup> .. إن الأمة الإسلامية تضعك - شئت  
أم أبيت - على رأس العلماء المجاهدين المجددين على مستوى العالم  
الإسلامى بأسره، وترى فيك - شئت أم أبيت - واحدا ممن يبعثهم الله  
لتجديد شباب هذا الدين.. يرون ذلك فيك.. رغم أن سلطات بلدك نفسها  
أنكرتك.. بل واعتبرتك إرهابيا.. فالإسلام بالنسبة لهم هو الإرهاب..  
والقرآن هو المستهدف.. والذين أنكروك هم الذين ينشرون أن القرآن  
خراء.. وأنت تعلم أن الأزهر قد اخترق.. وأن المقاومة فيه إما محاصرة  
وإما مقموعة وإما مفصولة.. أصبحنا بلا دفاع.. والأمة ترى فيك بديلا..  
الأمة ترى فيك ذلك فلا تخذلها.. وهذه معركة مفروضة عليك .. ولعل  
القتال يكتب فيها عليك وهو كره لك.. ولعلنا مثلك.. كنا نتمنى أن نموت  
قبل أن تفرض علينا هذه المعركة.. أما وقد فرضت فنحن نتمنى أن نموت  
فيها.. فلا تخذل الأمة.. دافع عن القرآن بما أنت له أهل.. إن الأمة تنتظر  
فتواك فى كل مسئول عن نشر هذا الكتاب فى بلد الأزهر.. كل مسئول..  
من الخفير.. إلى الوزير.. إلى الأمير..

لا ..

ليس فتواك فقط..

بل إن الأمة تنتظر منك حملة شاملة على مستوى الهيئات الإسلامية  
فى العالم الإسلامى كله..  
أصرخ فيك..

أنت بعيد عن مصر بعد أن أنكروك.. أنكروك فاحتضنك العالم  
الإسلامي قرة عين ومهجة قلب وفلذة كبد وومضة عقل.. لكنك بعيد عن  
مصر.. ولعلك تظن أنها مازالت بخير..  
أهتف فيك: مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد  
بخير..  
فالنجدة النجدة والغوث الغوث..  
فإنه القرآن..

\*\*\*

لا إله إلا الله..  
إلى السيدة سوزان مبارك..  
أنشدك مرتين..  
مرة باعتبارك زوجة لأكبر مسئول في البلاد .. ومرة باعتبارك  
المسئولة عن سلسلة مكتبة الأسرة.. التي أخشى أن يتسلل إليها مثل هؤلاء  
المشركين الذين نشروا بحجة التنوير- أن القرآن خراء ..  
ولا إله إلا الله..

\*\*\*

لا إله إلا الله..  
إلى كل قارئ لهذه الصرخة..  
ألا قد بلغت والله يشهد..  
فهل بلغت أنت أيها القارئ؟!  
هل بلغت؟! هلا بلغت.. وكم بلغت؟! عشرة..!؟ مائة ؟! ألف..!؟  
وهل هذا هو قصارى جهدك في الدفاع عن القرآن؟!  
لا إله إلا الله..

\*\*\*

اغضبى يا مصر..  
اغضبى يا أمة..  
اصرخى: لا إله إلا الله..

\*\*\*

إلى كل من يستطيع الحديث مع الرئيس اليوم فى هذا الأمر  
ثم لا يتحدث فليات الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

\*\*\*

يا سيادة الرئيس..

أطفئ الفتنة..

واعلم هذاننا وهداك الله أن ما ظهر أمامك الآن إنما هو رأس الدنس..  
وكل ما تحته دنس..

واعلم هذاننا وهداك الله أننا كنا صادقين حينما حذرنا من أن ما يدعون  
أنه التنوير إنما هو التكفير والكفر بعينه..

واعلم هذاننا وهداك الله أنهم لم يقصدوا أبدا الإرهاب بل قصدوا  
الإسلام دائما..

واعلم هذاننا وهداك الله.. أن تجفيف منابع كان المقصود به الخروج  
من الإسلام والخروج على الإسلام..

واعلم هذاننا وهداك الله أن الأمر ليس أمر وزير فاسق أو وزارة  
فاجرة بل هو منهج مشرك تسلل إلى النظام مسئوليتك أمام الله أن تزيله  
وأن تحاربه حتى لو استشهدت دونه.. منهج مشرك لا يقتصر على وزارة  
ولا يقوم به مجرد أفراد..

واعلم هذاننا وهداك الله أن مثل هذا المنهج الفاجر هو الذى يغيب  
فى السجون والمعتقلات عشرات الآلاف من شباب لم يأخذوا عليهم سوى  
أن الإسلام دينهم والقرآن كتابهم.. بينما يرى ذلك المنهج الخائن الفاجر  
الكافر العميل أن القرآن خراء.. وذلك ما ينقمونه عليهم..

واعلم هذاننا وهداك الله أن أسوأ ما تفعل أن تكتفى بإقالة وزير  
أو تحية مسئول..

فالخطب أطم والمصيبة أعم..

قل لى يا سيادة الرئيس : هل ترضى لعهدك دون العهود جميعا  
أن تصمه هذه الوصمة.. فالقرآن لم يتعرض لمثل ما يتعرض له الآن..  
أبدا.. ولا حتى فى عهد كرومر.. بل وحتى الفراعنة كانوا يقدسون كتب  
الدين..



قل لى يا سيادة الرئيس: هل كانت الدولة تسكت لو أن من كتب هذا الكتاب أو طبعه أو نشره ووزعه كان قد وضع الإنجيل أو التوراة مكان القرآن؟! ما كانت الدولة لتسكت.. وما كنا نحن أيضا سنسكت..

يا سيادة الرئيس: إنك مسئول عن هذه الفئة المنحرفة الشاذة .. مسئول أمام الأمة وأمام التاريخ وأمام الله.. إن القانون فى بريطانيا يحمى الإنجيل والتوراة.. واخوتنا المسلمون هناك يجاهدون لمد مظلة الحماية إلى القرآن.. فهل ترضى لنفسك أن نجاهد أمامك لسن قانون يحمى القرآن؟!..

يا سيادة الرئيس إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه.. وإنى والله لمشفق عليك من أن تلقاه وهذه الفعلية الشنعاء فى كتابك.. توضع فى ميزانك.. وما أثقلها .. ما أثقلها.. ما أثقلها..

وإننى أناشدك يا سيادة الرئيس - أبيت اللعن - أن تطفى لهيب الفتنة ببيان يصدر عن الرئاسة اليوم.. بيان استغفار إلى الله .. واعتذار إلى الأمة .  
افعل ذلك يا سيادة الرئيس نشفع لك نحن الأمة التى وضع الله شفاعته فيها - عند الله يوم القيامة..  
لا إله إلا الله..

فإن لم تفعل يا سيادة الرئيس..

فإننى أرجوك:

مر رجالك بقتلى.. قتلة غلام أهل الأخدود'..

---

١ - نشرت داخل المقال إطاراً أنه فيه إلى أنى سأعود فى الجمعة التالية إلى مواصلة نشر النص الأدبي الذى كنت أنشره حينها بعنوان "بروتوكولات حكماء العرب" .. كنت أود أن أعطى الفرصة والمهلة لأجهزة الدولة لاتخاذ القرار الصحيح ، ولكن تناقضات تصريحات وزير الثقافة والهجمة الشرسة التى بدأها صحيفتها أخبار الأدب والقاهرة ( صحيفة وزير الثقافة ) لم تدع لنا مناصاً من المواصلة .



# الجريمة مستمرة..<sup>١</sup> ثلاثية الثقافة فى مصر: الكفر والعهر والتطبيع .. هل الله جليسة أطفال.. ويعلمنا الحب؟! وهل الأنبياء آبقون؟!..

الجريمة مستمرة يا ناس فلا إله إلا الله..

الجريمة مستمرة..

وسوف تخطئون خطأ مروعا إذا ظننتم أنه مجرد كتاب داعر فاجر  
كافر أفلت .. وأن الأمر قد لا يتكرر مرة أخرى..

ليس مجرد الكتاب بل إنه المنهج.. منهج متعمد مقصود.. منهج  
أخطبوطى ينفذ بالضبط تعاليم المستشرقين والمبشرين والاستعمار فى  
صورته الحديثة.. منهج يدرك أن أخطر ما فى الإسلام والقرآن هو ذلك  
الإيمان اليقيني الذى يجعل من المسلمين بشرا يمكن أن يتفوقوا حتى على  
الملائكة ويجعل من المنافقين أشبه بالخنازير والقرود.. وتلك هى النقطة  
التي تثير عجب وحنق المنافقين عندما يلاحظون استعلاءنا عليهم مهما  
أدبرت عنا الدنيا وأقبلت عليهم.. استعلاء البشر على الخنازير.. ولقد أدرك  
الغرب منذ قرون أنه هزم فى المواجهة المسلحة مع الحضارة الإسلامية..  
وأنه لا سبيل أمامه إلا إفراغ الإسلام من محتواه.. ولقد استعان على ذلك  
حينما بالاستعمار حتى اطمأن إلى أنه ربى بيننا نخبة فاسدة مفسدة فتركها  
لتنوب عنه.. وهم منا لكن قلوبهم قلوب ذئاب..

ليس مجرد كتاب يا أمة..

الجريمة مستمرة ولا إله إلا الله..

الجريمة مستمرة.. والثقافة فى بلدنا تهدف إلى ثلاثة أشياء لا تنسوها:

أن تكون حرية التفكير مرادفة للكفر..

وأن تكون حقوق المرأة مرادفة للعهر..

وأنه بعد نشر الكفر والعهر سيكون المجتمع الإسلامى قد غرق فى غيبوبة فقد معها كل مناعة.. ليسهل التطبيع بعد ذلك مع إسرائيل والاتسحاق أمام الغرب..

لا تنسوا يا قراء الاختراق الذى حدث للثقافة فى بلادنا فعكس اتجاهها ليتلخص فى تلك النقاط : التكفير.. والتعهير.. والتطبيع..

ولكى يصل الاختراق الثقافى إلى مبتغاه كان عليه أن يميظ القداسة عن القرآن والأحاديث النبوية الشريفة والتراث.. وأن يستعمل الألفاظ التى أحاطتها هالات القداسة استعمالا فاجرا يميظ عنها القداسة..

\*\*\*

لا إله إلا الله

الجريمة مستمرة يا ناس.. وسأعرض عليكم على الفور نماذج لا تقل سفالة وبشاعة عما عرضت عليكم فى المقالة الماضية.. فلنتناول معا كتابا أخرجه وزارة الثقافة أيضا - الهيئة العامة لقصور الثقافة- كتابات نقدية- العدد ٩٧ - ديسمبر ٩٩- والكتاب<sup>١</sup> معروض عند باعة الصحف وإن كنت أحسب أن السيد الوزير الذى يطلقون عليه "زين الرجال" سوف يأمر بسحبه غدا قبل انتشار الفضيحة.. عنوان الكتاب: شعر الحداثة فى مصر- وقائمة العار للهيئة المشرفة عليه هى ذات قائمة العار التى نشرناها فى الأسبوع الماضى ( وعلى رأسها أيضا : على أبو شادى) ..

ولقد وفر علينا إدوارد الخراط مئونة البحث فى عشرات من إصدارات وزارة الثقافة المصرية لعشرات الشعراء المصريين- وأغلبهم والله ليسوا شعراء وليسوا بشرا- حين استعرضها فى هذا الكتاب: ٧٠٠ صفحة تقريبا .. وسعره خمسة جنيهات.. وتذكروا يا قراء أن هذه الكتب هى التى يخرعونها - إذا صح التعبير- لتشكيل وجدان الأمة..

١ - شعر الحداثة فى مصر. إدوارد الخراط .

فلندلف معا إلى كلمات السفالة والشذوذ والكفر البواح.. فلندلف دامعين إلى السخرية من الذات الإلهية والمرسلين.. فلندلف إلى محاكاة هازلة هازنة كمحاكاة مسيلمة الكذاب.. فلندلف إلى خيوط الشبكة التي يصطادون بها الأمة.. إلا أننى أجد لزاما على أن أنبه القراء أن ما سيقروونه على الفور بالغ الفحش وأن يبعدوه عن أيدي أبنائهم..  
فلنقرأ:

" وكان الله سيعمل منذ اختفت الأرض جميعا

تحت رؤوس الناس

جليسا للأطفال

يعلمهم آداب الحب

وفقه اللغة "

ص ٢٥٥

لا إله إلا الله..

ولنقرأ :

" فهل يكون لى أن أسمى الأفق ثوبا ضيقا، (.) والشعر شركا شائكا والمآذن حرابا سامة حتى مطلع الفجر".

ويضيف المؤلف<sup>١</sup> : "فضلا عن النص القرآنى العظيم بطبيعة الحال : "أخرق الأرض ، وأبلغ الجبال طولا" .

ويكرر الخطأ مرتين وهو يضع الآية بين علامات التنصيص .. وصحة الآية:

{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }  
{٣٧} {الإسراء..}

والمؤلف رغم حساسية وضعه كغير مسلم يستشهد بالقرآن لا يابه بتحقيق الآية.. لا يابه بأحد ولا لأحد.. ولا أبو شادى ولا كشييك ولا محمود عبد العاطى ولا مجدى توفيق ولا محمود حامد .. ولا أى من المشرفين على السلسلة المنكودة.. ولا وزارة الثقافة كلها..

ولنواصل القراءة:  
"تلف على الأعضاء الخرقه  
تشعلها الأعضاء فنخرج نحو النار  
ونشهد أنا كنا اثنين  
وصرنا خيطا لا يتفرق فى خيطين  
ونشهد أن الله تجلى فينا  
فانقرطت أشجار العاشق والمعشوق  
الخالق والمخلوق  
وباحت كل الناس لكل الناس .."  
لا إله إلا الله..  
هل تدرك أيها القارئ ذلك المزج الوثنى بين الله تقدست أسماؤه وبين  
الجنس العاهر<sup>٣٠</sup>..  
ويمتدح الناقد الحدائى ذلك العهر بقوله:  
"المزج من ناحية أخرى بين الفعل الميتافيزيقى والفعل الشبقى  
الفيزيقى .."  
..

ولنواصل القراءة يا قراء:  
"العضو الناشئ تحت فضاء البطن جميل ..  
هذا ما سواه الأب الله..<sup>٣١</sup>  
لا إله إلا الله  
هذا ليس أدبا وليس شعرا يا قراء .. هذا فعل لواطيين مخمورين..  
لا إله إلا الله.. لكن فلنواصل قراءة الكفر العاهر والعهر الكافر:  
"يمتلك غرابة أن يتدخل فى ملكوت الله " ..

ص ٢٥٦

و:

" حينئذ سوف ترتعشين  
وتبتهجين

وتتألمين رائحة الرب "

تجسيدا في الإسلام يا قراء فلا إله إلا الله .. ليس كمثله شيء  
لا إله إلا الله ..

و :

" دم من سرير القضاء

ينز ..

وتهبط منه الأساور

تهبط رائحة الله .. "

و :

" ماذا لو صارحت الله

بان الوردة ليست تصلح لي .. "

ص ٢٥٦

يعلم الجهر وما يخفى ولا إله إلا الله ..

و :

" الناس هنا يقصون الله ..

عن الحجرات الدافئة المسكونة ..

ص : ٢٥٧

و :

" واتخذى من كلمات الله غطاء مثل البحر إذا ما نفذ البحر فليست  
تنفذ فاتخذت "

" يأتين النبق من الصدر المخضود .. أفرد جسمي فوق فراش  
من عهم منقوش .. "

ص ٢٦١ ..

و :

" فالتحمت ..

واتكا عليها كوع الله ..

وأحدث ثقباً..

يكفى أن يدخله الرجل..

فتحمل عنه الوجدانية..

كل شظايا الكون " ...

ص ٢٥٠

و:

"من قال الله أتى من ضلفة نافذتى

من قال الله أطل علىّ

وأعطى الناس القصص

الغامضة

ووهج الأحلام

وأوشك أن يعطيهم شيئاً آخر

غير المنّ

وغير السلوى

من قال بأن الله تفضل بالبركات

على الناس

وبالفيض على قلبي

فأنشق إلى نصفين

وصارت ناريمان الثمرة" ..

ويعلق الناقد الحدائى ربيب الوزارة:

( فهو هنا يناوش الأسئلة الميتافيزيقية، دون أن يدخل إلى أغوارها  
حقاً. بل هو هنا يتساءل - فقط - ويكتفى من فيض الله بثمره ناريمان ،  
فى الوقت الذى رأينا فيه أن الكون كله أصغر من امرأة وأن المرأة  
هى المطلق الحق ..) ص ٢٧٧

و:

"رأته فى النوم يرقى فى الهواء وقرونه مضيئة..



وقال: من رأى فقد رأى الحق.."

و :

"أم تراها ستولد من نفسها كل آن كان لا نساء سواها  
تعشقها الله. خبا فيها كمال الأنوثة ثم تراجع ينظر مندهشا ليديه.."  
ص ٥١٩

و :

"يتجمع . . . . العاشقون صائحين :  
انقشنا  
بقفه اللذة .."

هل لاحظتم يا قراء أين وضع السفيه كلمة فقه؟..

و :

"وانا مرح دون مناسبة أصرخ فى البرية يا قوم قد زهق الحق  
وجاء الباطل ، إن الباطل كان فعولا .."  
ص ٣٤٨

و :

" رأيت يد الله تأخذ من طينتى وتكور نهديك  
تأخذ من طينتى وتدور فخذك  
تأخذ من طينتى وتقرب سرتك"..  
ص ٥٢٠

أو هذا النص المونق الجميل - والجملة السابقة لإدوارد الخراط  
وليست لى - :

"رأى طائرین على نهد عاشقة يسفدان ، رأى كيف تخرج من سرّة  
امرأة جنتان. رأى امرأة وهي تدعك نهدین مندلعین بماء الذكورة.  
قامتأت غرفة يازيز القرأش (أو الفیرأش) رأى النمل يحمل خاتم عاشقة  
وهي غائبة، تحتها موجة وعلى صدرها يتناسل ورد من الشبهقات.."

ص ٥٢١

يا رفاق مسيلمة يا عبيد الشيطان يا كلاب جهنم..

و:

" أن تسر له بكنوز مخاباه ، وتقود يديه إلى جسد لم يبيع بعد. سوف تقول له إنها منذ كورها الله ، لم تتوضأ بماء أنوثتها، سوف تعلن أن الزمان مضى فى انتظارك فيما تضى وتمحو بماء الذكورة ما ظل من طين سرتها" ..

فهل لاحظتم يا قراء كيف امتهن الصفيق قداسة كلمة الوضوء؟ ..

و:

" ستة أيام تبكى وتصلى ، انتفض الهدد وتخطب فى سقف الغار المعجزة .. المعجزة .."

و:

" وانكشف سقف الغار فانطلق الهدد صائحا: انظري"

و:

" رأت نفسها تطل من عل على قبة من نور" ..

و:

" قامت و أشعلت البخور، وحوم الهدد فى سقف الغار يقرأ :  
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ..

فتح العاشق عينيه فرأى الظلمة ظلمة وعرفها ..

ورأى النور نورا وعرفه .."

ص ٥٢٧

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله .

هل تريدون المزيد يا قراء ..

يا خطباء المساجد يوم الجمعة ..

يا طلبة .. يا عمال .. يا موظفون .. يا كتاب .. ويا ضباط أمن الدولة الذين لم يسألوا أنفسهم قط ماذا يسمى من يحرس هذا العهر ويصفي أعداءه ..

حنانيكم ..

ما يزال لدينا الكثير ..

فلندلف إلى الأسماء الحسنى .. ولا إله إلا الله ..

يقول الكاتب:

تأتي الأسماء الحسنى السبعة على ترتيب أيام الأسبوع.

- **أ- هُوج:** الواحد الأحد، ليوم الأحد، وحرفه الألف ، وملاكه رفيائيل ، يظهر فيه رجل من الذهب واسمه المذهب ونجمه الشمس.

- **يوم:** الأول والآخر ليوم الاثنين وحرفه الياء، وملاكه جبرائيل يظهر فيه رجل من الفضة واسمه الأبيض وكوكبه القمر.

- **هلهوت:** الباسط ليوم الثلاثاء، وحرفه الهاء، وملاكه سمسائيل يظهر فيه رجل من الياقوت واسمه الأحمر ونجمه المريخ .

- **دوسم:** الرحيم ليوم الأربعاء وحرفه الدال وملاكه ميكائيل يظهر فيه رجل من الزئبق واسمه يرقان ونجمه عطارد.

- **حوسم:** الرحمن ليوم الخميس وحرفه الحاء وملاكه صلحائيل وشهدائيل ويظهر فيه رجل من القصدير واسمه شهورش ونجمه المشتري .

- **أواه:** المحيي ليوم الجمعة وحرفه الواو ومالكته ميهائيل يظهر فيه رجل من النحاس واسمه زوبعة ونجمها الزهرة .

- **وأخيرا** أيام المتين ليوم السبت وحرفه الزاي وملاكه كسفائيل يظهر فيه رجل من الرصاص واسمه ميمون ونجمه زحل .

ويحاول ربيب الوزارة أن يشرح فيقول:

لعل هذا التقدير والتجميع عبر فصول الكتاب السبعة مما يوحى أن ثم نسقا فيه تكرار مقصود وموضوع سلفا، كأنه مرسوم ومخطط ..

لكن الشرح يحتاج إلى شرح فيضيف:

ومع هذا فإن هذا التكرار يوحى على نحو ما بوحدة كامنة وليس بتعدد مبعثر، الأسماء الحسنى السبعة هي أسماء إله واحد، والرقم ٧ رقم فريد وأحادي حاصل اثنين أو ثلاثة أو أربعة فهو لا يكرر إلا ذاته، هذا إلى أن الأيام السبعة هي أيام الخلق فكانها يوم واحد، هو الزمن الواحد الذي تمت فيه الخليفة !!!.

هل فهتمم شيئاً يا قراء؟!..

لكنه يواصل:

" وإذا سلمنا بافتراض أولى - سنحاول أن نتلمس صدقه - فيما بعد - بأن ثم خبرة عشق تغمر نص الكتاب كله ، وأن ثم عاشقة موجودة وثابتة ومتغيرة فى الوقت نفسه ، فسوف نجد أنها فى البداية تصلى، أو تبكى. أو تخرج تطلب عاشقها، أو هى فى الفراش بينما العاشق نائم وهى تشاهد أحلامه ، أو هى فى الفراش والعاشق يتحسس بطنها، وكأنما ممارسة طقوس العشق هى أيضا ممارسة طقوس صلاة . " ..

" وسوف نجد. بعد المفتاح بقليل . قبة من نور هى فى الأول من سندس أخضر. وفى الآخر من نور أسود و ثم لواء أو لواءان أو ثلاثة أو ستة أو عشرة ألوية، من ألوان تتراوح بين الأصفر والأحمر والأبيض والأسود، و ثم أعوان يقفون فى خدمة الملائكة، تحت القبة، تتراوح أعدادهم فى كل مرة. لكنهم قائمون هناك دائما فى كل مرة" ..

هل لاحظت أيها القارئ!؟..

وهل تحتاج إلى تعليق..

ليس إليه المسلمين الذى يتحدث الشاعر عنه بل يهوه كما صرح باسمه.. فلماذا لا تتقل وزارة الثقافة بكل مكاتبها وموظفيها إلى إسرائيل!؟..

لم ينته الهزء بالقرآن ولكنى أكتفى - مؤقتا - بما ذكرت لننتقل إلى السخرية من الأحاديث النبوية الشريفة :

"زملينى أنا العاشق المرتبك"

"ثرينى وخلقى نهودك تحرث قلبى بنصلين من وبر" ..

و:

" نمضى إلى الوادى المقدس أنبياء آبقين نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف دون أن نكظم الغيظ أو نعفو عن الناس" ..

و:

"أنا الغريب المريب الذى لا يكظم الغيظ لا يعفو عن الناس" .

ص ٣٦١

و:

آآه زملونى.. زملونى..

من حروفى ومن فنونى..

فى مغارات المحاولة..

البلابل دخلونى..

ص ٩٤

ولنقرأ:

" تمنيت لو أحتويك أجرب فيك هوى الشعراء

سبحان من سيسرى بك يا حبيبتي إلى الفعل من القوة .. ص ١٣٣

ولنقرأ:

" زملونى زملونى يا خاصتى الأقربين

واخضعوا ملها ملها فى حضرة البنفسج اللعين" ..

ص ١٣٣

ويعلق الناقد إدوارد الخراط فض فوه:

تلك المقاطع التى تقول - من غير أن تقول - أن الشعر هو نبوة  
وليس فقط نبوءة، بكل ما فى النبوة من آلام غائرة وحرارة دفيئة وتجاوز  
للألم والمعاناة فى سبيل مجد مؤثّل..

إن الشعراء هم الأنبياء الحقيقيون.. وفى نفس الوقت يرى الخراط أن  
نبيا حقيقيا كسيدنا آدم: " إنه آدم الساقط من الجنة.. آدم العجوز، الطبيب ،  
الهستيرى، الشاب ، القاتل .."

هل فجعتم يا قراء .. لكن انتظروا فما يزال لدينا الكثير..

"لثرينى لثرينى

ورطبى لى جيبى

النار فى عيونى

والريح فى يقينى

ثم

وهو يقبل الكفلين من خلاف ، ويجثو بجوار البصل

المبشور"

أو "شعائر دهن الثدي بالمائجو والتقاطه باللسان" ٣٢

ص ٢١٥

و:

. . امرأة قالت : أنا أغنى من البحر

من غير أن تكون واثقة

من قدرة الوركين على إثبات المزاعم

وحيثما خانتها الحلمتان بصحوة غير محسوبة

تحسست شعرها الذى مشطته فى عربة النوم .

ص: ٢١٥ -

وإن أبطأت قليلا ..

فاستيقاظك

يسعى خلف عسيلتها

و إذا ما بلغ الذروة

يسند كفا فوق الحوض ..

وكفا تحت الإبط

يعلق ساقا فوق الكتف اليمنى

ساقا فوق الأخرى

يلتزع الأشواق جميعا

كيما تصعد فى ناموس الكون ٣٣

ص ٢٥١ .

ويستطرد الشاعر:

ولا تذكروه بحواء

حتى تعود من البوتيك

ومعها السوتيان والكيلوت

معها المائجو" ٣٤

يقول الناقد فى نشوة شبقية وهو يمتدح الخروج على كل الأديان والأعراف والمحرمات : "والسمة الثانية الواضحة أن هذا النص قد نزع حرمة الطابو عن المحاشم والمحارم والفيتشيات وأفعال الجنس . وهذه أيضا تسرى فى النص كله مما يكاد يعيى الحصر"<sup>٣٥</sup> ..  
اقرأ مثلا:

" يصلح أن يلتصق بأعشاب الإبطيين ، وأعشاب صالحة أخرى  
دم لايتنزل من أعماق الفرج"  
و:

"كيف يكون لعابك غير لعاب العضو"<sup>٣٦</sup>  
ص ٢٦٥

يقول الناقد:

"الشاعر أو رؤيته أو حسه بلزاء مشكلة تمضه وتعنيه: مشكلة المرأة والرجل والشبقية وميتافيزيقا الجسد".  
ولنواصل قراءة تلك الكتب التى تطبعها وزارة الثقافة وتدعمها لتتبعها بأرخص الأسعار لأبنائنا:

" السائل المنوى الأصابع الإبط اللسان القضيب

الرعايا الأسرى الرعايا

ها ها ها

هى هى هى "

ص ٢٦٦

و لا ينسى الشعراء بين العهر والكفر أن يسبوا العرب:

"والعرب قبائل متفرقة تنهب النخل فى اتجاه السماء.."

لكننا نعود إلى الفحش العاهر فى كتاب وزارة الثقافة.. أو على الأحرى ماخور الثقافة:

" لن أسالك عن العجوز الذى كان يقرصك/ فى ثديك الأيمن(../  
فقط . ./ ساكون حذرا من الدبابيس التى تكمش فتحة السوتيان /  
من القطن التى ترعى صممتك / وتمسح فروتها فى نهديك / خلصة /  
بمكر/ خاص . . جدا

و :

ثمة شياطين ملهمة / فكى شرائط الستيان / واتركيها تلفلف الفضاء  
على جسدك

ص ٣١٧

و :

يقبلها، ياخذ من ريقها، وتأخذ وترتخي وسيدها يفرك حلمتها فتوسع  
عينها وتميل مع حركته ، تتألم وتنتشى. حتى تنز بمائها فتصرخ :  
خذنى..

اريد أن أشعر بثقلك على..

ص ٥٢٢

إننى آسف يا قراء لكن الذبيح قد لا يشعر بالحياء إذا ما كشف الجلاء  
سوائته..

أنا آسف لإيراد هذه النصوص الداعرة..

هذا هو تنوير وزارة الثقافة المصرية يا مسلمون ويا عرب..

هذا هو ما يحاربون به الإسلام..

وأكثر من عشرين ألف معتقل يسومونهم سوء العذاب لأنهم يقرءون  
القرآن..

لا إله إلا الله ..

ولكن.. لنكمل ماخور الثقافة وهو يتحدث عن بقايا ما زالت لديهم  
أو لديهم مسحة ظلامية وتأسلم:

"أو سنذهب إلى أمهاتنا إذن

بلا أوسمة

بملابس داخلية غير مبقعة" ٣٧ ..

يا للعار ويا للفحش..

و :

"رغم الأفخاذ المتسلخة تعودين أجمل لكننى فقدت عادة الاشتهاة.."



و:

" أبعدى نهديك : جبليين شاهقين

بينهما ثعالب ظمأى إلى جسدى

أبعدى فخذيك :

بينهما مستنقع ملء بالكلاب المسعورة" ..

أبعدى .

أنت وسخ ..

جبال عينيك لا تلد إلا الحيات "

ص ١٧٤

يا لخلجى يا قراء ..

لكن .. كيف تدركون حجم الكارثة إن لم أكشف لكم عن بعضها ..

وتأملوا يا قراء كيف لا يتركون مقدسا إلا انتهكوه .. حتى الأمومة:

"عورة أُمى تنكشف / ولكنها تلملم الروث " ..

\*\*\*

يا عاطف عبيد .. هذا هو الفجر بعينه .. فجر فاجر وعهر عاهر  
لا يرعاه إلا فاجر وعاهر .. وتذكر .. أن من ولى أمر المسلمين فاجرا فهو  
فاجر مثله ..

\*\*\*

هؤلاء اللواطيون هم الذين يرفضون قراءة القرآن والحديث والتاريخ  
بل ويقرءونه لنا قراءة مسيئة .. فإذا حاولنا أن نقرأ شعرهم قالوا لنا أن  
للشعر طقوس لا يمكن قراءته دون دراستها .. ونسى اللواطيون أننا قراء  
المعلقات السبع والبحترى والمنتبى وأبى تمام وأبى فراس الحمدانى وحافظ  
وشوقى وأمل دنقل ..

لا إله إلا الله ..

هل تفهمون الآن يا قراء كيف أن أصحاب هذا الماخور نشروا أن  
القرآن خراء دون أن تطرف لهم عين ..

كنا نتصور أن مصر ستعلن الحرب على الفور إذا ما تجرأ واحد من  
دولة قريبة أو بعيدة فنطق بمثل هذا الكفر ..

لم نتصور أبدا أن نؤتى من مأمنا .. و أن نطعن فى مكمنا.. فإذا  
بعيوننا تتحول عن مكامن الخطر فى الخارج.. لتتظر إلى الداخل.. حيث  
بلغ اختراق نخبنا المثقة أن صاروا أشد سوءا من الأعداء..

\*\*\*

لا إله إلا الله ..

ماذا حدث للأمة..

وكيف صار بنا الأمر إلى هذا الحال.. كنت أسأل نفسى .. وكان  
الرجل يجلس أمامى مستخديا وراجيا كما لو كنت أملك أن أمنحه صك  
غفران.. ويقول:

كنت أريد أن أرد عن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم..  
كنت على المنبر .. وكنت أريد أن أصرخ فى عباد الشياطين أن القرآن  
ليس خراء.. ولكننى خفت.. فأنت لا تدري ماذا يمكن أن يفعل بنا الأمن  
لو أننا خرجنا على الخطبة المكتوبة لنا والتي تجيئنا كل صباح..  
لم أزد على قول لا إله إلا الله..

وواصل الرجل وكأنما شعر بأن ما قاله لم يكن مقتعا فأراد أن يزيد:  
أنت لا تعلم إلى أى مدى تبلغ فظاظة الأمن.. ثم أن من يجب  
أن يحمينا صنيعه لهم.. بل هو الذى يبلغهم عنا و يسلمنا إليهم .. هل تذكر  
ما حدث مع أحد كبار الشيوخ فى الإسكندرية.. إلى أى مدى وصلت  
إهانتة..

وأشحت عن الرجل وأنا أتمتم : لا إله إلا الله..

وواصل الرجل:

- لكننى عندما انتهيت من الصلاة وجدت أن عشرات من زملاى  
فى المساجد الأخرى قد تركوا النص المكتوب ولم يعيئوا بالأمن وخطبوا  
فدافعوا عن القرآن.. فيا ويلتى ويا شقوتى.. لم أدافع عن القرآن..  
انفجر الرجل باكيا فرحت أردد : لا إله إلا الله..

لكن صديقا كان يحضر اللقاء لم يتمالك نفسه فصرخ فى الرجل:  
لو أنك تركت الإمامة والخطابة وجلست تمسح الأحذية أمام المسجد  
لكان أفضل لك.. ولو أتقنت عملك ذاك لضمنت وضعاً أفضل فى الدنيا  
وفى الآخرة..

\*\*\*

لا إله إلا الله

أعترف لكم يا قراء أن قراءتي لرواية : وليمة لأعشاب البحر كانت تجربة أليمة.. وأقسم لكم بالله الواحد القهار.. أننى أثناء كتابة مقالتي الماضية: "لا إله إلا الله .. من يبائعنى على الموت .. تبت أيدىكم .. لم يبق إلا القرآن.. ماذا لو قلنا أن رئيس الوزراء خراء".. كنت واثقا أننى سأموت من الألم والقهر.. وأنه لم يدفعنى لمواصلة الكتابة رغم يقينى بالموت إلا أننى أحببت أن ألقى الله وأن أقدم اسمه وأدافع عن كتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم عساه أن يرحم ذلى وضعفى .

لقد قرأت كثيرا فى كتب المستشرقين.. وبعضها يقارب ما فى ذلك الكتاب الملعون من سفالة وبذاءة.. إننى مع المستشرقين أتوقع و أتوجس وأحذر.. لكننى مع كتاب نشرته وزارة الثقافة فى بلادى قد أخذت على حين غرة وطعنت من مامن..

ربما لأننى لم أتابع انحدار وزارة الثقافة وانهيارها بعد أن قاطعت إصداراتها منذ عشرة أعوام.. فلقد تصادف بعيد تعيين السيد فاروق حسنى وزيرا للثقافة أن نشر كتاب لكاتب يسارى يدافع عن الشذوذ الجنى ويعترف عن نفسه أنه لواطى ويتهم زملاءه اليساريين بالنفاق.. لأنهم رغم تأييدهم لما يقول فى الغرف المغلقة قد رفضوا الإعلان عن هذا التأييد.. بل وقاوموه عندما أراد أن يخصص كتابا للدفاع عن اللواط .. أحسست بالاشمئزاز والقرف.. وحدث ارتباط ما.. لست أدرك كنهه.. فقاطعت إصدارات وزارة الثقافة منذ ذلك الوقت.. حتى جاء ذلك الكتاب الملعون تحت يدى فكاد أن يقتلنى..

\*\*\*

تصورت يا ناس أن أنشر المقال سيسفر عن نصف كل مؤسسات وزارة الثقافة على الفور.. وأن أولى الأمر سيدركون أنها مليئة بالتلوث والنفائات.. تماما كتلك النفائات التى ضبطوها فى ميناء بور سعيد منذ وقت قريب.. حين كانت الشحنة التى استوردتها خائن زعيم تحوى حفاظات أطفال مستعملة مليئة بالخراء والمواد السامة لدفنها فى مصر.. قلت لنفسى أن المسئولين فى بلادنا سوف يتصرفون مع تلك المؤسسات التى نشرت أن القرآن خراء بنفس الطريقة التى تصرفوا بها مع مستورد الشحنة النجسة..

تصورت ذلك..

لكن تصورى كان أملا جهيضا فى القلب..  
وعلى العكس..  
وجدت من المثقفين والنخبة من يدافع عن الكفر البواح..

\*\*\*

لماذا خاننا متفقونا ...  
لماذا انتشعوا بأردية الأعداء؟..  
لقد انهزموا فلماذا حين انهزموا لم يذهبوا إلى بلاد الأعداء ليعيشوا  
فيها ..

لماذا ما داموا لم يذهبوا لم يصمتوا حتى يموتوا ...  
لماذا روجوا بيننا فكر الهزيمة...  
لماذا زيفوا التاريخ حتى لم يتركوا لنا ما نفخر به أو ما نعود إليه  
مستلهمينه كى نهض من كبوتنا لننتقم ...  
لماذا ... لماذا ...

ولماذا ينطلق المناكيد منهم مدافعين عن موقف لا يدافع عنه  
إلا شيطان.. ولماذا يحاول أولئك المناكيد أن يصوروا أننا ضد حرية الكلمة  
والإبداع.. على العكس ... فإننى متطرف فى اتجاه منح حرية الكلمة  
لجميع الاتجاهات بصورة تكاد أن تكون مطلقة... وما ذلك لاستهانة  
منى أو -معاذ الله - تقريط، بل إننى أدرك أننى أنضوى تحت لواء عقيدة  
تشكل فكرا هو الأقوى والأعظم والأصح ... عقيدة هى العقل والروح  
والمنطق... عقيدة تجعلنى أقوى من محمد على كلاً فكيف أخشى  
مصارعة أطفال صم بكم عمى مرضى أو لواطيين... إننى أثق  
فى أسلحتى... لذلك لا أعترض على منح الحرية كلها للآخرين ..  
ولا أعترض أبداً على حريتهم فيما يكتبون ... لكننى فى نفس الوقت  
أرفض أن أكون محمد على كلاً فأقيد ويحكم فى ويسلط الذباب والسهوم  
على<sup>٢٨٠</sup>!!

كنت أقول لمراسل وكالة أنباء الأسوشييتد برس عندما سألنى:

لا .. لست ضد الإبداع بالطبع.. لكننى ضد الإسفاف والابتذال..  
ولست ضد تناول أية قضية مهما كانت شائكة إذا كان تناول يتوازى مع  
أهمية القضية.. وإننى لا أنسى على سبيل المثال القسم الأخير من الجزء  
الثانى من رواية الاخوة كرامازوف لدستوفسكى.. رغم أن هذا الجزء كان

يتحدث عن درجة مروعة من الإلحاد.. كان عناء هائلا لأناس يحاولون الوصول إلى الحقيقة.. وكنت أصدق ما قاله دستوفسكى بعد ذلك أن أقرب الدرجات إلى الإيمان الصادق هي الإلحاد الصادق.. إننى لم أهاجم رواية الشحاذ لنجيب محفوظ أيضا.. لكننى أهاجم بمنتهى الضراوة أولئك المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان فيتصدوا لتمزيق مقدساتنا وهم يدعون أنهم الأكثر فهما..

قلت للرجل أيضا:

لقد احتفظت حضارتنا بتراث أوغل فى الفحش بل والكفر.. وتذكر أبى نواس والأغاني والفرق المختلفة التى زاعت عن الإسلام.. كان المجرى الرئيسى للنهر سليما ولم يكن يضره كثيرا أن يبول كلب أو خنزير فيه.. لكن عندما يكون الماء راكدا.. وليس لدينا سوى كوب من الماء ونحن تائهون فى البידاء فى الهجير فكيف نسمح للكلاب أن تبول فى مائنا الأخير..

وواصلت: قد نتجاوز عن دواء به ١% من السم لكن الـ ٩٩% الأخرى منه مواد نافعة.. لكننا لا نحتمل أبدا أن تسحب من الدواء كل المواد النافعة وتعطينا السم فقط.. وربما لو كانت الظروف غير الظروف والوضع غير الوضع لما أبهت لكلب يعوى..

\*\*\*

لقد كان رد فعل الناس على صرختى للدفاع عن المقدسات رائعا.. لكن رد فعل بعض الكتاب كان فاجعا..

أولئك الكتاب الذين تربوا فى أحضان الفكر الغربى الاستشراقى الاستعمارى التبشيرى الذى يحمل للإسلام كل الحقد والازدراء.. غيلان يُروج لفكرها بالأبناط الضخمة والأبواق الضخمة... وفى نفس الوقت يُحاصر أو يُصادر كل فكر آخر... فهؤلاء الكتاب الكبار يلعبون بالنسبة لفكر التغريب دورا أشبه بدور "البودى جارد" أو البلطجى... إنهم لا ينتمون بالضرورة ولا بالطبيعة إلى العالم الذى يدافعون عنه... لكنهم يتكفلون بحمايته وفتح الطريق أمامه وبمنع الآخرين من الاحتكاك به... ثم أنهم مأجورون !!!..

\*\*\*

لقد كان غريبا وإن كان مفهوما أن تحرف وكالة أنباء أجنبية فيما قلناه وأن تنسب إلينا ما لم نقله.. لكن الغريب وغير المفهوم أن تنقل عنها

صحيفة عربية كبرى تصدر فى لندن .. فتورد ما لم نقل وتحذف مما قلناه  
كل البذاءات السافلة التى احتوى عليها الكتاب الملعون.. وللقارئ  
أن يتصور كم تبدو صورتنا متشنجين وإرهابيين إذا ما اجتزئ من السياق  
ما أغضبنا..

\*\*\*

كان موقف السلطة - وما يزال - غريبا.. فما معنى تشكيل لجنة..  
كتاب يقول أن القرآن خراء.. الكتاب موجود والكلمات موجودة والكارثة  
أن وزارة الثقافة المصرية طبعته بأموال المسلمين.. فما الذى ستبحث عنه  
اللجنة؟.. هل هناك احتمال مثلا أن يثبت أن ما أورده الكتاب صحيح؟!  
أو أنه مقبول؟!!.. ولماذا وحتام تبدو الأمور فى بلادنا كمحكمة بلا قاض..  
تخيلوا أننا نطلب من قاتل أن يشكل لجنة من عصابته لبحث أدلة اتهمه ..  
أو من لواطى أن يشكل لجنة من عشاقه كى يضبطوه .. أو.. أو.. أو..  
أكاد أجن والله يا ناس..

\*\*\*

من بين الكتاب كان موقف صلاح عيسى مأساويا بشكل خاص..  
فالرجل له تاريخه وعمقه واحترامه لكن هل يستطيع أن يحافظ على كل  
هذا بعد رئاسته لتحرير القاهرة.. بدا موقفه مأساويا ومتناقضا مع ماضيه..  
بدا وكأنه يتوسل لإنهاء المسألة قبل أن يضطر لشهادة الزور.. وبدا أيضا  
نموذجا مأساويا لمن يفتقدون المرجعية الإسلامية فيجعل الله كل ماضيهم  
وكل أعمالهم هباء منثورا..

يا صلاح عيسى إننى أحترمك.. لكنك تتغير..

وإن كنت تحمل كل هذا الولاء لمن دفعوا لك تكاليف إجراء عملية  
جراحية فى القلب فكم تحمل من الولاء لمن خلق القلب كله<sup>٣٩</sup> .

\*\*\*

موقفان أشارا من الضحك أكثر مما أثارا من الاستياء.. الموقف الأول  
موقف على أبو شادى.. لكن أمره لا يستحق أن يذكر<sup>٤٠</sup>.. أما الموقف  
الأخر فهو للكاتب إبراهيم أصلان رئيس الهيئة التى أصدرت الكتاب  
المنكود حيث كتب معلقا على المقال الماضى: ويقوم المقال المنشور

بجريدة الشعب على اجتزاء بعض الكلمات من سياقها مقتديا بالمثل الشائع:  
"لا تقربوا الصلاة"!!..

إن الكاتب الكبير الجهبذ المسئول عن تثقيف أبنائنا وتنويرهم و تحجيف  
المنايع لا يعرف أن " لا تقربوا الصلاة" ليست مثلاً شائعاً وإنما كلمات من  
آية من القرآن الكريم!!..

تخلوا يا قراء.. هذا هو حال كبار مثقفينا..

تذكرت يا قراء حادثة حقيقية طريفة نشرتها الصحف حينما تسلل لص  
أحذية إلى أحد المساجد والناس يؤدون الصلاة.. فسرق بعض الأحذية  
وانطلق يجرى.. وخرج بعض المصلين من الصلاة وانطلقوا يطاردونه  
فألقي الأحذية المسروقة وواصل الجري لكنهم أمسكوه .. اقتادوه إلى  
الشرطة التي حولته إلى النيابة.. وكان وكيل النيابة حصيها - عادة  
ما تتوفر الحصافة إذا كان المتهم غير إسلامي - فسأله .. فأذكر وادعى  
أنه كان يصلي الصبح معهم وأنه شاهد اللص مثلهم فانطلق قبلهم يطارده  
فتقدمهم فظنوه اللص.. وهنا طرأت لوكيل النيابة فكرة.. فسأله على  
الفور عن عدد ركعات الصبح.. فأجاب اللص بثقة: ثلاث ركعات..

"لا تقربوا الصلاة " .. مثل شائع يا إبراهيم أصلان!!..

وهل يصح أن أناقشك في أى شئ بعد ذلك..

هل يحق لنا أن نسأله فيما قاله مؤكدا في إطار دفاعه عن ما ورد  
في الرواية السافلة من كلمات : اخرأ بربك أن كلمة ربك في الشام  
لا تعنى الله سبحانه وتعالى (..) أحيانا يكون مقصودا بها رب البيت  
وفي معظم الأحيان لا يكون لها معنى على الإطلاق.. هل يحق لنا أن  
نسأله فماذا عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟!.. أم نغلق الشفاه  
على ابتسامة ازدراء مريرة..

لكننى أقول لكم يا قراء أن هذا نموذج للكنز الذى أضعناه وللوباء الذى  
أخذناه..

وهذا نموذج على من يتصدى للتنوير فى دولة إسلامية..

\*\*\*

رد فعل آخر يدعو إلى الأسف والرتاء أكثر مما يدعو إلى أى شئ  
آخر.. فقد كتب أحدهم والغريب أن موقفه عكس اتجاه صحيفته- كتب  
يقول معلقا على المقال الماضى:

"كاتب كبير نشر في صحيفة الشعب بكائية على صفحة كاملة لأن بضعة سطور في رواية تجاوزت حقائق الدين.. صور الأمر بأنه أخطر من هزيمة ٦٧ وأن مصر على وشك الفناء إن لم تصدر الرواية وتحاكم المسؤولين عن إصدارها.. وببلاغته المختلف عليها أطار النوم من عيون الناس..".

فكرت أن أقسى عقاب يمكن أن ألحقه به أن أكشف للقراء اسمه.. لكنني أشقت عليه..<sup>١</sup>

\*\*\*

يا سيادة الرئيس أصدقك القول:

إن كارثة واحدة من كوارث وزارة الثقافة كانت تكفى لتحويل جل موظفيها إلى محاكمة فورية..

إن الناس لم تنس كارثة الاحتفال بالحملة الفرنسية.. ولا كوارث الآثار.. ولا الرقص على الكعبة.. ولا.. ولا.. ولا احتفالية المواخير بالألفية عند الهرم.. هي الاحتفالية التي صرح ميشيل جار مؤخرا في التليفزيون الفرنسي أنه يهديها لدولة إسرائيل..

إن الأمة تغلى من الغضب.. وعلامات الاستفهام تتحول إلى قرارات اتهام..

وأخال العالم الإسلامي ينظر إلينا بازدراء ودهشة..

والناس لا تتصور أنك يمكن أن تعلم فتسكت..

الفتنة تطل..

فأطفئها..

نرجوك<sup>٢</sup>..

\*\*\*

١ - الأستاذ مجدى شندى - نائب رئيس تحرير الأسبوع، وقد تعهد بعد ذلك أنه سيعتذر اعتذارا علنيا لو أن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى أو الأستاذ فهمي هويدي أيداني، ولم يف بوعده، بل حذفت صحيفة الأسبوع من تصريحات الشيخ القرضاوى تحية وجهها إلى.

٢ - كانوا قد فرضوا علينا مواصلة المعركة.. ونشرت مع المقال هذا الإطار للقراء: "نعتذر مؤقتا عن مواصلة بروتوكولات حكماء العرب ونقرأ معا في الأسبوع القادم كتابا آخر نشرته وزارة الثقافة يحتوى برنامجا لتعديل القرآن الكريم كى يتوافق مع النظام العالمى الجديد"



## نداء ورجاء إلى سيادة الرئيس :

أستحلفك بحق خالقك عليك ..

أستحلفك بمن استرعاك علينا وجعل رعيته أمانة في عنقك ..

أستحلفك بحق القرآن ..

أستحلفك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

أستحلفك ..

أن تصدر أوامرك الشخصية بمنع أى تعذيب عن أبنائنا طلبة وطالبات  
جامعة الأزهر .. وأن توصى بهم خيرا تماما كما لو كانوا أبنائك فهم أبنائك ..  
وهم رعيته الذين يسألك الله عنهم يوم القيامة ..

لقد بكيت والله يا سيادة الرئيس عندما قرأت بياناتهم واستغاثات  
البعض منهم .. ورجاءهم لى أن أنشر ما يحدث لهم .. ولكنى نكصت عن النشر  
.. لا خوفا والله فإنما أحسب عند الله نفسى .. ولكن أملأ فى تدخلك  
لإطفاء النار .. وأرجو الله أن يكون ما يشاء عن تعذيبهم كذبا ..

يا سيادة الرئيس .. إن من يأتى بكتاب من وزير أو لواء أو مسئول كبير  
يشفع له حتى لو كان مرتكبا لأعنى الجرائم ..

نقدم لك كتاب الله يشفع فيهم ..

فشفعه ..



لا إله إلا الله

يا سيادة الرئيس: الفتنة تطل .. فأطفئها ..

يا شيخ الأزهر : دافع عن دين الله

يا فضيلة المفتي: صمتك مذل ..

اشهد عليهم يا رب ..

واشهدى يا أمة ..

واشهدوا يا ناس ..

أنهم يكذبون على أنفسهم وعلينا وعلى الله ..

اشهدوا .. أن الفاسق والفاجر والسكران والذى لم يقيم قط صلاة يريد أن يحتكر تفسير القرآن والدين .. وأن يستقطب الدولة لاتجاهه ..

الفاسق والفاجر والسكران والذى لم يقيم قط صلاة يريد أن يعلمنا ما هو الإيمان وما هو الكفر ..

الفاسق والفاجر والسكران والذى لم يقيم قط صلاة يريد أن يعلمنا من ديننا الحلال والحرام .. والمسموح والممنوع ..

الفاسق والفاجر والسكران والذى لم يقيم قط صلاة والذى لا يستطيع كتابة جملة صحيحة ولا أن يصوغ معنى، يمنعنا من إبداء رأينا فى شعرهم بعد أن حولوا الشعر إلى دور بغاء ..

اشهد يا رب ..

اشهدى يا أمة ..

اشهدوا يا ناس ..

اشهدوا أن ما يحدث الآن على الساحة أبشع عملية تزوير للحق ..

أبشع ما يمكن أن يحدث لإلباس الحق ثوب الباطل ..

أبشع ما يمكن أن يحدث لإلباس الباطل ثوب الحق ..

اشهدوا أن الصحافة الحمراء لا تشن حربا على حزب ولا على دين  
وإنما على الله ورسوله والمؤمنين ..  
اشهدوا أن حثالات وبقايا الشيوعية والإلحاد يحادون الله ورسوله  
والمؤمنين ..

اشهدوا أنهم يكذبون ..  
إنهم يحولون القضية من قضية كفر فاجر فاسق وتطاول غير مقبول  
على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى قضية إبداع  
والإبداع منهم براء ..  
يا ناس ..

إنهم يشبهون لصا أو مجرما يرتكب من الجرائم ما شاء فإذا ما أطبقت  
الشرطة عليه التجأ إلى المسجد .. ليدعى بعد ذلك أن الشرطة تقتحم  
المساجد .. ولكي يتمكن من الإفلات بجريمته يقيم الدنيا ولا يقعدا حول  
حرمة المساجد وإجرام الشرطة التي دخلتها لتقبض عليه ..  
نعم ..

هم كذلك اللص المجرم الذي يمتن المسجد بالاحتماء به بعد ارتكاب  
جريمته .. ثم يمتننه مرة أخرى عندما يتصور أن المسجد يمكن أن يحمي  
المجرمين ..  
كذلك فعلوا يا ناس ..

يجرمون ويفسقون ويكفرون ثم يحتمون بالإبداع والإبداع منهم براء ..  
نحن لم نهجم الإبداع ..  
نحن هاجمنا وسنهجم إلى أن نموت أى فاسق فاجر كافر يجرو  
على تشبيه القرآن بالخراء ..  
نحن هاجمنا وسنهجم إلى أن نموت أى زنديق كافر يقول أن العاهرة  
أكثر قداسة من الله ..  
فهل هذا هو الإبداع يا ناس ..

إننا لم نعترض على الإبداع.. بل اعترضنا على تشبيه القرآن بالخراء.. وعلى سب الرسول والقرآن ...

أكرر السؤال يا ناس .. هل الإبداع وصف القرآن بأنه خراء؟.. هل هذا هو الإبداع الذى انفردوا به وعجز أن يأتى بمثله دستويفسكى وتولستوى وفوكنر وجيمس جويس وصمويل بيكيت ويوجين أونيل وهنريك إبسن وكيركجارد وسارتر وكامى وباسترنك وشكسبير؟..

هل هو إبداع أم خيانة لثوابت الأمة يدفع ثمنها أعداء الأمة شهرة ومالا ومجدا وحماية..

نعم ..

إنهم تماما كلص فى السوق.. أو نشال فى "الأتوبيس" ما أن يرى الناس قد كشفوه وكادوا أن يطبقوا عليه حتى يشرع فى الصراخ بعد أن يلقى بالمحظة تحت قدى برئ ليصرخ : هذا هو اللص..

كذلك فعلوا يا ناس..

هدموا الإبداع ثم راحوا يتهمونا بهدمه..

خربوا الثقافة ثم راحوا يتهمونا بما اقترفوا..

فى عهدهم خربت اللغة - أساس كل إبداع - كما لم تخرب من قبل .

فى عهدهم انهارت القيم كما لم تنهر من قبل..

إن وزيرة فى الحكومة المصرية هى التى صرحت أن ١٧% من طالبات الجامعة قد تزوجن زواجا عرفيا..

فكم يا ترى لم يحتجن إلى ورقة التوت المغشوشة يغطين بها سوء أتهن..

ولماذا نندهش لذلك إذا كانت مطبوعات وزارة الثقافة تتدنى حتى تنتشر الفسق والفجور.. وتصف بعهر - على بوليس الآداب أن يضبطه - كل ما يهدم القيم والثوابت..

لماذا نندهش عندما نتحدث بعض الدراسات إلى أن أكثر من ٥٠% من طلاب الجامعة يتعاطون البانجو..

يا ناس..

نحن خير أمة أخرجت للناس..

يا ناس.. نحن أعظم حضارة فى التاريخ وعلينا أن نستعد ليوم نهض فيه من كبوتنا لنواجه أعداءنا وأعداء الله..

يا ناس.. هل الجيل الذى تشكل وجدانه كتب وزارة الثقافة هو الذى نعتمد عليه لنرد عن الوطن والدين الغوائل..

يا ناس.. هذا الجيل الذى تشكل وجدانه وزارة الثقافة هل هو القادر على مواجهة إسرائيل؟..

يا ناس.. ليت أحد المراكز المختصة يجرى استبياناً عن الشباب الذى شكلت وجدانهم مطبوعات وزارة ثقافتنا.. أن يسألهم: لو فتحت أبواب الهجرة فكم منكم يهاجر وكم منكم يبقى.. وأظن الإجابة معروفة.. فمطبوعات وزارة ثقافتنا لم تكثف بهدم ثوابت الدين بل زلزلت كل أحاسيس الانتماء والمواطنة وهى بهذا تترك الوطن عارياً أمام أعدائه..

يا ناس..

إنهم يلبسون الحق ثوب الباطل..

وبرغم ذلك كله فإن اعتراضنا على تشبيه القرآن بالخراء لم يتركز على المؤلف ولا على روايته.. فليذهب إلى الجحيم ما دام قد اختار الطريق إليها.. لقد انصب اعتراضى على قيام وزارة الثقافة المصرية بإعادة نشر الرواية فى مصر.. والرواية التى تباع فى الأسواق بثلاثين أو أربعين جنيهاً دعمتها وزارة الثقافة حتى بيعت بأربعة جنيهات.. هل هذا هو الفكر الذى ننقله ونعلمه لأبنائنا.. إننى بهذا لا أترك عملية الاختيار الطبيعية.. إننى ألجأ إلى شئ شبيه بالإغراق فى سوق الاقتصاد.. تخيلوا لو أننا ذهبنا إلى بريطانيا أو أمريكا لنبيع السيارة المصرية نصر بسدس أو سبع ثمنها.. ألن نحاكم حينها بتهمة ارتكاب جريمة اقتصادية اسمها الإغراق.. إننا بهذا نرغم الناس ولا ندعهم يختارون ضد قيم الأمة وضد دينها بل وضد أمنها القومى...

بل إنهم لكى يدافعوا عن اختياراتهم الشائثة كذبوا..

نعم.. كذب المسئولون فى وزارة الثقافة وكانت مجلاتهم وصحفهم تكذبهم..

لقد صرحوا بأن الرواية مسموح بها فى كل الدول العربية..

لكن أخبار الأدب : العدد ٣٥٦ الأحد ٢ من صفر ١٤٢١ هـ الموافق  
٦ من مايو تذكر بالنص على لسان حيدر حيدر:

"عشت فى بيئة تحاربنى على المستوى الدينى ولا يقولون أننى علمانى  
ولا عقلانى وتوبرى بل يقولون ملحدًا"..  
ويسألونه:

هل كنت تجد صعوبة فى نشر أعمالك ؟  
فيجيب:

"صعوبة شديدة جدا .. معظم كتيبى تم نشرها فى لبنان حيث لا توجد رقابة  
على النشر وبعضها نشرته على حسابى الخاص فأنا باستمرار فى مشكلة مع  
الرقابة وفى المرحلة الأولى عانيت بسبب الزمن الموحش حيث منعوا نشرها  
فأقمت الاتصالات والمحاولات المستمينة لإعادة قراءتها ونشرها .. وفى فترة  
من الفترات منعوا الوعول وعندما نشرتها فى لبنان منعوا دخولها إلى سوريا  
وكذلك وليمة لأعشاب البحر فقد عشت أنا وكتيبى فى حالة منع مستمر  
من بلاد عربية كثيرة "

حيدر حيدر بنفسه يعترف بنفسه ..

فلمصلحة من تكذب أجهزة وزارة الثقافة..  
المصلحة الشيطان..

اقرأوا أيضا فى نفس العدد من أخبار الأدب تعليق الأستاذ محمود  
أمين العالم:

"أخذت أقلب بين يدي رواية " وليمة لأعشاب البحر" أو "نشيد الموت" للأستاذ  
حيدر حيدر " بحثا عن اسم ناشر أو مطبعة فلم أجد وأخيرا علمت أن دور  
النشر العربية جميعا رفضت نشر هذه الرواية فقام هو بطبعها على نفقته  
ولكن يبدو أن المطبعة التى قامت بطبع هذه الرواية ، قد أثرت هى أيضا  
السلامة فاكثفت بالطبع ، وامتنعت عن ذكر اسمها.

صدرت الرواية مجهلة إلا من اسم مؤلفها . ولقد علمت كذلك أن الرواية تكاد تعتمد فى توزيعها على اليد . وعلى العلاقات الشخصية، كما توزع المخدرات أو المنبهات المحظورة..

انتهى كلام محمود أمين العالم..

فلماذا كذبت أجهزة وزارة الثقافة..

لماذا كذب الوزير نفسه كل يومين .. لقد صرح أولا بأن الرواية مصادرة منذ منتصف نوفمبر الماضى.. وفى نفس يوم نشر بيانه كان بيان على أبو شادى يقول أن الرواية صدرت فى منتصف نوفمبر..

لماذا حاول الوزير باستمرار أن يخلط بين طبعة مصرية هو الذى أصدرها ورعاها وباعها بعشر ثمنها وبين طبعات لبنانية لم نساله ولم نطلب حسابه عنها رغم أنه بحكم مسئوليته الوزارية مسئول عما يدخل إلى البلاد من عناصر الثقافة..

إننى أتهم وزير الثقافة أنه بسبب مواقفه المتناقضة قد أشعل غضب الناس.. أشعل غضب الطلاب.. يوم الخميس نشرت صحيفة الوفد بدهشة تصرّحاً عن اللجنة التى شكلها وقوله أنها ليست لجنة تحقيق بل لجنة ستشرح للناس ما خفى عليهم من إبداع فى الرواية.. يوم الجمعة الماضى نشرت صحيفة الأهرام فى مكان بارز خبر مصادرة الرواية .. ويوم الأحد نشرت صحيفة الأخبار تصريح وزير الثقافة بأن الرواية لم تصدر.. وانفجرت مظاهرات الطلاب يوم الاثنين..

لماذا يا ناس هذا العبث بمقدرات الوطن؟

لمصلحة من؟؟..

تذكرون يا ناس أننى حذرت من الاقتصار على الرواية أو على كاتبها الملعون.. بل إننى اعتبرت أن ما كتبته فى المقالة الثانية عن مجموعة الصعاليك والمرضى والشواذ - كما سماهم فاروق جويده٢ - أخطر مما كتبته عن حيدر الملعون وروايته.. فوزارة الثقافة المصرية تبدو كما لو كانت قد تعهدت للشيطان ألا تدع قيمة إلا هدمتها ولا ثوابت إلا حطمتها..



إن القانون الإنجليزى مثلاً يجرم الاعتداء على التوراة والإنجيل.. وهم لا يعتبرون القرآن كتاباً سماوياً مقدساً.. هم وشأنهم.. لكن ألا يحق للقرآن فى بلاده أن يقدر.. لقد منع فيلم العشاء الأخير للمسيح فى لندن وخرجت المظاهرات تحطم دور السينما التى تعرضه فى باريس..

ثم ما هو السر فى ذلك الهجوم العنيف الذى تشنه علينا الصحف الحمراء.. إننى واثق أن القاعدة الثقافية المصرية بخير.. وأن السمك الميت والبيض الفاسد هو الذى يطفو على سطح الماء فيراه الناس..  
يا ناس..

القضية ليست كما يحاولون تصويرها قضية إبداع بل قضية غزو فكري تتعرض له بلدنا..

يقول العلامة محمود شاكر فى كتابه: أباطيل وأسما: "حين شرعت فى كتابه هذه الفصول سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٤ كنت قد قدرت لها مقادير ، ونهجت لها نهجا مستتباً ظننت أنى يعون الله ، قادر على أن أمشى فيه وفى دروبه أتهدى لا يذعرنى شئ حتى أبلغ نهايته . ولكن شاء الله غير ما شئت ، وقدر غير ما قدرت ، وخابت ظنوني واختطفت عن السير فى أوائله، فدع عنك بلوغ نهايته ...

ثم كان ما كان ..

لهذه الفصول غرض واحد ، وإن تشعبت إليه الطرق وهذا الغرض هو ما قلت لأخ الصديق الأستاذ محمد عودة هو الدفاع عن أمة برمتها هى أمى العربية الإسلامية. وجعلت طريقى أن أهتك الأستار المسدلة التى عمل وراءها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم فى زمانها ، وهمهم جميعاً أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا ، وعلى حياتنا وعلى ثقافتنا وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذى بناه أبائنا فى قرون متطاولة وصححوا به فساد الحياة البشرية فى نواحيها الإنسانية ، والأدبية والأخلاقية والعملية، والفكرية وردوها إلى طريق مستقيم. علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، وكان مما قدر الله أن أفتح عينى على ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، وعلى دار تموج بالثوار، فعقلت من الأمر يوماً ما عقلت ، ورأيت بعينى رجالاً ، وسمعت بأذنى آراء ، ورضيت بقلبى أو سخطت، وأعانتنى فطرتى بضرب من التمييز، كان يرج نفسه رجاً شديداً ، وأنا بعد فى نضارة الصبا . ولم أكد حتى

انطلقت أجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ، ويتشقق بالصراع المرفى  
ميادين مختلفة: من الدين إلى العلم ، إلى الأدب إلى الفن، إلى السياسة  
إلى السنن الموروثة فخضت محنة زمانى فى أول نشأتى، بنفس غضة  
مجرحة بالتجارب ، ومضت بى الأيام ، وأثخننى التجارب ، وهلك  
رجال، ونشأت رجال ، فرأيت وسمعت، ورضيت وسخطت، وعلمت  
من أسرار الصراع ما لم أكن أعلم ...

صار حقا على واجبا أن لا أنتلجج، أو أحجم ، أو أجمجم ،  
أو أدارى ، مادمت قد نصبت نفسى للدفاع عن أمتى ما استطعت إلى  
ذلك سبيلا، وصار حقا على واجبا أن أستخلص تجارب خمسين سنة  
من عمرى ، قضيتها قلقا حائرا ، أصارع فى نفسى آثار عدو خفى  
شديد النكاية ، لم يلفتنى عن هول صراع شئ ، منذ استجمعت قوتى ،  
واستتارت بصيرتى ، منذ استطعت أن أهتك الستر عن هذا العدو الماكر  
الخبث، ثم صار حقا على واجبا أن لا أعرج على بزيان الطريق،  
وإلا بعد أن أجعل الطريق الأعظم الذى تشعبت منه واضحا مستبيناً ،  
ثم صار حقا على واجبا أن لا ألوجه فى الكشف عن حقيقة هذا  
العدو، وعن حقيقة الصراع الذى عانيت به وحدى على وجه من الوجوه ،  
والذى عانيت به مع أمتى العربية والإسلامية على وجوه أخر.

وقد سرت فى هذه الفصول المتشعبة المعانى سيرة واحدة ،  
فضمنت جميعا بابا أو أبوابا من النظر إلى حقيقة الصراع الذى دار  
ولم يزل يدور على أرضنا ، وفى عقولنا وفى ضمير أنفسنا، وأشرت  
فى مواضع كثيرة إلى أن هذا الصراع صراع بين حضارتين مختلفتين  
فى جذورهما أشد اختلاف: حضارة طال عليها الزمن فغفت غفوة آمن  
مستريح لا يفزع شئ ، وحضارة واتاهما الزمن فهبت يقظة متافئة  
جريئة، لا تأمن أحدا ولا تطمئن إليه فلما بدرت بوادر الصراع ،  
قامت " الغافية " تتمطى ، تطرد الفتور عن أعضائها ومفاصلها ،  
وتمسح النعاس اللذيذ عن وجهها، غافلة لا يفارقها شعورها القديم بالأمن  
والاطمئنان، أما " اليقظة " فهبت حذرة ، تراقب وتتحسس ، وتطوف ،  
وتتأهب للسطو على هذه " الغافية " باغية لا يفارقها شعورها الجديد  
اللذيذ بالقوة والبطش والضراوة ، وبحب الغلبة وبسط السلطان، ونشب  
الصراع جسا بأطراف الأسنة ودا بأسباب التجارة، وشيئا فشيئا جاءت  
الجیوش واستفحلت التجارة، وجاء معها أو سبقها طوائف المبشرين .  
لم يكونوا طائفة من الدعاة إلى الديانة فحسب ، بل كانوا طوائف لكل

منها صفة ورسم تمشى به فى الناس ، تأخذهم من غفلاتهم قبل أن يفيقوا. وأطبقت على رقعة العالم العربى والعالم الإسلامى ضبابية كثيفة ووطئ عليها تاريخ طويل يسحق القوى وينسفها نسفا ... وكانت قصة طويلة متmadية ، تقطردما وغدرا وخيانة ، وترشح مكرا وخبثا وخسة وفظاظة ...

فهذه الفصول التى كتبتها ، ترفع اللثام عن شئ عن هذه القصة التى تجرى أحداثها فى أخطر ميدان من ميادين هذا الصراع ، وهو ميدان الثقافة والأدب والفكر جميعا ، ويزيده خطرا : أن الذين تولوا كير هذا الصراع ، والذين ورثوهم من خلفهم ، إنما هم رجال منا ، من بنى جلدتنا ، من أنفسنا ، ينطقون بلساننا ، وينظرون بأعيننا. ويسيروا بيننا آمنين بميثاق الأخوة فى الأرض أو فى الدين ، أو فى اللغة أو فى الجنس ويزيد الأمر بشاعة : أن الذين هم هدف للتدمير والتمزيق والنفس لا يكادون يتوهمون أن ميدان الثقافة والأدب والفكر أخطر ميادين هذه الحرب الخبيثة الدائرة على أرضنا من مشرق الشمس إلى مغربها ، ولا أن معارك الثقافة والأدب والفكر متراحبة لا تحد بحدود ، ولا أكثرها يأتى مؤقتا توقيتا دقيقا إما قبيل حركات النهضة والإحياء ، وإما معها ، وإما فى أعقابها ولا أن الأمر صار أخطر مما كان منذ سبعين سنة ولا أن هذه المعارك ليست فى حقيقتها أدبية أو فكرية أو ثقافية ، بل هى معارك سياسية ، تتخذ الثقافة والأدب والفكر سلاحا ناسفا لقوى متجمعة ، أو لقوى هى فى طريقها إلى التجمع ، ولا أن أمضى سلاح فى يد عدونا هو سلاح الكلمة الذى يحمله رجال من أنفسنا ينبئون فى كل ناحية ، ويعملون فى كل ميدان وينفثون سمومهم بكل سبيل ، ولا أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم علم ، وبعضهم قد أخذ من غفلته ، فهو ماض فى طريقه على غير بينه<sup>١</sup>

انتهى الاستشهاد الطويل بالعالم العلامة محمود شاكر ولعله يشرح لكم القضية كلها يا ناس..

لقد كان أحد المواطنين يهاتفنى ويصرخ:

أبشع من الكلمات التى أوردتها الرواية الفاجرة موقف مثقفينا.. هذه ليست قضية حزب ولا اتجاه ولا تيار.. هذه قضية دين وأمة ومستقبل..

١ - مقدمة فى الطريق إلى ثقافتنا - مرجع سابق.

ولم أحر جوابا ..

لكننى رحت أستعيد ما قرأته لأسامة عرابى ذات يوم:

"فى مصرنا المحروسة بالصصوص والأفاكين الآن نمطان لا ثالث لهما فى الكتاب والصحافين :

أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التى تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى ، بعد أن امّحت تماما الحدود الفاصلة بين عمل المخبّر السرى . والنمط الثانى : يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهى بلا ريب أمريكا - ومن ورائها إسرائيل، أما من أرضى لنفسه الاختيار الصعب ، وهو أن يعيش شريفا عفيفا صاحب موقف ومبدأ فمكانه الأوحّد الانزواء فى غياهب النسيان ، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه " إننى لا أصدق كلام أسامة عرابى<sup>٣</sup> ، وإلا فقولوا على الدنيا السلام.. لكن تصرفات بعض كتابنا وصحفيينا ومتقفينا قد تجعل البعض يصدقون..

إنهم أشبه بالطابور الخامس.. ولكى أبرهن لك على ذلك فإن هؤلاء الذين يطالبون بالحرية المطلقة ويدافعون عن وصف الله بالخراء وتشبيهه بالمومس الداعرة والسخرية من الرسول صلى الله عليه وسلم .. هؤلاء.. لا يجرؤ أحد منهم على توجيه أى انتقاد لأصغر مسئول ..

إنها حرية ضد الأمة وضد الله ولصالح الحكام أعداء الأمة ولصالح أعداء الأمة أيضا..

إنها حرية هدم الدين..

نأتى بعد ذلك للرواية..

وبغض النظر عن أنها رواية ركيكة تافهة متهافئة فإن ثمة فارق بين أن يلجأ الكاتب إلى خرق ثوابت الأمة كى يؤكد لها أو يثبتها وفارق بين الاختراق من أجل الشهرة ولو على حساب هدم المجتمع نفسه.. وفارق بين أن يتناول هذه القضايا بالمسؤولية الواجبة وبين أن يكون تناول سافلا ومبتذلا ومنحطا.. بل إنه لا يستطيع أن يتناول حتى رجل الشارع العادى بكل هذه البذاءة والانحطاط..

فى الجزء الثانى من الاخوة كرامازوف كانت اعى صور الإلحاد  
تناقش بالحرية كلها ومع ذلك لم يملكنى إلا الإعجاب والانبهار بالكاتب  
لمناقشته..

لماذا لجأ بعض مثقفينا إلى هذا الهجوم الضارى؟..  
هجوم لم تشهده مصر عبر تاريخها منهم فى أى قضية.. لا قضايا  
الوطن ولا قضايا الناس.. ولا أى قضية أخرى..  
لأنه القرآن..

هل احتشدوا له كل هذا الاحتشاد لأنهم يعلمون أنه أمانع حصوننا..  
هذه قضية ما كان يجب أن يكون فيها اختلاف فلماذا اختلفنا..  
لماذا اعتبرتم فاروق حسنى فرعونكم فرحتم كالكهنة القدامى تدعون  
لعبادته من دون الله..

هل لو أنى قلت عن فاروق حسنى فى رواية ما تدافعون عن حق  
حيدر حيدر فى أن يقوله عن الله أكنتم تاركى؟..  
لو أنى قلت - على لسان أبطال روايتى - عن فاروق حسنى أنه  
خراء وأن المومس أفضل منه أكنتم تدافعون عن حقى فى التعبير؟..  
أنا أقول لكم يا قراء..

الهدف الأول أن يمنعونا من مواصلة جهادنا للحفاظ على قداسة  
القرآن..

والهدف الثانى.. أن يحولونا من الهجوم على رموز الكفر إلى  
الدفاع عن أنفسنا....

والهدف الثالث أن يفصموا العلاقة الحميمة بين من تصدوا لهذه  
الحملة وبين الناس.. وأن يشوهونا باستدراجنا إلى قضايا فرعية.. يعلم الله  
فيها أنهم لكاذبون..

يالها من خطة يفخر بها الشيطان ويسعد..

وأقول لكم على الرغم منى يا ناس أنهم حققوا بعض النجاح  
فى خطتهم.. فقد وعدتكم فى الأسبوع الماضى أن أتناول اليوم كتابا من  
كتب وزارة الثقافة تدعو فيه كاتبته إلى تعديل القرآن كى يتوافق مع النظام  
العالى الجديد ومواثيق حقوق الإنسان..

هاهم قد أجبروني على تأجيل ذلك للأسبوع القادم فهنيئاً لهم وهنيئاً للشيطان..

ولا أملك فى نهاية مقالتى.. إلا أن أستشهد ببعض ما يهاجموننى به وهى مقالة كان عنوانها: وكأنهم يقولون: قل هو الرئيس أحد.. الرئيس الصمد.. وقد نشرت فى صحيفة الشعب قبل أعوام ثم فى كتاب عنوانه: "من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك" .. أختتم به هذا المقال.. أن ما قلته لهم أيامها يستحق أن يقال لهم الآن أيضاً.. لأنهم لم يتعلموا أبداً .. ولم يكفوا عن الكذب والنفاق أبداً و لم يتوبوا أبداً:

"المهم هو القيام بالدور الذى رسم لهم ، الذى اصبحوا مهمين - من المهم لا الأهمية ليس مهما أيضاً التاريخ ولا الصدق ولا الوطن ولا أى شئ .. المهم هو القيام بالدور الذى رسم لهم، وهذا الدور هو امتداد لدور جهاز الأمن ، حتى انه اصبح من الواجب أن تحدد رتب معروفة لبعض الصحفيين حتى نعرف حجم ما يمثلون من السلطة لا من الشعب.

والحقيقة أننى أستطيع أن أتخيل جزءاً من مشاعر هؤلاء الذين يهاجمون كل قيمة نبيلة فى مجتمعنا(..) فأولئك قوم - كفاوست - باعوا أنفسهم للشيطان الذى حدد لهم ما يدفعونه ، أن يقوموا بتزييف وعى أمتهم وتخریب وجدانها ومحو ذاكرتها وتشويه رموزها وإفقادها الأمل فى احتمال الخلاص ، فى تفتيت الوجدان الجماعى للأمة حتى تصبح شرائم متناثرة يسهل اغتصابها، وكلما وجد أحد هؤلاء الفاوستيون بواذر توحى أن الأمة لم تنس وان الذاكرة لم تمح ، وأنه ما زال هناك رجال وأبطال وشهداء ومناضلون وتاريخ وفن ، كلما وجدوا ذلك امتثلوا فزعا ورعباً، لأن معنى وجود هذه النماذج أنهم لم يقوموا بواجبهم تجاه الشيطان كما يجب ، وأنه قد يغضب عليهم فيذهب بهم لياتى بغيرهم يكون كم الشر فيهم أكبر ونوعه أعتى . . لذلك فانهم عندما يواجهون النماذج النبيلة بكل هذه الحدة وكل هذا الحماس لا يفعلون ذلك كراهة فى الأمة فقط بل دفاعاً عن وجودهم ذاته ، وجودهم مرتبط بتمير الأمة فان بقيت فيها علامة حياة بادوا. والحق أننى لا اعتب عل من باع نفسه للشيطان فالعتاب أسمى ، ولو كانوا مجرد خدم للسلطان ما حملنا عليهم لكنهم خدم أعدائنا وأعدائه .. وكل منهم لا يقل بذاء وسفاهة عن علاء حامد ، وكل منهم أولى أن يكون مكانه ، لكن : لبيعوا أنفسهم كما شاءوا ولا عتبى عليهم، العتبى عل من يسمح لهم أن يبقوا فى مناصبهم .

وثمة عتاب آخر على المثقفين والكتاب والنقاد، فأقل القليل منهم من يواجهه، أما الباقون فيتصرفون كرجال محترمين يتجنبون الخوض في مياه المجارى القذرة أو مواجهة بلطجى فى ملهى ليلي، لكن مصر ليست ملهى، وهم أنفسهم ماذا يفعلون إذا طفحت مياه المجارى فى بيوتهم حتى لتوشك أن تغرقهم؟ ليس أمامهم إلا أن ينزحوها، عليهم أن يواجهوا، حتى لو طالهم الرذاذ القذر فذلك أفضل من الغرق (....) إنهم يؤلهون الرئيس كل رئيس فإن مات أو قتل انقلبوا على أعقابهم، فاخذوا بنبيشون قبره ويسلخون أهله ويرجمون ذكره. وهم بذلك يا سيادة الرئيس لن يضروا الله شيئاً لكنهم يضرونك أنت، ويضروننا معك، ديدان مقرزة تتغذى على الجسد طالما هو حى، فإذا مات نهشته ثم انتقلت إلى غيره.

أجل .. كم تسعى إليك هذه الأقلام وتيك الصحف يا سيادة الرئيس، تسعى إليك حتى لتصبح اخطر عليك من أعدى أعدائك، تسعى إليك حين لا تهدى إليك عيوبك، وتسعى إليك حين تسعى لتأليهك، متى يبرح الخفاء فنسمع الترانيم الكافرة التى تتردد فى صدورهم تتم عنها أقوالهم :

قل هو الرئيس أحد..

الرئيس الصمد..“

\*\*\*

كان هذا ما كتبتة منذ أعوام وما يتهموننى اليوم بسببه..

ترانى أحتاج إلى إضافة مزيد؟..

والى الأسبوع القادم إن شاء الله يا قراء.. وأعدكم ألا أمكنهم منى ولا منكم مرة أخرى.. سوف نواصل الحديث عن القرآن..

لا لنحميه..

فهو الذى يحميننا...





## لا إله إلا الله<sup>١</sup>

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ  
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

صدق الله العظيم

لا إله إلا الله..

أتصور أحيانا يا ناس أن مقالاتي القليلة الماضية لم تنتشر في مصر،  
كنازة الله في أرضه، مصر التي حمت الإسلام والمسلمين مرتين، مصر  
بلد الأزهر، وأننى حين دافعت عن قداسة لفظ الجلالة والقرآن والرسول  
لم أفعل ذلك في بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله .. بل دافعت عن  
القرآن بين بنى إسرائيل أو فى روسيا الملحدة أو فى أى بقعة من بقاع  
الأرض حيث لا يوجد من يشهد : " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا  
رسول الله" .. لو أننى كتبت مقالاتى تلك هناك .. هل كان سينهمر كل هذا  
الطوفان الكاذب الذى انهمر من نخبتنا المزيفة المزورة التى وضعوها فى  
واجهة حياتنا الثقافية فاتضعت؟! .. نخبة النواصى الكاذبة الخاطئة، التى  
شنت أضخم حملة صحفية فى تاريخ مصر الحديث .. ليس ضد إسرائيل  
ولا أمريكا ولا مناصرة للشيشان أو كوسوفا أو الفلبين أو كشمير ..  
ليس أيضا فى أى قضية من قضايا الوطن .. بل ضد من يدافع عن قداسة  
لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وراح معظمهم يكذب ولا يخجل من  
الكذب أبدا .. وبدا أن كل شئ عندهم مستباح كى يبيحوا لصعاليكهم ،  
كلاب النار حطب جهنم .. أن يجترئوا على مقدساتنا .. على الله والقرآن  
والرسول صلى الله عليه وسلم ..

كان رد فعل الأمة رائعا وكان رد فعل الطغمة المسيطرة على صحفنا فاجعاً.. وبعيدا عن كل الغبار والقذى فلقد كشفوا أنفسهم.. فهذا الموقف يا ناس ليس شأننا من شأن الدنيا يحق لنا أن نختلف فيه.. الموقف موقف حصننا الأخير..

ملأنا الأخير..

الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم .

إن موقفهم رغم أنه يخزى مصر أمام العالم، العالم الذى تتلمذ ذات يوم على ريادة مصر، فإذا به الآن يحتاج أن يعلمها أبجدية الحروف، وإذا بنخبته المفكرة التى وضعت فى المواجهة فانتضعت، أشبه بطفل معوق، توقف نمو عقله، فأصبحت تصرفاته تنثر من الرثاء أكثر مما تنثر العجب، ومن التأمل أكثر من الغضب. لكن كارثة موقفهم عليهم، أنه كشف عن دخائلهم القبيحة ، كشف عن نفاقهم، لتكتشف الأمة الحقيقة ناصعة واضحة، وليتميز الخبيث من الطيب، ولتحدث عملية الفرز والمفاصلة الكاملة بين الإيمان والنفاق والكفر.

أعلم أنه محزن لك يا أمة.. أن تكتشف أن كل هذا النفاق كان يصب سمومه طيلة ما مضى من حقب كى يزيغ وعيك ويفقدك رويدا رويدا الإيمان بالله.. ولم تكونى قد اكتشفت حقيقة أمرهم بعد أيّتها الأمة المنكوبة بهم.. كنت قد منحت بعضهم حبك وبعضهم احترامك وبعضهم عقلك.. الآن تكتشفين يا أمة أن معظمهم ليس إلا الحثالة الباقية من مطلع القرن التاسع عشر.. حين انهزمت الحملة الفرنسية.. فتركت لنا أوباشها كى يواصلوا دس السم فى عروقنا.. فلكان طلبة جامعة الأزهر حين انتفضوا غيرة على دينهم.. أسقطوا من الزمان عار قرنين من التزييف والكذب والتزوير.. وكانهم اكتشفوا فجأة أنه وقد انتهت ثورتهم الثالثة على الفرنسيين.. فإن ثورتهم الرابعة على أذئاب الحملة يجب أن تبدأ على الفور. وبدأت المظاهرات السلمية بفتيات الأزهر مفتتة كل أراجيفهم عن وضع المرأة فى الإسلام، وبرغم المعالجة الخاطئة للسلطة فإن ما حدث ما حدث يمثل نقطة تحول حاسمة سيذكرها التاريخ.

نعم.. خدعت الأمة فى نخبته المتقفة طويلا ، وفى كل القضايا الأخرى، التى كانت تحتمل اتخاذ موقفين، كان على الأمة أن تتصور أن

هؤلاء الكتاب والصحفيين، يقولون ما يعتقدونه حقاً، وقد يخطئون، لكنهم يعودون إلى الحق عندما يتبين لهم.. عانت الأمة منهم طويلاً .. طيلة قرنين.. وجهوها في جميع اتجاهات الفكر إلا إلى الاتجاه الحقيقي الذي كان يجب أن يوجهوها إليه.

في هذه القضية الفاصلة لم يكن هناك عند الأمة لبس يحتاج إلى تأويل.. كانت تعرف الحقيقة بالمعاينة العقلية والقلبية المباشرة، كانت تعرفها بتراث وتيار أشد وأعظم من تيار الكهرباء ملايين المرات.. تيار يستمد طاقته من نور سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ومن القرآن المجيد، تيار يمتد عبر الزمن ألفاً وخمسمائة عام.. وكانت الأمة، للمرة الأولى في تاريخها، أكثر علماً - منذ اللحظة الأولى - بالقضية المثارة من نخبها وكتابها ومتقفيها.. وكان الوضع ينعكس، وكانت الأمة هي التي تحكم على نخبها.. وليس العكس، العكس الذي ظل يحدث طوال الحقب الماضية، وتذكر الأمة الآن أنه كان يسير في الاتجاه الخطأ وأن متقفيها خانوها..

إنها لحظة أشبه بلحظة اكتشاف غدر الغادر وحيلة المحتال وشرك النصاب الذي ظلت الأمة تبتلعه بحسن النية والثقة كلها طيلة قرنين، لكن، هاهي ذي الآن فجأة تكتشف كم خانتها وضللتها هذه النخبة..

لا تنسى أسماء المنافقين يا أمة.. واذكري دائماً .. عندما كان القرآن في الميزان ففي أي صف وقفوا..

لا تنسى يا أمة: عندما كان القرآن في جانب وذهب المعز في جانب ففي أي مكان وقفوا..

لا تنسى يا أمة: عندما كان القرآن في جانب ووظيفة صغيرة يغرون بها شاباً غراً يحطمونه بتحويله إلى عبد للشيطان في الجانب الآخر ففي أي اتجاه وقفوا..

لا تنسى يا أمة حتى أولئك الذين وقفوا في منتصف الطريق ففي مثل هذا الأمر ليس هناك نصف شرف ولا نصف كرامة ولا نصف دين..

سبحانك يا رب.. والحمد لك.. وضعت كل واحد منهم في مكانه.. وكانوا قد خدعوا الأمة طويلاً طويلاً..

لم يدرك الحمقى أن هذه القضية قضية حاكمة فاصلة، وأنها لا تنظر فتاواهم ولا تدليسهم.. وأن الأمة قد سبق حكمها فيها.. وأنها لا تنتظر أحكاماً من أحد.. بل إنها هي التي ستحكم على كل من يحكم بنوع حكمه.. فإما احتفظت به في سويداء قلبها وإما ألقت به في مزابل التاريخ..

فى هذه القضية يا ناس تدنت بعض أقلام فى الصحافة المصرية كما لم تدنت من قبل.. كان الأمر مسابقة فكلمة ازداد التدنى ازدادت الجوائز المنهالة .. ولقد كنا جميعا ندرك أن الداء العضال موجود، لكن لا أحد كان يتخيل أن كل هذا العفن يعيش فى عقول كثيرة طيلة كل نيك السنين..

تدنت أقلام ما كان لها أن تدنى..

وكذبت السنة ما كان لها أن تكذب..

وظهر للأمة كما لم يظهر من قبل أن أسباب تخلفها الرئيسية يقبع فى نخبة لا تمثلها.. بقدر ما تمثل حضارة الغرب وفكره.. وثبت لأمة أن بعض من اتهمتهم على وعيها.. كانوا مخترقين بالكامل من الأعداء.. وكان يمثلوا امتدادا سرطانيا من الفكر المعادى لها.. وأنهم استطاعوا أن يتخفوا طيلة السنوات الماضية حتى كشفتهم قضية سب القرآن.. كانت القضية مثل كشف ضوء باهر سطع فجأة فكشف خبايا كل الأوكار والجحور..

لا تبتئسى يا أمة.. ولا تحزنوا يا ناس.. فإن هذه النخبة المنفصلة عنك ليست إلا السمك الفاسد الذى يطفو على الماء.. والبيض الفاسد الذى يعوم فوقه.. المشكلة فقط .. أنهم مكنوا فتمكنوا، وزرعوا فانزعوا، ووضعوا فانزعوا، لكن ثقى يا أمة أن زهرة متفكك ما زالت بخير.. وإن كانت محاصرة مطاردة..

فى قضية سب القرآن كانت صحيفة الشعب تحمل عبء المواجهة الرئيسية فى المعركة .. وكان - وما يزال يواجهها - أكثر من خمسين مجلة وصحيفة يدعمها احتفاء بعض وسائل الإعلام الرسمية بها .. اتحدت كلها على الباطل والكذب.. وبالرغم من ذلك.. فإن هذه الصحف جميعا .. وبعد أسبوعين من المواجهة التى كانت تنتثر فيها الظلام وتنتشر الباطل لم تحتل عندما راحت الشعب - حماها الله من كيد الكائدين - تقصفهم به من حق فإذا باطلهم يزهد.. وإذا بكذبهم ينكشف .. وبعد أسبوعين فقط من المواجهة.. كانوا يطلبون إغلاق الشعب.. وامّحت الفواصل بين أقلامهم وبين هراوات الأمن المركزى.. وبدا التشابه للناس واضحا وجليا.. جندى الأمن الغليظ الخشن الذى يحرسون على عدم تنقيفه وتدينه كى يكون آلة طيعة.. وبين الصحفى الذى مارسوا معه نفس الشيء.. حتى أصبح الاثنان وجهين لنفس العملة.. وكانت الأقلام الخئون هى التى فقات أعين فلذات أكبادنا فى جامعة الأزهر وكانت الهراوات الغشوم هى التى تواجهنا<sup>٤٥</sup>..

لم يعد أمام كل تيك الأقلام إلا أن تطلب بمصادرة الشعب وإغلاق حزب العمل ..

لقد اكتشفوا فجأة - وإن كان متأخرا جدا - أن قضية سب القرآن قد كشفتهم..

ولكن الحمقى لا يدركون أن الكشف قد تم بالفعل.. وأنه مهما حدث بعد ذلك فإن الأمة الآن تدرك طريقها.. وقد يستطيع تحالف الهراوات والأقلام أن يحجب النور ولو لفترة.. لكن في هذه القضية بالذات فإن القضية محسومة منذ اللحظة الأولى..

لقد حاولوا إطلاق قدر هائل من الأكاذيب..

ليس حسنا يا حمقى..

هبوا أن جميع ما تقولونه صحيح ..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أن حزب العمل تأمر وخطط وأن الإخوان المسلمين وإيران والسودان وأفغانستان والشيستان وكشمير وباكستان قد شاركوا في التخطيط

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أننا عملاء أمريكا وإسرائيل وأنكم اكتشفتمونا ننشئ لجانا للتطبيع

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا ذلك كله يا حمقى ..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أنني أسوأ كاتب في التاريخ.. أو أنني لست كاتباً على الإطلاق..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أنني لا قدر الله لى فعلت أكثر مما فعله حيدر في كتابه الملعون

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

كان المنطقي لو لم تكونوا كما كنتم أن تشاركوا في الدفاع عن مقدساتنا.. أو حتى تقصونا عن الدفاع كي تتولوه أنتم..

لكنكم اندفعتم بحماقتكم إلى مصارعكم التي توجلونها منذ مائتى عام..  
نعم .. شنت معظم الصحف المصرية علينا أشرس وأكذب حملة فى  
تاريخها الحديث.. ولم يكن أيا منها يهتم إلا بأن يشغلنا للابتعاد عن قضيتنا  
الرئيسية: الدفاع عن مقدسات هذه الأمة..

يا حمقى.. لم تحركنا دنياكم.. بل آخرتنا..

يا هلكى.. لم نكن نبحث عن الغنائم بل الشهادة..

لقد سلطوا مثلاً على شخصى الضعيف ما لم يسبق أن وجه إلى كاتب  
من القذارات والأكاذيب<sup>٤٦</sup>.. وأضحت روايتى قصر العينى فجأة هى  
المشكلة الكبرى فى الوطن.. وراحت عشر صحف ومجلات على الأقل  
تنتشر عنها الأكاذيب والأعاجيب.. ولم يفتنى والله يا ناس أن أراجع نفسى..  
قلت : لعل بعض ما يقولونه صحيحا .. و أن الشيطان الذى يجرى منا  
مجرى الدم يمكن أن قد خدعنى عن نفسى فتسلل فى بعض فقرات منها..  
خفت والله يا ناس من الله.. دفعت بالرواية إلى صديق من السلفيين  
المتشددين الذين يختلفون معى فى أفكار كثيرة.. قلت له أقرأها .. أقرأها  
لا بعين الإبداع بل بعين الدين.. فإن كان فيها ما يخدش الإيمان بحرف  
تبرأت منها.. فحتى لو كان الشيطان نفسه هو الذى يهاجمنى فيها فما بالى  
لا أنقذ نفسى لأتوب قبل ألا تكون هناك توبة.. ولأحاسب نفسى قبل أن  
يحاسبنى الله.. عاد إلى الصديق بعد أسبوع ليقول بل هى كتاب هائل يحض  
على الإيمان.. اطمأن قلبى يا ناس أننى لم أخطئ فى حق الله.. ثم كانت  
مفاجأة أخرى حين قال لى أحد الأصدقاء أن صحيفة القاهرة التى لا أقرأها  
قد نشرت خبراً منسوباً إلى الصحفى البارز محمد عبد القدوس خبراً فى  
سطين يقول أن مأمون الهضيبى قرأ رواية القصر العينى وأنه وجدها  
عادية وليس فيها شئ.. ليس لدى مصدر آخر يؤكد أو أنفى به هذا الخبر<sup>٤٧</sup>  
لذلك لن أعلق عليه لكننى أقول حسبى الله ونعم الوكيل.

ومع ذلك مرة أخرى يا حمقى.. هاجمونى كما شئتم لكن دافعوا عن  
القرآن ..

أقتلوننا.. لكن دافعوا عن القرآن..

١- المقصود تأكيد هل صرح المستشار الهضيبى بذلك أم لا ، لكن المؤكد أن مخبرى القاهرة نشروا هذا التصريح،  
وظاهر التصريح لا يصب فى صالحهم، بل يصفهم ويثبت كذبهم، ولما كان المعروف عنهم أنهم لا يحرصون  
على الصدق، فقد تنبّهت للاحتمال الآخر، وهو أنهم اخترعوا هذا الخبر لاستدراج الإخوان المسلمين لمقصلة  
الحكومة.

لكن هجومكم كان والله شهيدا والأمة شاهدة- لى تشغلونى عن مواصلة الحملة فى الدفاع عن القرآن..

عن لى أن أواجههم لكننى سألت نفسى فى حزن معظمهم ليسوا كتاباً وإنما جمعية المنتفعين بوزارة الثقافة والوزير .. وأننى لو واجهتهم بالقلم فسوف أرتكب حماقة من يحاول بالمنطق إقناع جندى أمن مركزى ألا يطيع أمر قيادته.. والله يا ناس.. لا أقولها استنتاجاً بل علماً .. أن بعضهم - على الأقل - تكتب له مقالاته فى بعض الأجهزة وترسل إليه فيدفع بها إلى المطبعة حتى دون أن يقرأها..

ولعل بعض هذه الأجهزة هى التى أرسلت خطيباً إلى مسجد مجاور لجامعة الأزهر كى يخصص خطبته للهجوم على صحيفة الشعب وعلى.. والحقيقة يا قراء أنكم السبب.. فهذه العلاقة الوثيقة الحميمة بيننا وبينكم هى التى دفعت سلطة تعودت أن يكون الكاتب كاهناً يدعو لعبادة الفرعون إلى أشد درجات القلق من وجود كاتب أو صحيفة يتأثر بالناس ويؤثر فيهم.. لذلك عليكم أن تتوقعوا يا ناس أن يكتف الشيطان حملاته لفصم عرى هذه العلاقة الحميمة.. ولكن .. إذا كانوا قد خدعونا كثيراً فيما مضى فليس لنا بعد معركة القرآن أن نخدع مرة أخرى.. فأخيراً يا ناس وقع الشيطان فى الخطأ القاتل الذى كشفه أبد الأبدىين..

لن أجادلهم يا ناس.. لكنكم وقد عرفت حقيقة الأمر أصبح عليكم مواجهتهم..

يا ناس.. إن القضية قضية الأمة كلها..

وإننى أقسم لكم بالله الذى لا إله إلا هو أن ما يقولونه عن تدبير وتخطيط وانتخابات هو محض كذب.. وأننى حين غضبت فإنما كانت غضبتى لله الواحد القهار ولم يخالطها شئ لسواه.. إنهم يتكلمون عن الانتخابات.. وأنتم تعلمون يا ناس أننى على سبيل المثال لست حتى عضواً فى حزب العمل.. وتلك تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه.. وأننى منذ أكثر من ثلاثين عاماً.. عندما أدركت فساد الحياة السياسية والثقافية فى بلدنا اعتزلت الوسط كله ولجأت إلى دارى أبحث عن حقيقة تنقذنى من عذاب النار يوم القيامة.. ثم لماذا يخططون للانتخابات فى حزب العمل والانتخابات كما تعلمون والمجلس سيد قراره.. فكيف يدخلون كل هذا الهزل فى كل هذا الجد.. ولماذا.. ألكى يسوغوا للأمة أن قضية سب القرآن مفتعلة.. ماذا إذن عن موقف الكاتب الشريف فاروق جويده

فى الأهرام؟ ماذا عن موقف اللجنة الدينية فى مجلس الشعب<sup>٤٨</sup> .. ماذا عن شرفاء آخرين لم تكذ تخلو منهم رغم طوفان الظلام صحفية..

يا أمة .. القضية قضية الأمة وليست قضية الشعب أو حزب العمل..

أغلقوا حزب العمل وصادروا الشعب لكن دافعوا عن الثوابت والمقدسات..

بأكثر الطرق تحضروا ورقيا واجهى يا أمة.. لماذا مثلا لا يلجا أعضاء هيئات التدريس فى الجامعات إلى عقد مجالس طارئة للأقسام يسجلون فيها اعتراضهم على الجراءة على الله و القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم ليس فى كتاب حيدر حيدر وحده بل فى مئات الكتب التى أصبحت تشكل منهاج لوزارة الثقافة ولتتصاعد هذه القرارات إلى مجالس الكليات فالجامعات فتشكل وفدا لمقابلة الرئيس كى تطرح عليه حقيقة الكارثة.. كارثة أن أجهزة الدولة الرسمية ممثلة فى وزارة الثقافة تنشر الكفر والعهر بين الناس..

إننى واثق أن الرئيس لو اطلع على التفاصيل الحقيقية للأمر لاختلف قراره..

قولوا للرئيس أيضا أن أبسط كتاب فى علم السياسة والاجتماع يقول أنك لكى تهدم مجتمعا عليك أن تدمر إيمانه بالله كخطوة أولى.. وتلك تمهيد الطريق للخطوة الثانية وهى نشر الفاحشة والعهر.. وتلك تمهيد للخطوة الثالثة: وهى انهيار ذلك المجتمع..

قولوا للرئيس أيضا أنه حتى لو لم يشأ أن ينظر للأمر من مفهومه الدينى رغم أننى لا أرى إلا هذا المفهوم الدينى - فإن عليه أن ينظر إليه من منظور الأمن القومى.. فمجتمع ازدرى دينه وانتشر العهر فيه مجتمع لا يمكن أن يصمد فى أى مواجهة عسكرية أو حضارية..

قولوا للرئيس أنه لو كان قد استجاب لرجائى له بأن تصدر رئاسة الجمهورية بيان استغفار إلى الله وتبرؤ من الكتاب السافل .. ومن منهج وزارة الثقافة لحقق بين الناس شعبية لم ينلها رئيس مسلم منذ قرون.. ولما عانت الأمة من هذا الاحتقان الذى تعانیه الآن..

إننى أناشد فئات المجتمع الأخرى - وأخص المحامين والقضاة - بأن يفعلوا ذلك أو مثله..

أناشد الوزراء مثلا.. فليس من المعقول ولا من المتصور أن يكونوا جميعا مثل فاروق حسنى.. أناشدهم أن يجتمعوا ويتفقوا فيقنعوا رئيس



الوزراء فيذهبوا إلى الرئيس ليقولوا له : يا سيادة الرئيس : الناس على حق ونحن أخطأنا..

يا أمة .. حكاما ومحكومين..

إن المعركة ليست معركة صحيفة ولا حزب ولا كاتب.. المعركة معركة الأمة.. معركة القرآن.. وعليكم أن تخوضوها حتى لو أغلق الحزب وصودرت الصحيفة وقتل الكاتب..

وتلك نقطة أخرى أحيطكم علما بها يا قراء.. لقد بدأت تهديدات بالقتل تصلني .. حاولت في البداية أن أخفيها عن أهل بيتي .. لكنها وصلت إليهم أيضا.. فلم يفرعوا<sup>٩</sup>.. ولم يكونوا أقل منى حرصا على المواصلة حتى استشهاده<sup>٩</sup> أقل عند الله من أن أناله..

إننى لم أبلغ جهات الأمن<sup>٩</sup> .. ثقة بالله ورضا بالمقدور.. إلا أننى أقول لكم يا ناس.. أننى أشعر أن هواتفى مراقبة طيلة الفترة الأخيرة.. وأن أجهزة الأمن ربما تكون قد سجلت هذه المكالمات التى هددتني ولو شأئت لحددت المتهمين..

يا ناس.. والله ما ظننت أن تصل الأمور إلى هذا الحد.. ولا أن يكون عبيد الشيطان فى بلادنا بهذه الكثرة.. لكن ما حدث .. يدل على عمق الاختراق الذى طالما حذرنا منه..

اعلموا يا ناس وميزوا بين الناس بمن وقف مع القرآن ومن وقف ضده..

واعلموا.. أن من لا إيمان له لا أمان له.. وأن معظم النخبة المسيطرة الظاهرة لا تتورع عن كذب ولا عن خيانة ولا عن عار.. إنها ليست يسارية ولا شيوعية وإنما هى ببساطة فئة المنافقين التى حذرنا منها القرآن.. فئة تبطن الكفر وتظهر الإيمان .. وأن هؤلاء الناس ينظرون إلى الإسلام وإلينا كما ينظر مبدعهم حيدر حيدر الذى يقول فى صفحة ٥١٠ من كتابه الملعون:

"ضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوى فيه : لكننى ملحد كما تعرفين .. الشرف والبكاة (لعله يقصد البكارة) وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام" .

لا تعترضوا يا قراء.. فنقادنا الجهابذة يرون أن هذا الكلام السافل  
البذىء إبداعا..

لا تعترضوا وإلا هاجموكم كما هاجموني..

نقادنا الذين كنت ما أزال - ربما لأننى قاطعتهم منذ سنوات - أحفظ  
ببعض احترام لهم<sup>٥١</sup>.. نقادنا هؤلاء قد كذبوا عليكم يا قراء أما اللجنة التى  
كتبت التقرير فقد خدعتكم.. أحصت بضعة أماكن - أظنها ثلاثة - فأنا  
لم أقرأ التقرير لأننى أعلم أنه هراء.. فى مواجهة لهم أحصى الدكتور  
محمد سليم العوا خمسة وستين موقعا للفجر والكفر والعهر فى الكتاب الذى  
يدافعون عنه..

كنت مشاركا لهم فى الندوة على الهاتف.. والله يا ناس لو أننى  
ظننت بهم الجهل لما ثار فى نفسى كل هذا الغضب.. كانوا يدلسون على  
الأمّة.. واستشهد أحدهم بأربعة مواقع ادعى أنها إيمانية وراح يتلوها  
بصوت متهدج.. وفى واقعة فذة فريدة - أتمنى دون أمل أن يذيعها  
التليفزيون<sup>٥٢</sup> المصرى - بدأ الدكتور محمد سليم العوا يقرأ ذات الفقرات  
الأربعة مرة أخرى.. فإذا بالنقاد الجهيذ قد سكت عن جملة فى أول الفقرة  
أو نهايتها تكشف أن الجملة التى استشهد بها كجملة إيمانية ليست إلا كفرا  
بواح<sup>٥٣</sup>..

تصورت أن يسقط الناقد الجهيذ من الخجل..

لكنه تجاهل تماما ذلك وراح يدافع بحجج أخرى..

تماما كما تعاملنا أمريكا وإسرائيل.. ما أن تكشف حيلتهم فى موقع  
حتى يتركوه إلى موقع لم تكتشف فيه حيلهم بعد..

وإننى أناشد الاخوة المحامين أن يرفعوا قضية على كتاب تقرير  
الوزير لأنهم تعمدوا إخفاء الحقيقة عن الأمّة..

فى تلك الندوة قلت لهم ما لو مسّ الحديد لذاب وما لو طرق أذننى  
أعتى الخطاة لتاب..

قلت لهم أننى استمعت إلى تقاريرهم النقدية وأنها كانت سيئة.. لكن  
الأسوأ هى تقاريرهم الأمنية.. وتمنيت عليهم لو أنهم تركوها لضباط  
شرطة.. وقلت لهم أن المبدع ليس جنسا ثالثا من البشر.. يولد مبدعا  
ويموت مبدعا.. وأنه يمكن مثلا أن يفقد القدرة على الإبداع فى أى وقت..  
تماما كما أن الإنسان قد يفقد الذاكرة بل أن يفقد العقل.. وقلت لهم أنه فى  
عالم الطب على سبيل المثال فإن الحصانة الطبية تسبغ حمايتها على

الطبيب الجراح طالما يمارس عمله في حدود خبرته.. وأنه حتى لو مات المريض أثناء إجراء العملية الجراحية فلا تثريب على الطبيب ما دام قد حاول أن يفعل أقصى ما فى وسعه.. لكن هذا الطبيب نفسه إذا خرج خارج حجرة العمليات واستعمل نفس المشروط ليخدش إنسانا فإنه يفقد حماية الحصانة الطبية له على الفور ويعامل كمجرم عادى.. فلماذا يا نقادنا الجهابذة لا نعامل المبدع على هذا الأساس.. وأن نسبغ حماية الإبداع عليه طالما احترم ثوابت الأمة ومقدساتها فإن اجتراً عليها سقطت عنه هذه الحماية على الفور..

قلت لهم أنهم يخدعون الناس عندما يتحدثون عن شخوص روائية تخيلية من حقها أن تقول ما شأئت دون أدنى مسئولية من الكاتب عن قوله<sup>٥٥</sup>.. وقلت أنه حتى لو صح ما يقولون فإن ذلك ينتهى على الفور فى اللحظة التى تتناول فيها هذه شخصية معروفة محددة .. أى شخصية عادية فلا أستطيع أن أكتب رواية مثلاً فأورد فيها اسم فارق حسنى<sup>٥٦</sup> فأسبه وأقذفه بما أشاء لأدعى بعد ذلك أننى غير مسئول عما ورد.. لأنه على لسان شخوص تخيلية.. قلت لهم لم يصل إبداع أى مبدع من مبدعيكم إلى أن يمس ولو بشعرة ملكه أو رئيسه أو حتى أصغر ضابط فى بلاده.. لم يجرعوا ولم تجرؤا .. فلماذا لا تدافعون عن حرية الإبداع إلا إذا كان العمل الذى تدافعون عنه يهدم الثوابت..

أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية معروفة.. كيف جاز لكم إذن أن توافقوا على سبه.. أليس القرآن أقدس مقدساتنا.. كيف هان عليكم أن تدافعوا هذا الدفاع الشائئ عن الخراء ونقطة وعلامة تعجب.. فماذا قلتم فى "خرا بربك"؟!.. وقد تكررت مرات عديدة .. ولماذا هذه النظرة المتعالية على الأمة والناس الذين وصفتموهم فى كتاباتكم بالغوغاء ..

يا ناس.. ألا إنهم هم السفهاء لكن لا يعلمون..

كان الدكتور محمد سليم العوا يقرأ بعض المقاطع الفادحة الفاجعة التى وردت فى الرواية الملعونة..مثل:

ص ٥٩٤

فى تلك الأيام الأخيرة بدا مهيار الباهلى رغم يأسه العام ودمار أحلام ثاراته كأنما انقذ جسده وتوهجت روحه الخاصة بنار أسمها : فلة بوعناب ..

كانت نارا شخصية تراءت له بغتة فى وقت الضيق تراءت العليقة الملتهبة لموسى فى الوادى المقدس طوى. خاطبته: أنت فى الوادى المقدس فاخلع ثيابك وتقدم . بغتة خلع أستاره كلها وتعرى. اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بوعناب: العاهرة المقدسة التى وطئها الثوريون والمنفيون والسفلة والخنازير ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الثمرة .."

ص ٥٩٢ "خرا بربك دعك من الانحطاط العضوى . ما حدث كان خارقا."

ص ٣٤٨ (وهنا يا قراء فإن المؤمن وليس الملحد كما دلس علينا النقاد هو الذى يتحدث) ..

"فى تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التى أقامها الآباء والأجداد ، وضرورة الانفصال عن الدين والله ، والأخلاق والتقاليد ، والأزمة الموحلة والجنة والجحيم الخرافيين وطاعة أولى الأمر والوالدين والزواج المبارك بالشرع وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب ."

ص ٣٢٢ "بعيدا عن هذا شدا ما تبدو غريبة حكايات وهرطقات هذه المرأة المسماة : فلة بوعناب المرأة التى سقطت سهوا شواطئ بونه حيث نسيها الله بعد أن أختار لها زاوية من زوايا الجحيم قائلا لها: امكثى هناك ملعونة إلى أبد الآبدين فتد بصرخة شيطانية : فى مؤخرتى الحياة الآخرة وأنهارك العسلية وينابيع الكوثر . هذه حياتى الأولى والأخيرة وما تبقى خذه. سامحتك فيه. أعطه لعبادك الصالحين ."

\*\*\*

إننى أكتفى الآن بهذا القدر يا قراء.. أملا أن يعود بعض من يهاجمونا إلى الحق.. فوالله ما هى بقضية سياسية وإنما مسئولية دينية.. ووالله ليس إبداعا بل إجراما فى إجرام..

إن أحيلكم إلى ضمائركم.. لقد تجنبت أى تعليق.. لكن إذا سمحتم اقرءوا المقاطع السابقة مرة أخرى..

مع النقاد الجهابذة كنت أقول:

ها أنتم قد سمحتم للإبداع الشيطانى أن يحكم على الله وعلى القرآن وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم .. فهل يا ترى تسمحون للقرآن

أن يحكم على مثل هذا الإبداع.. ويبدو أن صورتى الإرهابية اكتملت عندهم آنذاك.. وقلت لهم هل من المعقول أن تضعوا القرآن فى مرتبة المحكوم بالإبداع وليست له أى سيطرة على الإبداع بينما هو المسيطر المهيمن على دنيانا و آخرتنا..

كنا نتكلم لغة مختلفة..

لذلك لم أسألهم.. إذا كانت كل هذه الحمية فى الدفاع عن حق حيدر حيدر فى التهجيم على الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، أين كانوا وعملا أدبيا لى يصادر منذ عام ٩٢ وحتى الآن .. عملا كانت به قصة قصيرة عنونها: "مباحث أمن الوطن" وصودرت المجموعة كلها منذ ذلك الوقت وكنت أتحدث عن التعذيب وحقوق الإنسان وكانت جميع شخصياتى تخيلية ولم أذكر الأسماء الحقيقية.. صودرت المجموعة وصودر حقى فى الإبداع ولم يتصد من النقاد الجهابذة ناقد..

ألم أقل لكم يا ناس أنه النفاق..

ألم أقل لكم يا ناس أن كل جهدهم لصرفنا عن مجهودنا الرئيسى فى إثبات أن هناك اختراقا وغزوا ثقافيا.. يتهدد ثوابتنا ومقدساتنا.. ليست المسألة مسألة حيدر حيدر ولا مسألة كتاب واحد وإنما فساد المنهج..

\*\*\*

يا أمة..

وأنا أراجع كتب الفقه فى حكم من سب الله والرسول اكتشفت أن انفعالى الطاغى قد أوقعنى فى خطأ عندما قلت الفاسق ابن الفاسق ..و.. ما كان لى أن أعرض للآباء<sup>٥٦</sup>.. وهذا ذنب أضرع إلى الله أن يغفره لى.. أما من سب الله والقرآن والرسول فهيا بنا إلى جولة سريعة فى كتب الفقه ( لم يصلنى حتى الآن يا قراء أنها ممنوعة ! )..

\*\*\*

**حكم من سب الله سبحانه تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**

قال ابن حزم الظاهري في المحلى :

مَسْأَلَةٌ : مَنْ سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ اللَّهَ تَعَالَى ، أَوْ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، أَوْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، أَوْ إِنْسَانًا مِنَ الصَّالِحِينَ ، هَلْ يَكُونُ بِذَلِكَ مُرْتَدًّا - إِنْ كَانَ مُسْلِمًا - أَمْ لَا ؟

وَهَلْ يَكُونُ بِذَلِكَ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ - إِنْ كَانَ ذِمِّيًّا - أَمْ لَا ؟

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِمَّنْ يَقُولُ : إِنَّهُ مُسْلِمٌ : فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : لَيْسَ ذَلِكَ كُفْرًا . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : هُوَ كُفْرٌ .. (..) . لَكِنْ يُقْتَلُ مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا سَبُّ اللَّهِ تَعَالَى - فَمَا عَلَى ظَهَرِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يُخَالَفُ فِي آلِهِ كُفْرٌ مُجَرَّدٌ ، إِلَّا أَنْ الْجَهْمِيَّةَ ، وَالْأَشْعَرِيَّةَ - وَهُمَا طَائِفَتَانِ لَا يُعْتَدُّ بِهِمَا - يُصَرِّحُونَ بِأَنْ سَبَّ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِعْلَانُ الْكُفْرِ ، لَيْسَ كُفْرًا ، قَالَ بَعْضُهُمْ : وَلَكِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَعْتَقِدُ الْكُفْرَ ، لَا أَنَّهُ كَافِرٌ بَيِّنٌ بِسَبِّهِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَصْلُهُمْ فِي هَذَا أَصْلُ سُوءِ خَارِجٍ عَنْ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ - وَهُوَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ - وَإِنْ أَعْلَنَ بِالْكَفْرِ - وَعِبَادَةُ الْأَوْتَانِ يَغْيِرُ تَقْيِيَّةً وَلَا حِكَايَةً ، لَكِنْ مُخْتَارًا فِي ذَلِكَ الْإِسْلَامَ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا كُفْرٌ مُجَرَّدٌ ؛ لِأَنَّهُ خِلَافٌ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ، وَلِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَلَفُ أَحَدٌ - لَا كَافِرٌ وَلَا مُؤْمِنٌ - فِي أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مِنَ الرُّوَافِضِ ادَّعَوْا أَنَّهُ نَقِصٌ مِنْهُ ، وَحَرَفَ ، فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ جُمْلَتَهُ - كَمَا ذَكَرْنَا . وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي أَنَّ فِيهِ التَّسْمِيَةَ بِالْكَفْرِ (..) .

قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ الْحَنْبَلِيُّ فِي الْمَغْنِيِّ :

فَصَّلَ : وَمَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى ، كَفَرَ ، سَوَاءً كَانَ مَارْحًا أَوْ جَادًا . وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِاللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ بِآيَاتِهِ أَوْ بِرُسُلِهِ ، أَوْ كُتُبِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَوْلَيْنَا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُكْتَفَى مِنَ الْهَازِئِ بِذَلِكَ بِمُجَرَّدِ الْإِسْلَامِ ، حَتَّى يُؤَدَّبَ أَدَبًا يَزْجُرُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُكْتَفَ مِنْ سَبِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّوبَةِ فَمِمَّنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوَّلَى .

و قال ابن فرحون المالكي في "تبصرة الحكام في أصول الأقضية  
ومناهج الأحكام :

فصل فيمن سبَّ الله تعالى أو الملائكة أو الأنبياء أو سبَّ أصحاب  
النبي صلى الله عليه وسلم :

وقد استوعب القاضي عياض رحمه الله الكلام في هذا وما أشبهه ولم  
يترك لغيره مقالا ، وقال رحمه الله :

لا خلاف إن سبَّ الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في  
استتابته .

ورواية ابن القاسم عن مالك أنه يقتل ولا يستتاب .

وقال المخزومي ومحمد بن سلمة وابن حازم : لا يقتل بالسب حتى  
يستتاب .

مسألة : وأفتى ابن أبي زيد فيما حكى عنه في رجل لعن رجلا ولعن  
الله ، وقال : إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني ، فقال : يقتل بظاهر  
كفره ولا يقبل عذره ، وهو معذور فيما بينه وبين الله تعالى .

فصل : وكذلك الحكم في سب الأنبياء عليهم السلام .

قال القاضي عياض : من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم أو عباه أو  
الحق به نقصا في نفسه أو نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو  
عرضه أو شبهه بشيء على طريق السب والازدراء عليه ، أو النقص  
لشأنه أو الغضب منه والعيب له فهو سب تلويعا كان أو تصريحا ، وكذلك  
من لعنه أو ادعى عليه أو ثمنى مضرة له ، أو نسب إليه ما لا يليق  
بمنصبه على طريق الدَّم ، أو عيب في جهته العزيزة يسخف من الكلام أو  
بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غمضة شيء من العوارض  
البشرية الجائزة والمعهودة لدينه قتل .

قال : وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة  
رضوان الله عليهم إلى هلم جرا .

و في الموسوعة الفقهية :

تكفير من سبَّ الله عز وجل :

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ سَبَّ الذَّاتَ الْمُقَدَّسَةَ الْعَلِيَّةَ أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا  
أَوْ اسْتَهْزَأَ ، لقوله تعالى : { قُلْ أَيَاللّٰهُ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا  
تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }

وَاحْتَلَفُوا فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ فَذَهَبَ جُمُهورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى قَبُولِهَا .

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى عَدَمِ قَبُولِهَا ، وَيَقْتُلُ بِكُلِّ خَالٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ ذَنْبَهُ  
عَظِيمٌ جِدًّا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ عَقِيدَتِهِ . وَأَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا  
فِي تَوْبَتِهِ قُبِلَتْ بَاطِلًا وَنَفَعَهُ ذَلِكَ .

و فِيهَا أَيْضًا :

نُزْرِيَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَنِ السَّبِّ وَالِاسْتِهْزَاءِ :

كُلُّ مَنْ سَبَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، أَوْ عَبَّاهُ ، أَوْ الْحَقَّ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ ،  
أَوْ نَسَبَهُ أَوْ دِينَهُ ، أَوْ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِهِ ، أَوْ عَرَّضَ بِهِ ، أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ  
عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَهُ ، أَوْ الْإِزْرَاءِ بِهِ ، أَوْ التَّصْغِيرِ لَشَأْنِهِ ، أَوْ الْغَضِّ مِنْهُ  
، أَوْ الْعَيْبِ لَهُ ، فَهُوَ كَافِرٌ .

وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ ، أَوْ ثَمَمَى مَضْرَّةً لَهُ ، أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا  
لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ عَلَى طَرِيقِ الدَّمِّ ، أَوْ عَيْثُ فِي جِهَتِهِ الْعَزِيزَةِ يَسْخَفُ مِنَ  
الْكَلَامِ وَهَجَرَ ، وَمُتَكَبَّرَ مِنَ الْقَوْلِ وَزَوَّرَ ، أَوْ عَيَّرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ  
الْبَلَاءِ وَالْمُحَنَةِ عَلَيْهِ ، أَوْ غَمَصَهُ يَبْعُضُ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَائِزَةِ  
وَالْمَعْهُودَةِ لَدَيْهِ .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ : أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ اللَّهَ ، أَوْ  
رَسُولًا مِنْ رُسُلِهِ ، أَوْ دَفَعَ شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا مِنْ  
أَنْبِيَاءِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَلَّهُ كَافِرٌ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُقِرًّا بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ .

وَالسَّابُّ إِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَإِنَّهُ يَكْفُرُ وَيَقْتُلُ بِغَيْرِ خِلَافٍ ، وَهُوَ مَذْهَبُ  
الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَإِنْ كَانَ ذِمِّيًّا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ عِنْدَ الْجُمُهورِ .

وَقَالَ الْحَنْفِيَّةُ : لَا يُقْتَلُ ، وَلَكِنْ يُعَزَّرُ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ .

وَفِي فَتْحِ الْقَدِيرِ



وَأَمَّا تَوْبَةُ السَّابِّ عِيَادًا بِاللهِ تَعَالَى فَلَا تُقْبَلُ عِنْدَنَا ، وَعِنْدَ مَالِكٍ فُقْبَلُ  
التَّوْبَةُ يُقْتَلُ كَقَرًّا وَبَعْدَهَا حَدًّا وَلَا تَعْمَلُ تَوْبَتُهُ فِي إسْقَاطِ قَتْلِهِ عِنْدَنَا وَلَا فَرْقَ  
بَيْنَ تَوْبَتِهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَهَدَ الشُّهُودُ عَلَيْهِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ سَبِّهِ صَحْوًا أَوْ سُكْرًا  
وَقِيلَ عَنْ ابْنِ إِبْنِ الْهَمَامِ التَّقْيِيدُ فِي السُّكْرِ يَكُونُهُ بِسَبَبِ مَحْظُورٍ وَعَدَمُ إِكْرَاهٍ  
وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تُؤْكُرُ تَوْبَتُهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ فِي إسْقَاطِ قَتْلِهِ  
وَيُسَبِّبُ الْخِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِخِلَافِ  
سَبِّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَكِّنُ الْحَاقَّ الْمَعْرُوفَ فِي  
حُجَّتِهِ دُونَ اللهِ تَعَالَى كَذَا فِي التَّبْيِينِ أَيْضًا لَعَلَّ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ أَحْوَالِ السَّابِّ  
عَمْدًا وَخَطَأً وَصَلَاحًا وَفِسْقًا كَمَا أُشِيرَ فِي مَحَلِّهِ ، وَأَمَّا سَبُّ الشَّيْخَيْنِ وَقَدْ فُ  
عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فَكُفِّرَ كَتَفِي خِلَافَتَهُمَا وَسَابُّ سَائِرِ الصَّحَابَةِ  
مَلْعُونٌ مُوجِبٌ لِلنَّكْلِ الشَّدِيدِ .

\*\*\*

إننى أشعر الآن يا أمة بما كان يشعر به أستاذنا وسيدنا العالم العلامة  
محمود شاكر..

كان قد فتح هذه القضية منذ نصف قرن.. وفى عام ١٩٦٤ بدأ كتابة  
مقالاته التى نشرها بعد ذلك فى كتابه أباطيل وأسما.. كان يكتب عن  
ذات القضية.. الغزو الثقافى.. ويبدو أن هذه النقطة من المحرمات وكأنها  
طلسم تركه الأعداء بيننا كى يمكنهم من السيطرة علينا أبدا..  
لم يمكننا العلامة محمود شاكر من إكمال مقالاته..

حاولوا القضية وجهة سياسية وصادروا المجلة التى كان يكتب فيها  
واعتقلوه..

وفى كتابه يختم القضية ببيتين من الشعر لأبى العلاء المعرى:

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة..

فأف من الحياة وأف منى ومن زمن سياسته خساسة..

والى الأسبوع القادم إن شاء الله إن كنا على قيد الحياة .. وخارج  
السجون..

\*\*\*

وكانت هذه الكلمات آخر ما نشر..

فقد اتخذت السلطات فى مصر أغرب موقف يمكن أن تتخذه دولة ينص دستورها على إسلاميتها.. كان يمكن للدولة أن تترك جحافل التنويريين -المسيطرين على كافة وسائل الإعلام- تنال منا وأن تتصنع هى الحياد .. لكنها فى قرار بالغ حماقة انضمت إليهم..وقامت السلطة فى بلد الأزهر بإغلاق صحيفة الشعب المصرية لأنها دافعت عن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم -..

حاصروا من يدافع عن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتضاعف النشر ضدنا بعد إغلاق الشعب وأوصدت أمامنا كل أبواب النشر للرد على أكاذيبهم.. لكن الله قيض الله لنا من ينقل أصواتنا .. و.. هل كانت السلطة تنصر ميليشياتها الثقافية ولو بالباطل؟! أم أنها على دينهم وما هم سوى جنودها.. فلما رأت عجزهم عن مواجهتنا قررت قتلنا بالخنق..

المذهل هو كيف عميت البصائر حتى لم ير من اتخذ هذا القرار أنه ينهش فى نظام الدولة لا فينا.. ويخنق شرعيتها.. ثم أن خنقنا : أمام الله والتاريخ والأمة لا ينهى القضية بل يزيدها حياة واشتعالا .. كان رأى المؤسسة الدينية قد صفع الوجوه حين أثبت أن ما ورد بالرواية كفر.. وأن من يقرأها فيعتبر أن ما بها إبداعا فهذا أيضا كفر.. أسكت من يدافع عن لا إله إلا الله وبقي من لا يعترض على وصف القرآن بالخراء.. بقوا يشوهون الوعى ويستنزفون الذاكرة.. كانت القضية دينية.. وحولوها هم إلى قضية سياسية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. فاللهم.. احكم بيننا وبينهم..

بسم الله الرحمن الرحيم

## بيان الأزهر

الأزهر

مكتب الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن

رواية ( وليمة لأعشاب البحر ) لمؤلفها السيد حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة

\*\*\*

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على لجنة البحوث الفقهية فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية لعرضها فى جلسة استثنائية لمجمع البحوث الإسلامية حدد لها يوم الأربعاء ١٧ مايو سنة ٢٠٠٠ وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع فى جلسته الاستثنائية وتبين ما يأتى:

أولاً: أن وزارة الثقافة التى نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة وذلك على خلاف ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢ فبراير سنة ١٩٩٤ ( ملف رقم ١/٥٨-٦٦ ) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب رأى الملمزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص

بالمصنفات وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وما يتبعه من إدارات هو صاحب الولاية فى فحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام لإبداء الرأى فيها.

ثانيا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما فى ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسول - صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص: ٢١٩)، وأنه نسى بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها (ص: ٢٥٧)، وأنه أقام مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته (ص: ٤٢٦).

كما يفترى على الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية، وخليفة، ومتعة (ص: ١٤٨)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص: ٤٢٧، ٤٢٦).

وأنه حرف فى آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله: " والله تعالى قال فى كتابه العزيز: " إذا بليتيم بالمعاصى فاستترأوا" (ص: ١٤٨)، كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج على الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمدة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب (ص: ٣٤٨).

ثالثا: إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجاً فاضحاً وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ فى الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفظاً على الحياء العام الذى انتهكته الرواية.

رابعا: إن الرواية لم تكتف بذلك بل حرصت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم، والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامسا: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية " وليمة لأعشاب البحر" لمؤلفها حيدر حيدر خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة، والقيم القومية، ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة التى هى

الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيا واجتماعيا وذلك على النحو الموضح تفصيل بالتقريرين المقدمين من عضوى مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.  
والله ولى التوفيق..

تحريرا فى ١٣ من صفر سنة ١٤٢١ هـ  
الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠ م

شيخ الأزهر  
الدكتور محمد سيد طنطاوى

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

تقرير عن رواية

(وليمة لأعشاب البحر) المؤلف: حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة

تقع فى ستمائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط وهى القصة الخامسة والثلاثون فى سلسلة آفاق الكتابة وسعر البيع أربعة جنيهات

\*\*\*

بتكليف من لجنة البحوث الفقهية بالمجمع فى جلسة الأربعاء ١٠/٥/٢٠٠٠، قرأت هذه الرواية قراءة محايدة فى خمس وعشرين ساعة وقد وجدت فيها ما يأتى:-

أولا: الدعوة إلى الشيوعية والكفاح المسلح والاستيلاء على السلطة بالعنف والدماء:

١- مهدي جواد: ( بطل الرواية) شيوعى بحى الكاظمية هارب من العراق إلى الجزائر، نزل فى بلدة " بونة" وفيها حواراته مع النساء والشراب والبحر، والحق على سلطان الإلهة وميراث الأجداد المنقرضين ص ٧٢.

- ٢- تخطيط للثورة المسلحة والحرب الشعبية مع الاستشهاد  
بقول لينين ونصيحته في ذلك ص ٧٤.
- ٣- دعوة إلى استلام السلطة بالعنف المسلح وتنفيذ أوامر لينين  
في عدم المهادنة واتخاذ الطريق السلمى ص ٧٦.
- ٤- أن تكون شيوعيا حقا فهذا يعنى أن تقا تل حتى ترتوى  
الأرض بدمك ص ٧٦.
- ٥- أنا أرى فى ماركس أو لينين محمدا جديدا، محمد القرن  
العشرين، ماركس أو لينين العربى.. هذا ما نحتاجه فى هذا العصر  
المضطرب ص ٨٧.
- ٦- ما ينقصنا فى هذا الوقت الرخو والمتسبب هو إيمان وبسالة  
الصحابة الأوائل، بمثل أولئك يقذح الزناد فى الحجر البارد وتسطع الشمس من  
جديد ص ٨٨.
- ٧- وصف لحالة الحزب الشيوعى فى العراق وأخطاء القيادة  
التي أبعدته عن الاستيلاء على السلطة. وهو درس للأحزاب الشيوعية  
لتنظيم نفسها وعدم الثقة بوعود غيرها ص ١١٨-١٢٤.
- ٨- جا هذا حاول مهدي جواد أن يبين الفرق بين العرب القدامى  
والعرب المعاصرين. كيف يحاول الجيل الجديد التعبير عن الحياة ببساطة  
وصدق وحرية. الجيل القديم ما يزال الأقوى فى الوقت الراهن، لكن  
الصراع بين الجيلين سيكون مستقبلا لصالح الأجيال الجديدة المتطورة ص  
١٥١.
- ٩- لقد بدأ المحققون الساديون فى أقبية التعذيب والمعتقلات  
وداخل القلاع العسكرية ووزارات الدفاع والداخلية والأمن القومى يحلون  
رموز الشيفرة بوضوح ومهارة ضرورة التخطيط الذرى لهيولى الجنين  
الماركسى النامى فى رحم الأرض العربية إلى أبد الأبدى. ص ١٦١.
- ١٠- أريد أن أموت عاريا تحت الشمس فى غابة أو صحراء  
تأكل جثتى الصقور ووحوش البر. هذا أفضل وأهدأ لنفسى من صلوات  
الدجالين وقبور المسلمين المظلمة ص ١٣٧.
- ١١- فهمت ! أنت وهم والإله إلى الجحيم.. إنما أنا رجل  
ملعون فقد الأب والإله ولا يريد غفرانا ص ١٦٨.

١٢- فصل "نشيد الموت" وصف كامل ومفصل لما قام به الشيوعيون من الثورة المسلحة ومواجهة قوات الحكومة والاستيلاء على أسلحتها مع ذكر أسماء قيادات الشيوعية وأوامرها وما انتهت إليه المعركة المسلحة مع الضحايا وما رآه أحدهم من قتل الرفاق ودمائهم ورأى فوق غشاوة العينين ليلاً مديداً نجومه كانت تتساقط وتتطفئ من ص ٣٥٧-٤٠٩.

ثانياً: الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها (الله الرسول القرآن . اليوم الآخر):

١- أسيرات الجهل والأسرة الأبوية ومجتمع الذكور والله وميراث القتل والوآد ص ٩٢.

٢- بلاد رازحة تحت عصور الظلمات، والرجال، والسلاسل، وجراثيم الله المهيمنة، والخصاء". ص ٩٥، ٩٣.

٣- عندما تكون المقدمات خطأ فالنتائج خطأ. الوعي العميق بالتاريخ غائب وهؤلاء يهيمشون التاريخ ويعيدونه مليون سنة إلى الوراء في عصر الذرة والفضاء، والعقل المتفجر. يحكموننا بقوانين إلهة البدو وتعاليم القرآن. خراء! ص ١٢٩.

٤- لكن الله قال انكحوا ما طاب لكم ورسولنا المعظم كان مثالنا جميعاً، ونحن على سنته، لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية، وخليفة، ومتعة، وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: "تناسلوا تناسلوا فإني مفاخر بكم الأمم"، (الصواب : تناكحوا تناسلوا) ..

واستبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة، أما أنتم فتريدونها شيوعية، والله تعالى قال في كتابه العزيز: ( إذا بليتيم بالمعاصي فاستنروا ) : (كذا! ليست آية) ..

وصرخ مهدى ضاحكا: يا عم الحاج رغبتنا في الاستتار، فإذا بمخابرات ربي تفرع الأبواب الموصدة. ص ١٤٨.

٥- حول الثقافة والحضارة الأوروبية انطلق حوار مقتضب طرح على شكل أسئلة وجهها مهدى إلى منار. كانت تجيب بالفرنسية. آسيا ترجمت الجمل الصعبة. لخصت فكرتها بأن الأوروبيين عفويين أكثر صدقا مع الحياة منا وأقل تعقيدا. يعبرون عن أحاسيسهم ببساطة وحرية. أما العرب فمتعصبون محكومون بشروط التقاليد الموروثة. ليسوا أحرارا من الداخل. ص ١٥١.

٦- كم كانت إلهوة عميقة، كم كان الخراب كثيفاً! فى تلك الأزمنة، أزمنة العواصف بدا مريراً بأن التنبؤ بأن رب هذه الأرض كان يزحف وهو ينسل من عصور الرمل والشمس ببطء السلحفاة. ص ١٥٧.

٧- أنف آسيا الكبير: قالت: هو من صنع ربى، لماذا تسخر منه؟!

-لابد أن ربك فنان فاشل إذن. ص ٢١٩، ص ٢٢٠.

٨- داخل هذه الأهواز التى خلقها الرب فى الأزمنة الموهلة فى القدم ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها حيث الزمن يدور على عقبه منذ ألفى عام. كان آلاف البشر الهامشيون يعيشون حياة بائسة، منحلة تذكر بعصور ما قبل التاريخ. ص ٢٥٧.

٩- فلة بو عناب. امرأة مومس. يصفها المؤلف:

"المرأة التى سقطت سهواً على شواطئ بونة حيث نسيها الله بعد أن اختار لها زاوية ضيقة من زوايا الجحيم قائلاً لها : امكثى هناك ملعونة إلى أبد الأبد، فترد بصرخة شيطانية: فى مؤخرتى الحياة الآخرة وأنا هارك العسلىة وينابيع الكوثر، هذه حياتى الأولى والأخيرة، وما تبقى خذه، سامحك فيه، أعطه لعبادك الصالحين. ص ٣٢٢.

١٠- وفى تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التى أقامها الآباء والأجداد وضرورة الانفصال عن الدين والله، والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة، والجنة، والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب. ص ٣٤٨.

١١- وكما أقام الله مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته، سيقم ذلك الجنرال المعتوه مملكته داخل النسيج الأرجوانى للأرض التى طويها باسمه. المملكة التى ستزدهر على مدى السنوات الصفراء متمطية فى إهاب لحظتها الأبدية بدءاً من زواجاته المقدسة من عذارى القبائل بغية توحيدها أسوة بالرسول الأعظم.. ص ٤٢٦.

١٢- وهو أى الجنرال المعتوه- يردد فى سره: رب خذ بيدى فى مملكتى لأخذ بيدك فى مملكتك، ربى زدنى أرصدة فى الدنيا والمصارف لأزيدنك ابتهالاً فى الآخرة، ربى لتكن منافعنا متبادلة وليتحقق القصد الذى من أجله ولدتنى فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية. ص ٤٢٧.



١٣- وفى ذلك الزمن الأسود زمن الخنوع والغروب، ما كانت تلك القطعات قد دمرت إلهتها القديمة، ولا خرجت من أرحام أجدادها ومقابر طواطمها. كان حبل السرة ما يزال موصولاً مع الأزمنة الرعوية وأزمنة عبادة الواحد القهار فى السماء والأرض، وذلك الذى يقول للشئ كن فيكون. ومن خلال تلك إلهشاشة الرثة والريس العكر المترسبين فى أعماق القلب الضعيف، والدماغ النحلى، كان يتبخر أى خنزير أو لواطى أو لص أو قاتل ليتوج نفسه ملكاً فى تلك الأرض الخراب، ص ٤٣٣..

١٤- لم أسمع ولم أر إلا خذ وهات. إله المال كان يصرخ صراخ وحش جائع فى غابة. الإله السماوى إلههم الذى يصومون له ويركعون من أجله فى الجوامع، كان يداس ويجرجر. كانوا خاشعين أمام الإله الجديد. الدينار. ص ٤٥٦.

١٥- لكنى ملحد كما تعرفين، الشرف والبركة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام. ص ٥١٠..

١٦- فاجأ نفسه متلبساً داخل مقبرة الأسلاف، ينقر الشواهد باحثاً عن عظام النقاء والعفة والوضوء. البقايا التى خيل إليه أنه دفنها فى الصحراء وبال على ترابها..

أوقف هذا الهراء القديم يا مهدى بن عبد المطلب الديناصورى الحميرى : قال لنفسه وهو يرى زجاجة النبيذ الأحمر..

١٧- لا إله إلا الله الحى القيوم الدائم الباقي والذى لا تأخذه سنة ولا نوم. ها. عيني!. ينتفض مهيار من هذا الاستخفاف، فيتحدث عن فلة التى أشعلت النيران فى العراء تحت الزمهرير. فلة المساوية لروح الله الجامعة. هبطت كالروح القدس فجمعت الجسد إلى النفس وأعادت تناسق التكوين الأول بعد اختلاله. ص ٥٩٣.

١٨- فلة بو عذاب: "كانت ناراً شخصية تراعت له بغتة فى وقت الضيق كما تراعت العليقة الملهبة لموسى فى الوادى المقدس طوى، خاطبته: أنت فى الوادى المقدس، فاخلع ثيابك وتقدم، فجأة خلع أستاره كلها وتعرى، اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بو عذاب العاهرة المقدسة التى وطئها الثوريون والمنفيون والسفلة والخنازير ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الثمرة. ص ٥٩٤.

١٩- مهيار يؤكد بأنه نجا بجسد "قلة" . " لقد افتدنتى كما افتدى الله اسماعيل بالكبش.. يضحك مهدي جواد: إنها المرأة وكفى. مليون مرة وصفناها لك كتميمة، لكن لا حياة لمن تتنادى يا مسيو طهارة. ص ٥٩٣ ..

### ثالثا: إهانة حكام العرب ووصفهم بأقذع وأقبح الأوصاف:

١- تتوقف قليلا لالا فضيلة أم آسيا ومنار لتسأل مهدي: قل لى يا سى مهدي عندكم كايين اشتراكية. يضحك . فى العراق وسوريا ومصر وسائر بلاد العرب لا يوجد غير النهب والقتل والأكاذيب. الحكام العرب يا خالة " لالا" حلاليف وطغاة وأعداء لشعوبهم. هؤلاء يتحدثون عن الاشتراكية كما يتحدث الحاج محمد عن الدين، ولكن كما الدين برئ من الحاج كذلك الاشتراكية بريئة من حكامنا. ص ١٥٣ .

٢- من خلال تلك الهشاشة الرثة والرئيس العكر المترسبين فى أعماق القلب الضعيف، والدماغ النحلى، كان يتبخر أى خنزير أو لواطى أو لص أو قاتل ليتوج نفسه ملكا فى تلك الأرض الخراب . ص ٤٣٣ ..

٣- كانت مدينة جميلة مطوقة بالبحر والغابات، لكنها كأي مدينة عربية كانت متوحشة ومحكومة بالإرهاب، والجوع، والسمسرة، والدين، والحق، والجهل، والقسوة، والقتل. ص ١٢ .

### رابعا: عبارات فاضحة فى الجنس ومنافية للأداب العامة:

١- ما الذى تخشاه فيهن فى الإفريقيات الجزائريات يا سى مهيار؟

#### - لبؤات ورثن من الغابة شرستها

تقول " فلة" مستفزة، وهى تجهز مقلاة اللحم: لبؤات يا قديس! والحرارة والجلد الطرى هذا تنساه. هاه . نحكى واللا ...

#### - حرارة وطرأوة الأفعى..

- تعرو " فلة" حالة هرج فاحش . تأخذ جرعة نبيذ من كأسها. البؤة تبحث عن ليثها. نحن الأفريقيات ننتشى بالقوة. هنا المرأة لا تخون إلا الرجل الذى لا يروى أرضه جيدا. ها. ها. ص ٥٧ و ص ٥٨ .

مع ضحكاتها الفاسقة تحديدا تمد يدا تحت المائدة وتجلس ما بين  
فخذى مهدي. ص ٥٨.

٢- ما الذى يفعله رجل وامرأة إذا ما انفردا فى حجرة مغلقة؟  
دود رأس الحاج محمد وجراثيم سلالته كانت تشير نحو الفاحشة.  
ص ٥٩.

٣- تصوروا يا ناس . يا هوه . يا كائنات . رجل على أبواب  
القرن الواحد والعشرين فى مدينة تعج بألاف النساء يتعبد فى محراب  
امرأة واحدة منذ عامين. تسأله: شنو عيني. لم هذه النقوى للرب  
الأحد! يزم شفتيه ثم يعقد غضون الجبهة ويؤدلج: شف حبيبي ذو  
النون: إنى رجل مخلص. البنيت بنت شهيد. وأنا وفى لميراث  
الثورة.. ص ٤٦٦.

٤- يقول مهدي وهو يرفع زجاجته: نخبك ذو النون. أنت  
جوهرة فى عالم موحد. صدقنى. طيز أم الذى لا يحبك. ص ٤٦٧.

٥- صرخ داود وهو يحفر لينزع الزجاجات من الرمل :  
يا عجوز يا سكران ممنوع الحديث فى البوليتيكا المنيكة. ص ٤٦٨.

٦- قواد . شنو تفهم أنت غير فى النيك !.. يا ولد يا معود  
اتبع الدم. اتبع الجسد شهوة الدم الأنثوى. رائحة المرأة التى تنسج حول  
جسد الذكر هالة فيصعد الحنين الأمومى البخار.. الجنون الجنون  
العظيم للجسد المتألق فى جحيم مجده. الجنون الذى يلغى العقل والإرادة  
فيضعهما تحت هيمنة دوى تلك الصرخة البدائية للوحش وهو يندفع  
محموما نحو أبهة الأنثى.. هذا ذو النون الزانى الزنديق. خاطئ  
أو مصيب. وجودى أو سريالى. واقعى أم مثالى. هذه التصنيفات  
لا تعيننى. الكأس والكس منجائك يا ولد فى هذه الدنيا الفانية. هذه  
فلسفتى فى حياتى. ص ٤٦٩.

٧- فلة بو عذاب أيتها المومس المقدسة أيتها النجمة. أه. أه..  
يا ولد يا داود. لقد غفرت لك، انكح كل صبيان بونة وأنا شفيحك يوم  
القيامة. قال ذلك بغبطة مطلقة. ص. ٤٧٠

٨- حلوفة قحبة. هم العرب خير منا؟.

إذ يقتربان ويعبران بين كراسى القش. تعلو الهمسات تنقذف  
الغيرة وأشواق الجنس. ها. شوف أخويا شوف. لبوة بونية مع ذئب شرقى.  
-بالسلامة. عضو الغريب حلو. وحق ربي. كما العسل الجزائرى.

- عنابية خابية. عشها راح. أى طائر غريب يضع فيه بيضه.
- واش. واش. قضيب الجزائرى كما الحديد السخون.
- هذه الفحلة الطويلة قتلتنى. أى على ليلة معاها. عمرها لن تنساه.
- كل يوم مع هذا الحلوف العراقى. واحنا واش ندبر هنا.
- راح الاستعمار الرومى، وهاهو الاستعمار العربى ينيك فينا
- عندما يسأل مهدى جواد مستفزا عن هذه الغيرة. تقول آسيا هازئة  
من الوضع: لماذا خيرهم يروح لغيرهم. الأفارقة غيورون بطبعهم.  
رؤوسهم عامرة بالسكس. ص ٥٠٥ و ٥٠٦.
- ٩- عندما صفعها على ردفها براحة كفه ظهر من منعطف  
الطريق رجلان نظراتهما تنطق استغزا.  
- حلوف. ألا ترى الناس.  
- الرابية تدعو الأصابع.  
- لا تختلف عنهم. رأسك بين فخذيك..
- وضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوى فيه، لكننى ملحد كما  
تعرفين. الشرف والبكارة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى منذ عشرات  
الأعوام. ص ٥٠٩ و ٥١٠.
- ١٠- يضحك مهدى جواد. إنها المرأة وكفى. مليون مرة وصفناها لك  
كتميمة ولكن لا حياة لمن تتادى يا مسيو طهارة.
- خرا بريك. دعك من الانحطاط العضوى. ما حدث كان خارقا. ثمة  
أمور خارجة عن نطاق المعقول. ما حدث لى صرت من جماعة  
اللامعقول. ص ٥٩٢.
- ١١- لقد غمرته المرأة والدفء والحنو واللذة. أعطته فى لحظة  
الصقيع وتوقف جريان الدم نبضها وحرارة دماها. اندفعت داخله كحبل  
سرى أومى لتغذية وتعيد له حرارة جسده الميت. ص ٥٩٤ و ٥٩٥.
- ١٢- يصف مهدى جواد ليلته مع آسيا فى غرفة النوم:  
- كان يداعب تلال المؤخرة وحلمة الثدي.

- للتنويع. الأمان لكم أنتم الرجال كالأمان للحنش الأرقط. ضحك وهو يجمعها إلى جسده. صبح والله صبح. خلق الرجل للمبيت فى أكثر من عش. تلك رغبة ربنا ونبيينا محمد أول ( كذا ) المرسلين.

- أى عش يفضل وريث الأنبياء؟

- الدافى والضيق والذى يغطيه بالأعشاب الندية فى أوقات الحمى وهبوط الوحى. ص ٦٠٩.

١٣- ولأنه كان ملحدا ومجوها كان يتصور أن الله يتقص المرأة ويغويه فى جسدها ثم يخطف روحه ليعاقبه فى عرش مملكته. وهكذا كن يأتين معطرات. الخ ص ٦١٣...

... لكنه كان يرتعد لحظة ولوجهن وهو تحت السطوة البرقية للجسدين اللذين سبباغتهما الله وهما مشتبكان.

وحده الذى يرى الآن محمولا على محفة أو جرف صخرى أو تابوت المقبرة. حى وميت وحوله الجسد.

أصوات: مولاى صل وسلم على حبيبك خير الخلق كلهم.

صوت: مولاى . مولاة. مولاكم..

أصوات: بل هو ربى وربك. ورب المشرقين ورب المغربين..

وينتهى فى هذه المشاهد بعد صفحة كاملة إلى قوله:

- كان فى الغيبوبة التى تشبه الموت إثر سهرته قرب المرأة الحميمة. ص ٦١٣ ٦١٥.

١٤- فى حوار بين مهدي جواد ومهيار الباهلى: هناك تتجرد من أقوى موهبة تتميز بها.

- أى موهبة مسيو عقل.

- موهبة القضيب وبكارة الإست.

- ها. ها. ها. لا. عيني لا. كلش ولا هذا. نعترف ثم نوقع صك براءة ونتخلى عن الشيوعية. أما الخصى. واللواط والطيز فلا. إننى حريص جدا على مداخل ومخارج الشرف العربى. ص ٦٥٣.

=====

وبعد: فإنه من غير المعقول أن تقوم وزارة مسئولة في نظام حكم لبلد مسلم بطبع ونشر هذه الرواية (وليمة لأعشاب البحر) وأن تدعمها ماليا لتيسر قراءتها للجميع وقد نقلت منها ما يدعو ويدعم الأفكار الآتية:-

١- الدعوة إلى الشيوعية، والكفاح المسلح، والاستيلاء على السلطة بالعنف، وإراقة الدماء استجابة لتعاليم ماركس ولينين! الأنبياء الجدد.

٢- الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها بجرأة وبذاءة نادرة: الله، الرسول، القرآن، اليوم الآخر. كل مواريث الآباء والأجداد.

٣- إهانة الحكام العرب ومنهم "حكام مصر" ووصفهم بأفحج وأقذع الأوصاف، مع سيل من الشتائم المتناهية في القبح.

٤- دعوة فاضحة إلى الجنس العارى من أى غلالة، واستباحة قاموس الألفاظ الصريحة في الوقاع وأعضائه للذكر والأنثى ولا حياء.

قلت: غير معقول أن تقوم هيئة مسئولة في نظام الدولة بطبع ونشر وتدعيم مثل هذه الرواية. ولعلها لا تدرى ما فيها، وأن الذين اختاروها خدعوا رئاستهم، ولكن الشاعر يقول:

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة.. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولو أن أحدا أدخل هذه الرواية خلصة وضبطت عنده لحاكمته الدولة على جلب هذه المفاسد التي تصيب وحدة هذه الأمة وتدعو إلى الفتنة والحرب والدم بين أبنائها.

فهل صرنا في زمن اللا معقول!! نرجو ألا يكون.

أ.د. عبد الرحمن العدوى

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تحريرا في: ١٠/٢/١٤٢١هـ

٢٠٠٠/٥/١٤م

\*\*\*

## تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر)

بقلم

**الدكتور محمد رأفت عثمان**

عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

\*\*\*

الرواية من تأليف حيدر حيدر كاتب سورى، طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر سنة ١٩٩٩ وهى مكونة من ٦٩٠ صفحة عدا الفهرست، من القطع المتوسط.

والانطباع العام عن هذه الرواية أنها مكتوبة بأسلوب ركيك، غامض فى كثير من صفحاتها، لا فكر فيها، ولا تتبى عن ملكة فنية عند كتابتها، مليئة بالعبارات الفاحشة الخادشة للحياء، والتى تحقر وتهين المقدسات الدينية، ما بين الاستهزاء بذات الله تبارك وتعالى، والسخرية بأحكام شريعة الإسلام، وإهانة القرآن الكريم، ويتبين ذلك مما يأتى:

١- فى ص ٩ يقول المؤلف : " فبدا كالرخام فحذاها الناصعان المكنزان "

٢- فى ص ١٢ يضع المؤلف الدين بين كل الأشياء المبعوضة، فيقول فى سياق وصفه للمدينة التى نزلها: " كانت مدينة جميلة مطوقة بالبحر والغابات، لكنها كآى مدينة عربية كانت متوحشة، محكومة بالإرهاب، والجوع، والسمسة، والدين، والحقد، والجهل، والقسوة، والقتل "

٣- فى ص ١٦ يقول المؤلف على لسان بطل روايته: " نحن الآن فى المطهر، لسنا فى مسجد الله، أو كنيسة، هذه برارىنا ونحن هنا إلهة هذه البرارى "

٤- يصف المؤلف الذات الإلهية بالجهل، فيقول فى سياق كلامه عن العراق فى ص ٣٨: " ودخل شمس العراق تحت الخسوف الرمادى، حيث لن يعرف لا الحزب، ولا الرب متى ستشرق الشمس من جديد. "

- ٥- فى ص٤٨ يصف المؤلف رجلا متدينا سماه الحاج محمد- والرمز واضح فى اختياره اسم محمد قائلا عنه: "وبالدمدمات الأخلاقية التى يطلقها ذهنه الملتاث بالأموال والصلوات والكبت الجنسى".
- ٦- فى ص٥٨ يقول المؤلف: "مع ضحكاتها الفاسقة تمد بدا تحت المائدة وتجس ما بين فخذى مهدى".
- ٧- فى ص٧٨: "أنا أرى فى ماركس، أو لينين محمدا جديدا، محمد القرن العشرين، ماركس، أو لينين العربى، هذا ما نحتاجه فى هذا العصر المضطرب".
- ٨- فى ص٩١ يقول المؤلف واصفا شعور مهدى بطل روايته: "امتزج الغبن بالغضب، لاحت على شاشة رأسه بلاد رازحة تحت عصور الظلمات، والرجال، والسلاسل، وجراثيم الله المهيمنة، والخصاء"
- ٩- يقول المؤلف أيضا على لسان بطل روايته مهدى جواد لصديقه فى ص٩٤: "إن قوانينك تخرج من قوانينك الداخلية لا من قوانينهم الدينية والعمياء، إنهم يكموننا بالطقوس البائدة طقوس الصحراء والحريم".
- ١٠- لا يهتم المؤلف بصحة كتابة الآيات القرآنية التى تجئ فى بعض صفحات روايته، فيقول فى ص١١٤: "والله تعالى قال فى كتابه العزيز (إنا خلقناكم فوق بعض درجات) ويقول المؤلف أيضا فى ص١٤٨: "والله تعالى قال فى كتابه العزيز (إذا ابتليتم بالمعاصى فاستتروا)"
- ١١- فى ص١٢٧ نوع من كلماته الفاحشة، يقول على لسان إحدى نساء روايته: "كل شئ مسموح لهم، أما النساء فليس لهن إلا فتح الفخذين، يا للحلايف، طيز أمكم، تفوه"
- ١٢- فى ص١٢٩ يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: "فى عصر الذرة والفضاء، والعقل المتفجر، يحكموننا بقوانين آلهة البدو وتعاليم القرآن، خراء".
- ١٣- فى ص١٤٧ يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: "هذا أفضل وأهدى لنفسى من صلوات الدجالين وقبور المسلمين المظلمة".
- ١٤- كتب المؤلف حوارا بين بطل روايته مهدى وشخص آخر أسماه الحاج محمد يقول فيه مهدى: هل أحببت فى حياتك؟ وقال الحاج: واحدة واحدة على سنة الله ورسوله.



- طبعا تزوجتها؟

- أكيد

- ولكن الله قال انكحوا ما طاب لكم ورسولنا المعظم كان مثالنا جميعا، ونحن على سنته، لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية، وخليلة، ومتعة، وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: تناسلوا فإنى مفاخر بكم الأمم، استبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة، أما أنتم فتريدونها شيوعية، والله تعالى قال فى كتابه العزيز: ( إذا بليتيم بالمعاصى فاستتروا) وصرخ مهدى ضاحكا: يا عم الحاج رغبتا فى الاستتار، فإذا بمخابرات ربي تفرع الأبواب الموصدة.

١٥- الرواية مليئة بالعبارات الجنسية الفاحشة، مثل ما فى ص ٢٠٥ تقول إحدى بطلات روايته فلة بو عتاب لمهيار الباهلى: " لأول مرة أتعرى، هم كانوا يعرفوننى، رشيد الفلسطينى مزق سروالى ونام معى أربع مرات فى ليلة واحدة.. مرسى المصرى بعد أن يشرب النبيذ والحشيش كان يتحول إلى منشد شعبى وهو يضاجعنى حتى الصباح، ذو النون العراقى كان يبكى بين فخذى وهو يهذى بالشعر، ويقول المؤلف ص ٢٠٧: " بدأت فلة بو عتاب العارية تمارس بالقلم شهوتها، وتتأوه، وكانت جالسة على البساط فارجة ساقها، وبينما قلم الباهلى (الرجل الذى معها فى الحجرة) يهتز ويحتك بحواف فرجها وبظرها وهى تئن وتهذى".

وقال المؤلف فى ص ٢١٨: " رأى فرجها يبكى، ثم يضحك، ثم يغلى، ثم يصرخ باللذة".

١٦- يتمادى المؤلف فى كفرياته فيقول فى ص ٢١٩: " تجذبه آسيا من شعره فيلتقى بصراها: أنت لى، ها، عليك أن تفهم هذا منذ الليلة، ويضحك، أنفها الكبير المفلطح يواجهه، يقرص أنفها، لكن أنفك هذا سيعترض مستقبلنا

- هو من صنع ربي، لماذا تسخر منه؟!

- لا بد أن ربك فنان فاشل، إذن.

١٧- فى ص ٢٥٧ يقول المؤلف: " داخل هذه الأهواز التى خلقها الرب فى الأزمنة الموعرة فى القدم ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها"

١٨- يقول المؤلف فى ص ٢٨٣: " بذلك سيوسوس لها وهو يوغل فى أعماق رحمها الاستوائى المندى" ويقول فى نفس الصفحة: " ثم تطعمهم من طهو يديها وما يدره ثدياها وفرجها من المن والسلوى"

١٩- يصف المؤلف إحدى نساء روايته (فلة بوعناب) فى ص ٣٢٢ قائلا: "المرأة التى سقطت سهوا على شواطئ بونة (اسم بلدة فى الجزائر) حيث نسيها الله بعد أن اختار لها زاوية ضيقة من زوايا الجحيم قائلا لها امكثى هناك ملعونة إلى أبد الأبد، فتزد بصرخة شيطانية: فى مؤخرتى الحياة الآخرة وأنهارك العسلية وينابيع الكوثر، هذه حياتى الأولى والآخرة، وما تبقى خذه، سامحك فيه، أعطه لعبادك الصالحين"

٢٠- فى ص ٣٤٨ يقول المؤلف: " وفى تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التى أقامها الآباء والأجداد وضرورة الانفصال عن الدين والله، والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة، والجنة، والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب".

٢١- فى ص ٤٢٦ و ٤٢٧ يقول المؤلف: " وكما أقام الله مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته، سيقم ذلك الجنرال المعنوي مملكته .. بدءا من زواجه المقدسة من عذارى القبائل بغية توحيدها أسوة بالرسول الأعظم.. وهو يردد فى سره: رب خذ بيدى فى مملكتى لأخذ بيدك فى مملكتك، ربى زدنى أرصدة فى الدنيا والمصارف لأزيدنك ابتهاالا فى الآخرة، ربى لتكن منافعا متبادلة ولينحقق القصد الذى من أجله ولدتنى فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية".

- ٢٢- فى ص ٤٥٥ يقول المؤلف: " وهى فى غمرة نشوتها تروى له للمرة الألف كيف بكى مرسى الولد المصرى فى فراشها، ثم كيف لعق بظرها بطريقة صبيانية تشبه امتصاص الثدي بعد أن بكى نام بين ساقها"
- ٢٣- فى ص ٤٦٧ يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: " أنت جوهرة فى عالم موحد، طيز أم الذى لا يحبك."
- ٢٤- فى ص ٤٦٨ يقول المؤلف: " يوازى بين حبه لهذه الصحبة الحميمة وبين فروج النساء التى يعبدها".
- ٢٥- فى ص ٤٦٩ يقول المؤلف: " يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: " شنو تفهم انت غير النيك".
- ٢٦- فى ص ٤٧٠ يقول أيضا: " الله الله يا ولد يا داود، لقد غفر لك، انكح كل صبيان بونة ( اسم المدينة التى يقيم بها) وأنا شفيحك يوم القيامة".
- ٢٧- فى ص ٥٠٦ يقول: " راح الاستعمار الرومى، وهاهو الاستعمار العربى ينيك فينا".
- ٢٨- فى ص ٥١٠ يقول المؤلف: " وضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوى فيه، لكننى ملحد كما تعرفين، الشرف والبركة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام".
- ٢٩- فى ص ٥١٥ يقول المؤلف على لسان إحدى نساء رواياته: " طيز أمهم خليفهم يولوا".
- ٣٠- فى ص ٥٩٢ يقول أحد أشخاصه الذى سماه مهيار الباهلى لشخص آخر هو مهدى جواد: " خرا بربك".
- ٣١- فى ص ٥٩٤ يقول المؤلف: " خاطبتك أنت فى الوادى المقدس، فاخلع ثيابك وتقدم، فجأة خلع أستاره كلها وتعرى، اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بو عتاب العاهرة المقدسة".
- ٣٢- ص ٦٥٣ يقول: " نخر مهيار: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى، وأتم مهدى: ما لم يراق على طيوزهم الدم"

وبعد، فهذا قليل من كثير ملئت به هذه الرواية المنحطة في التعبير والفكر، والفن، و أرى مصادرتها، ومحاكمة مؤلفها وكل الذين ساعدوه على نشرها، بل أرى كفر مؤلفها، لذكره العبارات الساخرة بذات الله تبارك وتعالى، وبرسوله، وبالقرآن، وبالإسلام كله.

وإذا كان بعض المدافعين عن هذا النوع من الكتابة الساقطة يقولون أنه يحكى ذلك على لسان أبطال روايته فالرد:

أولاً: أن بعض العبارات التي تؤدي إلى السخرية من الله عز وجل ومن رسوله ومن القرآن والإسلام جاءت على لسان الكاتب نفسه.

ثانياً: العبارات التي قالها المؤلف على لسان أشخاص روايته التي تؤدي إلى كفر قائلها تؤدي أيضاً إلى كفر المؤلف، وذلك لأن ذكر الكفریات سواء أكانت أقوالاً أم أفعالاً إما أن تكون على سبيل الحكاية عن إنسان قالها أو صدرت منه فعلاً، أو تكون على سبيل التخيّل والاختراع لقول أو فعل لم يحدث في الواقع.

فإن كان ذكر الكفریات حكاية عن إنسان قالها أو صدرت منه فهذا جائز فيما يأتي:

أولاً: إذا كان ذكر هذا في مقام بيان قبح هذا القول أو الفعل.

ثانياً: إذا ذكر هذا في مقام بيان حكمة.

ثالثاً: إذا ذكر هذا في مقام بيان الرد عليه.

رابعاً: إذا ذكر هذا في مقام الشهادة.

خامساً: إذا ذكر هذا في مقام بيان آراء الفرق والمذاهب، وإما إن كانت الكفریات قد عبر بها المؤلف على سبيل التخيّل ولم ينطق بها صاحبها أو يفعلها في الواقع وإنما هو فقط على لسان المؤلف فهذا محرم، بل ويصل في رأيي إلى درجة الكفر، بدليل أنه لا يجوز لمؤلف رواية أو قصة مثلاً أن يتخيّل إنساناً معيناً حقيقياً موجوداً على قيد الحياة أو توفاه الله في موقف مهين ويكتب عنه في الرواية أو القصة أنه كان يزني مثلاً،

ويجرى حوارا بينه وبين من يتخيل أنه يزنى بها، فإن هذا يعد جريمة قذف في الشريعة والقانون مع أنه أجراه في قالب روائي.

ولا يشفع له أنه يتخيل ذلك وليس على سبيل الحقيقة والواقع، فإذا كان هذا لا يجوز بالنسبة للإنسان فهل من المعقول أو المقبول أن يكون ذلك جائزا بالنسبة إلى ربنا تبارك وتعالى؟! فأى عبارة تكتب تخيلا ولو على لسان شخصية وهمية من شخصيات الروايات أو القصص، أو غير ذلك يصدر عنها عبارة أو فعل فيه سخرية بالله عز وجل، أو برسوله صلى الله عليه وسلم، أو بالقرآن، أو بأحكام الإسلام تؤدي إلى كفر مؤلفها، وقد وجدنا علماءنا رضى الله عنهم قد بينوا أنه إذا قال شخص عن عدوه: "لو كان ربي ما عبدته" فإنه يكفر، وكذا لو قال: "لو كان نبيا ما آمنت به"<sup>١</sup>، مع أن هذه العبارة هي فرض لما قد يحدث.

إن الإبداع في الكتابة لا يكون بالسخرية من ذات الله عز وجل أو بإهانة المقدسات، وإنما الإبداع تعبير سام راق عن فكر محترم دينيا يتفق وتقاليد المجتمع وثقافته ومثله العليا، وأما غير ذلك مما يريدوننا أن نوافقهم عليه فهو ليس إبداعا ولا ينتمي إلى الأدب بل أخرى أن يوصف بقلة الأدب، بل بعدم الأدب.

---

١ - كفاية الأخبار، لأبي بكر الحنفي ج٢ ص ٢٠٠.

## القرضاوي يطالب مبارك بالتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة<sup>١</sup>

\*\*\*

ناشد فضيلة العلامة د. يوسف  
القرضاوي الرئيس المصري حسني مبارك  
أن يتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة -  
حسب وصفه- عند حدّها، وشدد فضيلته  
على أهمية الحرص على وحدة الأمة، كما  
حيّا شيخ الأزهر والأزهر ورئيس جامعة  
الأزهر والطلاب والطالبات الذين وقفوا  
موقفاً موحداً ضد رواية الكاتب السوري  
وليمة لأعشاب البحر التي طبعتها وزارة  
الثقافة المصرية وتسببت في حالة الهياج  
التي شهدتها الشارع المصري مؤخراً،  
واعتبر د. القرضاوي في خطبة الجمعة  
أمس إن الرواية تدخل في باب الكفر  
مستنداً في ذلك علي بيان الأزهر الشريف  
ورأي فضيلته أن هذا العمل كفر بغض  
النظر عن الأشخاص واعتبر من قاله  
ورضي به كافراً.

---

١- نص المنشور في صحيفة الراية القطرية: ١٩٩٩/٥/٢٠

العلامة القرضاوي في خطبة الجمعة

( ١٥ صفر ١٤٢٠ ١٩/٥/٢٠٠٠ )

كُلُّ ما في "وليمة لأعشاب البحر" منكر

أنا وأنتم وشيخ جامع الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ورئيس  
جامعة الأزهر وخطباء المساجد في العالم ظلاميون ووزير الثقافة  
المصري وحده يحمل النور !!!!!

تلخيص الخطبة بقلم د. حسن علي دبا :

شن فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي هجوما شديدا على وزارة  
الثقافة المصرية على ما نشرته من رواية "وليمة لأعشاب البحر" لكاتب  
سوري واستنكر ما بها من منكر وتحقير وإهانة الذات الإلهية والقرآن  
والرسول والقيم الدينية وتحريضها على الخروج على الشريعة الإسلامية  
وطالب فضيلته المسؤول الأول في مصر الرئيس حسني مبارك وناداه أن  
يوقف هذه الموجة الثقافية الفاجرة عند حدها وأن يعيد الثقافة عند حقيقتها  
فلا يجوز أن نقسم الأمة بين الثقافة الغربية المستغربة الصادة عن سبيل الله  
والسائرة في ركاب الشيطان والثقافة التي مع القيم الدينية مع الله ورسله  
وكتابه ومع الربانيين.. وشدد فضيلته على أهمية وحدة الأمة خاصة  
في هذا الزمان التعيس - حسب وصفه - الذي استغلته إسرائيل وبغت فيه  
وطغت، فينبغي أن نضم صفوف الأمة بعضها إلى بعضها.

ثم تابع الدكتور القرضاوي قائلاً : الكلمة الآن للرئيس مبارك الذي  
أسأل الله أن يهديه سواء السبيل وأن يوفقه لموقف الحق الذي لا يخاف  
في الله لومة لائم.

كما حيا د. القرضاوي الأزهر وشيخ الأزهر ورغم اختلافه معه  
في قضية الربا وغيرها وحياء جامعة الأزهر ورئيسها وطلاب الأزهر  
وطالباته وجريدة الشعب والكاتب الإسلامي "د. محمد عباس" الذي  
صرخ في الأمة قائلاً : "لا إله إلا الله : من يبايعني علي الموت". قال :

غضب الرجل لدينه، لربه وربما في غمرة هذا الغضب خرجت منه بعض الألفاظ في بعض الناس، لكن الإنسان في حالة غضبه يقول ما قد لا يحمد في بعض الحالات.. كما حيا الشاعر الكبير فاروق جويده في صحيفة الأهرام والمتقنين الشرفاء الذين وقفوا ضد هذا الباطل وهذا الفجور الأدبي، الذين يحترمون عقائد الأمة ومقدساتها.. أقف مع كل هؤلاء أشد أزرهم وأصلب ظهرهم.. بكل قوتي - وأقول الحق لا أخاف في الله لومة لائم..

وكان فضيلته قد بدأ خطبته متحدثاً عن انشغال الأمة بهم جديد أضيف إلى همومها هو إلهم الثقافي الذي بدأ بنشر وزارة الثقافة المصرية لرواية تسمى وليمة لأعشاب البحر - معبراً عن استغرابه من العنوان لكاتب سوري مغمور شهرته تلك الرواية شهرة كبيرة.. وقال: لم أشأ أن أتحدث عن تلك الرواية حتى أراها و(الحكم علي الشيء فرع عن تصوره) كما قال علماؤنا وقرأت ما يقارب نصفها أغالب نفسي فهي من أول صفحة تقزز نفس الإنسان المؤمن وهي رواية لا تعرف شيئاً اسمه الحرام ولا العيب ولا تعرف الله ولا تقدره حق قدره ولا عجب.. فقد كتبها إنسان نصيري العقيدة شيعوي الفكرة..

ثم ذكر فضيلته إن عقيدة الإنسان الدينية والأيدلوجية تتضح على فكره وعلى كتابته وعلى أسلوبه وكل إناء بالذي فيه ينضح،.. وأضاف: لكني سأتجاوز عن عقيدة الرجل الدينية والأيدلوجية ونحاكم النص الذي كتبه: لم استطع أن استمر في قراءة الرواية في أكثر من النصف، لقد بلغ الاشمئزاز مني مبلغه، فاكتفيت بتصفح الباقي وكلما تصفحتها وجدت أشياء وأشياء ينكرها الدين وينكرها الخلق، والعقل والأعراف كل ما فيها والعياذ بالله منكر، فوجدت فيها أكثر مما انتقد عليها الناقدون، في السطور وما بين السطور..

المؤلف يرسم شخصياته

وبدأ د. القرضاوي يرد على أصحاب الرأي الآخر الذين وقفوا مع الكاتب فقال:

" قالوا إن ما ذكره الكاتب جاء على أسنة شخصيات الرواية.."



وأقول نحن نعرف إن الرواية قصة يتخيلها الكاتب، قد يكون لها اصل في الواقع وقد لا يكون، هو الذي يرسم صورتها، مبدأها ونهايتها وعقدتها وحلها، وهو الذي ينشئ شخصياتها وينطق هذه الشخصيات بما يريد أن تنطق به ، يعبر عن نفسه أو يعبر عن هذه الأشخاص ولو كان له فكرة معينة فهو يجربها على لسان أحد الأشخاص ويقوي هذه الفكرة ثم يأتي الرد عليها من الطرف الآخر ضعيفا، أو لا يأتي رد عليها قط . هذه حيلة نجدها عند القصاصين والروائيين.

وأضاف إذا كان من حق الإنسان ألا يعري جسده أمام الجمهور: فهل من حقه أن يُعري أدبه، وفنه أمام الناس؟ إن العري الذي في هذه الرواية عري فضائحي بأهدافها وأسلوبها وكتابتها أشد من العري الجسدي.. هل من حق الإنسان المبدع أن يتجرأ على الله وعلى رسله وعلى كتبه وعلى اليوم الآخر وعلى القيم والدين والأخلاق كما يفعل هذا الكاتب؟ أيسطيع أن يقول ذلك لرئيس دولته ، يتجرأ عليه ويقول كذا وكذا أم أن الدين والله والكتب والرسل أصبحت الحائط الواطي التي يتجرأ عليها كل الناس.

ورجع بالذاكرة إلى ما مضى فقال: لقد رأينا كثيرا من القصاصين الكبار يذكرون النواحي الجنسية ويتحدثون عن الشواذ والجناة واللواطين وتجار المخدرات لكنهم لا يذكرونها بمثل هذه الألفاظ المسفة العارية.. رأينا ذلك في قصص محمود تيمور ، وتوفيق الحكيم، ومحمد عبد الحليم عبد الله، والطيب صالح ونجيب الكيلاني ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس رغم أنهم ذكروا أشياء كثيرة تحدث في الفراش، لكن لم يجرؤ أحدهم ولم ينزل أحدهم إلي مثل هذا الدرك.

واستمر د. القرضاوي يرد: قالوا في أدبنا أشياء مكشوفة مثل ما قبله امرؤ القيس أو مثل ما ورد في خمريات أبي نواس أو في التغزل بالذكور.. وقال: بان هذه الأشياء في أدبنا لا تمثل الاتجاه العام، وليس لها اثر في مجرى الحياة، وكانت أشياء خاصة يتداولها بعض الناس في مجالسهم أو يقرأها بعض الناس في كتبهم وكانت هذه الكتب محدودة الانتشار.

وتناول مظاهرات شباب الأزهر فقال: لقد عابوا علي طالبات وطلاب الأزهر أن غضبوا لهذا الدين: وهل يلام الإنسان إذا غضب لدينه . . وقال مثلاً : إذا مشيت في الشارع ومعك زوجتك أو ابنتك أو أختك ثم اجترأ عليها أحد من أولئك الفاسقين فنبذها بكلمة نابية جارحة: ألا تغار لها؟؟ ألا يثور الدم في عروقك؟؟ ألا تقف له بالمرصاد؟؟ هذا ما يفعله الإنسان الحر، فالشريف لا يقبل أن يهان في عرضه..

أكان الدين أهون على الإنسان من العرض، أكان الله وقرآنه ونبيه محمد أهون لدى الإنسان المسلم من الغيرة على ابنته وامراته وأخته.؟

**وقرر:** لقد كان طلبة الأزهر وطلابه معذورين حينما سمعوا ما سمعوا وقرؤوا ما قرؤوا.

قالوا: " إن طلبة الأزهر لم يقرؤوا الرواية "

ورد: وهل يجب أن يقرأ جميع طلاب الأزهر وطلباته هذه القصة حتى يغضبوا من اجلها، لقد رأينا في صحيفة الأهرام كاتباً يدعي انه تقدمي يدافع عن الرواية وفي نفس الوقت يقول: أنا لم أقرأها.

وزير الثقافة يدافع عن الخط التتويري :

ورد فضيلة الدكتور القرضاوي على وزير الثقافة المصري فقال:

لقد قال وزير الثقافة: إننا منذ بضع عشرة سنة ونحن ننشر هذه الثقافة المستتيرة.. لنقاوم بها ثقافة الظالمين الرجعيين وارتفع صوت د. القرضاوي يرد عليه: أنا وأنت وانتم أيها الاخوة ظالميون : كل من يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله وفهم القرون الأولى لهذه الأمة خير القرون: كل هؤلاء ظالميون.. أنا وأنت ظلامي .. الأزهر ظلامي ..شيخ الأزهر ظلامي .. مجمع البحوث ظلامي .. ورئيس جامعة الأزهر .. واللجنة الدينية في مجلس الشعب .. وحزب العمل، جريدة الشعب، الجمعيات الإسلامية في مصر وخطباء المساجد كلها ظلامى: هم إذن أهل النور!! وزير الثقافة وحده هو الذي يحمل النور! والثقافة المستتيرة!! وهي هنا الثقافة التي تُسخر بالدين وتستهيئ بالقيم الدينية ومن الله ومن رسله ومن كتب الله وقد سكت الناس على قصص وكتب وروايات دهر من

الزمن ثم كان لابد أن يحدث الانفجار: (ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار).

## لا بأس بالمظاهرات

وأضاف : أنا لا أرى في تظاهرات الطلاب شيئاً منكراً، إذا كان تظاهراً سلمياً يجب أن نعود أمتنا ما تعودته أمم الحضارة من التظاهر السلمي.. وقد كنا طلاباً في المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية في كليات الأزهر، وكنا نخرج نحتج على كل أمر يخالف الدين كل أمر يهتم به المسلمون: خرجنا من اجل فلسطين وتونس والجزائر ومراكش وسوريا ولبنان وكشمير.. الطلاب هم نبض الأمة لا يستطيعون العيش بعيداً عنها، كل ما نمناه هو التخريب، أما التظاهر السلمي فلا مانع منه (واستشهد في ذلك بتظاهرات سيائل)..

وتابع: إن من حق الناس أن تغضب لدينها، ومن حق أبناء الشارع خصوصاً الطلبة في الجامعات فهم أوعى الناس بهذه القضايا، فهم الذين يحملون الروح الثورية، ويتأججون من داخلهم، فمن حقهم أن يقولوا: لا، دون أن يدخلوا في تخريب أن يستغلوا من الآخرين..

وعلى عدم التغاضي عن الرواية بأنها نشرت من قبل مؤسسة من مؤسسات الدولة ووزارة تطبع طبعة شعبية ٦٩٠ صفحة بأربعة جنيهاً . ولو كان المؤلف نشرها على نفقته أو على نفقة دار نشر خاصة فلها من الأمر وكان يمكننا أن نسكت ويحكم في ذلك القارئ..

وقال : كنت أتمنى ألا أتحدث عن هذه الأشياء حتى لا أجعلها تشتهر فكم كنت أتمنى ألا يقف المسلمون من رواية سلمان رشدي ذلك الموقف الذي شهرها في الآفاق. ثم قال : لا يجوز لوزارة تحترم نفسها وتعمل من اجل الشعب أن تنشر أشياء ضد قيم الشعب وعقائد الشعب ومقدساته ومن هنا كانت غضبة كل المثقفين المسلمين إلا طائفة معينة للأسف إما لأنها جهلت دينها وتراثها أن باعت نفسها لما تنتفع به من وراء هذه الوزارة وإني اعجب كل العجب لبعض اللجان التي تشكلها الوزارة تدافع عن هذه الرواية الساقطة في مضمونها وأساليبها.

## السمة العامة في الرواية

وعاد إلى الرواية فذكر أنّ : الشرب والخمر من أول الرواية حتى آخرها.. فحين تزوج الرجل العراقي بفتاته الجزائرية احتفلوا بشرب الكونياك .. هذه هي السمة العامة في الرواية: ليس منها خشية الله ولا توقير له ولا اعتبارا لحسابه ولا ليوم الجزاء ولا الجنة والنار بل هي تسخر من هذا كله.. واستشهد ببعض العبارات من الرواية ، منها مثلاً :

ما قاله الرجل الذي قال للمرأة العاهرة التي كان يصف جسدها وصفا مكشوفاً إنّ الذي يقف بيني وبينك هو أنفك هذا ، قالت له ماذا أفعل هذا خلقة ربي قال لها ربك إذن فنان فاشل .

أي أنّ ربك لا يحسن التصوير !! ورد القرضايوي عليهم : إن الله تعالى يقول هو الذي صوركم فأحسن صوركم .. خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك .. لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم.

وتابع : لقد قالت اللجنة التي شكلها وزير الثقافة انه قال ذلك في مقام الدعابة والمزاح ورد يا عجباً هل هنا مقام دعابة ومزاح؟! الحديث عن الله جل جلاله يدخل فيه المزاح؟! يقول تعالى: ولئن سألتهم ليقولن: إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . وهذا في أمثال هؤلاء..

وأضاف مثلاً آخر مما ورد في الرواية : انه يتحدث في روايته قائلاً:

وهؤلاء الناس يهيمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين إلهة البدو وتعاليم القرآن . . خراء .

هكذا يذكر الكلمة خراء !! وأنا أقولها مضطراً . وتتردد كلمة إلهة كثيراً في كلامه فهو لا يؤمن بالله واحد بل إلهة .

## الأزهر يفصل في الموضوع

وقال د. القرضايوي: لقد فصل في الأمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر واصدر قراره وهو الجهة العليا المتخصصة في هذا الأمر بحكم

قانون تأسيسه وبحكم فتوى مجلس الدولة التي صدرت ١٩٩٤م وجعلت من شأن الأزهر النظر في المؤلفات والمصنفات وإعطاء حق الترخيص أن رفضه لها لأن كل ما يتعلق بالشأن الإسلامي هو من اختصاص الأزهر فقد اصدر الأزهر أول أمس بيانه الذي أعلنه شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي بوصفه رئيساً لمجمع البحوث قال: انه قد كلف اثنين من أعضائه المتخصصين بكتابة تقريرين عن هذه الرواية وعرض هذان التقريران على المجمع في جلسة استثنائية ثم قرر إصدار هذا البيان:

أولاً: أن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأي الأزهر الشريف أن مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة. ولا يخفي على وزارة الثقافة مسؤولية أن يؤخذ رأي الأزهر في هذا.

ثانياً: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسول والقرآن والقيم الدينية ومن ذلك أنها تهزأ بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل صفحة ١٢٩. وأنه نسي بعض مخلوقاته في الأهواز من تراكم مشاغله التي لا تعد في بلاد العرب وغيرها صفحة ٢٥٧ وأنه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماوات ليدخل في خلود ذاته لذاته صفحة ٤٢٦ كما يفترى على الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية وخليلة ومتعة وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها صفحة ٤٣٦-٤٣٧ وأنه حرق في آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه. كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج على الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والأخلاق والتقاليد والأزمة الموصلة والجنة والجحيم الخرافيين !! وأولي الأمر والوالدين والزواج المبارك في الشرع.. صفحة ٣٤٧.

ثالثاً: أن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فاضحاً وذلك بالدعوة للجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ في الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفاظاً على الحياء العام الذي انتهكته الرواية.

رابعاً: أن الرواية لم تكثف بذلك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفهم بأقبح الأوصاف مما يعف المقام عن ذكره.

خامساً: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية وليمة الأعشاب لمؤلفها حيدر حيدر وهو خروج على ما هو معلوم بالدين بالضرورة، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة والقيم القومية ونشر الفتن وزعزعة تماسك وحدة الأمة التي هي الركيزة الأساسية لبناء الدولة ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأي أهل الاختصاص المسؤولية الكاملة لهذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً وذلك على النحو الموضح بالتقريرين المقدمين من عضوي مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

### داخل الخطبة

بعد انتهاء الخطبة اتصلنا بفضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي وسألناه عن مدي دخول هذا العمل الروائي في باب الكفر فأجاب:

إن بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يدل على أن هذا من الكفر لأنه خروج على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدسات الدينية والشرائع السماوية، وهذا واضح لكل من قرأ الرواية لما فيه من ازدراء واستخفاف بالالوهية والقرآن والرسول والقيم الدينية كلها في مواضع شتى.. وأضاف:

ونحن نقول: إن هذا العمل كفر بغض النظر عن الأشخاص، فمن قاله واعياً متعمداً ذاكراً فهو كافر، ورضي به وهو يعلم هذا فهو كافر ومن كان يجهل بما فيه ثم أعلم بمضمونه ورضيه فهو كافر.. هذا هو الحكم الشرعي.. أما الحكم على الأشخاص فلا ندخل فيه، فهو يحتاج إلى تحقيق وقضاء.

## هوامش ملف الوليمة ..

\*\*\*

### هامش حول الهوامش ..

يمكن للقارئ قراءة هذه الهوامش بالطريقة العادية ملحقة بمقالات الوليمة، كما يمكنه قراءتها كفصل مستقل، حرصت أن أضمنه إشارات موجزة تجمع من أطراف القضية الحد الأدنى الضروري لاستيعابها. إننى لم أقصد بها أن تكون سردا لما حدث، لكننى قصدت فيما قصدت أن تكون عوناً للباحثين فى توجيههم إلى الأوكار التى يجب أن يتعقبوا أفكار التنويريين فيها. كما قصدت أيضا، أن أقدم إشارات خاطفة، إلى طرق الخداع التى ينتهجها التنويريون لخداع الأمة والتغريب بالمواطن العادى الطيب الذى يحمل احتراماً بالغاً للكلمة المطبوعة، ولا يتصور أن الكثيرين ممن يتصدرون الساحة الثقافية، هم فى الحقيقة أكذب من مسيلمة.

إن الأمر يحتاج إلى دراسة أشمل بكثير لا يتسع لها المجال الآن، دراسة قد يكون عنوانها: " قصة صعود وسقوط النخبة الثقافية المنحرفة"، وهى دراسة لا ينبغي لها أن تقتصر على أكثر من ١٥٠٠ مقال نشرت حول أزمة الوليمة، بل يجب أن تغوص فى عمق التاريخ كى تتعقب جذورها المريضة. جذورها الأبعد بكثير جدا من رواية أو مؤلف، بل أبعد بكثير جدا من وزارة مخترقة أو حكومة غافلة، أبعد من الدولة .. والعصر .. لأنها تنتمى إلى الأمة فى صراعها الأبدى للحفاظ على دينها وهويتها .. الصراع الذى يمكن إيجازه فى كلمات قليلة: " إما إيمان وإما كفر" ..

نعم لم تكن الوليمة إلا القشة التى قصمت ظهر .. البعير .. وحيوانات أخرى ..!!

نعم ..

قشة ..

مجرد قشة ..

\*\*\*

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس المستشار السابق بهيئة اليونسكو: " إننى لأرثى بل أتحسر كثيرا على عشرات الكتاب وأدعياء الثقافة الذين دافعوا عن هذه الرواية الوضيعة وهاجموا ناقدها بلا منطق ولا رحمة، وبذلك كشفوا عن حقيقة موقفهم فى مواجهة جماهير الأمة فعزلوا أنفسهم عن اختيار أو تهوور غبى أو غواية شديدة، الله وحده يعلم بما فى نفوسهم !.

ثم يستطرد مستعيرا من الدكتور محمد على العريان وصفه لمثل تلك النخبة المثقفة: "يسرون فى الحياة بإرادات زائفة ولديهم مناعة مذهلة ضد إدراك البديهيّات" ..

ثم يستعير من العقاد وصفه لهذا النمط من بلطجية السياسة والثقافة بقوله: "إنهم كالمخاط إن أرحته تفرزت وإن تركته تفرزت فهو مقرر على الحالين" ..

ويواصل الأستاذ محمد يوسف عدس قائلا: " هذا ما فجر ثورة الدكتور محمد عباس، وهو انفعال تلقائى وليس "افتعال انفعال" ، ربما كانت النبوة حادة والعبارات ملتبهة بنار الغضب الذى يتأجج فى صدره، ولكن يبرره أن مقاله حول هذه القضية كان ذروة انفعال طال أمده وسكن فى صدره على امتداد خمسين مقال سابق نشرتها الشعب تحت عنوان: " الوعى ينزف من ثقب الذكرة" يدافع فيها عن هوية الأمة ومقدساتها التاريخية والثقافية ويكشف عن زيف الأوضاع الثقافية وانحراف النخب المثقفة" ..

\*\*\*

إحساس النخبة المثقفة بفداحة الخسارة التى تعرضوا لها تدفعهم إلى التخبط فى كل اتجاه، وهو تخبط يدفع بهم إلى مزيد من الفضيحة والحصار، ويشاء الله أن يسلطهم على أنفسهم، فيفضحون بعضهم البعض، ليكشفوا ولو بصورة غير مباشرة جذور الخيانة والخداع.

فى هذا الصدد يأتى ما نشرته مجلة أخبار الأدب، مجلة التنويريين المصريين فى العدد ٣٧٣ الصادر فى ٢٠٠٠/٩/٣ .. حيث نشرت المجلة مقالا بعنوان: "المثقفون فقدوا مصداقيتهم" للدكتور على حرب .. وهو لا ينتقدهم كى يردهم عن باطلهم بل ليدفعهم إلى المزيد منه .. إنه يدين عمليات الخداع التى يقومون بها .. خداعهم للأمة .. ويطالبهم بمصارحة الأمة ومواجهة الناس .. أن يعترفوا صراحة وأن يجاهاوا بالفحشاء قائلين نعم .. حيدر حيدر يسب الله والقرآن والرسول لكن ذلك يعجبنا .. يقول بالنص -فض فوه- : " لنعد إلى رواية "الوليمة" حيث نجد المثال البارز الفاضح فى مواقف الذين حاولوا الدفاع عن الرواية بالسعى إلى

١ - يشير إلى التعبير الذى استخدمه محمد حسين هيكل فى مقاله عن الوليمة، والى نشرها فى مجلة الكتب وجهات نظر.



حصر نقدها فى أهل الاختصاص..(..) لقد فكروا وتصرفوا بعقلية مدرسية ونخبوية ضيقة ومحصورة، لكى يقولوا أن الرواية تعرض آراء مختلفة ومتناقضة على لسان الشخصيات المتعددة المنازع والمذاهب والمواقف، هذا فى حين أن للرواية منزعها وطابعها الغالب، من حيث المرجعية الدلالية، إذ هى لا تدافع عن المقدسات الدينية، بالعكس، إنها تخضعها للنقد الساخر اللاذع كما عبر بحرية وجراً حيدر حيدر. وهذا هو موقفه فى الأساس. أما أن نقول أن الرواية تدافع عن الإسلام وأن نقول بأن تقييمها من حق أهل الاختصاص، فإننا بذلك نقع فى السذاجة، ونمارس لعبة الخداع، وربما الاستغناء، سواء من حيث علاقتنا بأنفسنا أو بالمجتمع أو بالناس."

إن على حرب إذن يدفع النخبة المثقفة المنحرفة إلى مازق جديد، فبدلاً من أن يقرهم على مبدئهم الذى يسيرون عليه، وهو للغرابة أشبه بالثقية، حيث يخفون ما فى صدورهم بطريقة إذا بليت فاستتروا، يدفعهم على حرب إلى طريقة: إذا بليت فافتخروا.. وجاهروا بالفحشاء!!.. لينطبق عليهم قول على عزت بيجوفيتش: يخجلون مما يجب أن يفخروا به ويفخرون بما يجب أن يخجلوا منه.

ولكى لا يتصور القارئ أننا نحمل النص أكثر مما يحتمل فإننا نحيله إلى جزء آخر من نفس المقال إذ ينتقد ردود فعل نصر حامد أبو زيد بعد أن يعلن اتفاقه مع خطئه الفكرى، يقول فض فوه: " هو ليس فقيها يختلف مع زملائه على الاجتهاد فى تفسير النص. وإنما هو صاحب مشروع نقدي للخطاب الدينى، لأنه يتعامل مع هذا الخطاب لا كما يقدم نفسه، بل يخضعه للتحليل التاريخي والفحص العقلاني، محاولاً بذلك هتك الأستار الغيبية والحجب القدسية. ومع ذلك نرى صديقنا الدكتور نصر يحاول الهروب من المشكلة عند المجابهة، لكى يتصرف كفقيه معمم أو لكى يقدم الشهادة على حسن إسلامه وسلامة إيمانه."

يا إلهى..

هل رأيت ما قراء إلى أى مستنقع بلغ المدى بهم..

وإننى هنا أنبه القارئ إلى منهجهم المعروف لدينا، ولم يزد "على حرب" إلا أن اعترف به، هذا المنهج يقبع فى الفقرة الأخيرة التى أوردتها لعل حرب. إنها كفر بواح يتسريل بالغموض المتعمد، إنه يضع مصطلح "الخطاب الدينى" على سبيل المثال بدلاً من القرآن والحديث وكتب السنة والفقه، فإذا ما شرحنا ذلك وفسرناه يولول التنويريون ويلطمون خدودهم صارخين أننا اجتزأنا النص الذى لم نفهمه.

يواصل على حرب إدانته للمثقفين فى دفاعهم عن مارسيل خليفة، معترضاً عل أن همهم الأساسى كان: " أن يبرهنوا للعموم أن مارسيل لم يكن فيما لحنه وغناه مسيئاً للإسلام والقرآن " ..

فهل لاحظت أيها القارئ.. إن التنوير والإبداع أن يدافعوا عن مارسيل خليفة بالرغم من إساءته للإسلام والقرآن.. وتلك هي مبلغ شجاعتهم.  
ومرة أخرى .. يا إلهي..

هل تريدون المزيد..

المقالة كلها تسير في هذا الاتجاه.. المجاهرة بالهجوم على الإسلام وعدم خداع الناس.. لكنها تنتهي بدفاع حميم.. أو على الأحرى محموم .. عن .. سعد الدين إبراهيم.. وهجوماً على المثقفين الذين هاجموه..

ألم أقل لكم يا قراء..

ألم أنبئكم..

إنه الكفر والعهر والتطبيع..

\*\*\*

فى نفس هذه الآونة.. والكتاب تحت الطبع.. وليس لدى فرصة للمزيد من المتابعة.. يشن الكاتب الصحفي إبراهيم عيسى<sup>١</sup> هجوماً شديداً على الصحيفة التي تصدرها وزارة الثقافة والتي يرأس تحريرها صلاح عيسى.. لأن صلاح عيسى وصحيفته { ربما استجابة للنصيحة على حرب } قد أسفروا عن وجههم الحقيقي من ناحية التطبيع مع إسرائيل..

صلاح عيسى.. يؤيد التطبيع..

إنا لله وإنا إليه راجعون..!!

كل هذه التقية قبل أن يسفروا عن وجههم الحقيقي..!!

\*\*\*

لا أملك إلا أن أشير إلى مقال يرد في نهاية هذه الهوامش بعنوان خيانة المثقفين.. الذين قررت المخابرات الأمريكية منذ نصف قرن أن يكونوا سلاحها السرى لغزو العالم والسيطرة عليه. وأن أذكر أيضاً، بالهالة التي حاول معظم الشيوعيين المصريين أن يحيطوا أنفسهم بها، الهالة التي تدعى النزاهة والشرف، وذلك قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، أما بعد أن انهار، وفتحت المخابرات الروسية

---

١ - إبراهيم عيسى مصنف من الكتاب اليساريين ولا أظنه كذلك، كتب مقالا نشرته صحف عديدة عن أزمة الوليمة، وكان من أوائل من أدانوا حملة المثقفين المسعورة ودفاعهم الأحق عما سموه إبداعا، كان مقالا عميقا منصفا وخفيف الظل أيضاً، بل إن جملة من جملة راحت بين الناس مثلاً رغم فجاعتها، إذ أنه في خضم تحذيره للمثقفين من إدانة الأمة لهم صارحهم بأن أى واحد منهم لو نزل إلى الشارع بهذا النوع من الكتابات الهابطة ليقدموا إلى رجل الشارع العادى كنموذج للإبداع فإنه سيصرخ فيهم على الفور: " إبداع إيه يا روح أملك "!!..

أضابيرها، لتعلن على العالم أسماء الذين كانوا يحصلون على مصروفات سرية منها، لتذكر منهم السياسى المصرى الشيوعى الشهير: (ر.س)، التنويرى، المثقف، عدو الظلاميين والمتأسلمين، ولتنشر الأهرام ذلك مفجرة الفضيحة، ليكفوا بعد ذلك عن التباهى بالنزاهة والشرف، ولينتقلوا على الفور، من المركب الروسى إلى المركب الأمريكى، وقد يبدو للناس أن هناك تناقضا، وذلك غير صحيح، فالعداء للإسلام واحد. وحتى بعد أن أثبت الكاتب المتميز جمال سلطان؛ أن مصطلح: "التأسلم" تم صكه فى المخابرات الأمريكية، فإنهم لم يكفوا عن استعماله، ليس لأن برقع الحياء كان قد سقط فقط. بل لأن المخابرات الأمريكية أغنى بكثير من الروسية!!..

ترى.. متى يأتى اليوم الذى تفتح فيه كل أجهزة المخابرات أضابيرها ليسقط ادعاء الثقافة والتزوير .. كالذباب.. والصراصير!!..

الأمر ليس أزمة عابرة، بل سيثبت التاريخ أن أزمة الولاية كانت بالنسبة لنخبة المثقفين المنحرفة كحرب السويس بالنسبة للاستعمار القديم، نهاية عصر، وبداية عصر آخر، ولا ريب عندي، أن هذا العصر سيكون انتصارا للثقافة الإسلامية، ثقافة العقل الحقيقى، لا العقول المخمورة، ثقافة النور الباهر المستمد من القيم لا ثقافة العهر والتحلل والاحلال. ثقافة تبنى الأمة لصالح أبنائها لا ثقافة تسلمها لأعدائها، ثقافة تتفاعل الأمة معها وتحتضنها لا ثقافة تنعزل عنها الأمة وتحاصرها وتنضوها عنها كما يطرد الخبث الحديد وكما يلفظ الجسد الصديد..

و.. إلى الهوامش..

=====

١- محاولة وزارة الثقافة التبرؤ من رواية الولاية: فى البداية حاولت وزارة الثقافة التنصل من الأمر كله، وقد أوردت أخبار الأدب: العدد ٣٥٦ ص ٦ ذلك بالتفصيل فى مقال: وائل عبد الفتاح عن تصريح وزير الثقافة المنشور فى الأهرام فى ٣٠/٤/٢٠٠٠م وهو أن الهدف من اللجنة العلمية التى شكلها: "التحقيق فى ظهور طبعة لبنانية من رواية وليمة لأعشاب البحر للسورى حيدر حيدر منسوبة لوزارة الثقافة".. ويستطرد الكاتب أنه يبدو أن الوزير وجدها "واسعة" غير أقواله بعد ذلك.

نفس الخبر نشرته بتفصيل أكثر صحيفة أفاق عربية فى عدد ٤ مايو ص ١١ تحت عنوان وزارة الثقافة تزعم أن جهة مجهولة نشرت الرواية المجهولة ونسبتها إليها.

كان التخبط هائلا وشمل الجميع، فرئيس الوزراء على سبيل المثال صرح  
 است أدري كيف!- أنه استعان بخبير أجنبي لمواجهة الأزمة كما نشرت  
 صحيفة الوفد، وصرح الدكتور أحمد فتحى سرور بأنه طلب تقريراً عاجلاً  
 لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة ومحاكمة المؤلف طبقاً للقانون الدولى (أخبار  
 الأدب ١٤ مايو) كانت الأمة تغلى بالغضب، وكان قلبها متمثلاً فى طلبة جامعة  
 الأزهر حيث تظاهر ٢٥ ألف طالب ، وكانت الدولة مترددة حتى حسمت أمرها  
 بإطلاق الرصاص على قلب الأمة. على طلبة جامعة الأزهر. وأصبح من  
 المستحيل مواصلة استطلاع الراى تحت التهديد بإطلاق الرصاص مرة أخرى،  
 وبلغ النفاق ببعض التنويريين ومدعى الإبداع، الذين أجازوا الاجترار على الله،  
 أن وجهوا اللوم لصحيفة الشعب ولحزب العمل ولشخصى الضعيف، فنحن الذين  
 حرصنا ونحن الذين أخرجنا الطلبة فتسببنا فيما حدث لهم، أكثر من مائة جريح  
 منهم خمسة فقت عيونهم، وجهوا اللوم لنا، ولم يجرؤ منهم أحد على توجيه  
 اللوم إلى المعالجة الأمنية والسياسية الخاطئة، لا تعقيب على الأمن وكأنه القدر،  
 بل أكثر من القدر، لأننا فى القدر نسال الله اللطف فيه، هم لم يسألوا أجهزة  
 الأمن اللطف، وهذه الواقعة وحدها كافية لفضحهم تماماً ونهائياً أمام الأمة وأمام  
 التاريخ، لكن هذه الفضيحة لا تنفجر، ولا تأتى بالتأثير المتوقع، بسبب تهديد  
 جاثم مستمر بإمكانية إطلاق الرصاص فى أى وقت، وعلى أى أحد، أحد رؤساء  
 التحرير اتصل بى حزينا ليقول: لماذا لم تتعلموا الدرس الذى تعلمته: ففى هذا  
 البلد يمكن أن يحدث لأى واحد أى شئ فى أى وقت، أحد كبار السياسيين هاتفتنى  
 ليقول أن مشكلتى، ومشكلة صحيفة الشعب، هى أننا صدقنا ما يقال، وأننا أخذنا  
 أمور الدين والوطن والسياسة والمجتمع، بينما كل ما يحدث عبث فى عبث، ولا  
 أحد غيرنا يأخذ الأمور على محمل الجد.

بعد ما حدث لطلبة جامعة الأزهر خفتت أصوات معظم الغاضبين لدينهم،  
 وارتفعت أصوات الحذريين، وأصبح الكذب مجانياً، خاصة عندما أقدمت  
 السلطة على عقاب صحيفة الشعب التى دافعت عن المقدسات ، وأصبح الاجترار  
 على الذات الإلهية إبداعاً وتقدماً واستنارة، وفى نفس الوقت أصبحت إدانة وزير  
 ثقافة النظام الباقى فى مكانه منذ أربعة عشر عاماً رغم كل ما أثير حوله إرهاباً  
 وظلامية وتخلفاً، ووقف الوزير الذى قلت تناقضات تصريحاته بعد أن اطمأن  
 إلى تدعيم الدولة له ليصرح أن مصر دولة علمانية، وارتفعت أصوات تنادى  
 بإلغاء المادة الثانية فى الدستور التى تنص على إسلامية مصر، ونشرت

صحيفة الحياة اللندنية مقالا لكاتب ظن أنه يفحم الإسلاميين بقوله أنه إذا كان علينا أن نحترم التراث فليس علينا أن نحترم التراث الإسلامى فقط، بل علينا أن نعطي اهتماما مساويا لمصر المسيحية والفرعونية، كان الإسلام بالنسبة للمسكين تراثا، مجرد تراث، لم يكن ديننا ولا مطلقا من المطلقات، وبدا أن هؤلاء الناس وأقرانهم فى مصر، ينظرون إلى الإسلام تماما كما ينظر له المتعصبون من المستشرقين، فالقرآن من تأليف محمد - صلى الله عليه وسلم - أما هو نفسه فكذاب أستغفر الله العظيم - وأن أولئك التتويريين قد ابتلوا بمجموعة من المتخلفين أمثالنا، وما القابضون على الجمر سوى حزب متخلف لا يستحق من الاحترام ما يستحقه حزب كحزب الأمة ، بل ولا الله نفسه يستحق من الأدب فى الحديث معه ما يستحقه الشيخ الصباحى، كان الله فى عقولهم المريضة أسطورة قضت عليها الاستنارة وبقي المتخلفون أمثالنا يؤمنون به، ولعل المؤمنين به يشفون من تخلفهم ذات يوم، وإنهم يحتملون تخلفنا -وجودنا ذاته - على مضض، فنحن ضيف ثقيل عليه ألا يضاعف من ثقله بأن يتكلم، نظر كلاب جهنم إلى الدين كما لو كان مرضا كلفهم الشيطان بالقضاء عليه، وبدا لهم أنهم كلما أوشكوا على إنجاز مهمة الشيطان واجهناهم نحن لنصيب الأمة بنكسة جديدة.

بلغت قدرة بعضهم على الكذب أن راح يدعى أن رواية حيدر الكافرة رواية إيمانية..

وانفجر الألم بصحيفة آفاق عربية فنشرت بمانشيت كبير أنها لا تستبعد أن ينجح التتويريون فى استبدال المادة الثانية فى الدستور لكى يصبح حيدر حيدر هو المصدر الرئيسى للتشريع!!

٢- فضيحة اللجنة: اللجنة التى شكلها وزير الثقافة من كبار المتعاملين مع وزارته: الدكتور عبد القادر القط وصلاح فضل وكامل زهيرى وأحمد هيكلم ومصطفى مندور. اعتذر الوقور الفاضل الدكتور أحمد هيكلم كما قالوا لكنه أدان الرواية فى تصريحات صحفية، ولقد كان تقرير اللجنة مأساة ليس على مستوى الدين فقط بل على مستوى النقد الأدبى ذاته. راجع الكتاب القيم الذى أصدره الدكتور جابر قميحة بعنوان: وليمة لأعشاب البحر فى ميزان الإسلام والعقل والفن دار الاعتصام. الكتاب لا غنى عن قراءته. لكننا فى إلحاح سريعة نتعرض لما ارتكبتة اللجنة من خطأ فادح، لن نقول فى حق الله أو الأمة أو الوطن، بل فى حق نفسها.

حاولت اللجنة الدفاع عن وزارة الثقافة فقالت أن المعترضين على الرواية لم يفهموا النص وأن هناك نقطة بين القرآن والخراء وأننى تجاهلتها بسوء نية- لعل القارئ يلاحظ أننى وضعت نقطتين لا نقطة واحدة. كان تفسير اللجنة مضحكا. فعند وضع النقطة يكون الوضع أسوأ، إذ تعود الصفة ليس إلى القرآن فقط بل إلى آلهة البدو أيضا. أما الاحتمال الذى تقول به اللجنة أن الخراء يعود على الحكام، وهو تفسير فاسد، إلا أنه يعود مرة أخرى فيفضح اللجنة، إذ أنه حتى لو صح ما يافكون، لكان وصف أولئك الحكام بالخراء بسبب أنهم يحكموننا بتعاليم آلهة البدو والقرآن!! ثم أن اللجنة قد كذبت عندما أحصت ثلاثة مواقع فقط فى الرواية للاجترء على المقدسات، فالدكتور العوا أحصى ٦٥ موقعا، والدكتور قميحة أحصى ٢٠٠ موقعا، أما أنا فقد توقفت عن العد بعد رقم ٣٠٠ موقع، بعض هذه المواقع يشتمل على صفحات كاملة.

إننى هنا ألفت نظر القارئ إلى سمة رئيسية للعلمانيين، ألا وهى الكذب، يستوى فى ذلك علمانيو الخارج أو الداخل، إن القيم عنهم نسبية، ولا قيمة مجردة للصدق فى حد ذاته، وهم يصدقون إذا كان ذلك فى صالحهم ويكذبون بنفس السهولة إذا كان الكذب يفيدهم. إن ازدواجية المعايير ليست انحرافا أخلاقيا عارضا بل هى سمة أخلاقية دائمة. ولو أننا أدركنا ذلك منذ البداية لوفرنا على أنفسنا كثيرا من العناء فى حوارهم. وإذا أضفنا إلى ذلك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم أن المؤمن قد يقتل وقد يسرق وقد يزنى لكنه لا يكذب لاستطعنا تكوين منهمج متكامل فى التعامل معهم.

٣- أخلاق التنويريين وآداب الحوار: أعادت صحف أخبار الأدب والقاهرة والأهالى نشر مقال لكاتب سورى نشره فى صحيفة القدس العربى يهاجمنى فيه بالفاظ بالغة البذاءة والسوقية يرد بعضها فى الجدول المرفق: هامش ٤٦.

٤- دليل الإرهاب: اعتبر رواد التنوير هذه الجملة دليلا دامغا على الإرهاب، ووصل الأمر بأحدهم كما ورد فى أخبار الأدب: ٣٥٧ ص ٤ : مقال ياسر عبد الحافظ: أن اعتبر أن بداية الإرهاب تعود إلى عام ٦٤ فى عهد عبد الناصر حين أمر بقطع الإرسال فى التليفزيون فى مواقيت الصلاة لإذاعة الأذان. ٥- دلائل إرهابية أخرى: اعتبر مجرد ذكر أسماء الشهداء: سيد قطب وخالد الإسلامبولى وسعد إدريس حلاوة دليلا لا يدحض على تورطى فى الإرهاب.

٦- اعتبر دعاة التنوير ذلك دعوة لسفك الدم، وكان ردى فى مقال فى صحيفة القدس العربى : لقد أطلقت فعلا- وما زلت وسأظل- حكما بالكفر على الرواية وعلى ناشرها، وربما كان من حق البعض أن يدينوا موقفى لولا أن الأزهر والشيخ يوسف القرضاوى والأمة كلها قد وافقوني فيما ذهبت إليه، بل إن بيان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر قد حكم بأكثر مما حكمت به، فقد حكموا ليس بكفر الرواية ومن ينشرها فقط، بل وكفر من يعلم بما فيها ويعتبره إبداعا. لم تكن دهشتى إذن لأن الآخرين لم تهتز لهم شعرة عندما اتهمتهم أنا بالكفر، بل عندما اتهمهم صفوة علماء الأزهر والأمة.

ثم الفرية الثالثة التى تطلقها على الميليشيات الثقافية فى مصر، الميليشيات الأشبه بجيش أنطوان لحد فى جنوب لبنان، فتجمع خصائصه وانفصاله عن أمته ولها إن شاء الله نهايته، تلك الميليشيات دأبت منذ البداية على اتهامى بالتحريض على القتل، رغم أن ما ورد فى مقالى نسا فى ندائى للسيد رئيس الجمهورية :

"أنت ولى الأمر.. وليس لنا أن نقيم الحد على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا .."  
"إن لم تقم عليهم الحد .. إن لم تدافع عن القرآن فاقننا.. لأننا لا نستطيع أن نواجه الله يوم القيامة وقد اخترنا الحياة بعد هذا الكفر.."

ثم أناشده فى نهاية المقال إن لم يدافع عن القرآن :

"مر رجالك بقتلى.. قتلة غلام أهل الأخدود.."

ولقد كان هذا تحريضا على قتل المدافعين عن القرآن لا المجترئين عليه، ومع ذلك لم يعجب ميليشيات الثقافة فقلبوا الأمر وكذبوا وزوروا..

٧- رغم أننى استغفرت الله بعد ذلك عن تناول الآباء، استغفرت الله ولم أعتذر إلى بشر ربما كانوا غير جديرين بأن أعتذر لهم حتى ولو عن آبائهم كما قلت فى قناة الأوربت وأبى ظبى الفضائيتين، إلا أن رواد التنوير والمبدعين نسوا الاجتراء الفاجر على الله والقرآن الكريم والرسول - صلى الله عليه وسلم وتوقفوا عند هذه الفقرة فقط، وإننى أرجو القارئ أن يراجع الجدول الوارد فى الهامش ٤٦، وأن يقارن بين غضب الله وغضب للشيطان وليدرك نوع الأدب الذى يتمتعون به ويمارسونه، وربما أستمح القارئ عذرا أن أستعير تعبيراً لمجدى سرحان فى صحيفة الوفد (٨/١٢) حين وصف بعض ممارسات الصحف

المصرية بالدعارة الصحفية ، وتعبيرا آخر لصالح منتصر في الأهرام : أنه عندما يراد القضاء على شخص وتلويثه وتشويه سمعته في عيون مواطنيه تتحول عناوين الصحف عنه إلى كلاب وحشية تنهش شرفه وتاريخه ، بل إن سلامة أحمد سلامة الهادئ الوقور نفسه فقد كتب يقول : " .. في كل قضية تثار أو مشكلة تستجد تنطلق بعض الكتابات مغمضة العينين مثل كلاب الصيد المدربة تتشم آثار الفريسة من بعيد ، لتقتنصها ، دون أن تجهد نفسها في البحث عن حقيقة... " ثم على أضيف إلى ذلك تشبيه أستاذ فلسفة في جامعة القاهرة - الدكتور عاطف العراقي - للمتقنين بالصراصير - صحيفة العربى ٥/١٤ ، ولعلى أختتم هذه الباقة المحزنة من الأوصاف بما نشرته وكالات الأنباء ، وأثبتته صحيفة القاهرة في عددها الرابع من أن الوزير اليمنى عبد الله غانم قد صرح بأن: " بعض الصحفيين اليمنيين يشبهون الراقصات وعبيد سوق النخاسة. " ولست أدري لم اختص اليمنيين رغم أن الوباء عميم. هذا هو مستوى الحوار في صحافتنا ، ولم تكن الشعب ولا قضية الولاية طرفا في كل ذلك.

فى برنامج رئيس التحرير الذى أذاعه التلفزيون المصرى يوم ٥/٢٩ / ٢٠٠٠ خسر صلاح عيسى كما لم يخسر من قبل ، لم يكن الأمر يتعلق بوقار ولا بمنطق بين مثقفين بل أسوأ من هذا بكثير ، وقلت لنفسى أنه لولا الهيبة الطاغية للمستشار طارق البشرى والدكتور محمد عمارة لبدر من صلاح ما لا تحمد عقباه ، كان المستشار البشرى يرد على هجوم صلاح عيسى على صحيفة الشعب وعلى بسبب حدة الألفاظ التى استعملتها فى مقالاتى بقوله أن القانون ينظر نظرة خاصة إلى هذا النوع من الانفعال ، فهو رد فعل مباح لإساءة بالغة ، لأنه لو أن أحدا سب أبا أحد أو أمه لبلغ انفعاله مبلغا عظيما يعفيه فى أغلب الأحوال من عواقب رد فعله ، فإذا كان السبب موجها إلى الله سبحانه وتعالى ، الله الذى نضع له رأسنا فى التراب ٣٤ مرة على الأقل كل يوم فى سجودنا ، فمن الطبيعى جدا أن يكون انفعال كل المؤمنين عظيما وغضبهم جامحا إزاء سباب يوجه إلى ربهم الذى يعبدونه .

أنهى حمدى قنديل البرنامج قبل أن يكتمل فقد بدا صلاح غير قادر على تمالك أعصابه.



جلست مع صلاح عيسى مرة واحدة، كنا في رمضان وكان يدخن، التمسيت له المعاذير وقلت لنفسى أننى لا أعرف ظروفه، لكن أحد أصدقائه دخل، كان يدخن هو الآخر، وداعب صلاح وهو يسأله عن سبب عدم صيامه، فإذا به يجيبه أن معه فتوى أن التدخين لا يفطر. ذبحتنى استهانتة فقررت ألا أراه مرة أخرى. ويومها انشروخت الهالة التى كنت قد رسمتها فى وجدانى منذ قرأت مقالته : "ماذا حدث للكاتب ص.ع . ذات شتاء". وهى المقالة التى تلقفها غالى شكرى وهو فى فرنسا فأشعل بها حربا ضد نظام الرئيس السادات وتلقفتها منظمات حقوق الإنسان منددة بما تعرض له صلاح عيسى فى تلك الليلة من تعذيب، ظلت هذه الهالة تحيط به حتى قرأت فى كتاب أسامة عرابى تفسيراً آخر للواقعة فتحطمت الهالة تماماً أو تحولت إلى هالة سوداء، وهو تفسير لا أجزم بصحته ولا أستطيع لأسباب قانونية إعادة نشره، لكن خلاصته أن ما حدث للكاتب ص.ع. ذات ليلة شتاء لم يكن بسبب السياسة ولم تكن الشرطة هى الجانية!!.. كان أمراً مختلفاً تماماً..

٨- حول تقرير الأزهر: سوف يدرك القارئ بعد قراءة تقرير الأزهر أننى تناولت الأمر بحياء كبير، ولم أورد الجمل الفادحة الصارخة فى الكفر أو فى خدش الحياء العام، ويعلم الله أننى ترددت فى نشر تقرير الأزهر كاملاً بسبب ما فيه من استشهادات، لكننى أدركت أن التتوييريين ينالون منا من هذه النقطة، إنهم أشبه بمن يرتكب زنا المحارم، فإذا فكرت الضحية أن تفضح الجريمة انهال عليها هو وأمثاله لوما وتقريعا أن هذا عيب ولا يجوز، وكأنما العيب فضح الجريمة وليس ارتكابها.

٩- استشهدت بهذه الفقرات فى مقال نشرته صحيفة القدس العربى، وهو المقال الوحيد الذى نشرته لى من بين عشرات المقالات التى نشرتها لأدعياء الإبداع. كان موقف عدد كبير من الصحف غريباً، كان الجميع فى مازق، فما تنشره وزارة الثقافة كان فعلاً بالغ الفحش والبذاءة والكفر، وكان لا يمكن نشره، وكنت أوافقهم على ذلك، لكن رد الفعل الطبيعى بعد هذا كان يجب أن يكون الإدانة لهذا الفحش العاهر الكافر وإخراجه على الفور من إطار الإبداع، ذلك لم يحدث، حدث العكس، كانت تلك الصحف تعتذر عن نشر تلك النماذج، وكانت فى نفس الوقت تدافع عنها!!..

١٠- كانت صحيفة الأسبوع أول من تعرض للموضوع، تعرضت له بهدوء ولو أن فى أجهزة وزارة الثقافة من يرى ويحس ويسمع لاستدركوا الأمر ولداروا عورتهم، وكان يمكن للأمر أن ينتهى باعتذارهم واعترافهم بالخطأ، لكن الله شاء للأمور أن تتخذ مجرى آخر كى يفضحهم على الأشهاد. لقد استنكروا علينا حدة أسلوينا، فماذا فعلوا عندما نشرت الأسبوع يوم ٢٨/٢/٢٠٠٠ مقالا صغيرا بقلم حسن نور يعترض فيه على قيام وزارة الثقافة بنشر الرواية، وفى الأسبوع الذى يليه: ٢٠٠٠/٣/٦ واصلت الأسبوع بنشر مقالين: مقال بقلم خيرى شلبى يرد فيه على مقال حسن نور بقوله: "لقد دمج الجريدة بخاتم الصحافة القبرصية الصفرى الفاقدة الهوية ولا بضاعة لها سوى الفضح والتشهير (..) إنه لشيء عجيب حقاً أن يتطوع من بيننا من يقبل أن يكون مخابل قط للقوى الظلامية المتربصة بنا فى كل مكان، وأن يجعل من نفسه مخبرا ومعاوناً ومرشداً كأنه مفتش مباحثهم". ويواصل خيرى شلبى ليتهم حسن نور بالتحريض والتكفير ( الأمر إذن لا يتعلق بهدوء التعبير أو حديثه، بل بمواجهة من يدافع عن دينه أو يعترض على كفرهم مهما كانت الطريقة) ..

فى نفس العدد من الأسبوع علقت الصحيفة على مقال خيرى شلبى بقولها: "لكننا نظن أننا حينما نشرنا المقال كنا نقاوم الفحش.. ولم نقصد إطلاقاً التحريض صراحة وضمناً (..) قراءة الرواية تبرز أنه فحش مجانى لا يؤدى وظيفة فنية بناءية (..) لأن هناك فرقا بين إبلاغ المباحث عن كاتب وإبلاغ المجتمع بحقيقة موجة ضمن تيار جارف تستهدف قيمه ودينه (..) أما وقد كان النشر علينا وفى صحيفة لها انتشارها فى ذلك براءة للكاتب وللصحيفة معا .. لكن بيننا للأسف من يكتب وعينه على الغرب.. وبدلاً من أن ينقل واقعه بدقة يحاول أن يزايد على الغربيين فى فحشهم ورغبتهم فى التحلل من أى دين.."

ولم يتوقف الأمر على هذا.. ففى ١٣/٥/٢٠٠٠ يرد حسن نور على خيرى شلبى مؤكداً فحش الرواية وكفرها مواجهها خيرى شلبى : .. "لم أكن أعرف أن تقديميتهم تعنى التجديف والفحش والسكوت عن الحق" ..

فى نفس العدد نشرت الأسبوع مقالا للكاتب حميد مجاهد يعترض على خيرى شلبى مؤكداً أن كاتب الرواية الملعونة: "يهدم الحائط الأخير الذى يحتوى به المسلمون (..) .. تحول الأدب إلى قلة أدب.. (..) الذين يعتبرون أى كتابة فى الهلس هى عيون الأدب" ثم يتحدث حميد مجاهد بعد ذلك عن كتب منعت من دخول المدارس فى الغرب ومنها كتب لفولتير وشكسبير وألف ليلة وليلة، كما

أنهم حتى اليوم يمنعون على الإنترنت كتباً لبيمان واعترافات جان جاك روسو واللييلة الثانية عشرة لشكسبير وذات الرداء الأحمر وتاجر البندقية.. لم يحدث هذا فى العصور الماضية بل سنة ١٩٩٦.

لمدة شهر ونصف بعد ذلك لم تتدارك وزارة الثقافة الأمر.. وبدأت الشعب تتناول القضية يوم ٢٨/٤/٢٠٠٠، بعد بداية النشر فى الأسبوع بشهرين كاملين.

١- جمال الغيطانى: فى جل المطبوعات التى يستطيع الكتابة فيها، وفى كل السبرامج التليفزيونية والإذاعية والندوات كان جمال الغيطانى يتحدثانى ويسأل لماذا كتبت العناوين الشخصية وأرقام الهواتف الشخصية للمسؤولين عن نشر الرواية الكافرة، وكنت محاصراً ومنوعاً من أن يُنشر لى، ويبدو أنه كان مطمئناً لذلك، لكننى أجبت عندما أُتيحت لى الفرصة أخيراً فى صحيفة القدس العربى، قلت أن الإجابة بسيطة جداً، وهو أن ما يقوله الغيطانى كذب، كنت أعبر عن شك حقيقى فى أن تكون وزارة الثقافة المصرية هى التى نشرت هذا الكفر، وظننت - فعلاً - أن الكتاب مدموس عليها، ورجعت إلى صفحة ٤ فى أى كتاب والتى تحوى معلومات عن الناشر وعنوانه، وكان هيئة قصور الثقافة، ولا أظن أن الموظفين بقيمون بها! كما أننى حتى كتابة المقال لم أكن أعرف المسؤولين عن نشر الرواية الكافرة، الأمر يشبه أننى لو قلت أن جمال الغيطانى قد نشر كذا فى صحيفة أخبار الأدب، وعنوانها كذا وهواتفها كذا، هل يعد ذلك تحريضاً على قتل الغيطانى؟! ففضلاً لعنوانه الشخصى وأرقام هواتفه الشخصية!!

الأهم فى هذه الواقعة، أن الغيطانى لم يعد إلى ترديد فريته بعدها، تماماً كما توقفت التهديدات الموجهة لى بالقتل بعد إبلاغ النيابة.

إن ذلك يكشف منهج أدعياء التنوير والعلمانيين، إنهم يرمونك بالباطل طالما لا تملك وسيلة تواجههم بها، فإذا كشفتهم تركوها فوراً ليرموك بباطل آخر، عامدين طول الوقت، أن يبتعدوا عن مناقشة جوهر أى مشكلة حقيقية، وهكذا دواليك.

الغريب أن الغيطانى كان قد أقام الدنيا وأقدها فى رمضان السابق بسبب تعيين إمام غير صوفى لمسجد مولانا الإمام الحسين، ذلك أن الإمام رفض حضور الاحتفال بمولد سيد الشهداء باعتباره بدعة. أقام الدنيا على أمر أقل ما يقال عنه أنه مشكوك فيه، ودافع عن كفر غير مشكوك فيه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قبل هذه الواقعة كان للغيطناني في قلبي مكان، كان قد شكرني بالهاتف عندما ذكرت اسمه في مقالاتي: "من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك" والتي طبعت بعد ذلك في كتاب يحمل نفس الاسم، لم ألتق به، كان اللقاء التليفونى الثانى بعد الأول بثمانية أعوام على قناة أبى ظبى الفضائية إثر انفجار أزمة الوليمة، لم تكن حملته في أخبار الأدب قد اتخذت شكلها النهائى بعد، خطر ببالي أننى قد أستطيع رده عن الباطل الذى وقع فيه، فناشدته بما تحويه أعماله الأدبية من أدب أراه رغم آراء بعض النقاد أدب جيد وحقيقى، ناشدته بالتجليات ورسالة في الصبابة والوجد أن يقول كلمة حق، كنا هادئين حتى ذلك، ولكنه أخذ يدافع عن الوليمة، قلت له قل للناس على الهواء ما فيها، لم يجرؤ، أخذت المبادرة ووجهت حديثي للمشاهدين وللمذيعين في الاستديو أن الرواية تقول... وتقول.. صعق المذيعان فأخذا يرددان: أستغفر الله .. أستغفر الله.. كيف يا أستاذ جمال تدافع عن عمل كهذا وكيف تنشره وزارة ثقافتكم.. أخذ الغيطناني لوهلة ثم انطلق يصرخ: أنت إرهابى.. أنت إرهابى.. أنت تريدنا بحارا من دم..

أنهى المذيعان البرنامج، لكننى كنت أسأل نفسى في دهشة: ماذا أغضبه.. إننى أدافع عن القرآن.. لم أسئ إليه.. لم أهاجمه .. بل على العكس جاملته.. فما الذى أغضبه إلى هذا الحد..؟!

وحتى الآن لم أجد للسؤال إجابة.

لكن ما لاحظته أن صحيفته لم تتحر الصدق بغد ذلك وهى تتقل ما جرى..  
١٢- بدلا من التوبة والاعتذار.. رفعوا على قضية بدأت محكمة جنايات جنوب القاهرة نظرها يوم ١٦/٩/٢٠٠٠.

١٣- رئيس تحرير الشعب، والذى كان قد بدأ قبل ذلك بشهور في فضح منشورات وكتب وزارة الثقافة المجترئة على الدين والمقدسات، وفي إحدى هذه المقالات، عندما أضناه الصمت الرسمى على الاجتراء على الدين، أعلن أنه سينزل وحده إلى الشارع يقاثل بيديه العاريتين دفاعا عن الدين.

١٤- مذيعا للبرامج الدينية في التليفزيون المصرى، وفي كتابها الله يا زمرى نشرت ما لا يصدق عقل من الاجتراء على الدين ورفض المسؤولين استمرار أى برنامج ناجح أو استضافة أى شخصية دينية لها شعبية، فالشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوى على سبيل المثال إرهابيان، أما عندما

حاولت تغطية أداء بعض كبار المسؤولين وزوجاتهم لأداء العمرة فقد رفض التليفزيون ذلك، حتى مع السيدة سوزان مبارك، وكانت حجتهم أنه لا داعى لربط كبار المسؤولين بالدين بأى شكل، وأنهم يطبقون تعليمات تأتى من فوق بمحاصرة البرامج الدينية، وتصرخ كاريمان حمزة فى النهاية أنها تنزه وزير الإعلام ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية أن يكونوا مصدر هذه التعليمات، ولكنها فى نفس الوقت تؤكد أن هذه التعليمات التى تأتى " من فوق " حقيقية، لكن هذا الفوق لا يوجد داخل مصر .. إنما خارجها.

فى أحد برامجها كانت تعد موضوعا عن العشرة المبشرين بالجنة، واحتج المسئول الكبير على اقتصارها على شخصيات من عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطلب منها أن تختار جزءا منهم من ذلك العهد وأن تكملهم بالمعاصرين (قائلا : مثل عاطف صدقى.. أم أن رأيك أنه لن يدخل الجنة !؟) .. لم تكن طرفة، ولا مأساة جاهل .. بل كارثة أمة..

١٥- صرح وزير الثقافة أنه لن يستقيل طول عهد الرئيس مبارك، وكتب محمد حسنين هيكل فى مجلة الكتب وجهات نظر عدد يونيو ٢٠٠٠ فبدأ يكشف عملية التزوير وتضليل الأمة، والتى حاولت الميليشيات الثقافية خداع الراى العام العربى بها، فقرر أن الاعتراض لم يكن كما قال التتويريون على تأليف رواية أو صدورها، بل كان بسبب قيام وزارة الثقافة بنشرها: ( وأما صدور طبعة مصرية بقرار مؤسسة دولة وبأموالها فمسألة أخرى ! وهنا نشأت المشكلة ! ) .. وانتقد هيكل نبرة الثقة الزائدة فى تصريحات وزير الثقافة والتى ( توحى لمن يهيمه الأمر بأن وزارة الثقافة لها وضع خاص . وأنها تعتبر نوعا من المحميات السياسية تشبه المحميات الطبيعية ، وهذه المحميات الطبيعية والسياسية مناطق يكون الدخول إليها باحتراس ، والتعامل معها بحذر، والخروج منها برقة !). ثم أضاف هيكل فى إسقاط جري وخطر يضع فيه مبضعه على وجعية الأمة : وكانت الثقافة على مسار التاريخ وتزال فى حاجة إلى رعاية الأمير لكن رعاية الأمير تختلف عن حماية الأمير). ثم تناول فى سخرية راقية الأسلوب الذى لجأ إليه الدفاع عن الوليمة : ( فوزارة الثقافة التى فوجئت بما قيل حول الوليمة ، راحت تتصرف على عجل كما يتصرف رجل وقعت من حوله الجدران أثناء وجوده فى الحمام ، وأخذته المفاجأة ولم يعرف كيف يتصرف . ولجنة من أدباء وكتاب حاولت أن تجد مخرجا، ثم صدرت بيانات لم يتنبه أصحابها إلى أنهم خسروا المعركة قبل الطلقة الأولى ) ..

( وبيّن المقولات إحياء بأن النص الأدبي لا تصح مقاربتة دون إرشاد من ناقد، وذلك معناه أن هؤلاء الذي يرفضون تعرض المشايخ والكهنة للعمل الأدبي والفنى ، تحولوا هم بدورهم إلى مشايخ وكهنة ).. طعن هيكل أيضا فى تسمية المتقنين لأنفسهم بالمتقنين مشككا فى أحقيتهم بذلك، وتناول جميع الحجج والأسانيد التى لجئوا إليها فحطمها تحطيمًا، علق مثلا على احتجاجهم بأن معظم من رفضوا الرواية لم يقرءوها بأن كتاب رأس المال لكارل ماركس لم يقرأه كاملا أكثر من بضع مئات من العلماء والدارسين على امتداد قرن ونصف القرن من السنين ! كما استهجن المقولات التى انفرطت : منها أن أعشاب البحر ، دافعت عن الإسلام أو أن أبطال الرواية وليس المؤلف هم المسئولون عما يرد بها من حوار، منوها أن أنصار سلمان رشدى لجئوا إلى نفس المنطق. وعن بيان الأزهر قال هيكل أنه تجاوز فى صفحة واحدة كل ما نشرته صحيفة الشعب. ما أن نشر هيكل مقالته هذه حتى هبت رياح الخماسين والسموم من المتقنين عليه . فهم لم يغفروا له أنه فضحهم ، وسفه أحلامهم، ولا أنه شهد كحكم لا شك فى جدارته أنهم قد هزموا فى المعركة قبل أن تنطلق الطلقة الأولى. كل ذلك لم يقع على هواهم، لتظهر أبرز وأسوأ صفاتهم: أنهم استنصاليون لا يطبقون رأيا آخر مهما كان مصدره. فلقد بدأ هجومهم الضارى على محمد حسنين هيكل، وقال أحدهم فى أخبار الأدب والقاهرة - أنه لا يختلف عن الشيخ كشك: فالأخير أهدر دم نجيب محفوظ، أما هيكل فقد أهدر دم حيدر حيدر. كما وقع الآخرون فى سقطة غياب مضحكة، إذ أنهم وهم يواجهون هيكل، الذى عقد مقارنة بين رواية حيدر ورواية سلمان رشدى، وبدلا من أن يحاولوا الادعاء بكذب لم يتورعوا عنه أبدا - أن الروائيتين لا تتشابهان، بدلا من ذلك اندفعوا للدفاع عن رواية سلمان رشدى !!..

فى ٢٠/٥/٢٠٠٠ كانت قناة " أبو ظبى الفضائية " تذيع تسجيلًا مع فاروق حسنى وعادل حسين وبعض مدعى التنوير بالإضافة إلى كاتب هذه السطور، كان الوزير آخر المتكلمين، وكانت آخر كلماته بعد أن وجه كثيرا من السباب إلى الظلاميين المتخلفين مثلنا، أنه سيوافق موافقة تامة على رأى الرجل المستتير الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى الرواية دون أى تعقيب منه.

والحقيقة أنه كان معذورا فى ذلك، لأننى أنا نفسى ما كنت أتوقع أن يأتى بيان الأزهر بهذه القوة والوضوح، على العكس، كنت أتصور أن يكون على هوى

الدولة، ولقد انعكس هذا على حديث صحافى نشرته مجلة المجلة اللندنية ونشر يوم ٥/١٦ كنت أجيب على سؤال بهذا الصدد بقولى: هذه القضية بالغة الوضوح، يفهمها رجل الشارع العادى بنفس الدرجة التى يفهمها بها العلماء، إنها قضية لا تنتظر الحكم من خارجها، قضية محكوم فيها فعلا، وهى التى تحكم على من يحكم فيها.

لم نتوقع ولم يتوقع الوزير بيان الأزهر.  
وأذاعت قناة أبى ظبى كلام الوزير وأتبعته على الفور بصورة لبيان الأزهر..

ولم يف الوزير بوعده.. بل راح يهاجم الأزهر...!!  
أما صحافته، خاصة القاهرة وأخبار الأدب، فقد بلغ بها أن اتهمت الأزهر بأنه ينصب من نفسه محكمة من محاكم التفتيش، وأنه لا علاقة له بالأدب ولا حق له أن يحكم فيما هو خارج الدين، بل وشبهت هذه الصحف رئيس جامعة الأزهر بالنازيين.

يلخص مأساوية الوضع كله ما قاله الدكتور أحمد عمر هاشم فى حديث نشرته مجلة المصور الصادرة فى ٢٥/٥/٢٠٠٠، من أنه كرئيس للجنة الدينية فى مجلس الشعب مُنع من إلقاء بيان يدافع فيه عن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - بينما سمح لفاروق حسنى أن يلقى بيانه الذى يدافع فيه عمن يسبون الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم ، وراح الرجل يردد فى ألم: حسبنا الله ونعم الوكيل.

كان الدكتور أحمد عمر هاشم قد ألقى قبل صدور بيان الأزهر بيانا عنيفا فى مجلس الشعب يتهم فيه الرواية بالكفر البواح ويؤكد أنها رواية تستحق الحرق. كان يتكلم بناء على تقرير اللجنة الدينية فى مجلس الشعب.

وانبرت صحافة التنويريين تندد بمحاكم التفتيش الجديدة، لم يخجل دعاة التنوير لا التنوير من ذلك الاستشهاد وكأنما محاكم التفتيش وصمة عار إسلامية، كأنها ظهرت فى العالم الإسلامى، أو أنها اختراع إسلامى، أو استخدمها المسلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغيير دين الشعوب التى خضعت للسلطة الإسلامية، أما الحقيقة التى لا يكاد يذكرها منهم أحد، فهى أن

محاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيرا وفقط في أوروبا الكاثوليكية، ولكن أهم من ذلك أنها ظهرت أولا وأساسا ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم ، ومع ذلك تجد التزويريين لا التزويريين - إذا تحدثوا عن محاكم التفتيش لا يذكرون المسلمين بحرف ، ولا أنها قامت أصلا وأساسا لإبادة المسلمين في أسبانيا والبرتغال وكريت وصقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا..

فى العدد ١٦٥ من مجلة الأهرام العربى كان أحمد عمر هاشم المجرور بهجوم غير كريم من كمال الشاذلى: رجل كل العصور واليد الباطشة فى مجلس الشعب والذي هدده بعدم الدخول إلى مجلس الشعب مرة أخرى ومن إبراهيم سعدة رئيس تحرير أخبار اليوم، كان يقول: أن بياناته عن المظاهرات والرواية منعت من النشر.. وأن ما نشر كان كاذبا.. ويحمل وزير الثقافة المسؤولية عن المظاهرات.. كما صرح لمجلة أكتوبر ٢٨ مايو: بعد أن أقيمت بياني فى مجلس الشعب " ذهبت لأصلى العشاء فى مسجد السيدة نفيسة، وما أن رأى الناس هناك حتى بكوا واستصرخوا للإسلام..

١٦- لم يستجب منهم أحد.

١٧- لم ينشر أن أحدا منهم قد استجاب.

١٨- استجاب العديدون أخص بالذكر منهم الشاعر فاروق جويده وأحمد بهجت ( الأهرام)، ومقالات للدكتور مصطفى محمود، والأستاذ الدكتور جابر قميحة ، والدكتور محمد سليم العوا ( الأسبوع ومجلة الكتب وجهات نظر) ومحمد حسنين هيكل ( مجلة الكتب وجهات نظر) وتهانى إبراهيم ونبيل أباطة ومحمد الزرقانى وآمال عثمان ومحمد عدنان سالم " رئيس اتحاد الناشرين السوريين ووكيل اتحاد الناشرين العرب" ( أخبار اليوم ) ومصطفى بكرى واللواء كمال حافظ وحامد زيدان وفاروق أباطة (الأسبوع ) وإبراهيم الدسوقي أباطة وأحمد أبو الفتوح ومجدى مهنا وجدى سرحان وطلعت المغاوى ومحمد الحيوان ومحمد عبد القدوس وسيد عبد العاطى وسمير محمد غانم وعصام العديدى وعماد الغزالى (الوفد) ومحمد الزرقانى. وأحمد الشيخ ومحمد الشندويلى وعبد العزيز عبد الحليم ومحمد إبراهيم الفيومى وعمرو شتن ( صوت الأزهر) وعادل الأنصارى ومحمد جمال حشمت وعامر شماخ ومحمد رضا والنعمانى ومحمد حسين وعبدالله الطحاوى ( آفاق عربية) وخالد عبد الحميد ( النبأ) وإبراهيم عيسى (أخبار الأدب) وأحمد عبد الحفيظ وسليمان الحكيم(العربى) والدكتور



حلمى محمد القاعود وسيد الفضلى وصلاح الإمام وصبحى عبد السلام  
( الحقيقة ) .

فى الصحف العربية كتب الدكتور محمد على الفرا نائب رئيس جامعة  
الأردن السابق وعضو الجمعية الملكية للتاريخ والكاتب الكبير إبراهيم العجلونى  
والكاتب الكبير ياسر الزعاترة وطه خليفة.

إننى أنبه القارئ أن بعض الكتاب قد كتبوا أكثر من عشرة مقالات حول  
الوليمة، كما أن هذه الأسماء لا تشمل ما نشر فى صحيفة الشعب ولا فى معظم  
الصحف العربية، وأنها مجرد عينة لما نشر عن الموضوع، الأسماء السابقة  
كلها انتصرت لدينها وربها، أما الحيدريين فكانوا ثلاثة أضعاف هذا العدد!!.

١٩- راجع نص بيان الأزهر الذى تجاهلته معظم الصحف القومية.

٢٠- كان موقف شيوخ الأزهر وطلبته رائعا: فقد أصدر ٧٠ عالما أزهريا بيانا  
يطالبون فيه: " بوقف جرائم وزارة الثقافة وتطهيرها ممن أساءوا إلى الدين  
والوطن، كما دعا البيان الرئيس مبارك إلى رفع الحصار عن الدعاة المخلصين.  
وأوضح البيان أن وزارة الثقافة قد دأبت منذ سنوات على إصدار مطبوعات  
استهدفت أخص خصائص الأمة فى العقائد والأخلاق والسيرة النبوية. ندد البيان  
بسيطرة الماركسيين والشيوعيين على مؤسسات الثقافة مؤكدين أن لها رموزها  
من الألوان الأخرى ذات الانتماء إلى الثقافة العربية والإسلامية الراضة لارتداء  
عباءة الآخر والذوبان فى بضاعته. إن تسليم إدارة دفة الثقافة لرموز تغريبية  
أمر غير معقول ولا مقبول، وهو لا يمكن أن يصب فى صالح الوطن. فى  
الدول التى تحترم شعوبها وثقافتها يكون القائمون على الشأن الثقافى من أكثر  
المؤمنين بثقافة أمتهم وحضارتهم، أما فى بعض دولنا العربية والإسلامية فيؤتى  
بأعستى المتغربين ويسلمون تلك المواقع.. أليس فى ذلك ما يدعو إلى كثير من  
الحزن والرتاء بل والاحتجاج أيضا".

طلبة الأزهر مثلوا ضمير أمتهم الإسلامية، لا نريد أن ننكأ الجرح الآن  
خاصة بعد الموقف العظيم الذى اتخذته قيادات الأزهر والذى أسفر عن بيان  
الأزهر بعد ذلك. لكننا فى الوقت نفسه يجب ألا نغبط حق أبائنا الطلبة. لقد  
حاولوا دون جدوى الالتقاء بمسئول فى جامعتهم كى يعبروا عن رفضهم للرواية  
الكافرة. لم يستجب لهم. كانوا معتصمين فى مدنهم الجامعية، فكروا فى التجمع  
كطلبة وطالبات كى يذهبوا فى مظاهرة سلمية إلى مكتب مسئول، ولأنه يوجد

شارع يفصل ما بين مدينة الطلبة ومدينة الطالبات فقد فكروا أن تعبر الطالبات كى يصحين الطلبة، واختاروا أن تبدأ الطالبات كنوع من إيداء نواياهم السلمية وإلحراج أجهزة الأمن، لكن الأخيرة لم تعان من أى حرج، هاجمت الطالبات، ونزل الطلبة من مساكنهم ليدافعوا عن زميلاتهم، وأطلقت الشرطة الرصاص وقنابل الدخان دون حساب. لا يمكن فهم دوافع أداء الشرطة دون الرجوع إلى حادث العربى شحاتة فى بور سعيد، عندما فصل كبار رجال الأمن جميعا، كانوا يدافعون بجنون الرعب من القهر الباطش عن وجودهم. لقد أدركوا منذ زمان طويل أنهم مهما قتلوا من الأمة فلا تثريب عليهم، لكن، إذا حدث أى تجاوز للأمن فالويل لهم. من أجل هذا كانت مواجهتهم قاسية وعنيفة ومتجاوزة كل الحدود.

أرسل الطلبة المحاصرون نداءات استغاثة على الإنترنت، وفى واحد منها كانوا يصرخون ويستصرخون: هل على طلبة الأزهر، أكبر جامعة إسلامية فى العالم، أن يستجدوا بالصليب الأحمر؟!

انتهزت فرصة حديث مباشر كنت مشاركا فيه على قناة الأوربت الفضائية، ونقلت نداءهم إلى العالم.

المنافقون أذعياء التنوير والإبداع الكذبة ادعوا أن حزب العمل حرصهم، وكان الطلبة يردون فى ازدراء؛ ولماذا لم يحركونا فى قضاياهم الخاصة قبل ذلك. وبعد ذلك أغلقت الحكومة حزب العمل وصحيفة الشعب، ولو كان لكلام المنافقين أى ظلال من الصدق لحركوهم بعد أن صدر حكم بالإعدام على الحزب، أو بالأحرى على الشرعية كلها.

٢١- كان الموقف رائعا: كان الخطباء يبكون وهم يلقون خطبة الجمعة. كانت التعليمات مشددة إليهم ألا يتطرقوا للأمر، لكنهم انتصروا لربهم ولقرآنهم ولرسولهم - صلى الله عليه وسلم - وخالفوا الأوامر. فى المدن تم الأمر بسلام. أما فى القرى فإننى أعرف واحدا على الأقل استدعته أجهزة الأمن لتضربه ضربا مبرحا.

٢٢- فى الإسماعيلية فقط قدم المحامون ٣٠٠ بلاغا ضد وزارة الثقافة، وفى القاهرة تم تقديم ١٥٠ بلاغا إلى النائب العام، ثم جرى التعتيم على الأنباء بعد ذلك.

٢٣- كان موقف الوفد جيدا فى عمومهم، أما موقف التجمع والناصرى فقد كان فاجعا.

٢٤- كان مذهلا موقف الصحف فى مصر: فيما عدا مقال فاروق جويده بالأهرام يوم ٥/٧ حاولت الأهرام أن تكون بعيدة عن الأحداث فى الأيام الأولى، بعد ذلك، وكما لو أن أمرا قد صدر من جهة ما (أرجو ألا تكون الخبير الأجنبى) انبرت أقلام للهجوم والتشويه، منها قلم صلاح منتصر. كتب أيضا إبراهيم نافع وإبراهيم سعدة وسمير رجب.

الأخبار وأخبار اليوم كان موقفهما غريبا وغير متوقع، هاجمت وزير الثقافة والوزارة بعنف شديد، وبدأت بعض مقالاتها كما لو كانت منشورة فى الشعب، بل وتطرقت المقالات إلى كشف فساد مالى، وهجوم شديد على الشيوعيين الملاحدة وسيطرتهم على أجهزة الثقافة وطلب بتحتيتهم. بقية الصحف ظهرت سيطرة وزارة الثقافة عليها إما بسيف المعز (المصادرة) أو بذهبه (الإعلانات). وظهرت الحكمة الشيطانية التى دفعت الحكومة للمحافظة على عشرات وربما مئات الصحف الصغيرة التى تدور فى فلكها لا تستطيع أن تعصى لها أمرا، ثم أنها تقوم بالعمليات القذرة التى لا يليق بالصحف الكبرى القيام بها.

بمجهود فردى أحصيت حوالى ٧٠٠ مقالا فى الصحف المصرية خلال شهر واحد. ومثلها تقريبا فى الصحف العربية. وكان ٧٥% تقريبا من هذه المقالات يصب فى اتجاه السلطة التى حددت اتجاهها مع أدعياء التنوير. الأمر قد يبدو محزنا، لكننا من وجهة نظر أخرى نستطيع القول أن نسبة ٢٥% انتصرت لربها ولدينها ولحق فى هذا الخضم من الإرهاب والبطش وتزييف الرعى هى نسبة مرتفعة ومبشرة.

و الأمر يحتاج إلى جهد متخصص لبحث سياسى اجتماعى شامل لما نشرته الصحف فى تلك الفترة.

٢٥- لم تعلق مباحث أمن الدولة على ذلك، بل علق عليه صحافى من صحفى أمن الدولة.. وفى أخبار الأدب!

٢٦- كان معدل الخطابات ورسائل البريد الإلكتروني فوق طاقتى وطاقة صحيفة الشعب ليس على نشره بل على مجرد قراءته كله.

٢٧- كان موقف الصحافة فى العالم العربى غريبا: كانت بعيدة عن سطوة جهاز الأمن، وكانت بعيدة عن سطوة جهاز الثقافة الأشد سوءا من جهاز الأمن، وبالرغم من ذلك لم يختلف شأن معظمها عن شأن معظم الصحف المصرية، كان ذلك محزنا، وكان يدل على عمق الاختراق من ناحية وعلى فقدان التمايز

مع فقدان الهوية من ناحية أخرى. هل بلغت سطوة العولمة أن قولبت الجميع؟ أم أن الأمر لا يعدو ثمارا مرة لتأثير الماركسيين المصريين والشوام وسيطرتهم على معظم الصحف؟ أم لسيطرة أجهزة الأمن على مكاتب هذه الصحف فى القاهرة؟ أم لعملية تبادل منفعة ومصالح أهدرت حق الناس فى أن يعرفوا الحقيقة؟ أم لافتقاد خطير للإيمان؟ أم كل ذلك جميعا.

صحيفة الحياة على سبيل المثال، والتي نشرت عشرات المقالات المؤيدة للفحش والكفر خلف اسمه التكرى: "الإبداع"، والتي تنشر للكتاب الإسرائيليين، نشرت لى مقالا واحدا بعد تلخيصه (والتلخيص فى مثل هذه الأحوال تشويه وانحياز للطرف الآخر) صحيفة القدس العربى كانت أسوأ حالا، صحيفة الزمان اللندنية كانت متوازنة ونشرت ما قلته دون تشويه. مجلة المجلة السعودية والتي تصدر فى لندن كانت استثناء ونشرت ما قلته بأمانة. المذهل حقا أن بعض الصحف السعودية قد نشرت مؤيدة لوزارة الثقافة المصرية (راجع مجلة البيان اللندنية: العدد ١٥٣) والتي كتبت تحليلا جيدا قارنت فيه بين ما يحدث فى بلادنا وما حدث فى فرنسا من مصادرة رواية: "بادية فرنسا" بسبب ما فيها من عبارات ماسة باليهود.

٢٨ - أرسلت العديد من الجاليات المصرية احتجاجا إلى الجهات المختصة، أذكر منها جواتيمالا وماليزيا واليابان وأستراليا، كما فعلت الجالية المصرية فى سويسرا: كان القسم العربى فى إذاعة سويسرا قد أجرى حديثا مطولا معى، وقد تصادف أن أذيع الحديث أثناء وجود الرئيس مبارك فى سويسرا لزيارة أمير عربى فى المستشفى، وأرسل الرئيس وزيرا للالتقاء بالجالية المصرية، الذين قدموا له - كما ذكرت صحيفة الوفد - احتجاجا شديدا على قيام وزارة الثقافة المصرية بنشر أعمال تسمى إلى المقدسات.

٢٩ - راجع خطبة فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى فى الملف.

٣٠ - كان إدوارد الخراط نفسه هو الذى ينبه القارئ فى كتابه إلى المزج بين المقدس والجنس، لكن جمعية المنتفعين بوزارة الثقافة، أدعياء التنوير والإبداع، راحوا يهاجمونى بأشد الألفاظ سوقية وبذاءة، ألفاظ أكثرها تأديبا: يا جاهل، مدعين أن للخزقة رمزا صوفيا، متجاهلين تعليق إدوارد الخراط نفسه، والأهم من ذلك أنهم تجاهلوا بقية القصائد وما فيها من عهر وفجر وكفر لا يمكن الدفاع عنه.

- ٣١- للقارئ البريء: يقصد كاتب هذا الفحش العضو الذكرى.
- ٣٢- هنا بلغ الفحش الداعر حدا خجلت معه من إيراد النص، قصيدة منها كانت تصف تفاصيل فعل فاحش لمواقعة كاملة لأنثى، وبرغم أننى طبيب وهذا جزء من دراستى، فقد عجزت عن فهم الوضع المقصود فى الشعر الداعر، وكنت أخشى أن يكون ثمة رمز لا أفهمه، فاستعنت بزميل غير ملتزم قضى ردحا من الزمان فى أوروبا، وضحك الزميل كثيرا وهو يشرح لى الوضع الداعر.
- ٣٣- وضع جنسى آخر!!
- ٣٤- تذكر هنا أن المانجو ليست للأكل!! بل لدهن الثدي بها .. و..
- ٣٥- هذا هو إقرار الناقد، لكن واحدا من أدياء التنوير أخذ يسبنى ويسب جهلى سبابا فاحشا لأننى لا أفهم رموز الشعر، وفى إطار رده على نقاد ( منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض أستاذ النقد بجامعة عين شمس) قارنوا بين أعمال الروائية وبين أعمال وجيمس جويس وجورج أورويل وباسترنك، فقد ارتكب الصحافى ما لا يمكن تصوره.. ونشرت صحيفة العربى الناصرى له ما كتب.. إذ أنه كتب اسم الكاتب الروسى باسترنك بطريقة بذئية فاحشة تركز على حروفها الأخيرة.. كان هذا هو قدر أدب الإبداع والتزوير..
- الواقعة نفسها لا تهم فى ذاتها، فمن الممكن سماع مثل هذا من أى حوذى فى الطريق، أو من مخمور فى مستنقع، لكن أن يكتبه من ينتمى إلى الصحافة وأن تنشره الصحيفة يدل على عمق الكارثة التى وصلنا إليها وفداحة الانحطاط.
- ٣٦- لعل القارئ الذى استنار الآن بعد مجهود وزارة الثقافة المضنى يدرك ما المقصود بالعضو!..
- ٣٧- المقصود خجل الشباب: ليس من ممارسة الفحشاء.. بل من عدم ممارستها!!..
- ٣٨- هذه الفقرة وردت بنصها فى مقال سابق لى نشر قبل أزمة الولاية بشهور طويلة.. نعم لم تكن الأزمة أزمة الولاية.. بل أزمة النخبة المتسلطة على الأمة..
- ٣٩- من المؤسف أن صلاح عيسى كان واحدا من أكبر الخاسرين فى أزمة الولاية، وبدا أنه قد حسم أمره، ويبدو أن موقفه كان محسوما منذ البداية لكننا لم ندرك ذلك، وما قبله منصب رئيس تحرير صحيفة القاهرة وهى الصحيفة الملاكى لوزير الثقافة سوى دليل على ذلك. لأعداد متوالية خصص صلاح عيسى صفحات كاملة ومانشيتات الصفحة الأولى للهجوم على. استكتب

العديدين، وأطلق على كاتبها يمينا اسمه بلال فضل دبح صفحات وصفحات في الهجوم على. وليس كل ذلك مهما. المهم فيه هو كشف طريقة العلمانيين في الهجوم، كانوا قد حوصروا وضبطوا متلبسين فتركوا القضية الأساسية وحاولوا طول الوقت جرتنا إلى قضايا فرعية. منها مثلا أننا ضد الإبداع دون أن يحددوا ماهية هذا الإبداع، مما دفع المحامي الشهير مرتضى منصور أن يصرخ في برنامج تليفزيونى على قناة الجزيرة: إنهم يشبهون تاجر جنس يعرض شرائط فيديو للأفلام الداعرة والفاحشة لكنها يخفيها في علب للقرآن الكريم!! فإذا ما هاجمه أحد صرخ: إنهم يهاجمون القرآن!!..

لكم هو مرير أن يترك بعض المثقفين منزلتهم العالية لكي يعملوا "بودى جارد" عند بعض المسؤولين!!..!!..

٤٠- كتب بياننا مليئا بالأخطاء الإملائية والنحوية (مما دفع البعض للمطالبة بإعادة تأهيله) يتهمنى في هذا البيان بالإرهاب.

٤١- بدأت المظاهرات فى الأزهر مساء الأحد ٥/٧/٢٠٠٠.. اشترك فيها ٢٥٠٠٠ طالب، وأطلق الأمن الرصاص على الطلاب.. كان القناصة يصطادونهم داخل الحجرات فى المدينة الجامعية.. وكانت رسائل البريد الإلكتروني من الطلاب أقسى على من ذوب الرصاص المنصهر، فكتبت هذا النداء إلى الرئيس ونشرته صحيفة الشعب..

٤٢- شاعر مصرى شهير نشر مقالا هاما فى الأهرام يوم ٥/٧/٢٠٠٠ راجع نص المقال فى كتاب الدكتور جابر قميحة عن الوليمة. انهال الحداثيون رواد التزوير بالهجوم والسباب عليه بعد نشر مقاله.

٤٣- كان الدكتور رفعت السعيد على قناة الجزيرة الفضائية عندما راح يصيح أننى أتهم نصف الصحافيين المصريين بالعمالة لأجهزة المباحث فى الداخل والنصف الآخر بالعمالة للخارج، كان يلوح بالصحيفة وثقا أن المشاهدين لن يستطيعوا قراءتها ومراهننا على ضعف الذاكرة وقصور المتابعة، ولقد أغفل الدكتور -الذى تحميه حصانته من المقاضاة- سطورا فى بداية الفقرة أنسب فيه القول إلى كتاب الصحافى أسامة عرابى، كما أغفل فى النهاية سطورا آخر أقول فيه أننى شخصا لا أصدق هذا الكلام!.

كان الدكتور أيضا يلوح بمقال "أنا مع الإرهاب" مؤكدا أنه اعترف وإقرار منى بذلك، ما لم يذكره من عينته الحكومة عضوا مجلس الشورى أن عنوان المقال كان عنوان قصيدة لنزار قباني، وكان المقال يتحدث عنها: (المقال وارد فى الجزء الأول من هذا الكتاب).

تناول الدكتور أيضا بعضا من روايتى : " بروتوكولات حكماء العرب" وعاملها على أنها مقالات، وراح يندد بما فيها، كان منها على سبيل المثال : "فتنة الوزير الشاذ" و"القسم الأعظم". كنت مندهشا جدا من غضبه، لقد كتبت رواية ولم أحدد فيها أسماء وزعم ذلك أصابه الغم من أجل ذكر وزير شاذ، لكنه لم يغضب من شتائم سافة وجهت مباشرة لله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.

إنه نمط فى القراءة المغلوطة التى لا تسعى إلى حق أو حقيقة بل إلى تناصر قبلى متخلف.

٤٤- كانت هذه الجملة من الجمل التى هاجمنى بسببها بضرارة.

٤٥- لم يدن أحد من ادعاء التتوير والإبداع والحرية بطش أجهزة الأمن.

٤٦- قضية الولاية أصبحت ملك التاريخ الذى سيثبت أنها كانت منعطفًا بالغ الأهمية فى مسار العمل الإسلامى والثقافى، وبرغم أنهم شنوا أشرس وأكذب حملة فى تاريخ الصحافة المصرية إلا أنهم خسروا المعركة. كان صلاح عيسى يندب فى صحيفة القاهرة حظهم قائلا أن الإسلاميين نجحوا فى إقناع الناس أن كل علمانى كافر، وكان الغيطانى يندب حظهم فى صحيفته أخبار الأدب قائلا أننا أقمنا الناس بأن كل مبدع زنديق. ولم يكن هذا صحيحا فى عمومته، كان يعنى فقط أن العلمانية على طريقتهم كفر وبعض الإبداع الذى يؤيدونه وينشرونه هم هو الزندقة، على أى حال كان ذلك اعترافا بأنهم خسروا المعركة.

يعتمد العلمانيون، الذين لا يعترفون بقيم مطلقة على سيطرتهم على وسائل الإعلام، وأنهم يستطيعون إبراز ما يشاءون وإسداد ستائر النسيان على ما يفضحهم ويكشف أخلاقياتهم، وهم بهذه الطريقة ينجحون فى مواصلة خداع الناس، لذلك علينا أن نكشفهم باستمرار.

الجدول التالى يحوى مقتطفات قليلة جدا من السباب الذى وجهوه إلى شخصى الضعيف، كان هذا أدبهم وثقافتهم ومنتهى قدرتهم على الحوار.

وبالرغم من ذلك تجدهم يدعون الاشمتزاز والاشمتناط من أسلوبنا اللفظ وانعدام قدرتنا على الحوار. لقد نجحنا هذه المرة أن نجعلهم بتعبير الأستاذ وجدى غنيم الداعية المعروف يخرجون من جحورهم، فلقد تعودوا دائما تماما مثل بنى إسرائيل أن يجعلوا غيرهم يحارب لهم معاركهم، فهم إما أن يستعدوا السلطة أو يسلطوا غلمانا سفهاء غير معروفين ويظلوا هم فى بروجهم المشيدة كى لا تتال المعارك من قداستهم المزيفة.. فى هذه المعركة أخرجناهم من جحورهم. وضبطناهم مثلبيين، وبرغم أن الغلمان قاموا بالدور الأكبر إلا أن العلاقة كانت شديدة الوضوح هذه المرة.

لقد كان غريبا أن موسوعيا كمحمد حسنين هيكل وصف أسلوبنا بالغلظة، وعاقلا كسلامة أحمد سلامة يصف أسلوبنا بأنه "كالبطة".. لقد عجزا عن الحكم الصحيح الذى يستطيع القارئ العادى أن يصل إليه، والعتبى على منهج وفلسفة تكرر المعايير المزدوجة.

لقد انفجرت المعركة بعد ضغط استمر من الزمان قرنين، لذلك فليس من حقى أن أحجب عن القارئ ولا عن التاريخ ذلك الجدول بما يحويه من فحش وبذاءة، لأنهم سيحاولون التعقيم عليه بعد ذلك تماما، كى يواصلوا خداع الناس.

| الصحيفة     | التاريخ | الكاتب           | كلمات السب والقذف                                                                                                                                                                                                                            |
|-------------|---------|------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أخبار الأدب | ٧ مايو  | جمال الغيطانى    | اتهام كاتب المقال بالتحريض على القتل ونشر عناوين المسؤولين عن النشر (لم يحدث فالذى نشر عنوان هيئة قصور الثقافة)                                                                                                                              |
|             |         | وائل عبد الفتاح. | صحيفة متعطشة لقضايا.. مسرح يلعب عليه بعض الحواة.<br>المقال محتشد بكلمات هستيرية مهووسة- تحريض- اتهام كاذب بأن محمد عباس كتب منذ خمس سنوات مقالا ضد الكاتب ياسر إبراهيم- البحث عن الشهرة- الفشل فى الكتابة- كاتب فاشل.<br>الشعب: حمى الفاشية- |
|             |         | على أبو شادى     | مجموعة فشلت فى أن تحكم بالقوة والسلاح فارادت أن تحكم الأدب.                                                                                                                                                                                  |
|             |         | عبد العزيز موافى | محمد عباس لا هدف له إلا الشهرة<br>نقد رواية قصر العينى بسوء نية-                                                                                                                                                                             |
|             | ١٤ مايو | جمال الغيطانى    | حملة تحريض فاشية- قراءات مغرضة- الهدف: إحداث العنف- وتهديد السلام الاجتماعى- وتحريض                                                                                                                                                          |



|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                   |                                    |         |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------|------------------------------------|---------|
| على على القتل... إلخ نشر أسماء وهواتف ناس محددين بقصد التحريض على قتلهم (ملحوظة: هذا كذب: فلم ننشر في الشعب عناوين ولا هواتف ناس محددين بل عنوان وتليفونات دار النشر المدونة على الرواية)<br>تصيد-تربص-ترويع-يث السموم- ثم مهاجمة اللجنة الدينية في مجلس الشعب                                                                                             |                   |                                    |         |
| شيزوفرنيا عباس- يوهنا بدفاعه عن الأديان- انتهاك السيدة العذراء (هنا يزور بحذف الرد) الساذج الباهت- انحطاط- غرائز.<br>(الهدف العام من النقد هو الإساءة عن طريق الاقتطاع والنية السيئة لدفعنا للدفاع ضد الاجتزاء، فإذا قلنا ذلك قالوا أننا فعلنا نفس الشيء برواية حيدر)                                                                                      | عبد العزيز موافى  |                                    |         |
| المنافق- كاذب- الرذاح- الرقص- هز البطن ركيك- تحريض خبيث- اصطياد رخيص نفاق الرذاح- المعلمة الصفيق وصدئ الروح-                                                                                                                                                                                                                                               | صباحى حديدى       | أخبار الأدب-                       |         |
| فشل فى أن يكون أديبا.. ما ذنبنا نحن- دكتاتورية هتلر وموسيليني.. صراخ- إبلاغ مباشر- إثبات قوة فى الشارع للمعركة الانتخابية- المتأمرين- هناك تتسوق بين صحيفة محمد عباس وبعض عناصر الحكومة- محمد عباس العائد من السعودية على هيئة مليونير يمتلك معامل وأرصدة فى البنوك- هل المطلوب منا أن ندفع ثمن فشل محمد عباس فى أن يكون روائيا- الصراخ الجعير- لعب الصغار | خالد اسماعيل      | أخبار الأدب                        |         |
| حملة غوغائية نائحة نادبة- رزالتهم- ثقل دمائهم- غوغائية- مهبجون- رقابهم الغليظة- أثر من تفكير الشعوذة                                                                                                                                                                                                                                                       | محيى الدين اللباد |                                    |         |
| حملته المسعورة- ذرائع لتعطيم الثقافة محاكم الاستهبال- فقهاء الموت والتزمت- ناقد معتوه- نقد هستيرى- سلاح للقتل- نقول للناقد ولكل عصابة الجاهل.. ضدكم وضد غباكم وضد جهلكم- كذبة الأخلاق والتستر بالدين.                                                                                                                                                      | إلياس خورى        | أخبار الأدب- عن صحيفة القدس العربى |         |
| المانشيت الرئيسى: فضيلة الدكتور عباس كتب رواية تتناول على الله وتحرف القرآن وتدعو للزنا                                                                                                                                                                                                                                                                    |                   | ٩ مايو                             | القاهرة |
| الذين يصدون عن دين الله - استخدام صفحات الصحف ومنابر المساجد لتوجيه ألفاظ الفحش والسياب كذاب أشتر- أعمى البصر والبصيرة إلخ                                                                                                                                                                                                                                 | المحرر            |                                    |         |

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                                |         |         |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------|---------|---------|
| شهوة التكفير- جمع مقال محمد عباس آيتين من آيات النفاق: الكذب فى الحديث والفجر فى الخصومة- صحيفة الشعب ومن تتطرق باسمهم شريكان- حولت الصحيفة ما كتبه محمد عباس بطريقة وعاظ السوق وبائعى شربة الدود .. محمد عباس تدفعه شهوة شهرة تعمى وتعمى .. مقال فجج.. بلطجة فكرية.. إبراز الصحيفة ذلك بطريقة غوغائية .. تبني خطباء المساجد للمقال بجهالة | سيد خميس                       |         |         |
| فضيحة- نقد سيئ النية لرواية قصر العيني ونسبة جمل الحوار إلى الكاتب والاقتطاع والاجتزاء.. شاء الله أن يسقطه فى نظري ويفضحه على رؤوس الأشهاد.. بأى سطور مجرمة أبدا.. الدكتور محمد عباس يقع فى إلحاد المجسدة دعوة صريحة لارتكاب الكبائر- يواصل الدكتور عباس كتابة الفجور- يكتب العهر- مصاب بمرض الفصام                                        | بلال فضل                       |         |         |
| لكى لا تصبح مصر وليمة لأعشاب العنف الموهوس- الفقيه الجاهل المحرض محمد عباس.. عبد العظيم رمضان: جريدة الشعب: تضليل وأكاذيب                                                                                                                                                                                                                  | استطلاع جيهان محمود- عمرو يوسف |         |         |
| أديب فاشل- مليونير- يعيش فى قصر كبير- العقدة التى تحولت إلى عصاب- الأديب المغفور الفاشل- هذا هو الأديب الذى يشعل الفتنة- لسان حاله يقول: شهرتى شهرتى وليذهب الوطن إلى الجحيم الخ                                                                                                                                                           | فتحي عامر                      | ٧ مايو  | العربى  |
| أحمد الخميسى: صحيفة الشعب تضع نفسها فى قائمة الصحف الإرهابية والعرقية- رؤية ظلامية- ابتزاز رخيص مارسه صحيفة الشعب- جريمة لا أخلاقية- عفاف السيد: موقف الشعب بلطجة                                                                                                                                                                          | تحقيق: بهيجة حسين              | ١٠ مايو | الأهالى |
| سيطر الهوس على الجميع حملة ظلامية مسعورة- هوس تطرف ظلام- يجب لجم جريدة الشعب                                                                                                                                                                                                                                                               | أحمد اسماعيل                   |         |         |
| صحيفة تتعمد الإثارة والتهييج- تضليل وغسيل مخ متعمد- صحيفة لا يشعر القائمون عليها بأى مسئولية تجاه الوطن وأبنائه.. الخ جريمة عبث بأمن الوطن وسلامة الشعب- عملية تضليل شريرة                                                                                                                                                                 | المحرر                         |         |         |

|                   |                         |                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|-------------------|-------------------------|--------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الأهرام<br>العربي | ١٣<br>مايو              | حوار مع<br>حيدر    | عقلية محمد عباس وعقليات غيره من المتشجنين<br>المتخلفين.. إلخ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| الأهرام           | ١٣<br>إلى<br>٦١<br>مايو | صلاح<br>منتصر      | دكتور تحاليل طبية- لم يفعل ما يفعله أى مسلم<br>حقيقى- راح مثل الندابات بصرخ مولولا- إلخ                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| البلد             | ١٥<br>مايو              | على أبو<br>شادى    | كاتب غير أمين<br>ليس كاتباً أو أدبياً- المسألة فيها بعد شخصى لمصادرة<br>أعماله- قراءة جاهلة متعسفة غير منصفة وغير<br>واعية-                                                                                                                                                                                                                                                               |
| الميدان           | ١٦<br>مايو              | المائشيت           | تكفير محمد عباس على الهواء بسبب الملك العارى.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
|                   |                         | محمد حسن<br>الألفى | حريق عباس ولعة<br>المحتسب الهائج الطارئ المائج محمد عباس<br>الغوغائية- هوس محمد عباس- ما كتبه المجذوب<br>فى الغيبوبة محمد عباس هو الكذب- كاتب مسموم<br>العقل مدسوس اللسان .. مجند فى صفوف الشيطان-<br>- كذب وضلل متعمدا- عصر المجاذيب الذى من<br>علاماته محمد عباس وعادل حسين وجريدة الشغب)<br>بالغين وليس بالعين)- عباس هجاص وضحك على<br>الناس-                                          |
| آخر خبر           | ٢٢ مايو                 | مائشيت             | هروب عادل حسين إلى بيروت فى ظروف غامضة<br>( ملحوظة: فيما عدا العنوان الكاذب لا يوجد شئ<br>مهم.                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| الخميس            | ١ يونيو                 | فاروق<br>حسنى      | محمد عباس يشرب من نفس كأس حيدر<br>الذى فجر القضية مؤلف كتاب سيئ جدا يتناول على<br>الذات الإلهية- هو يعتقد أننا لا نراه وأنه تحت<br>السلم- سوف ينال عقابه الرادع- هذه الحملة مجرد<br>متاجرة سياسية رخيصة.<br>هدفهم الثقافة فى مصر وهم يتلقون دعما من الخارج<br>بميزانيات ضخمة جدا بهدف السيطرة على المجتمع<br>المصرى- يسكون بسيف الجاهلية لمحاربة<br>التكنولوجيا- قمعون دكتاتوريون دمويون. |
| العربي            | ٢٥<br>يونيو             | فتحي عامر          | بذاءات محمد عباس- مخبر تدرس فى كتابة التقارير<br>المباحثية<br>لماذا انزعج عباس ووقف يولول ويتسافل<br>حديثك التافه الوضع<br>دور عباس مشبوه وماجور                                                                                                                                                                                                                                          |

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                       |            |                   |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------|------------|-------------------|
| مركبات نقص وعقد نفسية وجنون عظمة والرغبة<br>فى تدمير كل شئ<br>فى ميزان سيئاتك الدور المأجور الذى قمت به الخ<br>ملحوظة: المقال المذكور رد على رسالة خاصة منى<br>لرئيس تحرير العربى، لم أرسلها كمال ، وفوجئت<br>بنشرها) مما يعنى انتفاء العلانية عما كتبتة أنا عن<br>الصحفى المذكور).                                               |                       |            |                   |
| حزب الثلاث ورقات<br>جورنال بدأ اشتراكيا يتخصص الآن فى فرش الملاية<br>لمن لا يدفع أو يخضع<br>مقالات الأخ عباس التى تتدفق كحنفية مكسورة أو<br>قطار عطلان- هناك من على استعداد لدفع الشئ<br>الفلانى مقابل استمرار<br>واحد اسمه عباس يعانى من البارانونيا الفاقعة<br>فالتحقوا بفضل حماقة سعادتك بطوابير العاطلين..<br>مرحى بالأخ عباس | عاصم<br>حنفى          | ٣٠<br>مايو | القاهرة           |
| تزوير الحوار: المانشيت على غلاف المجلة: محمد<br>عباس: أخطأت فى حق أبى حيدر وأدعو الله أن يغفر<br>لى، يأتى عنوان الموضوع فى ص ٧٢: د. محمد<br>عباس الذى أشعل الفتنة مازال مصرا على موقفه.<br>حاولنا إجراء حوار يبرى " ساحة د. محمد عباس من<br>الجهل والدعوة لإهدار الدم، لكن ذلك لم يحدث-<br>ملحوظة: يوجد لدى تسجيل للحوار.         | الأهرام<br>العربى     | ٢٠ مايو    | الأهرام<br>العربى |
| حزب العمل.. صورة بالغة البشاعة.. الشعارات<br>الدينية تطرح بصورة هستيرية.. مخالفة صريحة<br>للدين ومبادئه..                                                                                                                                                                                                                         | د. عبد<br>المنعم سعيد |            |                   |
| قالها عادل حسين بالفم الملىان: ليس أمامنا إلا تهيج<br>الناس والضغط على الحكومة بأن يثور الناس" ولو<br>واحد قال كلام خارج سأضربه بالجزمة"<br>هم جنرالات الثورة والتهيج وحملة الأحذية<br>والقباقيب.                                                                                                                                 | كرم جبر               | ٢٦<br>مايو | روز<br>اليوسف     |
| حزب الثلاث ورقات<br>صار الحزب وكرا مختارا للمتطرفين والمهوسين<br>من أمثال محمد عباس وأنصاره<br>هذا الحزب التلقينى<br>وقف البهوات فى جبهة التطرف والانعزال وحرق<br>الكتب وسجن المثقفين<br>الخ                                                                                                                                      | عاصم<br>حنفى          |            |                   |

|                                                                                                                                                                                                                                    |      |  |  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|--|--|
| عناصر التهيج والإثارة، أقلامهم خناجر مسمومة<br>مست الأبرياء وهددت أمن واستقرار البلاد..<br>صحف التهيج والإثارة التي استخدمت كل أشكال<br>التجريح الشخصي ..<br>فهل تتحرك النقابة قبل الأوان لإنقاذ الصحافة من<br>المدعو عباس وأمثاله | بدون |  |  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|--|--|

هل قرأت أيها القارئ؟!..

اقرأ أيضا قول الشاعر:

**فإنذا تمعّر أو تكشّر ضاحكا فكأنه من وجهه يتغوّط..!!**

٤٧- نمط آخر من منهج التزويريين في خداع الناس الذين يتقنون ثقة بالغة في الكلمة المطبوعة، ولقد تجلّى ذلك في نقدهم لرواية قصر العيني. وعلى سبيل المثال فقد اختار أحدهم جملة: "وكانت سناء في هياج عظيم" ليدلل على استعماله لألفاظ مكشوفة مثل حيدر حيدر، لم يذكر المدلس أن سناء هذه مصابة بشلل رباعي، وأن الهياج كان هياجاً عصبياً، دعك من تجاهله للرمز لأن البطلة هنا بشللاً الذي أصاب كل أطرافها ترمز للدولة بعد الهزائم المتتالية والإحباط المروع الذي أصاب الأمة بعد حرب الخليج. في موقع آخر اتهموني بإثارة الفتنة الطائفية لأنني نشرت شك بطل من أبطال الرواية يمثل التيار القومي العلماني في أن يكون عيسى عليه السلام وجد دون أب، نشروا ذلك وتجاهلوا السطر التالي مباشرة وهو رد مفحم من البطل الآخر الذي يمثل الدور الإيماني يقول فيه : كيف تنكر أنه وجد دون أب ثم تصدق أن آدم وجد دون أب ولا أم. كانوا يريدون دفعي لاتهامهم بأنهم يجترئون من روايتي ليصيحوا في وجهي : أنت أيضا اجتزأت من رواية الوليمة، وكان يمكن أن يفعلوا ذلك بصدق وشرف، لكنهم اختاروا الكذب. المشكلة أن هذا الكذب صعب الإثبات، فلكي تثبته لابد من قراءة الرواية، وهم يعتمدون على ذلك.

لقد لاحظ الكثيرون منهم الدكتور جابر قميحة أن هؤلاء التزويريين يكذبون كذبا مجانيا طول الوقت، ولقد استشهدوا على سبيل المثال في محاولتهم لتبرير الفحش في إصدارات وزارة القافي بألفاظ خارجة في كتاب الطب النبوي وفي كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وأتوا فعلا بنماذج تدلل على صحة قولهم، ولكن الدكتور قميحة قام بمراجعة النماذج التي استشهدوا بها فوجدها كاذبة وموضوعة!!! إنهم يأتون مثلا بنص من الأغاني ثم ينسبونه إلى الإمام

الغزالي، إن مواجهة جملة كاذبة من تلك التي يستشهدون بها تستلزم مراجعة كاملة للكتاب الذى يستشهدون به، وبعض هذه الكتب مكون من عشرات الأجزاء، ومراجعتها الدقيقة قد تستغرق أسابيع من المطالعة لكشف الأكاذيب التى تنسب إليها، فما بالنا إذا كانت مئات الجمل؟! ومئات الأشخاص، إنها مؤامرة شيطانية. لأننا حتى عندما نكشفهم سيدعون أن الأمر مجرد خطأ مطبعي حدث أثناء جمع المقال!!.. فإذا ما ضيقنا عليهم الحصار أكثر، ستقف الدولة معهم وتغلق صحفنا التى نكشفهم فيها.

٤٨- تعرض الدكتور أحمد عمر هاشم لإهانات بالغة بسبب تصريحاته عن الرواية الكافرة. ونشرت بعض الصحف أخبارا عن استبعاده من عضوية مجلس الشعب وعن فصله من منصبه كرئيس لجامعة الأزهر.

٤٩- كان هذا من أعجب ما حدث، كانت الأزمة فى الظاهر تتكون من شقين، شق مع الدولة وشق مع أذعياء التنوير، لذلك عندما بدأت التهديدات تصلنى عبر الهاتف بقتلى عجت، فالدولة يمكن أن تقتلنى دون تهديد، وأذعياء التنوير والإبداع لا يفعلون ذلك جينا لا ورعا، إنهم يمكن أن يسلطوا الدولة، لكن من غير المحتمل أن يقوموا بذلك بأنفسهم، كانت التهديدات بالغة البذاءة، وكان واضحا أن القائم بها يعرف الكثير عنى وعن أسرتى، أخبرت بعض الأصدقاء فطلبوا منى ألا أستهيى بالأمر، كان رأيهم أن كتاباتى قد حركت الشارع وهذا غير مسموح به، وأن عبد القادر عودة قتل من أجل سيطرته على وجدان الناس. رفضت نصيحتهم بالإبلاغ، كنت مؤمنا بأن لن يصيبنى إلا ما كتب الله لى، لكن التهديدات توالى، قررت ألا ألقى المكالمات، لكن التهديدات لم تتوقف، وأصبحت توجه لموظفى مكتبى ثم لأفراد أسرتى، طلبت من أفراد أسرتى إخفاء الأمر عن أمى، كان ذلك وضعاً إنسانياً يضغط قلبى، فأمى : نبع الحنان الصافى والورقة الخالصة الذى طالما أرهقنى متابعتها لى بالقلق على ولو من مس الريح، كان عمرها يناهز الثمانين، وكان يمكن أن تظل الليل بطوله تبكى لو وخزتنى شوكة أو ارتفعت درجة حرارتى نصف درجة!! لكنهم رغم ما اتخذته من احتياطات وصلوا إليها، كانت تظنهم بشرا فراحت تردد: حسبى الله ونعم الوكيل، لكن الشيطان على الطرف الآخر لم يتورع عن استعمال أخط الألفاظ وأبشع التهديدات بقتلى وقتل أبنائى، رجوتها أن تكف عن الرد عن الهاتف، ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية، وهنا كان موقفها العظيم الذى لا أنساه قط، ذلك الموقف الذى ينتمى إلى تاريخ عظيم لأمة عظيمة، ولعلها

تمثلت موقف السيدة أسماء ابنة سيدنا أبي بكر، كنت أخشى أن يصيبها الانهيار من ضراوة وبذاءة ما تسمع، لكنني وجدت لها صابرة متجلدة محتسبة وهي لا تكفى بأن تطمئننى على نفسها بل وتشد من أزرى مؤكدة أن قضية الدفاع عن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - قضية لا يجوز معها التفكير فى مدى ما يمكن أن يصيبني من ضرر مهما كان، وأنها راضية مرضية بقضاء الله.

٥٠- اضطررت إلى نشر التهديدات فى مقالى فى الشعب، ولم تتوقف التهديدات، وقام أحد الاخوة المحامين بتقديم بلاغ إلى النائب العام، كان آخر تهديد قد وصلنى قبل تقديم البلاغ بساعة واحدة. كان معدل المكالمات يصل إلى خمس أو ست مكالمات فى اليوم، بغد البلاغ لم يتكرر التهديد ولو لمرة واحدة. ما زلت حتى الآن لا أعرف من الذى كان يهدد ولماذا وكيف بدأ ولماذا توقف؟!..

إن الأمر كله ما يزال مستغلقا علىّ، أوله عصي على التفسير كآخره!!..  
٥١- جزى الله الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربى كل خير، فبمقالاته وكتابه القيم سد ثغرة هامة بتناول أطراف المسألة من كل جوانبها، الدكتور حلمى القاعود أيضا أبلى بلاء حسنا، لكن صحف الدولة كانت تغلق الأبواب أمام النقاد الذين يرفضون الاجترار على المقدسات بينما تفتح الصفحات الطوال لمروجى البذاءة والفحش، وكنت تجد الواحد منهم يكتب كثيرا جدا لكنه لا يستشهد بفقرة واحدة من الرواية الكافرة أو الشعر العاهر الذى رفضناه، كلام قد يظن عبر المتمرس أنه صعب وغير مفهوم لصعوبته بينما هو فى الحقيقة كلام بلا معنى يكشف شخصيات مريضة مهترزة.

كان من النقاط المضحكة وشر البلية ما يضحك- أنهم بدلا من الدفاع عن حيدرهم وشعرائهم راحوا يوجهون سهامهم نحوى، وكان من حججهم التى طالما رددوها أنني طبيب تحاليل (والصحيح أشعة) لا علاقة له بالنقد والأدب، ولو أن قائل مثل هذا الكلام أستاذ متخصص فى النقد والأدب على سبيل المثال لواجهناه وبيننا له خطاه، لكن معظم من كانوا يقولون ذلك كانت مهتهم بعيدة تماما عن التخصص، فجمال الغيطانى دبلوم صناعة وخبرته فى مصنع سجاد .. وصلاح عيسى معهد فنى متوسط.. إبراهيم أصلان ساعى بريد، وعلى أبو شادى دبلوم تجارة وعبد العزيز موافى ضابط قوات مسلحة، بل إن منهم من فصل من عمله

لارتكاب جرائم أخلاقية. ناقد آخر منهم كل مؤهلاته أنه تاجر فاكهة تعرف به المسيطرون على الساحة الثقافية في بواكير شبابهم، استأجر لهم شقة خاصة يسهرون فيها ويشربون الخمر على حسابه .. و.. وكانت هذه الشقة هي مؤهلاته التي فتحت له أبواب صحفهم عندما كبروا - وما كبروا - ليكون ناقدًا كبيرًا متخصصًا. لقد كان تقرير على أبو شادي على سبيل المثال فضيحة أدبية فقد وقع في أخطاء إملائية ونحوية لا يقع فيها تلميذ في الصف الابتدائي!! عدد كبير من الحداثيين مثل على أبو شادي، بل إن معظمهم يعتبر الجهل باللغة والنحو ميزة إضافية تحسب له. والأمر هنا ليس أمر قصور أفراد بل اقتناعات نخبة بازدراء كامل في ماضينا .. حتى اللغة..

إن الساحة الثقافية الفاسدة في مصر تحفل بكثير من هذا وما هو أسوأ منه، فالكثيرون ممن يحتلون الصدارة في ميدان الصحافة والأدب بدعوا بدايات غريبة، أحدهم مثلاً كان سائقاً لمسئول فعينه صحفياً فأصبح بعد عشرين عاماً رئيس تحرير، رئيس تحرير آخر محكوم عليه بثلاث سنوات سجن في قضية تسهيل دعارة لكن كبار القوم أسبغوا عليه حمايتهم رغم الحكم الذي ما زال واجب النفاذ فلم يقبض عليه، آخر كان موظف أرشيف فأصبح أيضاً رئيس تحرير، لص وقواد ومبتز والعهد على إبراهيم سعدة-أصبح مليونيراً ونائب رئيس تحرير صحيفة كبرى!.. وليس أخيراً أن من كان خادماً في المؤسسة أصبح رئيس تحريرها. إن كتابي "بغداد عروس عروبتكم" يحتوى على طرف من هذه المأساة لكن كتاب الأستاذ أسامة عرابي- الذي سيقط الإشارة إليه- يحتوى على تفاصيل مذهلة.

كان أمراً مضحكاً أن يتهمنى هؤلاء بعدم التخصص. الذى لم يكن مضحكاً هو موقف فاروق عبد القادر، فهو ناقد جاد رغم أننا نرفض ما يذهب إليه بسبب علمانيته المفرطة. وقد اختلفت معه إلى صفحات الصحف قبل ذلك عندما شن هجوماً ساحقاً على جمال الغيطاني ينكر عليه أن يكون أدبياً على الإطلاق ويواجهه بسرقات أدبية لا حد لها منها أنه نقل صفحات كاملة في رواياته من كتب التراث دون أن يشير إليها، ومنها جهله الفادح بقواعد اللغة العربية. استحكم العداء بينهما ودبر له الغيطاني حيلة فاستدرجه لكتابة مقال فى أخبار الأدب ثم أطلق عليه العشرات من أربابه ينهشونه، لذلك كان العداء بينهما مستحكماً، لكن فى القضية الأخيرة جمع بينهما العداء للإسلاميين!!



لست أدري كيف ورط فاروق عبد القادر نفسه في الحملة الضالة المضلة التي شنوها على، إنني أفهم وأتوقع من الآخرين أن يستجيبوا للطريقة المبتذلة التي اتبعوها عندما كانوا يوزعون ورقة واحدة فيها الخط العام للنقد ويطلبون من الكتاب والنقاد أن يصنعوا منها مقالا، إنني أرجو من القارئ أن يدرك أنني لا أورد كل هذه التفاصيل إلا لسبب واحد، هو أن نفهم منهج هؤلاء الناس حتى نستطيع مواجهته، والملاحظ هنا في منهجهم أنهم يتبعون طريقة الحركات السرية التي اتسمت بها التنظيمات اليسارية والماسونية حتى في النقد الأدبي، وما أن يبدأ أحدهم بطرح قضية أو التصدي لها حتى يتجاوب معه العشرات داخل البلاد وخارجها. لقد كانت هذه النقطة تحيرني تماما قبل ذلك، فكيف ينق أن يتصدى منهم العشرات لقضية ما في نفس الوقت وب نفس الفكر والحجج والأسانيد، على مستوى السياسة كنت أفهم السر في تشابه مانشيتات الصحف القومية وافتتاحاتها، كنت أدرك أن مسئولا ما في جهة حاكمة يملئ عليهم ما يكتبون بالتليفون، وأحيانا ترسل المقالات مكتوبة وممهورة بتوقيع من لم يكتبها.. فهمت السر على مستوى السياسة لكنني عجزت عن فهمه على مستوى الثقافة حتى حدثت أزمة الوليمة فإذا بنفس الشيء يحدث، الفارق الوحيد أننا في السياسة نستطيع بالحدس والتخمين أن نحدد من يملئ، لكننا في الثقافة لم نكتشف حتى الآن. أقول أن جهة ما قد وزعت ورقة تحتوي على الخط العام وبنود الهجوم على، وافق الكثيرون وصاغوا مقالات من هذه الورقة، لكن البعض رفض واتصل بي كي يكشف المهزلة.

فاروق عبد القادر فعل شيئا شبيها، إذ ردد حتى الأكاذيب الشفهية التي كانوا يتبادلونها، فانفرد على سبيل المثال بأن لى في الأسواق عشرة كتب طبعتها جميعا على حسابي لأنها لا تجد رواجاً، ورغم أن قيام الكاتب بطبع أعماله على حسابه لا يشين الكاتب بقدر ما يدين فساد الحياة الثقافية التي تعتمد قانون الشللية والأنصار والاتباع، أقول رغم ذلك فإنني لم أطبع كتابا واحدا من كتبي على حسابي، بل طبعتها لى ونشرتها كبريات دور النشر في مصر، وذلك واضح من الصفحة الأخيرة التي تحتوي على قائمة بمؤلفاتي، ولست أفهم حتى الآن كيف ورط الناقد المنهجي نفسه في هذا الكذب.

كان فاروق عبد القادر واحدا ممن هاجموا رواية "قصر العيني" وكأنني لم أكتب سواها..

إننى أتساءل على سبيل المثال: إذا كانت روايتى : " قصر العبنى " تحمل كما تردد فى أحاديث إفكهم بذاءات وكفرا كالأليمة.. فلماذا لم يدافعوا عنها كما دافعوا عن الوليمة؟! .. أو على الأقل لماذا لم يتقدموا ببلاغ ضدها إلى الأزهر أو إلى أية جهة أخرى كى يؤيد الناس موقفهم؟ .. ولماذا جبنوا عن مجرد التعرض لاسم رواية أخرى لى وهم يحصون ما كتبت.. هذه الرواية اسمها : "مباحث أمن الوطن "!!؟ هل لأنها تمس أولياء نعمتهم؟ . ورواية أخرى اسمها : " الحاكم لصا " .. ومجموعة قصصية لى صودرت فلم يهتز لهم جفن.. لماذا لم يتعرضوا مثلاً لكتاب إنى أرى الملك عاريا وهو كتاب يقارب الـ ٨٠٠ صفحة دفاعاً عن ثوابت الأمة؟ أو كتاب: بغداد عروس عربيتكم وهو كتاب تتجاوز صفحاته الثمانمائة صفحة دفاعاً عن أمن الأمة.. لماذا لم يتعرضوا لكتاب: " من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك " وهو الذى قيل عنه أنه أجرا كتاب من مواطن إلى حاكم عربى.. لماذا لم يتعرضوا للكتب الأخرى ومئات المقالات التى فضحت فيها الظلم والتعذيب والتزوير والخيانة والقهر والغزو الفكرى والتغريب؟.. لماذا لم يتعرضوا لها رغم أن بعض النقاد يعتبرها نموذجاً لفن جديد فى الأدب العربى هو فن المقال الدرامى.

قلت أن موقف الآخرين كان مضحكا، وأن موقف فاروق عبد القادر لم يكن كذلك، لكن هناك واقعة متعلقة به مضحكة وموحية، إذ أننا تهاتفنا عدة مرات كان آخرها إبان أزمة القانون ٩٣ (راجع كتابى : إنى أرى الملك عاريا) حيث بالغ فى الإشادة بمقالاتى التى كتبتها حول هذا القانون، تواعدنا على لقاء يتم حين أكون فى القاهرة، ومن منزلى بالقاهرة هاتفته فرد على من أهل بيته من أجابنى إجابة شديدة الغرابة، إذ قالوا لى أنه فى المستقبل، أنهيت المكالمة على الفور خجلاً، وقلت لنفسى لأبد أن ثمة سوء تفاهم بينه وبين أهله دفعهم للحديث عنه بهذا الغضب المهيمن، ولم أحاول الاتصال مرة أخرى، فيما بعد، كنت أتحادث مع أحد الكتاب الذى أخبرنى - عرضاً - أنه لقي فاروق عبد القادر حيث يجلس معظم الأحيان فى المستقبل!!.. فغرت فاهى من الدهشة، وطرحت على الصديق تساؤلى بعد أن حكيت له ما كان، فانفجر فى ضحك متواصل وهو يخبرنى أن المستقبل اسم حقيقى لحانة خمر يتردد عليها معظم المثقفين بعد إغلاق مقهى وبار ريش الشهير، وأنهم هناك، فى المستقبل، يحتسون الخمر حتى يثملوا وتنشب بينهم المشاجرات الدامية بالأيدى والمقاعد، تماماً كما قرعوا أن صعاليك الحانات كانوا يفعلون فى أوروبا فى عصر النهضة!! .

ضحكت من سذاجتى، لكنه كان ضحكا أمر من البكاء، كان الواقع رمزا وكان الرمز واقعا وكان الجزء الطافى من نخبتنا المثقفة .. فى المستقبل...!!!  
وعزفت عن محاولة الاتصال مرة أخرى.. بعد أن أدركت أننى بهذا المفهوم لا يمكن أن أكون مثقفا!!!..

٥٢- كان موقف التلفزيون المصرى غريبا، والحق أنه طلب منى أن أسجل معه لكننى كنت قد لدغت من صحافة بلادى التى لم ترع إلا ولا ذمة فاعتذرت، لكن غيرى لم يعتذر، وأذاع التلفزيون الحلقات التى تؤيد الحيريين ومنع إذاعة الحلقات التى تنتصر للدين.

إلى جانب ذلك بدت منه لست أدري كيف؟ وهو مؤسسة من مؤسسات الدولة - بعض التصرفات الطفولية، فبعد أن جلت الإحباط الأمة، التى أطلقت الدولة عليها الرصاص ممثلة فى طلبة جامعة الأزهر، دخل التلفزيون المزايدة، وفى ليلة واحدة كانت القناة الأولى تستضيف جمال الغيطانى، والثانية تعرض فيلما لإبراهيم أصلان- رئيس السلسلة التى نشرت الرواية الكافرة- والقناة السادسة ومقرها مدينة طنطا: حيث أقيم تستضيف على أبو شادى رئيس الهيئة التى نشرت الرواية الكافرة.

٥٣- التفاصيل فى مقال للدكتور محمد سليم العوا بمجلة الكتب وجهات نظر عدد يوليو ٢٠٠٠.

٥٤- فى مواجهة على قناة الجزيرة الفضائية فى يوم ٢٠٠٠/٨/٨ كان حيدر حيدر يتكلم فى برنامج الاتجاه المعاكس، كان هو شخصيا، لا أبطال الرواية المتخيلين ولا المؤلف، بل هو بشحمه ولحمه، وكان يكرر: نعم: كان للرسول خليات وكان يتزوج زواج متعة!!.

نشرت صحيفة الأسبوع ذلك وأهدته إلى أنصاره وأشياعه.

٥٥- رفع الأستاذ عبد الحليم رمضان المحامى الشهير قضية ضد السيد فاروق حسنى وطلب فى القضية توقيع الكشف الطبى عليه لبيان ما يمكن أن يكون فيه من شذوذ نفسى أو جسدى- صحيفة الحقيقة ٢٠٠٠/٥/١٣

٥٦- عشرات الصحف والمجلات أجرت معى أحاديث صحفية، تلك التى تصدر خارج مصر لم تكذب على، اختصرت أحيانا وحذفت أحيانا بعض هجوى وتحليلى لأبعاد الأزمة خاصة المتعلق بمسؤولية النظام عنها أو بعض آرائى السياسية، معظم الصحف والمجلات المصرية كذبت كذبا صريحا، فى إحداها

كان الصحفى يسألنى عما إذا كنت قد ندمت على كتابة مقالاتى بكل هذا العنف، وأجبتته بالنفى، فأجابنى إذا ما كنت سأكتبها بهذه الطريقة لو أعدت كتابتها الآن، وهنا خطر لى أن أروى له واقعة كنت مبهورا بها، ذلك أن أمريكيا أمسك بالمصحف مترجما فقرأ الكلمات الأولى من سورة البقرة: ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه.. وقبل أن يكمل كان ينطق الشهادتين، وفسر الأمر بعد ذلك أنه ما من عمل فكرى أو أدبى أو علمى يكتبه صاحبه إلا وأحس بعد فترة بعدم اكتماله، وأراد أن يزيد فيه أو ينقص، لكن القرآن يبدأ بتحدى البشر جميعا عبر التاريخ كله أنه لا ريب فيه، فذلك لا يمكن أن يكون كلام بشر، وما دام كذلك فهو من عند الله، ومن أجل ذلك أسلمت. وواصلت حديثى للصحفى: أن ذلك يعنى أننى لو كتبت تلك المقالات الآن فلا يمكن أن تكون بنفس النص، سأزيد جزءا هنا وأحذف جزءا هناك، لكن خطها الفكرى سيكون فى نفس الاتجاه.

تجاهل الصحفى الهمام هذا الكلام كله ليكون مانشيت حديثه الصحفى معى أننى اعترفت ولاحظوا كلمة : اعترفت هذه والتي تلغى المسافة بين المخبر الصحفى ومخبر الشرطة - أننى لو كتبت الآن فلا يمكن أن أكتب ما كتبت. هكذا.. فقط .. ولم يورد الصحفى كلمة عن الأمريكى الذى أسلم بشرط آية.. وكانت هذه هى أمانتهم الصحفية.

مجلة الأهرام العربى أيضا كانت من أكثر المجالات تشويها لما قلت وادعاء على بما لم أقل.. وقد أرسلت لهم هذا التعليق فلم ينشروه ولم يردوا عليه أو حتى يشيروا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهرام العربى

السيد الأستاذ أسامة سرايا : رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لم تصدمنى معظم الصحف الأخرى، لكن صدمتنى الأهرام العربى، عندما افتقدت فى الحوار الذى أجرته معى الأمانة الصحفية والصدق.

ولم يكن حزنى بسبب جرح أصابنى، ففى معركة لله كالتى أخوضها: كل جرح وكل إساءة حسنات يمن الله بها على إن شاء الله يجعلها فى ميزانى يوم القيامة. لكن حزنى كان من المستوى الذى تدنت إليه معظم صحفنا.. ولكم كان مهينا لى وأنا أتحدث مع بعض الصحافيين العرب فإذا

بهم يتحدثون بازدراء كبير عن الصحافة المصرية التى تخلفت عن معظم قريئاتها فى الصحف العربية.. ولم يعد أحد فى الخارج يأخذ ما تنشره على محمل الجد..

كنت أنظر إلى شباب الصحفيين فتتلبد سماءات المستقبل بغيوم الحزن، حين أتساءل : أين القيمة؟ أين المثل الأعلى؟ أين لنمط والنموذج والمثال؟! أين أين أين ومن يربونهم لا يعطونهم فنا ولا علما ، بل إنهم يربونهم على العكس تماما..

وكنت أحول جزءا من الحوار أكون فيه السائل ويكون الصحفى المجيب:

كنت أسأله: فى صحيفتك هل للصدق المجرد أو الحقيقة المطلقة قيمة..

وكانت الإجابة نفيا..

وكنت أسأل: فى صحيفتك: هل الصدق قيمة والكذب عار؟..

وكانت الإجابة : على العكس..

وكنت أسأل: هل يرتقى المجتهد ويستبعد الأفاق؟..

وكانت الإجابة: بل يرتقى الأفاق ويستبعد المجتهد..

وكنت أسأل: هل التدين عنصر يزيد من قيمة الصحافى؟!.. (تصادف أن كان لأحدهم علامة صلاة فى جبهته) ..

وكانت الإجابة: بل يظل المتدين محاصرا بالشكوك مطاردا بالهواجس فلا يأمنون جانبه حتى تبدر منه بادرة تطمئن قلوبهم.. وهذه البادرة هى أن يزنى أو يسكر أو يكذب كذبة كبرى..

وكنت أسأل: بعيدا عن الدين.. هل تحترم المقاييس الغربية للصحافة؟

وكانت الإجابة ذات يوم انفجارا من أحد الصحافيين: بل منطق العصابة.. أكثر العصابات شرا.. لا منطق ولا قانون ولا أخلاق ولا علم ولا فن ولا دين..

كان ذلك ما جرح قلبى.

نفس الجرح الذى يمكن أن تحسه لو أن عزيزا عليك وقريبا لك كان كبير العائلة الذى يحيطه الجميع بالإجلال والهيبة فإذا بالجنون يصيبه حتى ليخرج فى الشارع عاريا ويقذف الناس بالأحجار!!.. وأنت ممزق بين مشاعر إدانته وتجريمه ووبين مشاعر الإشفاق عليه..

قليل لى مسئولاً كبيراً فى مجلتك هو من أشرف مباشرة على تشويه  
حديثى لمجلكم..

فهل تسمح لى أن أسألك:

لماذا كانت هذه والشراسة فى التعامل معى، ولماذا كان الكذب  
ومحاولات التشويه والتزوير؟..!

لماذا كل هذا الحرص ألا أكتب؟..!

ولماذا كل هذا الحرص إذا كتبت أن يشوهوا ما أكتب لا عن طريق  
تفنيده ودحضه بل عن طريق تزويره ونثر الأكاذيب عليه..

إن كان ما أقوله باطلا فسوف يمنحهم فرصة إضافية للهجوم والتشهير  
والتشفى..

و إن كان صواباً فإنه يمنحهم الفرصة أن يتوبوا وأن يتعلموا..

فلماذا يسدون آذانهم ويصدون أسماعهم كما كان يفعل المشركون  
فى كل زمان ومكان؟..!

أحاول أن أفهم سر موقفهم فيعز على الفهم..

بالنسبة للصحف الصفراء والحمراء والسوداء يمكن فهم دوافعهم (هل  
تلاحظ أن الفعل المجرد من دوافع هو : دفع!).. لكن بالنسبة للأهرام  
العربى عز على الفهم!!

قلت لنفسى لو أن المسألة كانت شخصية.. وأننى لم أهاجم حيدر  
ولا فاروق حسنى بل هاجمت أسامة سرايا أو حتى إبراهيم نافع نفسه ..  
لو أن ذلك هو الذى حدث لما برر هذه الحدة والغضب غير الأخلاقية التى  
تعاملتم بها مع موقفى..

وربما كان لكم بعض العذر فى البداية عندما فاجأتكم المعركة وأنتم  
غير مستعدين فكرياً لها، ولكن بعد أن تحدث رئيس جامعة الأزهر،  
واللجنة الدينية فى مجلس الشعب.. ثم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية  
ثم خطباء المساجد فى طول مصر وعرضها حيث مثلوا بصدق وجيب قلب  
الامة .. بعد هذا كله لم يكن لكم أن تماروا فى الحق ..

لم يكن لهم أن يختاروا الفسوق بعد الإيمان.. فبئس الاسم الفسوق بعد  
الإيمان..

ولقد أفتى الأزهر وعلماء الأمة فى الداخل والخارج كأعلى مرجعية للسنة فى العالم كله أن الكفر لا يقتصر على تأليف الكتاب الملعون ونشره بل يتعداه إلى كل من قرأ الكتاب أو أعلم بما فيه فحكم أنه إبداع..

هل هان عليكم الدين إلى هذه الدرجة؟!..

هل رخص عندكم الإيمان إلى هذه الدرجة؟!..

هل عز عليكم الكفر إلى هذه الدرجة؟!..

أم كفرتم بالغيب كفرًا خالصًا وما الأزهر إلا مؤسسة كباقي المؤسسات لا تمثل إلا أشخاص القائمين عليها دونما مرجعية دينية..

نعم لقد تعاملتم مه مراجعنا الدينية لا كمراجع دينية بل ككهنة يروون الأساطير.. كهنة تحتملونهم كجزء متخلف من المجتمع وما يدفعكم إلى تحملهم سوى أمرين: هيكل الديموقراطية الفارغ المضمون الذى يسمح بحرية الأديان.. وأنهم يمثلون بمن وراءهم أغلبية ساحقة لا يمكنكم مواجهتها..

نعم تعاملتم مع المراجع الدينية تعامل صهيونى أو صليبي أو مشرك جزم بأن الإسلام ليس دينًا وإنما أكذوبة كبرى يجب أن يطهر الوطن منه..

استبعدتم الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.. أصبح الله عندكم ليس هو من: "ليس كمثله شئ" .. بل أصبح مجرد أستغفر الله العظيم مجرد شيخ يلبس عمامة بعد أن نزعت منه كل ما يرمز إليه.. أصبح كألهة بنى إسرائيل يمكنكم أن تصارعوه وأن تنتصروا إليه.. بل ويمكنكم أيضا أن تسجنوه أستغفر الله العظيم كما هدد جلاذ ذات يوم فى أحد سجوننا..

أصبح الله ليس هو القوة المطلقة.. بل قوة من القوى باقية كآثر من آثار التخلف .. ومهمتكم المقدسة القضاء عليه..

لم يعد الدين قمة الهرم.. ولا سماء الحق.. ولا أفق البصيرة..

بل أصبح شيئًا من أشياء.. يعلوه الرئيس أو الملك ورئيس الوزراء وأى مسئول كبير.. ويعلوه أيضا ما تسمونه بالإبداع..

كان لسان حالكم يقول لمن يقول ربى الله: تحملناكم رغم تخلفكم.. تحملناكم كوصمة الزمن الماضى فاصمتوا حتى تموتوا..

أصبح الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم هم سر تخلفنا..

عاملتم الإسلاميين كما ينبغى لنا جميعا أن نعامل عبدة البقر؟!..

هل اكتشفتم أستغفر الله العظيم أن الله غير موجود؟!..  
 وهل تقولون فى الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله فيه المشركون  
 والمستشرقون- أستغفر الله العظيم أنه ساحر أو مجنون..  
 ذلك هو المبرر الوحيد لموقفكم..  
 فإن لم يكن ذلك..

لماذا إذن تعاملتم فى الأمر كما لو كان ثارا شخصيا بيننا وبينكم..  
 لم تتحروا الحق ولا الصدق..

قلت لنفسى ساخرا أننى إنما كنت أذافع عن جلال اسم الله وعن قداسة  
 القرآن وعن الرسول صلى الله عليه وسلم فلماذا أغضبكم ذلك كل هذا  
 الغضب!؟

كنت أهاجم الشيطان فهل يمت الشيطان لكم بصلة وثيقة إلى هذا  
 الحد...!!..

كأنه أب أو أخ أو أم لكم .. وكأننى حرقته بالنار ..

كان هذا هو ما يفسر حميتكم المشتعلة ضدى..

لماذا هربتم دائما من الموضوع؟..

لماذا لم يستشهد واحد منكم بكلمات من الرواية الكافرة .. أو بالشعر  
 الداعر الكافر الذى استشهدت بنماذج منه..

لماذا دافعتم عن الباطل بكل هذه الضراوة.. ولماذا كذبتكم كل هذا  
 الكذب..

لكنكم كجل الصحافة المصرية وقعتم فى خطأ قاتل..

لقد حاربتم معركة من معارك القرن الحادى والعشرين بأسلحة  
 خمسينيات القرن الماضى.. حين كان الأمر يصدر: هاجموا فلانا وشوهوه  
 فتنتطق الأبواق كالكلاب المسعورة ترميه بكل نقيصة.. وكان الضحية  
 أو الشهيد لا يجد مع ذلك الطوفان من وما يرد عنه ذلك.. الآن هناك  
 الإنترنت والبريد الإلكتروني والقنوات الفضائية والميديا كلها..

سوف أضرب لك مثلا: لكم كان مهينا لو صدق أن ينشر على  
 غلاف مجلتكم: محمد عباس: اعتذر إلى أبى حيدر وأستغفر الله..

كان ذلك مهينا ومشينا لى.. بالرغم من أنه افتراء وزور.. كنتم  
 قد تطوعتم به ربما مجاملة لجزء فى السلطة أدركتم أنه يقف ضدى..  
 وربما خدمة للشيطان..



كان ذلك الفعل أشبه بفعل بلطجى وعد ولى نعمته بإنهاء المعركة بالضربة القاضية.. أردتم أن تقدموا للقراء هذه الصورة: "ها هو ذا محمد عباس يتراجع ويعتذر.. لقد كان إذن على خطأ وقد اعترف وهو غير جدير بالاحترام" .. وبهذا تكون القضية كلها قد انتهت..

لكنكم لم تضعوا الميديا فى حسابكم.. وفى اليوم التالى كان الخبر يتردد وكذلك ردى عليه.. وهو أنكم كذبتُم ولفقتُم..

وتحول الوضع من مهين مشين لى إلى مهين مشين لكم..

بل تحول إلى فضيحة وعار لكم..

وهو عار سيستمر عندما تصدر قريبا جدا عشرات الكتب التى ترصد ما حدث وتحلله..

لا أقول لكم اتقوا الله بمرجعية إسلامية..

لكننى أقول حافظوا على أخلاق المهنة بمرجعية أمريكية أو أوروبية أو حتى إسرائيلية..

ترى: هل لديكم الشجاعة والقدرة على حوار حقيقى؟!

هل لديكم القدرة لنشر نماذج الإبداع التى تدافعون عنها؟؟

وهل لديكم القدرة لمناقشة الحقائق لا الأكاذيب الملفقة؟.

أشك.. بل على الأحرى إننى واثق أنكم ستفعلون العكس تماما.. لأخذ من حسناتكم يوم القيامة - إن كان لكم حسنات- أو تأخذون من ذنوبى.. ولو لا إيمانى بالله واليوم الآخر لكان هذا الخطاب إليكم عبثا جديرا بالسخرية.. لكننى أقيم الحجة عليكم.

فهل تدرك الآن يا أستاذ أسامة سرايا وجهها من الفارق بيننا وبينكم..

نحن نؤمن بالله واليوم الآخر..

ولا يعنى هذا أننى أرميكم بالكفر..

لكن إيماننا هذا يجعل يقيننا بالغيب أكثر من يقيننا بالدنيا..

ونحن نعلم مهما حدث أننا على الحق..

ونحن نعلم أن نتيجة الصراع لن تحسم فى الدنيا بل فى الآخرة..

ونحن نعلم أننا قد انتصرنا عليكم قبل أن تبدأ المعركة كما عبر بذلك فذ أعترض على كثير مما وصل إليه- محمد حسنين هيكى فى مقاله الأخير فى مجلة الكتب وجهات نظر.

تلك هي المسألة.. وكذلك دائما ستكون!!..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

٥٧- لأنها أمة واحدة، فقد طلب منى الأستاذ فهد الرماوى رئيس تحرير صحيفة الجند الأردنية أن أكتب عموداً أسبوعياً في صحيفته. وكانت هذه المقالة إحدى المقالات التى نشرتها:

## الأيدي القذرة

فى كل بلاد العالم، توجد مؤسسة أو جهاز يتبع الدولة مهمته القيام بالعمليات القذرة التى لا يجوز للدولة أن تتورط فيها بصورة مكشوفة، فاكشف أمر تلك العمليات فضيحة وعار بين الأمم. فضلاً عن أنه ينهى وجود أى حكومة تضبط متلبسة به.

فى البلاد الديمقراطية تتكفل آليات السلطة بالرقابة الصارمة على هذه العمليات القذرة، إذا ما حاول أى فرد فى الدولة أو مسئول فى الحكومة أن يستغلها لصالحه لا لصالح الدولة، أى فرد حتى لو كان الرئيس أو الملك، ولعل ما حدث لريتشارد نيكسون، أقوى رئيس فى العالم خير دليل على ذلك.

وثمة سمة تختص بها هذه العمليات، ذلك أنها فى الغالب الأعم تتم خارج البلاد، فإذا تمت داخل البلاد فى أحوال نادرة، كان ذلك ضد رعايا دولة تناصب دولتهم العداء..

فى الدول الديكتاتورية، التى درجت على نقل الضار وتجنب المفيد، وعلى مسح كل شئ وتشويهه، يتم تغيير شبه كل شئ فى سمات جهاز العمليات القذرة. فكل عملياته تتم داخل الدولة لا خارجها، وتتم ضد الشعب لا ضد أعدائه، وتتم لصالح أجنحة من السلطة وليس لصالح الدولة، وتتحول أجهزة الدولة من موقع الرقيب عليه إلى موقف المراقب منه. يتضخم جهاز العمليات القذرة، فى غيبة أى ضمانات ضد تغوله، بل إن كل الضمانات تكسر وكل الدفاعات تدمر كى يتغول، وكى يسيطر، وكى تنتقل كل الآليات التى تضبط مسيرة المجتمع بين يديه، حيث تطلق له السلطة حرية مطلقة مقابل شئ واحد: هو استمرارها فى الحكم. فلا يكتفى هذا الجهاز بذلك، لا يكتفى مثلاً بتزوير الانتخابات كى ينجح أنصاره وأعضاؤه، بل يلجأ إلى تحطيم مؤسسات المجتمع المدنى من الأساس، يجمد الأحزاب أو يلغىها، ويصادر الصحف أو يغلقها، ويحاصر النقابات أو يجمدها، يطارد الشرفاء ويشوه صورته ويعلو من قيمة المفسدين

والخونة، يحول الصحافة إلى مكذبة، وأجهزة الإذاعة والتلفزيون إلى مبعي، يعاقب أشد العقاب من يقول الصدق أو يشهد بالحق أو من يحترم مقدساته وقيمه ونفسه، ويمجد أشد التمجيد من يفعل العكس.

لا يكتفى الجهاز بذلك، إذ فى سبيل تغييره لموازين القوى فى المجتمع، ينزح الثروات من فئة إلى أخرى، يفسد حتى أعمال البورصة، ويفلس البنوك، ويساعد لصوص المال العام على الهروب عندما يطفح الكيل وتنفضح الأمور.

هذا الجهاز، هو الذى يملأ على الصحف ما تكتب، وعلى المذيعين ما يقولون، بل هو الذى يختار فى النهاية كبار المسؤولين وحتى الوزراء، وهو الذى يحميهم كى يمكنوا فى مناصبهم، أو يقصى من تبدو عليه أى دلائل للاعتراض. بل إنه هو الذى يختار رؤساء تحرير الصحف، وهو الذى يعزل من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء.

هذا الجهاز كى يجميل نفسه يحيط نفسه بمجموعة من المثقفين، وما هم بمثقفين، بل يزينون الباطل ويزهقون الحق ويبيعون أنفسهم بثمن بخس. إنه يغتال القيم فى حقيقتها المجردة فيفقد الأمة توازنها..

وشيثاً فشيئاً ينزل الدكتاتور محاصراً بالأكاذيب والخيانة والحرص ألا تصل إليه حقيقة، حيث يجرده هذا الجهاز عملياً من كل سلطاته، نعم، يصبح الدكتاتور دمية فى يد الجهاز الذى ابتدعه هو فى البداية كى يكون يده الباطشة وأذنه المتلصصة وعينه المتجسسة. دمية لا ترى ولا تسمع ولا تحس إلا بما يسمح به هذا الجهاز.

وفى نفس الوقت تضمر وتضمحل مؤسسات المجتمع المدنى لتصبح مجرد هياكل خالية من المضمون، وتتقوض دعائم الأمة تحت وقع ضربات لا ترحم، يستخدم فيها الجراح مهارته لا لإنقاذ المريض بل لبيان مقاتله، يستخدم المعماري خبرته لا فى تدعيم البناء بل فى خلخلة أساساته كى يتهدم دون صوت ولو على رؤوس قاطنيه، ويصبح جهاز العمليات القذرة هو المتحكم فى شئون البلاد والمتصرف فى أمور الممالك.. كبيرها وصغيرها..

فى البداية، يتم هذا كله فى إطار من الخفاء كثيف، لتجنب رد فعل الأمة، لكن الجهاز بعد أن يطمئن إلى وصول الأمة إلى حالة من الشلل لا تمكنها من الحركة، وإلى عجز لا يسمح لها بالمقاومة، وشيثاً فشيئاً؛ يسفر عن وجهه القبيح، ليتم كل شئ .. على المكشوف..

٥٨- أيضا.. تلقيت رسالة كريمة من رئيس تحرير صحيفة الراية القطرية الأستاذ يوسف محمد درويش حيث بدأت فى نشر مقال أسبوعى فيها، وكان منها ذلك المقال:

## خيانة المثقفين !!..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

فخيانة صديق ألم مروع يمزق القلب ويسحق الروح.. ويصم العقل بالعجز عن رؤية ما خلف ظواهر الأمور.. وأقصى ما فى وصمته تلك أنها لا تكفى بزلزلة الماضى بل تمد الخيانة أذرعها الأخطبوطية كي تحيط بالمستقبل وتحاصره ..

خيانة الزوجة مثل ذلك ويزيد عليه جرح فى الكرامة لا يلتئم ودمعة لا تهطل ولا تجف.. لأنها مكنونة فى القلب..

خيانة بعض من نفسك لنفسك أقصى وأقصى ..

عندما لا ترى عينك الحق فتغرق فى الهلوس البصرية.. فذلك أقصى من العمى..

وعندما لا تسمع أذنك الواقع لتستوه خلف ضلالات الأصوات لا صوت منها يهديك إلى الطريق.. بل الطريق سراب..

وعندما يئن عقلك تحت وطأة الجنون المحيط الناشب مخالفه فيما حولك وفيمن حولك.. فتعجز عن تبين العلاقات بين الأشياء.. وتتوه الروابط بين المقدمات والنتائج وبين الوسائل والغايات..

عندما تنهار العلاقة بين طرفى المعادلة : ( بما أن : إذن.. ) فلا تؤدى "بما أن" إلى "إذن" .. وتأتى "إذن" دون "بما أن" .. أما "بما أن" فإنها إما أن تؤدى بعد العناء والمخاض إلى سراب .. كحمل كاذب.. أو إلى عكس المتوقع تماما تماما..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

ذلك كله قاس.. فهل هناك ما هو أقصى؟..

نعم .. هناك الكثير الكثير .. حيث لا يفوق ضروب شقاء الإنسان سوى دروب حماقاته وصنوف خياناته ..

فلقد تناولنا فيما سبق ضربا واحدا من الخيانة هو خيانة الفرد للفرد .. وأقسى منها خيانة المجموع للفرد والفرد للمجموع ثم أقسى وأقسى خيانة المجموع للمجموع ..

هذا النوع من الخيانة أنكى .. لأن المصيبة الناتجة عنه تكون عامة والكارثة طامة ..

فخيانة صحيفة على سبيل المثال - لقارئها أشد وأنكى وأقسى .. عندما تنتشر الكذب ولا تبالى .. وتخفى الحق ولا تبالى .. وعندما تختفى مرجعياتها المطلقة وتتحسر إلى النسيب .. فالأمين على سبيل المثال - أمين لأنه حاكم وليس الحاكم حاكما لأنه أمين! .. والقول صدق لأنه يوافق الهوى أو كذب لأن القوى لا يرضى عنه .. إنها لا تنظر إلى ما قيل لكن إلى من قال .. ولا إلى ما حدث ولكن إلى من أحدث ..

خيانة أجهزة الدولة للأمة أقسى وأقسى .. عندما تتحول أجهزة الأمن من حماية أمن الأمة إلى حماية فرد واحد في الأمة .. وفي سبيل حمايته تنتهك أمن الأمة كلها ..

عندما يتحول جهاز الإشراف على الانتخابات إلى جهاز لتزوير الانتخابات ..

و جهاز الحفاظ على المال العام إلى جهاز للبحث عن الثغرات التي يمكن من خلالها نزع ثروة الأمة واستنزافها دون بصمات للمجرم الحقيقي فلا يطال القانون إذا ما صحا من غفوته أو استفاق من غيبوبته سوى أبرياء أو صغار لصوص ..

وجهاز العدل ..

ومجالس التشريع ..

وولى الأمر ..

و .. و .. و ..

نعم..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

لكن خيانة منها تفوق الجميع فى تأثيرها.. ألا وهى خيانة طبقة المثقفين للأمة..

كانت الأمة فى أشد الحاجة لنخبتها كى تشد أزرها بعد الهزيمة الحضارية الشاملة أمام الغرب.. كانت فى حاجة إليها لتعينها على النهوض والمواجهة والانتصار..

لكن النخبة خانت.. لتدفع أمتها من مواجهة عاجزة بعد الهزيمة إلى المهادنة إلى الاستسلام إلى القبول بعد التسليم والاستسلام بهيمنة أعدائها والسير فى الطريق الذى يخطونه لنا..

كانت الأمة تساق كقطيع من الخراف... كلما تقدمت خطوة نحو المجازر انهالت عليها عصى الحضارة الغربية الصليبية الصهيونية لتتقدم أكثر.. وكان من أعجب ما حدث أن المثقفين بدلا من أن يقودوا أمتهم للمواجهة قادوها للاستسلام.. لم يحاولوا وكان عليهم أن يحاولوا - فى سبيلهم لإعادة الحيوية إلى أمتهم تطويع الحضارة الغربية كى تدخل فى نسيج الإسلام - فأنى وجدت الحكمة فالإسلام أولى بها - .. لكنهم فعلوا العكس فراحوا يحاولون تطويع الإسلام لكى يتفق مع الحضارة الغربية.. فمسخوا كليهما..

خانوا..

والله خانوا..

وعندما فكروا فى الحرية على سبيل المثال لم يضعوا نصب أعينهم أن تكون هذه الحرية عبر صناديق الانتخاب وجهادهم أمام مؤسسات الحكم التى تمارس القهر والبطش والتزوير والتعذيب.. بل صبوا جل همهم وركزوا كل جهادهم على حرية تعرية المرأة لجسدها.. فكأنما كلما طال جلباب المرأة كلما انحسرت الحرية وكلما انحسر تحققت الحرية..

اختزلوا الحرية إلى الفوضى وانعدام الأخلاق.. وكان ذلك ضروريا كى يختزل السلام إلى استسلام..

بل لقد بلغ من سوء أمرهم أن اختزلوا مفهوم الثقافة نفسه من معناه العريض إلى معنى سوقى ومبتذل..

إن معظم المثقفين الذين يتصدرون الساحة الثقافية الآن لا يماثلون حتى نظراءهم في الغرب، بل يمثلون نتوءاً منهم وشذوذاً فيهم وقطاعاً صغيراً منحرفاً هو قطاع البوهيميين، فكانهم اختزلوا أوروبا كلها إلى الحي اللاتيني في باريس حيث العبث واللاجدوى والمجون والضياح والبدع لا الإبداع!.. هؤلاء هم الذين يشكلون الآن معظم واجهاتنا الثقافية.. وهم من يطلق عليهم مثقفو موجة الحداثة.

في كتابها الهام: "ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري" تجز "هيام الملقى" مبادئ تلك الفئة بأنها: الاقتحام والنفور من كل ما هو متواصل، والاستفزاز وإثارة الجدل، والتركيز على القضايا الأسلوبية الشكلية بدعوى النفاذ إلى أعماق الحياة، وأنها فن لتحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبنى رغبات الإنسان الفوضوية التي لا يحدها حد.

وليس هذا هو مفهوم الثقافة بمعناه الغربي ولا العربي.. فالمعنيان مختلفان..

ولكن ثمة تساؤل لابد أن نطرحه قبل ذلك:

سؤال يقول: من هو المثقف؟ أي نموذج يستوحى وأي مرجعية يعتمد؟..

وما هي مشروعية نقل مفهوم من حقل معرفي معين في بيئة معينة إلى حقل معرفي آخر في بيئة أخرى؟.

كلمة "مُثَقَّف" في العربية جاءت كاسم مفعول للفعل ثَقَّفَ بمعنى حذق. وهي بهذا المعنى بعيدة عما نعنيه الآن بكلمة مُثَقَّف، كما أنها بعيدة أيضاً عن المصطلح الأوروبي للكلمة: Intellectual.

لقد بدأ استعمال كلمة الثقافة في فرنسا منذ أكثر بقليل من مائة عام في قضية دريفوس الشهيرة عندما انقسم الناس إلى فريقين معه وضده، وكان إميل زولا يتزعم فريق المؤيدين لدريفوس فأصدر بياناً بعنوان بيان المثقفين ومن ثم بدأ استعمال الكلمة. لتستعمل بعد ذلك استعمالاً ارتدادياً يبدأ منذ القرن الثاني عشر حيث يشهد معظم النقاد الأوروبيين ونذكر منهم على وجه الخصوص: لوكوف ودي ليبرا - بأن الثقافة الأوروبية بدأت في ذلك الوقت نقلاً عن وبسبب الاحتكاك مع العرب.

في العصر الحديث وضع كارل ماركس شرطين للمثقف، الشرط الأول أن يكون راغباً في الكشف عن الحقيقة، والشرط الثاني أن يقوم بنقد

صارم لكل ما هو موجود صرامة تحول دون تراجع النقد أمام النتائج التي يقود إليها هو بنفسه وأمام السلطة أيا كانت.

أما الدكتور محمد عابد الجابري فيعرف المثقف بأنه ضمير أمته، ولا مناص من أن يعتب بأنه شخص يثير العراقيل والفتن، من طرف الطبقة المسيرة التي تعمل على الحفاظ على الوضع القائم.

إن شروط ماركس وتعريف الجابري تستبعد من تعريف المثقفين جل من يسمون أنفسهم بالمثقفين في مجتمعاتنا العربية، فلا هم يسعون إلى الحقيقة ولا هم يدفعون تبعات ذلك السعي ولا هم ضماير أمتهم..

ما ينطبق عليهم بعد أن انحصرت واجباتهم في القيام للحاكم بدور أدوات الهيمنة - هو تعريف هيام الملقى<sup>١</sup>.

كنا قد هُزِمنا نهائياً منذ قرنين على الأقل، وكان المثقفون هم أشد من انهزم، فالمستعمر حين قدر علينا اصطفي الخونة واستبعد المناضلين، تماماً كما فعلوا في مصر عام ١٨٨٢ عندما صادر الإنجليز أملاك الأبطال الذين قاوموهم وحاربوهم ليوزعوها على الخونة الذين ساعدوهم وأيدوهم، حاصروا المجاهدين فأسروهم وسجنوهم وولوا مقاليد الأمور لمن باع لهم الوطن، على مستوى السياسة والمال والثقافة، بل على مستوى كل شيء، ولم يكن ذلك مجرد مكافأة لخائن، بل كانت الرغبة في إعلاء قيمة الخيانة وتجريم قيم النضال، وهذا هو الإرث الذي توارثته أنظمتنا ولما نتخلص منه، كانت خطة الغرب المتمثلة في الاستشراق والتبشير والاستعمار<sup>٢</sup> قد نجحت، وكان عليه أن يسلم الرسالة إلى أبناء الوطن الذين مرقوا من الدين وباعوا الوطن كي يكملوها عن طريق الثقافة والإعلام والتعليم. ولم يكن هذا الاختراق مقصورياً على مصر، لكنهم ركزوا جل جهدهم عليها، تماماً كما ركزوا جل جهدهم العسكري على تركيا وكان الإسلام هو الهدف، وكانوا قد أدركوا أن العربي الذي يرفض ما يقوله المستشرق الفرنسي سيقبل ما يقوله المبشر محمد أو على أو طه ..

١ - ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري. هيام الملقى. دار الشراف. الرياض.

٢ - راجع: شمس العرب تسطع على الغرب: زغريد هونيكه. دار الأفاق الجديدة. ط ٩ تاريخ الجبرتي مطبعة الأنوار الحمديّة- الاستشراق. إدوارد سعيد. مؤسسة الأبحاث العربية- المشروع النهضوي العربي. محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية- سنوات المتاهة. الصافي سعيد. الناشر: نقوش عربية وسينصاد- الاستشراق والتبشير. د. محمد السيد الجليلي. دار قباء- الأمة العربية إلى أين: د. محمد فاضل الجمالي. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع- تعريب العالم الثالث. الدكتور كمال التابعي. دار المعارف- مصر وكيف غُدر بها. ألبرت فارمان. الرهراء للإعلام العربي.



نعم.. قبل مائة عام لم تكن توجد فى اللغة العربية كلمة مثقف، وكان معنى المصطلح ينطبق على فئات كثيرة منها العلماء والشيوخ والفقهاء والأدباء والنحاة والكتاب.. وكان معظمهم من الدارسين فى الأزهر منارة الثقافة والأدب.. وفى إطار عملية الغزو الفكرى تم الأمر بتؤدة شديدة وفى إطار مخطط شامل.. نفس المخطط الذى جعل اليهود يستوطنون فلسطين فى البداية فرادى على استحياء ثم فى غضون نصف قرن يحلون محل الشعب الفلسطينى كله بعد طرده من بلاده .. على مستوى الثقافة حدث نفس الشيء.. إذ زرع بين علمائنا وفقهائنا وأدبائنا وشعرائنا الذين يمثلون ثقافتنا الحقيقية.. زرع بينهم من انحرفوا بالفكر العربى والإسلامى عن توجهاته.. وسلطت عليهم وسائل الإعلام التى اعتبرتهم رموز التنوير.. وشيئا فشيئا بدأ إقصاء المثقفين الحقيقيين لينتهى الأمر الآن فى معظم عالمنا الإسلامى إلى دمج اتجاههم كله بالظلامية والإرهاب والانغلاق.. وأصبح الأزهر ومن يؤمن بما يمثله رمزا للجهل والخرافة ووكرا لأعداء الثقافة!! .. أصبح الأزهر بما يمثله كذلك.. وأصبح تلاميذ زويمر وصبيان دنلوب وجوه الثقافة الرسمية ورواد التنوير..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

لكن الأقسى أن يخونك من تتوقع منه العون..

ولقد كان فى طليعة فرق الخيانة بعض المثقفين..

قلنا أن مفهوم كلمة " الثقافة " جديد على الحضارتين الإسلامية والغربية، وأن الفعل العربى "ثقف" لا يعطى المعنى المقصود، وربما كانت كلمة " أدب " أو متادب تعطى معنى أقرب لمفهوم المثقف بمعناه الشائع..

وهنا نلاحظ اختلافا آخر بين المفهوم العربى والمفهوم الغربى..

فقد ارتبط الأدب فى الحضارة الغربية منذ القدم بالكتابة وما يمكن أن نجده فى كلمة مثل Literature المشتقة من كلمة Letter بمعنى حرف أو رسالة. أما المصطلح العربى : أدب فليس له هذه العلاقة الدلالية أو الاشتقاقية، إنما يعود إلى التهذيب والكرم وحسن الضيافة (ومنها المآدب التى يتم فيها إكرام الآخرين) ، وكان ذلك يتصل بالعتاء ويتوسيع مدارك الفرد وصقل مواهبه وتهذيب سلوكه إما مشافهة أو كتابة.. وذلك المفهوم يعطى نشأة أخلاقية للأدب تجعل سيره الطبيعى فى اتجاه الخلق والخالق رغم أنف الحداثيين-!.

ومن هذا المعنى نقرأ: أدبنى ربى فأحسن تأديبى..

نعم.. الأدب وهو وجه من وجوه الثقافة يرتبط فى الحضارة الغربية ارتباطا مجردا بالكتابة .. فى حضارتنا العربية يختلف الارتباط فهو يتعلق أساسا بالسمو الروحى والنفسى..

الذين يتصدرون ساحاتنا الثقافية الآن يتبنون المفهوم الغربى.. تساعدهم وتبرزهم آلة إعلامية ضخمة مخترقة حتى النخاع.. ويجهل هؤلاء وأولئك أنهم يتحولون إلى معول لا يهدم ثقافة أمتهم فقط .. بل يهدم الأمة كلها..

نعم.. يفعلون ذلك دون أن يدركوا ..- وربما يدركون كى تكون مرارة الخيانة أعتى أن الغرب يستعملهم كسلاح دمار شامل سرى يقوض به بنيان أمتهم..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

فى عدد ٢٨/ سنة ٢٠٠٠ من أخبار الأدب المصرية وهى مجلة التنويريين رواد التغريب فى مصر، ولا يتجاوز توزيعها ٧٠٠ عدد أسبوعيا- نشرت مها عبد الرؤوف تحت عنوان : "المخابرات الأمريكية وزارة ثقافة العالم" .. تستشهد فيه بكتاب الكاتبة البريطانية: "فرانيس ستونز": " المخابرات الأمريكية والحرب الثقافية الباردة" وفيه تكشف أن المخابرات الأمريكية قد خططت لكى تكون هى بنفسها وزارة ثقافة العالم، وقد اعتبروا هذا المخطط هو المشروع التالى بل والأهم من مشروع مارشال الشهير، وبهذا المشروع تمكنت المخابرات الأمريكية من أن تجعل من نفسها وزارة ثقافة العالم، فأصبحت تفرض سطوتها على الأدب والفن والموسيقى والفن والسينما ، ولقد مارست ذلك دون أن يشعر الرأى العام بشىء. فى نفس الوقت، بل وربما قبله كانت المخابرات السوفيتية تقوم بنفس الدور. وتقول الكاتبة الإنجليزية أن هناك الكثيرين من الشعراء والكتاب والفنانين والمؤرخين فى أوروبا ما بعد الحرب العالمية قد استعملوا كأسلحة سرية للمخابرات الأمريكية، ولم يظن معظمهم إلى ذلك.

فعلت الولايات المتحدة ذلك عن طريق مجلس الحرية الثقافية وكان مقره الرئيسى فى باريس وكان يمول باعتمادات لا حدود لها. وكانت مهمته الرئيسية هى التغريب والغزو الفكرى.

فى كتاب آل شاتيليه: "الغارة على العالم الإسلامى" يصف كيف وضع العالم الغربى العالم الإسلامى داخل أسلاكه حيث أحكم حصاره كى يحول دون تحرك فعالياته الثقافية..

يترتب على ذلك أن المثقفين المستغربين فضلا عن أنهم ليسوا مثقفين لا بالمفهوم الغربى ولا بالمفهوم الإسلامى - ليسوا هم الذين يمثلون الأمة ، لقد انفصلوا عن أمتهم وانفصلت أمتهم عنهم، تغربوا فاعتربوا.

ولقد نشرت صحيفة الأسبوع المصرية مؤخرا تقريراً صحفياً عن توزيع كتب هذه النخبة المثقفة المستغربة، وكانت أقوال الناشرين مذهلة، فمعظم كبار كتاب هذه النخبة المثقفة لا توزع كتبهم على الإطلاق، قال ناشر أن كتاب واحد من أساطينهم قد وزع ثلاث نسخ، وقال الآخر أنه يتحدى أى واحد من تلك النخبة المفروضة على الأمة أن يتجاوز توزيع أى كتاب له ٣٠٠ نسخة..

ولو أن الأمر ترك لآليات المجتمع والثقافة دون تزوير لسقط أفراد هذه النخبة المثقفة على الفور.. تماماً كما سقط جيش أنطوان لحد فى جنوب لبنان بعد أن تخلت عنه إسرائيل - على العموم فإن هذه النخبة المستغربة ليست سوى جيش أنطوان لحد آخر مزروع فى قلب الأمة الإسلامية- لكن أعداء الأمة قد وجدوا حلاً لاغتراب نخبتهم عن الأمة وانصراف الأمة عنهم، وفى الصحف الحكومية، ومعظم الصحف فى العالم الإسلامى حكومية بصورة أو بأخرى، فيها متسع لهؤلاء المفلوظين من أمتهم، فيها - كما فى التلفزيون والمؤتمرات - متسع لفرضهم فرضاً وإقصاء غيرهم ممن يملكون فكراً يمكن أن يتفاعل مع هذه الأمة..

يبقى تساؤل مهم، كيف تكونت تلك النخبة، وما هى القوة أو القوى التى دفعتها لمراكز الصدارة، ليس فى مصر فقط، بل فى العالم الإسلامى كله، إن الأمر بالغ التعقيد، وهو يحتاج بحثاً مستفيضاً لا يتسع المجال له، ولكننا نثبت فى عجلة، متخذين مصر كمجرد مثال، رغم أن مصر بالذات قد واتها بدايات ثورة ٢٣ يوليو فرصة سانحة للتخلص من التركيبة الاجتماعية والثقافية واستبدالها.. تلك التى بدأت فى النمو مع محمد على ثم أمتهما الاستعمار باستبدال كامل للنخبة منذ عام ١٨٨٢، إلا أن هذه الفرصة سرعان ما انتكست، وفى مثال مصر -

والدول الأخرى ستتفق فى النتيجة وإن اختلفت التفاصيل- سنرى أن معظم المسيطرين على الساحة الثقافية الآن دخلوا السجون فى الستينيات، دخلوها بعد أن كفر معظمهم بالله وأمنوا ببلينين وماركس ، فى السجون تعرضوا لتعذيب وحشى أهدر الباقي من آدميتهم، وعندما خرجوا منها كانوا قد أضافوا إلى كفرهم بالله الكفر بالوطن وبكل القيم الإنسانية إلا من رحم الله وعصم- وتعلموا درس الشيطان، وتمحورت حياتهم كلها بعد ذلك حول ضرورة التماس حماية محلية أو أجنبية ، حماية تجنبهم التعرض للتجربة المدمرة مرة أخرى، ولسوء الحظ أنهم صادفوا وضعا بانسا للحكام، الذين لم يكونوا أقل منهم حاجة للعون. كان الحكام بين مطرقة غرب غاصب وسندان شعب غاضب، وهنا جاء دور المنقذين الذين تختارهم السلطة ليقوموا بدور المحلل فى زواج باطل مشكلين درع الحماية للسلطة، متعامين عن الكبائر، مغرقين الأمة فى قضايا وهمية والأمة تنزف، يحدث ذلك برضا السلطة ومباركتها، حتى لو ارتفعت أصواتهم فى الظاهر بالمعارضة. وثمة تساؤل مُنعت الأمة من طرحه طوال عصور التزوير أقصد التتوير :- وهو: هذه النخبة المثقفة التى تسيطر على مجتمع مسلم، هل هى مسلمة حقاً؟ إننى هنا لا أتحدث عن الكبائر والموبقات، لا أتحدث عن الخمر والزنا والسرقة والغش والكذب، لا أتحدث حتى عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، لا أتحدث عن ذلك رغم أننا لو تحدثنا فيه لكانت النتيجة فاجعة، ( لن نتحدث الآن عن تقبلهم لكشف فضائح كلينتون إذا تم بمعيار علمانى، ورفضهم للمثيل إذا تم على أساس دينى) فالتساؤل الجوهرى: هل هذه الفئة مسلمة؟ هل ما زالت تؤمن بالله؟ وهل تؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله؟ أم أنها تتبنى وجهة نظر الغرب أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وألف القرآن (أستغفر الله العظيم).

إن الأمر ليس تفتيشاً فى الضمائر ولا شقا عن القلوب، نعم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. لكن كيف يعقل أن يحدد الكافر للمؤمن حدود الإيمان وأن يفسر له القرآن؟!.. فليجهروا بالكفر، سنقبل ذلك منهم، ليدعوا إلى كفرهم كما يشاءون فى ساحة فكر حرة، أما أن يقودوا أمة مسلمة فألف كلاً.. ذلك أن قيادتهم لأمة مسلمة ليس خطيئة دينية فقط، بل جريمة أمن قومى ووطنى، تماماً كما لو جئنا على سبيل المثال بلبيرالى ليقود حزبا شيوعيا، أو بماركسى ليتزعم حزبا ليبراليا ، بل إن الأمر أشد وأخطر، فهو يشبه أن نأتى بصهيونى كى يقود جيشنا.

الأزمة باختصار شديد فى فئتين من المجتمع، المجتمع المهزوم هزيمة مروعة، فئة ضئيلة استسلمت للهزيمة ورأت فى حضارة قاهرها مثلها الأعلى، وفئة أخرى تشكل القطاع الأوسع من المجتمع ترى العكس، أن سبب هزيمتها لم يكن تفوق العدو بل تخليها عن ثوابتها وأهمها الدين. كان من الطبيعى أن يدعم العدو المنتصر الفئة الأولى لينتشر منها بطريقة بالغة التعقيد نخب السياسة والثقافة بل وبعض رجال الدين المتحالفين مع الدولة. وأن تُحاصر الفئة الثانية حصاراً مزدوجاً، حصاراً من العدو البعيد وحصاراً آخر من النخبة المتسلطة، ولقد تم ذلك فى غيبة كاملة لأسس حوار موضوعي، وفى افتقاد كامل للديموقراطية أو أى آلية تمنع الصدام والانفجار. كل القنوات مسدودة، سيادة التزوير لا سيادة القانون، ثم أن القانون الذى ساد بديلاً عن الشريعة والقانون السماوى ليس حتى القانون الوضعي، وإنما هو اللا قانون إن صح التعبير، واللا قانون هذا أسوأ حتى من قانون الغاب الذى يعيش فيه الأقوى والأصلح بينما فى اللا قانون لا قاعدة. ولا يمكن أن يتوازن مجتمع تتحكم فئة قليلة فى توجهات الأغلبية بالقهر والتزوير والجبروت.

تلك هى المشكلة.. والأزمة..

نعم ، الفئة الأصغر سيطرت وقهرت تحميها ترسانات من القوانين والسلاح وأجهزة الإعلام وآلات التعذيب.

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

إن الأمة تكتشف الآن أن جل نخبتها المثقفة أشد سوءاً من أسوأ الحكام، وأنهم مهما ادعوا وأبدوا من استكبار ليسوا سوى أدوات للسلطة، وأن معظم من يسمون أنفسهم بالمتقنين على اتساع عالمنا الإسلامى، ليسوا سوى جناح للسلطة يوازن جناح الأمن البوليسى الباطش، وأن وظيفة الجناحين واحدة، التعذيب والتزوير والتزييف والقهر ومحو الهوية والتمايز، وإطفاء نور الله، نعم، جناحان تسقط بدونهما أى سلطة فى عالمنا الإسلامى، جناح يمارس سلطته على الجسد، وجناح يمارس سلطته على الروح.

٥٩- بعد إغلاق صحيفة الشعب اطمأن الذين فى قلوبهم مرض أننا لن نستطيع الرد عليهم فتضاعفت مساحات ما ينشرونه من كذب وتشويه

وقلب للحقائق، وكان يجب على أن أبحث عن طريقة للرد. لكن الصحف المتوازنة كالوفد اعتذرت وكان موقف الدكتور نعمان جمعة جزءا من المعادلة، والصحف الإسلامية اعتذرت أيضا بعد أن رأت أن الدولة قد كشرت عن أنيابها يمكن أن تغلق صحف الاتجاه الإسلامى جميعا، الصحف والمجلات الحكومية كانت تقرب ما نقول وتزييف الحقائق، رئيس تحرير الحقيقة جرو على النشر لى فعاتبوه بشدة، فى المرة الثانية حذف نصف مقالى إكراما لهم فعاتبته وأخطرت به بأننى لن أكتب له مرة أخرى، وفى الأسبوع التالى وبرغم أن العدد كان خاليا من اسمى ذهب لطبع فى مطابع الأخبار كالعادة فرفضوا، فذهب إلى الأهرام وقوبل بنفس الرفض، وعجز عن طباعة العدد، وكان هذا هو عقابهم له على النشر لى.

كتبت بيانا وأرسلته إلى معظم الصحف، ما من صحيفة نشرته. كنت أفهم أن الصحف المصرية تفعل ذلك مجاملة لاتجاه فى الدولة، لكن ماذا عن الصحف العربية؟ خاصة تلك التى تصدر فى لندن؟ وهل بلغ الاختراق العلمانى هذا المدى؟.

كل تلك الصحف أيضا كانت تتلمظ على نشر تصريحات العلمانيين لكن معظمها نكصت عن نشر بيان الأزهر، وتلك التى نشرته نشرته مبتورا مشوها، وأظن أنه ينشر للمرة الأولى كاملا فى هذا الكتاب.

و إزاء هذا الحصار نشرت هذا البيان على شبكة الإنترنت ، وهو بيان يصلح أن يكون خاتمة هذا الكتاب:

## الخاتمة

### بيان للأمة..

تعب القلب يا أمة.. حزن القلب.. صُدم القلب..

كنت أعد كتاباً مادته عن الغزو الثقافي والتغريب وخيانة نخبة المثقفين، عندما انفجرت عاصفة "جمعية المنتفعين بوزارة الثقافة" ضد الاتجاه الإسلامي الذي يشكل الأغلبية المقموعة أو المقهورة أو الصامتة؛ حيث شنوا أشرس وأكذب حملة شهدتها الصحافة المصرية، وذلك بعد أن كشفت في مقالات أربعة سوءاتهم بقيام وزارة الثقافة المصرية التي تسيطر عليهم ويسيطرون عليها بنشر رواية تسيء إساءات سافلة إلى الذات الإلهية والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم..

كنت أعد الكتاب فإذا به كبحت نظري طويل عن وعي الأمة النازف من ثغوب ذاكرتها.. فإذا بهذه القضية تأتي كمثل تطبيقي يوضح خطورة ما ذهبت إليه وصحته..

كان أداء السلطة عيباً ومتريداً ومتناقضاً فما أن أخذوا عندما فضحنا مكرهم السيئ حتى أعلنوا مصادرة الكتاب الملعون ثم عادوا إلى شياطينهم فصرخوا أن الكتاب لم يصدر لكنه لن يطرح مرة أخرى ثم قالوا أنهم شكلوا لجنة للتحقيق في ملابسات نشر الكتاب ثم عادوا ليقولوا أن مهمة اللجنة أن تشرح للناس ما في الكتاب السافل من إبداع ثم قالوا أن الكتاب الملعون لم يصدر في بلد عربي واحد فإذا به مصادر في معظمها وإذا بهم أنفسهم يقرون بذلك على صفحات مجلاتهم وعلى ألسنة نقادهم بل على لسان كاتب الكتاب الملعون نفسه الذي أقر أنه ظل ١٢ عاماً ينشر الكتاب على حسابه ويوزعه كالمخدرات. ثم عادوا ليصرخوا بعد أسبوع - في أهرام الجمعة التالية لكتابة مقال - أن الكتاب الملعون صودر

١ - نشر هذا المقال على شبكة الانترنت بعد أن رفضت نشره العديد من الصحف، كذلك نشر على موقع الشعب على الإنترنت، ثم قامت صحيفة الحقيقة بنشره، وكان سبباً في إلغاء طباعة عدد أسبوعي لها.

ثم عادوا فى أخبار الأحد ليقولوا أن الكتاب لم يصادر فانفجرت المظاهرات مساء الأحد..

أما اللجنة العلمية التى شكلها الوزير فقد كانت لجنة الأشقياء التى خانت أمانة الكلمة .. وكفى لنا منها أنها اعتبرت العمل الملعون إبداعا - دعنا من الشطط الأبله الذى رآها عملا دينيا- بينما اعتبر تقرير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفضيلة الشيخ يوسف القرضاوى واللجنة الدينية بمجلس الشعب وجمهور الأمة أن من يعتبر هذا العمل الملعون إبداعا فقد كفر.. لقد قامت اللجنة الموقرة بإعراب الجملة إعرابا إنجليزيا، بعد أن ترجموا كلمة : " خراء " على أنها تعنى التعبير الدارج الأمريكى: Shit ، لأن الإعراب بالعربية يجعل تفسيرهم كارثة ، فعدم وضع النقطة يجعل كلمة الخراء- أستغفر الله العظيم- صفة للقرآن، أما بعد وضع النقطة فإن الكلمة تعود لا على القرآن فقط، بل على القرآن وآله البدو أيضا..

ونسى الجميع كل شئ .. وتجاهلوا كل محذور إلا محظورا واحدا توهموه.. هو أنه ممنوع أن تتواصل العلاقة بين كاتب وقرائه إلى الدرجة التى تشتعل فيها المظاهرات بسبب مقالة..

كان هذا هو المحذور .. لم يكن الاجترار على الله محظورا..

ولم يكن تشبيه القرآن بالخراء ( غفرانك اللهم) محظورا.. ولا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم محظورا..

ولا كان ارتكابهم لجريمة نشر عمل يحوى كل هذه البذاءات والسفالة ثم تناقضهم الغبى وترددهم العيى هو سبب المظاهرات.. أطلقت على أجهزة وزارة الثقافة كل منفعيها.. تعب القلب يا أمة.. حزن القلب.. صُدِم القلب..

فما كنت أحسب أبدا أن كل هذا الكذب والباطل والانحراف قد سيطر على توجهات نخبتنا المتففة الطافية على سطح المجتمع كما يطفو السمك الفاسد على سطح الماء إلى كل هذا المدى..

حاولت معظم صحف بلادى كل ما تستطيع لتشويه موقفى، ونشر الأكاذيب عني، فما من صحيفة منها أجرت حديثا معي إلا شوهته، ونسبت إلى فيه ما لم أقل، حتى لقد اتصل بى صحافى ممن أجروا معي حوارا وهو يبكى ليقول أن رئيس تحرير صحيفته نحى الحوار الذى أجراه جانبا ليكتبه هو من البداية. وليملأه بالأكاذيب. صحافى آخر اتصل معتذرا، فهو يعرف الحقيقة لكن رئيسه استكتبه باطلا فكتب. لقد بدا معظم من تصدى



للمملة- حملة الإفك- مجرد كومبارس يلقنون الأدوار وتكتب لهم المقالات.. ثم تعاقب السلطة المهيمنة من يصيب أو يصدق وتجزل العطاء لمن يخطئ أو يكذب.. وتلك كارثة أظنها تنخر كالسوس في صحافة بلادنا حتى نخاعها ثم تنتقل عدواها إلى كثير من صحفنا العربية. وعلى الرغم من أنهم يحررون ثلاثين مجلة وصحيفة جندوها كلها للهجوم علينا، على الرغم من ذلك طالبوا بإغلاق صحيفة الشعب.. عندما أدركوا أنها وحدها بعون الله كانت قادرة على كشف باطلهم.

حاولوا النيل مني عن رواية قصر العيني، ولم تكن الرواية مشكلة لإفني قلوب مريضة تريد تشتيت انتباهنا وانتباه الأمة عن جريمتهم الكبرى، كانوا هم الذين نشروا على استحياء ( على لسان الكاتب الكبير الأستاذ محمد عبد القدوس) أن المستشار مأمون الهضيبي قد قرأ الرواية ولم يجد فيها ما يعيب ومع ذلك لم يخلوا، ولو كان لديهم أي ثقة في جدارة هجومهم بأي مصداقية لنشروها كاملة في إحدى صحفهم الكثيرة، لكنهم يدركون أن كذبهم الفاجر سينكشف حتما لوقرأ الناس الرواية، لذلك سودوا من الصفحات في الهجوم عليها أضعاف الرواية نفسها.

حاولوا أن ينسبوا إلى زورا أنني اعتذرت عما كتبت، وذلك لم يحدث أبدا، ما حدث أنني قلت أن مرجعيتي الإسلامية تجعلني أتوب عن الذنب حين أذنب، ولقد أثمت حين تعرضت للأبءاء، وأسئغر الله عن ذلك، أما الأبناء فربما لا يكون أحدهم جديرا بأن أعتذر له ولو عن أبيه.

لم أراجع قيد أنملة عن موقفى من كفر الرواية، وكيف أترجع إذا كان بيان الأزهر أشد حدة من موقفى فى نقد الرواية الكافرة، حين ذهب أن الكفر لا يقتصر على الرواية بل يمتد إلى كل من يعتبرها إبداعا، وهذا ما لم أجزأ أنا على قوله !!..

ولو كان الأمر يتعلق بشخصى لاحسبت وصبرت.

لكنه يتعلق بموقف نخبتنا المثقفة الظاهرة على السطح، والمتحكمة فى مقاليد الثقافة والإعلام.. ليس موقفها منى.. بل موقفها من الإسلام.. ومن الغزوة الثقافية الهائلة التى تروم محو هويتنا وديننا .

كان مذهلا على سبيل المثال أن معظم هذه الصحف - التى أفرد بعضها أكثر من نصف حجم صحيفته للموضوع- قد تجاهلت تماما بيان الأزهر عن الرواية المنكودة. وأسوأ من ذلك ما قيل، من أن تنبيهات صدرت إليها بذلك. البعض الآخر لم يتورع عن مهاجمة الأزهر ذاته.

وتدنى البعض إلى درجة لا يمكن تصورها فى هجومه على فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى لتأييده لما ذهب إليه المجمع الأعلى للشئون الإسلامية من كفر الرواية، بل وكفر من يرى أنها إبداع. لم تهتز لواحد منهم شعرة وهو يواجه - حتى ولو كمجرد احتمال - أن يكون موقفه كفرا.

كان المثقفون الرسميون فى بلادنا هم الذين تولوا توجيه الاتهامات الأمنية إلينا.. فأسفروا عن وجههم وكشفوا أنفسهم.. وحتى فى ذلك فقد كانوا مخبرين فاشلين لم تأخذ أجهزة الأمن بلاغاتهم على محمل الجد.

ولقد كان من المضحك المبكى على سبيل المثال أن اللواء فؤاد علام عندما سئل عن مظاهرات الأزهر قد استبعد احتمال التخطيط أو الاستغلال فذلك كان سيترتب عليه نشوب المظاهرات فى عدة جامعات فى نفس الوقت، وفسر اللواء ما حدث بأنه رد فعل طبيعى من طلاب الأزهر، لكن كتائب الصحفيين بقيادة صلاح عيسى وجمال الغيطانى - ولنا ندرى قدر خبرتهم الأمنية - راحا يؤكدان طول الوقت فكرة المؤامرة.

كذبوا طول الوقت، حولوا القضية من قضية إيمان أو كفر إلى قضية إبداع أو مصادرة.. تجاهلوا مواقفى فى الدفاع مثلا عن إبداع سعد الله ونوس عندما هوجم، بل عن السفه علاء حامد عندما اعترضت على الإجراءات الأمنية التى اتخذت ضده. تجاهلوا أيضا أنه عندما تعلق الأمر بحقوق الإنسان فقد كانت صحيفة الشعب - وليست الأهرام - هى التى دافعت عن كاتب كبير بالأهرام انتهكت حقوقه وزورت التهم له.. وهو الدكتور محمد السيد سعيد.. وعندما تعلق الأمر بالإبداع فقد كنا نحن - وليس أى واحد من المدافعين عن البذاءة والسفالة التى يدعونها بالزور والكفر إبداعا - الذين تصدينا للدفاع عن الشاعر الكبير محمد عفيفى مطر.. حين تجاهلت كل اللجان العلمية وكلاص الصيد المفترسة ديوانه: "احتفاليات المومياة المتوحشة" والذى يصف فيه كم العذاب المروع الذى تعرض له.. كنا نحن الذين تصدينا لذلك وأفردنا مقالات طوال دافعا فيها عن الإبداع وعن حقوق الإنسان عندما خرست الشياطين.

لا يقتصر الأمر على ذلك.. فقد كنا نحن الذين سلطنا أكبر قدر من الضوء على عبد الرحمن منيف حتى نال جائزة الإبداع من مصر.. وكنا أيضا من سلط الضوء على من تخشى الشياطين الخرس من مجرد ذكرهم كالشاعر مظفر النواب والشاعر أحمد مطر وكثيرين وكثيرين.. إذ يبدو أن نقادنا الأجلاء لا يعتبرون الكاتب مبدعا إلا بعد أن يحصل على ترخيص من وزارة الثقافة.. أو بعد أن يتجرأ على الذات الإلهية!!!

كنا ندافع عن الإبداع الحقيقي وكانوا هم من شفاء مخمورة وأرواح نجسة وعقول مخصصة يدافعون عن الكفر والعهر..

وكنا نحن الذين ندافع عن حقوق الإنسان في أرجاء عالمنا الإسلامي بينما كانوا هم مشغولين بتقديم المبررات للسلطات تسويغا للقهر.. وتحليلا للحرام وتحريما للحلال..

يلخص فكرهم كله: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف..

يلخص فكرهم كله: الحق هو القوة والسعادة هي اللذة والصدق ما تستطيع بألة الإعلام الجبارة الكاذبة أن تنشره..

نعم..

لم يكن الأمر أمر إبداع إذن بل أمر كفر وعهر..

كذبوا طول الوقت، فلم يكن اعتراضنا على رواية أو كتاب وإنما على أن تقوم وزارة الثقافة التي تربي وجدان أجيال بنشر الكفر والعهر..

الزنا والمخدرات موجودة في كل مجتمعات الدنيا، لكن فرق بين أن توجد كاستثناء يحاربه المجتمع وبين أن تشجعه وتدعمه مؤسسة من مؤسسات الدولة.

كذبوا طول الوقت، ورغم استعدادنا الدائم لتقبلهم ومواجهتهم بالفكر والقلم إلا أنهم أثبتوا أنهم استتصاليون لا يطبقون أى اختلاف معهم، رضينا بكفر أفكارهم، فهذا ما يحاسبهم الله عليه، لكنهم لا يرضون بإيماننا ويريدون استئصال شأفة كل من يقدر ربه ودينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإسلام عندهم إرهاب .. الإسلام عندهم هو الإرهاب الذى يملئون الدنيا صراخا مستجدين بالشياطين أن تنقذهم منه تدعهم فى دعاوهم كل شياطين الغرب..

كشفت النخبة المثقفة الظاهرة نفسها، ووضعت النقاط فوق الحروف، وأنها فى غالبيتها لا تتجاوز كتائب رجال الأمن الفكرى المسند إليهم قمع الفكر تماما ككتائب رجال الأمن البوليسى المسند إليهم قمع الفعل، وقد يكون للأخيرة شرف فى أداء واجبها- رغم التحفظات- أما بالنسبة للأولى فلا شرف، بل عار خيانة الأمة - فضلا عن عار خيانة الله ورسوله.

نعم. لقد بدوا وكأنهم تكرر فاجع لجيش جنوب لبنان العميل، عدو أمته على الصوت خافت الضمير خائن الأمة والأمانة. وإنا مع الأمة لمنتظرون تلك اللحظة التي يفئ فيها علينا نصر الله لنشهد انهيارهم الفجائي.. تماما كانهيار جيش أنطوان لحد .. تلك اللحظة التي يعترف فيها كل منهم.. لماذا هان.. ولماذا خان.. ومن كان يحركه.. ومن كان يدفع له..

هذا الفصل الفكرى الطافى على مجرى النهر فى بلادنا لم يشن فى تاريخه حملة فى عنف وعمق وسعار الحملة التى شنّها علينا لأننا ندافع عن ثوابتنا الدينية..

هذا الفصل الفكرى الذى لم يهتم أبدا بحقوق الإنسان إلا إذا كان هذا الإنسان شيوعيا أو يجترئ على الدين، لم يهتم أبدا بمواجهة المشكلات الهائلة التى تعاني منها أمتنا الإسلامية، فى صراع يكاد يمحو هويتها، لتسقط لقمة سائغة بين أنياب المتربصين، هذا الفصل الذى أضله من يضل الظالمين يرى التنوير فى التخريب والثقافة فى الغزو الفكرى، والانفصال عن منابعنا وقطع جذورنا، وما ذلك إلا مؤامرة على الدين والأمة، بل وعلى القومية والأوطان.

إن أى عاقل - لا يلزم أن يكون مثقفا - يدرك أنك لكى تهدم أى مجتمع عليك بهدم ثوابته الدينية والخلقية، أبدا بالكفر، ثم متعهم بالعهر، وبعد ذلك لن تجد مجتمعا بل شرادم ناس..

هذه الشرذمة التى تسود حياتنا الثقافية مدعومة من أعداء الأمة.. لأنه عندما ينتشر الكفر والعهر فسوف يكون التطبيع مع إسرائيل محصلة طبيعية.. لا لنكون لهم أندادا بل عبيدا..

ما الفرق بين هذه النخبة الفاسدة المنحرفة من المثقفين وبين تلك الفئة الضالة من شبابنا والتى ألقت الشرطة القبض عليها.. فئة عبدة الشيطان.. وهى الفئة التى ما لبثت الشرطة أن أفرجت عنها دون عقاب أو حتى عتاب.. بينما الشباب المسلم فى السجون والمعتقلات يسام سوء العذاب.

ما هو الفرق.. أعتقد أن الإجابة : لا فرق..

نفس الوضع. ونفس الموقف الرسمى المتسامح حتى التفريط مع عبدة الشيطان والبالغ القسوة والوحشية مع الإسلاميين.. نفس الوضع حدث معنا فى قضية الوليمة.. لم تغضب السلطات الله .. بل غضبت لوزير هنا

أو مسئول هناك.. لم تسل سيفها على أعداء الله بل أطلقت الرصاص على من يدافع عن لا إله إلا الله ..

لقد كانت هذه الهموم هي مادة الكتاب الذي يطبع الآن ويجمع ويجمل أكثر من خمسين مقالا نشرت في صحيفة الشعب المصرية قبل انفجار عاصفة الشيطان .. حتى لقد بدت الأزمة حين نشرت ليست إلا مثالا عمليا على ما ورد في الكتاب من فكر نظري.. وبدت تأكيدا على صحة كل كلمة كتبت فيه..

يا أمة.. أعرف أن المجال لا يتسع.. لذلك أوجز مؤكدا ثوابت موقفي:

- الله يعلم - وهم أيضا يعلمون لكنهم يكذبون: على الأقل عن طريق اتصالاتهم الأمنية وخبرتهم الصحفية - أن الحملة التي بدأتها كانت خالصة لوجه الله ولم يكن لها علم الله وشهد أي بعد سياسي، ولم يسبقها أي تخطيط، أو حتى اتصال مع أحد وإنما كانت انفجارا في القلب من فرط ما وجدت من إساءة للذات الإلهية والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أيضا، أنني كتبت في العام المنصرم خمسين مقالا - كل مقال صفحة كاملة في صحيفة الشعب- كان عنوانها: الوعي ينزف من ثقب الذاكرة، كان همى فيها هو نفس الهم .. هم الأمة التي خانها نخبها لتدفعها إلى الهلاك كقطيع يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان. وأنى تناولت في هذه المقالات مؤامرات بدأت منذ ألف عام.. مؤامرات الاستئراق ثم التبشير ثم الاستعمار الذي لم يرحل إلا بعد أن اطمأن أنه ترك خلفه نخبة ثقافية منحرفة تهدم في الأمة ما عجز الاستعمار المباشر عن هدمه.. ووسائلها في ذلك: الثقافة والإعلام والتعليم .

- الله يعلم وهم يعلمون علم اليقين أننى لم أكن منضمًا أبدا إلى حزب ولا إلى تنظيم، ولا يمنعنى ذلك أعلن ككاتب مستقل عن احترام لا حد له لحزب العمل وصحيفته ولقياداته . وأن أقرر أن هذا الحزب النبيل عندما تصدى لقضية الإساءة إلى ديننا وثوابتنا لم يفعل ذلك بحسابات سياسية ، على العكس، فعل ذلك ضد الحسابات السياسية، ففي قضية الإيمان والكفر وهدم الثوابت لا توجد - ولا ينبغي أن توجد - حسابات الدنيا بل حسابات الآخرة. لم يقل أحد يوما أننى أنتمى إلى حزب ، وكانت تلك الحقيقة كفيلا بهدم كل إفكهم عن تخطيط هنا أو مؤامرة هناك أو تجهيز للانتخابات (!!!) وعلى الرغم من ذلك فإن صحفنا المحترمة الصادقة (!!!) بدلا من أن تعترف بذلك تنشر بمانشيتات عريضة أن حزب العمل يتنصل ويتبرأ منى!!.. وغدا سينسبون إلى ما لم أقل فى طوفان من الأكاذيب لا يغيض.

• ولكى أوضح للأمة مدى نبل الكتيبة المجاهدة التي تقود صحيفة الشعب وحزب العمل فإننى أترك للقراء هذه المقارنة: لقد نشرت إحدى الصحف المصرية أن ثروات رؤساء تحرير الصحف المصرية القومية الثلاث تتجاوز المائة مليار دولار لكل واحد منهم، أما المجاهد عادل حسين فقد حصل على مكافأة نهاية الخدمة بعد عمل ثلاثين عاما فى صحيفة الأخبار المصرية، كانت المكافأة سبعة آلاف دولار تقريبا، وكان هذا المبلغ كل ما ادخره فى حياته، ولقد أنفقه فى أسبوع واحد: جهاز بنصف المبلغ ابنته للزفاف.. وتبرع بنصفه الآخر للحزب وللصحيفة.. وعندما حكمت المحكمة عليه بغرامة قدرها خمسة آلاف جنيه.. لم يجد ما يسدد به الغرامة.. فتطوع الناس بسداد قسط من الغرامة عنه كي يتجنبوا حبسه. أما رئيس تحرير صحيفة الشعب، الأستاذ مجدى حسين فقد أصبح السجن مقرا شبه دائم له.

• الله يعلم وهم يعلمون أننا لم نطالب أبدا بالخروج على القانون.. بل دائما نطالب بتطبيقه.. ليس فى قضية وزارة الثقافة فقط ( والتي خالفت القانون بنشر الرواية الملعونة دون موافقة الأزهر كما ينص القانون وكما صرح فضيلة شيخ الأزهر ) .. نحن الذين نطالب بتطبيق القانون فى كل قضايا الأمة وهم الذين يخرجون عليه.. ويدافعون عن هذا الخروج.. ثم يتهموننا نحن بذلك..

• يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله:

• لقد كان السحق العسكرى ضد الأمة الإسلامية موجها إلى تركيا باعتبارها الأقوى وبسحقها ينفط العقد.. لكن السحق الثقافى كان موجها إلى مصر.. وكانوا مدركين أنهم لا يستطيعون بث سمومهم فى العالم الإسلامى دون أن تكون دولة فى حجم ووزن مصر هى التى تقود حملة التغريب عن طريق نخبة منحرفة من مثقفيها.

• إن الخطر هائل وشامل وقديم ، وهو خطر لا يقتصر على مصر، ولا هو موجه فقط إليها.. كل العالم الإسلامى مستهدف، وما يحدث اليوم فى مصر جهرا يحدث عندهم خفية.. من أندونيسيا إلى المغرب ومن الشيشان إلى السودان. خطر مؤامرة هائلة، كان أسوأ ما فعلته نخبتنا المتنفذة الرسمية أنها كرست جهدها كله لإنكارها ، ولم يكن ذلك إلا لصالح أعداء الله الذى يجترئون عليه، لكنه كان أيضا لصالح أعداء الوطن.

• الذين يثيرون كل هذا الضجيج حاملين لواء الكفر لا يزيد تعدادهم عن ثلاثمائة.. ضدهم عشرات الآلاف من المبدعين الحقيقيين الذين لا ينشر لهم

أحد ولا يملكون أبواق الدولة، وضدهم أيضا شعب مصر كله.. ثلاثمائة .. لكنهم هم الذين يملكون الأبواق.

• كذبوا وزوروا وادعوا أن ٣٥٠٠ من أدباء الأقاليم يؤازرونهم .. وكشفتهم الصحف فادباء الأقاليم لا يعرفون عن الموضوع شيئا.. والكارثة التي حاقت بهم الآن والتي لا يدركونها.. أن الأمة قد حكمت عليهم بموقفهم هذا.. وأنهم فقدوا تماما عند الناس كل مصداقية واحترام. بل إنهم يعرضون أنفسهم لأول مرة في تاريخهم الأسود إلى احتمال أن يتهمهم القانون بأنهم يعتبرون الكفر إبداعا وأن من يفعل ذلك فهو كافر ( بنص الفتاوى الدينية التي أصدرتها مؤسسة رسمية من مؤسسات الدولة). كانوا دائما منفصلين عن الأمة وقد فقدوا كل تأثير بها أو أى تأثير فيها.. كانت الأمة تنظر إليهم دائما نظرتها إلى العلوج الأجانب.. وتقوّمهم بالانعزال عنهم ( انظروا إلى أرقام توزيع صحفهم ومجلاتهم).. لكن النظرة الآن تتغير.. فأولئك هم الذين يعتبرون سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم إبداعا.. وهو موقف أدعوهم وأدعو لهم أن يتوبوا إلى الله عنه.. لن أخيفهم الآن بأخرة لعلهم لا يؤمنون بها.. لكنهم تحدوا دائما الأغلبية الصامته التي اكتشفت الآن حقيقتهم.. ثم تحدوا المؤسسة الدينية الرسمية في الدولة.. ثم يتحدون النيابة في تظاهرة لإرغامها على إغفال القانون في محاكمة المجرمين.

• لا نعرف حتى الآن عما ستسفر الأمور، وهل سينتصر صوت الإيمان والحق والعقل أم أصواتهم الخئون، قد يغيبونا في السجون، وقد يواصلوا تشويهنا.. لا تدافعوا عنا فالله حسبنا.. ولكن.. افطنى يا أمة.. نحن لسنا القضية.. ولا السياسة - وأيم الله - القضية.. القضية لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وعلى كل واحد منكم أن يدافع عنها.. دفاع من يخشى لقاء ربه.

إن المعركة قد بدأت لكنها لن تنتهى فالإسلام قادم، وليس من قوة قادرة على منعه، وما من قيادة للثورة ضد الظلم والفحش في الداخل والخارج سوى الإسلام، وسننتصر ولو بعد ألف عام، فذاك وعد الله، نعم، لن تنتهى المعركة، ولقد أصاب هيكल عندما قال أن المتقين (الذين سموا أنفسهم كذلك دون حجة ولا دليل) قد خسروا المعركة قبل أن تبدأ، لكنها ليست خسارة معركة، بل بداية الهزيمة الشاملة والكاملة، ولعل وعيهم بذلك هو سر شرارتهم في المعركة الأخيرة.

\*\*\*

إن الأمر لا يتعلق بواحد أو اثنين أو حتى مجموعة من الأفراد، إنه يتعلق بصميم الفكر العلماني والفلسفة البراجماتية، حيث لا قيم مطلقة، بل كل شيء نسبي، وحيث المعايير مزدوجة. تلك أركان منهجهم وأعمدة فلسفتهم، ومنها ممارسة كل أنواع الجرائم وأولها الكذب، من أجل نزع القداسة عن كل مقدس والهيبة عن كل مهيب ثم بعد ذلك إسباغ هذه القداسة والهيبة على الأصنام.. كل الأصنام كي يعبدوها الناس من دون الله، في أحيان يكون ذلك الصنم ملكا أو رئيسا أو أميرا، وفي أحيان أخرى يكون ذهباً أو قيما وفكر الجاهلية الأولى، وفي أحيان يكون ما يدعون أنه الإبداع والتنوير، المهم لديهم أن يصرفوا الناس عن عبادة الله.. وهم في سبيلهم لهدفهم الشيطاني ذاك يكونون أشد ما يكونون بذاعة وشراسة وسفاهة كلما أحسوا من أحد خطرا على مخططاتهم. انظروا إلى مجهودهم في النيل من كل من يخاف الله ويعمل على إعلاء كلمته. انظروا إلى رعبهم وخوفهم من أن تهب ريح الحق على أيدي عباد الله فتطفئ نارهم. هذا الرعب هو سر شراستهم. تلك الشراسة التي تزيد كلما عجزوا. ذلك أنهم كل أن وآخر يحسبون أنهم قاب قوسين أو أدنى من بغيتهم الشيطانية، بغيتهم بإطفاء نور الله. وتصوروا يا ناس: عبدا للشيطان قاتلا أثيما وسافك دم زنيم، يطلق على عدوه عبد الله وعدو الشيطان - طلقة رصاص متوقعا أن تقتله الرصاصة على الفور، لكنه لا يموت، فيطلق عبد الشيطان رصاصة أخرى، فلا يموت عبد الله، فيواصل عبد الشيطان إطلاق الرصاص، وكلما أطلق من الرصاص أكثر، تزداد شراسته ورعبه، لأنه برغم كل ما أطلق من رصاص كان كفيلا بقتل عبد الله مائة مرة فإنه لا يموت.

ذلك يا ناس مثل العلمانيين والإسلاميين. كلما اشتد إيذاؤهم لنا.. كلما اشتد رعبهم منا..

أو بمعنى آخر، فإنهم كلما قتلوا فينا وأثخنونا بالجراح، وظنوا أنهم بعد أن مثلوا بنا كل هذه المثلة الشنعاء فلن يتقدم بعد ذلك لرفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله أحد، لكنهم يفاجئون أن الراية لا تسقط أبدا، برغم كل ما يفعلون.

\*\*\*

إنني أوصيكم بقراءة كتابي العلامة محمود شاكر : "مقدمة في الطريق إلى ثقافتنا" و"أباطيل وأسمار" .. لقد خاض نفس المعركة سنة ١٩٦٦.. كانت مقالاته تنشر في مجلة الرسالة.. وقبل أن يكمل معركته .. أغلقوا



المجلة واعتقلوه.. نفس المأساة تتكرر من ساسة يصرون على إغلاق أعينهم .. والأمة على حافة الهاوية.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. ولقد ختم العالم العلامة - التى تتجاهله حتى الآن رغم موته كل أجهزة الإعلام فى العالم العربى - كتابه أباطيل وأسمار ببيتى شعر لأبى العلاء المعرى:

يسوسون الأمور بغير عقل وينفذ أمرهم فيقال ساسة..

قافاً من الحياة وأف منى ومن زمن رئاسته خساسة..

لقد حمل محمود شاكر الرؤية وأشهد أنه حملها باقتدار، وحاولت أن أحملها بعده فقصر جهدى، فقصرت، لم أسع سعيه ولم أفر فريه ولم أجاهد جهاده، ولم أعط لرؤية دينك يا رب حقها، فاعف عني واغفر لى عجزى فقد حاولت وحق جلالك ما أستطيع.. فإن نالوا منى .. فخلا الثغر الذى وقفت عليه .. فليقدم منكم يا ناس من يسد الثغر ويحمل الرؤية.. رؤية الدفاع عن ثقافتنا الحقيقية .. ثقافتنا التى لا تقرأ تاريخنا بأعين أعدائنا.. ثقافتنا التى لا تستنزف وعينا .. ولا توسع من ثغوب الذاكرة.. ثقافتنا التى تقدس ربنا فلا رب لنا سواه.. ولا منتهى لنا إلا عنده.. ثقافتنا المؤمنة.. ثقافتنا التى لا تبجل كتابا فى الدنيا كما تبجل كتاب الله .. ثقافتنا التى تحترم ديننا ونبيينا وأسلافنا الصالحين .. وتعتز بهم .. وتنته فخارا على العالمين..

● اللهم إنى قد بلغت.. اللهم فاشهد..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٦}  
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ {٧} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ  
{ ٨ } يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ  
{ ٩ } فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْذِبُونَ { ١٠ } وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ  
مُصْلِحُونَ { ١١ } أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ { ١٢ } وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ  
السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ { ١٣ } وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا  
خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ { ١٤ } اللَّهُ  
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ { ١٥ } أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
ضَلَالَةً بِالْهَدَىٰ فَمَا رِبْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ { ١٦ } البقرة

صدق الله العظيم

## كتب للمؤلف

|                |             |      |                        |
|----------------|-------------|------|------------------------|
| مكتبة مدبولي   | سياسي       | ١٩٨٧ | اغتيال أمة - طبعة أولى |
| مكتبة مدبولي   | رواية       | ١٩٨٩ | الحاكم لصا             |
| مكتبة مدبولي   | مجموعة قصص  | ١٩٩١ | مباحث أمن الوطن -      |
|                | قصيرة       |      | صودرت بعد الطبع.       |
| مكتبة مدبولي   | سياسي       | ١٩٩١ | اغتيال أمة -           |
|                |             |      | طبعة ثانية مزيده       |
| مكتبة مدبولي   | رواية       | ١٩٩٢ | قصر العيني             |
| الشركة العربية | سياسي       | ١٩٩٣ | من مواطن مصري إلى      |
| للطباعة والنشر |             |      | الرئيس مبارك           |
| دار جهاد       | مجموعة قصص  | ١٩٩٤ | إعلانات ميوه           |
| للنشر          | ونصوص أدبية |      |                        |
| مكتبة مدبولي   | رواية       | ١٩٩٧ | مباحث أمن الوطن        |
| الصغير         |             |      | ( غير المصادرة )       |
| مكتبة مدبولي   | سياسي       | ١٩٩٩ | إنى أرى الملك عاريا    |
| مكتبة مدبولي   | سياسي       | ٢٠٠٠ | بغداد عروس عروبتكم     |
| الصغير         |             |      |                        |
| مكتبة مدبولي   | سياسي       | ٢٠٠١ | الوعى ينزف من ثقب      |
|                |             |      | الذاكرة                |

## تحت الطبع

|              |            |                        |
|--------------|------------|------------------------|
| مكتبة مدبولي | مجموعة قصص | القرن الحادى والعشرون  |
| الصغير       |            |                        |
|              | رواية      | بروتوكولات حكماء العرب |





**عربية للطباعة والنشر**

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043





## الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة

هذا الكتاب ينطق بالحق ، ولله المثل الأعلى ، فهو كتاب لم يقتصر على أن يكون درساً في التاريخ ، ولا مقررأ من مقررات العلوم الاجتماعية والسلوكية ، ولم يحبس مكاتبه نفسه خلف قضبان قضية محدودة ، سواء في مجال الدراسات السياسية أو الشؤون الدولية أو ما شابه ذلك ، ولكنه ، أي الكاتب ، راح بكل الثقة والإيمان يمد يده لإنسان هذا الوطن ، الوطن العربي والإسلامي ، راح يمد يده لينتشله من هوة سحيقة مظلمة لا يعرف أحد مدى عمقها ولا قوة ولا حجم ما فيها من شرور ، فرغم أن عدو هذه الأمة معروف للكافة ويمارس طغيانه وظلمه للجميع جهاراً نهاراً ، راح يعبت بالتاريخ ، فثبت ما يشاء ويمحو ما لا يروقه ، راح يخلق الوقائع والأحداث ويصطنع لنفسه الأدلة وأسباب القوة ، سواء كان بزيع وتأييد إسرائيل اللغيم في قلب المنطقة أو بإشاعة الفرقة واستعداد دول العالم على العرب والإسلام والمسلمين ، راح يجتاحنا بأساليبه السياسية والتجارية بقصد تحويلنا جميعاً إلى سوق كبيرة لاستهلاك منتجاته واعتناق أفكاره بل والدفاع عنها ، وراح ذلك العدو الغشوم يطور من هجومه ويصل إلى التشكيك في المعتقد وتقطيع أوصال الأمة ويستخدم قدراته وتقنياته ومساعديه في التشويش على أفكارنا بل وحجب الضوء والتعتيم على بصائرنا حتى يتمكن من صياغة العقل العربي كيما يشاء بدءاً من تفريغه من محتواه أو مما بقي فيه من أثر إيجابي من ثقافته وحضارته الأصيلة ثم يعيد شحنه بما يهوى من أباطيل تستند إلى منطلقاته الفكرية والتي تنبع بالضرورة من بروتوكولات حكماء صهيون .. نقول رغم كل ذلك ، إلا أننا نلهو ونلعب ونعيش حالة من الغفلة ، بل ونجد بين صفوفنا من يضعفون أمام الإغراءات المادية أو تبهرهم مظاهر المدنية فيجعلون من أنفسهم مدافعين عن وجهة نظر أعداء الإنسانية ، تحت دعاوى التحرير والتنوير والإبداع ، وهم إذ يفعلون ذلك يجهلون أنهم يحضرون قبورهم وقبورنا بأيديهم ، ومن هنا فكل ما تعرض له الكاتب من كشف وفضح لأساليب عدونا الأوحدا ما هو إلا إضاعة ومحاولة لإيقاف نزيف الوعي من الذاكرة ، فلا الإنسان العربي المسلم ، ولا الفكر ولا التراث ولا تاريخ الحضارة الإسلامية يستحقون أن نتركهم نهياً وفريسة لصناع الكلام ومزوري التاريخ ، فكان لابد من وقفة شجاعة واعية ، كان لابد من الدفاع عن الحق وكشف المستور ، وكان لابد من إعادة قراءة وكتابة تاريخنا بأقلامنا ووعينا وبصيرتنا وليس كما كتبه لنا أعداؤنا وترجمناه وحفظناه ، نقول إزاء كل ما سبق كان لابد أن يقيض الله بعضاً من جنده ليدحضوا الباطل ويسهموا في إعادة صياغة العقل والوعي العربي والإسلامي ، كي نضمن وقف نزيف الوعي من الذاكرة ، فكان لابد من هذا الكتاب .